جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية
رسالة العالمية (الدكتوراة) المقدمة من الباحث
خليل محمد خليل خليل
بعنوان
{ فقه الدعوة إلى الله تعالى في السنة النبوية من خلال المستدرك للإمام الحاكم} رحمه الله تعالى
إشراف
الأستاذ الدكتور : محمود محمد عمارة
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المتفرغ بالكلية
الأستاذ الدكتور : مرسي شعبان السويدي
أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية
نالت الرسالة مناقشة كل من
الأستاذ الدكتور : علام محمدين علام
أستاذ الحديث وعلومه ووكيل الكلية { مناقشا داخليا }
والأستاذ الدكتور : عبدالمنعم صبحي أبو شعيشع أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بطنطا { مناقشا خارجيا }

رسالة العالمية - الدكتوراه

فقه الدعوة إلى الله تعالى في السنة النبوية من خلال المستدرك للإمام الحاكم

الباحث - خليل محمد خليل خليل

(أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

من الدستور الإلهي:-

قال تعالي:-

: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل:125)

(ب)

(شكر وتقدير)

أحمد الله رب العالمين المتفضل بنعمه علي سائر خلقه، صاحب الكرم والجود والعطاء والإحسان، رب هذا الكون الكريم المنان.

وأصلي وأسلم علي خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه ومن سار علي نهجه واقتفي أثره إلي يوم الدين.

أما بعد

أتقدم بخالص شكري وتقديري وعرفاني بالجميل إلي الأستاذين الكريمين فضيلة الأستاذ الدكتور (**محمود محمد عمارة**) أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالمنوفية – جامعة الأزهر، والي الأستاذ الدكتور (**مرسي شعبان السويدي**) أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية، حيث قبلا سيادتهما الإشراف علي هذه الرسالة رغم كثرة مشاغلهم وضيق وقتهما، ولم يدخرا وسعا في نصحي وتوجيهي، وإرشادي، في كل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذا البحث، فما رأيت منهما إلا ترحيبا، وحفاوة، وإرشادا وتقديرا، ولقد نفعني الله تعالي بتوجيهاتهما ونصائحهما، والله سبحانه وتعالي أسال أن يرزقاهما الصحة والعافية والعمر المديد، وان ينفع بهما المسلمين، وان يجعل هذا العمل والعلم في ميزان حسناتهما، ولا أنسي أن اذكر أستاذي الجليل والعالم الفاضل فضيلة الأستاذ الدكتور (**حسن عبد الحميد حسن**)، عميد الكلية الأسبق والذي اشرف علي هذا الرسالة قرابة ثلاثة أعوام فنفعني الله تعالي بعلمه، ورحمه الله سبحانه رحمة واسعة، ورزقه صحبة النبيين والشهداء والصالحين.

وأسال الله لي التوفيق والسداد

الباحث

خليل محمد خليل

(ت)

(عرفان بالجميل)

إلي أعز الناس إلي قلبي، إلي من قرن الله تعالي طاعتهما بطاعته، وامرنا ببرهما الإحسان اليهما أحياء، وطلب الرحمة والمغفرة لهما أمواتا

إلي والدي الكريمين: علي ما غرساه في من قيم دينية، وأخلاق إسلامية، وعلي ما بذلاه من جهد في تحفيظي القرآن الكريم، وتعليمي العلوم الشرعية.

إلي والدتي الحبيبة الرحيمة الكريمة الحنونة: التي سهرت أيام الطوال في خدمتي ورعايتي، متضرعة إلي الله بالدعاء لي ولإخواني بالتوفيق والسداد في الدنيا والآخرة.

والي والدي: رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته، لقد وهبني للأزهر منذ نعومة أظفاري لأنال شرف الدراسة الشرعية، وأنعم بحفظ كتاب الله تعالي، وخدمته لأكون داعيا إلي الله تعالي علي بصيرة.

أسأل الله تعالي لهما كمال الأجر وحسن الثواب، وان يجعلهما في جنات النعيم.

والي جميع أساتذتي الأفاضل الذين تتلمذت علي أيديهم في كل مراحلي منذ صغري إلي الآن والي أصدقائي الأوفياء الذين وفروا علي كثيرا من الجهد وقدموا لي كثيرا من العون.

أسال الله تعالي أن يجعل العمل مقبولا، خالصا لوجهه الكريم، نافعا للمسلمين، فغفر الله ذنبهم، وأعظم أجرهم وأثابهم خيرا، ورفع للجميع قدرهمهم ومنزلتهم.

مقدمة الرسالة

مقدمة الرسالة

وتحتوى على مايلى :

*** أهمية الموضوع .**
*** أسباب اختياري له .**
*** ومنهجي في البحث .**
*** خطة البحث .**
*** والدراسة التي سرت عليها في البحث .**

المقدمة

الحمد لله الذي
لا أول لوجوده ولا نهاية لحدوده
ولا آخر لبقائه ووجوده , المحيط علما بما
يكون وما كان , يُعِز ويُذِل , ويُفْقِر ويُغْنِي , ويفعل ما يشاء
بحكمته , كل يوم هو في شأن , أنعم على عباده بالنعم الغزيرة والآلاء الجسيمة
(وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [1]
, فأعطاهم العقول والأفهام , وأباح لهم الحلال وحرم عليهم الحرام , وأرسل إليهم خير مبعوث ليقيم في الناس أوامره وحدوده , أزكاهم محتدا ومنمى وأطيبهم عريكة وحلما وأقواهم يقينا وعزما وآتاه

(1) سورة إبراهيم: الآية (34).

حكمة وحكما وإعجازا وعلما وفتح به آذانا صما وأعينا عميا وقلوبا غلفا حتى أصبح أهل الضلال في هداية بعد الغواية وفي النور بعد الظلام ,
أحمدك يا رب حمد الصابرين على البلاء، الشاكرين على النعماء، الراضين في السراء والضراء..
والصلاة والسلام على سيدنا محمد ρ عدد ما خلق الله Y من كائنات، وعدد ما في الكون من ذرات، وعدد ما نطق البشر من كلمات، وعدد ما في الأرض والسموات، ما نعلمه وما لا نعلمه على إخوانه الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلي وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابعيهم، والمتمسكين بسنته، والملتزمين بمنهجه، والداعين بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد:

فمن رحمة الله تعالي أن أرسل إلي الناس رسلا ليعلموهم أمور دينهم ودنياهم، ويرشدونهم إلي الخير، من لدن آدم إلي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم. قال الله تعالي (رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً) (1)

فمما لا ريب فيه أن النبي ρ قد جاء بدعوة فيها الخير والصلاح والفلاح للبشرية كلها ، يمتد صلاحها وأثرها لكل زمان ومكان، وترتكز دعوته صلي الله عليه وسلم علي أصلين عظيمين هما كتاب الله تعالي القرآن الكريم ، وسنة نبيه محمد صلي الله عليه، وهما أساس

الدين، ومصدر التشريع، والنور الهادي إلى الصراط المستقيم، من أخذ بهما وسار على هديهما لا يضل أبدا، ومن انحرف عنهما ضل وغوى،قال تعالي:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (2).

وهي أعظم العلوم النافعة التي ينال الإنسان بها شرف القرب من الله تعالي، ويحصل بها الثواب في الدنيا والآخرة، وتسعد النفس بمطالعته و بالانتفاع بها، ، وهى مُتعة روحية تُزكى النفس، وتطهر

القلب، وتجلى العقل وتصقله، فضلا عن أنها عبادة لله Y لو أخلص فيها الباحث نيته لله سبحانه وتعالى.

وقد أكر منى الله Y بهذا الشرف، وتلك النعمة، نعمة الدعوة إلي الله تعالي، التي طالما تمنيتها منذ طفولتي، وهذه الدراسة التي أتقدم بها لنيل درجة العالمية "الدكتوراه" تتعلق ((بفقه الدعوة إلي الله تعالي في السنة النبوية من خلال المستدرك للحاكم النيسابوري)) باعتباره أحد الكتب التي تخدم الدعوة الإسلامية، والتي اعتنت بالسنة النبوية، واستنبطت منها منهجا في الدعوة إلى الله Y وبينت أثره في العصر الحاضر، فللسنة النبوية منزلتها السامية ومكانتها العالية في الإسلام بعد كتاب الله Y، ولولاها لتعطلت الدعوة الإسلامية، ولم يتحقق لها التبليغ والانتشار.

أهمية الموضوع :-

---

1)- سورة (النساء:الآية 165)

(2) سورة الأنعام: الآية (153).

إن الدارس لسنة النبي ρ يجد أنها احتوت من الزاد ما يساعد الداعية – في كل عصر من العصور – على أن يكون قوياً في علمه، عميقاً في ثقافته، سليماً في فكره، موفقاً في نصحه، رشيداً حكيماً في دعوته، بما يمكنه من إقناع المدعوين بها، ومن مواجهة الأفكار والتيارات المعادية لها، ولا أتصور خطيبا، أو واعظا، أو مدرسا، أو كاتبا، أو باحثا، أو غيرهم ممن يعملون في ميدان الدعوة إلى الله Y أن يستغنى عنها وعن تعاليمها

ولو أن الدعاية إلى الله Y في عصرنا الحاضر – والذي يليه إلى يوم الدين – التزموا هذا المنهج، وأخذوا به في دعوتهم إلى الله Y وواصلوا المسيرة على هدى ونور دون توقف ولا انحراف..لكان قوياً في علمه، عميقاً في ثقافته، سليماً في فكره، موفقاً في نصحه، رشيداً حكيماً في دعوته، بما يمكنه من إقناع المدعوين بها ... وفى حالة إهماله والتخلي عنه لا يكون إلا الانحراف في الفكر والانزلاق إلى طريق غير مستقيم، وتلك هي أكبر المشكلات التي تواجه الدعوة في العصر الحاضر، إذ نتج عن غياب منهج القرآن والسنة في الدعوة إلى الله Y سلبيات خطيرة، من أبرزها :

أ) عدم اكتراث البعض بالأخذ بالحكايات والقصص الواهية تاركين ما صحت روايته عن النبي.

ب) صرف الجهد الدعوى إلي مسائل فرعية وأمور شكلية لا طائل من ورائها، تضيع فيها الكثير من الأوقات والجهود، وتورث بين الكثيرين العداوة والبغضاء، وتصرفهم عن قضاياهم ألكبري وهمومهم العظمي.

ج) ظهور بعض المتشددين الذين يغالون في الدين، ويستبيحون لأنفسهم دماء الآخرين وأموالهم، ويحكمون بالكفر على من خالفهم في الرأي، أو ترك سنة من السنن، ولا مانع لديه – ولا حياء – أن يرمى بالكفر أقرب الناس إليه.

د) ظهور بعض التيارات المتغالية في الدين، والتي لا تري إلا العنف سبيل والغلظة لها طرق، وتسعي جاهدة إلي فرض ذلك المنهج علي المدعوين وتطبيقه علي الناس أجمعين، زعما منهم أن ذلك هو المنهج المستقيم للدعوة إلي الله تعالي ولا سبيل لإصلاح الأمة غير ذلك، وقد أفسد هؤلاء أكثر مما أصلحوا، ونفروا أكثر مما رغبوا.

هـ) ظهور الانقسامات الشديدة داخل جماعة المسلمين التي من المفترض أنها أمة واحدة، قال تعالي (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)[1] ، لكن الأمر علي خلاف ذلك، فالأمة فرق وأحزاب، وكل منهم معجب برأيه علي حد قوله تعالي (فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)[2] وأقول: بأن من حق هذه الصحوة الحاضرة على الدعاة إلى الله Y رعايتها وإنمائها وتقويم اعوجاجها على ضوء المنهج الذي جاء به النبي.ومن ثم فأنصح نفسي وكل الذين يعملون في ميدان الدعوة إلى الله Y سواء في المسجد، أو المدرسة والجامعة، أو في المصنع، أو في الشوارع والطرقات، أن يلتزموا وسطية القرآن الكريم والسنة النبوية في الدعوة إلى الله Y.

فإن التزام هذا المنهج والاستقامة عليه يدفع عن الدعوة ما يهدف إليه الأعداء من تشويهها ورميها بأنها دعوة عنف وإرهاب، أو أنها انتشرت بالسيف والقتل.

ومما سبق تتبين أهمية البحث في هذا الموضوع وحاجة الدعاة إليه.

---

1 - سورة الأنبياء الآية: 92)

2 - سورة المؤمنون الآية :53)

*** سبب اختيارى لهذا الموضوع:**

ومن أهم ما دفعني لاختيار هذا الموضوع :

أولاً : حبي الشديد للسنة النبوية المطهرة، وصاحبها سيد ولد آدم صلي الله عليه، وتمنيت أنال هذا الشرف العظيم، بدراسة كتاب من كتب السنة النبوية المطهرة، وقد يسر الله تعالي لي هذا الأمر فكنت من خدام سنة ρ، داعيا الله سبحانه وتعالي أن أنال ثوابها، وأن يرزقني شفاعة صاحبهاρ، وأن يجعل عملي هذا مقبولا إن شاء الله.

ثانياً : أن أوضح بجلاء التعامل مع سنة النبي ρ ، في الوقت الذي التبس فيه الفهم لكثير من الأمور علي شباب الإسلام، فنحرفو بفهمهم عن هدية النبي.ρ وسماحة الإسلام.

كما رغبت في إبراز المنهج الذي أوضحته سنة النبي.ρ ، ليهتدي به الناس عامة، والدعاة خاصة، لا سيما في الوقت الحاضر الذي كترث فيه الدعوات المغرضة، والشبهات المضلة ضد الدين، ولذا أردت إبراز المنهج الذي استخدمته السنة النبوية في الدعوة إلى الله Y.

ثالثاً : أن أجتهد ما استطعت في إبرز دور السنة النبوية المطهرة، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، لا سيما في وقتنا الحاضر الذي تعالت في الأصوات الباطلة والادعاءات الفاسدة، بإقصاء السنة عن الساحة الدعوية ، وظهرت كذلك حملات التشكيك في الأحاديث النبوية الشريفة، والدعوة إلي عدم الاحتجاج بها..

ولهذه الأسباب – وغيرها - وحبا في خدمة هذا الموضوع المرتبط بالسنة والدعوة، عقدت العزم، واستعنت بالله Y، وتقدمت به ليكون موضوع رسالتي، راجيا من الله Y أن يُلهمني الرشد والصواب، وأن يجعله صالحا خالصا لوجهه الكريم، ولا يجعل للشيطان، ولا للنفس ولا لأحد من الخلق حظا ولا نصيبا.

الدراسات السابقة على هذه الرسالة:

لقد كان للدراسات السالفة على هذه الرسالة أثرها الفعال في تذليل معظم الصعوبات التي واجهتني أثناء بداية البحث ما يخدم موضوعي هذا فقلت في نفسي : لم لا أستفيد من تجارب إخواني الباحثين الذين شغلهم البحث العلمي في كيفية الاستفادة من كتب السنة النبوية وتوظيفها التوظيف الدعوى ولعل من الدراسات التي استفدت منها :

أولاً : رسالة العالمية (الدكتوراه) بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا للباحث / حمادة الفخرانى وموضوعها:" فقه المدعو من خلال أحاديث صحيح البخاري"

ثانيا : رسالة العالمية (الدكتوراه) بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق وموضوعها ((منهج الدعوة إلي الله تعالي من خلال سنن أبي داود)) للباحث- علي أبو بكر إبراهيم.

ثالثا : رسالة العالمية (الدكتوراه) بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية للباحث / خالد صميده وموضوعها : "فقه الدعوة إلي الله تعالي من خلال مصنف ابن أبي شيبة".

رابعا : رسالة العالمية (الدكتوراه) بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية للباحث/ يوسف عبد الحميد المرشدى وموضوعها : "منهج السنة النبوية في الدعوة إلى الله تعالى وأثرها في العصر الحاضر"

والحق يقال : إن هذه الدراسات قد ذللت الكثير من الصعاب التي واجهتني سواء فيما يتعلق بكيفية وضع خطة البحث ومنهجه وكيف يمكن توظيف هذه الأحاديث النبوية لتغطية كافة القضايا التي تتعلق بالدعوة إلى الله تعالى ، أو التي تتعلق بالداعية نفسه ، أو التي تتعلق بالمدعوين على اختلاف جنسياتهم وطبائعهم ومذاهبهم، وكيف يمكن للداعية أن يجدد خطابه الديني باستخدام كافة الوسائل والأساليب

التي استحدثت في عصرنا الحاضر إلى جانب ما استخدمه رسول الله ρ من وسائل وأساليب لاستمالة المخاطبين بالدعوة إلى الله تعالى، ثم بيان أثر الأحاديث التي جاءت في (المستدرك للحاكم النيسابورى – موضوع هذه الرسالة) ودورها العملي في خدمة ورعاية الأحياء في كافة مجالات الحياة المتنوعة كالاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والإعلامية وكيف يمكن الانتفاع بها في خدمة قضايا الدعوة الإسلامية في العصر الحديث.

منهجي في الدراسة والبحث:

لما كان للبحث العلمي خاصيته المتميزة، ولابد أن تخضع الرسالة لمنهج معين يلتزم به الباحث، فقد نهجت نهجا علميا موضوعيا، واتسم منهجي بأسس علمية، وأخرى فنية.

فأما الأسس العلمية فهي تتلخص فيما يأتي:

أولاً: اعتمدت في هذا البحث على مناهج متعددة منها: المنهج التحليلي باعتبار أن أي منهج علمي هو تحليلي بذاته. والمنهج الإستدلالى حيث كنت أستدل بالأحاديث النبوية في جميع قضايا البحث وجزئياته. والمنهج الإستنباطى حيث كنت أستنبط المناهج والوسائل والأساليب من خلال الأحاديث النبوية. والمنهج الإستردادى حيث كنت أوثق المعلومة وأردها إلى مصدرها الأصلي.

ثانياً: قمت عند كل نص قرآني كريم ببيان اسم السورة، ورقم الآية أو الآيات.

ثالثاً: قمت بجمع الأحاديث النبوية التي تخدم كل قضية من قضايا البحث، وخرجتها من مصادرها المعتمدة من كتب السنة، ذاكراً في الحاشية اسم المؤلف وعنوان الكتاب والباب الذي ورد فيه الحديث ثم الجزء والصفحة ثم رقم الحديث "إن وجد". وذلك نظرا لكثرة الأحاديث في كتاب المستدرك للحاكم النيسابوري والتي تصل إلى (8803).

رابعا:- حرصت علي الاستشهاد بالحديث النبوي من كتاب المستدرك موضوع بحثي ورسالتي، لكني اضطررت أحيانا إلي الاستشهاد ببعض الأحاديث الأخرى من بعض كتب السنة النبوية المطهرة لتوضيح أمر معين، أو تعضيده.

وبالنسبة للحكم على صحة الحديث، فما ورد في البخاري ومسلم فهو محكوم بصحته بإجماع أهل العلم، وما لم يرد فيهما فقد اعتمدت على حكم علماء الحديث في ذلك، كالإمام الترمذي، والحاكم، والذهبي، والهيثمى وغيرهم.

وما ذكر في البحث من أحاديث بها ضعف فهي في موطن فضائل الأعمال التي حث عليها علماء الحديث والتي تندرج تحت أصل صحيح[1]. أما الموضوعة فقد استشهدت بها بقصد تحذير الدعاة من روايتها.

---

(1) أجاز علماء الحديث العمل بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال، واتفقوا على أن الحديث الضعيف لا تثبت به الأحكام الشرعية. وذكروا أن الحديث الضعيف يتفاوت ضعفه بحسب شدة ضعف رواته،

أ) فمنه الذي ينجبر بغيره ويرتقى بمجموع طرقه إلى درجة الحسن: وهذا مما يقبل ويحتج به، ويعمل به في فضائل الأعمال، والترغيب والترهيب، ومكارم الأخلاق، والقصص، والزهد ونحو ذلك مما لا يتعلق بالحلال والحرام، ويتوقف عن العمل به في الأحكام.

ب) ومنه أذى لا ينجبر بتعدد طرقه وهى الأحاديث التي عرف رواتها بالفسق والكذب والوضع: وهذا مما لا يقبل ولا يحتج به.

في مواضع الاستشهاد اتخذت الخطوات التالية:-

أ) أسندت كل نص إلى مصدره ذاكراً في الحاشية اسم الكتاب ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة، واسم دار النشر ومكانها، ورقم الطبعة وتاريخها، واسم المحقق أو المترجم "إن وجد"، وعند عدم وجود شئ من ذلك أشير بعبارة "بدون"، وهذا في المرة الأولى لورود المرجع، وعند تكراره أشير بعبارة "تقدم". ووضعت النص المنقول بين قوسين "..." وفى نهايته أرمز بهذا الرمز أ.هـ. وإذا كان الكلام لي تركته بلا قوس.

ب) وإذا تصرفت في النص المنقول أشرت إلى ذلك بقولي: "بتصرف" أو "بتصرف يسير".

ج) وإذا استفدت الفكرة من مصدر ولم أنقل نصه أشرت إلى ذلك بقولي: "مستفاد من كذا" وذلك اعترافا بفضل من سبقني وإحقاقا لحقهم.

د) وكنت إذا وقفت على نص منقول رجعت – في الغالب – إلى مصدره الأصلي.. وفعلت ذلك في الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية.، وكثيراً ما كنت أجد اختلافا دون إشارة من الناقل أو خطأ في عزو بعض الآيات القرآنية، أو بعض الأحاديث النبوية.

كما حدث في بعض المصادر من عزو أحاديث فيها إلى البخاري ومسلم، وبتخريجها تبين أنها ليست فيهما، بل ربما ليست صحيحة على الإطلاق.

وهذا يدفعني بالنصح والرجاء لإخواني الباحثين بضرورة الرجوع إلى المصدر الأصلي، وضرورة أن يتأكد الباحث بنفسه من موضع الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية التي ينقلها، ولا يكتفي في ذلك بمجرد النقل.

خامساً : حرصت قدر جهدي على عدم التداخل والتكرار، اللهم إلا ما يجده القارئ الكريم من تكرار الاستشهاد ببعض الأحاديث في مواضع متعددة من هذا البحث، وذلك لمناسبة الاستدلال بها في كل موضع.

سادسا : رجعت في جمع المادة العلمية إلى أكبر عدد من المراجع المعتمدة في مقدمتها كتاب الله Y ثم أمهات كتب السنة (متنا وشرحا)، وأمهات كتب التفسير والفقه، والسير والتاريخ، وكذلك كتب العقيدة، والدعوة، والتخريج، وغير ذلك من المجلات الدينية والعلمية التي تخدم البحث وقد جمعت في ذلك بين القديم والحديث.

ولا أزعم بذلك أنني قد أتيت بالجديد الذي لم يُسبق، إلا أن هناك أمورا هي – بتوفيق الله Y - من الإضافات المفيدة إن شاء الله تعالى. ومن أبرزها :

1- استنباط تعريف السنة عند علماء الدعوة، وكذلك تعريف الدعوة.

2- استنباط السمات والمزايا التي تؤكد أن السنة النبوية هي كتاب الدعوة الثاني بعد كتاب الله Y.

3- استنباط منهج النبي ρ في دعوة المؤمنين، والمنافقين، وأهل الكتاب، وغيرهم من أهل الكفر والشرك.

4- استنباط أساليب الأحاديث النبوية ووسائلها في الدعوة إلى الله Y.

5- استنباط إسهامات الأحاديث النبوية في تنمية الناحية الروحية، والعقلية، والجسدية، والنفسية للمدعوين.

وما ورد في هذا البحث من الضعيف فهو من النوع الذي أجازه علماء الحديث "والله اعلم".

راجع حول هذه المسألة: تدريب الراوي: للسيوطى 179/1 وما بعدها. منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1392هـ، 1972م. قواعد التحديث: للقاسمى ص109، وما بعدها. دار إحياء الكتب العلمية. عيسى البابى الحلبي وشركاه "بدون" تحقيق وتعليق محمد بهجة البيطار.

6- استنباط أثر الأحاديث النبوية في نواحي الحياة المختلفة، إلى غير ذلك من الجزئيات المتفرقة.

خطة البحث والدراسة:-

قمت بتقسيم الرسالة إلي :-

مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فقد اشتملت علي : أهمية الموضوع ، أسباب اختياري له ، ومنهجي في البحث، خطة البحث، والدراسة التي سرت عليها في البحث.

أما التمهيد فقد اشتمل علي التعريف بمفرادت عنوان البحث ويحتوي علي: -

الأمرالأول : - التعريف ب(فقه – الدعوة – السنة – المستدرك).

الأمرالثاني :- (التعريف بالإمام الحاكم – أساتذته – ثناء العلماء عليه وعلي كتابه – بيان طبيعة الحياة في عصره ونشأته.

الثالث – جهوده في التأليف والتصنيف ومكانته في عصره.

الرابع – وفاته.

:- عصر الحاكم أبى عبد الله ، وطبيعة الحياة التي عاش فيها .

الباب الأول:-

مكانة الأحاديث النبوية الشريفة وأهميتها في ميدان الدعوة إلي الله تعالي.

الفصل الأول:- أحاديث المستدرك للحاكم وأهميتها في ميدان الدعوة إلي الله تعالي.

المبحث الأول : أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم في المستدرك للحاكم وأهميتها في ميدان الدعوة الإسلامية.

المبحث الثاني : - أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم في المستدرك وأهميتها للداعية.

المبحث الثالث :- أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم في المستدرك ومنهجه في مخاطبة المدعوين.

الفصل الثاني :- مكانة الدعاة إلي الله تعالي كما ورد في المستدرك

المبحث الأول:- ما يتعلق بالداعية في مستدرك الحاكم.

المبحث الثاني:- فضل الدعاة إلي الله تعالي ومكانتهم عند الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.

الباب الثاني :-

أصول الدعوة الإسلامية من خلال المستدرك للإمام الحاكم .

تمهيد : وفيه (التعريف بأصول الدعوة) .

الفصل الأول :-

(الأصول العقدية) من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

تمهيد :

أهمية العقيدة في حياة الإنسان .

المبحث الأول :- التعريف بالعقيدة الإسلامية وأهميتها في الدعوة إلي الله تعالي

المبحث الثاني :- الإيمان بالله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

المبحث الثالث :- الإيمان بالملائكة من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

المبحث الرابع :- الإيمان بالكتب من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

المبحث الخامس :- الإيمان بالرسل من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

المبحث السادس :- الإيمان باليوم الآخر ومشاهده من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

المبحث السابع : - الإيمان بالقضاء والقدر من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

الفصل الثاني :-

الأصول التشريعية الإسلامية من خلال المستدرك للحاكم .

تمهيد :

المبحث الأول : - تعريف الشريعة نشأتها وأهميتها .

المبحث الثاني : - يسر التشريع الإسلامي وسماحته .

المبحث الثالث :- مقاصد الشريعة الإسلامية .

الفصل الثالث :-

أصول الدعوة الأخلاقية في أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

تمهيد :-

المبحث الأول :- صفات ناتجة عن الخلق السوي من خلال أحاديث المستدرك .

المبحث الثاني :- الأثر الأخلاقي في الثواب والعقاب من خلال أحاديث المستدرك .

المبحث الثالث :- وصايا وتعاليم إسلامية تضبط الأخلاق من خلال أحاديث المستدرك .

المبحث الرابع :- نماذج من الآداب الأخلاقية كما وردت في أحاديث المستدرك للحاكم ..

الباب الثالث :-

وسائل الدعوة الإسلامية من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.

تمهيد :- وفيه التعريف بوسائل الدعوة .

الفصل الأول :-

الوسيلة الأولي : الكتابة وأهميتها للدعوة من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.

المبحث الأول :- الكتب والرسائل وخدمتهما للدعوة في صدر الإسلام .

المبحث الثاني :- الكتب والرسائل وأهميتهما للدعوة في العصر الحديث .

المبحث الثالث :- وسائل الاتصال الحديثة وكيفية الاستفادة منها في خدمة الإسلام..... الصحف, الإعلام, الإذاعات, وشبكة المعلومات.

الفصل الثاني :-

الوسيلة الثانية { الخطابة وأهميتها للدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري }

أولا :- أهمية الخطابة في الإسلام .

ثانيا :- عوامل مساعدة للداعية في نجاح دعوته .

ثالثا :- أهم مميزات الخطيب الجيد .

رابعا :- ما ينبغي أن يكون عليه الخطيب المسلم .

الفصل الثالث :-

المسجد وأهميته في الدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

المبحث الأول :- النهوض بالدعوة من المسجد في العصر الحاضر .

المبحث الثاني :- المسجد والتربية .

المبحث : - التجمعات التعبدية في المساجد .

الفصل الرابع :-

{الهجرة وأهميتها للدعوة إلي الله تعالي من خلال المستدرك للحاكم النيسابوري }

تمهيد :-

تعريف الهجرة ومعناها في الإسلام .

أولا :- الهجرة من منظور الإسلام – الأسباب والدوافع .

ثانيا :- الهجرة في الإسلام قديما .

ثالثا :- أنواع الهجرة .

الفصل الخامس :-

: الجهاد وأهميته للدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري)

أولا :- مفهوم الجهاد والحكمة منه .

ثانيا :- فضل الجهاد في سبيل الله .

ثالثا :- أنواع الجهاد .

رابعا :- مراحل تشريع الجهاد في الإسلام .

خامسا :- أهداف الجهاد ، وآدابه ،

سادسا :- أحكام الغنيمة والفيء .

الباب الرابع :-

{ أساليب الدعوة الإسلامية من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري }

تمهيد:-

التعريف بأساليب الدعوة.

الفصل الأول :-

(الحكمة و أثرها في الدعوة إلي الله تعالي في العصر الحديث من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري }

تمهيد:-

المبحث الأول :- تعريف الحكمة التي يدعي الناس بها ،.

المطلب الثاني :- آراء العلماء في بيان معني الحكمة
المطلب الثالث :- الصفات الباعثة علي الحكمة .

الفصل الثاني :-

- (الموعظة الحسنة و أثرها في الدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري) .
- المطلب الأول : معني الموعظة وأثرها في خدمة الدعوة الإسلامية .
- المطلب الثاني :- الموعظة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- المطلب الثالث :- أهم سمات الموعظة الحسنة .

الفصل الثالث :-

(الحوار والجدل وأثرهما في الدعوة من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري)
تمهيد:-
المبحث الأول :- الحوار والجدل وكيفية الاستفادة منهما في ميدان الدعوة الإسلامية .
المبحث الثاني :- الجدل بالتي هي أحسن كما تصوره أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .

الفصل الرابع :-

القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة إلي الله تعالي من خلال أ حاديث المستدرك للحاكم النيسابوري
تمهيد:-
المبحث الأول :- القدوة وأثرها في الدعوة إلي الله تعالي .
المبحث الثاني :- القدوة فريضة شرعية .
المبحث الثالث :- عقبات في طريق القدوة .

الفصل الخامس :-

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في الدعوة إلي الله تعالي من خلال أ حاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.
المبحث الأول :- مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما وضح الشرع الإسلامي.
المبحث الثاني :- مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام .
المبحث الثالث :- مراتب تغيير المنكر في الشريعة الإسلامية.

الباب الخامس :-

الأثر العلمي للأحاديث النبوية ومنها أحاديث المستدرك في كافة مناحي الحياة المعاصرة
الفصل الأول:- الأثر العلمي لأحاديث المستدرك في الحياة الاجتماعية المعاصرة .
أولا :- في الناحية الاجتماعية كما جاء في المستدرك .
ثانيا :- في الناحية الاقتصادية كما جاء في المستدرك .
ثالثا :- في الناحية الفكرية كما جاء في المستدرك .
رابعا:- تكوين الأسرة الصالحة كما جاء في المستدرك .
الفصل الثاني:- الأثر العلمي لأحاديث المستدرك في الحياة السياسية المعاصرة
أولا :- أثر أحاديث المستدرك في الناحية السياسية .
ثانيا :- مناصرة ولاة الأمر
ثالثا :- إقامة الحكم علي مبدأ الشورى .
احترام الحقوق وصيانة العرض .

الفصل الثالث :- الأثر العلمي لأحاديث المستدرك في الحياة الاقتصادية المعاصرة

أولا :- خصائص الاقتصاد الإسلامي .

ثانيا :- أهم ملامح النظام الاقتصادي في الإسلام .

ثالثا :- الوسائل التي حرمها الإسلام .

رابعا :- الضوابط الشرعية التي تجلب البركة و في الرزق .

الفصل الرابع :- الأثر العلمي لأحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري في الحياة الثقافية والإعلامية المعاصرة .

أولا:- العلم الضروري .

ثانيا :- ما يتعلق بطالب العلم .

ثالثا :- الجانب الإعلامي ودوره في خدمة قضايا الدعوة الإسلامية .

رابعا :- من أهداف الإعلام في المجتمع المسلم .

الخاتمة وفهرس البحث.

تمهيد الرسالة

تمهيد الرسالة

فقد اشتمل علي التعريف بمفرادت عنوان البحث
وتحتوي علي النقاط الأتية :

النقطة الأولى :

التعريف بـ(فقه – الدعوة – السنة – المستدرك)

والنقطة الثانية :

[التعريف بالإمام الحاكم – أساتذته – ثناء العلماء عليه وعلي كتابه – بيان طبيعة الحياة في عصره _ ونشأته]

والنقطة الثالثة :

[جهوده في التأليف والتصنيف ومكانته في عصره]

والنقطة الرابعة :

[وفاته وعصره ، وطبيعة الحياة التي عاش فيها]

التمهيد:-

وفيه التعريف بمفردات عنوان البحث

الأمر الأول :- التعريف:-

ب - **(**فقه – الدعوة – السنة – المستدرك**)**

الأمر الثاني:- التعريف بالإمام ـ أساتذته ـ ثناء العلماء عليه وعلى كتابه ـ الحياة السياسية ـ الحياة الاجتماعية ـ الحياة الدينية)

الأمر الثالث:- قيمة كتاب المستدرك على الصحيحين من بين كتب السنة النبوية وأقوال العلماء فيه.

الأمر الأول: التعريف بمصطلحات البحث

(فقه – الدعوة – السنة – المستدرك)

أولا:- الفقه:-

الفقه هو الفهم والمعرفة التي يتوصل بها إلى حقيقة الشيء وإدراك كنهه فهو سبيل الهداية إلى الطريق المستقيم ومعرفة أحكام الشريعة والدين.

ومن ثم جاءت التعريفات اللغوية متنوعة وكثيرة في هذا الموضوع لكنها تسير في إطار واحد يخدم القصد الذي ذكر وهو فهم الدين وخدمته والوصول إلى أهداف مقصودة, حيث جاء في كتب اللغة :-

" الفقه ـ العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب النجم على الثريا والعود على المَنْدَل ، قال ابن الأثير واشتقاقهُ من الشق والفتح وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة شرفها الله تعالى وتخصيصا بعلم الفروع منها. ([1])

وفي كتاب الصحاح في **اللغة** (الفِقْهُ: الفهمُ. فَقِهَ الرجلُ، بالكسر. وفلانٌ لا يَفْقَهُ ولا يَنْقَهُ. أفقهتك الشيء. ثم خُصَّ به عِلْمُ الشريعة، والعالِمُ به فَقيهٌ، وقد فَقُهَ بالضم فَقاهَةً، وفَقَّهَهُ الله. وتَفَقَّهَ، إذا تعاطى ذلك. وفاقَهْتُهُ، إذا باحثتَه في العلم)([2])

---

1 لسان العرب /محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري /ت 711 /دار النشر دار صادر م بيروت ط الأولى ج: 13 ص: 523/522

2 الصحاح في اللغة للجوهري ج 2 ص 335 .

" والفرق بين الفقه والعلم: أن الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله ولهذا لا يقال إن الله يفقه لأنه لا يوصف بالتأمل، وتقول لمن تخاطبه تفقّه ما أقوله أي تأمله لتعرفه، ولا يستعمل إلا على معنى الكلام، ومنه قوله تعالى "(.....فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً)(1)
" وسمي علم الشرع فقها لأنه مبني عن معرفة كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم."(2) .

ثانيا :- التعريف بمادة الدعوة:-

للدعوة تعريفات متنوعة في اللغة, فتأتى أحيانا بمعنى الطلب, أو الاستغاثة, أو النداء, أو الدعوة إلى طعام..... إلى غير ذلك من المعاني اللغوية

(: تأتى الدعوة فتأتى بمعنى الاستغاثة قال تعالى: " **وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** "(3)، وقد يكون الدعاء بمعنى العبادة قال تعالى " **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) " (4)أي: ادعوهم في النوازل التي تنزل بكم إن كانوا آلهة كما تقولون يجيبوا دعاءكم فإن دعوتموهم فلم يجيبوكم فأنتم كاذبون أنهم آلهة، وقال أبو إسحاق في قوله عز وجل " **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** " (5)

معنى الدعاء على ثلاثة أوجه فضرب منها توحيده والثناء عليه كقولك يا الله لا إله إلا أنت والضرب الثاني مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه كقولك اللهم اغفر لنا والضرب الثالث مسألة الحظ من الدنيا كقولك اللهم ارزقني مالا وولدا وإنما سمي هذا جميعه دعاء لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله يا الله يا رب يا رحمن فلذلك سمي دعاء" (6)

ثالثا:- تعريف السنة:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون وأودع فيه آيات باهرات تأخذ الأرواح والقلوب والعقول وتهدى الأفئدة إلى بارئها سبحانه وهناك من الناس من اهتدى إلى الله تعالى بالفطرة السليمة وهناك من احتاج إلى آية من الآيات فوجدها شاخصة أمام عينية ورغم ذلك اليسر إلا أن الله تعالى أرسل الرسل وأمر بطاعتهم والنزول على أمرهم وكان خاتمهم سيدنا محمد

فما من نفع إلا بينه الله تعالى وما من شر إلا حذر الله الخلق منه في كتابه الكريم أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومن ثم كان القرآن الكريم جعله الله تبارك وتعالى سبيلا يرشد السائرين إليه ويهدى الحيارى عليه ومن بعده كانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم, وقد أوصى الله تعالى عباده

---

1 –سورة النساء من الآية 78)

2 معجم الفروق اللغوية للعسكري ص160) رقم / 1650)

3) سورة البقرة :من الأية 23]

4) سورة الأعراف :الآية 194]

5) سورة [البقرة : الآية 186]

6 لسان العرب ج: 14 ص: 257.

بالأخذ بسنة النبي واحترامها والعمل بها حيث قال تعالى ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)([1])قد وردت تعريفات كثيرة للسنة النبوية تكاد تكون متقاربة إلى حد كبير وتدور حول نهج النبي والطريقة التي سار عليها , والمنهج الذي التزمه رسول الله , فالذي يتبع الرسول ويسير على طريقته هو ذاك الذي يلتزم بسنته .

السنة : في **اللغة** الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية، والعادة، وأما من حيث **الاصطلاح** فتتنوع تعريفاتها من تلك الناحية عند العلماء على حسب رأى أهل كل تخصص فيقصد بها(في اصطلاح **المحدثين**: ما أثر عن النبي صلى الله عليه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها، فهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم.، ولقد عرفها الأصوليون بتعريف هو اقرب من هذا لكنه أيضا يتعلق بما يخص الأصول من أحكام فهي عندهم " ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير. مما يتعلق بتشريع الأحكام، وفى اصطلاح الفقهاء ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب)([2]) فكل فريق من العلماء إنما نظر إلى ما يخص مجاله وما يتعلق به فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض وجوب، فالسنة ما واظب النبي صلى الله عليه وسلم عليها مع الترك أحيانا " ([3])

" والفرق بين السنة والنافلة: أن السنة على وجوه أحدها أنا إذا قلنا فرض وسنة فالمراد به المندوب إليه وإذا قلنا الدليل على هذا الكتاب والسنة فالمراد بها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قلنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بها طريقته وعادته التي دام عليها وأمر بها فهي في الواجب والنفل "([4]).

رابعا:- الاستدراك عند علماء اللغة :-

" الإِدْرَاكُ : اللحوق وصوابه اللحاق يقال مشى حتى أدركه وعاش حتى أدرك زمانه و أدركه ببصره أي رآه وأَدْرَكَ الغلام والثمر أي بلغ، واسْتَدْرَكَ ما فات و تَدَارَكَه بمعنى، و تدَارَكَ القوم تلاحقوا: أي لحق آخرهم أولهم ومنه قوله تعالى "حتى إذا ادَّارَكُوا فيها جميعا " وأصله تَدَارَكُوا([5])وفي الحديث" لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ "([6])

و للاستدراك معان عدة تدور حول النهوض والسرعة إلى تدارك ما فات الإنسان محاولة منه لتعويضه وتصحيح ما كان منه من قبل, ويصح أن يستدرك الإنسان على نفسه أو على غيره, وما أحسن تسمية الإمام الحاكم لكتابه الذي بين أيدينا باسم المستدرك على الصحيحين, ولعل الاسم يفصح عما وضع له, فقد استدرك الإمام الحاكم اى تدارك ما فات من أحاديث صحيحة على الإمامين الجليلين البخاري ومسلم, وذلك وفق شروط وقواعد وأسس علمية معمول بها ومتفق عليها بين علماء الحديث, لذا نجد كثير في تعليقات الإمام الذهبي على أحاديث المستدرك يقول "هذا حديث صحيح

---

1)سورة الحشرالآية رقم 7 .

2) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي – ص – 57-- 58 ط – دار السلام .

3 : معجم الفروق اللغوية للعسكري ج1 ص 128 رقم 805

4 : معجم الفروق اللغوية للعسكري ص 108 رقم1137

5 الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ابن حجر العسقلاني ج: 1 ص: 205

6 لسان العرب ابن منظور ج: 10 ص: 420 والحديث رواه. الإمام مسلم ..... صحيح مسلم - (8 / 460)

على شرطهما ولم يخرجاه" مما يدل على صحة ما ذهب إليه الإمام الحاكم، والمجال واسع في ذلك بين علماء الحديث الذين جندهم الله تعالى لخدمة السنة النبوية فحكموا وجمعوا ونقحوا وخرجوا وحكموا على رجالها وأصحابها فحفظوا وحافظوا بذلك على السنة المطهرة على صحبها أفضل الصلاة والسلام.

الأمر الثاني :- (التعريف بالإمام ـ أساتذته ـ ثناء العلماء عليه وعلى كتابه ـ الحياة السياسية ـ الحياة الاجتماعية ـ الحياة الدينية).

لما كان هذا البحث بحثا دعويا يرسم منهجا للدعوة ويتبعه ويدعو اليه من خلال كتاب المستدرك للإمام الحاكم فهو ليس بحثا تاريخيا بمعنى الكلمة ولذا فهو لا يستقصى الحياة التاريخية بكل جوانبها بل إنه يلقى نظرة عامة واستعراضا سريعا للعصر الذي عاش فيه الإمام من النواحي السياسية والاجتماعية والدينية لذا فإني أشير إشارة سريعة للعصر الذي عاش فيه الإمام الحاكم رحمه الله تعالي.

التعريف بالإمام الحاكم :-

هو الإمام : " الحاكم الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري يعرف بابن البيع صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والإكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك.وكان مولده في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بنيسابور([1]) فقد حاز الإمام الحاكم شرف النسب وشرف العلم والعلماء الذين تعلم على أيديهم فلقد شرفه الله تعالى بأهل هم من أفاضل الناس في ذلك الوقت فنشأ بين أب كريم وبين خال عالم اشتهر بين الناس بالعلم الجم والأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة على ما نراه من نبئه وسيرته.

طلبه للعلم وثناء العلماء عليه :-

إذا أراد الله تعالى نفاذ أمر هيأ له أسبابه, وما أفضل التربية في الصغر قبل أن يشتد العود ويقوى صاحبه ولقد أوصانا الإسلام بحسن العناية والتربية للأطفال منذ نشأتهم حتى يكبروا على ذلك وقد أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك عندما قال ((علموا أولادكم الصلاة واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع)) ([2])فلتّعليم والتربية في الصغر شأن عظيم في حياة الطفل وتوجيه سلوكه ولقد طلب الإمام الحاكم (الحديث صغيرا باعتناء أبيه وخاله ورحل وجال في خراسان ما وراء النهر فسمع من ألفي شيخ وحدث عنه الدار قطني ([3])وابن أبي الفوارس ([4])والبيهقي

---

1) [أبجد العلوم - القنوجي]الكتاب : أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم المؤلف : صديق بن حسن القنوجي الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، 1978تحقيق : عبد الجبار زكار ج:1ص: 410 .

2) رواه البزار بلفظ: " علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعا و اضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا و فرقوا بينهم في المضاجع . " صححه الألباني.

3 : طبقات النسابين - (1 / 16)الدارقطني الإمام الحافظ المجود شيخ الأسلام أبو الحسن على بن عمر البغدادي. م سنة 385 ه.

4 : طبقات الحفاظ للسيوطي - (1 / 83)ابن أبي الفوارس الحافظ المجود أبو الفتح محمد بن محمد بن فارس بن سهل البغدادي.ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ورحل وجمع وصنف. قال الخطيب: كان ذا حفظ ومعرفة

([1])والخليلي([2]) وخلائق، وتفقه على أبي سهل الصعلوكي ([3]) وابن أبي هريرة ([4])وكان إمام عصره في الحديث، قال أبو عبد الرحمن السلمي([5]) سألت الدارقطني أيهما أحفظ ابن مندة أو ابن البيع فقال ابن البيع ([6])أتقن حفظا، وقال ابن طاهر قلت لسعد بن علي الزنجاني الحافظ أربعة من الحفاظ تعاصروا أيهم أحفظ قال من قلت الدار قطني ببغداد وعبد الغني بمصر وابن مندة بأصبهان والحاكم

وأمانة مشهوراً بالصلاح. حدث عنه البرقاني والماليني وأملى في جامع الرصافة. مات في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

1 : البيهقي الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان, أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي البيهقي, صاحب التصانيف: ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان, وسمع أبا الحسن محمد بن الحسين العلوي وأبا عبد الله الحاكم وأبا طاهر بن محمش وأبا بكر بن فورك وأبا علي الروذباري وعبد الله بن يوسف بن بانويه وأبا عبد الرحمن السلمي وخلقًا بخراسان، وهلال بن محمد الحفار وأبا الحسين بن بشران وابن يعقوب الإيادي وعدة ببغداد، والحسن بن أحمد بن فراس وطائفة بمكة، وجناح بن نذير وجماعة بالكوفة، ولم يكن عنده سنن النسائي ولا جامع الترمذي ولا سنن ابن ماجه, بل كان عنده الحاكم فأكثر عنه وعنده عوالٍ ومسانيد وبُورك له في علمه لحسن قصده وقوة فهمه وحفظه.

2 : الوافي بالوفيات - (4 / 386) الحافظ الخليليّ الخليل بن عبد الله بن أحمد، أبو يعلى الخليليّ القزوينيّ الحافظ المحدّث مصنِّف الإرشاد في معرفة المحدِّثين. كان ثقة حافظاً عارفاً بالعلل والرجال، عالي الإسناد. روى عنه أبو بكر بن لال مع تقدُّمه، وتوفي سنة ست وأربعين وأربع مائة.

3 : طبقات الشافعية - (1 / 19)محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الإمام أبو سهل الصعلوكي الحنفي نسباً ثم العجلي النيسابوري الفقيه المفسر الأديب اللغوي النحوي الشاعر المفتي الصوفي حبر زمانه وبقية أقرانه هذا قول الحاكم فيه ولد سنه ست وتسعين ومائتين وأخذ عن ابن خزيمة ثم عن أبي علي الثقفي وأفتى ودرس بنيسابور نيفاً وثلاثين سنة قال الحاكم: سمعت أبا منصور الفقيه يقول: سئل أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه عن أبي بكر القفال وأبي سهل الصعلوكي: أيهما أرجح فقال ومن يقدر أن يكون مثل أبي سهل وقال الفقيه أبو بكر الصيرفي: لم تر أهل خراسان مثل أبي سهل وقال الشيخ أبو إسحاق فيه: صاحب أبي إسحاق المروزي وعنه أخذ أبنه أبو الطيب وفقهاء نيسابور وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعته يقول: ما عقدت على شيء قط وما كان لي قفل ولا مفتاح ولا حرزت على فضة ولا ذهب قط قال: وسمعته يقول: من قال لشيخه: لم لا يفلح أبداً توفي في ذي القعدة سنة تسع وستين وثلاثمائة.

نقل الرافعي عنه في مواضع منها اشتراط النية في إزالة النجاسة ثم في زكاة المعشرات ثم في أوائل البيع.

4 : الوافي بالوفيات - (2 / 359)ابن أبي هريرةأحمد بن سليمان بن زبان بالزاي والباء الموحدة المشددة وبعد الألف نون، أبو بكر الكندي الضرير المعروف بابن أبي هريرة، توفي سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة.

5 : لسان الميزان - (3 / 168)أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي: هو محمد بن الحسين بن موسى النيسابوري الصوفي الأزدي..

6 الإمام الحاكم

بنيسابور فسكت فألححت عليه فقال أما الدار قطني فأعلمهم بالعلل وعبد الغني أعلمهم بالأنساب وأما ابن مندة فأكثرهم حديثا مع معرفة تامة وأما الحاكم فأحسنهم تصنيفا (1)

أساتذة الإمام الحاكم :-

كلما علا طالب العلم وارتقى إلى أفاضل العلماء وكثر من يأخذ عنهم ممن يشهد لهم بالعلم والفضل والمعرفة وكلما نوع في العلوم وارتحل إلى البلدان وأخذ التعلم بجد واجتهاد كلما كان لذلك أعظم الأثر *(وقد استملى **على أبي حاتم بن** حبان(2) في سنة أربع وثلاثين وهو ابن ثلاث عشرة سنة ولحق الأسانيد العالية بخراسان والعراق وما رواء النهر وسمع من نحو ألفي شيخ ينقصون أو يزيدون فإنه سمع بنيسابور وحدها من ألف نفس وارتحل إلى العراق وهو ابن عشرين سنة)(3)

* (**وأحمد** بن محمد أبو الحسين الطبسي، من كبار الشافعية، تعليقاته ألف جزء، أخذ عنه الحاكم)"4"

* (عبدالله بن أحمد بن القاسم النهاوندي، أخذ عنه الحاكم ببغداد)"5"

* "" **الوضاحي** * شاعر وقته، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن يحيى بن حسان بن الوضاح الانباري الوضاحي التاجر، نزيل نيسابور.سمع من القاضي المحاملي، ومحمد بن مخلد.أخذ عنه الحاكم "6"

(الجرجاني *.)"7"

(أبو جعفر الميكالي محمد بن اسمعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال أبو جعفر الميكالي كان أديباً شاعراً لغوياً فقيها، توفي في صفر سنة ثمان وثمانين وثلث ماية، وكان قد تفقه عل قاضي الحرمين أبي الحسين وعقد له مجلس املاء، سمع منه الحاكم أبو عبد الله ابن البيع الحافظ)(8)

فهذا الارتحال من بلد إلى بلد والبحث عن فحول العلم والسفر إليهم حيث كانوا وتحمل الصعوبات لهو خير دليل على العزيمة الصادقة والإخلاص في طلب العلم، ثم إن كثرة من تلقى عنهم الإمام والذين وصلوا إلى الآلاف من أفضل علماء عصره لدليل على سعة علم الإمام وإطلاعه وحسن الثقة فيما لديه من علم ، ويعد أيضا اكبر برهان على تميز الإمام ونبوغه وسط أكابر العلماء الذين عاصروه ولربما كان الدافع وراء عزم الإمام الحاكم على المضي في وضع كتاب ليستدرك فيه على الإمامين الجليلين البخاري ومسلم وهما من هما في رجال الحديث وما كان له أن يفعل لولا علمه وحسن ظنه بما لديه من معرفة .

---

1 أبجد العلوم ج: 1 ص: 410 وفي تذكرة الحفاظ ج3ص1039 رقم 962رواة/الثقات من الرواة المؤلف: محمد بن أحمد الكنية: أبو عبد الله اللقب والنسب: الذهبي الدمشقي ت. الميلاد: 673 ت. الوفاة: 748دار النشر: دار الكتب العلمية مراجعة: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي بلد النشر: بيروت-1374هـ

2 : أبي حاتم بن حبان البستي * العلامة شاعر زمانه، أبو الفتح، علي بن محمد البستي الكاتب.قال الحاكم بعد أن روى عنه: هو واحد عصره، حدثنا أنه سمع الكثير من أبي حاتم بن حبان.

3 : سير أعلام النبلاء ج: 17 ص: 163

4 : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ابن حجر العسقلاني - (1 / 208)

5 : ميزان الاعتدال - (2 / 390)

6 : سير أعلام النبلاء للذهبي - (16 / 71)

7 : سير أعلام النبلاء - (16 / 247)

8 : الوافي بالوفيات - (1 / 240)

والد الإمام الحاكم :-

صلاح الآباء غالبا ما يتبعه صلاح الأبناء والذرية وبيت العلم كثير ما يخرج العلماء وأهل الفتوة والفروسية كثيرا ما يخرجون الأبطال.

يقول ابن كثير:((عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم أبو محمد البيع وهو والد الحاكم أبي عبد الله النيسابوري أذن ثلاثا وستين سنة وغزا اثنتين وعشرين غزوة وأنفق على العلماء مائة ألف وكان يقوم الليل كثيرا وكان كثير الصدقة أدرك عبد الله بن أحمد بن حنبل ومسلم بن الحجاج وروى عن ابن خزيمة وغيره وتوفي عن ثلاث وتسعين سنة (1)

فهذا بيت صلاح وخير نشأ فيه الإمام بين أب كريم لا يوجد إلا مصليا أو غازيا أو متصدقا، فكانت بركة الله له في ابنه والذي نشأ طالبا وتوفاه الله تعالى إماما وعالما

وقد أفاض الله سبحانه على الإمام بعلم غزير في مختلف نواحي العلم الشرعي لاسيما علم الحديث وفروعه لذا نجده (صنف وخرج وجرّح وعدّل وصحّح وعلّل وكان من بحور العلم على تشيع قليل فيه، وقد قرأ بالروايات على ابن الإمام ومحمد بن أبي منصور الصرام وأبي علي بن النقار مقرئ الكوفة وأبي عيسى بكار مقرئ بغداد وتفقه على أبي علي بن أبي هريرة وأبي الوليد حسان بن محمد وأبي سهل الصعلوكي وأخذ فنون الحديث عن أبي علي الحافظ والجعابي وأبي أحمد الحاكم والدار قطني وعدة وقد أخذ عنه من شيوخه أبو إسحاق المزكي وأحمد بن أبي عثمان الحيرى ورأيت عجيبة وهي أن محدث الأندلس أبا عمر الطلمنكي قد كتب كتاب علوم الحديث للحاكم في سنة تسع وثمانين وثلاث مئة عن شيخ سماه عن رجل آخرعن الحاكم وقد صحب الحاكم من مشايخ الطريق إسماعيل بن نجيد وجعفر ألخلدي وأبا عثمان المغربي)(2)

فتعلم من العلماء ما يخص علم الحديث النبوي الشريف ونبغ فيه رغم حرصه على تعلم ما بقى من علوم شرعية وما ذلك إلا لإتمام الفائدة ما أمكن فتعلم الفقه على يد أهل ذلك العلم ومن الله عليه فاخذ عن رجاله وأخذ العلماء عنه, وساعده على العطاء سعة علمه وصحبته للعلماء.

(قال أبو حازم أقمت عند أبي عبد الله المعصمي قريبا من ثلاث سنين ولم أر في جملة مشايخنا أتقن منه ولا أكثر تنقيرا وكان إذا أشكل عليه شيء أمرني أن أكتب إلى الحاكم أبي عبد الله فإذا ورد جواب كتابه حكم به وقطع بقوله) (3)

فهذه شهادة أهل العلم له وأخذهم بمشورته وقطعهم برأيه في أمور وفتاوى هامة توقفوا فيها حتى يأتيهم جوابه ، وأمثلة ذلك كثيرة فقد توافرت أقوال حق وشهادات صدق من العلماء الذين عاصروه ا لإمام الحاكم:-

(قال ابن طاهر (4)سألت سعد بن علي الحافظ (1)عن أربعة تعاصروا أيهم أحفظ قال من قلت الدار قطني وعبد الغني وابن مندة والحاكم فقال أما الدار قطني فأعلمهم بالعلل وأما عبد الغني فأعلمهم

---

1 البداية والنهاية لابن كثير ج: 11 ص: 220

2 : سير أعلام النبلاء - شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : 748هـ) ج: 17 ص: 166

3 سير أعلام النبلاء ج7ص172

4 : الأنساب للسمعاني - (2 / 478)أحمد بن جعفر المديني مدينة أصبهان يعرف بالدشتكي قال: منسوب إلى قرية من قرى أصبهان.

بالأنساب وأما ابن مندة فأكثرهم حديثا مع معرفة تامة وأما الحاكم فأحسنهم تصنيفا)([2]) فهذه شهادة غالية من العلماء الذين يعتد برأيهم والذين عاصروا الإمام الحاكم فسمعوا من علمه ورأو من حاله فشهدوا له.

اجتهاد الإمام الحاكم في التصنيف : -

اجتهد الإمام الحاكم في تحصيل العلم وإخراجه إلى الناس لتتحقق به المنفعة ويؤدى الأمانة التي تحملها وقد اجتهد رحمه الله في إخراج ما وهبه الله به من علم فكتب وصنف في كثير من مجالات العلم الشرعي, فاخرج الكثير من الكتب بلغت حد كبير من الكثرة تدل على جد الشيخ واجتهاده, عدها بعض العلماء بالآلاف, حيث يقول صاحب طبقات الشافعية:- (بلغت تصانيفه قريبا من خمسمائة جزء وقيل ألف جزء وقيل ألف وخمسمائة جزء)([3]) فهذه شهادة غالية توضع للإمام الحاكم من علماء بحثواوحكموا ونقبوا

وقال أيضا: إن الحاكم صاحب التصانيف في علوم الحديث منها تاريخ نيسابور وهو عندي أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها وله المستدرك على الصحيحين وعلوم الحديث وكتاب مزكي الأخبار وكتاب الإكليل وكتاب فضائل الشافعي ([4]):

وقد كتب كثير من العلماء العلوم التي كتب الحاكم فيها وألف وصنف,فإذا طالعت أسمائها وجدتها من الكثرة بمكان , ورأيت التنوع في هذه الكتب , فتراه كتب في الحديث ,والرجال ,والأحاديث القدسية , والأذكار ,وفى الأحكام , مما يجعلنا نقف أمام بحر من بحور العلم والمعرفة ,فنراه قد كتب في :- (الضعفاء للحاكم)([5]) (الأربعين للحاكم أبي عبد الله)([6]) (كتاب المعجم للحاكم)([7])

وزاد صاحب كشف الظنون في تعداد مصنفات الحاكم فقال ومنها أيضا (إتحاف الخيرة بزوائد المسانيد العشرة, إتحاف السامع, الاتحافات السنية, إتحاف المهرة بأطراف العشرة, آثار النيرين, أجزاء الأحاديث....الأحاديث الثمانية الغالية, الأحاديث الحسان, الأحاديث الضعيفة, الأحاديث القدسية, الأحاديث المنيفة أحسن الحديث, الأحكام الصغرى, الأحكام الكبرى, إحياء الميت,اختلاف الحديث ,الأدب المفرد ,أذكار النووي , أربعينات أربعينيات الحديث كثيرة , أزهار الأحاديث ، الأزهار شرح المصابيح الحديث , الاستذكار شرح الموطأ , الأشراف على معرفة الأطراف أطراف الصحيحين, أطراف الكتب الستة, أطراف المسند المعتلي الاعتصام بالحديث , إعراب

---

1 : العبر في خبر من غبر - (1 / 218)وأبو القاسم الزنجاني، سعد بن علي ، الحافظ القدوة الزاهد، نزيل الحرم، جار بيت الله. روى عن أبي عبد الله بن نظيف الفرَّاء، وعبد الرحمن بن ياسر الجوبري

2 : طبقات الشافعية ابن قاضي شهبة ج: 2 ص: 193

3 : طبقات الشافعية ج: 2 ص: 193

4. طبقات الشافعية الكبرى ج: 4 ص: 155 الرياض النضرة ج: 1 ص: 135

5 :ميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبي ج:1 ص:112

6 :التدوين في إخبار قزوين .لعبد الكريم بن محمد ألرافعي القزويني. بيروت .سنة النشر 1987 ت:عزيز الله العطاردي

7 التحبير في المعجم الكبير ج: 1 ص: 145لأبى سعد عبدا لكريم السمعاني ت562 :..تحقيق منيرة ناجي سالم

الحديث ,إعلام السنن ,الإفصاح عن شرح معاني الصحاح , أقضية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إقناع أبي الفضل , والإكليل للحاكم)([1])

وقد أورد العلماء أن كتب الإمام الحاكم بلغت ما يقرب من ألف جزء في مخلف العلوم والمعارف فيقول صاحب سير أعلام النبلاء:-[اتفق له من التصانيف ما لعله يبلغ قريبا من ألف جزء من تخريج الصحيحين والعلل والتراجم والأبواب والشيوخ ثم المجموعات مثل معرفة علوم الحديث ومستدرك الصحيحين وتاريخ النيسابوريين وكتاب مزكي الأخبار والمدخل إلى علم الصحيح وكتاب الإكليل وفضائل الشافعي وغير ذلك)([2]) وهذا يدل على سعة علم الإمام وإطلاعه, وان إسهاماته في العلم كانت كثيرة, وانه قضى حياته بين جنبات الكتب متعلما وعالما قرىء وبحثا ومؤلفا ومصنفا حتى اخرج هذا القدر الكبير من الكتب العلمية وترك تراثا هائلا لمن بعده.

ثناء العلماء على الكاتب والكتاب: -

أولا :- كتاب المستدرك يعد من الكنوز العلمية في مجال الدراسات النبوية، وكتابا جامعا لما اشتمل عليه من جوامع كلمه صلي الله عليه وسلم، ولما احتوي من سيرة النبي الخاتم العطرة، ولم يصنف أحد مثله قط.

ثانيا :- لم تحظ مثل هذه الكتب النبوية (كالمصنفات والسنن) لاستخراج ولو بعضا من كنوز هذه الدراسات النبوية لبيان أنوارها اللغوية والأدبية والدعوية وغريب مفرداتها، وبيان كيفية الاستفادة منها وتوظيفها التوظيف الدعوى، وخوض غمار الكلمة الدعوية في دنيا الناس وواقعهم، المر الذي يجعلني أن أخرّ لله ساجدا أن هيأ لي سبل البحث والتمحيص والدراسة لتوظيف هذه المادة النبوية للاستفادة منها وتوظيفها التوظيف الدعوى وفق تخصصي العلمي الدقيق داعيا المولي عز وجل أن أكون قد وفقت في خوض غمار هذا البحث.

ثالثا :– كما أن هذه الدراسة أبرزت دور اهتمام المتخصصين في الميدان النبوي لإحياء التراث النبوي في دنيا الناس للاستفادة من هذه الكنوز النبوية ومساهمة منها لإحياء المكتبة الإسلامية بهذه الدرر النبوية ومن ثم وجب علي المعنيين في كافة التخصصات التسجيل في مثل هذه الموضوعات للإبراز دور هؤلاء العلماء وما قدموه لإنسانية من علم نافع وباق إلي يوم الدين.

رابعا:- لقد نشأ الحاكم في بيت اشتهر بالعلم والإيمان والصلاح، وحرص علي مجالسة العلماء بل ومزاحمة الناس في مجالس العلم، فكان من الحفاظ والثقات والمحدثين الذين عنوا عناية بالغة في الاستفادة بعلمه ومنها نشر وجمع وتأليف هذا الكتاب ليكون زادا وإضافة للمكتبة الإسلامية، بل ويعد من كتب التراث النبوي الشريف.

قال الخطيب البغدادي كان ثقة وكان يميل إلى التشيع قال الذهبي هو معظم للشيخين بيقين ولذي النورين وإنما تكلم في معاوية فأوذي قال وفي المستدرك جملة وافرة على شرطهما وجملة وافرة على شرط أحدهما توفي فجأة بعد خروجه من الحمام في صفر سنة خمس وأربعمائة وقد أطنب عبد الغافر في مدحه وذكر فضائله وفوائده ومحاسنه إلى أن قال مضى إلى رحمة الله تعالى ولم يخلف بعده مثله ([3])

---

1 : كشف الظنون : مصطفى بن عبدا لله: حاجي خليفة/القسطنطيني الرومي الحنفيت. الميلاد : 1017 ت.

الوفاة : 1067دار النشر : دار الكتب العلمية بلد النشر : بيروت س.النشر: 1992م-1413هـ عدد الأجزاء :

2ج: 1 ص: 641

2 : سير أعلام النبلاء ج: 17 ص: 170

3 : طبقات الشافعية ج: 2 ص: 193

أما عن ثناء العلماء على الكتاب فيقول صاحب كشف الظنون: ((المستدرك على الصحيحين في الحديث للشيخ الإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري الحافظ المتوفى سنة 405 خمس وأربعمائة اعتنى فيه في عدد الحديث الصحيح على ما في الصحيحين مما رآه على شرط الشيخين([1]) وهذه شهادة العلماء للمستدرك والنهج الذي سار الإمام به في كتابه, حيث تتبع فيه الأحاديث الصحيحة التي استدركها على الصحيحين, أو ماكان على شرطهما, مما يرسخ قواعد المنهج العلمي الذي سار فيه الإمام الحاكم رحمه الله.
وقد كتب الإمام في علوم الحديث, وسمع منه العلماء وشهدوا بصدق ماسمعموه منه لمطابقته لما علموه وسمعوه من غيره, مما يدل على إتباع الحاكم لمنهج أهل العلم في عصره وإتباعه لجماعة المسلمين, وحيازة لحب الناس وتقديرهم له.

الحالة السياسية :-

لا شك أن الإنسان ابن بيئته يؤثر فيها ويتأثر بها هذا عن الإنسان العادي والعالم يزيد في هذا الأمر فهو ليس شخصا عاديا بل صاحب رسالة مؤثرا في غيره متأثرا بسواه. من هنا فإن من الضرورة أن نعرف ببيئة الإمام الحاكم وبلده التي ولد ونشأ فيها ومن عاصر من الحكام والسلاطين.
أما عن بلده التي ولد فيها فهي "نَيسابور وهى من أعظم مدن خراسان وهذه المنطقة من العالم لها دور كبير وإسهام عظيم في تاريخ الإسلام منذ دخلها الإسلام وحتى الآن ونظرة تاريخية إلى أسماء العلماء الذين عاشوا في هذه المنطقة من العالم سيوضح هذا الكلام.

موقعها قديما وحديثا :-

نيسابور بلدة من بلاد خراسان, وخراسان تطلق على جميع الأقاليم الإسلامية شرقي المفازة الكبرى حتى حدود الهند.
وخراسان من فارس والعرب إذا ذكرت ذكر المشرق كله, قال ياقوت: أول حدودها مما يلي العراق, وأخر حدودها مما يلي الهند "([2]). وجاء في وصف نيسابور حديثا:
"وبلدة خرسان بإيران، ارتفاعها عن البحر3920قدم, تقع على بعد خمسين ميلا غربي مشهد، قاعدة القسم الإيرانى من خرسان اليوم في إحدى أخصب مقاطعات إيران، وعدد سكانها حسب إحصاء عام 1380 هجرية الموافق 1959م 25/849 م"([3])
لما أراد الله تعالى لهذه المنطقة التي (كانت مظلمة من العالم ، أن تشرق عليها أنوار رسالة الإسلام قُدر لها أن تفتح في عصر الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ (ففتحت نيسابور أيام الخليفة الثاني الذي تم أكثر الفتوحات في عصره وهو "سيدنا عمر بن الخطاب "وكان ذلك في سنة إحدى وثلاثين هـ([4]) " حكمها الأمويون مدة من الزمن من 41هـ إلى 64هـ ثم

---

1 . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ج2 ص 72 6 اسم المؤلف : مصطفى بن عبدا لله: حاجي خليفة/القسطنطيني الرومي الحنفيت. الميلاد : 1017 ت. الوفاة : 1067دار النشر : دار الكتب العلمية بلد النشر : بيروت س.النشر: 1992م-1413هـ عدد الأجزاء : 2

2) الحاكم النيسابوري وكتابه المستدرك . د ـ محمود ميرة – ص 3 نقلا عن تاريخ بخاري ص 91 للنرشخى .

3 - الحاكم وكتابه ص4 نقلا عن الموسوعة البريطانية(165 /242).

4 تاريخ الطبري ج: 2 ص: 625

من بعدهم ولاة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما 64هـ إلي 71هـ ثم استردها الأمويون في عهد عبد الملك بن مروان من 71هـ إلى 77هـ ثم المهلبيون من 77هـ إلى 125هـ واستقل بإدارتها "نصر بن يسار حتى 130هـ إلى أن فر أمام أبي مسلم الخراساني حامل لواء الدعوة العباسية من 130هـ إلى أن قتل بيد أبي جعفر المنصور 137هـ وأدارها العباسيون حتى 205هـ ثم دخلت في إمارة طاهر بن الحسين من هذه السنة حتى 261هـ ثم استولى عليها يعقوب بن الليث بن الصفار من هذه السنة حتى آلت إلى السامانيين 286هـ إلى 308هـ ثم انتقلت منهم إلى آل محتاج 320هـ إلى 333 هـ)([1])

"وقد ولد الحاكم في عصر كانت فيه الخلافة العباسية تعيش فترة من فترات ضعفها، وانهيارها بعد أفول عصرها الذهبي، الذى عاصر خلفاءها الأوائل الذين أسسوا مجدها، وشيدوا حضارتها، وخلدوا ذكرها، وفرضوا طاعتها على القاص والدان.

ولد الحاكم أيام الخليفة العباسي محمد القاهر بالله بن المعتضد، الذى دام حكمه سنتين من (320 - 322 هـ)ثم عاش بقية عصر التفكك الذى امتد من سنة (322-334هـ) وهذا العصر عرفه المؤرخون بأنه: عصر نفوذ القواد والأمراء الأتراك، حيث أصبح قواد الأتراك ورؤساء جندهم، أصحاب النفوذ الحقيقي في الدولة، فاستبدوا بكل أمور الخلافة وصار أمر العباسين إلى اضمحلال، وتقلص سلطان الخليفة السياسي والديني ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها، ومع هذا فليس له مع وزيره نفوذ في شيء، ولا تفرد بشيء، ولا كلمة تطاع، وكان الأمراء لا يرفعون رأسا للخليفة "([2])

(هذه الفوضى مكنت للحركات الانفصالية أن تستمر وتزداد، وشجعت كل مغامر على نيل ما يتمناه.

تلا هذا العصر دور امتداد من سنة (334 – 447 هـ)– وقد أدرك أبو عبد الله الحاكم منه حقبة طويلة إذ توفى سنة 405هـ – وأطلق المؤرخون على هذه الفترة العصر البوهى ولم يكن للخليفة فيه إلا الاسم أيضا, والسلطان الفعلي فيه لأئمة ديلمة يمثلها السلطان من بنى بويه يقيم ببغداد فصار الخليفة كأنه موظف لهم, واستبدوا بكل شؤون الخلافة وصارت لهم السيطرة والنفوذ والسلطان على كل مرافق الدولة, فكانوا شر وبالا على الخلفاء."([3])

يقول صاحب الفخرى (واستولت دولة آل بويه على الخلافة فعزلت الخلفاء دولتهم,واستوزرت الوزراء وصرفتهم ,وانقادت لأحكامهم أمور العجم , وأمور بلاد العراق ,وأطاعهم رجال الدولة بالاتفاق ,وكما ضاع سلطان الخليفة السياسي ضاع سلطانه الدينى , وسبب ذلك أن البويهيين كانوا شيعة غلاة يفضلون عليا وأولاده على من سواهم ,وإنما ابقوا الخليفة السني مظهرا يستمدون شرعية حكمهم من شخصه, ويعزلونه أو يقتلونه متى رأوا شفى ذلك مصلحتهم .)([4])

وكان الحاكم قد عاصر هذه التقلبات في الدولة فقد توفى رحمه الله تعالى في سنة 405 هجرية.أما عن **الحالة الاجتماعية:-**

فلا شك أن الحياة الاجتماعية مرآة للحياة السياسية فكلما صلح حال حكم الحكام صلح حال الناس والمحكومين وكلما ازدهرت الحياة السياسية صلحت الحياة الاجتماعية فهما صنوان لا يفترقان. ولم تكن الحالة الاجتماعية التي عاشها الحاكم في تلك البلاد بأحسن حالا عن سابقتها, فقد كانت البلاد تعيش حالات من الفقر والجوع وقلة الموارد, ويرجع ذلك إلى العلاقة الوثيقة بين الحالتين السياسية

---

1 نفس المصدر ج:2 ص:625.

2-البداية والنهاية طبع بيروت (184/11)

3- الحاكم وكتابه ص 19

4 - الحاكم وكتابه نقلا عن محاضرات الخضري (القسم العباسي)ص 487. ودولة الخلافة العباسية للدكتور بخيت القسم الثاني ص 13

والاجتماعية, فسوء الحالة السياسية يؤثر بلا شك على الحالة الاجتماعية وما بعدها, فعندها تعم الفوضى السياسية ويقل الأمان والانضباط .عندها يحدث الانفلات الأمني والسياسي وعندما تتفكك البلاد وتنفصل وتقسم إلى دويلات, عندها يحدث الدمار والفقر والجوع ولا حرج , وقد ابتلى الإمام الحاكم بهذه الظروف القاسية فصبر وواصل مسيرة حياة ,ولم تقعده الظروف الصعبة عن عزم وغاية هو ماض إليها.

وهذه الصراعات والخلافات جلبت على البلاد شرا كثيرا وأضرت بمصالح الناس وعاقات بعض جوانب الحياة, ولكنها لم تجذب إليها الإمام الحاكم, فما أقعده عن العلم شيء من هذا الذي ذكر, ووسط الشوك ينبت الورد بجماله وريحه الطيب.

الحالة الدينية:-

يعنى الحالة الدينية ما يتدين به الناس ويعتقدون قد كانت الديانة السائدة في تلك المنطقة من العالم هي المجوسية حيث كان الناس يتبعونها تبعا لملوكهم وأهل العلم منهم كانوا أهل فلاحة وهم رعية كسرى ودينهم {المجوسية }[1]

ثم لما دخل الإسلام تلك البلاد وانتشر فيما بينهم إذا بهم يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن تقلبوا في الأديان التي دانوا بها ولم يجدوا سواها ترتاح إليه نفوسهم إلا هذا الدين الإسلامي حتى أن بعض الصحابة كانوا يحرمون من هذه البلدة إذا أرادوا الحج أو العمرة وكان في خرسان مذهب أهل الحديث{أهل السنة}

ولم يكن حال المسلمين في هذا الوقت على وتيرة واحدة أو على فرقة واحدة بل ظهرت اختلافات شقت صفوف المسلمين فكانت الشيعة والخوارج والقرامطة وغيرهم.

وكان يوجد فيها أيضا الفرق الدينية الكثيرة أمثال "السادة الصوفية "وقد تتلمذ الإمام الحاكم علي أيدي بعضهم:

أساتذته من الصوفية :

الشيخ الإمام القدوة المحدث الباني شيخ نيسابور أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن الحافظ احمد بن يوسف بن خالد السلمي النيسابوري الصوفي كبير الطائفة ومسند خرسان روى عنه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ([2]) ومنهم:علي بن رشيق أبو الحسن الصوفي البغدادي سكن نيسابور و روى عنه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله البيع .

ومنهم : فارس بن عيسى وقيل بن محمد أبو الطيب الصوفي صحب الجنيد بن محمد روى عنه الحاكم أبو عبد ([3])

الرد عما رمي به الحاكم من التشيع: -

جاء في بعض المراجع القديمة نسبة التشيع إلى الإمام الحاكم ولا بد قبل الحديث في تلك النقطة أن نعرف أولا معنى التشيع.

معنى التشيع :-

الشَّيْعُ : - مقدار من العدد كقولهم أقمت عنده شهرا أو شَيْعَ شهر ويقال كان معه مائةُ رجل أو شيْعُ ذلك كذلك وآتيك غدا أو شيْعَه أي بعده وقيل اليوم الذي يتبعه

---

1 الفائق في غريب الحديث/لمحمود بن عمر الزمخشري 538/467/دار المعرفة لبنان/علي محمد البجاوي

/محمد أبو الفضل إبراهيم /ج: 1 ص: 36

2) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ج: 11 ص: 426

3 : تاريخ بغداد ج: 12 ص: 390

والشِّيعَةُ القوم الذين يجتمعون على الأمر وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شِيَعٌ.وكقوله تعالى " الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً"(1)وقوله "وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل"(2) وذلك والله أعلم لما في لفظ الشيعة من الشياع والإشاعة التي هي ضد الائتلاف والاجتماع ولهذا لا يطلق لفظ الشيع إلا على فرق الضلال لتفرقهم واختلافهم(3)

إن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل بيته مركوز في فطرة كل مسلم فلا يقبل الله إيمان مؤمن إلا إذا أحب نبيه صلى الله عليه سلم ففي الحديث: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين ".(4)

وقد قال الله تعالى على لسان نبيه في القرآن الكريم: " **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** "(5)

وحب آل بيت رسول الله دليل على حبه وامتثال لأمره ففي الحديث الشريف "أحبوا الله لما يغزوكم به من النعم وأحبوني لحب الله وأحبوا آل بيتي لحبي "(6)

فحب آل البيت أمر مرغوب فيه شرعا، و مأمور به، أما إذا زاد هذا الحب وانتقل إلى حد الإفراط ، أو إلى الوقوع في الصحابة الكرام أو الغلو في أمرهم فهذا ما لا يقره الدين لا شك أن الدارس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أعلم الناس بقدر صحابة رسول الله وما يجب لهم من التوقير والاحترام وحرمة سبهم و شتمهم أو الانتقاص من قدرهم.لم يكن الإمام يعرف بشيء من هذا ولم ينقل عنه انتقاص من قدر أحدهم أو الحديث عن أحدهم بسوء.

يقول صاحب طبقات الشافعية في مقام الدفاع عن الإمام الحاكم تبرئة ساحته من تهمة التشيع: "وأول ما ينبغي لك أيها المنصف إذا سمعت الطعن في رجل أن تبحث عن خلطائه والذين عنهم أخذ ما ينتحل وعن مراده وسبيله ثم تنظر كلام أهل بلده وعشيرته من معاصريه العارفين به بعد البحث عن الصديق منهم له والعدو الخالي عن الميل إلى إحدى الجهتين وذلك قليل في المتعاصرين المجتمعين في بلد وقد رمي هذا الإمام الجليل بالتشيع وقيل إنه يذهب إلى تقديم علي(7) من غير أن يطعن في واحد من الصحابة رضي الله عنهم فنظرنا فإذا الرجل محدث لا يختلف في ذلك وهذه العقيدة تبعد

---

1) سورةالروم الأية 32

2)سورة سبأ الآية 54

3) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ط /الأولى /1416/ت/عبد العزيز عطا /عادل عبد الحميد ألعدوي /أشرف أحمد /بلد النشر مكة المكرمة ج:1ص:162

4) المستدرك على الصحيحين المؤلف: محمد بن عبدا لله أبو عبدا لله الحاكم النيسابوري الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1990تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ج2 ص528

5) سورة الشورى الأية (23)

6)المستدرك علي الصحيحين للحاكم أبي عبد الله النيسابوري ك من مناقب أهل البيت 162/3 ح 4716 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

7 طبقات الشافعية الكبرى ج: 4 ص: 163

على محدث فإن التشيع نادر وإن وجد في أفراد قليلين ثم نظرنا مشايخه الذين أخذ عنهم العلم وكانت له بهم خصوصية فوجدناهم من كبار أهل السنة)([1])
وهكذا تظهر براءة الإمام من هذه التهمة ويثبت انتماؤه لأهل السنة والجماعة والاجتهاد والحفظ لأحاديث رسول الله
إذ كيف يفعل أن يتهم الإمام بالتشيع وهو محب ومحبته في جمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
الأمر الثالث:- قيمة كتاب المستدرك على الصحيحين من بين كتب السنة النبوية وأقوال العلماء فيه.
المستدرك هو كل كتاب يجمع فيه مؤلفه الأحاديث التي يستذكرها على كتاب آخر مما شرطه، وقد وضع الحاكم كتابه مستدركاً فيه على صحيحي البخاري ومسلم.
وقد لاقى كتاب "المستدرك" للحاكم قبولاً عند جمهور علماء المسلمين، لاشتماله على عدد كبير من الأحاديث الصحيحة لم يخرجها الشيخان، لكنهم نبهوا على تساهل في شروط الصحيح، وعلى وجود الأحاديث الضعيفة والموضوعة أيضاً في الكتاب، نحن نسوق أقوال هؤلاء العلماء من كتبهم للاستفادة منها :
قال الحافظ الذهبي (748هـ) في "تلخيص المستدرك": (فيه جملة وافرة على شرطهما وجملة كثيرة على شرط أحدهما، لعل مجموع ذلك نحو نصف الكتاب، وفيه نحو مع مما صح سنده وفيه بعض الشيء أو له علّة، وما بقي – وهو نحو الربع مما صح سنده وفيه بعض الشيء أوله علة، وما بقي وهو نحو الربع فهو مناكير واهيات لا تصح وفي بعض ذلك موضوعات.)
قال ابن الصلاح (642هـ) في "مقدمة علوم الحديث" ما نصه:
واعتنى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بالزيادة في عدد الحديث الصحيح على ما في الصحيحين وجمع ذلك في كتاب سمّاه المستدرك أودعه ما ليس في واحد من الصحيحين مما على شرط الشيخين قد أخرجاه عن رواته في كتابيهما أو على شرط البخاري وحده أو على مسلم وحده، وما أدّى اجتهاده إلى تصحيحه وإن لم يكن على شرط واحد منهما وهو واسع في شرط الصحيح متساهل في القضاء به. فالأولى أن نتوسط في أمره فنقول ما حكم بصحته ولم نجد ذلك فيه لغيره من الأئمة إن لم يكن من قبيل الصحيح فهو من قبيل الحسن يحتج به ويعمل به إلا أن تظهر فيه علة توجب ضعفه. ويقاربه في حكمه صحيح أبي حاتم ابن حبان البستي رحمهم الله أجمعين، والله أعلم). ([2])
وقال الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (806هـ) في كتابه "التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن صلاح" (قوله: واعتنى الحاكم أبو عبد الله الحافظ بالزيادة في عدد الحديث الصحيح على ما في الصحيحين وجمع ذلك في كتاب سمّاه المستدرك أودعه ما ليس في واحد من الصحيحين

أما الحافظ ابن حجر، فقد فصّل القول على أحاديث المستدرك في كتابه "النكت على كتاب ابن الصلاح"([3]) فقال ما نصه :
(27- قوله في ذكر المستدرك للحاكم : "وهو واسع الخطو في شرط الصحيح متساهل في القضاء به فالأولى أن نتوسط في أمره..." إلى آخر كلامه.
وزعم الماليني أنه ليس في المستدرك حديث على شرط الشيخين :

---

1 : طبقات الشافعية الكبرى ج: 4 ص: 162

2 - مقدمة علوم الحديث لابن الصلاح ص 11.

3 - 312/1 في المسألة (27).

أقول : حكى الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن أبي سعيد الماليني أنه قال : " طالعت المستدرك على الشيخين الذي صنفه الحاكم من أوله إلى آخره فلم أر فيه حديثاً على حفظهما".
وقرأت بخط بعض الأئمة أنه رأى بخط عبد الله بن زيدان المسكي قال: أملى علي الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي سنة خمس وتسعين وخمسمائة قال : "نظرت إلى وقت إملائي عليك هذا الكلام فلم أجد حديثاً على شرط البخاري ومسلم لم يخرجاه إلا ثلاثة أحاديث :
1- حديث أنس "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة".[1]"
2- وحديث الحجاج بن علاط لما أسلم .([2])
3- وحديث علي - رضي الله عنه – "لا يؤمن العبد حتى يؤمن بأربع"،([3]) انتهى.
وتعقب الذهبي قول الماليني فقال: هذا غلو وإسراف ، ففي المستدرك جملة وافرة على شرطهما وجملة كثيرة على شرط أحدهما وهو قدر النصف. وفيه نحو الربع مما صح سنده الحسن.
وفيه بعض العلل. وباقية مناكير وواهيات وفي بعضها موضوعات قد أفردتها في جزء. انتهى كلامه.
وهو كلام مجمل يحتاج إلى إيضاح وتبيين.
" من الإيضاح انه ليس جميعه كما قال، فنقول :
أ) ينقسم المستدرك أقساماً كل قسم منها يمكن تصنيفه إلي ما يلي :-
الأول :- أن يكون إسناد الحديث الذي يخرجه محتجاً برواته في الصحيحين أو أحدهما على صورة الاجتماع سالماً من العلل واحترزنا بقولنا على صورة الاجتماع عما احتج برواته على صورة الانفراد؛ كسفيان بن حسين عن الزهري، فإنهما احتجا بكل منهما على الانفراد، ولم يحتجا برواية سفيان بن حسين عن الزهري، لأن سماعه من الزهري ضعيف دون بقية مشايخه.
فإذا وجد حديث من روايته عن الزهري لا يقال على شرط الشيخين؛ لأنهما احتجا بكل منهما. بل لا يكون على شرطهما إلا إذا احتجا بكل منهما على صورة الاجتماع، وكذا إذا كان الإسناد قد احتج كل منهما برجل منه ولم يحتج بآخر منه كالحديث الذي يروى عن طريق شعبة مثلاً عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – فإن مسلماً احتج بحديث سماك إذا كان من رواية الثقات عنه ولم يحتج بعكرمة واحتج البخاري بعكرمة دون سماك، فلا يكون الإسناد والحالة هذه على شرطهما حتى يجتمع فيه صورة الاجتماع. وقد صرح بذلك الإمام أبو الفتح القشيري وغيره.
واحترزت بقولي أن يكون سالماً من العلل بما إذا احتجا بجميع رواته على صورة الاجتماع إلا أن فيهم من وصف بالتدليس أو اختلط في آخر عمره فإنا نعلم في الجملة أن الشيخين لم يخرجا من رواية

---

1 : السنن الكبرى للنسائي - (6 / 215)

2 : مصنف عبد الرزاق - (5 / 466) قال الحجاج بن علاط : يا رسول الله ! إن لي بمكة مالا ، وإن لي بها أهلا ، وإني أريد أن آتيهم ، فأنا في حل إن أنا نلت منك " صحيح ابن حبان - (19 / 66)

3 : المستدرك على الصحيحين للحاكم - (1 / 93)عن علي بن أبي طالب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يؤمن العبد حتى يؤمن بأربع حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر » . « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقد قصر بروايته بعض أصحاب الثوري , صحيح ابن حبان - (1 / 349)

المدلسين بالعنعنة إلا ما تحققا أنه مسموع لهم من جهة أخرى وكذا لم يخرجا من حديث المختلطين عمن سمع منهم بعد الاختلاط إلا ما تحققا أنه من صحيح حديثهم قبل الاختلاط. فإذا كان كذلك لم يجز الحكم للحديث الذي في مدلول قد عنعنه أو شيخ سمع ممن اختلط بعد اختلاطه – بأنه على شرطهما وإن كانا قد أخرجا ذلك الإسناد بعينه.
إلا إذا صرح المدلس من جهة أخرى بالسماع وصح أن الراوي سمع من شيخه قبل اختلاطه، فهذا القسم يوصف بكونه على شرطهما أو على شرط أحدهما.
ولا يوجد في المستدرك حديث بهذه الشروط لم يخرجا له نظيراً أو أصلاً خلا القليل كما قدمناه " .
ثم وفيه جملة مستكثرة بهذه الشروط، لكنها مما أخرجها الشيخان أو أحدهما – الحاكم واهماً في ذلك ظاناً أنهما لم يخرجاها.
القسم الثاني :- أن يكون إسناد الحديث قد أخرجا لجميع رواته. ويلتحق بذلك ما تفرد به أو ما خالف فيه. كما أخرج مسلم من نسخة العلاء بن عبد الله عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – ما لم يتفرد به.
يحسن أن يقال: إن باقي النسخة على شرط مسلم، لأنه ما خرج بعضها إلا أن ذلك مما لم ينفرد به. فما كان بهذه المثابة لا يلتحق أفراده بشرطهما.
عقد الحاكم في كتاب المدخل باباً مستقلاً ذكر فيه من أخرج له الشيخان وعدد ما أخرجا من ذلك، ثم أنه مع هذا الاطلاع يخرج أحاديث هؤلاء في رغما أنها على شرطهما.
شك في نزول أحاديثهم عن درجة الصحيح بل ربما كان فيها الشاذ والضعيف مما لا ينزل عن درجة الحسن.
الحاكم وإن كان ممن لا يفرق بين الصحيح والحسن بل يجعل الجميع تبعاً لمشايخه كما قدمناه عن ابن خزيمة وابن حبان. فإنما يناقش في دعواه أن الولاء على شرط الشيخين أو أحدهما. وهذا القسم هو عمدة الكتاب.
القسم الثالث:- أن يكون الإسناد لم يخرجا له لا في الاحتجاج ولا في وهذا قد أكثر منه الحاكم فيخرج أحاديث عن خلق ليسوا في الكتابين، لكن لا يدعي أنها على شرط واحد منهما وربما ادّعى ذلك على سبيل الوهم.
يعلق القول بصحتها على سلامتها من بعض رواتها. كالحديث الذي أخرجه من حديث عن إسحاق بن بزرج عن الحسن بن علي في التزين للعيد. قال في أثره:
"ولا جهالة إسحاق لحكمت بصحته وكثير منها لا يتعرض للكلام عليه أصلاً.
هنا دخلت الآفة كثيراً فيما صححه وقل أن تجد في هذا القسم حديثاً يلتحق صحيح فضلاً عن أن يرتفع إلى درجة الشيخين – والله أعلم -.
ومن عجيب ما وقع للحاكم أنه أخرج لعبد الرحمن بن يزيد بن أسلم وقال – بعد روايته:
هذا صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن. مع أنه قال – في كتابه الذي جمعه في الصنعة أن الحمل فيها عليه.
وقال في آخر هذا الكتاب : فهؤلاء الذين ذكرتهم قد ظهر عندي جرحهم، لأن الجرح لا استحله تقليداً. انتهى.
فكان هذا من عجائب ما وقع له من التساهل والغفلة.
ومن هنا يتبين صحة (أقوال ابن الأخرم التي قدمناها).
سنده، وفيه بعض الشيء أو له علة، وما بقي وهو نحو الربع فهو مناكير أو واهيات لا تصحّ، وفي بعض ذلك موضوعات.

قال شيخ الإسلام :- وإنما وقع للحاكم التساهل لأنه سوّد الكتاب لينقحه فأعجلته المنية، قال: وقد وجدت في قريب نصف الجزء الثاني من تجزئة ست من المستدرك: إلى هنا انتهى إملاء الحاكم، ثم قال: وما عدا ذلك من الكتاب لا يؤخذ عنه إلا بطريق الإجازة، فمن أكبر أصحابه وأكثر الناس له ملازمة البيهقي، وهو إذا ساق عنه في غير شيئا،

الباب الأول

مكانة الأحاديث النبوية الشريفة

وأهميتها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى

الباب الأول
مكانة الأحاديث النبوية الشريفة
ومنها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى
وأهميتها في ميدان الدعوة إلي الله تعالي

ويحتوى على فصلين :-

الفصل الأول :

[أحاديث المستدرك للحاكم وأهميتها في ميدان الدعوة إلي الله تعالي]

الفصل الثاني :

[مكانة الدعاة إلي الله تعالي كما ورد في المستدرك]

الفصل الأول
أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى
وأهميتها في ميدان الدعوة إلي الله تعالي

ويحتوى علي ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :-

[أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم في المستدرك للحاكم النيسابورى

وأهميتها في ميدان الدعوة الإسلامية]

المبحث الثاني :-

[أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم في المستدرك وأهميتها للداعية الإسلامى]

المبحث الثالث :-

[أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم في المستدرك ومنهجه في مخاطبة المدعوين]

المبحث الرابع :

سمات الدعوة إلى الله تعالى من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الأول
[أحاديث المستدرك للحاكم وأهميتها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى]

تمهيد:-

لقد جعل الله تعالي للدعوة الإسلامية وللداعين إليها، أصولا وقواعد يدعون بها، ويستمدون النور من خلالها، ويلزمون الناس بالحجة وضرورة العمل بها، وأول هذه المصادر هو كتاب الله تعالي العزيز، وسنة نبيه الكريم إمام الدعاة ρ.

كما هو معلوم أن القرآن الكريم أساس المصادر التشريعية للفقهاء والأصوليين والمحدثين والمفسرين، فهو أساس الدعوة الإسلامية وركيزتها، وهو أصل الأصول التشريعية، والمرجع والدعامة للدعاة في مسيرتهم الدعوية، وهو الحجة البالغة للمدعوين وللدعاة والمخاطبين، ولا أحد ينكر، كذلك منزلة السنة النبوية ووجه الحاجة إليها للإنسانية عامة للدعوة وللدعاة وللمخاطبين بالدعوة الإسلامية فهي الزاد للدعاة في دعوتهم بعد كتاب الله تعالي العزيز، وهذا ما يدفعنا لبيان النقاط الآتية : السنة في الاصطلاح الشرعي هي كل ماصدر عن رسول الله ρ من غير القرآن الكريم- من قول أو فعل أو تقرير قال المباركفوري السنة: هي أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأفعاله وتقريراته وصفاته، فهي مرادفة للحديث(1)..

المبحث الأول:-

أحاديث الرسول ρ :في المستدرك للحاكم وأهميتها للدعوة الإسلامية.

إن فهم النص ومعرفة الأولويات ومحاربة انحراف الجهل والغلو، والعمل علي انتهاج واتباع المنهج النبوي يساعد علي معرفة فقه الواقع، وتدارك الخطأ، وتقوي القدرة علي الاجتهاد، وترك التقليد، وتمييز الحق عن الباطل، وأهم ما يحتاج إليه الداعية في دعوته، كي يعيها ويفهمها جيدا، ويستطيع أن يؤثر في المدعوين بدعوته، هي السنة النبوية المطهرة، وفهم أحاديثه صلي الله عليه وسلم.

المطلب الأول:- بيان تقسيمات السنة النبوية وأنواعها:-

وتنقسم السنة إلى ثلاثة أنواع:

-**السنة القولية** وهي ما تحدث به الرسول ρ في مختلف الأغراض والمناسبات مما يتعلق بالتشريع وكمثال عليها هي ما روي أن رسول الله ρ قال" إِنَّما الأَعْمَالُ بالنيات وإِنَّما لكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ ورَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ ورَسُولِهِ، ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيا يُصِيبُها أو امْرأَةٍ يَنْكِحُها فَهِجْرَتُهُ إِلى ما هَاجَرَ إِليه."

-**السنة الفعلية** وهي أفعاله التي نقلها لنا الصحابة.. مثل وضوئه وأدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها وأدائه لمناسك الحج. عن ابن العباس قال"كان رسول اللهρ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن"

-**السنة التقريرية** وهي سكوته عن فعل الغير أو عن قوله سواء أكان ذلك بمحضر الرسول ρأو بمجلس آخر كما جاء عن أبي سعيد الخدري قال:خرج رجلان في سفر..فحضرت الصلاة وليس معهما ماء..فتيمما صعيدا طيبا..فصليا..ثم وجدا الماء في الوقت..فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم

---

1 - مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح 379/1 أبو الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري (المتوفى : 1414هـ) ط إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند- الطبعة : الثالثة - 1404 هـ ، 1984 م

يعد الآخر..ثم أتيا رسول اللهρ فذكروا له ذلك..فقال للذي لم يعد "أصبت السنة وأجازتك صلاتك"وقال للذي توضأ وأعاد "لك الأجر مرتين"
ولا تكون السنة مصدرا للتشريع إلا إذا قصد بها ذلك..فعاداته من أكل وشرب وما إلى ذلك..وسيرته الخاصة كقيامه الليل..وتزوجه أكثر من أربعة..وما صدر عنه بحسب تجربته في شؤون الحياة كالتجارة وتنظيم الجيش لا يدخل بالضرورة في باب التشريع.

المطلب الثاني: وجه الحاجة إلي السنة النبوية وأهميتها في الدعوة إلي الله تعالي:
إذا كان القرآن الكريم هو كتاب الدعوة الإسلامية، فإن أحاديث السنة النبوية هي المعول الثاني للقرآن الكريم لبيان أسلوب ومضمون ومعالم ووجهة وغاية دعوة الحق، وتجلى ذلك في مسيرة الرسول ρ وموكب دعوته إذ تولى مهمة بيانه للمدعوين، فكان يفصل الجمل من الآيات القرآنية، ويفيد منها، ويخصص العام، ويبين ما أشكل وأبهم فيها، ويزيل الإشكال الوارد على بعضها، لولا ذلك لتعطلت الدعوة ولم يتحقق لها التبليغ والانتشار، ويمكننا إجمال هذه الأهمية فيما يلي:
(أ): تفصيل ما أجمل من آيات القرآن الكريم: - ولولا هذا البيان لما تحقق للدعوة الذيوع والانتشار في كافة الأقطار والأمصار، ولما التزم المدعون وسلكوا منهج النبي ρ في الدعوة.
(ب): ضرورة أحاديث السنة النبوية في استنباط الأحكام الشرعية والاستدلال عليها:-
فالأحاديث النبوية إما أن تؤكد حكما أثبته القرآن الكريم، وإما أن تبينه، وإما أن تستقل بحكم لم يرد فيه، وقد أكد الله تعالي في كتابه الكريم علي ضرورة الأخذ بسنة النبي صلي الله عليه وسلم قال تعالي (.....وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)([1])
ولذا فلا يمكن الاستغناء عنها في معرفة الأحكام الشرعية والاستدلال بها، وهذا يمثل بلا ريب أهمية قصوى للدعوة الإسلامية إذ يؤكد علي أن من خصائص هذه الدعوة الشمول والاستيعاب، فهي بالآيات القرآنية والنبوية – تشمل الأحكام التشريعية التي يحتاجها المدعوين لسلامة عقيدتهم وعبادتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم.
(ج): ربط الأصالة بالمعاصرة والماضي بالحاضر: كما أن أحاديث السنة النبوية تفيد الدعوة في ربط ماضيها بحاضرها، وذلك بما تحتويه من تاريخ عام لموكب الدعوة في مسيرة الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلم إلى خاتمهم سيدنا محمد ρ فدعوتهم واحدة ووجهتهم وغايتهم واحدة ومعينهم واحد لا ينضب، وفى ذلك من الأهمية للدعوة حتى لا يغيب عن الدعاة والمدعوين بها لا سيما مع تأكيد القرآن علي التأسي بالرسول صلي الله عليه وسلم ولكن يكون ذلك إلا بمعرفة أخباره وسيرته العطرة ρ.
(د):احتواء أحاديث السنة النبوية المطهرة علي البيان والفصاحة والإعجاز:- وبها مادة علمية تغذى العقل الفكر والروح واللغة، وتناسب كل البيئات والثقافات والمستويات، وتساعد الدعاة على مخاطبة المدعوين على اختلاف ميولهم وطبائعهم واتجاهاتهم فهي مرجع الأدباء والحكماء، والفقهاء والمحدثين، والمشرعين والتربويين، والاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين والإداريين والأطباء والأمراء والحكام كل في تخصصه العلمي ينهل من فيض المنهل النبوي ليروي ظمأه الفكري والثقافي، إيقاظاً لمداركه الفكرية، وتهذيبا للنفس، وتربية وطمأنينة وسكينة للروح وسمواً بالأخلاق والقيم وسائر الآداب التهذيبية، ومن ثم فأحاديث السنة معين الدعوة إلى الله تعالى.

---
[1] - سورة الحشر من الآية رقم 7

(و): ما تميزت به الأحاديث النبوية وأقوال الرسول ρ عن غيرها وهى مما يؤكد أهميتها ووجه الحاجة إليها في الميدان الدعوى وذلك لأنها تشارك القرآن الكريم في وحدة الوجه والغاية، ووحدة المصدر ووجوب الإتباع بهديها، يقول رب العزة في سورة الحشر آخر الآية السابعة {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ يتضح من خلال هذه الآية أن أوامر الرسول ونواهيه ملزمة للأمة الإسلامية..يجازي الله الذين يمتثلون لها الجزاء الحسن..ويعاقب المخالفين عقابا شديدا..وأوامر الرسول ρونواهيه ما هي إلا أوامر الله تعالى ونواهيه..وهي وحيه لرسوله الكريم الذي ينقسم إلى قسمين : وحي متعبد بتلاوته وهو القرآن الكريم ووحي غير متعبد بتلاوته وهو ما يعرف بالسنة في التشريع الإسلامي. وقد أعطى الله تعالى أحكامها من القداسة والتنزيه ووجوب الإقتداء بها مثل ما أعطاه جل شأنه لأحكام آيات القرآن الكريم، كما أنها تمثل المنهج الدعوى للرسول ρ في مسيرته الدعوية (قولاً وفعلاً وتقريراً) والمراد بالحكمة في آيات القرآن الكريم، السنة وبيان الشرائع الإلهية.([1])

وأنها صورت لنا حياة النبي ρ - باعتباره الداعية الأول – تصويرا دقيقا، وليس في تاريخ البشرية على وجه العموم داعية سجلت حياته مثل ما سجلت الأحاديث النبوية سيرته العطرة في أطوار ونواحي حياته المختلفة في وضوح وجلاء بحيث لم يبق شئ من حياته مخفيا أمره أو مكتوما سره وفى هذا تأكيد على أهمية السنة للدعوة الإسلامية وبما يمكّن الدعاة الإقتداء بها والالتزام بهديها ووجوب الامتثال لأمرها واجتناب نهيها.

وكذلك أحاديث السنة النبوية بلغت من البيان والإعجاز البلاغي ما جعلها تملك القلوب وتؤثر في النفوس وتحرك المشاعر وتوقظ المدارك، فهي خطاب للإنسان وحديث للإنسان ودعوة للإنسان في شتى أطوار حياته تخاطب عقله وقلبه ؛ وتثير وجدانه وعاطفته، وتوقظ مداركه، وذلك بمضمونها وعمق فكرتها، وقوة حجتها فيؤدى ذلك إلى إقناعه واستمالته.

قال د. يوسف القرضاوى : والأقوال النبوية – التي صحت عنه ρ - طويلها وقصيرها تمثل ذروة البيان البشرى، والبلاغة الإنسانية مبنى ومعنى، ومضموناً وشكلاً، فكرةً وأسلوباً، محتوى ومضموناً، فقد حوت من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وحقائق المعرفة، وروائع التشريع، وبدائع التوجيه، وغرائب الأمثال، ونوادر التشبيه والكنايات والاستعارات ما لم يحويه كلام بليغ ولا حكيم مع سهولة فائقة، وعذوبة رائقة، وحيوية بالغة، جعلت في الكلمات روحاً يسرى، كما تسري العصارة في الأغصان الحية، وهى أجدر أن توصف بأنها تنزيل إلهي، وقبس من نور الذكر الحكيم.([2])

يقول تعالى في محكم تنزيله(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)([3])

إن طاعة الله تعالى تقتضي طاعة رسوله الكريم باتباع كل ماجاء به.. فالمسلمون في حاجة إلى السنة كحاجتهم إلى القرآن الكريم إذ هما متلازمان يكمل منهما الآخر.وإذا تمعنا أمر الطاعة في الآية الكريمة فإننا نجده مرتبا على الشكل التالي:

- طاعة الله تعالى باتباع أوامر الله تعالي كما جاء به القرآن الكريم
- طاعة الرسول بالتزام تعاليمه والاقتداء به والسير علي نهجه صلي الله عليه وسلم وما جاءت به

---

1 - تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن 131/2.

2 - المدخل لدراسة السنة النبوية ص 21، 22.

3 - سورة النساء الآية 59.

الأحاديث الشريفة.
- طاعة أولي الأمر من العلماء فيما اجمعوا عليه الإجماع في حدود ما شرع الله سبحانه وبين في دينه
- إرجاع الأمور التي تخفي علي الأمة والتي لا يعرف وجهة الحق فيها إلي القياس وفق قواعد الشرع الإلهي .
والأمر واضح بين من خلال قول الله تعالي:- (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (1)
قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:(اعملوا بالقرآن أحلوا حلاله و حرموا حرامه و اقتدوا به و لا تكفروا بشيء منه و ما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله و إلى أولي الأمر من بعدي...)(2)
فإن القرآن الكريم والسنة النبوية أساس الإسلام وينبوعه، ولقد حظيا باهتمام الأمة الإسلامية اهتمامًا منقطع النظير، فخدما من كل ناحية، من باب العناية بالقرآن والسنة ، و دفع شبهات أعداء الإسلام عنهما، فإن أعداء الإسلام يحاربون الإسلام من كثير من النواحي، وكان نصيب القرآن والسنة كبير، فهم يحاولون إثارة شبهات، ويحاولون انتقاد القرآن والسنة، ونصيب السنة من افتراءاتهم أكبر.
وقال ابن القيم: وقد بين الأئمة – كالشافعي وأحمد وأبى عبيد وغيرهم – أن كتاب الله عز لا يخالفه – أحاديث السنة النبوية الصحيحة – بوجه، وإنها لموافقة لكتاب الله عز وجل، وأنكر الإمام أحمد والشافعي على من رد أحاديث رسول الله لزعمه أنها تخالف ظاهر النص القرآني، وللإمام ابن حنبل في ذلك كتاب مفرد أسماه : كتاب طاعة الرسول، والذي يجب على كل مسلم اعتقاده أنه ليس في سنن رسول الله ρ الصحيحة سنة واحدة تخالف كتاب الله عز وجل بل السنن – النبوية – مع كتاب الله تعالى على ثلاث منازل:
الأولى :- سنة نبوية موافقة شاهدة بنفس ما شهد به الكتاب المنزل (القرآن الكريم).
الثانية :- سنة نبوية تفسر الكتاب وتبين مراد الله تعالى منه وتقيد مطلقه وتخصص العام. كما أن أحاديث السنة النبوية تتفق مع أصول القرآن الكريم وأحكامه ولا تناقض ما فيه ولا تناقض معه ولذا حباها الله جل شأنه ببيان ما أجمل فيه من أمور العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من شتى ميادين الحياة، ولا يمكن أن توجد سنة صحيحة الثبوت عن رسول الله ρ تخالف الكتاب في الواقع، إن بدا ذلك في ظاهر اللفظ لأن المراد من أحدهما عين المراد من الآخر، وكل ما في الأمر أن هذا المراد من النص الإلهي قد يخفى على حجية السنة.(3)
الثالثة :- سنة نبوية متضمنة لحكم سكت عنه القرآن الكريم فتبينه بيانا شافيا.
ولا يجوز رد واحدة من هذه الأقسام الثلاثة، والذي يشهد الله تعالى ورسوله ρ به أنه لم تأت سنة صحيحة واحدة عن رسول الله ρ تناقض كتاب الله تعالى وتخالفه البتة، وكيف ذلك ورسول الله ρ هو المبين لكتاب الله تعالى وعليه أنزل وبه هداه الله تعالى وهو مأمور بإتباعه وهو أعلم الخلق بتأويله ومراده.(4) قال الله تعالي (بِالْبَيِّنَاتِ والزبر وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

---

1 - سورة النساء الآية 80.

2 - المستدرك للحاكم ك فضائل سور وأي متفرقة 1/757 2087. ط دار العلم - بيروت .

3 - د- عبد الغني عبد الخالق - حجية السنة ص 495

4 - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص 100 تأليف:محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية دراسة وتحقيق:محمد جميل غازيالناشر:مطبعة المدني، القاهرة، بمصر.

يَتَفَكَّرُونَ) ([1]) يقول الأستاذ سيد قطب "وهذا الدرس يتولى بيان هذا النظام الأساسي، قائماً ومنبثقاً من التصور الإسلامي لشرط الإيمان وحدّ الإسلام! إنه يتولى تحديد الجهة التي تتلقى منها الأمة المسلمة منهج حياتها؛ والطريقة التي تتلقى بها؛ والمنهج الذي تفهم به ما تتلقى، وترد إليه ما يجدّ من مشكلات وأقضية لم يرد فيها نص وتختلف الأفهام فيها؛ والسلطة التي تطيعها وعلة طاعتها ومصدر سلطانها. .."([2])

قال القرطبي رحمه الله في بيان منزلة السنة من القرآن الكريم، ومكانتها التشريعية (فصار الكتاب أصلا والسنة له بيانا)([3])،

وقال القرطبي أيضا في بيان فرض الله تعالي طاعة رسوله ρعلي العباد ، وبيان أن ذلك أمر ملزما للمؤمن : "باب تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء في ذلك قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} وقال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. وقال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} وفرض طاعته في غير آية من كتابه وقرنها بطاعته عز وجل وقال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ}. ذكر ابن عبد البر في كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد أنه رأى محرما عليه ثيابه فنهى المحرم فقال ايتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي قال فقرأ عليه {وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} وعن هشام بن حجير([4]) قال: كان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر فقال ابن عباس : اتركهما؛ فقال إنما نهي عنهما أن تتخذا سنة فقال ابن عباس: قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة بعد العصر فلا أدري أتعذب عليهما أم تؤجر لأن الله تعالى قال: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)([5])، وقد كان العلماء والعارفون يقدرون للأمر قدره، ويحسبون له حسابه، ولم نري الأصوات تتعالي بهذه الصورة السيئة إلا في أيامنا هذه.

ومن ثم فليس هناك تعارض مع القرآن الكريم، مما يؤكد على ضرورتها ووجه الحاجة للدعوة الإسلامية، كما عضد على أحقيتها في أن تكون مصدرا للتشريع الإلهي تالياً للقرآن الكريم في كافة العلوم الإنسانية ومنها ميدان الدعوة الإسلامية.

ومما يؤكد أهميتها في ميدان الدعوة – أيضاً – أنها نالت من المكانة والوجهة ما لم يكن لغيرها سوى القرآن الحكيم حيث حفظها الله – كما حفظ كتابه – على مر العصور والأزمان من يدفع عنها شبهة المضللين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين حتى ثبتوا أصلها حفظاً ونقلاً، ووصلت لنا الأحاديث النبوية نقية خالصة من الخلط والتزييف، وقد تعرضت السنة – كما تعرض القرآن الكريم وبعد عجز المضلين والمروجين للشبه نحو آياته اتجهوا للسنة النبوية وأيدوا فيها ما ليس منها، ونسبوا للرسول من الأحاديث الموضوعة ما لم يقله فوجهوا لها العديد من الشبهة والترهات:

---

1 - سورة النحل الآية 44.

2 - في ظلال القرآن – 158/2 للأستاذ سيد قطب – رحمه الله تعالي ط دار الشروق 1990 .

3 - مقدمة تفسير القرطبي 2/1 الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجى شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق هشام سمير البخاري، النشر دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: 1423هـ/ 2003م

4 : الطبقات الكبرى لابن سعد - (5 / 484)هشام بن حجيرقال سفيان بن عيينة، قال لي بن شبرمة: ليس بمكة مثله، يعني هشام بن حجير. وكان ثقة وله أحاديث.

5 - مقدمة القرطبي 37/1

فمنهم من تجنى على الرواة وطعن في عدالتهم وصدقهم ومنهم من طعن في متن الحديث فأنكر منه ما لم يوافق هواه، ومنهم من ادعى انقطاع الصلة بين الرسول ρ وما يروى عنه من أحاديث، وتعذر تمييز الصحيح منه من السقيم لإهمال تدوينه، وانتشار وضع الحديث النبوي انتصار للرأي، أو إبطالاً لمذهب فدعا إلى إهمال الحديث جملة والاكتفاء بالقرآن الكريم([1]).
ولكن هيهات أن ينال هؤلاء بغيتهم وقد تكفل الحق سبحانه بحفظها ضمنا مع حفظ كتابه الكريم فقيض لها من الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن سلك سبيلهم من العلماء – من حفظها عن رسول الله ρ قولا وعملا وتقريرا، رواية رواية وكلمة كلمة وحرفا حرفا وستظل باقية أبد الدهر ببقاء القرآن الكريم.
فعن إبراهيم العذري قال: قال رسول الله ρ : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين حتى لا يضيع ويذهب.([2])
ولعلمائنا الكرام جهود مضنية في البحث والتنقيب عن سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم – وما زال وسيزال – على مر العصور جهوداً مخلصة في حفظ السنة النبوية وتدوينها وشرحها ووضعوا الأصول والقواعد التي تكشف الدخيل والمدسوس على قول رسول الله، وأخبروا عن أنباء التنزيل، وأثبتوا ناسخة ومنسوخة، وميزوا محكمه ومتشابهة، ودونوا أقوال النبي ρ وأفعاله، وضبطوا اختلاف أحواله في يقظته ومنامه، وقعوده وقيامه، وملبسه ومركبه، ومأكله ومشربه، حتى القلامة من ظفره ما كان يصنع بها، والنخاعة من فيه كيف كان يلفظها، وقوله عند كل فعل يحدثه، ولدى كل موقف يشهده، وحفظوا مناقب والصحابة ومآثر عشيرته
ولمزيد من الفائدة يرجى النظر في (الكفاية في علم الرواية والدراية، وأصول وعلوم الحديث، وشروح الأحاديث وتخريجها ومواضعها من كتب السنة النبوية، كالأحاديث الموضوعة، والناسخ والمنسوخ ووفيات المحدثين، وأسماء الصحابة، وأنساب أهل الحديث، وغريب الحديث، وعلل الأسانيد من حيث الاتصال والانقطاع والتدليس وهذا ما يؤكد مصدريتها للتشريع الإسلامي وأهميتها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
كما تتجلى هذه الأهمية في أن كل ما ورد في الأحاديث النبوية الصحيحة من قول أو فعل أو تقرير فهو حق مصدق لا ريب فيه مما جعلها موضع الأسوة والقدوة للناس جميعا، والحق لا يطلب من الناس الإقتداء والتأسي بباطل أو ضلال، كما لا يخرج منه إلا الحق وقول الحق وفعل الحق.
قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) ([3])
وفى الحديث: "أكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق"([4])
وفي المستدرك أيضا عن عبد الله بن عمرو([1]) قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه و سلم و أريد حفظه فنهتني قريش و قالوا : تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله

---

1 - (أنظر السنة قبل التدوين محمد عجاج الخطيب من مقدمته ص ه هامش).

2 - خرجه ابن عساكر (38/7). وأخرجه أيضًا: ابن عدى (79/2 ، ترجمة 302 بقية بن الوليد) ، والبيهقى (209/10 ، رقم 20700) .

3 - سورة الأحزاب الآية:21)

4 - الحاكم في المستدرك ك العلم 104/1-. تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

عليه و سلم و رسول الله صلى الله عليه و سلم بشر يتكلم في الرضا و الغضب ! ؟ قال: فأمسكت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق و أشار بيده إلى فيه)([2])

كما تتضح روعة الأحاديث النبوية الشريفة وأهميتها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى أنها قد سمت على غيرها من سائر التشريعات الوضعية بالجوانب الإنسانية وأنها خطاب للإنسان وحديث عنه وله، فاهتمت بالإنسان في كل أطوار حياته، قبل ولادته وأثناء حمله وولادته، ومراحل حياته طفلا وشابا وشيخا وكهلا بل رعته بعد مماته وشرعت لكل مرحلة من هذه المراحل تشريعات وأحكام وآداب عامة ينبغي على الإنسان الامتثال بها والالتزام والإقتداء بهديها تأسياً بالرسول الخاتم ρ وإحياء لسنته، كما واءمت بين متطلبات الإنسان طبيعة كيانه (المادية والروحية) وكفلت له من الحقوق ما عجزت عنه سائر القوانين والدساتير والتشريعات الوضعية، وجملة القول: أن أحاديث السنة المطهرة لم تتعارض بحال من الأحوال مع فطرة الإنسان ولم تنكر غرائزه ورغباته الفطرية بل والمكتسبة، فبينت السبيل المشروع والأمثل الذي يمكن الإنسان من إشباع رغباته بلا إفراط أوتفريط وبما لا يحقق أذى أو ضرر لنفسه أو لمجتمعه، وجعل لسائر القوى مصرفا مقبولا ومحلا حلالا ومشروعا.

كما تتجلى وجه الحاجة للأحاديث النبوية في ميدان الدعوة إلى الله تعالى : أنها جاءت من عند الله تعالي جامعة مانعة شاملة لكل ما يحتاج إليه الإنسان لعمارة هذه الحياة، وكيفية السعي فيها والتعامل مع غيره من خلال منهج ديني واضح أجلته وأوضحته أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم، للإنسان كي لا يضل فتضمنت(العقيدة والشريعة "(عبادات – ومعاملات) وقيما وآدابا أخلاقية فالحلال والحرام حق لله تعالى وليس لأحد غيره جل شأنه، والحلال والحرام على الأمة الإسلامية بأسرها ولا تحايل على الحلال والحرام، وما أدى على الحلال فهو حلال ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام ، والضرورات تبيح المحذورات.([3])". كما أبرزت الأحاديث الشريفة أصول العقيدة وأركانها ومقوماتها وغايتها، كما وضعت مبادر وأحكام التشريعات (في الجوانب التعبدية وفى سائر المعاملات) على نحو ما سنوضحها بعد في هذه الرسالة.

كما أجلت أهمية السنة للدعوة في بيان القيم والآداب التربوية والأخلاقية التي على أساسها يتم تربية الإنسان وتهذيب كيانه وتزكية نفسه وقلبه وتنمية مداركه وما لهذه الدلالات النبوية من حكم وعبر في ميدان الدعوة إلى الله تعالى والتي بها قوام الحياة في شتى مناحيها والأحياء.

ومما سلف بيانه تجلت آثار الأحاديث النبوية وأهميتها في ميدان الدعوة الإسلامية، ولم يقتصر دورها على هذا النحو بل يتجلى وجه الحاجة إليها وأهميتها للإنسان بصفة العموم، وللداعية على وجه الخصوص، فالداعية هو الذي يوجه ويرشد ويعلم وينصح، وهو الذي يحمل لواء الحق، وراية الدين

---

1 : الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (1 / 292)عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، يكنى أبا محمد. وقيل: يكنى أبا عبد الرحمن.

2 - المستدرك للحاكم – ك العلم 187/1 ح 359، رواة هذا الحديث قد احتجا بهم عن آخرهم غير الوليد هذا و أظنه الوليد بن أبي الوليد الشامي فإنه الوليد بن عبد الله و قد علمت على أبيه الكتبة فإن كان كذلك فقد احتج مسلم به و قد صحت الرواية عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: قيدوا العلم بالكتاب تعليق الذهبي قي التلخيص: إن كان الوليد هو ابن أبي الوليد الشامي فهو على شرط مسلم.

3 - للمزيد من الاستفادة في هذا الموضوع (انظر الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوى) .

ليبلغ عن رسول رب العالمين صلي الله عليه وسلم، إلي الناس أجمعين لذا فالأحاديث النبوية زاده، والسعي بها سبيله الذي يصل من خلاله إلي هدفه المنشود وغايته المرجوة، يشرح من خلالها ويبين للناس وفق منهجها.

كما أبرزت أهم الخصائص العامة للدعوة الإسلامية والتي سمت بها على غيرها من سائر الدعوات الوضعية أيا كان مسماه وهذا ما أجليه فيما يلي فأقول وبالله التوفيق.

المبحث الثاني:

أحاديث الرسول ρ :في المستدرك للحاكم وأهميتها للداعية:

تمهيد:-

بعد أن بينا فيما سبق مكانة أحاديث الرسول ρ ومكانة سنتهρ في التشريع الإسلامي، ومنزلتها في حياة المدعوين ،وحاجتنا الضرورية إليها، وبعد أن تبين لنا مكانتها وأهميتها الكبيرة في ساحة الدعوة إلي الله تعالي،وفي واقع الحياة العملية والميدانية ، فإنه يطيب لنا أن نذكر أن الدعوة تحتاج إلي جهد وحركة، وتحتاج إلي من يحملونها إلي المدعوين ليست كائنا متحركا يستطيع أن يصل إلى بغيته ومآربه، بل لابد لهذه الدعوة من داعية يبلغها وينشرها بين الناس في شتى الأمصار ومختلف الأقطار، ومن ثم تأتى أهمية ومنزلة الأحاديث النبوية لهذا اللسان المعبر للدعوة الإسلامية.

المطلب الأول:- طريقة تعامل الداعية مع السنة النبوية المطهرة وأحاديث المستدرك :-

وفي بيان أهمية الأمر للداعية وبيان طرق التعامل والأخذ بسنة النبيρ وأنه لا غني له في دعوته عن التزود بأحاديث رسول الله ρ يقول د القرضاوي " فعلي الداعية أن يستحضر الأحاديث المتصلة بموضوعه من مظانها من دواوين السنة المختلفة، وبخاصة ما كان منها مرتبا علي الأبواب، مثل الكتب الستة، والموطأ ومسند الدارمي، وسنن البيهقي، والمستدرك للحاكم النيسابوري، ومجمع الزوائد، وغيرها وكذلك مثل رياض الصالحين والترغيب والترهيب ونحوها.. مع الحذر من الأحاديث الموضوعة والواهية، وبعد الجمع تبدأ عملية التصنيف والترتيب، وهذه تحتاج إلي وعي وحسن إدراك، فليس المطلوب هو مجرد سرد الأحاديث الواردة في الموضوعات تباعا، وإنما المطلوب الاستشهاد بها علي كل عنصر من عناصر الموضوع ما أمكن ذلك " ([1])ثم الشرح الاستنباط واستخلاص المناهج العلمية النافعة للناس، وبيان الاستفادة من مواضع الاستشهاد في الوقت الحاضر، وكيفية الاستفادة من هذه الأحاديث في الحياة اليومية بكل أشكالها وألوانها ليعيش المسلم علي بينة وبصيرة من أمر دينه متعبدا لله تعالي بأقواله وأفعاله وسلوكه ، وعلي الداعية ابرز ذلك للمدعوين .

وإذا تجلت وجه الحاجة إلى الأحاديث النبوية في شتى الميادين الفكرية والعلمية المختلفة كل حسب اختصاصه وتخصصه سواء فيما يتعلق بميدان التفسير، أو الفقه، أو التشريع أو القضاء والفتوى أو فن مجال الاقتصاد والاجتماع والسياسة بل وشتى فروع العلوم الإنسانية بصفة العموم فإنه لا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عن الأحاديث النبوية في مجال التوعية الدينية ولاسيما ميدان الدعوة والتوجيه والنصح والإرشاد والترغيب والترهيب والتبشير والإنذار، بل إن ميدان الدعوى في أمس الحاجة إلى الأحاديث النبوية فهي منهلهم ومصدرهم التشريعي بعد آيات القرآن الكريم، وهى الركيزة الأساسية والدعامة القوية لأقوالهم ونصحهم وإرشادهم وتوجيههم والسبيل الأمثل لوعظهم وسلوكهم وإرشاداتهم، فعن طريقها يستطيع الداعية إلى الله معرفة منهج الأنبياء والرسل في تبليغ دعوة الحق، وكذا معرفة وسائلهم وأساليبهم في الدعوة إلى الله، وكذا معرفة وجهتهم وغايتهم لما يدعون إليه.

وجه الحاجة إلي السنة النبوية المطهرة وأحاديث المستدرك :-

ومن ثم بدت الحاجة إلى أهمية الأحاديث النبوية للداعية الإسلامي فعليها يعتمد ومنها يستمد منابعه الفكرية والدعوية، ويمكننا إجمال وجوه هذه الأهمية فيما يلي:

أولها :- إن في الأحاديث النبوية ما تحتويه من مضمون ومدلولات لتفيد الدعوة فهي مصادرها وأساليبها ووسائلها الداعية إلى الالتزام والانقياد بسبيل ومنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى.

---

1 - – د- يوسف القرضاوي- ثقافة الداعية 59– ط مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية عشر 1412- 1991م

ثانيا :- للأحاديث النبوية الصحيحة أهمية للداعية الإسلامي (لأنها تجلى سيرة خير الأنبياء والرسل سيدنا محمد ρ ومنهجه وسبيله في الدعوة إلى الله تعالى، فهي نفحات قدسية، و وخلاصة كاملة لتجارب أعظم عقل فهم القرآن وآيات الكون، وسنن الاجتماع، وعلل النفوس، ومشكلات الحياة، وضروب الإصلاح... فإذا أسمعك متحدث: صلي الله عليه وسلم فأرف أذنك، واستجمع مواهبك ومشاعرك، لأنك ستسمع أصدق قول، وأنفع قول، وأطهر قول نطق به بشر، وهو بهذه الصفات غنم تتضاءل إلي جوانبه الدنيا وما فيها، غنم عقالي وروحي واجتماعي وعملي، يجد فيه كل باحث ري ظمئه إلي ما يشتهي من خير المنافع.، فتاريخهρ ليس كالتاريخ المدرسي أو الجامعي ، وليس كتاريخ الأبطال والرجال .. فتاريخ هؤلاء يؤرخ ما تأثرت به الحياة بفعلهم وتوجيههم الذاتي المنبعث من عواملهم النفسية الشخصية، أما تاريخه ρ فهو تاريخ عمل وكفاح، أجراه سبحانه وتعالي بيد عبد رباني ليس له من الأمر شيء، إذا نطق لم ينطق عن ألهوي، وإذا رمي فليست رميته ولكن الله رمي، ([1]) ومن هذا المنطلق كانت أمانة النقل وضرورة الأخذ عن النبي ρ والحرص علي حفظ ونقل وتبليغ أحاديثه ρ والعمل بما فيها والدعوة من خلالها فسبيلها بين ومنهجها واضح والعمل بها واجب، لا سيما في ميدان الدعوة إلي الله تعالي، " وما من أحد من البشر اهتمت وثائق التاريخ في الاهتمام بتسجيل سيرته مثلما تجلت في شخصية الرسول ρ داعياً، وقائداً تربوياً، واقتصاديا واجتماعيا وسياسياً، وداعياً إلى الله تعالى بإذنه وسراجاً منيراً، وما جاء على لسانه من أقوال، وأفعال، وتقريرات، وما استقل به من أحكام تشريعية لم ينص عليها في القرآن الكريم مما يساعد الدعاة إلى الله تعالى في مخاطبة أصناف المدعوين، كل بما يناسبه.

ففي السنة النبوية من التوجيهات المشرقة، والحجج الدافعة، والحكم البالغة، والكلم الجامعة، والمواعظ المؤثرة، والأمثال المعبرة، والقصص الهادفة، وألوان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأساليب الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، ما يلين القلوب الجامدة، ويحرك العزائم الهامدة، وينبه العقول الغافلة، ويوقظ المدارك الواهنة.([2])

ثالثا :- "أن الأحاديث النبوية تعد مصدرا من المصادر التشريعية التي يستقى منها الداعية منابع فكرة وتعمقه، وتمده بالدلائل النقلية الدافعة التي تساعده على إقناع واستمالة المخاطبين، فكما كانت الأحاديث النبوية أسس المصادر الدعوية فهي أيضاً الدعامة التي يرتكز عليها الدعاة إلى الله تعالى وفى كتب السنة ثروة طائلة للداعية الأمثل يتخذ منها زاده، وحجته، ويتكون منها محصوله الفكري والأساس للدعوة والتوجيه."([3])

كما لا يستغنى داعية يريد أن يتحدث أو يدرس أو يحاضر أو يخاطب أو يقف أي موقف من سائر المواقف التعبيرية التي يتعرض لها الدعاة الله تعالى (المشافهة أو المدونة) إلى هذا المنهل العذب

---

1 - الأستاذ البهي الخولي – تذكرة الدعاة – ص 51، 52، مكتبة الفلاح الكويت – الطبعة السابعة 1404 1984 م

2 - كيف نتعامل مع السنة النبوية د. يوسف القرضاوى ص 61 بتصرف يسير دار الوفاء ط الثالثة 1990م.

3 - المرجع السابق ص 61

والمصدر الغنى يستقى منه بقدر ما يتسع وأدبه فيتأثر ويؤثر، ولا يؤثر إلا المتأثر – فيروى ويروى، ويأخذ ويعطى ويمتلئ ويفيض.([1])

رابعا :- للأحاديث النبوية أهمية للدعاة إلى الله تعالى لأنها سجل حافل وكتاب مفتوح لسيرة أفضل البشر وسيد الدعاة يتعلمون منها ما يكون زادا لهم في طريق الدعوة فهي ترشدهم وتعلمهم المنهج والأسلوب والطريقة ، فالطريق في الإسلام طريق اتباع لا ابتداع ، وعلي الدعاة الناشئين التعلم من سيرة ومنهج سيد البشر أجمعين .

-وفى الأحاديث النبوية الشريفة و السنة المطهرة أبوابا لكافة نواحي حياتهρ، ففيها توضيح لعباداته ومعاملاته، وكيف كان يصوم ويصلي ويزكى ويحج، وفيها تتجلى عقيدته الحنيفة القائمة على توحيد الله تعالى وإفراده بالروبية والألوهية والعبودية، وسائر عبادته صلي بل وشؤونه وأحواله باعتباره القدوة والأسوة للأمة بأمر الله تعالي .

وقد احتوت السنة النبوية المطهرة علي سجل حافل من السيرة العطرة للنبي صلي الله عليه وسم وآل بيته الكرام وصحابته رضوان الله عليهم، باعتبارهم من خيرة الناس وأفضلهم بعد رسول الله.ρ ففي السنة النبوية رصد لأحوال النبي ρ في يقظته ونومه، ومأكله وملبسه ومشربه، وفى خلوته وجلوه، وفى سلمه وحربه، واقتصاده واجتماعه، وسياسته القيادية، وفى جهاده مع أعدائه، وجهاده باللسان والجنان والسيف، وكيف كان علاقته بربه تعالى، ومع أقربائه وأصحابه وجيرانه والمجتمع الإنساني بأسره.

وفى كتب السنة النبوية أبوابا تفصل علاقته بالقرآن الكريم وبالذكر والدعاء والإنابة والاستغفار، والأوبة والتوبة، والمناجاة ليلا ونهارا وخشيته وخوفه من ربه بلا جزع أو قنوط أو يائس من رحمة الله تعالى – وفى كتب السنة النبوية أبوبا تجلى ما كان يتمتع به رسول الله ρ من مؤهلات خلقية – بكسر الخاء – وخلقية – بضمها – من سماحة وصدق في المعاملة حتى لقب قبل وبعد النبوة بالصادق الأمين، وفى كتب السنة أبواب تضفى زادا قويما للدعاة إلى الله تعالى وتجلى كيف استطاع مواجهة ومجابهة أعداء الدعوة وكيف واجه المحن وشتى الإيذاءات القرشية بالصبر وقوة الإيمان وثبات العقيدة والجرأة والشجاعة لإعلاء كلمة الحق وتبليغ دعوته.

وفى كتب السنة النبوية أبوابا تجلى أنه لا يقبل المساومات في سبيل تبليغ دعوته مهما كانت مغرية بقيمتها المادية في سبيل رفع كلمة الله تعالى ودعوته وشيوعها في دنيا الناس ابتغاء مرضاة الله تعالى وثوابه جل شأنه ،مما يقوي العزيمة لدي الداعية ويعينه علي الصبر والثبات وتبليغ دعوته مهما كانت الصعاب والمحن .

ففي هذه الكتب النبوية الزاد للدعاة إلى الله تعالى في تبليغ ونشر دعوة الحق، ومن ثم وجب على الدعاة إلى الله تعالىا لأخذ بها ومدارستها والدعوة إلي الله تعالي من خلالها.

---

1 - انظر(ثقافة الداعية د. يوسف القرضاوى ص 52 مؤسسة الرسالة ط السابعة 1984، وكذا ثقافة الداعية لعبد الله ناصح علوان ص 28 دار السلام ط الأولى 1985. وكذا (المواقف الداعية التعبيرية لعبد الله ناصح علوان لمزيد من الاستفادة في هذا الشأن طبعة دار السلام.

المطلب الثاني :-

ترتيب خطوات العمل الدعوى وأولوياتها في التعامل مع السنة.

علي الداعية إلي الله تعالي أن يتبع الأولويات في التعامل مع سنة النبي ρ ، وقد وضح العلماء الكرام ، خطوات هامة يبدأ بها الداعية كي يعي ويدرك سنة النبي ρويستطيع من خلال ذلك أن يبلغها إلي المخاطبين بها .

وتكمن هذه الخطوات فيما يلي:-

أولا:- التزود منها فهي خير زاد والعمل بها فهي عامرة بالغير والحوادث التي تتناسب أحوال الداعين والمدعوين على اختلاف ميولهم وطبائعهم، وضرورة التزود من آيات كلمة الوحي الإلهي.

حفظا وتدبرا وفهما وقولا وعملا وسلوكا ظاهراً وباطناً وحسن الاستدلال بها كي تكون حياتهم العلمية والعملية عبرة لمن يعتبر ويتعظ.

ثانيا :- تقدير سنة النبي ρ حق تقديرها وذلك بوجوب الامتثال والإقتداء بخير الأنبياء والرسل فمن أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة خرج من حوزة الإسلام ودعوته.

ثالثا : - ضرورة التطبيق والسلوك العملي للدعاة والإقتداء بسيرة النبي ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى فهذا يؤثر في المدعوين ويوقظ مداركهم إقناعا واستمالة.

ولذا لزم الدعاة إلى الله تعالى معرفة أهم مصادر كتب السنة النبوية وكيفية الاستفادة والإفادة منها وبها كي تكون حجته دافعة في سبيل الدعوة.

ويمكن إجمال ما اتفق عليه علماء أصول الحديث وعلومه وذلك على النحو التالي :

أولا:- ما نص العلماء على صحته وهما: الصحيحان: صحيح البخاري وصحيح مسلم.

ثانيا:- ما نص العلماء على صحته أو حسنه من الأحاديث: مثل السنن الأربعة، وموطأ مالك، وسنن الإمام أحمد بن حنبل، وسنن الدارمي، وصحيح ابن خزيمة، وابن حبان، ومستدرك الحاكم – موضوع رسالتنا هذه – ومسانيد أبى يعلى والبزار، ومعاجم الطبراني وغيرها.

ثالثا:- ما هو معروف بوضعه أو بضعفه مثل: الفتح الكبير، ومجمع الزوائد وغيرهما ففيهما إلى جانب الأحاديث الصحيحة بعض الأحاديث التي حكم العلماء بضعفها، مثل الموضوعات لابن الجوزى واللآلى المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للإمام السيوطى وغيرها من الكتب التي جمعت الموضوع من الأحاديث لمعرفتها والحذر منها[1].

فهذه الكتب تضم ثروة هائلة من الأحاديث النبوية الصحيحة أو التي حكم عليها بالحسن، تعد زاداً تشريعياً للداعية وما يحتاج إليه في ميدان عمله الدعوى، وخطابه إلي المدعوين، بحيث يدعم بالأدلة الشرعية كل ما يحتاج إليه في توجيه الخطاب الشرعي، مبينا وموضحا ذلك من خلال فعله ρ ، ومن أخطر الآفات التي تصاب بها الدعوة الإسلامية لجوء بعض الدعاة إلى الله تعالى للاستشهاد بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في كافة المواقف التعبيرية التي يتعرضون لها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، بل عليهم الاستشهاد بالأحاديث الصحيحة لتقوى حجتهم تجاه المدعوين والمخاطبين بالدعوة لإقناعهم واستمالتهم وكذا على الدعاة ضرورة الحيطة في الاستشهاد من كتب التفاسير التي بها دخيل أو إسرائيليات فيكون تأثيره أشد خطراً على الدعوة والمخاطبين بها كالأحاديث المروية في فضائل سور القرآن سورة سورة ومن هؤلاء المفسرين الثعلبي والواحدى والبيضاوي والشوكانى والزمخشرى وغيرها وعلى علمائنا الأجلاء تنقية الدخيل من الإسرائيليات والموضوعان في كتب

---

(1) لمزيدمن الاستفادة انظر (قواعد التحديث لمحمد جمال الدين القاسمى، والحديث والمحدثون للشيخ محمد أبو زهر، وأعلام المحدثين د. محمد أبو شهبة، وعناية المسلمين بالسنة د. الذهبي وغيرها كثير في المكتبة الإسلامية فهي زاخرة بما يخدم هذا الموضوع وما سجلته هنا هو عرض لما يخدم فكرة وهدف هذه الرسالة.

التراث الإسلامي وتنقيتها مما شابهها على أيدي أعداء الأمة الإسلامية، ولأقسام العلمية في كليات الأزهر المعمور في مصرنا الحبيبة، دور بارز ولاسيما قسم التفسير وعلومه، وقسم الحديث وعلومه، وقسم التاريخ في تنقية التفاسير وكتب الحديث والتاريخ الإسلامي من الدخيل فتم من الرسائل العلمية بقسميها (الماجستير والعالمية "الدكتوراة") موضوعات جليلة في هذا الصدد زخرت بها المكتبة الإسلامية ولاسيما مكتبة الأزهر ولذا أوصى هنا بأهمية هذه الرسائل وضرورة طبعها على نفقة الدولة لأهميتها وتوزيعها على سائر المكتبات العلمية والتعليمية للاستفادة منها.

ومن أهم ما نبه عليه العلامة القرضاوي الدعاة في مجال العمل بالأحاديث النبوية :

"تجنب الأحاديث المشكلة علي جمهور الناس لغير ضرورة:-

فعلي الداعية أن يتجنب الأحاديث التي تشكل علي جمهور الناس، ولا تسيغها عقولهم وثقافتهم لأن لها تفسيرات وتأويلات قد لا يهضمونها، وربما كانت اعلي من مستواهم الفكري والثقافي أو فوق قدراتهم العلمية، أو تغص بها حلوق بعضهم، مثل:- حديث الذبابة، أو حديث سجود الشمس كل يوم تحت العرش، أو ما شابه ذلك. فليس من فقه الداعية أن يتلو علي مسامع الناس هذه الأحاديث، بغير ضرورة تقتضيها، ولا مناسبة توجبها، بل الداعية الفقيه هو الذي يعني بالأحاديث التي لها صلة بواقع الناس، ويتحرى البعد عن المتشابهات والمشكلات وما لا تبلغه عقول أوساط الناس." ([1]) فالداعية اللبيب هو الذي يخاطب الناس بما يعرفون، ويحدثهم بما يفهمون، والدعية الحكيم هو الذي يضع الكلمة الموجهة إلي المدعوين في موضعها.وقد أورد الإمام الحاكم في المستدرك نهي النبي ρ عن مخاطبة المدعوين بما لا يعرفون، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: قال: «ما أنتَ بمُحَدِّث قوما حديثا لا تَبلُغُه عقُولهم إلا كان لبعضهم فِتْنة»([2]). وقد نهي النبي ρ المرء عن التحدث بكل ما سمع ، وفي ذلك دعوة منه ρ للمرء أن يتعقل الأمور ، وأن يميز الكلام ، الذي يلقيه علي مسامع الناس فيميز الكلام وقت التحدث به ، ويضع الأمور في موضعها السلام ، بما يتوافق مع الناس ،وفي المستدرك كذلك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ([3])

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: كفى بالمرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع و كفى بالمرء من الشح أن يقول: آخذ حقي لا أترك منه شيئا ([4])

ولا يقتصر وجه الحاجة إلى السنة النبوية بالنسبة للدعوة وللدعاة بل للأحاديث النبوية أهمية ومكانة بالنسبة للمدعوين والمخاطبين بالدعوة إلى الله تعالى، وهذا ما يدفعنا لبيان المبحث التالي فأقول وبالله التوفيق.

المطلب الثالث:- (المدعوين وحاجتهم إلي السنة النبوية المطهرة):-

---

1 - ثقافة الداعية ص 71.

2 - مرسل: أخرجه مسلم في مقدمة صحيحة (11/1)

3 - المستدرك علي الصحيحين ك العلم 195/1 ح - 381. قد ذكر لمسلم هذا الحديث في أوساط الحكايات التي ذكرها في خطبة الكتاب: عن محمد بن رافع و لم يخرجه محتجا به في موضعه من الكتاب و علي بن جعفر المدائني: ثقة و قد نبهنا في أول الكتاب على الاحتجاج بزيادات الثقات و قد أرسله جماعة من أصحاب شعبة: تعليق الذهبي قي التلخيص: ذكره مسلم في خطبة صحيحة

4 - المستدرك علي الصحيحين ك البيوع 25/2 ح – 2196 هذا إسناد صحيح فإن آباء هلال بن العلاء أئمة ثقات و هلال إمام أهل الجزيرة في عصره، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح وآباء هلال ثقات

المدعوين هم الزاد الذي يقوي عزم الأمة ويقيم بنيانها، للمدعوين أهمية كبري في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، فهم المخاطبون بالدعوة، وهم زاد الداعية وجمهوره، والحقل الذي يغرس فيه غرسه، وينبت فيه ثمره على اختلاف أجناسهم، ولهجاتهم، وبيئتهم وأماكنهم، ولغتهم وهذه إحدى خصائص الدعوة الإسلامية وسماتها والتي تميزت بها عن غيرها من سائر الدعوات الوضعية، وكيف لا ودعوة الإسلام دعوة عالمية وشمولية ومستوعبة وصالحة لكل زمان ومكان ولمختلف الأجناس.
قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)([1])
(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)([2])
(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً....)([3])
وقد ميز الله تعالي رسالة الإسلام عن غيرها بأن جعلها خاتمة للرسالات الإلهية إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذ فقد منحها الله، ومنح نبيها صلي الله عليه وسلم، أمورا لم تعطي لنبي غيره، فقد ذكر الرسول ρفي الحديث الشريف ذلك بقوله ρ أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله فخرًا بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئًا. ([4])

وجه الحاجة إلي السنة النبوية:-

لا يتصور وجود دعوة بلا داعية أو مدعوين، كما لا يتصور أن المدعوين مهما بلغت قدراتهم ومواهبهم يمكنهم وحدهم مواجهة محن وعقبات الحياة دون مرشد يرشدهم ويوجههم وينصحهم بل لابد من رسول مبلغ كي لا يكون للناس حجة، ومن ثم لزم للمبلغ للدعوة من مصدر يستقى منه فكره ودعوته ومنها الأحاديث النبوية وهى ضرورية ولازمة لكافة وعامة المخاطبين بالدعوة إلى الله تعالى وبحاجة إليها ووجوه هذه الأهمية يمكننا بيانا على وجه الإجمالي فيما يلي:
أولا: الأحاديث النبوية توضح للمدعوين كيفية الدعوة الإسلامية، وطريقتها، ووجه الحاجة إليها، وضرورة العمل لها.
ثانيا: الأحاديث النبوية توضح للمدعوين مصادر التشريع الإسلامي وكيفية التعامل معها، والأخذ بها وتطبيقها في شتي مناحي الحياة، كي يعش المدعو في ظل التعاليم الإلهية الإسلامية.، وفهم معاني القرآن الكريم كتاب الله العزيز الذي يحمل دستور المسلمين، وينظم لهم معيشتهم في الدنيا والآخرة.، كي يعيش المجتمع وفق ما أراد الله تعالي، ومن خلال تعاليم الله الخالق سبحانه وتعالي، فيعمر الحياة ويسعد برضي الله في الآخرة.
ثالثا: الأحاديث النبوية الصحيحة تعين المدعوين علي معرفة الحلال والحرام، والأوامر والنواهي.
رابعا: الأحاديث النبوية توضح وتشرح وتؤكد ما جاء في كتاب الله العزيز، في كل مناحي الحياة وأشكالها، ونظمها السياسية والعسكرية والثقافية والدينية والاجتماعية، كي تكون جميعها وفق التعاليم الربانية وكلمات الوحي الإلهية..

---

1 - سورة الأنبياء:الآية 107)

2 - سورة سبأ: :الآية 28)

[3]-سورة الأعراف من الآية 158

4 - أخرجه أحمد (301/1، رقم 2742). قال الهيثمى (258/8): رجال أحمد رجال الصحيح غير يزيد بن أبى زياد، وهو حسن الحديث. وذكره الحكيم (128/3). وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (ص 215، رقم 643)، والبزار كما في كشف الأستار (166/4، رقم 3460)، والطبراني (61/11، رقم 11047)

وفى كتب السنة النبوية المنهاج التفصيلي لجوانب الحياة الإسلامية المثلي وترشده الناس كافة ما ينظم للمدعوين حياتهم العملية والعلمية.
وهذا ما يدفعنا لبيان منهج النبي ρ في مخاطبة المدعوين من خلال كتب السنة النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى كنموذج للدعاة في عصرنا الحاضر كي يقتدوا بخير وسيد الدعاة ρ ويحذوا حذوه في مخاطبة المدعوين وجدوا من خطابهم الدينى لمقتضى ومتطلبات العصر.
فأقول وبالله التوفيق:

المبحث الثالث:- أحاديث الرسول: ρ في المستدرك للحاكم ومنهجهρ في مخاطبة المدعوين:

تمهيد :-

لقد اختلفت الدعوة في مرحلتيها المكية والمدنية وفقا للأهمية التي كانت في كل مرحلة منهما، فكانت الدعوة وفق أولويات اقتضتها كل مرحلة ، وفق حاجة الدعوة ، أو الداعية أو المدعوين ، فقد ركزρ في كل مرحلة علي أولويات تلك المرحلة، وما يتناسب مع المدعوين، إن من يتأمل واقع المجتمع في مرحلتي الدعوة [المكية والمدنية] يظهر له بجلاء أن المدعوين في المجتمع المكي في المرحلة الأولى أو بداية بزوغ الدعوة الإسلامية نجد أن النبي ρ لم يكن وقت أن كلف بتبليغ الرسالة إلا الطائفة التي كانت على الشرك، وبعض المتحنفين من العرب الذين ظهروا قبل البعثة ورفضوا الوثنية ويحثوا عن الملة الحنيفية، ثم كانت الفئة المؤمنة التي آمنت بالنبي ρ وبدعوته. أما واقع المجتمع في المدينة المنورة بعد أن هاجر إليها النبي ρ والذي آمنوا معه فكانوا عبارة عن هذه القلة المؤمنة من أهل يثرب بالإضافة إلى المهاجرين الذين هاجروا إليهم أما بقية أفراد المجتمع فهم من العرب واليهود.([1])
ويقول المباركفورى: والأقوام التي كان يواجهها رسول الله في المدينة كانت على ثلاثة أصناف يختلف كل واحد منها بالنسبة إلى الآخر اختلافا واضحا، وكان يواجه بالنسبة إلى كل صنف منها مسائل عديدة غير المسائل التي كان يواجهها بالنسبة إلى الأخرى.
وهذه الأصناف الثلاثة هي: أصحاب الصفوة الكرام البررة.، والثانية: المشركون الذين لم يؤمنوا بعد وهم من صميم قبائل المدينة، والثالثة: اليهود.([2])

أصناف المدعوين وكيفية تعامل معهم كما جاء في المستدرك :-

وفى هذا الصدد – أيضا – يحدثنا الأستاذ محمود شاكر موضحا أهل المدينة وساكنيها عندما هاجر إليهم النبي ρ فقال:كان بالمدينة المسلمون من الأوس والخزرج الذين دانوا بالإسلام وعاهدوا الله ورسوله على نصرة نبيه وإقامة شرعية، كما كان بها المسلمون المهاجرون الذين هاجروا من مكة إلى المدينة بعقيدتهم وقد تركوا أموالهم وأملاكهم بغية الهجرة مع نبيهم، كما كان بها أناس أظهروا الإسلام عندما وجدوا قومهم قد دانوا به لكي لا يفقدوا مركزهم الإجتماعى ويتركوا الدعم القبلي، كما كان بها المشركون من الأوس والخزرج الذين لم يدخلوا الإسلام بعد وكان لكل قبيلة ناد خاص يلتقون فيه، كما كان بالمدينة اليهود وهم عدة قبائل:بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة... وإضافة إلى هذه القبائل اليهودية وجد أفراد آخرون من اليهود لا ينتمون إلا إلى القبائل الكبرى.([3])

---

1 - [راجع في هذا الصدد لمزيد من الاستفادة: (مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه د. عبد الله سليمان ص 83، 84، مكتبة المنار الأردن الطبعة الأولى 1987م].

2 - (الرحيق المختوم للمباركفوري ص 197 دار الوفاء بدون)

3 - [انظر له لمزيد من الاستفادة [التاريخ الإسلامي 1 – 2 ص 155] المكتب الإسلامي ط السابقة 1991م.

والسيرة النبوية: أبو شبهة.39/2 – 45 بتصرف دار القلم دمشق بيروت الطبعة الأولى 1988م).

وهذا ما يدفعنا إلى بيان أصناف المدعوين الذين واجههم النبي ρ في المرحلة المكية والمدنية إلى الطوائف الآتية:
الأولي : طائفة المؤمنين.
الثانية : طائفة المنافقين.
الثالثة : طائفة أهل الكتاب (اليهود والنصارى).
الرابعة : طائفة المشركين.
والطائفة الأولى : هي التي آمنت وصدقت وشهدت بالحق لله تعالى ورسوله ρ وبذلوا واجتهدوا وضحوا في سبيل نشر هذا الدين.
ويمثلون : فريق المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فرارا بدينهم ونصرة لرسول الله ρ بعد أن عانوا في مكة ونالوا أشد المعاناة والتعذيب والاضطهاد.
وفريق الأنصار وهم أهل المدينة الأصليين من الأوس والخزرج الذين استجابوا لدعوة الإسلام وبايعوا النبي ρ بيعتي العقبة الأولى والثانية.
والطائفة الثانية : هم من أهل المدينة التي أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر والعداء للإسلام والمسلمين ولم يظهروا إلا في المدينة بظهور النفاق في بعض أهلها وذلك لأنه لم تكن للإسلام شوكة قبل الهجرة الي المدينة المنورة .
والطائفة الثالثة : كانوا يمثلون اليهود ومعظمهم قد جاء إلى يثرب مهاجرا من فلسطين وعاشوا في المدينة .
يقول د. عبد الباسط بدر:- اختلف المؤرخون – ولاسيما العرب اختلافا شديدا في تحديد تاريخ هجرة اليهود إلى يثرب وقد انتهى الدكتور عبد الباسط بدر إلى أن اليهود ولم يستوطنوا في يثرب في عهد نبي الله تعالى موسى عليه السلام على الإطلاق ولا في عهد يوشع ولا في عهد داود عليه السلام وربما بدأت هجرتهم بسيطة محددة بعد أن نكبتهم عام 586 ق. م. ولكن كانت هجرتهم إلى الحجاز و إلى يثرب بخاصة حدثت عندما نكّل بهم الرومان في عهد بتتوس عام 70م. ثم في عهدها رديان 132م.
وبين هذين الزمنين خرجت قبائل يهودية من فلسطين واتجهت جنوبا في شبه الجزيرة العربية وبدأت تستوطن في الواحات فنزل بعضهم في تيماء وبعضهم في خيبر والبعض الآخر إلى يثرب، وأول من وصل إلى يثرب من اليهود ثلاث قبائل: بنو قريظة، وبنو قينقاع أو بنو يهدل، وبنو النضير ثم تبعهم قبائل أخرى ا.هـ.([1])
"**والنصارى** كما عرفهم الشهرستانى في الملل: **هم أمة المسيح عيسى بن مريم وسموا بهذا الاسم نسبة إلى قرية الناصرة وهى قرية المسيح من أرض الجليل**".([2])
"وكانوا يسلكون بضواحي مكة، ولم يذكر أهل الأخبار شيئاً يستحق الذكر عن النصرانية في يثرب مما يدل على أن النصرانية لم تكن قوية في المدينة ولم تكن جاليتها كثيرة العدد فيها".([3])

---

1 - انظر (التاريخ الشامل للمدينة المنورة) د. عبد الباسط بدر جـ 1 ص 57، 58 الطبعة الأولى 1933م.

2 - انظر هامش الفصل 59/2 دار المعرفة ط الثانية 1975م.وكتاب الخطط للمقريزى 481/2 دار صادر بيروت بدون.

3 - راجع مجتمع المدينة المنورة في عهد النبي ρ د. محمد لقمان الأعظمى الندوى ص 415 دار الاعتصام 1988م.

كما لم تكن لهم مواقف عدائية أو مؤذية كما كان شأن اليهود .
أما طائفة المشركين فهم من أهل المدينة الذين لم يستجيبوا للإسلام من الأوس والخزرج.
وكان لكل طائفة من هذه الطوائف منهج في معاملتها حيث كان النبي ρ يتوجه بدعوته لهؤلاء الأصناف جميعا فيلقى الاستجابة من المؤمنين، والحنث والمكر من المنافقين، والمعارضة والعتاد من الكافرين والمشركين وقد صبر النبي ρ وجه لكل دعوته بالطريقة التي تناسبه والاسلوب الدعوي الذي يرغبه فحقق بذلك أفضل النتائج الدعوية المطلوبة وأقام دولة الاسلام من العدم .
وقد اتبع النبي ρ في دعوة كل صنف من هذه الأصناف منهجا يناسب كل طائفة من هذه الطوائف.
وهذا ما يدفعنا لبيان ملامح المنهج النبوي من خلال ما جاء في كتب السنة النبوية المطهرة وخاصة ما جاء في أحاديث المستدرك.

موضوع هذه الرسالة – من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: منهج النبي ρ مع المؤمنين كما جاء في كتب السنة النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

المطلب الثاني:- منهج النبي ρ مع طائفة المنافقين كما جاء في كتب السنة النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

المطلب الثالث:- منهج النبي ρ مع أهل الكتاب [اليهود والنصارى]من خلال كتب السنة النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

المطلب الرابع:- منهج النبي ρ مع المشركين كما جاء في السنة النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

ولنا مع كل مطلب من هذه المطالب وقفة لتوضيحه فأقول وبالله التوفيق:

منهج النبوي الشريف في دعوة المؤمنين:

كما وردت في كتب السنة ومنها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

لما كانت طائفة المؤمنين هي اللبنة التي تشكل القاعدة الصلبة لتكوين المجتمع الإسلامي الذي يهدف النبي ρ لإقامته، والجماعة التي تحمل عبء هذه الدعوة، وتبذل وتتحمل الصعاب والمشاق من أجل تبليغها ورفع رايتها، وتضحى وتجاهد لحمايتها والدفاع عنها.. لما كان كذلك اهتم بهم النبي ρ يحرك مشاعرهم وعواطفهم نحو دينهم ودعوتهم، ويدفعهم إلى التحلي بأحسن الأخلاق، وإلى الترابط والتآخي فيما بينهم، وبما يحفزهم ويدفعهم للجهاد لتكون دائما كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.
وبالرجوع إلى السنة النبوية يمكن استخراج منهجه ρ مع المؤمنين، وهى وإن كانت – بحكم وقت النطق بها – موجهه إلى المؤمنين على عهده ρ، إلا أنها بحكم برسالته العالمية موجهة إلى عامة المؤمنين إلى يوم الساعة، وعليهم جميعا الأخذ والالتزام، والاستفادة والانتفاع بما في منهجه ρ.
ويمكن إجمال **أبرز معالم منهجه ρ مع المؤمنين** فيما يأتي من نقاط :-
الأولى- التأكيد على صحة الإيمان وسلامة العقيدة :- وقد ركز النبى ρ على ذلك حيث لا يعد المدعو من المؤمنين حقا إلا إذا صح إيمانه، وسلمت عقيدته، وأيقن – بلا تردد أو ريب – بأن الله عز وجل هو الخالق والرازق، المُحيى المُميت، الصانع القادر، الضار النافع، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. وأنه عز وجل ليس له شركاء ولا شفعاء ولا وسطاء، وأن ما

يتخذه بعض الجهلة من الناس من ذلك لا تنفع ولا تضر، ولا تملك لنفسها – فضلا من غيرها – شيئاً .. إلى غير ذلك مما يتفق مع أصول العقيدة وأسس الإيمان..

ولذلك يتأكد للمتتبع للسنة النبوية أن النبى ρ لم يقف عند حد الدعوة العامة التي وجهها للناس جميعا بأن يؤمنوا ويعترفوا بوحدانية الله عز وجل، وكما جاء في المستدرك، حيث قال ρ في بدء الدعوة إلى الله عز وجل: " يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا قال: يرددها مرارا و الناس مجتمعون عليه يتبعونه و إذا وراءه رجل أحول ذو غديرتين وضيء الوجه يقول: أنه صابىء كاذب فسألت: من هذا ؟ فقالوا: عمه أبو لهب ([1]). وعن طارق بن عبد الله المحاربي([2]) قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بسوق ذي المجاز و أنا في بياعة لي فمر و عليه حلة حمراء فسمعته يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا و رجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه و هو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذاب فقلت: من هذا ؟ فقيل: غلام من بني عبد المطلب... ([3])

ولكنه تعهد الذين آمنوا – أثناء مجالستهم ومخالطتهم، والسير معهم ، فصدع بدعوة الله الحق ، في مجتمع يموج بالشرك والضلال ، وقد فصل لهم أصول العقيدة بما يرسخ الإيمان في نفوسهم، ويجعله واقعا حيا في حياتهم، ويوضح لنا ذلك ما ورد في حديث جبريل مشهور حيث أجاب النبي ρ عن الإيمان بما يوضح أصوله وأركانه حتى تثبت في أذهان المؤمنين الحاضرين في مجلسه ρ. فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر[4]..".

ولم يقف ρ عند حد أن يُسأل، بل كان يبادر ويبدأ بتعليم المؤمنين، كما حدث مع بعض الصحابة رضوان الله عليهم حيث قال: يا أبا هريرة([5]) تدري ما حق الله على العباد و ما حق العباد على الله ؟ قال: قلت الله و رسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه هكذا[6]...".

---

1 - المستدرك للحاكم ك الإيمان 61/1 ح / 39، تعليق الذهبي قي التلخيص: وإنما استشهدت بابن أبي الزناد فقد استشهدا به

2 : الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (1 / 228)طارق بن عبد اللهالمحاربي له صحبة روى عنه جامع بن شداد وربعي بن حراش يعد في الكوفيين

3 - المستدرك علي الصحيحين ك ذكر نبي الله عيسي 668/2 ح 4219 تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(4) أخرجه الترمذي (6/5 ، رقم 2610) وقال : حسن صحيح . والنسائي (97/8، رقم 4990)، ومسلم (36/1، رقم 8)، وأبو داود (223/4، رقم 4695).

5 : سير أعلام النبلاء - (2 / 578) أبو هريرة * الامام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو هريرة الدوسي اليماني.

سيد الحفاظ الاثبات.اختلف في اسمه على أقوال جمة ; أرجحها: عبدالرحمن بن صخر.وقيل: ابن غنم.وقيل: كان اسمه: عبد شمس، وعبد الله.وقيل: سكين.

وقيل: عامر.وقيل: برير.وقيل: عبد بن غنم.وقيل: عمرو. وقيل: سعيد.

(6)المستدرك علي الصحيحين ك الدعاء والتكبير 698/1، ح 1901.

فالرسول ρ هو الذي بدأ هنا بالسؤال والتعليم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، والمؤمنين في شخصه، وقد علمه ضرورة الحرص على تحقيق هذا الأصل الواجب حتى يصح الإيمان، وتسلم العقيدة من الشوائب.

وكان من حرصه صلي الله عليه وسلم تعليم الصغير والكبير وإعطائه درسا في العقيدة حتى يشب علي الدين الصحيح والاعتقاد السليم الذي يقربه من الله تعالي ، وفي المستدرك للحاكم عن ابن عباس قال ρاأحفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئاً لم يرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا على أن يصرفوا عنك شيئاً أراد أن يصيبك به لم يقدروا على ذلك، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا"[1].

وقد ركز النبي ρ في هذا الموقف على قواعد كلية من أهم أمور الدين، وهى دليل على صحة الإيمان، وسلامة العقيدة. فهو يعلم المؤمنين في شخص ابن عباس رضي الله عنه أن يحفظوا حدود الله عز وجل وحقوقه وأوامره ونواهيه، حتى يعيشوا في معية الله عز وجل، ويكونوا أهلا لحفظه عز وجل لهم، ونصره وتأييده وتوفيقه وإعانته. ويعلمهم كذلك بأن إظهار الذلة والمسكنة والحاجة والافتقار لا تكون إلا لله وحده لا شريك له، ولذا يجب أن يفرد وحده بالسؤال والدعاء والتضرع والاستعانة.

ثم يؤكد على حقيقة أن الأمور كلها بيد الله عز وجل، وأنه لا يصيب العبد في دنياه من خير أو شر إلا وهو مقدر مكتوب عليه، ولا يصيب العبد إلا ما كتب له من مقادير ذلك في الكتاب السابق ولو اجتمع على ذلك الخلق جميعا.

"الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد ألبته، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطى المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده.. فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطى ولا يمنع غير الله أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعا[2]..."ا.هـ.

ويتضح لنا من خلال النصوص النبوية الكريمة عنايته ρوتأكيده علي ترسيخ الجانب العقدي في نفوس المدعوين لأهمية هذا الجانب، واعتباره أساسا لبناء الإسلام وقاعدته العريضة، التي تتصاعد من خلالها كل تعاليم الإسلام، وانطلاقا لغيره من الركائز الدينية .

ثانيا:- كذلك التركيز علي تقوية الصلة بين المؤمن وبين الله تعالي، فهي التي تلزم المؤمن باتباع التعاليم الربانية والأوامر الدينية.

ولم تقتصر الدعوة النبوية علي التركيز علي الفرائض، وإنما دعي ρ إلي العناية بالنوافل ، بعد أداء الفرائض ، ليزداد الإنسان قربا بها لله تعالي ، وينال حب خالقه سبحانه ، وقد أتضح ذلك فيما بينه ρ:من سنن تقرب من الله تعالي بين فيها قيام الليل وصوم النوافل وغيرهما من القربات " " عن أبي هريرة يرفعه :- إلى النبي صلى الله عليه و سلم أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان ؟ فقال: أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل و أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم [3].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 542/3، وسكت عنه، وقال الذهبي: عيسى ليس بمعتمد ا.هـ.

(2) جامع العلوم والحكم:لابن رجب الحنبلي صـ 169.

(3).المستدرك صلاة التطوع 451/1 ح 1155" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه

كما رغب ρ المدعوين في التزود بالذكر والدعاء والاستغفار:-

وفى المستدرك أحاديث كثيرة تعلم المؤمنين صيغ استغفار وذكر يرددونها في كل أوقاتهم وأحوالهم، حتى ينشغلوا بطاعة الله عز وجل وتتوثق علاقتهم بخالقهم.

: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الصلاة و الصيام و الذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف" (1)، وكان ρ يقول: أفضل الذكر لا إله إلا الله و أفضل الدعاء الحمد لله (2)، وكان يعلم الصحابة رضي الله عنهم فضل الذكر وبين لهم أهميته، ومكانته عند الله تعالي، وكيف انه يقرب العبد من الله تعالي. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: خرج علينا النبي صلى الله عليه و سلم فقال: يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل و تقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة قالوا و أين رياض الجنة قال مجالس الذكر فاغدوا و روحوا في ذكر الله و ذكروه أنفسكم من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه (3)

كما رغبت في تلاوة القرآن الكريم وبيان فضل بعض السور الكريمة، وذلك في مثل قوله: " عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: تعلموا القرآن فإنه شفيع لأهله يوم القيامة و اقرؤوا الزهراوين قيل: و إسحاق الزهراوان ؟ قال: البقرة و آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كفرقين من الطير بيض صواف يدفعان بأجنحتهما عن أصحابهما تعلموا البقرة فإن تعليمها بركة و تركها حسرة و لا يستطيعها البطلة "(4).

ووجهت إلى ملازمة الأعمال الصالحة والمسارعة إليها والبعد عن الفتن والمنكرات في قوله: " (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا) "(5).

ومن هذا يتبين أن النبي ρ قد ركز في منهجه مع المؤمنين على بناء الفرد المسلم على أساس أن العقيدة السليمة، والإيمان الصادق، والعبادة الصحيحة، والأخلاق السوية. "ومن ثم تقوم الأسرة أو البيت المسلم على التقوى، وتكون هذه البيوت هي الخلايا الحية القوية التي يتكون منها المجتمع المسلم الرباني الذي يلتزم بمنهج الله عز وجل في كل جوانب حياته(6).."ا.هـ.

ثالثا: التركيز على التخلص من عادات وتقاليد الجاهلية:- فللمؤمنين منهجهم الذي يستمدون منه، ويسيرون عليه، ويلتزمون – تطبيقا أو تركا – بكل ما جاء فيه، ولذا وجب عليهم أن يتخلصوا من كل رواسب عادات وتقاليد الجاهلية، وأن تكون عاداتهم وتقاليدهم وفق ما جاء في منهجهم، فالعادات في الإسلام ينبغي أن لا تكون محرمة أو منهي عنها، أو معارضة للدين وتعاليمه، فالدين في الإسلام يشكل كل مناحي الحياة مع اختلاف أشكالها وألوانها.

---

1 - المستدرك ك الجهاد 88/2 ح2415، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

2 - المستدرك ك التكبير والدعاء 681/1 ،1852 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه -

3 - المستدرك ك الدعاء والتكبير 671/1 ح 1820- هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(4)المستدرك أخبار في فضل سورة البقرة 752/1 ح2071 -.

(5المستدرك الدين النصيحة 1/ 188 ح 309).

(6) من فقه الدعوة: مصطفى مشهور 362/2. دار التوزيع والنشر الإسلامية 1415هـ - 1995م.

ومن العادات التي كانت سائدة في الجاهلية واهتم النبي ρ بتطهير وتخليص المؤمنين منها حتى لا تظل في عقولهم وحياتهم:

أ- وأد البنات : وتعد من أسوأ العادات التي كانت منتشرة في الجاهلية، إذ كان الواحد منهم إذا أخبر بولادة أنثى أصابه الهم والغم، واسود وجهه غما وحزنا..

فطهر النبي ρ المؤمنين وخلصهم من تلك العادة المنكرة، حيث ركز في نفوسهم أن الأمر بيد الله عز وجل، وليس للإنسان دخل في تحديد الذكر والأنثى، وأن للأنثى من الكرامة والتشريف ما للذكر سواء بسواء، وأنها هبة الله ونعمته كالذكر تماما وقد بين القرآن الكريم حرمة ذلك وشنع علي من يقومون به، بل إن الرسول بين فضل الإناث وتربيتهم، فعن أنس رضي الله عنه[1] قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من عال جاريتين حتى تدركا دخلت الجنة أنا وهو كهاتين ـ و أشار بإصبعيه السبابة و الوسطي ـ و بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق[2]

ب- العويل والنياحة على الموتى :- فتلك من أفعال الجاهلية، وقد كانوا يبالغون في الصياح والرثاء والكلام علي الميت، وكان في ذلك الفعل ما يعارض قضاء الله تعالي وعدم الإيمان بقدره سبحانه، علاوة علي الفزع والجزع في تلك الحالات، وقد بين أن ذلك كله مخالف لتعاليم الدين وأنه لا يغير شيئا، ولا يرد قضاء الله تعالي، وأن واجب المسلم الثبات والرضي بقضاء الله تعلي واحتساب الأمر عند الله عز وجل، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه[3] قال: أخذ النبي صلى الله عليه و سلم بيدي فانطلقت معه إلى إبراهيم ابنه و هو يجود بنفسه فأخذه النبي صلى الله عليه و سلم في حجره حتى خرجت نفسه قال: فوضعه و بكى قال فقلت: تبكي يا رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنت تنهي عن البكاء ؟ قال: إني لم أنه عن البكاء و لكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لهو و لعب و مزامير الشيطان و صوت عند مصيبة لطم وجوه و شق جيوب و هذه رحمة

---

1 : تهذيب التهذيب - (3 / 369)أنس" بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري أبو حمزة خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزيل البصرة. روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن رواحة وفاطمة الزهراء وثابت بن قيس ابن شماس وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومالك بن صعصعة وأبي ذر وأبي بن كعب وأبي طلحة ومعاذ ابن جبل وعبادة بن الصامت وعن أمه أم سليم وخالته أم حرام وأم الفضل امرأة العباس وجماعة.

2 - المستدرك كتاب البر والصلة 196/1، ح 7350 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

3 : تهذيب التهذيب - (21 / 244)عبد الرحمن" بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أبو محمد الزهري أحد العشرة وأمه من بني زهرة أيضا واسمها الشفاء ويقال ضيعة ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قديما وهاجر الهجرتين وشهد المشاهد كلها وكان اسمه عبد الكعبة ويقال عبد عمرو فغيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم

و من لا يرحم لا يرحم و لولا أنه وعد صادق و قول حق و أن يلحق أولانا بأخرانا لحزنا عليك حزنا أشد من هذا و إنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكي العني و يحزن القلب و لا نقول ما يسخط الرب([1]).
كما أوضح أنه: "لا يحل للمسلم أن يلبس من شارات الحداد، أو يترك التزين، أو يغير الزى والهيئة المعتادة إظهارا للجزع والحزن، إلا ما كان من زوجة على زوجها فإنها يجب أن تحد عليه أربعة أشهر وعشرا وفاء لحق الزوجية، وللرباط المقدس الذى جمع بينهما، حتى لا تكون معرضا للزينة، ومتعلقا لأبصار الخطاب في مدة العدة التي اعتبرها الإسلام امتدادا للزوجة السابقة في كثير من الحقوق، وسياجا لها. أما إذا كان الميت غير الزوج – كالأب والابن والأخ – فلا يحل لها الحداد عليه أكثر من ثلاث ليال"(2). ا.هـ.
وبين واجب الالتزام بالحداد علي الزوج، والوفاء بذلك الحق له، ويوضح أن امرأة جاءت إلى رسول الله ρ فقالت: إن ابنتي توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها، أفتكحلها؟ فقال رسول الله ρ: "لا" مرتين، أو ثلاثا، كل ذلك يقول: "لا"(3).
وقد بين عدة المتوفى عنها سيدها، وهي نفس عدة الحرة المتوفى عنها زوجها عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لا تلبسوا علينا سنة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم في أم الولد إذا توفي عنها سيدها عدتها أربعة أشهر و عشرا(4)
قال: أبو مالك الأشعري([5]) : - إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إن في أمتي أربع من أمر الجاهلية ليسوا بتاركيهن: الفخر في الأحساب ـ و الطعن في الأنساب ـ والاستسقاء بالنجوم ـ و النياحة على الميت ـ فإن النائحة إذا لم تتب قبل أن تقوم فإنها تقوم يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يغلي عليهن دروع من لهب النار (6)
ج- أكل مال اليتيم : - ولما كان اليتيم ضعيفا، لا يملك التصرف، ولا إدارة شؤون نفسه، وليس له من يحميه أو يؤويه، لذا فقد أكد الإسلام علي حقه ، فحفظه له ، وأصي به ، ووعد من أحسن اليه بالمكافأة العظيمة ، وجعل الإسلام اليتيم في ذمة الله تعالي ، فقد كان اليتيم في الجاهلية يلقى من الإهمال والظلم وسوء الاستغلال، ما يهدر كرامته الإنسانية، ويضيع حقه، ويبدد ماله. فطهر النبى ρ المؤمنين من تلك العادة اللاإنسانية، وأكد على حق اليتامى، والمحافظة على ماله وملاطفته والإحسان إليه فقال

---

1 - المستدرك للحاكم ك البر والصلة 196/4 ح 6825 - تعليق الذهبي قي التلخيص: حذفه الذهبي من التلخيص

(2) الحلال والحرام في الإسلام د/يوسف القرضاوى ص 241.

(3) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الطلاق، باب تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر 76/7.

4 - المستدرك ك الطلاق 228/2 ح 2836 هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

5 : الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (2 / 61) أبو مالك الأشعري ويقال: الأشجعي قيل اسمه عمرو بن الحارث ابن هانئ روى عنه عطاء بن يسار وسعيد بن أبي هلال

6 - المستدرك ك الجنائز 539/1 ح 1413هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و قد أخرج مسلم حديث أبان بن زيد عن يحيى بن أبي كثير و هو مختصر و لم يخرجاه بالزيادات التي في حديث علي بن المبارك و هو من شرطهما

النبى: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطي، وفرج بينهما"(1).وقد بين ρ لمن كان عنده يتيم في حجره ، أن لا يأكل من مال اليتم ، وان أفضل الطعام وأطيبه ما كان من مال المرء نفسه ، عن عمارة بن عمير : عن عمته أنها سألت عائشة : في حجري يتيم فآكل من ماله ؟ فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن من أطيب ما أكل الرجل من كسبه و ولده من كسبه.(2)، وقد راعي الإسلام مصلحة اليتيم والولي معا مؤكدا علي ضرورة المحافظة علي مال اليتيم، وبين الله تعالي رفع الحرج عن الأولياء في مخالطهم اليتيم في ماله، شريطة أن لا يترتب علي ذلك إلحاق الأذى باليتيم وثروته، أو يؤدي ذلك إلي الطمع فيه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز و جل: { و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن } و { إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما } إلى قوله: { سعيرا } قال: انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه و شرابه من شرابه يفصل الشيء من عامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فيرمي به فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله عز و جل (يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم) إلى { عزيز حكيم } فخلطوا طعامهم بطعامهم و شرابهم بشرابهم (3)

ولخطورة الأمر وشدة عقوبته، حذر ρ من الولاية علي مال اليتيم، فليست حرام، لكن ربما يترب عليها التلبس بالحرام، من الطمع في مال اليتيم ونهب ثروته، فاليتيم ضعيف ولا دراية له بإدارة ماله، لذا فلو لم يكن لدي الوصي ضمير يقظ ، ونفس قنوعة، فلربما أدي الأمر إلي الخيانة والطمع فلا رقيب إلا الله تعالي ، عن أبي ذر رضي الله عنه(4) قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا أبا ذر إني أراك ضعيفا فلا تأمرن على اثنين و لا تولين مال يتيم (5)، وقد التزم المسلمون واستفادوا من تعاليم النبي التي وردت في أمر اليتيم، أعظم استفادة وطبقوها أيما تطبيق.

إلى غير ذلك من العادات والتقاليد، عادة التبني، وحرمان النساء من الميراث، والتمائم ونحو ذلك. وهكذا يصحح النبى ρ تلك العادات والتقاليد ويركز على إبطالها حتى لا يتأثر بها المؤمنون، والجدير بالذكر أنهم قد استجابوا للنبي ρ وسارعوا إلى تطهير أنفسهم من كل رواسب الجاهلية. وعلى المؤمنين في كل وقت وعصر أن يكونوا كسلفهم الصالح. ولا يتيحوا الفرصة لرواسب الجاهلية وعاداتها وتقاليدها أن تعود ثانية إلى حياتهم فقد صححوا اوضاعهم وفق ما جاء به الإسلام، وما أوصي به رسوله ρ.

---

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الأدب، باب حق اليتيم 1213/2 (3679)، وضعفه الألباني في: سلسلة الأحاديث الضعيفة 142/4 (1637).

2 - المستدرك ك البيوع 53/2، ح 2295، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

3 - المستدرك ك الجهاد 113/2 ح 2499 - هذا حديث صحيح و لم يخرجاه و إنما أخرجه أئمتنا في الرخصة في المناهدة في الغزو و شاهده المفسر حديث وحشي بن حرب تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

4 : ألقاب الصحابة والتابعين في المسندين الصحيحين - (1 / 3) برير: هو أبو ذر الغفارى واسمه جندب بن جنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن قتيبة: قال أبو اليقظان: أبو ذر اسمه جندب بن السكن ولقبه برير.

5 - المستدرك ك – الأحكام 4/ 103 ح 7017، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم

رابعا : - دعوتهم إلي القيم والأخلاق الحميدة وحثهم على التمسك بها: فقد كان من أعظم أهداف النبى ρ بناء الشخصية السوية ركيزتين أساسيتين هما:
أ- ترسيخ وتأسيس العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالصة من كل شائبة.
ب- ترجمة هذه العقيدة إلي الواقع العملي، والقيام بها في شتي مناحي الحياة، والتعايش بها في كل الأمور والأحوال..
ولذا اهتم النبى ρ ببيان الصفات التي ينبغي أن تتحقق في المؤمنين، وحث على التمسك بها حتى تكتمل شخصية المؤمن، وتتميز عما سواها.
والمتأمل في هذه الصفات التي وردت في شأن المؤمنين يلاحظ أنها تعطى للفرد الصورة المثلي، والقيم الفاضلة، والأخلاق الحميدة التي ينبغي أن يكون عليها حتى يدخل في دائرة المؤمنين، ويكتب عند الله تعالى من المؤمنين، وقد انتفع المؤمنون ببيان هذه الصفات فتخلقوا بها وجعلوها واقعا علميا في حياتهم، فحققوا فيما بينهم الإخاء والتراحم، والتناصر والتعاون، والصدق والإخلاص، والأمانة والإيثار، والحق والعدل، والحب وسلامة الصدر، والتفقد والمشاركة في الأفراح والأحزان، فتكون بهم المجتمع القوى في عقيدته وعبادته وأخلاقه، المجتمع الطاهر العفيف، المستقيم على منهج خالقه عز وجل. وما أحوجنا إلى العود إلى هذه الصفات التي دلنا عليها رسول الله ρ حتى نعود إلى ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، ونعيد إلى حياتنا القيم والأخلاق الإسلامية.
خامسا: دعوته الأمة إلي الوحدة ونبذ الفرقة والتعصب: فمجتمع المؤمنين له خصائصه ومبادئه التي تميزه عن غيره، ومن أهم ما يميزه تلك الرابطة التي تربط بين المؤمنين جميعا مهما اختلفت أوطانهم وديارهم، ولغاتهم وألوانهم، وأجناسهم وأعمارهم، ألا وهى رابطة الإيمان بالله عز وجل، وتعد أقوى وأعمق من رابطة الدم والنسب، ورابطة الأرض والوطن. عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه تلا قول الله عز و جل: { إن أكرمكم عند الله أنقاكم } فقال: إن الله يقول يوم القيامة: يا أيها الناس إني جعلت نسبا و جعلتم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم و أبيتم إلا أن تقولون فلان ابن فلان أكرم من فلان ابن فلان و إني اليوم أرفع نسبي و أضع أنسابكم أين المتقون أين المتقون قال طلحة فقال لي عطاء: يا طلحة ما أكثر الأسماء يوم القيامة على اسمي و اسمك فإذا دعي فلا يقوم إلا من عني(1).، وقد بينρ أن الناس في الإسلام دينهم واحد ونسبهم واحد ، لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى،
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم: رأيت غنما كثيرة سوداء دخلت فيها غنم كثيرة بيض قالوا: فما أولته يا رسول الله ؟ قال: العجم يشركونكم في دينكم و أنسابكم قالوا: العجم يا رسول الله ؟ قال: لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم و أسعدهم به الناس (2)
ولذا دعا النبي ρ المؤمنين إلى الوحدة والترابط والإخاء والتآلف ونبذ العصبية بشتى صورها وأشكالها.
وبهذا يغلق النبى ρ هذا الباب حتى لا يتفاخر المؤمنون فيما بينهم بالأنساب والأحساب، ولا يعتز أحد بأنه ابن فلان، أو من نسل كذا، وعائلة، ونحو ذلك.

---

1 - المستدر ك تفسير سورة الحجرات 503/2، ح 3726 - تعليق الذهبي قي التلخيص: سكت عنه الذهبي في التلخيص

2 - المستدرك ك تفسير الرؤيا 437/4 ح 8194 - هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري

سادسا: دلهم على القيم والأخلاق الحميدة وحثهم على التمسك بها: فقد كان من أعظم أهداف النبى ρ بناء الشخصية السوية المتكاملة، الشخصية التي تفهم الإيمان فهما صحيحا، وتدرك أن الإيمان الحق هو الذى يقوم ركيزتين أساسيتين هما:
أ- العقيدة الصحيحة التي لا يخالطها ريب أو شك.
ب- والعمل الذي يصدق هذه العقيدة ويترجمها إلى واقع. وهذا العمل يشمل: عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح.
سابعا :- الدعوى إلى التخلص من الأمراض النفسية والعلل الطارئة: فالنفس المؤمنة بطبيعتها البشرية قد يطرأ عليها من أعراض النقص والضعف ما يطرأ على غيرها، فقد تشعر في موقف من المواقف بالجبن أو الخوف، وقد تشعر بالشح وحب المال، وقد تشعر بالزهو والاستعلاء... إلى غير ذلك مما يطرأ على النفس البشرية.
وحتى لا يتأثر المؤمن بهذه الصفات ويستسلم لتلك العلل، دعاه النبى ρ إلى تطهير نفسه منها حتى لا تؤثر على إيمانه، وتضعف أو ربما تقضى على علاقته بإخوانه المؤمنين. ومن هذه الآفات:
***الشح والبخل**: والذي يدفع إليهما حب المال الزائد، فعندما يتمكن حب المال من الإنسان، ويسيطر على تفكيره وحياته فإنه يدفعه إلى أحد أمرين: إما إلى الإسراف والتبذير في الإنفاق والمتع الدنيوية، أو إلى الشح والبخل والتقتير على نفسه أو على من يعول، وإمساكه واكتنازه عن الإنفاق في سبيل الله عز وجل.
وإن كان هذا أو ذاك، فكلا الأمرين مرض يجب التخلص منه، وآفة لا تليق بمؤمن، ولا يرضى بها الإسلام، ولذا دعا النبى ρ إلى معالجة ذلك بالوسطية والاعتدال والاقتصاد في المعيشة والإنفاق ونهى عن الشح ففي المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: لا يجتمعان في النار اجتماعا يضر أحدهما الآخر مسلم قتل كافرا ثم سدد المسلم و قارب و لا يجتمعان في جوف عبد غبار في سبيل الله و دخان جهنم و لا يجتمعان في قلب عبد الإيمان و الشح ([1])
ثامنا :- تربيتهم على الاستقلالية وعدم التبعية: وتلك سمة بارزة في منهج النبي ρ مع المؤمنين، حيث رباهم على الاستقلالية، وقوة الشخصية، وعدم تبعية غير المسلمين وموالاتهم، وذلك لأنهم ينتمون لأمة عظيمة مجيدة، أمة قائدة بمنهجها، ورائدة بخصائصها، أمة عزيزة تغرس العزة في أبنائها. "لقد وجدت هذه الأمة لقيادة البشرية، فكيف تتلقى إذن من الجاهلية التي جاءت لتبدلها، ولتصلها بالله عز وجل ولتقودها بمنهج الله تعالى"[(2)].ا.هـ. عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه حتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه([3])
فقد بين ρ أن الأمة من بعده ستسلك نهج غيرها من الأمم الضالة عن دينها وسنن أنبيائها، وتسير على نفس طريقتهم، تفعل فعلهم، وتتخلق بأخلاقهم، وتضعف في إيمانها وولائها للدين. فعن ابن عباس أن رسول الله ρ قال: "لتركبن سنن من كان من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو أن

---

1 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الجهاد 82/2 ح 2394هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه و قد روي عن سهيل بن أبي صالح بإسنادين آخرين أحدهما عن صفوان بن أبي يزيد عن أبي اللجلاج عن أبي هريرة رضي الله عنه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم، ط دار العلم 1411

(2) في ظلال القرآن سيد قطب 437/1.

3 - المستدرك للحاكم ك الفتن والملاحم 502/4 ح 8404، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه"[1]. ويمثل هذه الأحاديث بوجه النبى ρ المؤمنين إلى ضرورة الاستقلالية، ويكشف لهم عن أن التبعية ليس من ورائها خير أو نفع، ومن ثم فعليهم أن لا يتبعوا غير المؤمنين، وأن يكونوا على يقين بأن في عقيدتهم ومنهجهم، وقيادتهم، الغناء عن مشورة أعدائهم وإتباع أفكارهم، رأياً مستقلاً في نواحي حياتهم.

تاسعا:- تربيتهم علي الاستقامة فالإيمان بالله تعالي لا بد معه من المواظبة علي الاستقامة والسعي الجاد في تحقيقها علي أرض الواقع، والتخلق الكريم بخلقها، ففيها الكثير من الطاعة لله تعالي، فلا يكمل الإيمان لله تعالي إلا بالاستقامة، وفيها الخير للإنسان في الدنيا والآخرة قال تعالي (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ)[2]

)إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[3] فقد حث الإسلام أتباعه علي الاستقامة لكل ما فيه طاعة لله عز وجل: فالإيمان بالله عز وجل لا يعنى مجرد النطق باللسان، ولا يكون بالتزام الفرد في جانب أو في وقت، وعدمه في جانب آخر، أو في وقت آخر.. بل إن الإيمان لا يكمل إلا بدوام الاستقامة على كل ما أمر الله عز وجل به.

ولذلك حرص النبي ρ على تربية المؤمنين على الاستقامة بأوسع معانيها. فعن عبد الله قال: خط رسول الله صلى الله عليه و سلم خطا و خط عن يمين ذلك الخط و عن شماله خطا ثم قال: هذا صراط ربك مستقيما و هذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله } [4]

وقد أوصيρ بالاستقامة وحسن الخلق فعن عبد الله بن عمر: أن معاذ بن جبل أراد سفرا فقال: يا رسول الله أوصني قال: أعبد الله و لا تشرك به شيئا قال: يا رسول الله زدني قال: إذا أسأت فأحسن قال: يا رسول الله زدني قال: استقم و لتحسن خلقك [5] فمع الحكم والملك تكون الاستقامة علي حدود الله تعالي وطاعته .

وعن عبد الله بن عمرو أن معاذ بن جبل أراد سفرا فقال: يا رسول الله أوصني قال: أعبد الله و لا تشرك به شيئا قال: يا رسول الله زدني قال: إذا أسأت فأحسن قال: يا رسول الله زدني قال: استقم و لتحسن خلقك (6)

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 455/4 وقال: صحيح، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمى فى المجمع 261/7: رواه البزار ورجاله ثقات ا.هـ.

2 - سورة فصلت الآية :30)

3 - سورة الآحقاف الآية:13)

4 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك قراءات النبي ρ 261/2 ح 2938. هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

5 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الإيمان 121/1، ح 179، 7616 هذا حديث صحيح الإسناد من رواية البصريين و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح الإسناد

6 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك التوبة والإنابة 272/4، 7616هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح .

وأوصي بالايمان بالله والاعتراف بوحدانية، ثم الاستقامة علي كلمة التوحيد، والثبات علي مباديء الإيمان بالله تعالي، فعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال: قل ربي الله ثم استقم قال: قلت يا رسول الله ما أكثر ما أخاف علي ؟ قال: فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا(1)

عاشرا:- الحث علي الجهاد في سبيل الله تعالي، وبث هذه الروح الإيمانية في نفوس المؤمنين، والاستعداد الدائم للدفاع عن الدين والأرض والعرض، والحرص علي رفع راية الدين، فلا بد للإسلام من قوة تحميه ودار حصينة تؤويه، وبذل كل ما في الوسع من نفس ومال في سبيل تحقيق ذلك، وهذا ما ربي عليه رسول الله ρ المؤمنين عليه، حتى أصحبت للدين دولة.

وقد رغبهم الرسول في الجهاد، وبين لهم انه من أفضل الأعمال والطاعات عند الله تبارك وتعالي، فعن عبد الله قال: سألت ρ أي العمل أفضل ؟ قال: الصلاة في أول وقتها قلت: ثم أي ؟ قال: الجهاد في سبيل الله قلت: ثم أي ؟ قال: بر الوالدين ([2]).

وقد بينت الأحاديث الشريفة كذلك أن ترك الجهاد في سبيل الله تعالي هو التهلكة والخسران وضياع كل ما لدي الإنسان، فعن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية و على الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و الروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذا الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه و أظهر الإسلام قلنا هلم نقيم في أموالنا و نصلحها فأنزل الله عز و جل { و أنفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا و نصلحها و ندع الجهاد قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية ([3]).

وبين ρ أن الجهاد لا بد وأن يمتاز بالإخلاص لله تعالي لا يشوبه شرك أو رياء والا كان مردودا علي صاحبه، فالله تعالي لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجه الكريم، ولون كان ذلك في الجهاد، الذي يموت فيه الناس ويهلكون، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلا قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله و هو يبتغي عرضا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا أجر له فسأله الثانية و الثالثة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا أجر له. ([4])وقد بين ρ جزائهم في الآخرة عند الله تعالي، وأنهم مكرمون، وان الله تعالي تولي البلاغ عن أحوالهم، وما هم فيه من خير، وفي ذلك أعظم الأثر الذي تشتاق إليه النفس البشرية، فإذا علم الإنسان أن مصيره معلوم وانه سينال هذا الجزاء، لا بد انه سيسعى جاهدا لتحصيله والظفر به، اعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير

---

1 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الرقاق 349/4، 7874 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

2 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك مواقيت الصلاة 300/1 ح 674 تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرطهما طـ دار العلم بيروت.

3 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الجهاد 94/2 2434، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم

4 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الجهاد 94/2 ح 2436 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها و تأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم و مشربهم و مقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا أنا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد و لا ينكلوا عن الحرب فقال الله تبارك و تعالى: أنا أبلغهم عنكم و أنزل الله { و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا } ([1]).

بيان منزلة الشهيد في الجنة:- فقد بين ρأن الشهيد في أعلي درجات الجنة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: من رضي بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد رسولا و جبت له الجنة قال أبو سعيد: فحمدت الله و كبرت و سررت به فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: و أخرى يرفع الله بها أهلها في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء و الأرض أو أبعد ما بين السماء و الأرض قال: قلت و ما ذاك يا رسول الله ؟ قال: الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله ([2])

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدفع إلى ترك الخوف من ملاقاة الأعداء حرصا على الحياة، واستبدال ذلك بالحرص على الاستشهاد في سبيل الله عز وجل، لما لمنزلة الشهيد عند الله عز وجل.

وقد أثرت هذه التربية في المؤمنين على عهد رسول الله ρ، فكانوا يبذلون في النفس والمال، وقدموا أروع الأمثلة للجهاد في سبيل الله، حيث كان منهم يلح في طلب الشهادة والموت في سبيل الله تعالي .

وقد كانت هناك بشارات نبوية كريمة، تبين وعد الله تعالي بالنصر والتمكين للمؤمنين، من شأنها أن تفتح باب الأمل في نفوس المجاهدين، وتجعلهم يتطلعون إلي مستقبل أفضل لدينهم شريطة، أن يعملوا جاهدين علي الإعداد لها، والحصول عليها..

ومما سبق يتبين منهج النبى ρ مع المؤمنين، ولا أدعى بأن هذه العناصر هي كل المنهج، بل غيرها كثير مما يمكن استنباطه من سنة النبى ρ. ولكن هذا ما يسره الله عز وجل لي من استنباط لمنهج النبى ρ من خلال الأحاديث النبوية التي تخاطب فئة المؤمنين. والجدير بالذكر أن هذا المنهج موجه إلى عامة المؤمنين إلى قيام الساعة، فعلى أهل الإيمان في كل عصر أن ينظروا في هذا المنهج، وأن ينتفعوا بما فيه كما انتفع أسلافهم من السابقين.

المطلب الثاني:

المنهج النبوي الشريف في دعوة المنافقين:

كما جاء في كتب السنة النبوية ومنها المستدرك للحاكم النيسابورى.

من تأمل منهج النبى ρ مع المنافقين وقف على عدة حقائق من أهمها:

الأول:أنه ρ عامل المنافقين بحكمة بالغة، ضيعت عليهم فرصة الصدام والمواجهة المباشرة مع المؤمنين، وقللت من حجم المخاطر والأهوال التي كانوا يعدونها للإسلام وأهله، وعاملهم بنفس الطريقة التي يستخدمونها من ستر وخفاء، فقد عاملهم النبي ρ معاملة المستتر المجهول إهمالا لهم وتجاهلا لكيانهم. وقد امتثل بهذا أسلوب القرآن الكريم في دعوتهم وخطابهم.

الثانية: تنبيه المسلمين وتحذيرهم من شرور المنافقين وتأكيده دوم علي ذلك الأمر، ومتابعته الشديدة له.. ففي الحديث الذي رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه و

---

1 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الجهاد 97/2 ح 2444 هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم.

2 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الجهاد 101/2 ح 2461 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

سلم قال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا يظهر النفاق و ترفع الأمانة و تقبض الرحمة و يتهم الأمين و يؤتمن غير الأمين.....) (1)

الثالثة: استخدام أقصي درجات الحيطة والحذر في معاملتهم.

الرابعة:- توجيه دعوته إلي ترك النفاق وتنفير الناس منه بطريقة الاستعاذة بالله من النفاق شره. عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من العجز و الكسل و الجبن و البخل و الهرم و القسوة و الغفلة و العيلة و الذلة و المسكنة و أعوذ بك من الفقر و الكفر و الفسوق و الشقاق و النفاق و السمعة و الرياء و أعوذ بك من الصمم و البكم و الجنون و الجذام و البرص و سيء الإسقام (2).

الخامسة : ذكر بعض أوصاف النفاق بقصد التنفير منه:-

فقد استخدم النبي ذلك الأسلوب في معالجة النفاق دون التصريح بأسماء أصحابه ولكنه اكتفي بذكر الأوصاف حتى ينبه المدعوين إليها فيتخلوا عنها إن كانت فيهم، ويبعدون عنها وعمن تلبسوا بها ، ويحمل هذا الأسلوب في طياته الحد من انتشار الجريمة بين الناس وتحجيم اصحابها ، بلفت انظارهم الي عيوبهم بذكر اوصافهم التي ذمها الإسلام دون التصريح باسمائهم أو احراجهم علانية في اوساط المجتمع .

وكان القصد من ذلك تضيق الخناق علي النفاق ومن مارسوه، وإرشاد المدعوين إلي ما يجب الحذر منه، وترك الباب مفتوحا أمام من كان عنده بقية من عقل أو دين، للعودة إلي رحاب الإيمان بالله تعالي، والتخلي عما هو فيه، ولعل ذلك هو السبب الرئيس في استخدم أسلوب الستر عليهم وعدم فضحهم والتشنيع بهم علانية، ومعالجة الأمر بأسلوب مخفي مستور دون التصريح بأسمائهم ، فربما كان في التصريح والإعلان فرصة للتمادي في ممارسة الفعل والتفنن فيه فلا سبيل لصاحبه ولا أمل في الرجعة الي سبيل المؤمنين .

وقد أشار إلى ذلك الدكتور محمود عبد السميع شعلان – رحمه الله – في قوله: "لقد كانت شناعة النفاق، وخسة المنافقين تبدو في أحرج المواقف حين يكون المسلمون في حاجة إلى جمع الكلمة، وتوحيد الصف، فيظهر هؤلاء محاولين فك رباط الجماعة، وكسر وحدة المسلمين، والنيل من رسول الله ρ. وبينما يقع منهم كل ذلك، نجد رسول الله ρ يسوس الأمر سياسة حكيمة، فيفوت على المنافقين قصدهم"(3).

فعلى هذه الحقائق السالفة ارتكز منهج النبى ρ في دعوة ومعاملة المنافقين، وسيبدو ذلك – للقارئ الكريم – من خلال هذا التصور الذى استنبطه لمنهج النبى ρ مع المنافقين من واقع ما ورد في السنة القولية والفعلية. ولا أدعى الدقة الكاملة لهذا المنهج، أو الجزم بأنه بعينه الذى سلكه النبى، ولكنه اجتهاد واستنباط يحتمل الصواب والخطأ، وأسال الله عز وجل أن أكون قد أصبت في استنباط.

ويتلخص هذا المنهج فيما يلي:

أولا- دعوتهم – كغيرهم – إلى الإيمان الخالص: حيث لم يكف النبى ρ عن الدعوة إلى الإيمان الخالص بالله عز وجل، وظل يتعهد من أعلن دخوله في الإسلام بما يعينه من نصائح وإرشادات

---

1 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الأهوال 622/4 ح 8725، ط دار العلم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح

2 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك - الدعاء والتكبير 712/1 ح. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه 1944.

(3) معالم من المنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى: صـ 94. مطبعة الأمانة 1405هـ - 1985م.

لتحقيق الإيمان الخالص، وتطهيره من الشوائب، والمنافقون بلا شك كانوا من هؤلاء حيث أعلنوا ألسنتهم الدخول في الإسلام، فصح أن تكون هذه الدعوة بتحقيق الإيمان الخالص لله عز وجل قد وجهت إليهم كغيرهم من المؤمنين الصادقين الذين استجابوا لله ورسوله واستقاموا على ذلك.

ثانيا:- المداراة(1): حيث كان النبى ρ يداريهم ويلين لهم القول اتقاء شرهم وفحش قولهم.

وتبدو هذه الجزئية من منهجه ρ مع المنافقين فيما روته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رجلا استأذن على النبى ρ فقال: "ائذنوا له. فلبئس ابن العشيرة، أو بئس رجل العشيرة". فلما دخل عليه الآن له القول. قالت عائشة: فقلت يا رسول الله: قلت له الذى قلت، ثم ألنت له القول؟ قال: " يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه، أو تركه الناس اتقاء فحشه"(2). وفى هذا الحديث جواز مداراة من يتقى فحشه وجواز غيبة الفاسق المعلن فسقه ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه(3).

قال ابن بطال(4): المداراة من أخلاق المؤمنين وهى خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك المغالاة لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة. والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذى يظهر على الشئ ويسفر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه. والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهى عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولاسيما إذا احتيج إلى تأليفه ونحو ذلك.ا.هـ.

وقيل في الفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا، والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا، والنبى ρ بذل له – أي لهذا الرجل -(5) من دنياه حسن العشرة وطلاقه الوجه، ولم يرو أنه مسحه(1)...ا.هـ.

---

(1) المداراة: قال ابن الأحمر: إنه يهمز ولا يهمز يقال: داراته مداراة، وداريته إذا اتقيته ولاينته ا.هـ وقال أبو منصور: من همز فمعناه: الاتقاء لشره، ومن لم يهمز جعله من دريت بمعنى ختلت ا.هـ. وعليه فالمداراة بغير همز، وأصله من الهمز لأنه من المدافعة، والمراد به الدفع برفق ا.هـ. راجع: لسان العرب 1347/2 وفتح الباري 528/10.

(2) أخرجه البخارى في الصحيح، كتاب الأدب، باب لم يكن النبى ρ فاحشا ولا متفحشا 15/8، وباب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب 20/8.

(3) راجع: صحيح مسلم بشرح النووى 144/16 "تقدم" وشرح صحيح مسلم للإمام الأبي المسمى: إكمال إكمال المعلم 38/7 مكتب طبرية الرياض "بدون".

(4) فتح الباري 528/10.ابن بطال: هو العلامة أبو الحسن على بن خلف بن بطال البكرى القرطبى ثم البلنسى ويعرف بابن اللجام: شارح صحيح البخارى كان من أهل العلم والمعرفة، عنى بالحديث العناية التامة، توفى سنة (449هـ) ا.هـ. من مصاد ترجمته: سير أعلام النبلاء 47/18(20)، وشذرات الذهب 283/3، والعبر 394/2.

(5) هذا الرجل عن عيينة بن حصن، ولم يكن أسلم حينئذ، - ففيه أنه لا غيبة في فاسق ولا مبتدع – وإن كان قد أظهر الإسلام فيكون عليه السلام أراد أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حاله. قال القاضي: وكان منه في حياة النبى ρ وبعده ما دل على ضعف إيمانه، وارتد مع المرتدين، وجيئ به أسيرا إلى أبى بكر

ثالثا - تفويت الفرصة عليهم وخمد فتنتهم: وهذا من تمام حكمته ρ في التعامل مع النفاق والمنافقين، الذين كانوا أشد خطرا على الدعوة من أعلنوا الكفر الصريح. فهم كانوا بين المسلمين وينسمون في صفوفهم، يطلعون على كل أمورهم، ويعرفون * أحوالهم وشئونهم.. ومن لم كان سهلا لهم أن يبثوا الفتنة في صفوف المسلمين.

وكان من منهجه ρ معهم تفويت الفرصة عليهم وخمد حتى لا تؤثر على الدعوة، وتعكر صفو الجماعة المؤمنة. ويتضح ذلك من خلال مواقف متعددة لرسول الله ρ منها على سبيل المثال: موقفه ρ مع زعيم المنافقين – عبد الله بن أبى – في غزوة بنى المصطلق:

يقول ابن هشام : بلغ رسول الله ρ أن بنى المصطلق يجمعون له.. فلما سمع رسول الله ρ بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع.. فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بنى المصطلق.. فبينا رسول الله ρ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار، يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبد الله بن أبى بن سلول وعنده رهط بن قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أو قد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ثم أقبل على من حضر قومه فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ρ، وذلك عند فراغ رسول الله ρ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال له رسول الله ρ "فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه : لا ، ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ρ يرتحل فيها، فارتحل الناس. وقد مشى عبد الله بن أبى سلول إلى رسول الله ρ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه، فحلف بالله ما قال. ولا تكلمت به.

وكان في قومه شريفاً عظيماً، فقال من حضر رسول الله ρ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال، حدبا على بن أبى بن سلول، ودفعا عنه.

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله ρ وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحياة بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبى الله، والله قد رحت في ساعة منكرة، ما كنت تروح في مثلها: فقال له رسول الله: أو بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال عبد الله بن أبى، قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، وهو الله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله أرفق به، فو الله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد إستلبته ملكاً.

رضى الله عنه، ووصف النبى ρ بأنه بأنه بئس أخو العشيرة، من أعلام النبوة لأنه ظهر كما وصف، وإنما ألان له الآن له القول تألفا له ولأمثاله على الإسلام. هـ. راجع: صحيح مسلم بشرح النوى 144/16 وشرح صحيح مسلم للإمام 38/7.

(1) راجع: شرح صحيح مسلم للإمام الأبي 38/7 "تقدم": والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: للقرطبى 573/6 دار ابن كثير دمشق – بيروت – دار الكلم الطيب. دمشق. بيروت. الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م. تحقيق محى الدين ديب مستو وآخرون.

ثم مشى رسول الله ρ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى أذانهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما.
وإنما فعل ذلك رسول الله ρ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى..... ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبى ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسول الله ρ بأذن زيد بن أرقم، ثم قال: "هذا الذى أوفى الله بأذنه" وبلغ عبد الله بن عبد الله ابن أبى الذى كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ρ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلا فمرنى به. فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى، وإنى أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعنى نفسى انظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى في الناس، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله ρ: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا. وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ρ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت أقتله. لأرعدت له أنف. لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته، قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ρ أعظم بركة من أمري[1]. وفي المستدرك للإمام الحاكم النيسابوري ، عن أبي سعيد الأردي ثنا زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و كان معنا ناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء و كان الأعراب يسبقونا فيسبق الأعرابي أصحابه فيملأ الحوض و يجعل حوله حجارة و يجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع حجرا ففاض فرفع الأعرابي خشبة فضرب بها رأس الأنصاري فشجه فأتى عبد الله ابن أبي رأس المنافقين فأخبره و كان من أصحابه فغضب عبد الله ابن أبي ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى ينفضوا من حوله ـ يعني الأعراب ـ و كانوا يحدثون رسول الله صلى الله عليه و سلم عند الطعام فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدا للطعام فليأكل هو و من عنده ثم قال لأصحابه : إذا رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل قال زيد : و أنا ردف عمي فسمعت عبد الله و كنا أخواله فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فحلف و جحد و اعتذر فصدقه رسول الله صلى الله عليه و سلم و كذبني فجاء إلى عمي فقال : ما أردت أن مقتك رسول الله صلى الله عليه و سلم و كذبك و كذبك المسلمون فوقع علي من الغم ما لم يقع على أحد قط فبينا أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في سفره و قد خفقت برأسي من الهم فأتاني رسول الله صلى الله عليه و سلم فعرك أذني و ضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد أو الدنيا ثم أن أبا بكر لحقني فقال : ما قال لك رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ قلت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا غير أنه عرك أذني و ضحك في جهي فقال : أبشر ثم لحقني عمر فقال : ما قال لك رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ فقلت له مثل قولي لأبي بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة المنافقون : { إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله } حتى بلغ { الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا } حتى بلغ { ليخرجن الأعز منها الأذل } ([2])

---

(1) السيرة النبوية: لابن هشام 205/3 – 208 باختصار وتصرف يسير.

2 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك تفسير سورة المنافقين 531/2 ح 3812. قد اتفق الشيخان على إخراج أحرف يسيرة من هذا الحديث من حديث أبي إسحاق السبيعي عن زيد بن أرقم و أخرج البخاري متابعا

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ρ في غزاة، قال سفيان: يرون أنها غزوة بنى المصطلق، فكسع رجل من المنافقين رجلا من الأنصار، فسمع ذلك النبى ρ فقال: "ما بال دعوى الجاهلية؟" قال: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال النبى ρ: "دعوها فإنها منتنة"[1].

رابعاً:- ستر الأسماء مع الكشف عن الصفات:فالله سبحانه وتعالي يحب الستر فالنبى ρ وإن كان قد كشف عن بعض صفات المنافقين – بجانب ما كشفه القرآن الكريم عن حقيقتهم وعن نواياهم الخبيثة – كي يحذرهم المؤمنون، إلا أنه ρ لم يكشف عن كل أسمائهم لجميع الصحابة. وذلك – فيما أرى والله أعلم – **لعدة أمور من أهمها:**

الأول:- منح المنافين الفرصة للعودة إلي الدين ومراجعة النفس، والعودة إلى الإيمان الحقيقي كغيرهم من المؤمنين الصادقين. خصوصا وأنهم مستورين غير معروفين لغير رسول الله ρ ومن خصه من أصحابه بمعرفة أسمائهم.

الثاني :- حماية الصف المسلم من الشك وعدم الثقة، حيث لو أعنت أسماء المنافقين وعلم البعض بأن الشخص الذى كان يثق فيه وفى إيمانه ومعاملاته من عداد المنافقين، لأدى ذلك إلى حالة من الشك وعدم الثقة، مما يؤدى إلى إضعاف الصف المسلم.

الثالث:- الحرص علي عدم ظهور عوامل الفرقة والاختلاف، وكثرة العداوات والجبهات،

ومما يؤكد أن النبي ρ قد ستر أسماء المنافقين ما رواه حذيفة رضى الله عنه قال: قال النبى ρ: "في أصحابي اثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[2]...". وفى رواية: "في أمتي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها[3].." ففي الحديث ذكر للعدد لا للأسماء.

وفى هذا تعليم للمؤمنين بالستر على من نطق بالشهادتين وعدم التشهير به وفضحه على الملأ مهما كانت درجة معصيته – إلا بما يحقق مصلحة للإسلام والمسلمين – وذلك حتى لا تعم الفوضى داخل المجتمع المسلم.

خامساً :- الإحسان إليهم الشفقة عليهم ما لم يترتب على فعلهم ضرر: فرغم المواقف المتكررة من المنافقين في الإساءة والاستهزاء برسول الله عز وجل، ومحاولة إثارة الفتن في المسلمين إلا أنه ρ كان يتسم في منهجه معهم بالرفق والرأفة واللين، فلم يعاملهم بمثل معاملتهم، ولم يقبل عرض من تطوع بضربهم أو قتلهم. ويشهد ذلك سنته ρ العملية مع المنافقين.

سادسا :- الإمساك عن قتلهم حفاظا على مسار الدعوة: فلم يسمح النبي ρ بقتل أحد من المنافقين باعتبارهم ممن نطق بالشهادتين. وكان كلما صدر منهم ما يثير أصحابه ويدفعهم إلى الثورة على أحدهم هدأ من ثورتهم، ولم يشجع الاعتداء عليهم. ويشهد لذلك مواقف كثيرة منها: لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله: دعنى أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ρ:

لأبي إسحاق من حديث شعبة عن الحكم عن بمحمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم و لم يخرجاه بطوله و الإسناد صحيح تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح وأخرجا منه

(1) أخرجه البخارى في الصحيح، كتاب التفسير (قوله: إذا جاءك المنافقون) 191/6.

(2) أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب صفات المنافقين 2143/4 (2779) وغيره.

(3) أخرجه مسلم في الصحيح، الموضع السابق 2144/4.

"دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه"[1]. والنماذج علي ذلك كثيرة جدا ،
وفى بيان علة الإمساك عن قتل المنافقين: قال الإمام الشافعي: وإنما منع رسول الله عز وجل من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم، لأن ما يظهرونه يجب ما قبله[2].ا.هـ.
ويؤيد هذا قوله ρ: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها منعوا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى"[3]. "ومعنى هذا أن من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهرا، فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدار الآخرة، وإن لم يعتقدها لم ينفعها جريان الحكم عليه في الدنيا وكونه كان خليط أهل الإيمان"[4].
وقال الإمام مالك : وإنما كف رسول الله ρ عن المنافقين ليبين لأمته أن الحاكم لا يحكم بعمله إذ لم يشهد على المنافقين[5]. ا.هـ. وقال الإمام ابن كثير: خشية أن يقع بسبب ذلك تغير لكثير من الأعراب عن الدخول في الإسلام ولا يعلمون حكمة قتله لهم، وأن قتله إياهم إنما هو على الكفر، فإنهم إنما يأخذونه بمجرد ما يظهر لهم، فيقولون: إن محمدا يقتل أصحابه[6].
ويفهم من هذا أن النبى ρ قد سلك هذا في منهجه مع المنافقين "حفاظا على مسار الدعوة، وصيانة لشخصه ρ عن أن تحيط به الاتهامات، أو تثور حوله الشبهات، فإن لهؤلاء المنافقين أشباها في أنحاء مختلفة من جزيرة العرب، ولو سمعوا بمقتل تلك الفئة الباغية لاتهموا رسول الله ρ بأنه ينقلب على أصحابه، فيقتلهم بعد أن قاتل بهم، ودانت له العرب. والإرجاف على هذا النحو ليس لمصلحة الدعوة التي تحتاج كل يوم إلى أنصار جدد يؤمنون بها. ويعتنقونها حتى يبلغ دين الله ما شاء الله – تعالى – له أن يبلغ من المشارق والمغارب"[7]. ا.هـ.

المطلب الثالث:-
المنهج النبوي الشريف في دعوة أهل الكتاب:
من خلال كتب السنة النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم.
إذا كان ما سبق يبدو منه أنه خاص بمن آمن بدعوة النبى ρ، فهو لا يعنى أن السنة النبوية لم يكن لها اهتمام بغيرهم، بل اهتمت بجميع أصناف المدعوين، ولذا لم ينقطع النبى ρ عن دعوة غير المؤمنين أملا في هدايتهم. وبالتأمل في منهج النبى ρ مع أهل الكتاب يتبين أنه قد مر بمرحلتين رئيسيتين وهما:
أ- بداية التعامل معهم. ب- حسم الصراع الفكري والحربي.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوة الجاهلية 223/4 وفى التفسير قوله {إذا جاءك المنافقون} 192/6، 193.

(2) ذكره القرطبى في تفسيره 200/1.

(3) أخرجه بهذا اللفظ – أبو داود في السنن، كتاب الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون 101/3 (2640) عن أبى هريرة رضى الله عنه وهو عند البخارى ومسلم. كما سبق تخريجه صـ 189.

(4) راجع: تفسير ابن كثير 49/1.

(5) ذكره القرطبى في تفسيره 199/1.

(6) راجع المرجع السابق: تفسيره 48/1.

(7) راجع: معالم من المنهج النبوي د.محمود عبد السميع شعلان صـ 102.

أما المرحلة الأولي : فقد وضع فيها النبى ρ أسس التعايش السلمي من خلال وثيقة المدينة وكان التعامل معهم يتسم بالرفق واللين "ذلك أن معاملة الخصوم إنما هو لون غير مباشر من ألوان الدعوة تقتضى الحكمة، وكل أشكال المعاملة المترفقة التي تذهب الشحناء وتزيل الإحن[1] من قلوب هؤلاء المكذبين المنكرين.. وهم ينبغى أن يكونوا أقرب إلى المسلمين من مشركى العرب، لذلك كانت معاملتهم في النهاية تختلف عن معاملة المشركين"[2].ا.هـ.

وأما المرحلة الثانية : فقد وقف معهم النبى ρ مواقف حازمة وحاسمة، وتصدى لفكرهم الخبيث وكيدهم ومكرهم بدعوة الله عز وجل، وتعامل معهم باللغة التي لا ينزجرون ولا يرتدعون بغيرها حسما للموقف، وإعلاء وإعزاز لكلمة الله عز وجل لتبقى دائماً هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

وجدير بالذكر "أن الرسول ρ لم يلحق بأهل الكتاب عنتا ولا شدة إلا إذا كانوا هم البادئين بالمكر برسول الله ρ وبالمؤمنين[3] ا.هـ. وفيما يلي بيان ذلك:

أولا: بداية التعامل معهم : وبتتبع ما ورد في السنة النبوية يمكن تحديد معالم منهجه ρ معهم في هذه المرحلة وذلك من خلال النقاط التالية:

الأولى- دعوتهم إلى توحيد الله عز وجل وعبادته : فدعوته ρ للناس كافة، وهى تقوم على توحيد الله عز وجل وعبادته وحده لا شريك له، ولذا بدأ النبى ρ بهذا الأصل مع أهل الكتاب كغيرهم من سائر المدعوين.

وقد كان النبي ρ في دعوتهم لذلك واضحا معهم غاية الوضوح حتى لا يأتي أحدهم في وقت من الأوقات ويفتري عليه ρ بأنه قد ادعى لنفسه الألوهية كما يزعمون في عيسى بن مريم، أو أنه ρ قد أقرهم ووافقهم على عقيدتهم الفاسدة. ويبدو ذلك واضحا في كتابه ρ على النجاشي ملك الحبشة عن ابن إسحاق قال : كان اسم النجاشي مصحمة و هو بالعربية عطية و إنما النجاشي اسم الملك كقولك كسرى و هرقل قال ابن إسحاق : هذا كتاب من النبي صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الجيش سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة و لا ولدا و أن محمدا عبده و رسوله أدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول فأسلم تسلم { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله } الآية فإن أبيت فعليك إثم النصارى "[4].

وقد احتوى هذا الكتاب على دعوة واضحة غاية الوضوح وهى دعوة النجاشي وقومه بدعاية الإسلام أي بدعوته وهى كلمة التوحيد.

---

(1) الإحن: الإحنة: الحقد والضغن (ج) إحن. يقال: إن الإحن تجر المحن. أحن عليه أحنا وأحنا: حقد فهو أحن ا.هـ. راجع: المعجم الوسيط 8/1.

(2) راجع معالم من المنهج النبوي د.محمود عبد السميع شعلان: صـ 108.

(3)راجع معالم من المنهج النبوي د.محمود عبد السميع شعلان: صـ 108.

(4) - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الهجرة الأولي إلي الحبشة 679/2 ، ح 4244 . لم يتابع محمد بن إسحاق القرشي على اسم النجاشي أنه مصحمة فإن الأخبار الصحيحة المخرجة في الكتابين الصحيحين بالألف و الكتاب إليه في كتاب رسول الله

ونحو ذلك أيضا كتب ρ إلى كسرى – وهو لقب لكل ملك من ملوك الفرس – وقيصر – وهو لقب لكل ملك من ملوك الروم – وغيرهما من ملوك الكفار. وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تدل على ذلك.

الثانية : تذكيرهم بميثاق أنبيائهم بالإيمان به ρ ونصره: فقد نص القرآن الكريم على أن الله عز وجل قد أخذ عهدا وميثاقا على أنبيائه ورسله جميعا – ومنهم أنبياء بنى إسرائيل – أن يؤمنوا بمحمد ρ إن أدركوا حياته. وذلك في قول الله عز وجل: {وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (*) فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون}[1].

فكان من منهج النبي ρ مع أهل الكتاب تذكيرهم بهذا الميثاق والتأكيد لهم على أن رسلهم لو أدركوا حياته ρ .

وعلى ذلك فإن كان أهل الكتاب صادقون في إتباعهم لرسلهم، - وقد أخذ الله عز وجل عليهم العهد والميثاق بالإيمان به ρ وإتباعه إن أدركوا حياته - فمن باب أولى أن يدعوا الإصرار على الباطل وأن يؤمنوا بالنبي ρ ويتبعوه. خاصة وأن النبي ρ قد رغبهم في ذلك بقوله: "ثلاثة لهم أجران:رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ρ.."[2] وفى رواية: ".. وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران.." [3].

الثالثة: حسن معاملتهم :- ولا غرابة في ذلك، فرسول الله ρ كان مضرب المثل في الرفق واللين حين دعا أهل الكتاب إلى التوحيد، وإلى الإيمان بالدين الذى بعثه الله عز وجل. "وتتجلى حسن معاملة الرسول ρ لأهل الكتاب في عدة صور من أبرزها :

أ- قبول هديتهم **:** وفى ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه (: أن امرأة يهودية دعت ρو أصحابا له على شاة مصلية فلما قعدوا يأكلون أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم لقمة فوضعها ثم قال لهم: امسكوا إن هذه الشاة مسمومة فقال لليهودية : ويلك لأي شيء سممتني قالت : أردت أن أعلم إن كنت نبيا فإنه لا يضرك و إن كان غير ذلك أن أريح الناس منك و أكل منها بشر بن البراء فمات فقتلها رسول الله صلى الله عليه و سلم[4]". "عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن يهودية أهدت شاة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم سميطا فلما بسط القوم أيديهم قال لهم النبي صلى الله عليه و سلم كفوا أيديكم فإن عضوا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة قال : فأرسل إلى صاحبتها فقال : أسممت طعامك هذا قالت : نعم أحببت إن كنت كاذبا أن أريح الناس منك و إن كنت صادقا علمت أن الله

---

(1) سورة آل عمران: الآيتان (81، 82).

(2) أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله 35/1.

(3) أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب النكاح، باب اتخاذ السرارى 7/7 عن أبى بردة عن أبيه رضى الله عنهما.

(4)المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك مناقب بشر بن البراء 242/3 – 4967. صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: سكت عنه الذهبي في التلخيص

سيطلعك عليه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اذكروا اسم الله و كلوا فأكلنا فلم يضر أحدا منا شيئا"([1])

فأكله ρ من هذه الشاة دليل على قبول هديتهم، وهو دليل على حسن معاملتهم من رسول الله ρ، وفى ذلك إشارة إلى أنه ρ كان إلى هذا الحد يريد أن يؤلف قلوب أهل الكتاب، فقد ألان لهم القول والمعاملة بغية أن يهتدوا، وأن يذعنوا للحق الذى يدعوهم إليه، إلا أنهم لم يكونوا أهلا لذلك، ولم يقدروا معاملته ρ لهم قدرها، وقابلوا ذلك بالغدر والمكر.

ب- الصلح والمعاهدات معهم **:-** وهو قمة حسن معاملته ρ لهم، فرغم مواقفهم المتكررة تجاه النبي ρ وأتباعه ودعوته، ورغم إنكارهم وجحود هم إلا أنه ρ أبرم معهم الصلح والمعاهدات، فهم – بحكم أنهم أتباع كتب سماوية – يعتبرون أقرب إلى المسلمين من مشركى العرب، لذلك كانت معاملتهم تختلف عن معاملة المشركين. قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ρ كتابا بين المهاجرين والأنصار، ضمن فيه لليهود حقوقهم ،وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبى ρ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس،..الخ([2]).

ومجمل المعاهدة أن النبى ρ - كما ذكر ابن إسحاق – شرط عليهم فيها، وشرط لهم، وأنه ρ قد منحهم حقوقهم كاملة من حيث صيانة حياتهم، وحرية عقيدتهم، وأعطاهم حق الأمان.

"وبمقتضى هذه الوثيقة أصبحت المدينة حرما آمنا، وأصبح كل من المسلمين واليهود فى أمن من جانب الآخر، وأصبح اليهود ملزمين بمعاونة المسلمين إذا ما دهم المدينة عدو، وعدم مساعدة المشركين ومناصرتهم ضدهم([3])."ا.هـ.

"وأقام الرسول ρ والمسلمون على الوفاء ورعاية العهد، ولم يحدثوا ثغرة، ولم يأت منهم خلل.

أما اليهود فهم قوم لا عهد لهم ولا ذمة، فهم كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم – ذلك هو شأنهم دائما – وذلك كان شأنهم مع رسول الله ρ - أيضا. فقد أرادوا إشعال الفتنة بين الأوس والخزرج، وأرادوا تفتيت وحدة المسلمين، وكانوا ظهيرا للمنافقين، ولكل من ناصب رسول الله ρ العداء.

ولم يحل بهم ما جروه على أنفسهم من الويلات إلا بسبب صنيعهم، وخيانتهم للمسلمين، وتآمرهم على قتل رسول الله ρ([4]).."ا.هـ.

4-*تبادل الحوار معهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن*: فقد كان النبي ρ يبادل أهل الكتاب حواراتهم، ويرد على مجادلاتهم بغية أن يهتدوا ويعترفوا بالصواب بعد انكشافه وظهوره لهم، ويتبعوا الحق الذى جاء به من عند الله عز وجل.

إلا أنه ρ كان من منهجه معهم أنه كان يحاورهم، ويرد على مجادلاتهم بالتي هي أحسن حتى تكون له حجة، بل يقيمها هو عليهم.

ثانيا :- <u>حسم الصراع الفكري والحربي</u> : فقد كان لأهل الكتاب صراعهم الفكري الذى يقصدون من ورائه التشويش وإثارة الشبهات حول الإسلام، وتحريك الفتن بين المسلمين، وأيضا صراعهم الحربي

---

1 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الأطعمة 122/4 ح 7090، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

(2) السيرة النبوية لابن هشام 88/2.

(3) السيرة النبوية: أبو شهبة 42/2.

(4) معالم من المنهج النبوى د. محمود عبد السميع شعلان.109 .

والعسكري بهدف القضاء على الإسلام والمسلمين، أو على الأقل وقف المد الإسلامي وعدم تمكينه من الذيوع والانتشار.
ومن الطبيعي أن الرفق واللين وحسن المعاملة لا يناسب مثل هذه المواقف العدائية والعدوانية ومن ثم نجد النبي ρ يتعامل مع كل طائفة بما يصلحها ويلائمها، ومع كل مرحلة بما يناسبها، فكانت هذه المرحلة الثانية – فيما أتصور – من مراحل منهجه ρ مع أهل الكتاب، وهى تتسم إجمالا:
أ- بالتصدي لأفكارهم ومزاعمهم الفاسدة : حيث لم يتركهم النبي ρ يعتقدوا وينشروا ما أرادوا من فكر خبيث، بل تصدى لكل ما أرادوا طرحه بين الناس من قضايا وأفكار، بقصد أن يثبتوا لأنفسهم التميز والاستعلاء على غيرهم من الأمم والشعوب، والأفضلية المطلقة عند الله عز وجل دون غيرهم من خلقه. ومن صور ذلك على سبيل المثال، ما ذكره العلامة ابن كثير رحمه الله تعالي حيث قال في تفسيره.
"فهم - عليهم لعائن الله- لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى، دعوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم، أو من المسلمين. فلما نكلوا عن ذلك علم كل أحد أنهم ظالمون؛ لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك، فلما تأخروا علم كذبهم "[1]}.
وشواهد الغرور والكيد والكذب كثيرة جدا، تفضح خداعهم وجرم صنيعهم.
ب- إحكام السيطرة وبناء الدولة وتكوين الجيش وإظهار القوة، وإعلام الجميع أن الكلمة أصبحت لإسلام، دون ظلم أو غبن لأحد، ومن الثابت أن المهاجرين استقبلوا استقبالاً حسناً من إخوانهم المسلمين في المدينة، غير أن إقامتهم واستقرارهم وتدبير معيشتهم، كانت من الأمور التي تحتاج إلى تنظيم في مدينة يشكل اليهود جزءاً من سكانها، ويضمرون للمسلمين الحقد والكره والشر، مما يجعل من المتوقع أن يظهر غدر اليهود بالمسلمين في وقت من الأوقات، ويدعو إلى أخذ الحيطة والحذر، كما أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ترك وراءه في مكة عدواً لدوداً من المشركين المنكرين لدين الله الحق، وكان هذا العدو يتربص بالمسلمين الدوائر ويبيت في نفسه العدوان، فكانت حماية المسلمين في المدينة من عدوانه تحتاج إلى تثبيت الجبهة الداخلية في المدينة، وبنائها بناءً قوياً يستطيع الصمود في وجه الخطر الخارجي المتوقع،وكان من أول أعماله في المدينة إبرام المعاهدة السياسية بينه وبين اليهود وأن اليهود جماعة مستقلة، وأن المسلمين جماعة مستقلة، فلما غدر اليهود ونقضوا العهد كعادتهم ودأبهم سلط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار اليهودية وتغلغلوا فيه وأزالوهم عن المدينة وخيبر وتيماء، وزال سلطانهم وتدمر علوهم فكان ذلك من خلال معارك بني قريظة وبني النضير، ومعارك خيبر الشهيرة، وتأتي سورة الحشر لتأكد هذا المعنى في قوله تعالى في وصف معارك المسلمين مع اليهود في المدينة (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ)[2].
وكان الدافع إلي ذلك سوء معاملتهم، وتجريحهم، ومحاولة الكيد الدائم والمستمر بكل ألوانه وصوره للإسلام ورسوله وأهل بيته، ومن استطاعوا أن يكيدوا له من المسلمين، فكان الأمر إحقاقا للحق ووأدا للفتنة...

---

(1)تفسير ابن كثير 332/1. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ)المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة : الثانية 1420هـ - 1999

2 - سورة الحشر الآية 2.

وبالنظر في حال اليهود مع رسول الله ρ نجد أنه كان لكل فريق منهم موقف يحتاج إلى مثل هذا الأسلوب من التعامل.

مظاهر الشدة والقوة التي انتهجها النبي ρ في معاملة أهل الكتاب ودوافعها:-

وكان لهذا الأسلوب من التعامل مظاهر متعددة منها:

* وقد كان من أهم صفاتهم الخبيثة نبذ العهود والمواثيق، رغم ما تمتعوا به من عدل وإنصاف ومساومة في ظل القيادة الإسلامية، في دولة الإسلام بالمدينة وحكم النبي ρ إلا أن تلك العادات كانت تتأصل فيهم، وكانوا حريصين أشد الحرص علي الكيد للمسلمين والتخلص منهم في أقرب فرصة سانحة، لذا فقد تكرر ذلك الصنيع منهم مرات ومرات، ولعل من أهمها ما فعله يهود بنو قينقاع وهم الذين كانت بيوتهم تلاصق بيوت المسلمين داخل المدينة، ورغم ما لمسوه من حسن معاملة المسلمين التزاما بالمعاهدة هذه التي عندها الرسول ρ مع اليهود، إلا أنهم لما رأوا أن الله عز وجل قد نصر المؤمنين فى معركة بدر زاد حقدهم وكشفوا عن عداوتهم وكانوا أول من نكث العهد مع رسول الله ρ..

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قَيْنُقَاع وقال : " يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله ما أصاب قريشًا". فقالوا : يا محمد، لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) إلى قوله: (لَعِبْرَةً لأُولِي الأبْصَارِ).(1)(فمن الأمثلة على المكيدة الأولى: التظاهر بالدخول في الإسلام نفاقاً، ما تظاهر به بالإسلام بعض أحبار يهود من بني قَيْنقاع مثل: سعد بن حُنَيْف، وزيد بن اللُّصَيْت، ونُعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، ورافع بن حُرَيملة، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وسلسلة بن برهام، وكنانة بن صورياء، فقد أسلم هؤلاء نفاقاً للدسّ، ولكنهم أخفقوا في محاولاتهم وانكشفوا للمسلمين، فافتضح أمرهم، وأصبحوا يعرفون بالنفاق.

ومن أمثلة المكيدة الثانية: الدخول في الإسلام صباح النهار، والخروج منه آخره، ليقلّدهم العرب المسلمون في ذلك، كما فعل عبد الله بن ضيف، وعَديّ بن زيد من يهود بني قَيْنقاع، والحارث بن عوف وهو من يهود بني قُريظة، ولكن محاولتهم انكشفت للمسلمين، فعُرفوا بالنفاق، وحذر منهم المسلمون.

ومن أمثلة المكيدة الثالثة: أسئلة التعنّت والإحراج، أنّ رافع بن حُريملة، وهو حبر من أحبار يهود بني قَينقاع، ووهب بن زيد، وهو حبر من أحبار بني قُريظة، جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: »يا محمّد! ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهاراً، نتبعك ونصدّقك«. سؤالان يحملان معنى التعنّت، أراد اليهوديان بهما إحراج الرسول عليه الصلاة والسلام، وزعزعة ثقة المسلمين به في حالة عدم إجابتهما، ولكنّ هذه المحاولة لم تنل من ثقة المؤمنين، فوئدت في مهدها، وأخفقت إخفاقاً كاملاً.

وقد ضربنا مثلاً للمكيدة الرابعة: الحرب الدعائية، بما فعلوه بعبد الله بن سلام، الذي كان أحد أحبارهم، وأحد علمائهم في التوراة.

---

1 - تفسير ابن كثير 17/2. .تفسير القرطبي 24/4

والنص الحكيم من سورة آل عمر آن الآية: 12.

أما المكيدة الخامسة: في الغدر ونقض العهود والمواثيق، فقد كان الغدر والخيانة والخداع بالنسبة لليهود هم القاعدة، والوفاء والصدق والأمانة هم الاستثناء، ومن أشهر غدرهم غدر بني قريظة في غزوة الأحزاب، فعاقب النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة بعد انسحاب الأحزاب، فنالوا حسابهم العادل الذي يستحقونه، وقصة غدر اليهود في غزوة الأحزاب (الخندق) مشهورة معروفة وأمثلة ذلك كثيرة معروفة.

والمكيدة السادسة: الهزء والسخرية والطعن في الإسلام، والمثال على ذلك ما فعله فِنْحاص وهو حبر من أحبار اليهود من يهود بني قينقاع، ولكنّ سخريته ارتدّت عليه وعلى أمثاله بالخزي والعار، لأن المسلمين عرفوا أن مصدرها الحقد والضغينة.

والمكيدة السابعة: الحرب الاقتصادية، فحاولوا تخزيل المسلمين عامة والأنصار خاصة، عن بذل أموالهم في سبيل الله، فطاف حُيَيُّ بن أخطب، وكَردَم بن قيس حليف كعب بن الأشرف، وهما من أحبار يهود بني النضير، وأسامة بن حبيب، ونافع بن نافع وهما من أحبار يهود بني قريظة، وبحر بن عمر ورفاعة بن زيد ،وهما من أحبار يهود بني قينقاع - طافوا برجال من الأنصار، يقولون لهم: "لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون علام يكون"، فأنزل الله تعالى فيهم قوله في سورة النساء: }(الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً)[1] فكان رد فعل الأنصار المبالغة في الإنفاق، وبذل أموالهم رخيصة في سبيل الله.

والمكيدة الثامنة: التفريق بين المسلمين وتشقيق وحدة جماعتهم، فمارس يهود تفريق وحدة الصف الداخلي للمسلمين، ومحاولة ضرب بعضهم ببعض، فدبروا مكيدة إثارة النعرات الجاهلية التي كانت بين الأوس والخزرج، قبل أن يؤلف الله بينهم ويوحّد صفهم بالإسلام، وذلك بإحياء الخلاف القديم بين الأوس والخزرج وتصدى لتنفيذ ذلك حبر من أحبار يهود بني قينقاع اسمه شاس بن قيس، وكان شيخاً موغلاً في عداوة الإسلام فمرّ على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج، فوجدهم مجتمعين يتحدثون، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم، فقال: "قد اجتمع ملأ بني قَيْلة بهذه البلاد لا والله، مالنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها قرار" وأمر شاس شاباً من يهود كان معه، فقال له: "اعمدْ إليهم، فاجلسْ معهم، ثم اذكرْ يوم بُعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار". وكان يوم بُعاث يوماً من أيام حروب الجاهلية، اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج. وفعل الشاب ما أمره به شاس، فتنازع الأوس والخزرج وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيّين على الرّكب، فتلاسنا وتقاولا، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، حتى جاءهم في الحَرَّة وهم يستعدون للقتال، فقطع دابر الفتنة وأعاد الأمور إلى نصابها.

والمكيدة التاسعة : فرض ألوان من الحرب المباشرة، كما جرى في الحرب الإعلامية على ألسنة شعرائهم في هجاء النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام والمسلمين، كما فعل اليهوديان أبو عفل وكعب بن الأشرف.

وبدأ بنو قينقاع بالتجسس على المسلمين لحساب مشركي قريش، كما تعرضوا لامرأة مسلمة تبيع حليّها في سوق بني قينقاع ونكثوا العهد، فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى وادي القرى بعد أن حاصرهم وضيّق عليهم الحصار وانتصر عليهم.

وتآمر يهود بني النضير على اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم، فلما انتصر عليهم أجلاهم من المدينة المنورة إلى خيبر، فخرجوا عن المدينة. وحين كان

---

1 - سورة النساء الأية -37 .

عشرة آلاف من الأحزاب، يحاصرون المدينة المنورة، نقض بنو قريظة العهد وانضموا إلى الأحزاب، فتحرّج موقف المسلمين بشدة وأصبح الخطر محدقاً بهم من الداخل والخارج فلما رحل الأحزاب عن المدينة حاصر المسلمون بني قريظة لخيانتهم ولأنهم حشدوا الأحزاب لحصار المدينة، فانتصر المسلمون عليهم، فقتلوا المقاتل وسبوا الذراري، وغنموا أموالهم.
وحاولت امرأة يهودية دسّ السم للنبي صلى الله عليه وسلم في الطعام، فنفذت خطتها بتحريض من أحبار يهود.
والمكيدة العاشرة : تأليب القبائل العربية التي لم تدخل الإسلام، فقد قصد نفر من يهود قريشاً في مكة، فيهم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب، فدعوهم إلى حرب النبي صلى الله عليه وسلم، ووعدوهم أنهم سيكونون معهم في قتال المسلمين، ولما وافقت قريش على قتال المسلمين، قصد أولئك النفر من يهود غطفانَ وغيرَها من القبائل، وأخبروهم أن قريشاً معهم، فوافقت غطفان والقبائل الأخرى على حرب المسلمين.
وهكذا فقد كثف اليهود القدامى على عهد الرسالة، جهودهم في الكيد للإسلام والمسلمين، مستهدفين عدم توحيد سكان المدينة المنورة «يثرب» من الأوس والخزرج، وإبقاء العداوة بينهم قائمة والحرب مستعرة، ليضمنوا بقاء أعدائهم ضعفاء، من أجل التحكم فيهم وانتهاب خيراتهم واحتكار مواردهم الاقتصادية، وعدم توحيد العرب في شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام، ليبقى التفرق سائداً، والحرب ناشبة، والضغائن والأحقاد متحفزة، تعمل عملها المدمر في حياة العرب وحاضرهم ومستقبلهم، لأن اليهود يعلمون أن العرب إذا توحدوا تحت لواء الإسلام، أصبحوا بالوحدة والإيمان، قوة ضاربة، تجد لها متنفساً في الفتوح، كما جرى فعلاً، فلم يبق اليهود سادة الموقف، يتحكمون بمصائر المنطقة العربية اقتصادياً بخاصة واجتماعياً بعامة، بل أصبح العرب المسلمون بالوحدة هم السادة. ليس في شبه الجزيرة العربية فحسب بل خارجها في بلاد فارس وبلاد الروم فنالوا بعد سنوات قليلة عرش كسرى وزعزعوا عرش قيصر، وأصبح اليهود بالمؤخرة بالنسبة للعرب والمسلمين، وهذا ما كانوا يخشونه ويحذرونه: الوحدة، والإيمان، فأحبط المسلمون مكايد اليهود، وانتصر الحق على الباطل وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.)(1)
ولم يقفوا عند حد جوابهم الذى كان بمثابة الإعلان السافر بالحرب إلا أنهم زادوا فى جرأتهم وفى الكشف عن قلوبهم العفة، وضمائرهم الخبيثة، ونواياهم الشريرة.
ففي ذات يوم قدمت إلى بعض أسواقهم امرأة من المسلمين ببضاعة تريد بيعها فيه، وجلست إلى صائغ هناك، فتقدم عليها عدد من اليهود وطلبوا منها أن تكشف عن وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده على ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، مما أضحك اليهود المجتمعين حولها، فصاحت المرأة ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، فشد اليهود على المسلم فقتلوه".
فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع(2).
ويفهم من ذلك تحديهم الصريح لرسول الله ρ والمسلمين، وعدم التزامهم بالمعاهدة ، ومحاولتهم المستمرة للكيد بالمسلمين .

---

1 - مجموعة البحوث والمعالات العلمية للباحث علي بن نايف ص 4 بدون.

(2) راجع: السيرة النبوية لابن هشام 307/2، "تقدم". ودراسة فى السيرة د/عماد الدين خليل صـ 334 دار الوفاء للطباعة والنشر "بدون".

* تأديب المعتدى منهم : كما فعل ρ بيهود خيبر الذى كانوا لا يكفون عن التآمر والعدوان وقد خرج إليهم النبى ρ فى السنة السابعة[1]. عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ρ أتى خيبر ليلا، وكان إذا أتى قوما بليل لم يُغز بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود ، فلما رأوه قالوا: محمد، والله محمد والجيش، فقال النبى ρ: "خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين"[2].

ولما كانت ليلة الدخول قال ρ: "لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ρ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين على بن أبى طالب، فقيل: هو يا رسول الله يشتكى عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأتوا به، فبصق رسول الله ρ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فو الله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حمر النعم"[3]."ولم يكن رسول الله ρ ليستخدم أسلوب العقاب الجماعي إزاء اليهود بل كانوا يمارسون حقوقهم وحريتهم في مدينة الرسول ρ بدليل أنه توفى ρ ودرعه مرهونة عند واحد من هؤلاء"[4].ا.هـ. ومن مظاهر هذا الأسلوب. عن الأسود بن سريع([5]) رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث سرية يوم خيبر فقاتلوا المشركين فأمضى بهم القتل إلى الذرية فلما جاؤوا قال النبي صلى الله عليه و سلم: ما حملكم على قتل الذرية ؟ فقالوا: يا رسول الله إنما كانوا أولاد المشركين قال: و هل خياركم إلا أولاد المشركين و الذي نفس محمد بيده ما نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها ([6])

---

(1) وهو ما عليه الجمهور، وقيل: فى السنة السادسة ولعل الخلاف – كما قال ابن القيم – مبنى على أول التاريخ هل هو شهر ربيع الأول شهر مقدمة ρ المدينة أو من المحرم فى أول السنة ا.هـ. راجع: زاد المعاد 316/3. تقدم.

(2) أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الجهاد، باب دعاء النبى ρ إلى الإسلام والنبوة 58/4، وباب التكبير عند الحرب 69/4، وفى المغازى، باب غزوة خيبر 167/5.

(3) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجهاد، باب دعاء النبى ρ إلى الإسلام والنبوة 57/4، وباب فضل من أسلم على يديه رجل 73/4، وفى فضائل أصحاب النبى ρ، باب مناقب على بن أبى طالب 22/5. وفى المغازى، باب غزوة خيبر 171/5. {حمر النعم} هي الإبل الحمر. وهى أنفس أموال العرب. يضربون بها المثل فى نفاسة الشئ وإنه ليس هناك أعظم منه.

(4) دراسة فى السيرة النبوية: صـ 348.

5 : تهذيب التهذيب - (3 / 331) الأسود" بن سريع1 بن حمير بن عبادة التميمي السعدي من بني منقر صحابي غزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه ونزل البصرة وقص بها وروى عنه الأحنف بن قيس والحسن البصري وعبد الرحمن بن أبي بكرة قال ابن مندة ولا يصح سماعهما منه توفي أيام الجمل سنة "42".

قلت: تبعه الذهبي على هذا الكلام وينبغي أن يتأمل هذا فلعله

6 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الجهاد 132/2 ح 2566 تعليق الذهبي قي التلخيص: تابعه يونس عن الحسن ثنا الأسود بهذا على شرط البخاري ومسلم

وقد سقطت حصون اليهود المنيعة فى خيبر حصنا بعد الآخر. فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ρ الصلح.
وبعد فراغه ρ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، وكان بها جماعة من اليهود، وانضم إليهم جماعة من العرب، وأخذ يدعوهم إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله، ولكنهم أبوا وأصروا على القتال، مما فدعاه إلى تشديد الحصار عليهم وفتحها عنوة[1]. وقد احتاجت منهم السي جهدا كبير وعناء شديد، فقد ورد (أنه صلى الله عليه و سلم أتاه جعفر بن أبي طالب عند فتح خيبر فخر ساجدا)([2])
ومما يدخل في مظاهر هذا الأسلوب:
دعائه ρ على الأحزاب : عن عبد الله بن أبى أوفى ([3])ρ قال: دعا رسول الله ρ على الأحزاب فقال: "اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم"[4].
ج- مطالبتهم بالجزية: فقد أدت مواقف أهل الكتاب إلى نزول الحكم الأخير فى شأنهم والمتمثل فى قوله تعالى: { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون }[5]، عن أبي وائل قال : كتب خالد بن الوليد إلى رستم و مهران وملأ فارس : سلام على من ابتع الهدى أما بعد فإنا ندعوكم إلى الإسلام فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد و أنتم صاغرون و إن أبيتم فإن معي قوما يحبون القتل في سبيل الله كما تحب فارس الخمر و السلم قد اختلفوا في وقت وفاة خالد بن الوليد و قد قدمته عن الواقدي سنة إحدى و عشرين ([6])
ولما بلغت يهود تيماء أنباء الانتصارات الإسلامية، واستسلام أهل خيبر ثم فدك ووادى القرى صالحوا رسول الله ρ على الجزية، فقبل ذلك منهم رسول الله ρ، وكتب لهم بذلك كتابا.
ومن خلال ما سبق من عناصر يتضح منهجه ρ مع أهل الكتاب.. ومنه أنتقل إلى بيان منهجه ρ مع المشركين.. وبالله عز وجل العون والتوفيق.

المطلب الرابع :-

المنهج النبوي الشريف في دعوة المشركين :

---

(1) راجع: زاد المعاد 354/3.

2 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك التأمين 411/1.

3 : تهذيب التهذيب - (20 / 115)عبد الله" بن أبي أوفي علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم بن أفصي بن حارثة الأسلمي أبو إبراهيم وقيل أبو محمد وقيل أبو معاوية شهد بيعة الرضوان وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي وإبراهيم بن مسلم الهجري وإسماعيل بن أبي خالد والحكم بن عتيبة وسالم أبو النضر فيما كتب إليه وسلمة بن كهيل والأعمش فقال مرسل وطارق بن عبد الرحمن البجلي

(4) أخرجه البخاري فى الصحيح، كتاب المغازى، باب غزوة الخندق 142/5. وفى الدعوات، باب الدعاء على المشركين 104/8.

(5) سورة التوبة: الآية (29).

6 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم مناقب خالد بن الوليد 339/3 ح 5300 تعليق الذهبي قي التلخيص: سكت عنه الذهبي في التلخيص

الكفر كله ملة واحدة، غاية ما هنالك أن منهم من هم أهل كتاب سماوي كاليهود والنصارى، ومنهم من هم أهل نحل أرضية كالملاحدة والوثنيين وغيرهم ممن لا يدينون بدين. وهم مع اختلافهم يجمعهم أنهم مشركون... ولما كانت دعوة الإسلام دعوة عالمية توجه بها النبى ρ إلى كل البشر، وسلك منهجاً متميزاً مع كل طائفة منهم.. وبعد أن أشرت إلى منهجه ρ مع المؤمنين، ثم المنافقين، ثم أهل الكتاب أشير هنا إلى منهجه ρ مع المشركين.. ومن تأمل منهجه ρ معهم يلاحظ أنه قد جمع بين الرفق والشفقة والخوف عليهم والحرص على هدايتهم، وبين مواجهتهم الفكرية والعسكرية، ويمكن إجمال منهجه ρ مع المشركين فى النقاط التالية:

1- دعوتهم إلى التوحيد وعبادة الله عز وجل : وقد تجلى ذلك منذ اللحظة الأولى التي بدأ فيها النبى ρ يدعو إلى الله عز وجل.. إذ كان تركيزه ρ مع المدعوين على أمر واحد هو شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، والكفر بكل ما اتخذه الناس من أنداد وشركاء للإله الحق الذى تفرد فى الخلق والرزق والإحياء والإماتة.. ولم يكف النبى ρ لحظة من اللحظات عن الدعوة إلى هذا الأصل الأول طوال فترة الدعوة فمن مروه على الكفار والمشركين فى الأسواق وأماكن تجمعاتهم، إلى عرض نفسه على القبائل، إلى محاورة الوفود التي كانت تأتيه من سائر بلاد العرب، إلى بعوثه وكتبه، إلى سراياه وغزواته.. وكان يناقش فى ذلك الأفراد والجماعات، يسهب تارة، ويوجز أخرى.. كان ذلك للدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته وحده لا يشرك له.

3- المداومة علي توجيه الخطاب الديني إليهم والصبر والتحمل علي مكرهم وآذاهم وان طال، رغم ما كان للمشركين من مواقف تتسم بالحقد والعداء والإصرار على الكفر والشرك، وقد لازمت هذه المواقف الدعوة فى مرحلتيها المكية والمدنية وقد استخدموا كل أساليب المكر والدهاء للتشهير والتشويش علي النبي ودعوته.

ومن أبرز مواقفهم : التشويش على النبى ρ والتشكيك فيما يدعو إليه، فقد كانوا يقومون بالتشويش عليه ρ أثناء تبليغ، وعقب انصرافه عمن يدعوهم، وكان الكبراء من قريش يتواصون فيما بينهم باللغو والتشويش على النبى ρ وعلى القرآن الذى يتلوه {وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون}[1]. وقد جاء في المستدرك الكثير من تشويش المشركين على رسول الله ρ ومن ذلك: عن أبي الحسام ثنا محمد بن المنكدر سمع ربيعة بن عباد الدؤلي يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه و لا تشركوا به شيئا قال : و وراءه رجل يقول : يا أيها الناس إن هذا الرجل يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت : من هذا الرجل ؟ قيل : أبو لهب [2]

وكان النضر بن الحارث كلما جلس النبى ρ مجلساً يدعو فيه إلى الله عز وجل، ويتلو القرآن الكريم، جلس بعد فراغه فيحكى لهم قصص رستم وملوك فارس القدماء، ثم يقول : ما محمد بأحسن منى حديثاً وما أحاديثه إلا أساطير الأولين[3].

---

(1) سورة فصلت: الآية (26).

2 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الإيمان 61/1 ح 38. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و رواته عن آخرهم ثقات أثبات و لعلهما أو واحدا منهما يوهم أن ربيعة بن عباد ليس له راو غير محمد بن المنكدر و قد روى عنه أبو الزناد عبد الله بن ذكوان هذا الحديث بعينه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرطهما

(3) راجع: السيرة النبوية: لابن هشام 344/1، والبداية والنهاية 88/3.

إلى غير ذلك من مواقف التشويش على الدعوة، والافتراءات الكاذبة حولها وحول شخص النبى ρ، وقد ذهبت كلها أدراج الرياح، وعلت دعوة الإسلام على أصوات أولئك الذين كانوا يقصدون التشويش عليها.

3- تحمل كل أنواع الأذى واستخدام كافة الأساليب الدعوية والمناهج المتاحة لمخاطبة المخالفين له في دعوته من المشركين والكفار.

كما صبر على ما صدر منهم من مواقف، وتحمل ما كان منهم من إساءة وأذى.. وما أكثر مواقف الإيذاء والاضطهاد التي تعرض لها النبى ρ من المشركين . فقد كانوا يطلقون الأسماء القبيحة على رسول الله ρ كقولهم "مذمم" بدلاً من محمد ورغم أن ذلك كان يسوءه إلا أنه ρ لم يكن يرد عليهم .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ: "ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً، وأنا محمد"[1].

وكانوا يتطاولون بالسب والشتائم لرسول الله ρ ولدعوته، ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزلت { وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا }[2]، ورسول الله ρ بمكة متوار، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به[3]، وتفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ρ بعض ما يتلوه وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقًا منهم[4].

وكانوا يستهزئون برسول الله ρ ويسخرون منه ومن دعوته، ومن ذلك ما رواه عن سعيد بن جبير : - {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (*) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (*) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (*) } ذي الدرجات سأل سائل قال : هو النضر بن الحارث بن كلدة قال : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء (5)

وكانوا يكذبون رسول الله ρ ويعلنون تكذيبهم لما يدعو إليه، عن علي رضي الله عنه قال: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه و سلم: قد نعلم يا محمد أنك تصل الرحم و تصدق الحديث و لا نكذبك و

---

(1) أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب المناقب، باب ما جاء فى أسماء رسول الله ρ 225/4.

(2) سورة الإسراء: الآية (110).

(3) أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب التفسير (سورة بنى إسرائيل) 109/6، ومسلم فى الصحيح، كتاب الصلاة، باب التوسط فى القراءة 329/1 (446).

(4) راجع: سبل الهدى والرشاد المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 351/2..

5 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم 545/2 ح 3854 هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري

لكن نكذب الذي جئت به فأنزل الله عز و جل: { **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** }[1].

وقد علق على هذا الإمام ابن العربي – رحمه الله – فقال : هذه سخافة من أبى جهل تدل على تحقق اسمه فيه، ومن كذب قول المخبر فقد كذب المخبر، فإن كان خفي ذلك عليه فلقد أحاط به الخذلان، وإن كان ذلك استهزاء فقد كفى الله رسوله المستهزئين، وما يستهزئون إلا بأنفسهم وما يشعرون[2].

وليس ذلك فحسب ، بل زادوا على هذا السفه الإيذاء البدنى لرسول الله ρ ولمن آمن معه.. وأذكر من وأما عن الإيذاء والاضطهاد لمن آمن معه، فإنه ما من أحد علم المشركون بإسلامه وأتباعه لدعوة الله عز وجل إلا وكان له نصيب من الأذى والتعذيب.

وقد بلغت مواقفهم العدائية لرسول الله ρ إلى حد الغدر به وتهديده بالقتل ومحاولة اغتياله.. وعلى الرغم من هذه المواقف المتلاحقة من الكفار والمشركين إلا أن النبى ρ لم يفقد حكمته فى دعوته ومعاملتهم، واتسم منهجه ρ بالصبر عليهم، ولم يستسلم لباطلهم، ولم ينهزم نفسياً كما كانوا يريدون أو يهدفون، ولم ييئس من هداية بعضهم إلى الإسلام الذى يدعو إليه.

4- حسن معاملتهم : ويتجلى ذلك فى العديد من الصور مثل:

*الدعاء لهم : ومما ورد فى ذلك ما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه على النبى ρ فقالوا يا رسول الله: إن دوساً عصت وأبت فادع الله عليها فقيل: هلكت دوس. قال: اللهم اهد دوساً وآت بهم[3]." وفى رواية: ".. فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: "اللهم اهد دوساً وأت بهم"[4].

5- مواجهتهم الفكرية : لقد سلك النبى ρ مع المدعوين كل طريق سليم لتبليغ دعوة الله عز وجل، فاتصل بالأفراد اتصالا مباشراً، وتتبع أماكن جلوس المدعوين وتجمعاتهم ، وعرض نفسه على قبائل العرب واستقبل الوفود، وأرسل للملوك والأمراء، إلى غير ذلك من الطرق التي سلكها النبى ρ فى تبليغ دعوة الله عز وجل إلى كل البشر فى أي موطن فى العالم، وقد بذل النبى ρ مع الكفار والمشركين جهوداً متواصلة لتبليغهم الدعوة وتبصيرها بها.. ولكنهم فى مقابل ذلك أعرضوا وأصروا على كفرهم وشركهم، ودخلوا مع النبى ρ فى صراع فكرى حيث قاموا منذ اللحظة الأولى للدعوة بالتشويش عليها ومحاولة تشويشها، وحاولوا كثيراً إثارة الحمية فى النفوس للتصدي لهذا الفكر الجديد الذى جاء به محمد ρ ليبطل به فكرهم الذى ورثوه عن الآباء والأجداد.

---

(1). المستدرك علي الصحيحين للحاكم تفسير سورة الأنعام 2/ 345 ح 3230. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: ما خرجا لناجية شيئا.

(2) راجع: عارضة الأحوزى بشرح صحيح الترمذي: للإمام ابن العربى المالكي 186/11. مكتبة المعارف. دار العلم للجميع "بدون".

(3) أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين 105/8.

(4) أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الجهاد، باب فى الرسل 191/3 (2761).

حاولوا كثيراً إظهار ما يدعو إليه النبى ρ بأنه المفرق للجماعة ، المشتت لأمر القبائل.. وحاولوا بشتى الوسائل أن يدافعوا عن فكرهم الخاطئ إلى حد أن ساوموا رسول الله ρ وبعثوا إليه من يعرض عليه الملك والمال ليكف عن دعوته.

* المضى فى الدعوة دون توقف أو تأثر بأفكارهم ومزاعمهم الفاسدة : فلم يسلم النبى ρ للقوم ما يعتقدون من عبادة للأصنام والأوثان من دون الله عز وجل، ولم يتركهم لهذا الاعتقاد والفكر الفاسد، بل تصدى لهم فى كل المواقف، ومضى فى دعوته بخطى ثابتة وبفكر واضح يدعو إلى اعتقاد الإله الحق والكفر بما سوه من مخلوقاته، وإفراد هذا الإله بالعبادة والتوجه واللجوء والتوكل، والاستعانة والاستغاثة، والتضرع وطلب الحاجات، وغير ذلك مما يستحقه وحده لا شريك له.

وقد قامت مواجهة النبى ρ الفكرية للمشركية على أسس مقنعة وحكيمة وهى: الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، - وهو ما أشير إليه فى الجزئية التالية – وبهذه الأسس استطاع النبى ρ أن يغير بفكره الصحيح أناساً كثيرين كانوا معه عوناً فى مواجهة الفكر الفاسد والقضايا الباطلة التي يعتقدها المشركون وحاولوا بثها ونشرها.

* البيعة على فراقهم : عن جرير قال : بايعت رسول الله ρ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وعلى فراق المشرك[1].. وفى رواية: أتيت النبى ρ وهو يبايع فقلت يا رسول الله: ابسط يدك حتى أبايعك وأشترط على فأنت أعلم، قال: "أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين"[2]. وفى البيعة على فراق المشركين تأكيد على تحقيق المفاصلة بين أهل الإيمان والمشركين حتى وإن كانوا من ذوى القربى، فالعقيدة أهم وأقوى.

* عدم الاستعانة بهم فى الغزو : عن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم في بعض غزواته فأتيته أنا و رجل قبل أن نسلم فقلنا : إنا نستحيي أن يشهد قومنا مشهدا فقال : أأسلمتما ؟ قلنا : لا قال : فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين .....[3]

حكم الاستعانة بالكفار:-

الاستعانة بالكفار تنقسم إلى نوعين :

النوع الأول : الاستعانة بأشخاص منهم للقتال مع المسلمين – وهو غير جائز إلا إذا دعت الحاجة إليه، واطمأن المسلمون إلى صدق وأمانة أولئك الذين سيقاتلون معهم.

النوع الثاني : الاستعانة ببعض ممتلكاتهم كالسلاح وأنواع العدة. ولا خلاف فى أن ذلك جائز بشرط أن لا يكون فيه خدش لكرامة المسلمين، وأن لا يتسبب عن ذلك دخول المسلمين تحت سلطان غيرهم أو تركهم لبعض واجباتهم وفروضهم الدينية.. [4]"ا.هـ.

---

(1) أخرجه النسائي فى السنن، كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشترك 148/7 [بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى حاشية الإمام السندى].

(2) أخرجه الإمام أحمد فى المسند 364/4 - 365.

3 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك الجهاد 132/2، 2563 . هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و خبيب بن عبد الرحمن بن الأسود بن حارثة جده صحابي معروف و له شاهد عن أبي حميد الساعدي تعليق الذهبي قي التلخيص: وجد خبيب بن أسود بن حارثة صحابي

(4) راجع: فقه السيرة للبوطى صـ 303. وزاد المعاد 479/3.

هذا فيما يتعلق بالاستعانة بهم فى القتال، أما فى غيره فهو يقدّر تبع الظروف وحالة الشخص الذى يستعان به، فإن كان مما يطمئن إليه ولا يخشى منه غدراً أو خديعة فإنه يجوز، وإلا فلا.

"وعلى كل فإن النبى ρ فى كل الحالات إنما استعان بغير المسلمين فيما دون القتال كإرساله – بشر بن سفيان – عيناً على الأعداء، أو استعارة أسلحة منهم وما شابه ذلك، والذى يبدو أن الاستعانة بغير المسلمين فى القضايا السلمية أشبه بالجواز منها فى أعمال القتال والحرب[1]."ا.هـ.

والجدير بالذكر أن ما سبق فى شأن الاستعانة بالمشركين فى القتال إنما يتعلق – فيما أفهم – بالاستعانة بهم فى قتال مشركين.. أما الاستعانة بهم فى قتال مسلمين – كما حدث فى هذا العصر فى حرب الخليج – فهذا غير جائز، فهم غير أمناء على مصالح المسلمين، ولا يُطمئن إليهم فيما يتعلق بشئون المسلمين. ولعل ما حدث فى مأساة الخليج خير شاهد على أنهم لا يسعون إلا للسيطرة والهيمنة، والاستيلاء على أموال المسلمين وثرواتهم، والقضاء على مصادر قوتهم .. ومازالت آثار تلك الحرب يعانى منها العديد من الدول الإسلامية، وفى مقدمتها تلك الدول التي شجعت الاستعانة بغير المسلمين فى قضية كان المسلمون هم أولى الناس بحسمها وفض النزاع فيها.

التمايز والمفاضلة :-

ومما يدخل فى صور ومظاهر التمايز والمفاضلة :

* **إشعارهم بالدونية** : وذلك بتضييق الطريق عليهم، وعدم بدئهم بالسلام والحديث.

عن أبى هريرة عن النبى ρ قال: "إذا لقيتم المشركين فى الطريق فلا تبدؤهم بالسلام واضطروهم إلى أضيقها[2]." وفى رواية: " إذا لقيتموهم فى طريق فلا تبدؤهم واضطروهم إلى أضيقها " قال زهير فقلت لسهيل : اليهود والنصارى فقال: المشركون[3].

وفى هذا – بلا شك – إشعار لهم بعزة المجتمع المسلم واستعلائه وتميزه بعقيدته عن أولئك الذين لا يدينون بالإسلام ولا يعترفون بعقيدته.

* التأكيد علي مخالفتهم في العبادات والعادات والتقاليد : وذلك لإبراز الهوية الإسلامية، والعمل علي استقلالية النظام الإسلامي، لتكون للمسلمين دائما شخصيتهم المتميزة المستقلة فى المظهر والمخبر، ومن ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك عن يعلى بن شداد بن أوس(4) عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في خفافهم و لا نعالهم (5) وفي النهي عن التشبه بهم في في الصوم قالρ: لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم و إن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضغها (6)

وهكذا ينضح منهج النبي ρ مع المشركين من خلال ما ورده فى أحاديث المستدرك للإمام الحاكم النيسابوري .

---

(1) راجع: فقه السيرة للغزالي صـ 252.

(2) أخرجه الإمام أحمد فى المسند 525/2.

(3) أخرجه الإمام أحمد فى المسند 263/2، 444.

4 : تهذيب التهذيب - (37 / 232)على" بن شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري الخزرجي النجاري أبو ثبت المقدسي روى عن أبيه وعبادة بن الصامت ومعاوية وأم حرام بنت ملحان

5)- المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك التأمين 391/1 ح 956 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

6 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك601/1ح 1592، هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه

المبحث الرابع: سمات الدعوة من خلال أحاديث المستدرك

لا شك أن مقام الدعوة فى هذا الدين مقام كبير ومكانتها فيه مكانة عظيمة ثبت هذا فى القرآن الكريم وفى سنة النبي الأمين ρ .

فالدعوة إلى الله فضلها عظيم فهي مهمة الرسل والأنبياء، وهم أشرف الخلق وأكرمهم على الله ، وهم الذين اختارهم الله لهداية البشر، والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وقيامهم بالدعوة أعظم تشريف لهم . قال تعالى: " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ " (1)

ومن فضل الدعوة إلى الله أن : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان له من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً" (2)

والدعوة إلى الله هي التي من أجلها شرّف الله بها أمة الإسلام جميعاً فجعلها بذلك خير أمة أخرجت للناس، لأنها حملت رسالة الله إلى العالمين ، وجاهدت بها كل الأمم فهم خير الناس للناس.

أما المدعو إليه فلا يدعي إلا إلى الدين الحق – وهو الإسلام – الإسلام : وهو الذي يراد دعوة الناس إليه، وحملهم عليه ودين الإسلام هو سبيل الله وصراطه المستقيم . قال تعالى: " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (3)

وقال تعالى: "..... وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ "(4)

وقال : " وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ " (5)

فالدعوة إلى الله هي الدعوة إلى توحيده والإيمان به ، والدخول في دينه وصراطه المستقيم ، وشرعه القويم، وهو دين الإسلام الذي بعث به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم..

قال ابن تيميه رحمه الله : "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا" (6)

والإسلام هو كتاب الله وسنة رسوله، وما أجمعت عليه الأمة : والإسلام هو ما يتضمنه كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التي وردتنا بطريق صحيح.. فهذا هو الحق الذي لا شائبة فيه ، ولا يتطرق إليه خلل. ثم ما أجمعت عليه الأمة كلها لأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، كما قال صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع أمتي على ضلالة".(7)

1- سورة يوسف الآية 108

2 - رواه مسلم ك / العلم ب / من سن فى الإسلام سنة حسنة 2060/4

3 سورة النحل الأية 125

4 سورة القصص من الآية / 87

5 سورةالشورىالآية/ 52–53

6) مجموع الفتاوى 157/15.

7) المستدرك ك / العلم 201/1

وما سوى ذلك من رأي واجتهاد، فإنه يصيب ويخطئ ، ولا يجوز حمل الناس على قول أحد إلا ما وافق كتاب الله وسنة رسوله.

فالمدعو إليه هو سبيل الله جل وعلا هو الإسلام وهو الصراط المستقيم وهو دين الله الذي بعث به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هذا هو الذي تجب الدعوة إليه لا إلى مذهب فلان ولا إلى رأي فلان، ولكن إلى دين الله ، وإلى صراط الله المستقيم الذي بعث الله به نبيه وخليله وهو ما دل عليه القرآن العظيم والسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"([1])
هذا فى كتاب ربنا الكريم أما فى سنة النبى الأمين ρ فهي صنو القرآن ومنزلة الدعوة فى السنة كما هي فى القرآن منزلة الرأس من الجسد
ولما كان الحديث يدور حول فقه الدعوة من خلال مستدرك الحاكم كان لا بد أن نفرد للدعوة والداعية حديثا خاصا فى أحاديث المستدرك على سبيل الإجمال أولا ثم على سبيل التفصيل بعد ذلك فى ثنايا الرسالة من وسائل وأساليب وغيره.

سمات الدعوة الإسلامية من خلال أحاديث المستدرك

إن الباحث فى أحاديث المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم يجد أن للدعوة الإسلامية فيه عدة سمات تميزها عن غيرها وتفصلها عن سواها منها :

أولا – **العالمية :**

"إن الحقيقة الثابتة التي تؤيدها النصوص القاطعة أن الإسلام دين عالمي، ورسالته للجنس البشري كله، لا لأمة دون أمة، ولا لشعب دون شعب، فمحمد رسول الله إلى الناس كافة
وقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله العزيز تثبت عموم دعوته وعالمية رسالته صلى الله عليه وسلم ومن سمة هذه الآيات أنها اتصفت بتنوع العبارة مع اتحاد في المضمون الذي هو الدلالة على عموم الرسالة وعالميتها.
منها آيات التي ورد فيها لفظ "الناس" منها:
قوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعا" ([2])
وقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاس بشيرا ونذيرا "([3]).
والشاهد من هذه الآيات أنها بينت شمول رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للناس
ومنها آيات التي ورد فيها لفظ "العالمين": ومنها
قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"([4]).
وقوله تعالى: "قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ"([5]).
والمراد بالعالمين هنا هم الإنس والجن إذ هم المكلفون.
ومنها آيات التي ورد فيها لفظتا "كافة" و"جميعا" وهي:

---

1) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ص/26

2)سورة الأعراف الآية 158

3) سورة سبأ الآية28

4)سورة الأنبياء الآية 107

5)سورة يوسف الآية 104

قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ"([1])

وقوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً"([2]).

وهناك ثلاث عبارات هي: "الناس" و"كافة" و"جميعا" دلت جميعها على العموم.

ومن السنة عامة ما ورد عن أبي الدر داء رضي الله عنه قال: "كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضبا، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو الدرداء ونحن

عنده: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أما صاحبكم هذا فقد غامر قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل أبو بكر يقول : والله يا رسول الله، لأنا كنت أظلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل أنتم تاركوا لي صاحبي، هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟، إني قلت يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت"([3])

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"([4])

وإن المتأمل للآيات القرآنية التي نصت على عموم رسالته وعالميتها يجد أن جلها كان مكي النزول، وهذا يؤكد أن عالمية الرسالة مقررة منذ بداية الوحي. ومن المعلوم أن طريقة الدعوة كانت تتبع أسلوب التدرج في التبليغ وهذا التدرج لم يكن ينافي شمول الدعوة لكل المكلفين ، لأن المرحلية كانت ضرورية لدعوته صلى الله عليه وسلم، ولقد دلت السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم اتبع أسلوب التدرج في إبلاغ الرسالة، فأول ما بدأ به هو الدعوة السرية لهذا الدين فآمن له من آمن.

ثم انتقل إلى الدعوة الجهرية ونهج فيها كذلك أسلوب التدرج فبدأ بأهل مكة عندما نزل عليه قوله تعالى : "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ"([5])

فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام . ثم بعد ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس في مجامعهم وأسواقهم ويبلغهم دعوة الله.

ثم ذهب إلى الطائف ودعا أهلها إلى الإسلام ولكنهم لم يجيبوه لذلك، ثم عاد إلى مكة وأخذ يعرض دعوته على القبائل في الموسم إلى أن التقى بالخزرج وهم من أهل المدينة وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وأسلم النجاشي من قبلهم وكان على النصرانية . ومن هنا كانت بداية المرحلة الجديدة في الدعوة فبعد تمكن الإسلام بالمدينة، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها فاتسع بذلك نطاق الدعوة حتى شمل أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بالمدينة حواليها حينئذ، كما تنوعت كذلك أساليب الدعوة إلى هذا الدين فشرع الجهاد في سبيل الله واتسعت رقعة الدعوة فشملت قبائل العرب ومن كان في جزيرة العرب من أهل الكتاب كيهود المدينة وخيبر ونصارى نجران واليمن وغيرهم، واستمر

---

[1]) سورة سبأ الآية 28

[2])سورة الأعراف الآية 158

[3])رواه البخارى ك / فضائل الصحابة ب / قول النبي : لو كنت متخذا 1339/3

[4]) رواه البخارى ك / التيمم ب / إذا لم يجد ماء ولا ترابا 128/1

[5])سورة الشعراء الآية / 111

التدرج إلى أن كان عام الحديبية ومهادنة قريش فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت إلى جميع الطوائف يدعوهم إلى الإسلام. ([1])

ومما ورد من أحاديث المستدرك فى هذا الشأن :

ما رواه الحاكم بسنده:

عن تميم الداري ([2]) رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل و النهار و لا يترك الله بيت مدر و لا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل يعز بعز الله في الإسلام و يذل به في الكفر و كان تميم الداري رضي الله عنه يقول : قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير و الشرف و العز و لقد أصاب من كان كافرا الذل والصغار والجزية([3])

وعن ابن إسحاق قال : كان الكتاب من النبي صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الجيش سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة و لا ولدا و أن محمدا عبده و رسوله أدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول فأسلم تسلم " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله " الآية فإن أبيت فعليك إثم النصارى .

وعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله يقول أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر والخاتم والعاقب هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [4]

من فقه الدعوة فى الأحاديث الشريفة :

ثقة النبي ρ في وعد ربه سبحانه وتعالى، وفيه دلالة واضحة علي عالمية الإسلام وانتشاره على مرور الزمان، وفيه بيان عز الإسلام والمسلمين وذل الكفر والكافرين ، وأن أساس الرسالة الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وفيه أن إثم إضلاع المتبوع وإهلاكه يقع على التابع .، وأن النبى ρ هو نبى آخر الزمان الذى تقع بعده الملاحم والقيامة.

ثانيا- الوسطية:

إن من سمات دعوة الإسلام أنها دعوة وسطية فهي وسط بين طرفين فى كل صورها وكل أشكالها والوسط هو الخيار من كل شيء والوسط هو التوسط وعد الميل إلى طرف دون آخر والوسط هو الأكثر أمنا وأمانا فلا يصيبه ذلل .

---

1) موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: علي بن نايف الشحود4/219 :222

2 : الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (1 / 58) تميم الداري تميم الداري وهو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة ابن دراع بن عدي بن الدار بن هانىء بن حبيب بن نمازه ابن لخم بن عدي ينسب إلى الدار وهو بطن من لخم يكنى أبا رقية بابنة له تسمى رقية لم يولد له غيرها.

كان نصرانياً وكان إسلامه في سنة تسع من الهجرة وكان يسكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

روى عنه عبد الله بن موهب وسليم بن عامر وشرحبيل بن مسلم وقبيضة بن ذؤيب وعطاء بن يزيد الليثي.

3) رواه الحاكم ك / الفتن 4/477 وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

4) المستدرك ذكر أخبار سيد المرسلين 2/660

وإن الله تعالى ميز هذه الأمة (أمة الإسلام) بالوسطية بين الأمم فقال سبحانه " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " ([1])،
والوسطية هنا تعني: العدل والخيار وسائر أنواع الفضل، فهي أفضل الأمم.ثم ميز الله أهل السنة والجماعة بالوسطية بين فرق المسلمين.
"وفى السنة عامة ما يؤكد ذلك فقد ورد عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَّهُ خَطَّ خَطًّا مُرَبَّعًا ، وَخَطًّا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ ، وَخُطُوطًا إِلَى جَانِبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ ، وَخَطًّا خَارِجًا مِنَ الْخَطِّ الْمُرَبَّعِ ، وَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:هَذَا الْإِنْسَانُ الْخَطُّ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ إِلَى جَانِبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ ([2])" . وقال صلى الله عليه وسلم: " إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ ".([3])
ويقول عليه الصلاة والسلام: " هلك المتنطعون " قالها ثلاثا ([4]) .فقبول الطاعة غير مرتبط بمدى التعب والنصب، لأن الله - تعالى - لا يحب أن يطاع بغير ما أنزله على عباده، فالذي يعبد الله ليلًا ونهارًا بشكل يخالف منهج الله - تعالى - لا تقبل عبادته مهما أتعب نفسه وأرهقها، والله - عز وجل - في غنى عن أعمال العباد، ولكنه - جل شأنه - يفرح عندما يرى عباده على دينه القويم، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: " إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: فلانة ، تذكر من صلاتها قال: (مهْ عليكم بما تطيقون فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تَملوا) وكان أحب الدِّين إليه ما داوم صاحبه عليه " ([5])
ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: " دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا حُلُّوه ليُصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد ". ([6])
<u>فمن خصائص الإسلام الوسطية والتوازن</u> : يقول ابن تيميه رحمه الله تعالى : " قد خص الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بخصائص ميزه الله بها على جميع الأنبياء والمرسلين ، وجعل له شرعة ومنهاجا أفضل شرعة وأكمل منهاج مبين .كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ؛ فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها ، وأكرمها على الله من جميع الأجناس . هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم وجعلهم وسطا عدلا خيارا ؛ فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته ، وفي الإيمان برسله ، وكتبه ، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام .فأمرهم بالمعروف ، ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث ، لم يحرم عليهم شيئا من الطيبات كما حرم على اليهود ، ولم يحل لهم شيئا من الخبائث كما استحلتها النصارى.
فلم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيق على اليهود ، ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى، فلا يوجبون الطهارة من الجنابة ، ولا الوضوء للصلاة ، ولا اجتناب النجاسة في الصلاة، بل يعد كثير من عبادهم مباشرة النجاسات من أنواع القرب والطاعات، حتى

---

[1] سورةالبقرة الآية 143

2) رواه ابن ماجه ك / الزهد ب/ الأمل والرجاء 1414/2

3) رواه ابن ماجه ك / المناسك ب / حصى الرمى 108/2

4)رواه مسلم ك / العلم ب / هلك المتنطعون 2055/4

5) رواه ابن ماجه ك / الزهد ب / المداومة على العمل 1416/2

6) اليسر والسماحة فى الإسلام: فالح محمد الصغير 17/1

يقال في فضائل الراهب: " له أربعون سنة ما مس الماء " ! ولهذا تركوا الختان، مع أنه شرع إبراهيم الخليل عليه السلام وأتباعه.
واليهود إذا حاضت المرأة عندهم، لا يؤاكلونها ولا يشاربونها، ولا يقعدون معها في بيت واحد والنصارى لا يحرمون وطء الحائض، وكان اليهود لا يرون إزالة النجاسة ، بل إذا أصاب ثوب أحدهم قرضه بالمقراض، والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم أكله، أو تحرم الصلاة معه
وكذلك المسلمون وسط في الشريعة فلم يجحدوا شرعه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ، كما فعلت اليهود. ولا غيروا شيئا من شرعه المحكم ولا ابتدعوا شرعا لم يأذن به الله، كما فعلت النصارى .
ولا غلوا في الأنبياء والصالحين كغلو النصارى، ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود.
ولا جعلوا الخالق سبحانه متصفا بخصائص المخلوق ، ونقائصه ، ومعايبه من الفقر والبخل والعجز كفعل اليهود ، ولا المخلوق متصفا بخصائص الخالق سبحانه التي ليس كمثله فيها شيء كفعل النصارى .ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود.ولا أشركوا بعبادته أحدا كفعل النصارى. (1)
" ويلخص الدكتور القرضاوى خصائص الإسلام فيقول :" من مظاهر الوسطية في الإسلام:وإذا كان للوسطية كل هذه المزايا، فلا عجب أن تتجلى واضحة في كل جوانب الإسلام، نظرية وعملية، تربوية وتشريعية.
<u>وسطية الإسلام في العبادات والشعائر</u>: والإسلام وسط في عباداته، وشعائره بين الأديان، والنحل التي ألغت الجانب "الرباني" ـ جانب العبادة والتنسك والتألّه ـ من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده... وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية.
ولعل أوضح دليل نذكره هنا: الآيات الآمرة بصلاة الجمعة:
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (2).
فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة حتى في يوم الجمعة: بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعي إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وترك للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيرا في كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح.
وسطية الإسلام في الأخلاق:
والإسلام وسط في الأخلاق بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكا أو شبه ملاك، فوضعوا له من القيم والآداب ما لا يمكن له، وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيوانا أو كالحيوان، فأرادوا له من السلوك ما لا يليق به فأولئك أحسنوا الظن بالفطرة الإنسانية فاعتبروها خيرا محضا، وهؤلاء أساءوا بها الظن، فعدوها شرا خالصا، وكانت نظرة الإسلام وسطا بين أولئك وهؤلاء.
فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل، وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك، قد هدى للنجدين، وتهيأ بفطرته لسلوك السبيلين، إما شاكرا وإما كفورا. فيه استعداد للفجور

---

1) بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو ص 22 : مجموعة من العلماء الطبعة : الثانية : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية

2)سورة الجمعة الآيتان 9 - 10

استعداده للتقوى. ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تتزكى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ".([1])

وسطية الإسلام في التشريع:

والإسلام وسط كذلك في تشريعه ونظامه القانوني والاجتماعي، وأبرز ما تتجلى فيه الوسطية هنا: مجال الفردية والجماعية."(2)

ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:

ما رواه الحاكم بسنده : عن زياد بن الحصين ثنا أبو العالية قال: قال لي بن عباس رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة:"هات القط لي حصيات من حصى الخذف)، فلما وضعن في يده قال:"بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) ([3])

وعن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن "(4)

و عن عبد الله بن عمر : أن معاذ بن جبل أراد سفرا فقال: يا رسول الله أوصني قال: أعبد الله و لا تشرك به شيئا قال : يا رسول الله زدني قال: إذا أسأت فأحسن قال: يا رسول الله زدني قال : استقم و لتحسن خلقك(5)

من فقه الدعوة فى الأحاديث الشريفة:

أن أى حجم للحصيات مجزئ فى الرمى، بيان أن التحذير من سبب هلاك الأمم السابقة واتباعهم فيما وقعوا فيه من الفساد، مع التأكيد علي التحذير من الغلو فى الدين، وضرورة انتهاج طريق الوسطية وسبيلها ، وفق ما جاء به الدين الجنيف .

ثالثا : التيسير ورفع الحرج:

إن أشهر مبادئ الشريعة الإسلامية و الأكثر التصاقا بها وذيوعا هي سمة التيسير ورفع الحرج .

وقد وردت آيات كثيرة جدًّا تُبيّن أنَّ هذا الدّين دين يسر، وأنَّ الله قد رفع الحرج عن هذه الأمَّة فيما يشقّ عليها، حيث لم يكلّفها إلا وسعها.

فمن أدلة التيسير والتخفيف قال الله - تعالى-: "يريد الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْر " (6)

وقال - سبحانه -: "يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً (7)

وقال Y "وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى" (8)

وقال في سورة الشرح: "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً " (1)

---

[1])سورة الشمس الآيات من 7 - 10

2) خصائص الإسلام د/ القرضاوى ص 22

3) المستدرك / أول كتاب المناسك وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه 637/1

4)المستدرك أول كتاب الطهارة 220/1

5)المستدرك ك / الإيمان وقال : هذا حديث صحيح الإسناد من رواية البصريين ولم يخرجاه 121/1

6)سورة البقرة من الآية 185

7)سورة النساء الآية 28

8)سورة الأعلى: الآية8.

وفي سورة الطّلاق: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً" (2)
وقال - جلّ من قائل -:"سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً" (3)
هذه بعض الآيات التي تفيد التّيسير على هذه الأمَّة.
قال القاسمي في تفسير أية البقرة: قال الشعبي: إذا اختلف عليك أمران، فإن أيسرهما أقربهما إلى الحق لهذه الآية(4).
وقد ذكر المفسّرون في تفسيرهم لهذه الآيات أن الله أراد لهذه الأمَّة اليسر ولم يرد لها العسر(5).
وأما رفع الحرج فمن أقوى الأدلّة وأصرحها في الدّلالة على رفع الحرج قوله - تعالى-: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" (6)
قال الطبري في تفسير هذه الآية: جعل الدّين واسعًا ولم يجعله ضيّقًا(7).
وقال ابن كثير: أي: ما كلّفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشقّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا(8).
ومن القواعد الفقهية المشتهرة :قاعدة المشقة تجلب التيسير :
ويدخل تحت هذه القاعدة أنواع من الفقه منها في العبادات التيمم عند مشقة استعمال الماء على حسب تفاصيل في الفقه والقعود في الصلاة عند مشقة القيام وفي النافلة مطلقا وقصر الصلاة في السفر والجمع بين الصلاتين ونحو ذلك ومن ذلك رخص السفر وغيرها ومن التخفيفات أيضا أعذار الجمعة والجماعة وتعجيل الزكاة والتخفيفات في العبادات لا تكاد تنحصر وهي في المعاملات كثيرة جدا وفي المناكحات والجنايات وفي كتاب القضاء ومن التخفيفات المطلقة فروض الكفايات وسننها والعمل بالظنون لمشقة الاطلاع على اليقين إلى غير ذلك وهاتان القاعدتان ترجعان من قواعد أصول الفقه إلى أن الأحكام معللة بدفع المفاسد والمضار الدينية والدنيوية وأن العلة في ذلك إما أن تكون دافعة للضرر والمشقة أو رافعة لذلك ([9])
ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:ما رواه الحاكم بسنده:عن ابن عباس رفعه في قوله عز وجل "وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ [قال":إذا كان بالرجل الجراحة في سبيل الله أو القروح أو الجدري فيجنب فيخاف إن اغتسل أن يموت فليتيمم ([10])وعن عكرمة عن ابن عباس قال":رخص للشيخ الكبير أن يفطر و يطعم عن كل يوم مسكينا و لا قضاء عليه ([11])وعن أسامة بن شريك

---

1) سورة الشرح: الآية 5، 6.

2) سورة الطلاق: من الآية4.

3) سورة الطلاق: من الآية7.

4) انظر: تفسير القاسمي 427/3.

5)- انظر: تفسير الطبري 156/2

6) سورة الحج: من الآية78.

7) انظر: تفسير الطبري)207/17.

8)- انظر: تفسير ابن كثير)236/3.

9 التحبير فى شرح التحرير 3845/8 – 3847

10 - رواه الحاكم ك / الصوم 270/1

11 - رواه الحاكم ك / الصوم 606/1

رضي الله عنه قال :شهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الأعراب يسألونه قالوا):يا رسول الله علينا حرج في كذا علينا حرج في كذا لأشياء ليس بها بأس ؟ فقال :عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقتراف من عرض امرئ مسلم ظلما فذلك الذي حرج و هلك فقالوا :نتداوى يا رسول الله ؟ قال : نعم تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد (قالوا :يا رسول الله و ما هو ؟ قال ":الهرم (قالوا :يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال":خلق حسن ([1])

من فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة:

كراهية السؤال إلا لحاجة، مع بيان مشروعية لتداوى، وان أحب العباد إلى الله أحسنهم خلقا، أن رسول الله هو المبين لما أُجمل من كتاب الله العزيز، مشروعية التيمم عند خوف الضرر ولو مع وجود الماء.

الفصل الثاني
مكانة

الدعاة إلي الله تعالي

1 - رواه الحاكم ك / الطب 220/4

كما وردت في المستدرك للحاكم النيسابوري

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول:-

[ما يتعلق بالداعية إلى الله تعالى في مستدرك الحاكم النيسابوري]

المبحث الثاني:-

[فضل الدعاة إلي الله تعالي ومكانتهم من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري]

الفصل الثاني

(مكانة الدعاة إلي الله تعالي كما ورد في المستدرك).

المبحث الأول: ما يتعلق بالداعية في مستدرك الحاكم.

المطلب الأول:- سمات الداعي إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك :

لابد للداعية من التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الأخلاق الرذيلة، ومطالعة العلوم الشرعية التي تقرب من الله تعالي وتبصر الداعي بمواطن الأمور ومعرفة الحرام والحلال وترشده إلى الخير وتؤهله إلى إرشاد غيره من الناس مع ملازمة العلماء العاملين، والاستقامة على منهج الله علماً وعملاً، ومدارسة سير الصحابة والتابعين، ويمكن حصر هذه الصفات كما جاءت فى مستدرك الحاكم في الآتي:

السمة الأولي: - الإخلاص :

وأشد الناس حاجة إلى الإخلاص هم الدعاة إلى الله الذين يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن الشر والذين يمسكون بالكتاب ويصلحون الناس ويتكلمون بالدين

" وهذا باب عظيم معلوم نظرياً ولكن تحقيقه عملياً من الصعوبة بمكان ويحتاج ومن الإنسان إلى جهد ومصابرة، ومن حقق هذه الصفة لم يلتفت إلى نظر الناس ولا إلى أشيائهم أو تلمس ما يرضيهم وما اصدق قول القائل: أن بعض الناس يدعوا إلى الله وهو إنما يدعوا إلى نفسه " (1)
والتهاون في الأمر يفوت علي الدعوة الخير الكثير وينزع البركة من العمل، ومن ثم فلن يجد القبول عند الناس فهو منزوع البركة.
يقول الإمام الغزالي : " إن الداعي قد يري حين الدعوة والقيام بها عز نفسه بالعلم والدين وذل غيره بالجهل والتقصير، فربما قصد بالدعوة إظهار التميز على غيره، وإذلال المدعو بإشعاره ولو من طرف خفي بالجهل وخسة أهل الجهل والتقصير وسوء حال المقصرين وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يطوق به كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة... وهناك محك ومعيار ينبغي أن يمتحن الداعي به نفسه وهو أن يكون قيام غيره بالدعوة وإصلاح الناس واستجابتهم لغيره أحب إليه من استجابتهم له، فإن كان يود أن يكفيه غيره فهو على خير وإن كان لا يحب ذلك لغيره من أهل العلم والدعوة فما هو إلا متبع لهوى نفسه ، متوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة دعوته ، فليتق الله تعالى فيه وليدع أولاً نفسه " (2)
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده:
عن كعب بن مالك: عن رسول الله ρ قال " من ابتغى العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يقبل إفادة الناس إليه فإلى النار " (3)
من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :
* بيان أهمية الإخلاص في التمكين للدعوة والدعاة، وخطورة الرياء على الدعوة والداعي، وبيان الحكم الشرعي في الرياء وأنه يحبط العمل ويغضب الله تعالي،وانه لاحظ لصاحب الرياء في الآخرة عند الله تعالي ،كما صريح بدخول المفرط في حق العلم إلى النار وذلك لخطورة تضيع حق العلم ،.وبين أهمية توجه النية في العمل والأجر والثواب. البشارة بتمكين المؤمنين في الدنيا وعظم الثواب للمؤمنين في الآخرة، تحذير العلماء من الوقع في الرياء، وتخلله في قلوبهم، وبيان أن العلماء خاصة علي خطر عظيم فهم قادة الدعوة ومرشدو الناس.
* ضرورة تخليص القلب عما سوي الله تعالي وأداء أمانة التبليغ ابتغاء مرضاة الله.
السمة الثانية – العلـــــــــــــم :-
إن العلم هو النور الذى تسير فيه الدعوة وتسير ولولا العلم لكانت الدعوة خبط عشواء وحطب بليل لا يفرق صاحبه بين عود من حطب يستدفئ به هو وبنوه وبين ثعبان أقرع يهلكه ويبيده عند لمسه.
إن العلم سلاح الداعي وزاده علي الطريق والوسيلة التي تربط بينه وبين المدعين واللغة التي يفهما القاص والدان والتي لا تحتاج إلى ترجمان ، وعلي قدر العلم تكون الحكمة ومن ثم الدعوة، وبفقده تفتقد الدعوة وتكون الفجوة بين الداعي والمدعو، بل هو الينبوع الذي يمد جذور الدعوة وشجرتها بما تحتاج إليه وبفقده تذبل الدعوة وتموت ولا يجد المدعوين الظل الذي يقيهم من الحر والبأس ، وهو

---

1 مفهوم الحكمة في الدعوة صالح بن عبد الله بن حميدالطبعة : الأولىالناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعوديةتاريخ النشر : 1422هـ ص 14

2 - إحياء علوم الدين جـ 2 / 329 بتصريف وحذف يسير

3 - المستدرك برقم 295 وهو على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

أعظم أركان الحكمة وألزم الصفات للداعية ولهذا أمر الله به وأوجبه قبل القول والعمل فقال سبحانه وتعالى : " **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)** (1)

وقد ذكر أن من معاني الحكمة العلم ، فالبصيرة تجمع العلم والحكمة وهذه الخصلة لا تحتاج إلى مزيد بسط فهي معلومة ظاهرة ويكفي في هذا التنبيه إلى ترجمة البخاري رحمه الله في صحيحة حين قال : باب العلم قبل القول والعمل . (2)

" وفي مأثور الحكم : من تمسك بغير أصل ذل ومن سلك طريقاً بغير دليل ضل " (3)

ويشمل العلم الفهم الدقيق لما جاء في الكتاب والسنة وسير السلف الصالح ومفهوم أهل العلم والفقه علماً وعملاً،وما يسجد في هذه العلوم الشرعية بما يناسب كل عصر مما هو مستنبط من أصول الشريعة وقواعد الدين وتفصيل الأدلة واجتهاد العلماء أهل الاجتهاد ، ومعرفة الجديد في الأدلة الكونية والأدلة الإنسانية التي تقوي إيمان المدعون وتثبت في قلوبهم الدين وتقربهم من اليقين والخضوع لرب العالمين ، ولا بأس أبدا أن ينال الداعية القدر الوافر من العلوم الدنيوية التي تخدم البشر وتنفع الناس فالإسلام لا يفصل أبدا بين الدين والدنيا فهما لله تعالي وكل علم ينفع الناس هو من الدين ومما أوصى به الإسلام .

ولا يزال الرسول ρ فى توجيهه يشير إلى أهمية العلم وفضله ولا يزال يوصى ويهتف به وكذلك صحابته الأكرمون من بعده والتابعون لهم بإحسان.

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى:

ما رواه الحاكم بسنده:

عن عبيد الله بن أبي يزيده قال: كان ابن عباس إذا سئل عن شيء فكان في كتاب الله قال به ، فإن لم يكن في كتاب الله وكان من رسول الله ρ فيه شيء قال بما قال به أبو بكر فإن لم يكن لأبي بكر وعمر فيه شيء قال رأيه " (4)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف:-

كتاب الله تعالي هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي . أدب الصحابة مع كتاب الله تعالي، مع بيان مكانة ابن عباس بين الصحابة والرجوع إليه في مسائل العلم رغم حداثة سنة بين أكابر الصحابة، فالعبرة ليست بالسن، و ضرورة الرجوع إلى العلماء في الفتوى مع الرجوع إلى السنة النبوية بعد كتاب الله تعالي،في الحديث بيان مكانة السنة والرد علي من ينكرها، ولا يقر إلا القرآن أو من يسمون أنفسهم بالقرآنيين وفي حقيقة الأمر هم ليسوا قرآنيين أو سنيين وإنما هم بدعيين معتدين علي مكان خاتم النبيين ، واحترام رأي كبار الصحابة وما نقل عنهم في مسألة من المسائل يعد سندا شرعيا إذا لم يوجد في كتاب الله أو سنة النبي صلي الله عليه وسلم.،مع مراعاة مكانة كل صحابي ومعرفة رتبته وقربه من النبي وإعطاء كل ذي حق حقه، فأولهم أبو بكر رضي الله عنه ومن بعده عمر بن الخطاب ،ولو احترم الدعاة بعضهم بعضا لكان حال الإسلام غير ذلك ، أما فيما نجده من البعض اليوم محاربة العلماء بعضهم البعض ومحاولة تخطييء كل للآخر وتشكيك بعضهم لبعض، ومحاولة صعود البعض علي حساب البعض وغير ذلك كثير مما يعد من أخطر الأمور علي الدعوة والمدعوين .

---

1 - سورة محمد الآية 19

2 - البخاري كتاب العلم ب / العلم قبل القول والعمل 37/1

3 - مفهوم الحكمة في الدعوة ص 18

4 - المستدرك برقم 446 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي

لا اجتهاد إلا في حالة فقد الدليل من مصادره علي الترتيب الشرعي.
لا مجال للرأي إلا بعد فقد الدليل من مصادره الشرعية السابقة.
من فقه الداعي احترام الآخرين وعدم الغرور في الدين.
القائل برأيه في الدين قبل الكتاب والسنة والصحابة.... يجعل من نفسه مشرعا من دون الله.

السمة الثالثة ــ التقـــــــــــوى:-

إنه لا يصح أبدا أن يداوى العليل عليلا مثله لو نجح مع نفسه لنجع من غيره ولا يستمع الناس بل لا يعطوا آذانا صاغية إلى من يروا فيه المثل والتقى والهدى والرشاد ولا يزال الناس يحسنون الظن فى علمائهم ودعاتهم إلى يوم الدين ومن أجل الصفات التي تؤتى ثمارا جمة للدعوة إذا اتصف بها الداعية التقوى.

ويقصد بها كل معانيها من فعل المأمورات وترك المنهيات والتحلي بصفات أهل الإيمان فتقوى الله بشمولها إذا رزقها العبد فإنها تنير القلب وتفتح المدارك ويستبصر بها مواطن الحق ويهتدي بها إلى الوسائل والأساليب الصحيحة الملائمة للظروف والأحوال والأشخاص.

فصاحب التقوى في معية الله تعالي " قال تعالى: " "(1): "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ" صاحب التقوى يحصل العلم بتقواه " قال تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) (2) وببركة التقوى ييسر الله تعالي الأمر كله لصاحبه " قال تعالى : " ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا(3) والحديث عن التقوى مبثوث فى أرجاء السنة النبوية المطهرة وكذلك فى أحاديث المستدرك.

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى: ما رواه الحاكم بسنده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: " التقوى وحسن الخلق " وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: " الأجوفان: الفم والفرج "(4)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف:-

التأكيد علي أن التقوى من أهم الأسباب المقربة من الله تعالي،وأن التقوى طريق الجنة،وضوح عناية الصحابة بالسؤال عن الجنة وما يقرب منها، وعن النار وما يباعد عنها،الرجوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام في أمور الفتوى،و وجود أسباب شرعية للرحمة والعذاب مع ضرورة الفقه في الدين لكي ينال الإنسان رضي الله تعالي في الدنيا والأخر ويعلم ما يضره وما ينفعه وما يصلحه وما يهلكه.

خطورة الفم والفرج، وفي التعبير بهما بلاغة وفصاحة من الرسول صلي الله عليه وسلم، فبداية نلاحظ الكناية عن أكل الحرام والزنا، وفي التعبير بالفم أيضا ، يحتمل أن يراد به آكل الحرام ، وشهوة البطن كلها طريقها الفم ، ويحتمل الغيبة والنميمة، وشهادة الزور وكل أعمال اللسان فهي كثيرة جدا قد ينجو الإنسان من بعدها ويقع في الأخرى، لكن النبي صلي الله عليه وسلم عبر في إيجاز بالفم الفرج.

السمة الرابعة ــ التواضـــــــــــــع:

إن الدعاة هم أحوج الناس للين الجانب وإبداء التواضع للناس ذلك لأنه لشدة حرص الدعاة على هداية الخلق يتواضعون على من هم أدنى شأنا وأقل مكانة وهم يقصدون بذلك استمالة القلوب إليهم وتحبيب

---

1 - سورة النحل/ الآية 128

2 - سورة البقرة/الآية 281

3 - سورة الطلاق /الآية 5

4 _ المستدرك 18/ 294 باب أكثر ما يدخل الناس الجنة ــوقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

الناس فى الدعوة وقد جبلت النفس البشرية علي حب من يحسن إليها ويترفق بها ويتواضع في التعامل معها ولو كان هو من كان فالناس لا يقبلون من يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم واستصغارهم ولو كان ما يقوله حقاً وصدقاً، بلى إن الاستعلاء سبب ظاهر في كره الحق ورفضه وعدم قبول دعوته ولو كان فيها الخير فأي خير بمذلة وتعال لاتقبله النفس ولو كان معروفا تحتاج النفس إليه.
وفي الحديث: " إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد... "(1)وفي الحديث: " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " (2) فالفضل من الله ومن تحدث إلى الناس فليتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه والعلم نعمة ومنة من الله تعالي شكره يكون بحمد المنعم سبحانه، والتواضع في توصيل العلم إلى الناس وإبلاغهم بدعوة الله تعالي في أدب وتواضع.
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده:عن عبد الله بن أبي أمانة عن أبيه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(3)البذاذة من الإيمان البذاذة من الإيمان) (4)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف:-

محاسبة الإنسان علي الظاهر والباطن وفق ما جاء في الدين، والتواضع المدعوين وخفض الجناح لهم، مع ضرورة تواضع المسلم في مظهره ، فذلك رفعة في إيمانه، مع بيان تأكيد النبي علي أمر التواضع لأهميته.

السمة الخامسة:- الحلـــــــم والأنـــــــــاة:

إن طريق الدعوة طريق يحتاج ممن يمارسه إلى سعة صدر وسعة أفق وتصبر على ما يجرى من المدعوين والداعية أحق الناس بالصفح وعدم التعجل والأناة.
والحلم هو كظم الغيظ وسعة الصدر وانشراحه والصبر على إيذاء الناس وجهلهم، وتحمل من يجهل من الناس وعدم رد السيئة بالسيئة وبذل ما في الوسع من الصبر." ومن رزق الحلم ترقى في درجاته فيصل من قطعه ويعفوا عمن ظلمه ويحسن إلى من أساء إليه ويخطأ من يظن أن الحلم عجز وأن العفو ضعف وأن الإعراض عن الجاهل خوف وخور "(5)عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ρ ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (6)
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى: ما رواه الحاكم بسنده:عن أسامة بن شريك τ قال: شهدت رسول الله ρ والأعراب يسألونه قالوا: يا رسول الله علينا حرج في كذا الأشياء ليس بها بأس ؟ فقال: عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقتراف من عرض امرئ مسلم ظلماً فذلك الذي

---

1 - مسلم ك / الجنة وصفة ونعيم أهلها ب / الصفات التي يعرف بها أهل الجنة فى الدنيا 2198/4

2 - مسلم ك/ البر والصلة ب / تحريم ظلم المسلم 1986/4

3- البذاذة : رثاثة الهيئة والثياب . والمعني: التواضع في اللباس والمظهر وترك التبجح به ، وقالوا : هيئة بذة صاحبها فقير الحال

4 رواه الحاكم ج1 ص 21 برقم 18 قد احتج مسلم بصالح بن أبي صالح السمان. أورده الذهبي في التلخيص سنداً ومتناً، وسكت عنه

5 - مفهوم الحكمة ص 20

6 - البخاري 5649جـ19 / 72، مسلم 4723 جـ12 ص -19

حرج وهلك فقالوا ؟ نتداوى يا رسول الله ؟ قال: نعم تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا له دواء غير داء واحد قالوا يا رسول الله ما هو ؟ قال: الهرم.... " الحديث(1)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف:-

* حلم النبي صلي الله عليه وسلم في الرد علي السائل أين كان هو وأين كان سؤاله
* أولى بالدعاة أن يلتزموا الخلق الحسن والحلم مع الناس للوصول إلى الثمرة من الدعوة

وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يحلم علي من يجهل عليه من الناس مسلمين وغير مسلمين، حتى كان بعض الناس يتجاوزون في تعاملهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي يستحي من دفع الأمر عن نفسه، وكان الله تعالي هو الذي يدفع الآمر عن النبي بما ينزل في القرآن الكريم من آداب وتعاليم تأمر المسلمين بالتزام سلوك معين مع الرسول صلي الله عليه وسلم والأمثلة كثيرة منها ما جاء في سورة الحجرات في قضية رفع الصوت أدب الحديث مع رسول الله صلي الله عليه وسلم، وما جاء في سورة الأحزاب حول قضية الضيافة في بيت النبي صلي الله عليه وسلم وإطالة الجلوس وانتظار الطعام إلى غير ذلك والأمثلة علي ذلك كثيرة في القرآن الكريم

وإذا تجاهل الداعي المدعو فما الفرق بين الاثنين وما الخير الذي يبتغي من وراء الجهالة الحلم والأناة مع الجاهل تجعله يفكر في إصلاح حال نفسه والتزام سلوك الصالحين ولو بعد حين.ولو حلم الداعي الأول صلي الله عليه وسلم ما كان الناس وما وكان الإسلام.

* وهكذا فموضوع الدعوة وأركانها موجودة فى قرآن ربنا العظيم وسنة نبينا الأمين عامة وفى أحاديث الإمام الحاكم فى مستدركه خاصة.

السمة السادسة:- القـــــــــدوة:

ورسول الله ρ جمع القدوة بكل جوانبها حتى يكون أسوة للجميع وقدوة للكل يغترف منه من شاء ماشاء فالله عز وجل لم يكتف بإنزال الكتب علي الناس وتشريع الشرائع فأرسل الرسل، حتى يطبقوا هذه الشرائع حتى تعلم أن هذه الشرائع ممكنة التنفيذ فكان الرسول يأمر بالصلاة ويصلى ويأمر بالصدقة ويتصدق ويأمر بالجهاد ويجاهد وقصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثم أمر بإتباعهم والاقتداء بهم، فقال (**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**)(.([2])) وقُيدت القدوة هنا"بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة، وقد جاء في الحديث الشريف"من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)

أقســـــــــــــــام القـــــــــــــــــدوة

الأول :- القدوة الحسنة :

والقدوة الحسنة في([3]) الإسلام تنقسم إلى قسمين:-

---

1 - الحاكم في المستدرك برقم 8373 وقال صحيح وأورده الذهبي وقال صحيح رواه عشرة من أئمة المسلمين عن زياد

2 - سورة الأنعام الآية: 90.

3 - ليس في الإسلام قدوة سيئة لأن إسلام لا يدعو إلا إلى الخير الدائم

أ - **قدوة حسنة مطلقة** : أي معصومة عن الخطأ والزلل، كما هي في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة...) وقال: "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه...) إلى أن قال: "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)([1]) ، وقال : ") أى أنه يجب الإقتداء برسول الله في كل صغيرة وكبيرة وصغيرة ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة: أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يحصرها في وصف خاص من أوصاف، أو خلق من أخلاقه، أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الإقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها فيقتدي به صلى الله عليه وسلم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقتدي بأفعاله وسلوكه من الصبر الشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب، والمستحب، وغير ذلك مما هو محل الاقتداء

ب - **وقدوة حسنة "مقيدة**) أي بما شرعه الله عز وجل ؛ لأنها غير معصومة، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد يقتدي بهم في أمور دون أخرى، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري، أو خطأ اجتهادي ، لذا كان الاقتداء بهم مقيدًا بموافقة شرع الله... وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوبًا عامًا يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحًا حسنًا كان نبيًا رسولاً، أو كان تابعًا للرسل الكرام ناهجًا نهجهم في عمله

والثاني :- **القدوة السيئة** : التى نهى الله ورسوله عن التمثل بها أو التشبه بأهلها ويعني بها السير في المسالك المذمومة، وإتباع أهل السوء والاقتداء من غير حجة أو برهان، ومن ذلك قول المشركين:" إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ"([2]) ولهذا رد عليه القرآن بقول:" قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ "([3])

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك:ما رواه الحاكم بسنده: عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه:"أن النبي صلى الله عليه و سلم سافر في رمضان فاشتد الصوم على رجل من أصحابه فجعلت راحلته تهيم به تحت الشجرة فأخبر النبي صلى الله عليه و سلم بأمره فأمره أن يفطر ثم دعا النبي صلى الله عليه و سلم بإناء فوضعه على يده ثم شرب والناس ينظرون"(4)

السمة السابعة :- الصـــــــــــدق:

إن للصدق منزلة عظيمة ليس في دين الإسلام فقط بل في جميع الأديان، لا لأنه خُلق من الأخلاق الحميدة فحسب، بل لأنـــه أصل الإيمان المقبول عند الله عز وجل، وهو أساس النجاة من عذاب الله عز وجل، وبه يتميز أهل الإيمان الحق من المنافقين الكاذبين، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في منزلة الصدق: "وهو منزل القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوام، الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين" ...إلى أن يقول: "فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة (النبوة) التي هي أرفع درجات

---

1 - سورة الممتحنة: الآيات 4-6.

2)سورة الزخرف الآية /23

3)سورة الزخرف الآية /24

4) رواه الحاكم ك / الصوم 598/1

العالمين".

ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلـف في فضل الصدق وخطورة أمره وعلو شأنه.

ولقد اخترت هذه الوقفات التربوية لخلق الصدق في ضوء القرآن الكريم لمعالجة هذا الموضوع الذي يهم كل مسلم بصفة عامة، ويهم الدعاة إلى الله عـز وجل بصفة خاصة، لاسيما في واقعنا المعاصر، وتتجلى أهميته في الأمور التالية:

الأمـر الأول :- لأنه أساس الإيمان، وركنه الركين ، وأساس قبول الطاعات والقربات عند الله عز وجل، وعليه يترتب الأجر والثواب يوم القيامة،قال تعالى:((ليجزي الله الصادقين بصدقهم))(1) وقال تعالى:((هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار...))(2) ولأنه أساس الطاعات وجماعها، فقد أصبح الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها، ويظهر ذلك من وجوه منها :

أن الصدق هو المميز بين المؤمن والمنافق، ففي الصحيحين عن أنس عن النبي: "آية المنافق ثلاث : إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان"(3)، وفي حديث آخر: "على كل خلق يطبع المؤمن ليس الخيانة"(4)وقد وصف الله المنافقين في القرآن بالكذب في مواضع عدة ومعلوم أن المؤمنين هم أهل الجنة، وأن المنافقين هم أهل النار في الدرك الأسفل منها.

أن الصدق هو أصل البر، والكذب هو أصل الفجور، كما جاء في الصحيحين عن النبي: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر..."(5)

أن الصادق تنزل عليه الملائكة، والكاذب تنزل عليه الشياطين كما قال تعالى: ((هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ*تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ *يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)([1])

الأمر الثاني:- أن الصدق في كل الأمور يوصل صاحبه إلى مرتبة"الصديقية"، التي هي المرتبة التالية لمرتبة النبوة ، وعندما أقول في كل الأمـور أريد من ذلك عدم حصر الصدق في اللسان فقط، وإنما الصدق في النيات والأقوال والأعمال والأصل تحري الصدق في ذلك كله.

إن مجاهدة النفس على تحري الصـــدق في جميع الأمور يوصلها إلى هذه المرتبة العظيمة مرتبة"الصديقية" كما جاء في الحديث الســابق الذكر: "... ولايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقا"(8)

وهنيئاً لمن وصل إلى هذه المرتبة، فيا لها من رتـبـة، وما أشرف قدرها وأعظم فضلها، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في وصـــف أهل هذه الطبقة: "الطبقة الرابعة ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم، وهم القائمون بما بعثوا به علماً وعملاً ودعوة للخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم، وهذه أفضل مراتب الخلـق بعد الرسالة والنبوة، وهي مرتبة الصديقية، ولهذا قرنهم الله في كتابه بالأنبياء فقـــال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً)([2])

السمة الثامنة:- الصـــــــــــــــبر:

على الداعية أن يعلم أن طريق الحق محفوف بالمخاطر ليس مفروشا بالورود ولا ممهدا فظل النبي صلى الله عليه وسلم يبلّغ دعوته والقوم يُعرِضون عنها ويقابلون الدعوة بالإيذاء للنبي عليه الصلاة والسلام ولأصحابه، والرسول وأصحابه يلاقون الإيذاء بالصبر والاحتمال، فالله تعالى قد أمره عليه الصلاة والسلام من أول يوم بالصبر، من أوائل ما نزل في القرآن سورة المدثِّر فيها يقول الله تعالى

---

1 - سورة الشعراء الآيات: (121 - 122، 123)

2 - سورة (النساء: - الآية 69)

(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (*) قُمْ فَأَنْذِرْ (*) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (*) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (*) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (*) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (*) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (*)) ([1])

اصبر لله على ما تلاقي من الأذى ومن الصاب العلقم، فالطريق طريق طويل، طريق مفروش بالأشواك مضرَّج بالدماء ،وجاءت سورة المزمل بعد ذلك (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ *قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً*نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً*أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً*إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)([2]) يربي الله تعالى رسوله ويعده ويهيئه في مدرسة الليل ومدرسة القرآن (ورتِّل القرآن ترتيلاً) لماذا؟ (إنَّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) أمامك حمل ثقيل أمامك رسالة ضخمة تريد أن تبلِّغها إلى العرب ثم إلى العالم، فأنت رحمة للعالمين، نذير للعالمين وفي هذه السورة يقول (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً) قد كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤذيه ما يقولون عنه، قالوا ساحر وقالوا شاعر، وقالوا مجنون وقالوا مفترٍ كذاب، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملَى عليه بكرة وأصيلاً وقالوا إنما يعلِّمه بشر وقالوا ما قالوا، فكان هذا يؤذي النبي عليه الصلاة والسلام، الله تعالى يقول (فلا يحزنك قولهم) اصبر على ما يقولون تكررت هذه الوصية في القرآن، (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين أولي النعمة ـ النعيم والترف ـ ومهلهم قليلاً).

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك:،ما رواه الحاكم بسنده:

عن ربيعة بن عباد الدؤلي يقول رأيت رسول الله ρ بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا قال ووراءه رجل يقول يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل قيل أبو لهب (3)

قال ابن جرير " :يقول تعالى ذكره: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ" وهو القرآن "وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه"(4) وبهذا يتضح من دلالة الآية أن الله سبحانه تكفَّل بحفظ القرآن، وهذا يستلزم منه حفظ السنة التي هي بيان للقرآن كما قال سبحانه: "(....وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(5)

لأن المقصود حفظ الشريعة والدين، ولا يتحقق هذا على وجه الكمال والتمام إلا بحفظ السنة التي هي بيان للقرآن، وقد دل على هذا قوله سبحانه: " إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ *فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرآنه * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"(6)، أي بيان القرآن وإيضاحه علينا، ويستلزم من ذلك حفظ هذا البيان، وهو السنة. وقد حفظ الله السنة في صدور الصحابة- رضي الله عنهم- والتابعيين حتى بلغوها للأمة وكتبت ودونت في المصنفات، والمسانيد والمعاجم، وهيأ الله -سبحانه وتعالى- لهذه السنة جهابذة العلماء الذين بذلوا جهوداً عظيمة في حفظها من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وابتكروا وسائل وطرقاً تضمنت أصولاً وقواعد عرفت بعلوم الحديث، وهي في غاية الإتقان والإحكام يحصل من

---

1 - سورة المدثر الآيات من 1: 7.

2 - سورة المزمل الآيات من 1: 5

3 رواه الحاكم ك / الإيمان 61/1

4 - تفسير ابن جرير (14/ 7)،

5 – سورة النحل من ألآية :44

6 - سورة القيامة الآيات – 17– 18– 19 .

خلالها تمييز الصحيح من الضعيف والمحفوظ من المنكر والشاذ، وإيضاح الأوهام والأخطاء التي توجد في الأسانيد والمتون، ومن أمعن النظر في تراجم أئمة الحديث، وتدبر ما آتاهم الله من قوة الحفظ وسداد الفهم والتفاني في خدمة السنة والذب عنها أدرك أن ذلك ثمرة حفظه تعالى لدينه وشريعته، ولكن لما كان القرآن معجزاً بألفاظه ومعانيه ومتعبداً بتلاوته جعل الله حفظه إليه ونُقل نقلاً متواتراً، وأما السنة فلم يقصد التعبد ولا الإعجاز بألفاظها فحفظها الله- سبحانه وتعالى- بتهيئة أولئك الأئمة الذين بذلوا جهوداً عظيمة في حفظها والذب عنها، يقول ابن تيمية: (فإن الدين محفوظ بحفظ الله له ولما كانت ألفاظ القرآن محفوظة منقولة بالتواتر لم يطمع أحد في إبطال شيء منه ولا في زيادة شيء فيه بخلاف الكتب التي قبله قال تعالى" :إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (1) بخلاف كثير من الحديث طمع الشيطان في تحريف كثير منه وتغيير ألفاظه بالزيادة والنقصان والكذب في متونه وإسناده فأقام الله له من يحفظه ويحميه، وينفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فبينوا ما أدخل أهل الكذب فيه وأهل التحريف في معانيه.

---

1 –سورة الحجر: الآية 9 .

المبحث الثاني :

فضل الدعاة ومكانتهم عند الله تعالي من خلال أدحايث المستدرك للحاكم النيسابوري.

تمهيد:
إذا كانت دعوة الحق (الإسلام) قد كتب الله تعالى لها الغلبة و النصرة و التمكين على سائر الدعوات الباطلة أيا كان مسماها, و إذا كانت الدعوة الإلهية فريضة شرعية وضرورة دينية في شتى مناحي الحياة للإنسان على مر العصور و الدهور، وسائر الأماكن و مختلف الأزمنة، وإذا تجلت مهمة الأنبياء و الرسل من بني آدم عليه السلام، إلي خاتمهم سيدنا محمد ρ في تبليغها و نشرها بين الأقوام، بالنسبة للرسالات التي سبقت الدعوة الخاتمة، فإن الأمر يقتضينا في هذه الدراسة بيان منهج كلمة الوحي الإلهي(الممثلة في القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة) في فضل الدعاة ومكانتهم عند الله تعالى، وحاجة المدعوين إليهم وهذا يدفعنا لبيان المطالب الآتية:

المطلب الأول : منزلة الدعاة ومكانتهم كما وردت في المستدرك.
المطلب الثاني : مهمة الدعاة إلى الله تعالى كما وردت في المستدرك.
المطلب الثالث : أهلية الدعاة و إعدادهم لمهمة تبليغ دعوة الحق كما وردت في المستدرك.
المطلب الرابع : حاجة المدعوين للدعاة إلى الله تعالى كما وردت في المستدرك.
ولي مع كل مطلب من هذه المطالب وقفة لتوضيحها فأقول و بالله التوفيق:

المطلب الأول:-
منزلة الدعاة ومكانتهم عند الله تعالى من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري:-
الدعوة إلى الله تعالى هي في الأصل وظيفة الأنبياء والمرسلين، و العلماء نواب عنهم وورثتهم و أمناء الله تعالى على شرعه، والحافظون لدينه سبحانه، و القائمون على حدوده جل وعلا، العارفون بما يجب له جل شأنه، فإذا قالوا: أصغت إليهم الآذان، ووعت القلوب، و حكت الألسنة، وإذا فعلوا لحظتهم العيون، وهم الحجة البالغة، و البرهان القاطع، و النور الذي يهتدي به الناس أجمعون قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)([1])

---

1 - سورة فصلت:الآية33)

و من ثم كانت مهمتهم شاقة و عظيمة، ووظيفتهم خطيرة، وتزداد جسامة وخطرا حين يتصدون للدعوة و الإرشاد و التبليغ إلي العالمين، إن قصّروا و كتموا الحق وأخفوه عن الناس حق عليهم لعنة الله تعالى و الملائكة والناس أجمعين.
قال تعالى(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)([1])
و في الحديث النبوي: (قال ρ : من سئل عن علم فكتمه جيء به يوم القيامة و قد ألجم بلجام من نار (2)
أما الذي يقومون بمهمة وظيفتهم التي كلفهم الله تعالى بها، كذالك ورثة الأنبياء و المرسلين من بعدهم فقد خصهم الله تعالى بمجموعة من المكارم التي رفعت من منزلتهم عند الله تعالى، و بين سائر

المدعوين وقد أكدت كلمة الوحي الإلهي (الممثلة في القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الصحيحة) من هذه المنزلة مايلي:
أولا: الدعاة هم خير الناس لأنهم سبيل الهداية للبشر، يعرفونهم طريق الله المستقيم، و يميزون للمدعوين سبيل الخير و الحق من طريق الشّر و الضلال.
فقد سئل النبي ρ وهو على المنبر: من خير الناس؟ فقال:آمركم بالمعروف و أنهاكم عن المنكر واتقاهم لله و أوصلهم للرحم.
عن قتادة أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما قرأ: " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(3) ،"قال يا أيها الناس ؟من صره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها."(4)
وثانيا : الدعاة إلى الله تعالى خلفاء الله جل شأنه ورسله وورثة أنبيائه في الأرض : فهم خلفاء دعوة إلهية لا إمارة دنيوية ، خلفاء التربية و التهذيب لا خلفاء سياسة . فهم هداة الأمم لا خلفاء دولة و علماء إصلاح لا رؤساء يتحكمون بالباطل.
و في الحديث النبوي:من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه و خليفة رسولهρ و خليفة كتابه
ثالثا:- وهم المجاهدون في سبيل الله تعالى، والشهداء على الناس
قال تعالى(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً..) (5)
و في الحديث النبوي:وأفضل الجهاد:كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر) (6)

---

1 - سورة البقرة: الآية **159**)

3- المستدرك ك العلم 181/1 ح 344 دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولي. هذا حديث تداوله الناس بأسانيد كثيرة تجمع و يذاكر بها و هذا الإسناد صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ذاكرت شيخنا أبا علي الحافظ بهذا الباب ثم سألته هل يصح شيء من هذه الأسانيد عن عطاء ؟ فقال: لا قلت: لم ؟ قال: لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرطهما . أخرجه أبو داود في السنن عن أبي هريرة كتاب العلم باب كراهية منع العلم ج4 ص 67-68

3 –سورة:آل عمران:الآية110)

5- صحيح البخاري 65 ص37 - 38

5 – (سورة –ا لبقرة:الآية143)

6 –المستدرك علي الصحيحين ك الفتن والملاحم 4/ 551 ح8543

رابعا:- وهم خير المتصدقين ففي الحديث النبوي: أفضل الصدقة: أن يتعلم الرجل علما ثم يعلمه أخاه المسلم فنعمت الهدية و العطية، و الكلمة من الخير يسمعها الرجل فيهديه إلى أخ له مسلم.(1)
خامسا:- استمرار الأجر و العمل للدعاة لما أحدثوا في بيئتهم من تزكية النفس، وتنقية المجتمع من الشرك و الطاغوت إلى التوحيد الخالص لله تعالى، و لما تركوا في تاريخ الإنسانية من ينابيع الهداية في إصلاح الاعوجاج و العيوب و تربية العقول و النفوس ولذا كان أجرهم عند الله عظيما، وفضلهم بين المدعوين كبيرا.
ففي الحديث: من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لم ينقص ذلك من أجورهم شيئا، و من دعا إلى ضلالة كانت عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك آثامهم شيئا.([2]).
سادسا:- وهم ورثة الأنبياء والمرسلين ففي الحديث: العلماء ورثة الأنبياء، وهل هناك شرف أعظم مما يداني في هذه المنزلة و الكرامة من منزلة الأنبياء و المرسلين وهم
سابعا:- المفلحون في الدنيا و الآخرة، قال تعالى:(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)([3])
ثامنا:- وهم أحسن الناس قيلا و حديثا لقوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)([4]).
تاسعا:- يستغفر لهم أهل السماء و الأرض:-
لما روي في الحديث: أن الله و ملائكته وأهل السموات و الأرض حتى النملة في جحرها و الحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير)([5])
و الصلاة من الله تعالى رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن المدعو (الإنسان) دعاء، و هذه منزلة قلما يدركه أحد إلا من تصدى لوظيفة الدعوة و القيام بأعبائها و سار في طريق الهداية و الإصلاح و التبليغ.
عاشرا:- وهم في مرتبة الثالثة بعد طاعة الله تعالى و طاعة رسوله ρ
قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ... ([6])) قال بن عباس رضي الله تعالى عنه : و أولوا الأمر هم العلماء تفسير الطبري([7])
و قال الإمام ابن القيم في تبيان منزلة العلماء و منهم(الدعاة إلى الله تعالى): هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، و بهم يهتدي الحيران في الظلماء، و حاجت الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام و الشراب، و طاعتهم أفرض من طاعة الأمهات و الآباء كما في الآية الكريمة السالفة الذكر([8]).و قال أبو الأسود الدؤلي : ليس شيء أعز من العلم، ، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك و رحم الله تعالى من قال :

1- المستدرك للحاكم مجلد 1 ص 89 سنن أل داود صـ 4 ص 41 ،42

2 - صحيح مسلم صـ 4 ص 2059 ،2060

3 – (سورة غافر الآية:51)

4 - سورة فصلت الآية (33)

5 - سنن الترمذي مرفوعا عن أبي أمامة، و مجمع الزوائد 36/1

6 -(سورة النساء الآية:59)

7 - جـ 6 ص 149.

8 - إعلام الموقعين لابن القيمجـ 1 ص 9

إن الملوك ليحكمون على الورى **** وعلى الملوك لتحكم العلماء([1])
حادي عشر:- وظيفتهم و مهمتهم من أشرف الوظائف وسبيلهم خير لهم من الدنيا و ما فيها فعن الإمام علي – كرم الله تعالى وجهه – عند النبي ρ أنه قال:فو الله لأن يهدى الله بل رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم
(أي: الإبل الحمراء التي كان العرب يتفاخرون بها لنفاستها و عظمتها و في رواية: خير لك مما طلعت عليه الشمس و غربت، و هذه مكرمة أكرم الله تعالى بها الدعاة و ضمهم بها عن جميع خلقه تعالى، قال تعالى(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ([2])وهم نجوم السماء في الظلماء، و هداة الإصلاح و الرشاد و الحق
لما جاء في سنن الإمام أحمد أن رسول الله ρ قال: إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدي بهم في ظلمات البر و البحر فإنا أنظمت النجوم أوشك أن تضل الهداة ([3]) فالعلماء و الدعاة إلى الله تعالى، منارات الهدى، و إشعاع و سراج للأمم، و شموس حياة للإنسانية جمعاء، فإذا غابة الشمس أظلم الكون واختلت الحياة، و إذا طمست المنارات ظلت السفن و تحير الربان. ([4])

المطلب الثاني:-
مهمة الدعاة إلى الله تعالى كما وردت في المستدرك.
نعم الله تعالى على البشرية لا تعد ولا تحصى و صدق الله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)([5]).
و حق المنعم وأداؤها أن يقوم الإنسان بمهمة استخلافه في الأرض وفق ما فطره الله تعالى عليه، وعلى الداعية – خاصة – أن يقوم بمهمته من وراثة الأنبياء و المرسلين، والدعاة أمناء الله في الأرض، أمناء على أداء و التبليغ رسالة ودعوة الله تعالى، وهداية البشرية لما فيه سادتها في الدنيا

و الآخرة ،وتتجلى وظيفة الدعاة إلى الله في كلمة الوحي الإلهي (الممثلة في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة) و يمكننا أن توضيح هذه المهمة على النحو الآتي:
أولا: - الحرص على تبليغ الناس دعوة الحق
فالدعاة إلى الله تعالى أحرص الناس على تبليغ وذيوع دعوة الحق، لا يألون في ذلك جهدا، ولا يستكثرون من أجله عملا، فقد فقههم الله تعالى في الذين، فأوجب عليهم التبليغ ،قال تعالى: إذا أخذ الله ميثاق الذي أوتوا الكتاب لتبينه للناس و لا تكتمونه..([6]) و في الحديث النبوي: ما آتي الله عالما علما

---

1 - نقلا (الدعوة إلى السلام) أحمد البيانوي ص 73.

2 - سورة (النحل: الآية : 120)

3 - سنن الإمام أحمد جـ 3 ص 112.

4 - لمزيد من الاستفادة انظر (الدعوة و الإنسان) د.عبد الله الشاذلي ص 115-128 بتصرف و (فضل الدعوة و الداعية)لعبد الله ناصح علوان ص 53- 69 بتصرف، و(معالم دعوة الحق في موكب الدعاة إلى الله)د.مرسي شعبان السويدي ص242 إلى ص250 بتصرف مطابع التوحيد 1991

5 - سورة (النحل:الآية 18)

6 - سورةآل عمران من لآية 178

إلا وأخذ عليه الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه.([1]) وفي حديث: من علم علما فكتمه ألجمه الله اليوم القيامة بلجام من نار([2]).
ثانيا :- تأكيد أن دعوة الحق (الإسلام) وحدها هي الواجبة بالولاء والطاعة و التبليغ .
ثالثا:- تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم
وأمور الدين الإلهي الذي يجب أن يعلمها الدعاة إلى الله تعالى للناس نجملها فيما يلي:
أصول الدين(عقيدة وشريعة)(عبادات و معاملات) وأخلاق و أما أمور الدنيا فكثيرة وهي خاضعة لأصلين: المصالح المرسلة و سد الذرائع
رابعا:- حث الناس على فعل الخير و التنافس فيه
قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)([3]).
وفي الحديث النبوي إنما مثلي ومثل الناس، كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار، يقعن فيها، فجعل الرجل يزعهنَّ، ويغلبنه، فيقتحمن فيها، فأنا آخُذُ بِحُجَزِكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها([4])
وأفضل الكلام الله و أحسن الهدي هدي محمد (صففي الحديث النبوي عن عبد الله قال: كنا إذا تعلمنا من النبيρ عشرة آيات من القرآن لم نعلم من العشر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه ([5]).
خامسا:- غرس الانتماء و الولاء لدعوة الحق في نفوس المدعوين
قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)([6])
سادسا:- غرس الالتزام بدعوة الحق قولا و عملا في سلوك المدعوين
سابعا:- توظيف طاقات المدعوين بدعوة الحق فيما يعود عليهم بالنفع العام في المعاش والمعاد و ذلك بتحديد الوسائل و الغايات و مجالات العمل في شتى مناحي الحياة، وأسلمه هذه المناحي وفق كلمة الوحي الإلهي ليعرف كل إنسان متطلبات العمل الواجب عليه و الذي يتناسب وقدرته ومواهب ([7])
قال تعالى:((قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّل الْمُسْلِمِين))([8]).
و في حديث:- إن رجل لا يتكلم بكلمة فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن رجل يتكلم بكلمة فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه([9])

---

1 - الحلية لأبي نعيم جـ 10 ص 173 مؤسسة الرسالة.

2 - المستدرك للحاكم مجلد 1 ص101

3 - (سورة الحج:الآية 77)

4 - صحيح البخاري باب الرقائق جـ 137/8،) المستدرك للحاكم مجلد 1 ص103

5 - المستدرك للحاكم مجلد 1ص 557

6 - (سورة آل عمران: الآية 31)

7 - لمزيد من الاستفسار صلاتي أنظر فقه الدعوة إلى الله د.علي عبد الحليم محمود جـ 2 ص781 -817 بتصرف

8 - سورة الأنعام الآيتان 162-163 .

9 - المستدرك للحاكم 77/1

وفي حديث: (عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) ([1])
و في الحديث:عليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين([2])
و الثقافة النظرية هي علوم الدين (أصول و فروع)
أما الأصول فهي:- القرآن الكريم و علومه و هي كما عدها الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن) أكثر من سبعين علما، وكذا (السنة النبوية)و علومها، و السيرة الذاتية للرسول ρ و علوم اللغة و الآداب و البيان... و هي من أصول الدين لأنها لغة الإسلام ووعاء القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة.
وأما العلوم الفرعية فهي الفقه و أصوله و مذاهبه، و الأخلاق، و تاريخ الإسلام، و الصحابة و التابعين و تاريخ رجال الفكر و الإصلاح المجددين، وتاريخ الحركات و المذاهب الإسلامية و المناهضة للإسلام، و تاريخ الحروب و الفتوح، و علم البيئة و النبات و وظائف الأعضاء و علم النفس و الوراثة و علوم الجغرافية و البحار و الصخور و الزلازل و الأحياء و كل علوم لازمة و الضرورية لإعداد الداعية إلى الله في ميدان عمله الدعوى فيها تلزمه لمعاشه ومعاده كما أنها ملاذ للإنسانية جمعاء، فضلا عن علوم الدعوة إلى الله التي هي زاد و قوارب نجاه تسلحه لمواكبة مقتضيات العصر و متطلباته.
أما الثقافة العملية اللازمة لإعداد الداعية فيمكن إجمالها فيما يلي:
ا) زيارات ميدانية لكبار الدعاة و التعرف عليهم من قرب مع الاستفادة بتجاربهم في الدعوة.
ب) زيارات ميدانية لكبار الدعاة أثناء ممارستهم للدعوة و الاستماع إليهم و التعرف على مناقبهم و آثارهم و مفاخرهم.
ح) حضور عدد من الدورات أو الندوات أو كلا هما بحيث تتناول و سائل وأساليب و تاريخ و أركان وأهداف و ثقافة الداعية وفضل الدعوة إلى الله تعالى.
د) تدريب عملي علي الدعوة في شتي مجالاتها التعبيرية المشافهة والمدونة.([3])

الإعداد الفني للداعية ووسائل تحقيق مهارته في ميدان الدعوة :
و يقصد به: الإعداد الذي يقوم على المهارة والإتقان للعمل، و تطبيق النظريات العملية بالوسائل الحديثة، و كافة الأساليب التي تحققها، وهذا الفن يكتسب بالمران و المدارسة و التدريب، و المقصود بالفن في مجال الدعوة إلى الله تعالى: جملة القواعد الخاصة بحرفة الدعوة و جملة الوسائل و الأساليب لأ هداف الدعوة إلى الله تعالى.
و على الداعية أن يتعرف على أهم الحرف النوعية و الفنية التي يتعرض لها في مجال عمله الدعوى وهي: الخطبة بكافة أنواعها، و المحاضرة، و الدين، و الحديث و المناظرة و الحوار و الرسالة و المقالة و الكتابة و العمل في المسرح و السينما و الإذاعة المقروءة و المسموعة و المرئية، و كذا العمل في المؤتمرات و الندوات و المعسكرات و الرحلات و غيرها فكلها حرف فنية يجب أن يعد

---

1 المستدرك للحاكم مجلد 203/1.

2 - المستدرك للحاكم مجلد 1 ص 96.

3 - لمزيد من الاستفادة انظر (فقه الدعوة إلي الله تعالي) د علي عبد الحليم محمود، وجند الله ثقافة وأخلاقا) سعيد حوي، والمكتبة الإسلامية ذاخرة بالعديد من المؤلفات التي تخدم هذا الموضوع فارجع إليها وما سلف نماذج منها.

الداعية نفسه الاعداد الجيد كي يقوم بأداء عمله على الوجه الأكمل فيؤثر ويثأر و يقنع و يستميل المخاطبين و المدعوين بالدعوة.
الخامسة: الإعداد الحركي و العملي التدريبي للداعية:
إن ميدان عمل الداعية متعدد الجوانب،و مترامي الأبعاد ، و إن كافة الأعمال المنوطة به مختلفة ،و من ثم لزم الإعداد العملي و التطبيقي و السلوكي و التدريبي لها فهي ضرورة من ضرورات العمل الإسلامي و من أهم مقتضياته و متطلباته ، و لذا يمكننا حصر هذه المجالات و إجمالها فيما يلي :
أ – مجال الخطابة بأنواعها (السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية و التربوية و العسكرية الخ
ب – مجال المحاضرة دينية و علمية و أدبية، وغيرها.
ج – مجال الدروس في المساجد و النوادي و أما كن تجمع الناس.
م- مجال المناظرة آيا كان الموضوع المطروح فيها لأخذ وجهات النظر ما دام ذا صلة بحاجة المدعوين وإهتمامتهم.
هـ - مجال كتابة الرسائل شخصية أو عامة أو علمية أو أدبية أو غيرها.
و – مجال كتابة المقالات بأنواعها.
ز – مجال تأليف الكتاب أيا كان موضوعه.
ح – مجال التحليلات السياسية المواكبة للأحداث و النظر فيها لأخذ العدة و الاعتبار.
طـ - مجال القيام بعمل الدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية أو العلمية في حقل التربية و التعليم و الإعلام بوسائله، و قضايا المرأة، وتربية الأطفال، و الإسكان و النقل بوسائل و تنمية الثروات و الصناعات و غيرها.
ي- مجال كتابة البحوث العلمية المنهجية في أي موضوع له صلة بحياة الإنسان و تحقيق مصالحه أو رفع الضرر عنه.
ك - مجال الدعوة الفردية و الجماعية و متطلبات كل منها.
ل – مجال العمل الحركي و متطلباته في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.
م – مجال العمل التنظيمي و القيادي في مجال الدعوة إلى الله تعالى.
ن – مجال الهجرة و الرحلات تحقيق لهدف الداعية.
وكذا معرفة طبيعة البلاد التي ينتدب إليها، و ما يواجهها من مشاكل و معوقات، و لغتها، و فكرها، و إيديولوجيتها و حال الأقليات المسلمة، و ما يواجهها، ثم ضرورة تبادل وجهات الفكر لحل المشاكل و إزالة المعوقات.
و كذا معرفة مجال العمل الجماعي في مختلف الحقول و المجالات السالفة الذكر كي تعد الداعية الاعداد الكامل لمواجهة كل متطلبات وظيفته الدعوية
ومما سلف من مؤهلات للداعية نجد كلمة الوحي الإلهي قد راعتها في كافة تشريعاتها و أحكامها على نحو ما سنفصلها من خلال عرضنا لهذه الدراسة.

المطلب الثالث :-
أهلية الدعاة و إعدادهم لمهمة تبليغ دعوة الحق كما وردت في المستدرك.
الدعاة إلى الله تعالى هم المبلغون عن الله و رسوله دين الحق، و هداية الخلق، ولما لهذا التبليغ من مكانة كان واجبا على من يتصدى لهذه المهمة من الاستعداد و التهيئة لحمل أمانة الكلمة في دنيا الناس

و واقعهم، انه يكون مؤهلا لآداء أمانة هذه الدعوة الإلهية، و كيف لا وهم – الدعاة – كتائب الحق في مواجهة ومجابهة أدعياء الباطل، وهم – أي الدعاة – الشعاع الذي يرشد إلى ضوء النهار.
و قد أكدت كلمة الوحي الإلهي (الممثلة في القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الصحيحة) على ضرورة أهلية الدعاة و إعدادهم لمهمة التبليغ دعوة الحق.
قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (1)
و قال جل شأنه: (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرِ.(2)
وقال سبحانه: (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (3)
وفي المستدرك علي الصحيحين للحاكم النيسابوري من الأحاديث الشريفة الصحيحة تؤكد ضرورة إعداد الدعاة لحمل هذه الأمانة، التي استخلفوا في الأرض من أجلها، و أبت السماوات و الأرض على حملها، و قبل أن نسوق هذه الأحاديث، أود أن أجلى أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الدعاة إلى الله تعالي، و لا سيما ورثة الأنبياء و الرسل، و يمكن تقسيمها إلى مجموعتين متكاملتين يتفرع من كل واحدة منها مؤهلات عديدة.
إحداها:- صفات فطرية يمنحها الله تعالى لمن شاء من عباده و من حرمها لا يستطيع تحصيلها.
و ثانيها:- صفات مكتسب يحصلها الإنسان و يكتسبها عن طريق البيئة و الخبرة و الممارسة.(1)
ويمكننا إجمال أهم الصفات الفطرية في ما يلي:
أولا : الإيمان القوي بالدعوة و هذا يتطلب إذعانه للحق على سبيل التصديق اليقيني بالقلب، و إقرار باللسان و عملا بالجوارح،أي لا بد أن يكون الداعية مفطورا على الإيمان ، معروفا بين الناس بطيب السيرة و السريرة حتى يكون أهلا لحمل أعبا ء الدعوة من الله تعالى و رسوله ρ .
ثانيا:- الإخلاص في الدعوة فيتبرأ من كل ما دون الله تعالى.
و الإخلاص صفة لازمة للداعية لا يستطيع بدونها أن يمارس مهمته في ميدان العمل الدعوى و ذلك أسوة بأنبياء الله.(4)
الله تعالى ورسله و اقتضاء بهد يهم في الدعوة إلى الله تعالى
قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّل الْمُسْلِمِين)(5)
وقال جل شأنه: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (6)

---

1 - سورة فصلت الآية:33)
2 – سورة الشورى الآية (15).
3 - سورة الأحقاف: الآية 31 –32)
4 - معالم دعوة الحق في موكب الدعاة إلى الله د. مرسي السويدي ص 363-373 بتصرف
5 - سورة الأنعام الآية:162)
6 – سورة يونس الآية:72)

(وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ)[1]
(وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)[2]
و هي مقولة كل رسول أرسل إلى قومه.
ثالثا:- الصلاح و التقوى (قولا و عملا – ظاهرا و باطنا) و هي صفة ضرورية في الداعية و كل من ينصب نفسه لحمل أمانة التبليغ بين الناس و إلا فقد الأهلية، و لا أدل على الصلاح و التقوى من حسن الخلق الذي هو غريزة فطرية يمنحها الله من يشاء من عباده فالدين حسن الخلق كما في الأحاديث النبوية
رابعا:- الذكاء و الفطنة و السرعة البديهة و هي منحة إلهية لا تمنح إلا من اصطفاهم الله تعالى لحمل رسالة الدعوة أو من يجتبيهم من سائر عباده، و هذه السمة لا مجال للإنسان في كسبها، و العوامل الوارثية تعين على تنمية مستوى الذكاء من حيث هو قدرة ، أما العوامل الكسبية (البيئة) فتعين على مدى نمو هذه القدرة و إمكانياتها ، وهي في الداعية ألزم وأوجب حتى تتوافر فيه الأهلية و القدرة على معالجة كافة المحن التي تواجهه في ميدان عمله الدعوى و لعل من أبرزها :
أ) قدرته على البيان والإفصاح عن طبيعة دعوته و أسسها و أساليبها و وسائلها وغايتها فهو يتعرض لمواقف دعوية مختلفة (تعبيرية و مشافهة) و لكل موقف آدابه و حججه للإقناع و الاستمالة (الكلام و المشافهة و الحوار و المناظرة و الكتاب و المقالة و القصة و ضرب الأمثال و قد يكون الداعية (متكلما و مدربا و محدثا و مناظرا و محاورا و خطيبا و كاتبا و غيرها من سائر المواقف التي يتعرض لها و لكل مقام و مقال.
ب) قدرته على الخطابة المؤثرة بكل أنواعها (السياسية و الاجتماعية و الدينية و القضائية و غيرها و لكل منها أساليب و أدلتها لإ قناع و استمالة المدعو.
جـ) قدرته على الحكم الصحيح على الناس بذكاء و شفافية وثقة في النفس و استهدافا لإ حقاق الحق و دحض الباطل.
د) قدرته على النقد و الموازنة بين سائر الأمور بنظر فاحص و تأمل جيد كالتمييز بين الغث و الثمين و الحق و الباطل و الأهم على المهم و الفاضل و المفضول و فقه الأولويات و غيرها..
هـ) قدرته على الاختيار و الاصطفاء كالقدرة على معرفة الميزات و العيوب و التفضيل و معرفة الراجح و المرجوح.
و) قدرته على التحليل و التركيب كالتفصيل لأي محل و كالقدرة على إعادة تركيب الأجزاء، و كالقدرة على الخروج بنتائج.
ز) قدرته على الابتكار و الإبداع دون انتظار لمعونة أو مساعدة من أحد.
م) قدرته على التأثير و التأثر في الناس لإ قناعهم واستمالتهم.
طـ) قدرته على توظيف الناس قدر ميولهم و اتجاهاتهم و تنظيمهم في مجموعات ليحدث التوافق و الانسجام و قدرتهم على التعمق في فهم الناس و معرفة استعداداتهم و معرفة الوسائل و الأهداف للوصول إلى الغاية التي ينشدها.
ى) قدرته على المجابهة و مواجهة كافة المحن و العقبات تعوق مسيرته الدعوية، و تقديم كافة الحلول لما يواجه من مشكلات حياته (علمية و سياسية و اقتصادية و اجتماعية و دعوية و تربوية و غيرها.
ك) قدرته على الاحتفاظ بولاء الناس و انتمائهم للإسلام و العمل من أجله.

---

1 - سورة يوسف الآية:104)

2 – سورة الشعراء: الآية 109)

و أهم الصفات التي يكتسبها الداعية من البيئة التي يعيش فيها و ينتمي إليها، و يمكننا إجمالها في ما يلي:
أولا :- العلم بكل معنى من معانيه، و الإحاطة بفنونه، و شتى أصوله و فروعه
ثانيا :- الفقه في علوم الدين و العلوم الإنسانية المختلفة.
ثالثا :- ضرورة النشاط و الحركة الدائبة دون تواكل أو تكاسل مهما واجهته المحن و المخاطر.
رابعا :- المرونة ورحابة الصدر (بأن يكون لين الجانب رفيق بالمدعوين آخذ بأيديهم نحو الحق و الخير و الهدى ودربة و المهارة في الدعوة و القدرة على مواكبة المتغيرات و مواجهتها بالأسلوب الإسلامي الملائم لها.
خامسا :- الأمل في نصرة الله تعالى و تأييده، و إظهار دينه، وإعلاء كلمته و هذا الأمل يدفع الداعية لمبادرة إلى العمل و تجويده و قصد وجه الله تعالى به، فإنه لا أمل بلا عمل، و لا عمل بلا نية و إخلاص لله جل شأنه، و الثقة بالله سبحانه و حسن الظن به سبحانه وهذه الثقة تستتبع عدم اليأس أو القنوط وكلهما ضعف في الإيمان، و الصبر على مواجهة المصاعب، و الرضا بما يأتي به قضاء الله و قدرته في سبيل الدعوة بل السعادة به مهما كان.
أما في ما يتعلق بإعداد الداعية إلى الله تعالى و تكوينه، فلا بد من تزويده بمجموعة من جوانب الإعداد الكامل و تجنيده في ميدان العمل الدعوى مزودا بكافة الأسلحة المادية و المعنوية التي تتطلب منه في خدمة الدعوة الإسلامية وذيوعها، ذلك لأن الأعداد و التهيئة و الاستعداد لكل عمل قبل القيام به فريضة حتمية و ضرورة شرعية تفرضها الرغبة في النجاح، كما يفرضها الإخلاص في العمل و يمكننا إجمال أهم الخطوات في تكوين و إعدادهم و تأهيلهم للقيام بمهمة الدعوة فيما يلي:
الأولى :- الإعداد النفسي للداعية:
فالنفس الإنسانية عالم مترامي الأطرف، و إن ما تحفل به من إمكانات و طاقات و مواهب ليسهم إسهاما بالغا ضرورة توجه النفس نحو حمل أعباء بعينها في الحياة، و هذه موقوف على إعدادها الاعداد الأمثل و ذلك:
أ) تطهيرها و تنقيتها من المعاصي و الذنوب.
ب) و تزكيتها بالطاعات والقربات التي تقربها زلفى إلى الله تعالى.
جـ) و توطينها على احتمال المشاقة و كافة المحن و العقبات إذ من المعلوم أن طريق الدعوة محفوف بالمكار ه لأنه في الحقيقة هو الطريق إلى الجنة، و قد حفت الجنة بالمكار ه وكما حفت النار بالشهوات.
هـ) تشوقها إلى رضا الله تعالى و سلعته الغالية.
الثانية :- الاعداد الخلقي للداعية : وذلك يتطلب الأمور الآتية:
أ) تطهير الخلق من العنف و الغضب لأنه جمرة توقد في قلب ابن آدم وليس الشديد بالسرعة و إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب و ما غضب ρ إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله، بل عليه أن يتحلى باللين و الرفق، فالله سبحانه يحب الرفق في الأمر كله، و يعطي على الرفق فلا يعطي على العنف، و لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، و لا ينزع من شيء إلا شأنه، و من حرم الرفق فقد حرم الخير كله.
بـ) تزكية الخلق بكافة الآداب الإسلامية (في الطعام و الشراب و عند الملبس و النوم، و الطريق و العلم و العالم و المتعلم، فالدين حسن الخلق، و خلق الإسلام الحياء.
حـ) ترقية الخلق بالإقتداء بالمعصوم و ترسم خطاه و إتباع هديه ρ في كل أمره، و اجتناب نهيه، فذالك مقام لا يرقى إليه إلا من احتذا حذو الأنبياء و المرسلين.

د) التعود علي خلق الصبر و التسامح و مراعاة التيسير, فما خير بين أمرين (ρ) إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراما أو إثما. ([1])
هـ) الثبات على الأخلاق الإسلامية في كل مناحي الحياة فهي الحق، و الثبات على دين الحق، فالداعية يثبت على أخلاقه الإسلامية و يتحمل من أجل هذا التبات ما يتحمل غير ضجر و ضيق بما يتعرض له و ما يعرض عليه.
الثالثة :- الاعداد الثقافي و الفكر ى للدعاة إلى الله تعالى فهي خير زاد وتمثل قوارب النجاة في ميدان عمله الحركي للدعوة، و الثقافة وعاء الحياة و أسلوبها الذي يميزها عن غيرها من المجتمعات الحيوانية، و لكل و لكل أمة ثقافة و لكل مجتمع فكره وخيرها الثقافة التي منبعها و أسسها الإسلام فهي تعني بأمرين الدين و الدنيا و العاجل و الآجل، و إذا ما أعده الداعية عدته الثقافية في (قوله و عمله، و ظاهره و باطنه) استطاع أن يؤثر في من حوله من المخاطبين و يتأثر بغيره و هذه هي الإيجابية في التعامل بين البشر.
و هذه الثقافة نوعان : ثقافة نظرية، وأخرى عملية
أما النظرية فهي العلوم و المعارف اللازمة للداعية في ميدان عمله الدعوى في شتى ميادين الحياة، و لا سيما العلوم الدينية فهي أساسية و ركيزته في الدعوة إلى الله تعالى.
وأما الثقافة العملية فهي الأعمال و الفنون التي يطلب منه الحذف فيها لأهميتها في عمله.
و هما ضروريان للإعداد الكامل للقيام بأعباء ما كلف به ([2])
فنصوص آيات القرآن الكريم قد عنيت عناية بالغة بكافة الجوانب الإنسانية و كيف لا و هو للإنسان و حديث عن الإنسان.
كما عنيت كتب السنة النبوية بها أيضا – و ما يعنينا في هذه الدراسة هو بيان الأحاديث النبوية المجموعة في كتاب المستدرك للحاكم النسابوري لبيان أهمية هذه الأهلية للإنسان عموما و للداعية خصوصا.
فقد عنى الإمام الحافظ الحاكم في كتابه بتقديم نماذج دعوة حية و رصد للأحاديث النبوية التي دلت على مناقب و مآثر لهؤلاء الدعاة إلى الله تعالى،فقد عرض لسير وحياة الأنبياء و المرسلين من قبل آدم عليه السلام إلى خاتمة سيدنا محمد ρ.([3]).
كما عنى ببيان سيرة النبي ρ – على نحو مل سنقدمه كنموذج لسيد الدعاة في المطالب التالية –
- اهتمام برصد الأحاديث النبوية في مناقب الصحابة و التابعين و تقديم سيرتهم الذاتية و العملية في ميدان الحياة عموما و لا سيما الدعوة إلى الله تعالى فهم خير القرون كما أخبر الصادق الأمين: أفضل الكلام كلام الله و أحسن الهدي هدي محمد ρ: (خير القرون قرني ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم). ([4])

---

1 - أنظر(أخلا ق النبي) أبو الشيخ الصبهاني لمزيد من الاستفادة دار النهضة المصرية 1972.

2 - انظر لمزيد من الاستفادة (ثقافة الداعية) د.يوسف القرضاوي، (ثقافة الداعية) لعبد الله ناصح علوان، (معطيات الثقافة الإسلامية و دورها في نهضة أوربا و مقال لحولية المنوفية..

3 - أنظر المستدرك للحاكم و الأحاديث النبوية الواردة في شأنهم مجلد 2 كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء و المرسلين من ص542- 947.

4 - و انظر الأحاديث الواردة في المستدرك لبيان مناقب الصحابة و بعض التابعين المجلد 3 من ص 61 – 643.

و ذكره لهؤلاء المتقدمين من الأنبياء ة المرسلين و الصحابة و التابعين فهم خير أسوة يقتدي الناس بهد يهم و ينابيع الهدى و الصلاح بين أقوامهم، و خير الدعاة و سيدهم هو سيد الأنبياء و المرسلين و استئثار المولى عز و جل بتربيته ρ وأنه خير البشر و الدعاة و أفضلهم على الإطلاق، و قد بين الإمام الحاكم في مستدركه سيرته ρ في صدقه و أمانته قبل البعثة، و شهادة أعدائه له بالصدق و الأمانة و بعد البعثة عقلا و نقلا، و صدقه في كل ما أخبر به عن الله تعالى كما أجلى سيد الدعاة في تواضع و حلمه على سفهاء الطائف و رفضه الدعاء عليهم،و حلمه على اعتداء المشركين عليه بأحد ودعاؤه لهم الهداية ، و اختيار أحد أحبار اليهود لقوة حلمه و إسلامه كما أورد أحاديث نبوية لسيد الدعاة في عفوه عن قريش : إذ هبوا فأنتم الطلقاء، وعفوه عن المشرك الذي حاول اغتياله ، و عفوه عن اليهودية التي دست له السم ،و عفوه عن قاتل حمزة بن عبد المطلب ، و عفوه عن كبير المنافقين بعد محاولة إثارة الفتنة
كما ورد أحاديث نبوية لسيد الدعاة في غضبه لله تعالى، وتسامحه و زهده وورعه و سخائه و جوده و كرمه.
كما أورد أحاديث نبوية لسيد الدعاة في شجاعته و مسارعته إلى درء الخطر عن المدينة، و احتماء المجاهدين في سبيل الله به إذا اشتد البأس، و ثباته في الميدان، ولو و بقى وحده
كما أورد أحاديث نبوية تؤكد في حرص سيد الدعاة على حقن الدماء فما غزا غزوة إلا وري بغيرها، وتكتمه لخططه عن أقرب الناس إليه و حرصه على حرمة البلد و البيت الحرام.
كما أورد أحاديث نبوية لسيد الدعاة في حياته و أنه أشد حياء من العذراء في خدرها و أنه الصور ة المثلي للحياء و لا سيما مع أزواجه الأطهار.
كما أورد أحاديث نبوية لسيد الدعاة في غيرته وفي أهله فكان ضحاكا بساما، و مزجه المسامرة بالتوجيه والتهذيب و مشاورته لأمهات المؤمنين، و بين أهله و خدمه في بيته و سمو علاقاته بهن، وموقفه من خلافات أمهات المؤمنين، و تأديبه لأهله و قدرته على سياسة أهله و التوفيق بينهن و تسامحه في حقه قي خلافاته مع أهله، واعتزاله لهن شهرا
كما أورد أحاديث نبوية لسيد الدعاة بين أبنائه و بهم، و للأبوة الرحيمة وحزنه و بكاؤه لوفاة ابنه إبراهيم، ومداعبته لسيد الدعاة سيد شباب أهله الجنة
كما أورد أحاديث لسيد الدعاة بين أصحابه، و عيادته للمرضى و دعاؤه لهم، استبداله ρ أسماء الصحابة بخير منها و حرصه ρ سلامة أصحابه وسمو أدبه مع أصحابه و جلسائه، و جيرانه وكيفية معاملته مع أهل الكتاب.
كما أورد أحاديث نبوية لسيد الدعاة في عبادته (تهجده و صلاته و زكاته و حجه و صيامه و ذكره)، وكيف وجه دعوته، و تربيته و قيادته السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الإدارية و التربوية و الدعوية و العسكرية إلخ كما بينت السنة أساليب في الدعوة ووسائله فيها، وأهدافه منها، ومصدره الذي يتقى منه دعوته (القرآن الكريم و السنة النبوية، و معالجته لشؤون الحياة التي رسم لنا فيها المنهج الإسلامي الحكيم في تطبيق القرآن فكان قرآن يمشي على الأرض.([1])
. و سنوضح ذلك من خلال عرضنا للأصول العقيدة و التشريعية و الأخلاقية إن في الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الرابع :-

حاجة المدعوين للدعاة إلى الله تعالى كما وردت في المستدرك:-

---

1 - انظر لمزيد من الاستفادة المستدرك للحاكم لمعرفة الأحاديث النبوية الموضحة لسيرة النبي المجلدات (1-5)

إن العالم لو ترك دون عودة إلى الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها لكان مصيره أن يطرد من الحياة كما هي سنة الله في المخالفين عن أمره، و المكذبين لمنهج أنبيائه و رسوله،
قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (1).
و التاريخ الإنساني يؤكد أن الإنسان يترك مسلكه الذي درج عليه ويدع عاداته التي ألفاها و نشأ عليها عند سماعه بدعوة مقنعة أو عظة بليغة، فيعتدل مسلكه من الفجور إلى التقوى، مما يدل على تغير أحوال الناس و تعديل سلوكهم و تبديل طباعهم، لأن هذه الطباع قد جلبت على الخير لا الشر تهرع النفس إلى أصلها عند سماع الأذان و صوت الفطرة حين يناديها.
و لما كان العالم تجتاحه المادية العفنة، و يملأ جوانبه الانحطاط الخلقي، و يسوده التقاتل البغيض، و الحروب المدمرة فهو أحوج ما يكون إلى دعوة الله تعالى الحقة كي تتغير مظاهر هذه الحياة المادية، ولما كانت الدعوة ليست كائنا متحركا حتى تصل وحدها إلى الناس و كنهها مفهوم معنوي يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه و يحيط به، فلذا لزم و جود الداعية الذي يبلغها للناس، كما لزم الإنسانية كافة حاجتها القصوى إلى الدعاة لا خراجهم من الظلمات إلى النور، و من الكفر إلى الإيمان، و لما كانت العقول عند إدراك مصالحها في الحياة، عاجزة عن الإطلاع على حقائقها ، فضلا عن تقصيرها في معرفة كنه نفسها.و كانت عرضة لتغلب الأهواء و الميول، فلذا اشتدت حاجتها إلى الهداة المهدين الذي اصطفاهم الله تعالى لتبليغ دعوته جل شأنه لتتحقق الغاية من خلق السموات و الأرض و ما فيهما ومن فيهما من مخلوقات – ما علمنا منها و ما لم نعلم – قال الله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) (2).
و مع احترامنا للمدارك العقلية في الكيان الإنساني إلا أنه لا غنى له عن هداية كلمة الوحي الإلهي، و المبلغين عن الله تعالى دعوته كي يصل لسبل النجاة بالطريق الصحيح الذي فرضه الله تعالي.
فكم من الأفكار قد وئدت في مهدها دون أن تترك له بصمة واحدة، أو شاهد عليها في دنيا الناس وواقعهم، وكم من أفكار هبت كالزوبعة المفاجئة التي تحدت من اختلال في الواقع الإنساني، ثم لم تلبث أن تبدد شملها، وذهب ريحها، و أضحت أثرا بعد عين.
"و كم من الأفكار لم يكن لها من القوة الذاتية من يضمن لها الوجود، و لكن دعاتها قد فردوها فرضا بقوة التسلط و البطش و القهر و الجبر، و أكرهوا الناس على الحياة في ظلها معتمدين على استبدادهم و بطشهم و قوة و جبروت سلطانهم، غير تلك الأيدي القابضة لزمام الأمور سرعان ما تفتر و تكل و تلين و تفقد قوتها و شرعيتها فتنساب الأمور كما ينساب الماء من بين الأصابع، و تنقلب الأمور واحدا بعد الآخر، حتى تكون النهاية المحتومة زلزال يدمر ما تبقى من سوق و يأتي على الأخضر و اليابس، وتموت الدعوات الباغية و الطاغية بموت أصحابها، لأنها لا أثر لها في واقع الناس و حياتهم.
أما هدايات الوحي الإلهي (الممثلة في القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الصحيحة) فهي تشريع رب العالمين إلي الناس أجمعين، العالم بطبائعهم و ميولهم، و سرهم وجهرهم، و ظاهرهم وباطنهم (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (3).
ولذا لزم الإقتداء بأنبياء الله تعالى و رسله الذين اصطفاهم الله تعالى لتبليغ دعوته،ونشر رسالته في دنيا الناس، و طاعتهم في حقيقتها طاعة الله تعالى، حتى لا تظل معالم دعوة الحق حبيسة في صدور الملهمين بها أو مسطرة في كتبهم، و لا بد من نقلها من واقعها التجريدي إلى واقع الحياة حتى تتحول

---

1 - سورة هود الآية:102)

2 – سورة الذاريات الأيتان : 56– 57)

3 - سورة الملك الآية :14).

إلى قوة مؤثرة بعد أن تتبوأ مكانها في النفوس فتتغير بها مناحي الحياة و تتحول من الطغيان المادي إلى الروح و الصبغة الإلهية التي تجمع بين المادة و الروح و التي تلائم طبيعة النفس الإنسانية.
فلابد إذن للإنسانية من بعث جديد، يعيد لواقع الكون وواقع المناحي الحياتية وواقع الإنسانية شأنها، و يعود بها إلى الفطرة الإلهية التي فطر الله تعالى الناس عليها، لا تبديل لسنة الله، (...فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)[1]
، و لا يكون ذلك إلا بأئمة الإصلاح، و الدعاة المخلصين الذي اجتباهم الله لمهمة تبليغ الدعوة، و من تبعهم بإحسان من ورثة الأنبياء و المرسلين من العلماء المصلحين فهم ينابيع الهدى الإلهي."[2]
و من ثم بدت الحاجة ملحة الإنسانية للدعاة إلى الله تعالى
ففي الحديث: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم "[3]
و في الحديث: إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم.[4] و في صفة أولياء الله و التحذير من معاداتهم و الأمر بسؤال تجديد الإيمان
جاء في الحديث:(من عاد أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا و إن حضروا لم يعرفوا قلوبهم، مصابيح يخرجون من كل غبرا ء مظلمة)[5]
و من ثم لزم الفرار. إلى الله تعالى و الهجرة بدعوته إلى رضوانه وابتغائه جل شأنه، ضرورة الالتزام بجماعة المسلمين و إمامهم، لأن إجماعهم حجة، و لا تجتمع أمة الإسلام على ضلالة أبدا ومن شذ شذ في النار، ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، و من فارقة الجماعة شبرا دخل النار، ومن فارق الجماعة و استذل الإمارة لقي الله ولا حجة له عند الله تعالى.
وها كم بعضا من أحاديث المستدرك للحاكم الدالة على ما سلف سأل رسول الله
الهجرة أفضل قال : أن تهجر ما كره ربك، قال: و الهجرة هجرتان : هجرة الحاضر و هجرة البادي، فهجرة البادي أن يجيب إذا دعي، و يطيع إذا أمر، و هجرة الحاضر أعظمهما بلية و أفضلهما أجرا.[6]
و في الحديث النبوي : حدثني أبو إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول:
كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ

---

1 - سورة فاطرالآية:43)

2 - انظر (أسلوب الدعوة الفرد ية د.عبد الغني بركة ص 15: 17 بتصرف و معالم دعوة الحق في موكب الدعوة إلى الله تعالى د.مرسي شعبان سويدي . ص 259 -261 بتصرف لمزيد من الاستفادة.

4- المستدرك للحاكم مجلد 2 كتاب البيوع ص8.

4 - المستدرك للحاكم مجلد 1 الإيمان ص 8.

5 - المستدرك للحاكم مجلد 1 كتاب الإيمان ص 4.

6 - المستدرك للحاكم النيسابوري مجلد 1 كتاب الإيمان ص 11.

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ.([1])

و في رواية : (و عليكم بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد و هو من الاثنين أبعد)([2])

و في رواية : (من أحب منكم بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة)([3]) و في رواية:(لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا، و يد الله مع الجماعة، فمن شذ شذ في النار) أي من انفرد عن الجماعة باعتقاد أو قول أو فعل لم يكونوا عليه انفرد في النار، وفي ذلك تحذير شديد من مفارقة الجماعة وبشرى لمن لازم الجماعة بقوله: "يد الله مع الجماعة"، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة الذي رسمه لنا علماء أمتنا. ([4]) و في رواية: (لا يجمع الله أمتي على الضلالة أبد)([5]). و في رواية: (لا يجمع الله أمتي على الضلالة أبدا، و يد الله مع الجماعة هكذا فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار)([6]) و في رواية: من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، و في رواية: و من خالف جماعة المسلمين شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه و قال:(من مات و ليس عليه إمام جماعة فإن موتته موته جاهلية)([7]).

وفي رواية:(من فارق الجماعة و استذل الإمارة لقي الله ولا حجة له عند الله.)([8]).

وفي الأحاديث الشريفة دلالة علي وجوب لزوم جماعة المسلمين، وإمامهم، وما التزام ما هم عليه من الحق، حتى لا تفترق الأمة، وتبتعد عن دينها، أو تتخلي عن سنة نبيها، وكتاب ربها، ويحذرنا ρ من مفارقة الجماعة، ولو قيد شبرا، كناية عن أقل الأمور التي يمكن للإنسان فيها، أنه يظهر مظهر الشذوذ، والاستقلال بنفسه عن جماعة المسلمين، ظنا منه انه علي الحق، فالمنفرد عن الجماعة لا تؤمن عليه العواقب.

---

1 - المستدرك للحاكم النيسابوري مجلد 1 كتاب العلم باب الأمر باللزوم جماعة المسلمين و إمامهم ص 113

2 - المستدرك للحاكم النيسابوري مجلد 1 ص 14.

3 - المستدرك على الصحيحين للحاكم - (1 / 376)

4 - المستدرك للحاكم النيسابوري مجلد 1 ص 115

5 - المستدرك للحاكم النيسابوري مجلد 1 ص 115

6 - المستدرك للحاكم النيسابوري مجلد 1 ص 116.

7 - المستدرك للحاكم النيسابوري مجلد 1 ص 117.

8 - المستدرك للحاكم النيسابوري مجلد 1 ص 119.

الباب الثاني

أصول الدعوة الإسلامية

من خلال المستدرك للإمام الحاكم النيسابورى

الباب الثاني
أصول الدعوة الإسلامية
من خلال المستدرك للإمام الحاكم النيسابوري

ويحتوى على تمهيد وثلاثة فصول :

الفصل الأول :-

(الأصول العقدية) من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الثاني:-

(الأصول التشريعية الإسلامية) من خلال المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الثالث:-

(أصول الدعوة الأخلاقية) في أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الأول
(الأصول العقدية)
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويشتمل على تمهيد وسبعة مباحث :

المبحث الأول :-

[التعريف بالعقيدة الإسلامية وأهميتها في الدعوة إلي الله تعالي]

المبحث الثاني : –

[الإيمان بالله تعالي من خلال أحاديث المستدرك
للحاكم النيسابوري]

المبحث الثالث :–

[الإيمان بالملائكة من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري]

المبحث الرابع :–

[الإيمان بالكتب الإلهية من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري]

المبحث الخامس :–

[الإيمان بالأنبياء والرسل من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري]

المبحث السادس :–

[الإيمان باليوم الآخر ومشاهده من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري]

المبحث السابع:–

[الإيمان بالقضاء والقدر من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري]

(الفصل الأول)

أصول الدعوة الإسلامية (العقائدية)من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.

أصول الدعوة:

تمهيد:

الأصول جمع أصل: وهو في اللغة عبارة عما يفتقر إليه ولا يفتقر هو إلى غيره والأصل ما يثبت حكمه بنفسه ويبنى على غيره، والأصيل: "المتمكن في أصله ورجل أصيل له أصل ورأى أصيل له أصل ورجل أصيل ثابت الرأي عاقل "([1])

وللدعوة معنيان إما بمعنى الدين نفسه وهو الإسلام أو بمعنى نشر الدين وتبليغه للناس جميعا.

وعلى هذا يمكن القول بأن المقصود بأصول الدعوة: أسسها وقواعدها التي قامت عليها وجذورها التي هي الأصل لها والتي فيها نشأت وعنها تفرعت وانتشرت وإليها امتثلت ([2])

فحينما نتحدث عن الأصول إنما نتحدث عن الجذور والثوابت والأسس التي لا تقوم الدعوة إلا بها ولا ترتكز إلا عليها ولا تقوم لها قائمة بدونها.

"ولا خلاف بين علماء الأصول في أن الأصل في اللغة ما يبنى عليه غيره وأن المراد من هذا التركيب " أصول الدعوة " هو اختيار صور الشريعة من منبعها الأصيل ولما كانت الدعوة إلى الله

---

1 لسان العرب ج: 11 ص: 16

2) الدعوة إلى سبيل الله أصولها ميادينها ص 18 ط 2 1410

المراد منها الإسلام بمعناه الخاص والعام من الخضوع لله الاستسلام والإذعان لكل ما جاء عنه من أمر أو نهى، الناظر في الإسلام يرى أنه يتكون من أصول وفروع فأصوله تتفق مع أصول سائر الرسالات السابقة وتختلف الفروع عنها قال تعالى: **" شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ "**([1]) وهذا النص الكريم يوضح أن أصول الرسالات واحدة لا اختلاف ولا تباين أن الله المرسل فطر البشرة عليه **"" فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ]** ([2])

وأن الرسل الأنبياء الذين بعثهم الله إلى البشر جاءوا جميعا بهذه الأصول وأما اختلاف الفروع في كل رسالة فيكون بما يناسب المرسل إليهم من التشريعات التي خص الله بها قوما دون آخرين تشير إليه الآية الكريمة **" لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً "**([3])"([4])

وهذا يعنى أن الله تعالى قدر أن تكون أصول رسالاته إلى الناس أجمعين واحدة لا تتبدل ولا تتغير وإن احتاجت البشرية فى طور من أطوار حياتها إلى ما يسير أمرها ويسهل معيشتها فتكون الاختلافات القليلة بين الشرائع في الفروع لا في الأصول.

وعلى هذا فالدعوة الإسلامية أصولها وثوابتها وجذورها واحدة وهى أصول عقدية وأصول تشريعية وأصول أخلاقية.

أما عن الأصول العقدية فبادئ ذي بدء نعرف بالعقيدة في اللغة:

المبحث الأول:- التعريف بالعقيدة الإسلامية وأهميتها في الدعوة إلي الله تعالي

العقيدة: -

مأخوذة من: " عَقَدَ الحَبْلَ والبَيْعَ والعَهْدَ يَعْقِدُهُ: شدَّهُ، وتَعاقَدُوا: تَعاهَدُوا ([5]).

التعريف بالعقيدة:

يقال عقد إلي الأمر:ها وغلظها.واعتقد فلان الأمر:صدقه وعقد عليه قلبه وضميره(6)

---

1) سورة الشورى الآية (13)

2) سورة الروم الآية (30)

3) سورة المائدة من الآية (48)

4) الدعوة الإسلامية فى العهد المكي د / إبراهيم عتلم ص 55، 56 بتصرف ط دار الطاعة المحمدية درب الأتراك بالأزهر .

1) : القاموس المحيط للفيروزابادي الجزء: 1 الصفحة: 2858

2) المعجم الوجيز /426-427- طبعة وزارة التربية والتعليم 1994م

والعقيدة هي:مجموعة من القضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل, والسمع والفطرة, يعقد عليها الإنسان قلبه وضميره ([1])

" والعقيدة هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولا وقبل كل شيء إيمانا لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة وهى أول ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وطلب من الناس الإيمان به في المرحلة الأولى من مراحل الدعوة وهى دعوة كل رسول جاء من قبل الله تعالى كما دل على ذلك القرآن فى حديثه عن الأنبياء المرسلين... وقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة بالإيمان وعن الشريعة بالعمل الصالح وجاء ذلك في كثير من الآيات الصريحة **"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً "**([2])

"مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ "([3]) من هنا لم يكن الإسلام عقيدة فقط ولم تكن مهمته تنظيم العلاقة بين الإنسان وربه فقط وإنما كان عقيدة وكان شريعة توجه الإنسان لجميع نواحي الحياة ([4])

" والعقيدة هي الرابطة بين المعتقد والمعتقد فيه وتلك طبيعة في الإنسان وهو يرتبط بأسرته، تلك عقيدة، أو بقوميته وهى عقيدة أوسع أو بالنوع الإنساني، تسمى عقيدة أخلاقية أو بالكون وما وراءه وهى أشمل العقائد وتلك عقيدة الإسلام وليس بالمفهوم أن تترجم علاقة إنسان في نزوعه إلى أسرته أو إقليمه و قوميته أو نوعه الإنساني ولا تترجم علاقته في نزوعه إلى الكون وما وراءه ممثلا ذلك فى عقيدة الإسلام... الإيمان الذي جاء به الإسلام شرع حي يملأ نفس المؤمن فيصله بالكائنات اتصال إشراق ومحبة وكلما استغرق المؤمن في لا نهائية الزمن والمكان تمثل الكائنات كلها في نفسه فيراها تجرى على سنن تمسكها تسبح بحمد ربها "([5])

حاجة الإنسان إلى العقيدة الإسلامية:

إن أمر الدين أمر فطرى يجرى في عروق الإنسان ويدور في خاطره فلا يفارقه أبدا ما حي الإنسان وعاش على البسيطة, لذا فان أمر الدين والاعتقاد سيظلان يشغلان بال الإنسان ابد الدهر, ولا يمكن التخلص من هما إلا بالاعتقاد الصحيح فى ضوء الرسل الرسالات, أو بالاعتقاد الباطل البعيد عن منهج الله والذي ربما يعوض الإنسان به نقصه وفراغه

وإشباع رغبته في اعتناق دين, وأمثال ذلك كثيرة في المجتمع من حولنا, فالأديان الباطلة كثرة كاثرة, وأصحابها يؤمنون بها ويضحون من أجلها بأغلى ما يملكون, مع أنهم ربما وضعوها, وألفوها،

وحذفوها, وبدلوها, لكنه أمر الدين الذي يهون أمامه الغث والسمين والذي لا يستطيع الإنسان أن يحيى يدونه، ويضع الشيخ على الطنطاوى في كتابه سؤالا فيقول (هل يمكن للإنسان أن يعيش بلا دين ؟.

والجواب قطعا هو:لا، إلا أن يعش بالمادة وحدها، وينبذ كل ما وراءها حتى نفسه التي بين جنبيه، وحبه الذي يجيش به صدره، وشعوره بالطبيعة وجمالها، والطيور وتغريدها، والمقبرة ووحشتها.([6])وكما جاء في المستدرك فقد كان الناس يذهبون إلي العلم والرأي فيسألون عن الدين

وأركانه فعن الحسن قال: جاء أعرابي إلى عمر فسأله عن الدين فقال: يا أمير المؤمنين علمني الدين قال: تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و

---

3)-أبو بكر الجزائري:عقيدة المؤمن /23.المكتبة التوفيقية.

4) الكهف الآية (107)

5) سورة النحل الآية (97)

8) الإسلام عقيدة وشريعة د/ محمود شلتوت ص 10 ط دار الشروق

9) عقيدة المسلمين والعقائد الباطلة د/ عبد المنعم القيعى ص 8 ط المجلس الأعلى

10) تعريف عام بدين الإسلام على الطنطاى ص 7

تحج البيت و عليك بالعلانية و إياك و السر و إياك و كل شيء تستحي منه قال: فإذا لقيت الله قلت: أمرني بهذا عمر بن الخطاب فقال: يا عبد الله خذ بهذا فإذا لقيت الله تعالى فقل ما بدا لك (1)
(يقول معجم لا روس:"للقرن العشرين:"إن الغريزة الدينية:مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية, وأقربها إلى الحياة الحيوانية... وان الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية" "ويقول إن هذه الغريزة الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل إلا فى فترات الإسراف فى الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد)(2).
وكتب بارتيلمى سانت هيلير:" هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا: ما العالم ؟ما الإنسان؟ من أين جاء ؟من صنعهما؟من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟كيف بدا ؟كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ما الموت؟ ما القانون الذي يجب إن يقود عقولنا فى أثناء عبورنا فى هذه الحياة الدنيا؟أى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة وما علاقتنا بهذا الخلود....؟هذه الأسئلة. لا توجد امة ولا شعب, ولا مجتمع, إلا وضع لها جيدة أو رديئة, مقبولة أو سخيفة, ثابتة أو متحولة....."
ويقول هنرى برجسون: "لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات, ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة)(3)
فرضوخ الإنسان لغيره لمن هو أعلى منه أمر فطرى وطبعي وحاجة الإنسان لمن هو فوقه ولمن يقوده ويهديه ويشعر هو نفسه نحو هذا الغير بالحاجة والافتقار أمر لا ينكره عاقل. مهما تقدم العلم وتطور الإنسان فيظل الشعور بالهيبة والخضوع للأعلى قاسم مشترك بين جميع الخلائق المدني والقروي والعالم والجاهل.

من الأصول العقدية الإيمان بالله تعالى:
إن الإيمان بالله تعالى هو أصل العقيدة وأساسها التى لا تقوم إلا بها " الإيمان بالله تعالى. الله تعالى... هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التى نؤمن بها ونعمل لها، ونعرف أن منها حياتنا وإليها مصيرنا، والله تبارك وتعالى أهل الحمد والمجد وأهل التقى والمغفرة لا نحصى عليه ثناء ولا نبلغ حقه توقيرا وإجلالا لولا أن البشر منذ كتب لهم تاريخ وإلى أن تهمد لهم على ظهر الأرض حركة

ولقد أوضح القرآن الكريم أن للإيمان بالله تعالى أركان وأسس يحتوى عليها ويشملها ويضمها، جاء ذلك مقررا فى أطول سور القرآن الكريم فى الآية الثالثة منها والآيات التى تليها، قال تعالى متحدثا عن صفات المتقين " **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (*) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (*)**"

---

1) المستدرك ك الإيمان 116/1 ح قال الحاكم: محمد بن الصباح أيضا: ثقة مأمون

تعليق الذهبي قي التلخيص: قيل أن هذا أشبه 166.

2 الدين – الدكتور محمد عبد الله دراز ص 82—83 ط دار القلم

3) الدين – الدكتور محمد عبد الله دراز ص 82—83 ط دار القلم

(1)وكما جاء في المستدرك فقد أكد النبي صلي الله عليه وسلم علي ضرورة الإيمان بالله تعالي والاعتراف بوحدانيته فعن علي: عن النبي صلى الله عليه

و سلم قال: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أني رسول الله بعثني بالحق و أنه مبعوث بعد الموت و يؤمن بالقدر كله (2).
والإيمان في حقيقته ليس مجرد عمل لساني ولا عمل بدني، ولا عمل ذهني. إن الإيمان في حقيقته عمل نفسي يبلغ أغوار النفس، ويحيط بجوانبها، كلها من إدراك وإرادة ووجدان. فلا بد من إدراك ذهني تتكشف به حقائق الوجود على ما هي عليه في الواقع، وهذا الانكشاف لا يتم إلا عن طريق الوحي الإلهي المعصوم.ولابد أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن، واليقين الجازم، الذي لا يزلزله شك ولا شبهة،ولابد أن يتبع تلك المعرفة، وهذا الإذعان حرارة وجدانية قلبية، تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة، والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالمال والنفس، ولهذا نجد القرآن الكريم يصف المؤمنين فيقول في وصف المؤمنين الصادقين: ().(3) وعلى هذا فالإيمان **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ليس قولا باللسان وفقط ليس قولا باللسان يناقضه العمل وليس قولا باللسان لا يعتقده القلب بل هو إقرار باللسان واعتقاد بالجنان وتصديق بالأركان.

" والإيمان بالله عز وجل معناه الاعتقاد الجزم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وأنه الذي يستحق وحده أن يفرد بالعبادة من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع وأنه المتصف بصفات الكمال كلها المنزه عن كل نقص. الإيمان بالله سبحانه يتضمن توحيده فى ثلاثة فى روبيته وألوهيته وفى أسمائه وصفاته ، ومعنى توحيده فى هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية وصفات الكمال وأسماء الجلال فلا يكون العبد مؤمنا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره وإله كل شيء ولا إله غيره وأنه الكامل فى صفاته فى أسمائه وصفاته ولا كامل غيره "(4).
والعقيدة ليست أمورا عملية، بل هي كما يقول المتخصصون اعتقادات علمية يجب علي المسلم أن يعتقدها في قلبه لأن الحق سبحانه أخبر نبيه الخاتم بها بطريق كتابه الحكيم، وبطريق وحية إلي رسوله صلي الله عليه وسلم، يقول الإمام الشهيد حسن البنا: العقيدة هي: اعتقادات يجب أن يصدق بها قلبك وتطمئن بها نفسك ن وتكون يقينا عندك، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك، "(5)

---

1) سورة البقرة الآيتان (3، 4)

2) المستدرك علي الصحيحين ك الإيمان 87/1 ح92

3) الإيمان والحياة ص 55. د يوسف القرضاوي، والآية الكريمة من سورة االحجرات:الآية 15)

4) الإيمان حقيقته أركانه نوا قضه : محمد نعيم ياسين ص 4 .

5 - أنظر مجموعة الرسائل (رسالة العقائد ص 292 المؤسسة العلمية للطباعة والتوزيع، الطبعة الولي 1990 /، ورجع العقيد في الله، عمر سيلمان الأشقر ص 10 مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الثانية 1979 /

المبحث الثاني :-
{الإيمان بالله تعالى من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري }

الإيمان بالله تعالي هو التصديق الجازم بوجوده سبحانه وتعالي وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه حسب النصوص الواردة بذلك في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، بعبارة أخري: هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالي هو رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه وحده المستحق للعبادة والمتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل نقص، وعلي ذلك فيتضمن توحيده جل شأنه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته سبحانه وهذا ما يدفعنا إلي بيان أنواع التوحيد :-

أنواع التوحيد:

ونجد أنه وردت تعريفات كثيرة توضح معنى التوحيد من خلال هذه الأنواع الثلاثة، فقد اعتنى العلماء بوضع تقسيمات توضح معنى توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات، وكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة يبين اختصاصات لله تعالى ينفرد بها ويتعالى بها فوق خلقه سبحانه وتعالى، علو في ذاته، علو في صفاته، علو في أفعاله.

وأول نوع من أنواع التوحيد هو توحيد الربوبية:-

" ومعناه الإجمالي الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء لا رب غيره وبيانه: أن الرب فى اللغة هو المالك المدبر وربوبية الله على خلقه تعنى تفرده سبحانه فى خلقهم وملكهم وتدبير شئونهم

فتوحيد الله في الربوبية هو الإقرار بأنه سبحانه خالق الخلق ومالكهم ومحييهم ومميتهم ونافعهم وضارهم ومجيب دعائهم عند الاضطرار والقادر عليهم ومعطيهم ومانعهم وله الخلق وله الأمر كله كما قال سبحانه عن نفسه: " ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين " يدخل في هذا توحيد الإيمان بقدر الله سبحانه أي الإيمان بأن كل محدث صادر عن علم الله وإرادته وقدرته عز وجل "(1)

(وبعبارة أخرى فإن هذا التوحيد معناه الإقرار بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق فى الكون بالخلق والتدبير، والتغيير والتيسير، والزيادة والنقص، والإحياء والإماتة وغير ذلك من الأفعال التى لا يشاركه أحد فى فعله سبحانه، ولقد أفصح القرآن الكريم عن هذا النوع من التوحيد جد الإفصاح لا تكاد سورة من سوره تخلو عن ذكره والإشارة إليه فهو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى لأن

---

1) العقيدة الطحاوية ص 76، 77.

الخالق المالك المدبر هو الجدير وحده بالتوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع وهو المستحق و حده للحمد والشكر والذكر) (1)
وهذا النوع من التوحيد لم ينكره أحد من البشر إلا الدهريون في القديم، الذين حكى الله مقالاتهم فى القرآن " **(إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)** "([2]) وقد كان أهل الكتاب يؤمنون باليوم الأخر وما سينال العباد من خير اوشر.
" ونجد أن القرآن الكريم يجمع بين ربوبية الله عز وجل المتمثلة فى ملكه السماوات والأرض وما فيهم وقوميته عليهما وبين أسمائه الحسنى وصفاته العلى، فتدبر قوله تعالى فى آية الكرسي: " **(اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)** ([3])
فإن الذي خلق السماوات الأرض هو وحده الذي لا يموت ، القيوم، العليم ، الحفيظ، العلى العظيم ، فإنه لا جدال أبدا فى أنه خلق الخلق هو الرقيب عليهم ، اللطيف الخبير بما كانوا يعملون .
وأما الذين يقرون بأن الله رب كل شيء وخالق كل شيء ولا يوحدونه فى أسمائه وصفاته فيعطلونها أو يشبهونها بصفات المخلوق أو يؤولونها تأويلا فاسدا لا وجه له فإن هذا التوحيد لا ينفعهم لا يخرجهم من دائرة الكفر إلى دائرة الإيمان "(4)
فهو سبحانه المتفرد بكل شؤون الدنيا وأمور الآخرة، فالموت والحياة بيده، والرزق والتدبير بيده، وهو وحده المستحق للعبادة، وهو وحده المتفرد بصفات الكمال والجلال،وقد جاء ذلك واضحا في منهج العلماء الذين اعتنوا بشرح قضايا التوحيد وتقسيمها، فالتوحيد عندهم ينقسم إلى ثلاثة أنواع تدخل كلها تحت الإيمان بالله تعالى :
أنواع التوحيد :-
وهى توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.
(النوع الأول :توحيد الربوبية : ومعناه الإجمالي الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ولا رب غيره.
وبيانه: أن الرب في اللغة هو المالك المدبر وربو بيته على خلقه تعنى تفرده سبحانه في خلقهم وملكهم وتدبير شؤونهم.
النوع الثاني : - توحيد الألوهية:
ومعناه بعبارة إجمالية الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله لحق، ولا إله غيره وإفراده سبحانه بالعبادة، وبيانه : أن الإله هو المألوه أى المعبود والعبادة في اللغة هي الانقياد والتذلل والخضوع وقد عرفها بعض العلماء بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع .
النوع الثالث :- توحيد الأسماء والصفات:ومعناه بعبارة إجمالية الاعتقاد الجازم بان الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه منفرد بهذا عن جميع الكائنات.)([5])
ولابن القيم رحمه الله تعالى تقسيم قريب من هذا حيث يدمج النوعين الأول الثالث فى قسم واحد أي توحيد الربوبية والأسماء والصفات فى قسم واحد ويسميه توحيد فى المعرفة والإثبات حيث يقل: ":

التوحيد نوعان توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات - وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة
قال الناظم رحمه الله تعالى:
وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان

---

1) الإيمان حقيقته أركانه نوا قضه : محمد نعيم ياسين ص 5.

2) سورة (المؤمنون: الآية 37)

3) سورة البقرة:الآية **255)**

4) شرح العقيدة الطحاوية ص 79

5) الإيمان حقيقته أركانه من ص 4 – 11.

توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في الطلب والقصد

فالأول : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه من شاء من عباده وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حد الإفصاح كما في أول الحديد وسورة طه وآخر الحشر وأول تنزيل السجدة وسورة الإخلاص بكمالها وغير ذلك

النوع الثاني :- ما تضمنه سورة [قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ "(1) وقوله تعالى: [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً (2) الآية وأول سورة تنزيل الكتاب وأخرها وأول سورة المؤمن ووسطها وأخرها وأول سورة الأعراف وأخرها وجملة سورة الأنعام وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية إليه وهذه بعضا من الأدلة .

الأدلة على وجود الله تعالى :

ويتحقق الإيمان بالله تعالي، بالإيمان بأسمائه جل شأنه، والإيمان بصفاته سبحانه وهي تنقسم إلي قسمين: "الأول:- قسم يجب معرفته والإيمان به إجمالا لقيام الأدلة النقلية والعقلية عليه وهو: جميع الكمالات في نظر العقل مثل: العدل والحب والرحمة والمغفرة والحكمة.

الثاني:- وقسم يجب معرفته والإيمان به تفصيلا لما قام من الأدلة النقلية والعقلية عليه تفصيلا وهي عشرون صفة: الوجود والقدم والبقاء والوحدانية والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبقاء والحياة والكلام وكونه سبحانه وتعالي عالما قادرا، مريد سميعا بصيرا، متكلما حيا، جل جلاله وما ير من صفات أخري داخلة فيها.

كما يتحقق الإيمان، ثالثا: بالإيمان بأفعال الله تعالي مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة من الخلق كما يكون منه سبحانه".(3)

إن أدلة على وجود الخالق سبحانه وتعالى مبثوثة في الكون موزعة فيه في كل ما يحيط بنا وكل ما يجاورنا ولم نذهب بعيدا ونترك أنفسنا إن أدلة وجود الله تعالى في داخل نفوسنا تملأ جوانحنا **"(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ)** (4) لكن أمراض النظر هي التى تعطل هذا النظر ولو خلصت النيات وصفت العقول وتخلصت النفوس من الأدران لرأت الله تعالى في كل شيء " وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد. قد تنوعت أقاويل العلماء وأدلتهم وتنظيمهم لهذه الأدلة وعنونتهم لهاكل حسب وجهته، في نهاية الأمر نجد توافق كبير بين الأدلة رغم تنوعها.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله في بيان أدلة وجود الله تعالى :-

(لا ريب في وجود الله:

عدد كبير من علماء الذرة ، والفلك، وعلماء الأحياء، والرياضة " أكدوا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود، ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذي لا حد له ".

وقال أحد علماء الغرب " إنه لا يشك في أن الكائن الأعظم – وهو ما تسميه الأديان السماوية "الله" – هو الذي يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة في هذا الوجود ".

يقول الشيخ الغزالي " وعندما جاء القرآن الكريم ليأخذ بأيدي الناس إلى الحق المبين لم يكلفهم عسرا.

---

1) سورة الكافرون الآية: 1

2) [سورة آل عمران الأية 64 .

3 - انظر (أركان الإيمان) وهبي سليمانً 13 – 15 بتصرف يسير.

4 - سورةالذاريات الآية 21

ولم يزد أن طلب إليهم فتح أبصارهم على أفاق السماء، وفجاج الأرض، وخواص الأشياء.(**قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ.)"**([1])
إن كل ذرة فينا نحن البشر تنادى بلسان حالها، أنه ليس وجودها بنفسها. ولا حركتها بذاتها. وأنها تحتاج إلي موجد ومحرك لها.
يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا، وائتلاف عظمنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة...
فإنا نعلم أنها لم تأتلف بنفسها، ولو كان بعض الأشياء موجود به وبعضه موجود بغير لأدركت التفرقة بين ألشيئين في الدلالة. ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد، ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه.
فلا جرم أورثت شدة الظهور الخفاء، فهذا هو السبب في قصور الأفهام)([2])
ويذهب بعض العلماء إلى أن أمر الاستدلال والتعرف على الله تعالى أمر فطرى في النفس البشرية لا يحتاج إلي برهان ولا يفتقر إلي دليل، فالنفس البشرية مفطورة على التعرف على الذي خلقها وأبدعها وصورها ففي داخل النفس حنين يجذبها إلى الذي صنعها وسواها، ومن هنا نجد من العلماء من ساق أدلة أخرى منها:
<u>أولا: الدليل الفطري:</u>
إن الله تعالى فطرنا على معرفته منذ أن كلمنا ونحن في ظهر أبينا آدم،ولا شك أن تلك المعرفة مودعة في النفس .تحسها وتشعر بها سواء في ذلك من كان مؤمنا أو من كان كافرا، وآية ذلك أن المؤمن يلجأ إليه دائما بالدعاء ويحسه معه في كل وقت وهذا أمر لا ينكر من آمن، وبالنسبة إلى الكافر فأن الله تعالى بين أنهم يلجأ ون إلى فاطرهم فى سعات الشدة فيدعون الله وحده لينجيهم مما يحيق بهم" قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منه ومن كل كرب ثم أنتم تشركون " ([3])(قال الأصمعي يوما لبعض الأعراب:بم عرفت ربك ؟ فأجاب الأعرابي بالفطرة:البعرة تدل على البعير، وأثر السير يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على الطيف الخبير؟فقد استجابت الفطرة إلى ما حولها سريعا ونادت من أعماقها لهذا الكون مكون ولهذا الوجود موجد ويرشدنا ابن تيمية إلى تلك الحقيقة فيقول إن " إن الحق الذي نطلبه لابد أن يكون مشعورا به في النفس حتى يطلب الدليل عليه أو على بعض أحواله، وأن ما لا تشعر به النفس أصلا فليس مطلوبا لها ألبته"وعندما ساق ديكارت أبو الفلسفة الحديثة الدليل الوجودي على الخالق سبحانه قرر أن فكرة وجود الله تعالى تفوق كل فكرة في الوجود، إذ أن لهذه الحقيقة من الكمال ما يفوق كل كمال إلى غير حد محدود، ولا يمكن أن يكون ألوجود ألمكتسب أقوى من الوجود ألخالق له)([4])
وإذا أصيب الإنسان في فطرته ودب الخلال بها وأصبحت عاجزة عن الاتصال الروحي والشعور الذاتي بالله تعالى، فان الله تعالى لا يتركها ومرضها وإنما يوضح لها وما يتناسب معها ويقرب لهتا الأمر حتى تراه واضحا جليا، فيكون الاستدلال بالكون وما فيه من أثار خير شاهد على وجود خالق مدبر لهذا الكون،
<u>ثانيا: الاستدلال بالآثار الكونية :</u>

---

1 - سورة يونس الآية: 101

2)عقيدة المسلم الشيخ محمد الغزالي ص33-38 ط الريان.

3 -سورة الأنعام الآية 63، 64)

4)الألوهية في الفكر الاسلامى د__ عبدا لله الشاذلي ص83.

ويمكن للإنسان إذا لم يجد داعي الفطرة حكيما، ونورها ساطعا وإذا لم يسمع هاتف الحق يدعوه إلى المولى عز وجل أن ينظر إلي الكون كمن حوله، وان يرفع بصره إلى السماء متأملا وأن يعود به إلى الأرض فاحصا، وأن يستجيب لنداء الله وهو يقول له ((إلى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت)) ([1])وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة.
وهناك من العلماء من استدل بأدلة أخرى تثبت وجود الله تعالى وتبعث في النفس الهداية إلى بارئها، فساق من أجل هذا أدلة أربعة هي الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية.

1- الخلق:

المراد به هو الإيجاد والإحداث أي إبرام الشيء إلى الوجود، وذلك مثل خلق الحياة في الكائنات الحية على ظهر الأرض التى بث فيها من كل دابة وانبت فيها من كل زوج يهيج ومثل خلق الإنسان العاقل الذي لم يكن شيء مذكورا ثم كان وهو ما نبه عليه القرآن في أول سورة نزلت ((أقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق))([2])
إن ظهور الحياة في المادة الصماء وضع الماديين أمام مشكلة لم يجدوا لها حلا ولا تفسير إلا على نحو ما قال الشاعر:
وبات يقدح طول الليل فكرته.... وفسر الماء بعد الجهد بالماء
إن الحياة ظهرت من صنع خالق مريد.

2- دليل التسوية:

يقول الله تعالى (الَّذِي خَلَقَ فسوي)([3]) (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)([4])
وإذا كان الخلق يدل على الله فالتسوية عليه أدل، والتسوية أخص من الخلق إذ من الممكن أن يخلق الشيء غير مسوي، فمعنى تسوية الشيء إحسان خلقه، وإكمال صنعته بحيث يكون مهيئا لأداء وظيفته وبلوغ كماله المقدر عنه وإمداد ه بما به صلاحه وبقاؤه، وجعله مستويا معتدلا متناسب الأجزاء، وهذه التسوية ظاهرة في الكائنات كلها على وجه العموم وفى الكائنات الحية على وجه الخصوص، والقرآن يعبر عن هذه التسوية بعبارات مختلفة الألفاظ متقاربة الدلالة على المقصود مثل الإحسان في قوله (الذي أحسن كل شيء خلقه)([5]) وإعطاء كل شيء خلقه على لسان موسى عليه السلام (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)([6])، وهذه الهداية في جميع الكائنات بحيث تصلح لأداء وظيفتها التى خلقت من أجلها.

3- دليل التقدير:

وهو خلق كل شيء بمقدار وميزان وترتيب وحساب بحيث يتلائم مع مكانه وزمانه ويتناسق مع غيره من الموجودات القريبة منه أو البعيدة فلا يعطل وظيفتها أو يعوق سيرها لما خلقت له.قال تعالى (وكل شيء عنده بمقدار)([7]) (وخلق كل شيء فقدره تقديرا)([1])

---

1)سورة الغاشية –آية 17—20.

2) سورة العلق:-الآيات -1—2-.

3) (سورة الأعلى الآية:2)

4)- سورة الانفطار:7)

5) سورة السجدة: الآية 7.

6) سورة طه الآية 50.

7) سورة الرعد الآية 8

4- دليل الهداية:

فكما أن شيء في الكون قد خلق على الصورة التي تناسب وظيفته وتعينه على أدائها فهو أيضا قد هدى إلى ما خلق لأجله والهم غاية وجوده ويسر له الطريق ليدرك غاية الكمال الذي يناسبه وهذه هي الهداية، قال الله تعالى على لسان موسى ((ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)) (2) وقال تعالى (الذي خلق فسوي والذي قدر فهدى)(3)....)(4)

فهذه الأدلة كل منها باعث على وجود الله تبارك وتعالى، فأينما قلّب الإنسان وجهه وجد آية صدق وعلامة إعجاز تدل على وجود الله تعالى، فكل ما في الكون من صنعته سبحانه، فإذا ما تأملت الصنعة دلتك على الصانع، فالسماء والأراضين وما فيهما من صنعة الله، وكيف بالإنسان نفسه وهو من صنعة الله تعالى، فالنظر إلى النفس قريب عن عيره لذا لما وجه الله تعالى أنظار العباد ودعاهم إلى التأمل أوصاهم بالنظر إلى أنفسهم فقال الله تعالى (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ))(5) وليس هناك أقرب من النفس التي بين جنبي فالكون مشحون بآيات كلها ناطقة بحمد الله مسبحة باسمه شاهدة على وجوده سبحانه، ومنهج الإسلام كما جاء في كلمة الوحي الإلهي هو تصحيح النظرة للإله الحق وتعميق وتوضيح التوحيد الخالص لله تعالي، ومن ثم كانت قضية التوحيد هي القضية الأولي للقرآن الكريم والسنة النبوية، والغاية هي معرفة الإنسانية بربهم وخالقهم الذي يستحق وحده العبادة، وإفراده تعالي بالربوبية والألوهية والعبودية، والتحذير من الشرك وما يؤدي إليه، وتقديس وتنزيه الله جل شأنه عن كل نقص أو المماثلة، وقد جاءت السنة النبوية تجلي هذه القضية الاعتقادية فوضحت وركزت علي التوحيد الله تعالي وبإفراده جل شأنه بالعبودية والألوهية، والتوحيد هو القاعدة الأساسية في موكب الأنبياء والرسل وقضيتهم الأولي منذ بعثتهم إلي أقوامهم _ من لدن آدم عليه السلام إلي خاتمهم محمد صلي الله عليه وسلم، كما أبطلت دعوته صلي الله عليه وسلم اعتقاد الآلهة المتعددة، وقد عقد الإمام البخاري ومسلم وسائر كتب السنة النبوية كتابا لبيان (التوحيد) الخالص لله تعالي، بدأه بقوله: باب ما جاء في دعاء النبي صلي الله عليه وسلم أمته إلي توحيد الله تبارك وتعالي.(6)

وأما إفراده تعالي بالأولية فقد ركزت الأحاديث النبوية منذ المرحلة الأولي للدعوة الإسلام ومستهلها وبزوغ فجرها ، فقد روي الإمام أحمد في مسنده عن أبي الزناد، قال: أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد وكان جاهليا أسلم، قال رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز(7) وهو يقول: يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا والناس مجتمعون عليه.(8)

---

1) سورة الفرقان الآية 3

2)سورة طه الآية 50

3) سورة الأعلى الآية 3

4) أضواء على قضايا العقيدة الإسلامية: من ص35: 69 د –محمد أحمد ألعز يرى.

5) سورة الذريات: الآية 21)

6 - راجع صحيح البخاري 129/9 .

7 - – سوق ذي المجاز موضع سوق بعرفة علي ناحية كبكب عن يمين الإمام علي فرسخ من عرفة كانت تقدم في الجاهلية ثمانية أيام. راجع معجم البلدان 5/ 3218 .2—

8 - مسند احمد 3/ 492 ،4/ 341 ، ومجمع الزوائد للهيثمي 6/ 22 .

كما جاء في المسند أيضا: رواية عن الأشعث بن سليم قال: سمعت رجلا في سوق عكاظ ([1])يقول: يا أيها الناس قولوا لا اله إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يقول: إن هذا الرجل يريد أن يصدكم عن ألهتكم فإذا النبي صلي الله عليه وسلم وأبو جهل.([2]) وعن الحرث بن الحرث قال: قلت لأبي : ما هذه الجماعة ؟ قال هؤلاء القوم الذين يجتمعون علي صابيء لهم، قال: فنزلنا فإذا رسول الله صلي الله عليه وسلم يدعو الناس إلي توحيد الله والإيمان به وهم يريدون عليه ويؤذونه ([3])..

وفي الهجرة إلي الحبشة، قال جعفر([4]) بن أبي طالب للنجاشي([5]): أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش فدعانا رسول الله إلي الله تعالي، نوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.([6])

وفي مرحلة عرض النبي نفسه علي القبائل فقد ركز علي هذا العقيدة الإيمانية، فعن ربيعة بن عباد الديلي قال: إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم يتتبع القبائل ورائه رجل أحول وضيء ذو حجة يقف رسول الله صلي الله عليه وسلم علي القبيلة ويقول : يابني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وان تصدقوا حتى أبلغ عن الله ما بعثني به.([7])

كما وردت أحاديث في السنة النبوية تؤكد إفراد الله تعالي بالألوية وكانت هذه العقيدة ما كان يركز عليها النبي صلي الله عليه وسلم في بيان واستقباله للوفود التي توافدت عليه حتي يفهما حقيقة دعوته.

فقد ورد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا إِنَّا مِنْ هَذَا الْحَيِّ مِنْ رَبِيعَةَ وَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا فَقَالَ آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ شَهَادَةُ

---

1 - سوق عكاظ ك اسم سوق من لأسواق العرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم، وكانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلي سوق مجنة ثم إلي ذي المجاز، معجم البلدان 142/4

2 - أخرجه الإمام أحمد في مسنده 371/5

3 - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد 21/6 وقال الطبراني ورجاله ثقات

4 - وجعفر هو الصحابي الجليل ابن أبي طالب بن عبد المطلب أحد السابقين إلي الإسلام، وهو اخو علي ابن أبي طالب ن وكان أشبه الناس برسول الله صلي الله عليه وسلم خلقا وخلقا، بفتح الأولي وضم الثانية، واستشهد بمؤته 8 هجرية الإصابة 85/2 ، والاستيعاب 149/2 / وأسد الغابة 341/1 .

5 - النجاشي هو أصحمة بن أبجر النجاشي ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطية، والنجاشي لقلب له ولملوك الحبشة أسلم في عهد النبي صلي اله عليه وسلم وتوفي قبل فتح مكة، وقصته مع كفار قريش معلومة في كتب السيرة النبوية. وقد صلي عليه النبي صلاة الغائب وقال عند موته: قد مات اليوم عبد صالح يقال له: أصحمة فقوموا فصلوا أصحمة. الإصابة 177/1 ، وأسد الغبة 119/1 .

6 - الإمام أحمد في مسنده 202/1 ، 291/5 ، ومجمع الزوائد 6/ 26 .

7 - (دلائل النبوة للبيهقي 2/ 422 ، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص 136 ،137 ، ومسند الإمام احمد 3/ 492 ، ومجمع الزوائد للهيثمي 6/ 36 ..

أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَيَّ خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ وَأَنْهَى عَنْ الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُقَيَّرِ وَالنَّقِيرِ.([1])
ومن هذه الأحاديث وغيرها كثير في كتب السنة النبوية المطهرة ومنها أحاديث المستدرك للحاكم ما يؤكد أن النبي صلي الله عليه وسلم، قد بدأ دعوته للناس بإعلان هذه العقيدة وان يقولوا: لا اله إلا الله، فهي عنوان التوحيد ونفي الإلهية عن كل ما سوي الله تعالي وإثباتها للذات الحقة وهو الله، فهو جل شأنه الإله الحق وما عداه زائف وباطل، قال تعالي (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)([2])

ومما يمّكن الإيمان بالله تعالي في قلوب المؤمنين، وجود هذه العوالم المختلفة والمخلوقات الكثيرة المتنوعة يشهد بوجود خالقها وهو الله عز وجل إذ ليس هناك في الوجود من ادعى خلق هذه العوالم وإيجادها سواه, كما أن العقل البشري يحيل وجود شيء بلا موجد, بل إنه يحيل وجود شيء بلا موجد, بل إنه يحيل وجود أبسط شيء بلا موجد وذلك كطعام بلا معالج لطبخه أو فراش على الأرض بلا فارش له فيها, فكيف إذا بهذه العوالم الضخمة الهائلة من سماء وما حوت من أفلاك وشمس وقمر وكواكب..... كلها مختلفة الأحجام والمقادير والأبعاد والسير, وأرض وما خلق فيها من إنسان وجان وحيوان.
ومن ذلك أيضا وجود كلامه بين أيدينا نقرؤه ونتدبره ونفهم معانيه فهو دليل على وجوده عز وجل, لأنه يستحيل كلام بلا متكلم, ولا قول بدون قائل, فكلامه سبحانه دال على وجوده ولا سيما وأن كلامه تعالى قد اشتمل على أمتن تشريع عرفه الناس وأحكم قانون حقق الخير الكثير للبشرية, كما اشتمل على أصدق النظريات العلمية, وعلى الكثير من الأمور الغيبية, والحوادث التاريخية وكان صادقا في كل ذلك أيما صدق, فلم يقصر على طول الزمان حكم من أحكام شرائعه عن تحقيق فوائده مهما اختلف الزمان والمكان.(3).
ومن ذلك أيضا: -
تفرده تعالى بالرزق إذ ما من حيوان سارح في الغبراء أو سابح في الماء أو مستكن في الأحشاء إلا والله تعالى خالق رزقه وهاديه إلى معرفة الحصول عليه وكيفية تناوله والانتفاع به.

عناية الإسلام بإثبات قضية التوحيد :-
منهج الإسلام كما جاء في كلمة الوحي الإلهي هو تصحيح النظرة للإله الحق و تعميق و توضيح التوحيد لله تعالي و من ثم كانت قضية التوحيد هي القضية الأولي للقرآن الكريم و السنة النبوية كما جاء في أحاديث المستدرك للحاكم ، و الغاية هي معرفة الإنسانية بربها و خالقها الذي يستحق و حدة

---

1 - (أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان 21/1 ،صحيح مسلم للإمام النووي 46/1 .، 32/1 – 4/ 220 الدباء: القرع اليابس أي الوعاء منه، والحنتم: الوحدة ختمه وقد اختلف فيه واصح الأقوال وأقواها أنها مرار خضر، والنقير جذع ينقر وسطه، والمقير هو المز فت والمطلي بالقار وهو الزفت، والنهي عن هذه الربع، فهو أنه نهي عن الإنتباذ فيها.وإنما خصت هذه بالنهي لأنه يسرع إليها الإسكار فيها فيصير حراما نجسا ، .

2 - سورة (الحج: الأية62)

3) منهاج المسلم ص:9 ، 8 أبو بكر الجزائري ط: دار السلام .

العبادة و أفراده تعالي بالربوبية و الإلوهية و العبودية و التحذير من الشرك و ما يؤدي إليه، و تقديس و تنزيه الله جل شأنه عن كل نقص أو المماثلة.
و قد جاءت الأحاديث النبوية تجلي هذه القضية الإعتقادية، فوضحت و ركزت علي توحيد الله تعالي ، وبينت أن التوحيد هو القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الاعتقاد (وانهاالقضية الأولي في موكب الأنبياء و الرسل عليهم السلام منذ بعثتهم إلي أقوامهم ، من لدن آدم علية السلام إلي خاتمهم النبي محمد صلي الله عليه و سلم – كما أن دعوته صلي الله عليه وسلم أبطلت اعتقاد الآلهة المتعددة – و قد عقدت سائر كتب السنة النبوية كتبا لبيان (التوحيد) سمي في الأغلب، بباب ما جاء في دعاء النبي صلي الله عليه و سلم أمته إلي توحيد الله تبارك و تعالي (1)(و أما إفراده تعالي بالألوهية فقد ركزت الأحاديث النبوية منذ المرحلة الأولي للدعوة الإسلامية و مستهلها وبزوغ فجرها علي إثبات تلك القضية الكبري ، ودعوة الناس إليها ، فهي قاعدة الأساس والانطلاق للدعوة الإسلامية ، ولا إسلام بدونها، وقد روي الإمام الحاكم في المستدرك (عن طارق بن عبد الله المحاربي قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم مر بسوق ذي المجاز و أنا في بياعة لي فمر و عليه حلة حمراء فسمعته يقول : يا أيها لناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا .....) (2)
كما جاء في المستدرك أيضا في توجيه النبي صلي الله عليه وسلم خطابه الي المدعوين بشأن قضية التوحيد بسوق ذي المجاز و هو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا قال : يرددها مرارا و الناس مجتمعون عليه يتبعونه و إذا وراءه رجل أحول ذو غديرتين وضيء الوجه يقول : أنه صابيء كاذب فسألت : من هذا ؟ فقالوا : عمه أبو لهب (3)
و في كتاب النبي صلي الله عليه وسلم الي النجاشي ملك الحبشة ، كان الكتاب متضمنا قواعد التوحيد لله رب العالمين ، ودعوة الملك اليها ، فقد جاء فيه (: هذا كتاب من النبي صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الجيش سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة و لا ولدا و أن محمدا عبده و رسوله أدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول فأسلم تسلم { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله } الآية فإن أبيت فعليك إثم النصارى .(4)

---

1 - راجع صحيح البخاري 139/9)

2 - – المستدرك علي الصحيحين ك ذكر نبي الله وروحه عيسي بن مريم 668/2 ح رقم 4219 تعليق الذهبي في التلخيص صحيح .

3- عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية و كانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ كل سنة و يتفاخرون فيها و يحضرها شعراؤهم, و كانت العرب تقيم بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلي سوق مجنة ثم إلي ذي المجاز.معجم البلدان 142/4 و إنما استشهدت بعبد الرحمن بن أبي الزناد اقتداء بهما فقد استشهدا جميعا به تعليق الذهبي قي التلخيص : وإنما استشهدت بابن أبي الزناد فقد استشهدا به.الحديث رواه الحاكم في المستدرك ك الإيمان 61/1 ح 39

4- المستدرك للحاكم النيسابوري ك الهجرة الأولي الي الحبشة 679/2 ح 4244 ، ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولي 1411—1990 – تحقيق مصطفي عبد القادر عطا : النجاشي هو اصحمه بن ابجر النجاشي ملك الحبشة و أسمة بالعربية عطية, و النجاشي لقب له و لملوك الحبشة, اسلم في عهد النبي و توفي قبل فتح

و كانت هذه العقيدة هي ما يركز عليها النبي صلي الله عليه و سلم في بيانه و استقباله للوفود التي توافدت عليه حتى يفهموا حقيقة دعوته

أثر الإيمان بوجود الله تعالى: (فقه الدعوة في الإيمان بالله تعالى):

أن الإيمان بالله تعالى لا يقتصر على مجرد الإعلان باللسان بل لا بد أن يؤثر في صاحبه وتظهر هذه الآثار على الجوارح والأركان، و أن العبادة الحقة هي أول الواجبات فالخالق لا بد أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحدا.

وأن الله تعالى طمأن الإنسان على عمره فلا ينبغي أن يخاف الإنسان على حياته فالروح لا تصعد إلا بإذن خالقها فالأمر بيده وحده لا ينازعه فيه أحد، وأن الله تعالى طمأن الإنسان على رزقه فالرزق لا ينزل إلا بإذن مقدره.

ففي الحديث: " إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تبلغ أجلها وتستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب." فرزق الله بيد الله لا يمنعه أحد من خلقه ، ووحدانية الله تعالى تخلص الإنسان من الحيرة والضلال أمام آلهة متعددة وتشريعات متباينة وتوجيهات متضاربة لا يعرف الإنسان معها إلى أين يتوجه أو ماذا يفعل قال الله تعالى ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون))(1)

أن الخضوع والانقياد والتذلل لله تعالى من أهم مقتضيات التوحيد الخالص لله رب العالمين.وأن التوحيد نعمة تستوجب الشكر حيث لم يصرفنا الله تعالى إلى غيره، ولم يوكل امرنا إلى من هو دونه، فيعطى ويمنع حسب هواه ويذل ويعزل كيفما شاء،إنما امسك الأمور بيده سبحانه قال تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا))ضرورة المداومة على النظر والاعتبار في الكون والنفس فهما باعثا ن حثيثان على زيادة الإيمان بالله تعالى واليقين الدائم بوجوده سبحانه . وأن الحياء والخشية من الله تعالى في السر والعلن فوجوده لا يغيب عن الإنسان ورؤيته للعبد لا تنقطع فالله أحق أن يستحى منه.وأن الإيمان بوجود الله يوصل العبد إلى درجة الإحسان والتي قال عنها رسول الله " أن تعبد الله كأنك تراه...."

مكة و قصته مع كفار قريش معلومة في كتب السيرة النبوية, و قد صل علية النبي صلاة الغائب و قال عند موته: قد مات عبد صالح يقال له: اصحمة فقوموا فصلوا علي اصحمة. الاصابه في تمييز الصحابة 177/1, و أسد الغابة 119/1.

و جعفر هو الصحابي الجليل أبي ابن طالب بن عبد المطلب احد السابقين إلي الإسلام و اخو علي ابن أبي طالب و كان أشبة الناس برسول الله صلي الله علية و سلم خلقا و خلقا بفتح الأولي و ضم الثانية و استشهد بمؤته سنة 8 هـ. الإصابة 85/2, و الاستيعاب 149/2, و أسد الغابة 341/1 ، والحديث رواه الإمام احمد في المسند 202/1, 291/5, و مجمع الزوائد 26/6 .

1) سورة الأنبياء الآية 22

المبحث الثالث
(الإيمان بالملائكة من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري)

الملائكة :- لغة: اسم جمع تكسير مفرد ملك، وأصله: مالك ومنه الألوك: أي الرسول: وهو مأخوذ من الفعل: ألك بمعني: أرسل، ولألوك والمالك بضم ألـلآم معناه: الرسالة ولعل الهمزة حذفت تخفيفا ليبقي المفرد ملك وهو الرسول أو حامل الرسالة.([1])، واصطلاحا: فقد ذكر الإمام ابن حجر عن جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة علي التشكيل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات،([2]) ، وقال التفتا زاني : **الملائكة** أجسام نورانية قادرة علي التشكيل بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة علي الأفعال الشاقة شأنها الطاعة ومسكنها السماوات ، وهم رسل الله تعالي إلي أنبائه، وأمناؤه علي وحيه ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون([3]) . والملائكة خلق من مخلوقات الله تعالى لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لأنهم عباد مكرمون، وقد أعلمنا الله تعالى بوجودهم وبأن لها صلة بنا وتأثير علينا وعلاقة بنا. يقول ابن عاشور " والملائكة مخلوقات نورانية سماوية مجبولة على الخير قادرة على التشكل في خرق العادة

---

1 - القاموس المحيط 3/ 307.

2 - فتح الباري 6/ 2.

3 - شرح المقاصد التفتازاني 2/ 40

لأن النور قابل للتشكل في كيفيات ولأن أجزاءه لا تتزاحم ونورها لا شعاع له فلذلك لا تضيء إذا اتصلت بالعالم الأرضي وإنما تتشكل إذا أراد الله أن يظهر بعضهم لبعض رسله وأنبيائه على وجه خرق العادة . وقد جعل الله تعالى لها قوة التوجه إلى الأشياء التي يريد الله تكوينها فتتولى التدبير لها ولهذه التوجهات الملكية حيثيات ومراتب كثيرة تتعذر الإحاطة بها وهي مضادة لتوجهات الشياطين فالخواطر الخيرية من توجهات الملائكة وعلاقتها بالنفوس البشرية وبعكسها خواطر الشر"(1)
{ ورد في المستدرك على الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم "في قوله عز وجل إن قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار تجتمع فيها " (2)وعن عددهم أيضا وكثرتهم قال رسول الله (أطت بهم السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راكع أو ساجد ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم ([3])

أصناف الملائكة:

ولقد خلق الله تعالى الملائكة متنوعين كل منه موكل بعمل ووظيفة خلق من أجلها وجبل عليها فهو لايخطؤها ولا يحيد عنها ولا يهمل فيها، وإنما يؤديها على أكمل ما يكون، وقد أثنى الله تعالى على طاعتهم أوامره، وسرعة استجابتهم فقال تعالى " **(لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)** "(4) وقال سبحانه في الحديث عن وصفه سبحانه لملائكته الكرام **(لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) "(5)**

وكل منهم قد وكل بأمر أو مهمة أو وظيفة يقوم بها فمنهم من اختص بتبليغ الوحي إلى الرسل ومنهم، من وكل بتوزيع الأرزاق، ومنهم من وكل بقبض الأرواح،...ومنهم حملة العرش، ومنهم من وكل بالعبادة، منهم الراكعون ومنهم الساجدون ومنهم ملائكة الذكر ومنهم كتبة الأعمال للعباد إلى غير ذلك، فعددهم كثير ووظائفهم أكثر، فربما كان للواحد منهم أكثر من وظيفة يقوم بها خير قيام.

أورد الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب قال، قال رسول الله إن لله في سماء الدنيا ملائكة خشوعا لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما يقولون يا رسول الله قال أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذي الملك والملكوت وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان الحي الذي لا يموت فقلها يا عمر في صلاتك فقال يا رسول الله فكيف بالذي علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي قال قل هذه مرة وهذه مرة وكان الذي أمر به أن قال أعوذ بك بعفوك

---

1) التحرير والتنوير لابن عاشور1/ 227

2 : المستدرك [جزء 1 - صفحة 330], هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه }صحيح ابن خزيمة [جزء 2 - صفحة 365], مسند الشاميين [جزء 3 - صفحة 22] سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى، 1405 – 1984 تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي

3 :رواه الحاكم في المستدرك ج:2 ص:51, ج4ص:579

4 سورة التحريم: من الآية6.

5 سورة الأنبياء الآية:27

من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه }(1)فعبادة الله تعالى من سجود ، وركوع ، ودعاء ، وذكر ، وشكر ، واستغفار ،تقوم بها الملائكة بلا كلل أو ملل ،ليل نهار كما دل حديث رسول الله .
فالملائكة أعظم جنود الله تعالى ومنهم (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً)(2) ومنهم: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً (3)
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله ملائكة سيارة وفضلاء يلتمسون مجالس الذكر في الأرض فإذا أتوا على مجلس ذكر حف بعضهم بعضا بأجنحتهم إلى السماء فيقول تبارك وتعالى من أين جئتم وهو أعلم فيقولون ربنا جئنا من ثم عبادك يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويهللونك ويسألونك ويستجيرونك فيقول ما يسألونني وهو أعلم فيقولون ربنا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا يا رب فيقول كيف لو رأوها فيقول ومم يستجيرونني وهو اعلم فيقولون من النار فيقول هل رأوها فيقولون لا فيقول فكيف لو رأوها ثم يقول اشهدوا أني قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوني وأجرتهم مما استجاروني فيقولون ربنا إن فيهم عبدا خطاء جلس إليهم وليس معهم فيقول وهو أيضا قد غفرت له هم القوم لا يشقى بهم جليسهم هذا حديث صحيح }(4)
فالملائكة يشهدون بالخير للصالحين الذاكرين لله تعالى ويبلغون الله بما عليه العباد، والله سبحانه يباهى بهم ملائكته ويشهدهم على وعده لهؤلاء بالمغفرة والجنة، ويزيد في عفوه ورحمته فيتجاوز عن من جاء لحاجة لكنه جالس القوم الذاكرين، فوسعتهم رحمة الله هم ومن معهم من الجالسين في جوارهم.
ومنهم:ما أورده الله تعالي في سورة الصافات بقوله عز وجل (وَالصَّافَّاتِ صَفّاً فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً)(5) ومنهم: ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وملائكة قد وكلوا بحمل العرش وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى.
{ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم إن المؤمن إذا حضره الموت حضره ملائكة الرحمة ثم ذكر الحديث بنحوه هذه الأسانيد كلها صحيحة وشاهدها حديث البراء بن عازب} (6)
ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره فليس لهم من الأمر شيء بل الأمر له لله الواحد القهار وهم ينفذون أمره
[لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مشفقون "(7)
[يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (8)
[لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ "(1)

---

1 : المستدرك على الصحيحين ج: 3 ص: 93.

2 - سورة المرسلات الآيات من 1 إلي 5.

3 - سورة النازعات الآيات من 1: 5

4 : المستدرك على الصحيحين ج: 1 ص: 672

5 - سورة الصافات الآيات من1الي 3.

6 : المستدرك على الصحيحين ج: 1 ص: 505

7)سورة الأنبياء الآيات[27: 28]

8)سورة [النحل الآية: 50]

ثناء الله تعالى على ملائكته:

رحمة الله تعالى لا تنقطع وعفوه قائم لا يزول أبدا وثناؤه من صور رحمته، فيثني على عباده وهو الغنى عنهم، ويصفهم بالقوة وهو المانح لها.

وقد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء ووصفه بأجمل الصفات فقال:[فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ "(2)

ومنهج السنة النبوية في الدعوة إلي الإيمان بالملائكة يمكن إجلاؤه من خلال : -

أولا:- التأكيد علي وجودهم والإيمان بهم وقد أجمع العلماء عيل أن منكر وجودهم كافر، لأنه قد أنكر أمر معلوما من الدين بالضرورة، قال الله تعالي " (**وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً**)(3)

ثانيا:- الكشف عن صفاتهم وطبيعتهم وأنواعهم ومهمتهم في الوجود علي نحو ما تقدم، فطبيعتهم نورانية لا تخالطهم المادة بأي حال من الأحوال حتى لو ظهر بعضهم وتشكل في صورة مادية، فعن عائشة رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: خلق الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نارا وخلق آدم مما وصف لكم،)(4)

وأنهم يحبون من أحبه الله تعالي ويبغضون من يبغضه الله تعالي (5).

وأنهم يتمتعون بصفة الجمال والحياء، (6)، وأنهم يتأذون من الروائح الكريهة كما يتأذى منها الإنسان (أكل الثوم والبصل والكرات) فإن الملائكة تتأذي مما يتأذى منه بنو آدم، ولا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب(7)وعن علي: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة

---

1) سورة [التحريم الآية: 6]

2)سورة [التكوير الآيات 15: 21]

3 - سورة النساء: من الآية136)

4 - أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الزهد باب في أحاديث متفرقة 2292/4 وأما صفاتهم فهم دائبون علي طاعة الله تعالي سنن أبي داود 9/ 194 ومسند الإمام أحمد 173/5 وأنهم يصفون في الصفوف الأول ويتراصون في الصف (صحيح مسلم كتاب الصلاة 322/1 وأنهم يشفعون للمسلمين في الآخرة شفاعة مقبولة بإذن الله تعالي (أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية 1/ 170 ومسند الإمام أحمد 5/ 43

5 - (أخرجه مسلم يف صحيحة كتاب البر والصلة باب، إذا أحب الله عبدا حببه إلي عباده 4/ 2030،

6 - انظر صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة 4/ 1866

7 - صحيح البخاري 1/ صحيح البخاري كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة، 1/ 166، وسنن ابن ماجه كتاب الصوم باب يف الصائم إذا أكل عنده 556/1 ومسند أحمد 6/ 365، 216. 439،، 105/7 ،وصحيح مسلم 1/ 395 ، وسنن أبي داود كياب الطهارة 1/ 154 .

و لا كلب و لا جنب ([1])، وأنها تضع أجنحتها لطالب العلم، فرحا له به، عن زر بن حبيش قال: جاء رجل من مراد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يقال له صفوان بن عسال و هو في

المسجد فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما جاء بك ؟ قال: ابتغاء العلم قال: فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ([2]) ، وأنها تستحي مما يستدعي الحياء، فهو خلق متأصل فيها، عن الحسن عن قيس بن عباد قال: سمعت عليا رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان و لقد طاش عقلي يوم قتل عثمان و أنكرت نفسي و جاؤوني للبيع فقلت و الله إني لأستحي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلا قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ألا استحي ممن يستحيي منه الملائكة و إني لأستحيي من الله أن أبايع و عثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد فانصرفوا فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ثم جائت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنكما صدع قلبي و قلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى([3]) ، وأنها تسعي في الخير للناس وتعينهم في أمورهم، وقد تتحمل عنهم بعض المشاق والصعاب، وقد حملت الملائكة جنازة سعد بن معاذ رض الله عنه عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته وما ذاك إلا لحكمه في بني قريظة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه و سلم فقال: لا و لكن الملائكة كانت تحمله([4]).

أنـــــــــــواع الملائـــــــــــــكة :-

وأما عن أنواعهم ووظائفهم فقد فصلت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة :-

أولا :- أكابر الملائكة جبريل وميكائل وإسرافيل وملك الموت.

ثانيا :- حملة العرش والحافون من حوله.

ثالثا :- ملائكة الجنة والنار.

رابعا :- الملائكة الموكلون بالبشر فمنهم الكتبة والحفظة وملائكة الموت والطوافون علي مجالس الطاعات والعبادات ([5])

---

1 - المستدرك علي الصحيحين ك الطهارة 1/ 278، ح 611 - هذا حديث صحيح فإن عبد الله بن يحيى من ثقات الكوفيين و لم يخرجا فيه ذكر الجنب تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح وعبدا لله ثقة.

2 - المستدرك علي الصحيحين كتاب العلم 1/ 180 ح341، عارم هذا هو أبو النعمان محمد بن الفضل البصري حافظ ثقة اعتمده البخاري في جملة من هذا الحديث رواها عنه في الصحيح و قد خالفه سنان بن فروخ في هذا الحديث فرواه عن الصعق بن حزن تعليق الذهبي قي التلخيص: خالفه شيبان

3 - المستدرك ك فضل أمير المؤمنين ذي النورين 101/2ح 4527 هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم

4 - المستدرك علي الصحيحين ك مناقب حنظلة ابن عبد الله 2/ 228 ح 4926 هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم

5 - لمزيد من الاستفادة ارجع إلي مسند الإمام احمد 333/1، وأركان الإيمان ص 125 ،126 ،والتبيان عن الملائكة في القرآن د / عبد الباقي أحمد عطاء . وأركان الإيمان ص 123، والإيمان محمد نعيم ياسين ص 36، 37.

أثر الإيمان بالملائكة:(فقه الدعوة في الإيمان بالملائكة):

أن ملك الله تعالى لا يحدها حد وخلق الله تعالى لا يحصيهم عد.

رعاية الله تعالى لعباده وعنايته بهم وعدم غفلته عنهم في كل صغيرة وكبيرة

وجوب الحياء من الملائكة واستشعار وجود مخلوقات محيطة بالإنسان ملازمة له لا تفارقه، فيجب التأدب معها والحياء منها، والبعد عن المعصية والذنوب.

شكر الله تعالى أن قيض مخلقات تستغفر للإنسان إذا أذنب" قال تعالي (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) "(1)، مع كثرة الملائكة وبلوغهم حدا بعيد في العدد لا يعلم مداه إلا الله تعالى وعلى المسلم الإيمان بهم إجمالا.

ضرورة الإيمان والتصديق بكل ما جاء من أخبار وأوصاف تخص الملائكة عليهم السلام وتنزيههم عن كل نقص وعدم الخوض فيما غاب عنا من أخبار وأحوال فأمرهم غيب ينبغي الوقوف عند ما جاء من أخبار في الكتاب والسنة.

.

---

1) سورة غافر الآية:7)

المبحث الرابع

الإيـــــــــــــــمان بالكـــــــــــتب :-

الكتـاب لغـة: الصـحف المجموعـة، وقـال الأزهـري: الكتـاب اسـم لمـا كتـب مجموعـا. ([1]) وفـي الاصطلاح الإسلامي : هو الكتاب المنزل من الله سبحانه وتعالي علي رسوله لهداية عباده وإرشادهم وإصلاحهم ، وهو بهذا المدلول كأنه البلاغ الرسمي أو الكلام الرباني حسب الاصطلاح الإسلامي الذي يرسل الرسول إلي الدنيا لبيانه وتفسيره وتحقيق مطالبه . ([2])إن الله تعالى لما خلق الخلق لم يتركهم يهيمون في الأرض كل على هواه، ولم يتركهم لعقولهم المجردة يتصورون بها الإله ويستنتجون المطلوب منهم، ولم يتركهم لمعاصيهم وذنوبهم، إنما تعهدهم بالرعاية والعناية والإرشاد إلى الحق والصواب وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب وكانت هذه الكتب نبراسا ينير للبشرية طريقها وفى الكتب مطلوبات الله من خلقه وفى الكتب وصف الله تعالى بما يليق بذاته المقدسة، ومن أركان الإيمان بالله تعالى أن يؤمن كل من اتبع دين الإسلام بالكتب السابقة عليه، ومن لم يؤمن بها أو أنكرها على الجملة أو أنكر بعضها فقد كفر قال تعالى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله " (3)

ونحن نؤمن بجميع كتب الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام فمنها التوراة والإنجيل والزبور والقرآن ومنها غيرها مما لم نعلمه على سبيل التفصيل فكلها من عند الله وكل ما فيها حق لقوله تعالى(وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ)([4]) **(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ) ([5])(وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً)([6])**

ولا خلاف بين المسلمين كلهم أن القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وان التوراة أنزلت على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود.

{ عن أبي هريرة عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ألا أعلمك سورة ما أنزلت في التوراة و لا في الإنجيل و لا في الزبور و لا في القرآن مثلها ؟ قلت بلى قال: إني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم و قمت

---

1 - لسان العرب 3816/5، والمعجم الوسيط 2/ 775.

2 - الحضارة الإسلامية لأبي الأعلى المودودي ص 201

3) سورة البقرة الآية 285.

4 - (سورة الشورى: من الآية15)

5 - سورة آل عمران الآية:3

6 - سورة النساء: من الآية163)

معه فجعل يحدثني و يدي في يده فجعلت أتباطأ كراهية أن يخرج قبل أن يخبرني بها فلما دنوت من الباب قلت: يا رسول الله السورة التي وعدتني فقال: كيف تقرأ إذا قمت إلى الصلاة ؟ فقرأت فاتحة الكتاب فقال: و هي السبع المثاني التي قال الله عز و جل: { و لقد آتيناك سبعا من المثاني و القرآن العظيم } الذي أعطيت(1)، وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى) (2)

بدائل الكتب السابقة:

لقد جعل الله تعالى لكل نبي كتابا وصحفا يتعامل مع المدعوين من خلالها، في الحرام والحلال والأوامر والنواهي يتعلم منها ويعلم من خلالها فهي المرجع الذي سجل فيه مراد الله تعال من العباد.
ومن تمام نعمة الله تعالى على أمة الإسلام، أن انزل الله لها كتابا هو خاتم الكتب، وهو المهيمن عليها.

رفـــــــع الكـــــــــــــــتب:

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يسري على كتاب الله فيرفع إلى السماء فلا يصبح في الأرض آية من القرآن و لا من التوراة و الإنجيل و لا الزبور و ينتزع من قلوب الرجال فيصبحون و لا يدرون ما هو}(3).

أثر الإيمان بالكتب المنزلة (فقه الدعوة في الإيمان بالكتب المنزلة):

تعهد الله تعالى عباده بما يقربهم من رضاه وما يبعدهم عن غضبه و عقابه، ومن ثم أنزل الكتب، وأمر بإبلاغها إلى خلقه، وبين للناس فيها ما لهم وما عليهم.
أن الله تعالى أمر في كتبه بكل الفضائل ونهى عن كل الرذائل.
نعمة الله تعالى على أمة الإسلام بحفظ كتابها دون سائر ا لكتب فهي نعمة تستحق الشكر.
أن شرع الله تعالى المبثوث في كتبه المنزلة لا يرقى إليه البشر مهما تقدموا وألفوا ".
معرفة الفرق الشاسع بين تأليف البشر وكلام رب البشر سبحانه، وقد شهد بذلك العرب أهل الفصاحة والبيان، أعرف الناس بالقرآن الكريم في ذلك الوقت، وأقروا بأنه ليس من صنع بشر، وقد تحداهم القرآن في هذا الشأن، فما قدموا شيئا سوى والانتكاسة، ولم يستطيعوا أن ينكروا شهادة الحق في القرآن.
تعدد أوجه إعجاز الله تعالى في كتبه بين الإعجاز اللفظي والتاريخي والتشريعي والعلمى وغير ذلك.
وبيان أن الثقة والطمأنينة على القرآن الكريم فهو كتاب الله تعال الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو الكتاب الوحيد الذي لم يوكل الله حفظه إلى البشر ن وإنما أسند الأمر إلى نفسه سبحانه، فقال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (4)، وأن الكتب السابقة امتدت إليها أيد البشر ونالت منها وعبثت بها.

---

1 : المستدر ك [جزء 1 - صفحة 744] هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه }

2 : شرح العقيدة الطحاوية [جزء 1 - صفحة 297]

3 : المستدرك [جزء 4 - صفحة 552] هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم

4)- سورة الحجر: الآية 9.

الإيمان بأن القرآن منزل من عند الله تعالى وأنه كلام الله قديم بقدم الله، ليس لأحد غير الله حرف فيه، وأنه خاتم الكتب فلا كتاب بعده.
وفيه بيان صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان وأنه نزل من عند الله تعالى إلي الناس كافة، فيه منفعتهم وصلاح أمرهم في الدنيا والآخرة.
وجوب تعهد القرآن الكريم بالعناية والرعاية بالحفظ والفهم والتدبر، ومعرفة أحكامه، والوقوف عند حرامه وحلاله وحدوه.
دعوة أهل الكتاب الدؤبة وإلزامهم بما بقى في كتبهم من الحق الذي أنزله الله، مؤيدا بما في القرآن الكريم.

المبحث الخامس

الإيـمـان بالرســـــــــل:-

من سعة رحمة الله تعالى بخلقه أن اصطفى واجتبى من بين خلقه من يحمل رسالته إلى خلقه ويبلغهم مراده منهم فأرسل الله تعالى أناسا اصطفاهم واصطنعهم على عينه جعلهم نماذج طيبة علي أكمل ما يكون من الكمال البشري حتى يتأسى بهم الخلق، هيأهم الله تعالى لأداء المهمة تبليغ ما كلفوا به فكانوا أكمل البشر وأطهر الخلق وأمرنا الله تعالى بالإقتداء والتأسي بهم." (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) "(1)، ونزههم الله تعالى عن كل نقيصة عن كل ما ينقص من قدرهم أو يمس هامتهم العالية، ومكانتهم السامية، وقدرهم الرفيع.

حاجة الناس إلى الرسل:

إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا ولو وصل إلى أعلى درجات العلم وأرقي درجات المعرفة، فإن ذلك كله لن يصل به إلى طريق الهداية وإرشاد، بل يظل ذلك مرتهن بعرفة الإنسان بالله، ومعرفة مراد الله منه، وتظل كل طرق المعرفة وسبل الهداية بغير طريق الله الشرعي، كأنها سراب، أو كأنها حبات رمال في صحراء واسعة عصفت بها الريح، فكانت إلى زوال، **(حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)(2)**
()أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (3).

فليس بالعلم وحده يحيي الإنسان، وإنما لابد للعلم أن ينضبط بضوابط الشرع، ولابد لصاحبه أن يهتدي بمن هم أعلم منه، إلى أن يصل الأمر إلى الرسل أو من تعل من الرسل هنا يمكن لصاحب العلم أن يثق بعلم ويطمئن إلى معرفته التي هو عليها.

عدد الأنبياء:

خلق الله تعالى الخلق أجناس وأعراق ولهجات وألوان، وجعلهم أمما ودولا، ولهذا التنوع البشرى الذي خلقه الله تعالى في الكون، ولتباعد الزمان والمكان، فقد أرسل الله تعالى إلى الناس أنبياء يأخذون بأيديهم إلى صراطه المستقيم، ليس ذلك لأمة دون أمة، أو للأحد على حساب أحد ن وإنما عناية الله تعالى كانت لجميع خلقه، فأرسل الرسل إلى الناس كلهم، بل تجد رحمة الله تعالى الواسعة في إرساله للرسل فقد يبعث بعثات متكررة إلى القرية الواحدة، قال تعالى(*وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ) (4).عن زيد

---

1) سورة الأنعام الآية 90

2) سورة الحج الآية 31

3) سورة الجاثية الآية 23 .

4)سورة يس الآيتان 13– 14

بن سلام : أنه سمع أبا سلام يقول : حدثني أبو أمامة رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال: نعم معلم مكلم قال: كم بينه و بين نوح ؟ قال: عشر قرون قال: كم كان بين نوح و إبراهيم ؟ قال: عشر قرون قالوا: يا رسول الله كم كانت الرسل ؟ قال: ثلاث مائة و خمس عشرة جما غفيرا ([1]).

من أجل ذلك فقد وصل عدد الأنبياء إلى مئات الآلاف، نؤمن بهم إجمالا، وبمن جاء ذكره تفصيلا.

قال الله تعالى عليه و سلم: (... مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ...)(2)

{....أخرج ابن حيان والبيهقي بسندين حسنين من حديث أبي ذر أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وأن الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب... ([3])، ولقد ختم الله تعالى إرسال الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فلا نبي بعده، ومع ذلك فلم يهمل سبحانه أمر الناس وحتى لا يضل الناس ويتحيرون في أمر دينهم منحهم

وقد بين صلي اله عليه وسلم أن الله تعالي أرسل رسلا كثيرين من قبله إلي الناس، وقد كان أمر ابتعاث الأنبياء عليهم السلام متبعا في الأمم قبل، وقد أورد الإمام الحاكم في المستدرك عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها: و قد كانت بايعت رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السكنى حين أقرعت الأنصار على سكنى المهاجرين قالت: فاشتكى فمرضناه حتى توفي جعلناه في أثوابه قالت: فدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت: رحمك الله أبا السائب فشهادتي أن قد أكرمك الله فقال النبي صلى الله عليه و سلم: و ما يدريك ؟ قالت: لا أدري و الله يا رسول الله قال: أما هو فقد جاءه اليقين و أني لأرجو له الخير من الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم: { قل ما كنت بدعا من الرسل و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم } قالت أم العلاء: و الله لا أزكي أحدا بعده أبدا قالت أم العلاء: و رأيت لعثمان في النوم عينا تجري له فجئت رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرت ذلك فقال: ذاك عمله يجري له ([4])

وقد ميز الله تعالي النبي محمد بما يجعل في رسالته العوض عن مجيء غيرهامن غير الله تعالى هذه الميزات، ومن أهمها:-

أولا :- أن الله تعالى بعث النبي إلى الناس كافة وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، قال تعالى وما (أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذير ولكن أكثر الناس لا يعلمون)([5]).

ثانيا :- حفظ الله تعالى للقرآن الكريم الذي أنزله لهداية الناس، وأودعه أحكامه، وجله معجزة خالدة إلى يوم القيامة، حتى يتهدى الناس بها.

ثالثا : - تجديد أمر الدين على أيد العلماء المخلصين وذلك على رأس كل مائة سنة، كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث، قال رسول الله، إن الله تعالى (يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها).

---

1 - المستدرك ك من سورة البقرة 288/2 ح 3039، هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم.

2 : سورة غافر الآية 78

3 : إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات المؤلف: محمد بن علي الشوكاني الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، 1984 [جزء 1 - صفحة 5]

4 - المستدرك علي الصحيحين ك تفسير سورة الأحقاف 493/2 ح 3696. هذا حديث صحيح قد اختلف الشيخان في إخراجه فرواه البخاري عن عبدان مختصرا و لم يخرجه مسلم تعليق الذهبي قي التلخيص: تقدم وهو في البخاري مختصرا

5) سورة سبأ الآية28

رابعا :- رفعة العلم والعلماء المخلصين في ظل رسالة الإسلام، والارتقاء بهم إلى أعلى المقامات، ومن ثم حفظ الله بهم الدين.

أولـــــوا الـــــعزم من الـــــرسل:

ألوا العزم من الرسل هم أصحاب القوة والاحتمال والصبر على أذى المدعوين المعاندين الذين لم يعرفوا حرمة لنبي أو قداسة لرسول أو حق لله تعالى، لذا فقد تعرض الأنبياء لأشد أنواع الأذى وأعتى أنواع الظلم والقسوة، وتعرض بعضهم لوسائل الإغراء المتنوعة التي يضعف أمامها كثير من البشر لكن الأنبياء ليسوا كسائر البشر، وحوربوا بالشائعات والأكاذيب والحرب النفسية فتحملوا، وجاءتهم الدنيا تحت أقدامهم فاعرضوا عنها، وقتل بعضهم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وبأيد أقوامهم، فلم يتراجع الآخرون عن دعوتهم إلى الله.

وقد تحمل الجميع دون استثناء حتى جاء أمر الله، فليس هناك نبي جاء بالدعوة إلى الناس فأمرهم ونهاهم فدان له المدعوين أجمعين بالولاء والطاعة، بل ربما كان العكس من ذلك فكان العناد من أهله ومن أقرب الناس إليه، كما حدث مع نوح ولوطا عليهما السلام، فعبد زمن طويل "ألف سنة إلا خمسين عاما، وبعد الدعوة ليل نهار، سرا وجهرا، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام (.....وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيل)([1])

لدعوته، وقد جعل الله تعالى صبرهم هذا وتحملهم أعباء دعوتهم مضرب المثل، ليس لنا نحن، وإنما لخير خلقه، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

آجال الرسل وموتهم وحياتهم:-

ومما يجب الإيمان به كذلك أن الله تعالي جعل للرسل آجالا معلومة مقدرة عنده سبحانه وتعالي، شأنهم شأن سائر الخلق في ذلك، أعمارا قد تطول وتمتد إلي مئات السنين، وأعمار قد تقصر أحيانا فيموتون شبابا، وأعمار قد تتوسط بين الأمرين.

وقد كان البعض لشدة حبه بالرسول صلي الله عليه يتناسى أن الله قد كتب عليه الموت، وبين الأمر له في القرآن الكريم وفي أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم.

وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما: يحدث أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل المسجد و عمر بن الخطاب يحدث الناس فأتى البيت الذي توفى فيه رسول الله صلى الله عليه و سلم فكشف عن وجهه برد حبرة و كان مسجى به فنظر إليه فأكب عليه ليقتل و جهه و قال: و الله لا يجمع الله عليك موتتين بعد موتك التي لا تموت بعدها ثم خرج إلى المسجد و عمر يكلم الناس فقال أبو بكر: اجلس يا عمر فأبى فكلمه مرتين أو ثلاثا فأبى فقام فتشهد فلما قضى تشهده قال: أما بعد فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا صلى الله عليه و سلم قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا: { و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد } { و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل } و تلا إلى { الشاكرين } فما هو إلا أن تلاها فأيقن الناس بموت رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى قال قائل: لم يعلم الناس أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر

قال الزهري: فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال لما تلاها أبو بكر: عقرت حتى خررت إلى الأرض و أيقنت أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قد مات ([2]).

---

1)سورة هود الآية 40 .

2 - المستدرك للحاكم ك تفسير سورة آل عمران 323/2 ح 3162 – هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بهذه السياقة. تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم

فقد أرسلهم الله سبحانه وتعالي من نفس الجنسي البشري حتى لا يكون هناك مفارقة بين المبلغ والمبلغ إليه، في لغته أو جنسه.

أثر الإيمان بالأنبياء (فقه الدعوة في الإيمان بالأنبياء):

إن الاصطفاء والاجتباء لا يحصله الإنسان بكسب ولا عمل وإنما يكون باختيار الله " **(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)** "([1]) فيجب الامتثال لاختيار الله تعالى وتنزيه الله تعالى لأنبيائه ورسله عن كل ما يعترى البشر من نقائص ووجوب الإقتداء والتأسي بأنبياء الله تعالى ورسله فهم مصابيح الحق إلى الخلق " **(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)** " ([2]) " **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)**".([3]) واختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لم يختص به نبي قبله وبلوغه رتبة لم يصلها ملك مقرب أو نبي مرسل وسعة رحمة الله بعباده بإرسال الرسل لهدايتهم إلى الطريق القويم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، ومراعاة الله تعالى لطبيعة الأمم فيما يعرفون ويفهمون ومن ثم كان كل نبي بلسان قومه ولغتهم والمعجزة معه من جنس ما يعرفون، وفيه كذلك صبر الأنبياء وتحملهم الإيذاء نموذج للإقتداء بهم في الصبر على الضراء، وقد منح الله تعالى لأنبيائه ألقاب وصفات تقتضى التفضيل لبعضهم دون الانتقاص من شأن الآخرين، فاحترامهم جميعا واجب إيماني وإلزام إلهي، يجب العمل والالتزام به، على وفق ما شرع الله، وأن تفضيل الأنبياء على قدر تحملهم يقتضى تفضيل الدعاة والعلماء من بعدهم على قدر تحملهم، مع الفارق بين الأنبياء والعلماء، فالعلماء ورثة ألأنبياء، لكنهم ليسوا أنبياء، فالنبوة منحة، واختيار من الله، واصطفاء منه سبحانه لمن يشاء من عباده، ليس للعبد دخل فيها ولا يملك معها إلا القبول والرضا لأمر الله والإخلاص في العمل المكلف به من الله، اخذ العبرة والعظة من سير الأنبياء السابقين، لاسيما فيا وصل من أخرهم الصحيحة في القرآن والسنة، فإذا كان الله تعالى قد أمر النبي بذلك وهو من هو، فمن بباب أولى، أن يأمر التابعين له في دعوته، والذين يأخذون عنه ويتعلمون منه، فهم أحق بالنصح منه.
ووجوب احترام وإتباع جميع الأنبياء الذين سبقوا بعثته صلى الله عليه وسلم، فالإيمان بهم واجب كالإيمان برسالة الإسلام، التي جاء بهاء محمد صلى الله عليه وسلم، مع الاعتقاد الجازم بان النبي محمد من أولى العزم، وأنه هو أفضل الخلق كلهم، وأنه جمع المحاسن والأخلاق الفاضلة كلها.

المبحث السادس

الإيمان باليوم الآخــر والسمعيات من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.

اليوم الآخر هو باب الأمل عند المؤمنين، وطوق النجاة للصالحين، و طريق السعادة للمخلصين يوم يقوم الناس لرب العالمين، لاظلم فيه ولاغبن، يجد المسلم فيه الراحة بعد العناء، والهناء بعد الشقاء، لذا فإنه يمثل في حياة المؤمنين أهمية بالغة فلا تمر لحظة عند صادق الإيمان إلا ويذكر اليوم الآخر وما

---

1) سورة الحج:الآية 75.

2) سورة الأنعام: الآية 90.

3) سورة الأحزاب: الآية 21.

فيه من نعيم وشقاء وخوف ورجاء وجنة ونار، ولقد اعتنى الإسلام بهذا اليوم أشد عناية، لم له من أهمية في حياة المؤمنين، فالإيمان به يهذب سلوك المؤمن ويجعل منه عنصرا نافعا لنفسه ودينه وللناس من حوله، فإذا علم الإنسان إنه ميت وأنه مبعوث وأنه مسؤول وأنه محاسب، وأن هناك ظمأ وعطشا وحوض وصراط وجنة ونار، عمل عملا صالحا يجتاز به هول هذا اليوم وما فيه ، فيصلح بذلك دنياه وآخر ته.

ومن مظاهر العناية القرآنية بهذا اليوم أن القرآن كثير ما يربط بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر مما يدل على الترابط الواضح بين الأمرين، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر)[1]وقوله تعالى(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر)[2]، وقوله تعالى(... ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر....)[3] والآيات كثرة في الدلالة على ذلك.

من هنا فإن اليوم الآخر يمثل في حياة المسلم الصادق أثر الإصلاح وباعث الخير الذي يضبط النفس ويوازن بين الأوامر والنواهي، والذي يمثل الدافع إلى تحقيق الخير والطاعة لدى الإنسان السوي ، ولقد ورد تعريفات عديدة توضح معنى هذا اليوم في اللغة ولما سمي بالآخر، وكل من العلماء يدلى بدلوه في **أسباب تسميته.**

يقول الشوكاني:{ والمراد باليوم الآخر: الوقت الذي لا ينقطع بل هو دائم أبدا}[4]

{ اليوم الآخر سمي بذلك لأنه بعد أيام الدنيا وقيل لأنه آخر يوم بعد ليلة}[5]قال الله تعالى(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ)[6] وقوله: { وباليوم الآخر } يعني: بالبعث يوم القيامة وإنما سمي يوم القيامة اليوم الآخر لأنه آخر يوم لا يوم بعده سواه.

وكل هذه الآراء تدل على أن هذا اليوم الآخر لا يوم بعده، فالحياة الأخروية حياة أبدية في وقتها لا تتغير ولا تتبدل فليست إلى زوال ولا إلى فناء عمرها طويل وأجلها مديد لا يعلم مداها إلا الذي خلقها وسواها.

وقت اليوم الآخر:

استأثر الله تعالى لنفسه واحتفظ لذاته العلية بعلم وقت ذلك اليوم، فلم يطلع عليه أحد، ولم يجعل أجلا حتميا للإنسان يعيشه فلا يمت قبله، وعندما أخفى الله هذه الأمور عن الإنسان، جعل الموت حتما للصغير والكبير والصحيح والسقيم على السواء، ولعل في إخفائه حكمة ورحمة فأما الحكمة فلعل الإنسان أن يجتهد منذ زمن مبكر في طاعة الله حيث إنه لا يعرف أجله ومنتهاه، وأما الرحمة فهي عدم اليأس من الحياة إذا علم الإنسان وقت منيته ومنتهاه، فيظل الإنسان إلى آخر لحظة يعيش على أمل في الحياة , والشفاء, والبقاء، لذا يعيش المريض في أصعب أوقاته على أمل الشفاء، ويعيش الشيخ الكبير رغم تقدم سنه وعنه أمل في البقاء...، وأقد أخفى الله تعالى أمور كثيرة في الحياة نجد من

---

1)سورة البقرة الآية 177.

2) سورة التوبة الآية 62.

3)سورة الطلاق الآية 2

4 : فتح القدير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير المؤلف: محمد بن علي الشوكاني

[جزء 1 - صفحة 64] .

5 : التبيان تفسير غريب القرآن للجياني / شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا – القاهرة الطبعة الأولى، 1992 تحقيق: د.فتحي أنور الدابولي [جزء 1 - صفحة 56]

6 - سورة (البقرة الآية:8).

وراء إخفائها الخير الكثير للإنسان، مثل ليلة القدر من رمضان، وساعة الإجابة من يوم الجمعة، ووقت نزوله سبحانه في الثلث الأجير من الليل، واسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجب، وساعة خروج الروح من الجسد عند انتهاء الأجل وقت قيام الساعة في آخر ألمان، ولعل ذلك حتى لا يتواكل الإنسان على ألأمر نفسه إذا علمه.

وعندما سئل الرسول عن الساعة، نزل قول الله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ).([1])

فقد أوكل الرسول أمر الساعة وعلماها إلى الله تعالى، وكانت هذه إجابته عنها، وأورد الحاكم

{عن إياس بن سلمة حدثني أبي: أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل فقال: من أنت ؟ فقال: أنا نبي قال: ما نبي ؟ قال: رسول الله قال: متى تقوم الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غيب و لا يعلم الغيب إلا الله....[2]}

لكن من رحمة الله تعالى أيضا أن وضح للإنسان علامات وآيات باهرات فإذا ضل أو تغافل ذكرته آيات الله وذلك عله ينتبه، فمن علاماتها أنها لاتقوم إلا يوم جمعة، فقد اورد الحاكم

(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: سيد الأيام يوم الجمعة فيه خلق آدم و فيه أدخل الجنة و فيه أخرج منها و لا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة)

[3]{

وآيات الساعة كثرة وعلاماتها متعددة ومنثورة في الكون من حولنا، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

المـــــوت:

هذه الحياة الدنيا لابد لها من نهاية ونهايتها تؤول إلي الموت لا محالة.

ولا تتوقف نهاية الإنسان إلى هذا الحد أي الموت وإما هناك حياة أخرى بعد الموت فالموت هو انتقال من حياة إلى حياة، من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، بل إن الحياة الحقيقية كما أوضح القرآن الكريم هي الآخرة قال تعالى (..وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ([4])

وقد أورد القرآن الكريم الكثير عن حياة الأنبياء والشهداء والصالحين في الآخرة بعد فراقهم لهذه الحياة الدنيا، وأن كانت هذه هي الحياة الدنيا التي نعيشها فإن ما

عند الله هي الحياة العليا، وقد أكد صلي الله عليه وسلم علي ضرورة الاستعداد للموت وساعته وذلك قبل نزول الموت وليس عند نزوله.

{ عن طارق بن عبد الله ألمحاربي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: { استعد للموت قبل نزول الموت }[5] ، وقد أوصانا صلي الله عليه وسلم بإكثار من ذكر الموت ليظل الإنسان

---

1) سورة الأعراف الآية:187)

2 : هذا حديث صحيح و لم يخرجاه و قد اتفقا جميعا على الحجة بإياس بن سلمة عن أبيه و احتج مسلم بهذا الإسناد بعينه فحدث عن أحمد بن يوسف بغير حديث تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم

3 : المستدرك [جزء 1 - صفحة 412 رقم 1026] هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد استشهد بعبد الرحمن بن أبي الزناد و لم يخرجاه سيد الأيام تعليق الذهبي قي التلخيص: واستشهد مسلم بابن أبي الزناد

4) سورة العنكبوت الآية:64)

5 : المستدرك [جزء 4 - صفحة 347] صحيح تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح }

علي بينة من أمره ، وخشية من لقاء ربه .{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: [أكثروا ذكر هادم اللذات الموت][1]

ماذا بعد الموت:- " البرزخ وما فيه من سؤال وثواب وعقاب ":

البرزخ هو الفاصل بي الدنيا والآخرة، وفيه يرى الإنسان ويطلع على ما يلقاه من خير أو شر بعد الموت، وقد عبر القرآن الكريم بالبرزخ عن المدة التي يلقاها الإنسان بعد الموت إلي يوم البعث وقيام الناس من قبورهم:فقال تعالى (.. وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)([2])وقد بين علماء اللغة معنى البرزخ فقالوا:-{ البَرْزَخُ ما بَيْنَ كُلِّ شَيْئَينِ. وقَدْ قِيلَ: إِنَّ البَرْزَخَ مَا بين الدُّنْيَا والآخِرَة}[3]

ما يحدث في البرزخ:

في القبر يبدأ الإنسان في تحصل ما قدم من خير أو شر، ويجنى الثمرة التي غرسها من قبل بيده فقد جاء وقت الحصاد، ليرى حسن عمله وسوء عمله، ويسئل ويحاسب عن الصغير والكبير والقطمير، فقد مضى عمر طويل، وها هو الآن في القبر نزيل، وهو إلى واحد من حالين إما عزيز وإما ذليل ، وقد آن له أن يسأل ويحاسب، إما حسابا يسرا، وإما عسيرا، ومن أهم الأمور التي تحدث في القبر:

ثانيا: عذاب القبر ونعيمه:-

وعذاب القبر أو نعيمه أمر ثابت في سنة رسول الله، لاينكره إلا جاحد أو معاند فقد ثبت بسنة ثبوتا واضحا لا مرية فيه وقد توارد ذكره في أحاديث كثيرة وبطرق كثيرة، واستدل عليه بعض العلماء بآيات متن القرآن الكريم مثل قوله تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)([4])، يقول السيد قطب رحمه الله ((والنص يلهم أن عرضهم على النار غدواً وعشياً، هو في الفترة من بعد الموت إلى قيام الساعة وقد يكون هذا هو عذاب القبر)).([5]) وقال بن القيم ((هذا في البرزخ))([6])، قال صاحب الكشاف ((ويستدلّ بهذه الآية على إثبات عذاب القبر))([7]). ، وقال القرطبي ((والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ.))([8])،

وقوله تعالى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ). ([9])(قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول

---

1 : المستدرك [جزء 4 - صفحة 357] هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم

2) سورة المؤمنون: من الآية100

3 : فقه اللغة الثعالبي[جزء 1 - صفحة 239]

4) سورة غافر الآية 46

5 - في ظلال القرآن 260/6

6 التفسير القيم لابن القيم 39/2

7 - الكشاف للزمخشري 118/6

8 -الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي المحقق: هشام سمير البخاري الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: 1423هـ/ 2003م

9) سورة إبراهيم الآية 27

الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وهو أن معناه : { يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا } وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم { وفي الآخرة } بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا وذلك في قبورهم حين يسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم

وأما قوله: { ويضل الله الظالمين } فإنه يعني أن الله لا يوفق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المساءلة في القبر لما هدي له المؤمن من الإيمان بالله ورسوله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل) ([1]) وقد جاء في الحديث ما يوضح أن هناك أحوال وأهوال تمر بالإنسان في قبره، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: ضم سعد في القبر ضمة فدعوت الله أن يكشف عنه ([2]) وكان صلي الله عليه وسلم كثيرا ما يستعيذ بالله تعالي من عذاب القبر في دعائه صباحا ومساء، وقد علمنا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف نتعامل مع الصعاب والشدائد، فقد أخبرنا عن القبر وما فيه من نعيم وعذاب، وقد كان عليه الصلاة والسلام دائم التعوذ من عذاب القبر، بل ربما ولم يترك الاستعاذة منه في صلاة صلاها، منذ أن أخبر به الأمة، وفى هذا دلالة على عظم الأمر،

، عن مسلم بن أبي بكرة عن أبي بكرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: اللهم أعوذ بك من الكفر و الفقر و عذاب القبر ([3]).و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قالت أم حبيبة بنت أبي سفيان: اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه و سلم و بأبي أبي سفيان و بأخي معاوية فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنك دعوت الله لآجال معلومة و أرزاق مقسومة و آثار مبلوغة لا يعجل شيء منها قبل حله و لا يؤخر شيء منها بعد حله فلو دعوت الله أن يعافيك أو سألت الله أن يعيذك أو يعافيك من عذاب النار أو عذاب القبر لكان خيرا أو لكان أفضل ([4]).وقد بين عليه الصلاة والسلام أن عذاب القبر هو المقصود بقوله تعالي بالمعيشة الضنك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : { معيشة ضنكا } قال : عذاب القبر. ([5])

من أسباب عذاب القبر: -

---

1) جامع البيان -- الإمام الطبري ج -7 ص446.

2 - المستدرك ك ذكر مناقب حنظلة 228/2 ح 4924هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

3 - المستدرك ك الإيمان 90/1، 99 هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه و قد احتج مسلم بعثمان الشحام تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم

4 - المستدرك تفسير طه 214/2ح 3440 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

5 - المستدرك ك تفسير سورة طه 2/ 413 ح 3439 - هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم

وقد ذكر صلي الله عليه وسلم أمورا وآثام وأفعالا مسببة لعذاب القبر منها عدم الطهارة من البول والاستبراء من هذا الأذى: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أكثر عذاب القبر من البول، ([1]).

أسباب منجية من عذاب القبر:

وقد ذكر رسول الله صلي الله عليه أمورا منجية من عذاب القبر وبين منها فضل سور من كتاب الله العزيز، من ذلك سورة الملك، وقد سماها صلي الله عليه المانعة، لأنها تمنع من عذاب القبر، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقوم يقرأ بي سورة الملك ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك ثم يؤتى رأسه فيقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ بي سورة الملك قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر و هي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب ([2])

وأكثر أهل العلم على ثبوت عذاب القبر ونعيمه وأنه مقدمة لما يراه الإنسان في الآخرة فالأمر واضح ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.

وقد أكد رسول الله بما لا يدع مجالا للشك ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وأنه إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار.

ولقد بين الرسول أن الله تعالى لولا رحمته بعباده لأسمعهم عذاب القبر، فقد ورد

{ عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لولا أن تدافنوا لسألت الله عنه أن يسمعكم عذاب القبر}، لكن الأمر جاء رحمة من الله تعالي وتفضلا علي العباد حتى تستقر أمور حياتهم فلا يفزعون ليل نهار ، ولا يموتون خوفا ورعبا ، ولنا أن نخيل لو أن الأمر واقع وحادث ، وأن الإنسان يسمع أصوات الناس في قبورهم كيف يكون شعوره ، ولعل ذلك من باب الستر علي الأموات حتى لا تفتضح أمورهم وتظهر عيبهم كل ، وربما يعير به الأحياء من أباء أو أبناء أو إخوة أو أقارب أو أصدقاء ،وكيف تكون آلام البشر عندما يشعرون أن أقاربهم يعذبون ، وكيف يسمع الإنسان صوت أبيه أو أمه أو ابنه أو أخيه أو عزيز عليه ثم هو يصبر علي ذلك ، إن الأمر غاية في الصعوبة ، لذا تفضل الله سبحانه علي العباد وستر عليهم ، ووسعهم برحمته سبحانه .

البـــعـــث والنشر:

إن الله تعالى الذي خلق الخلق وأحسنه، وأوجد الإنسان من عدم وجمله، هو الذي وعد بالبعث والإعادة ثانية، بل والإعادة أوهن عليه من المرة الأولى، فإذا كان في الأمر صعوبة وتعالى الله عن ذلك لكان ذلك في المرة أولى، فصاحب التجربة الأولى يتعلم منها، وكلما كرر الأمر كلما كان عليه أهون وأيسر.

---

1 - المستدرك ك الطهارة 293/1 ح 653 هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لا أعرف له علة و لم يخرجاه و له شاهد من حديث أبي يحيى القتات تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرطهما ولا أعلم له علة وله شاهد

2 - المستدرك ك تفسير سورة 540/2 ح 3839، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

هذا على مستوى الخلق، أما الله تعالى فمنزه عن كل نقص " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ([1])، فأمر البعث الذي وعد الله به حق يجب الإيمان به، والاستعداد له، والعمل من أجله، فالبعث هو الحياة وهى إما كريمة وإما مهينة، هذا على حسب ما قدم الإنسان لنفسه.

[والبعث هو: الإحْياءُ من الله للمَوْتى ومنه قولُه تعالى: " ثُمَّ بَعَثْناكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكم " أَي أَحْيَيْناكُم.][2]

[البَعْثُ..... الإحْياء من الله للمَوْتى وبَعَثَ المَوْتى نَشَرَهم ليوم البَعْثِ]

[ويومُ البَعْثِ: يومُ القيامة][3]

{ عن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل قال سلمة: و أنا يومئذ حدث علي بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي فذكر القيامة و البعث و الحساب و الميزان و الجنة و النار قال: فقال ذلك في أهل يثرب و القوم أصحاب أوثان لا يرون بعثا كائنا عند الموت فقالوا له: ويحك أترى هذا كائنا يا فلان إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى جنة و نار و يجزون فيها بأعمالهم قال: نعم و الذي يحلف به قالوا: يا فلان ويحك و ما آية ذلك قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد و أشار بيده إلى مكة قالوا: و متى نراه قال: فنظر إلي و أنا أصغرهم سنا فقال: أن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة: فو الله ما ذهب الليل و النهار حتى بعث الله تبارك و تعالى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو حي بين أظهرنا فآمنا به و كفر بغيا و حسدا فقلنا له: ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال: بلى و لكنه ليس به }[4]فالبعث أمر قطعي يجب الإيمان به، وقد كان أهل الكتاب يعلمون أمر البعث الذي أخبر به رسول الله حيث إنه من الثابت في كتبهم، فهو أصل من الأصول الثابتة التي أثبتها الأنبياء في إبلاغ أممهم، وكانوا يتناقشون فذلك، وبعضهم يبشر بعضا بقرب ظهورالنبى محمد، لكنهم أنكروا رسالة الإسلام وبعثة النبي جحودا وعنادا، رغم معرفتهم التي ساوت معرفتهم بأبنائهم.

الحســـــاب:

إن الإنسان في هذه الحياة الدنيا لم يخلق عبثا ولم يترك سدى، وإنما خلق بحكمة ولغاية معلومة وأهداف مقصودة مرصودة، والحساب هو سؤال الله تعالى عباده عما عملوا وقدموا، وفيما التزموا وما ضيعوا، ومن عناية الله بالإنسان أنه محيطه بعلمه من أوله إلى منتهاه، فما تركه الله طرفة عين، وبعد إنهاء الأجل، ومضى العمر ، جعل الله تعالى الحساب ليأخذ الإنسان حقه ويؤدى ما عليه ويسئل عما عمل من خير أو شر ، ومن رحمة الله تعالى أنه يحاسب العباد بالفضل والرحمة والعفو عن كثير ، ومن صور رحمته أنه يحاسبهم في وقت واحد ، ولنا أن نتخيل لو أن الله تعالى يحاسب كل إنسان من على حده كم كنا ننتظر حتى يأتي وقت حسابنا ودورنا وسط هذا الكم من الخلائق الذي لا يعلم عدده إلا الله تعالى، لكن رحمته سبحانه وسعت كل شيء .

{ وسرعة حسابه تعالى ذكره: أنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها

---

[1] سورة الشورى الآية : 11]

2 : تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية عدد الأجزاء / 40 [جزء 1 - صفحة 1214]

3 : كتاب العين الخليل الفراهيدي [جزء 2 - صفحة 112] [النمل: 87]

4 : المستدرك [جزء 3 - صفحة 471 [النمل: 87]] صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم

فلا حاجة به إلى إحصاء عدد ذلك فيقع في الإحصاء إبطاء فلذلك قال: {إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ }[1]

(ه) ومنه حديث عمر رضي الله عنه [أيها الناس احْتَسِبُوا أعْمَالكم فإن من احْتَسب عمَله ومنه حديث بعض الغزَوات [أنهم كانوا يَتَحَسَّبُون الأخبار] أي يَطْلُبُونَها
وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام وهو من هو يسأل الله تعالى لأن ييسر له حسابه وأن لا يناقش له حسابه، فإذا كان هذا حال الداعي عليه السلام فكيف بحال المدعو الذي يجترىء على الله.
{ عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في بعض صلاته: اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب ؟ قال: ينظر في كتابه و يتجاوز عنه إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك و كل ما يصيب المؤمن يلقى الله عنه حتى الشوكة تشوكه }[2]
وفي رواية:
وما من أمر صغر أو كبر إلا والإنسان عنه مسئول ومحاسب أمام الله تعالى، وكل ما يصيب الإنسان من هم وابتلاء وغير ذلك، فالله يخفف عنه ذنوبه بسب ذلك،
عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول في بعض صلاته: اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما انصرف قلت: يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال: ينظر في كتابه و يتجاوز له عنه إنه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك و كل ما يصيب المؤمن كفر الله عنه حتى الشوكة تشوكه }[3]
ويذكر الإمام الحاكم أن الناس بعد اجتياز الصراط سيحابسون للفصل بينهم في المظالم { عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ليحبس أهل الجنة بعدما يجاوزون الصراط على قنطرة فيؤخذ لبعضهم من بعض مظالمهم التي تظالموها في الدنيا حتى إذا هذبوا و نقوا أذن في دخول الجنة فلأحدهم أعرف بمنزله في الآخرة منه بمنزله كان في الدنيا.
قال قتادة: قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود: ما يشبه إلا أهل جمعة انصرفوا من جمعتهم }[4], لكن الله تعالى قادر على أن يجمع الخلائق في مكان واحد، ويحاسبهم في وقت دون أن يغيب عنه أحد منهم أو يضل هو عن حساب أحد ، وعندما زعم فرعون أنه تحدى موسى عليه السلام وأعجزه بسؤاله كما ذكر القرآن (قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى) ([5])فمهما كثر الخلاق وتباعد الزمان ، فلن يغيب على الله شيء، فقدرة الله تعالى فوق الزمان والمكان والإنسان ، فالله هو الخالق

---

1 : تفسير الطبري [جزء 3 - صفحة 559] سورة آل عمران من الية آل عمران: 199

2 : المستدرك [جزء 1 - صفحة 125] هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه بهذا اللفظ إنما اتفقا على حديث ابن أبي مليكة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من نوقش الحساب عذب تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم

3 : المستدرك [جزء 4 - صفحة 278] هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم

4 : المستدرك [جزء 4 - صفحة 616] هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح, شرح العقيدة الطحاوية [جزء 1 - صفحة 404]

5) سورة طه الآية:52)

لها، يؤثر فيها ولا يتأثر بها،فإذا وفق الإنسان في ساعة الحساب وبشر بخير، فإنه يتعرف على بيته في الجنة ويتيسر له ما فاته قبل ذلك من الخير الذي يطمح إليه .

المـــــيـزان:

لكي يقوم العدل بين الناس ويرفع الظلم عن العباد جعل الله بين العباد شيئا حسيا يقيمون به العدل في المعاملة بينهم وبين بعضهم وذلك لئلا يطغى إنسان على غيره (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ* وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)([1]) بل وأرسل الرسل لإقامة هذا العدل الحسي بين الناس

وذلك الإلزام المتوجه إلى الناس عبر الأنبياء إنما ليكون ذلك تمهيدا لميزان أكبر بين يدي الخالق سبحانه وتعالى حتى إذا أبخس الناس الميزان وأصبح ظاهرة في آخر الزمان { قال عبد الله: إذا بخس الميزان حبس القطر و إذ كثر الزنا كثر القتل و وقع الطاعون و إذا كثر الكذب كثر الهرج }[2] قامت القيام وأقام الله بنفسه الميزان، فيجب الإيمان بأن الله سيضع لنا موازين القسط والعدل وذلك لأنه لا يظلم مثقال ذرة،{ عن سلمان : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات و الأرض لوسعت فتقول الملائكة : يا رب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك و يوضع الصراط مثل حد الموس فتقول الملائكة: من تجيز على هذا ؟ فيقول : من شئت من خلقي فيقول : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك }[3]

وإذا كان الله تعالى هو الذي يضع الميزان بنفسه وهو الذي، يزن أعمال عباده، فإن ذلك يعنى أنه لن يظلم أحد، وان الميزان سيكون عادلا، وان شيئا لن يغيب عن ساحة الميزان هذا يوم القيام، وان الله تعالى يوفى للعباد أعمالهم، ويضع لهم حقوقهم.

والله سبحانه وتعالى من أول الأمر أرغم الملائكة الكتبة ورغم علمه بحال الإنسان، ورغم وجود الصحائف شاهدة على أصحابها بخير وشرها، إلا إن الله تعالى يطلع الإنسان ويراجعه، ويغفر له ما مضى من الذنوب.

وفي المستدرك إلى{ عبدا لله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ قَالَ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ قَالَ فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ

---

1) سورة الرحمن الآيات 7: 8: 9)

2 : المستدرك [جزء 4 - صفحة 549] هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم

3 : المستدرك [جزء 4 - صفحة 629] هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم, صحيح الترغيب والترهيب [جزء 3 - صفحة 235] أنه صحيح لغيره

وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ وَلَا يَثْقُلُ مع اسم الله شَيْءٌ }[1]وقوله [وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ [2]]وقوله (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) "[3]"

الجنة والنار:

لو لم يأمل الإنسان في أخذ جائزة ذات قيمة على عمل يؤديه ما عمل عملا ولا قام به وعاش في حياته الدنيا كما السوائم التي تهيم علي وجهها في بقاع الأرض, ولو لم يكن هناك اختبار وامتحان للطالب في دراسته ما ذاكر ولا حصل علما ولا نال تفوقا أو نجاحا, إذا لابد من جائزة ليتسابق إليها المجدون المشمرون, ويتوانى عنها الغافلون المهملون.

فمن تسابق علي طاعة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه وكف النفس عن هواها نال راحتها ونعيمها ويكون ذلك في تلك الدار التي أعدها الله تعالى للفائزين.

ومن أهمل الأمر وضيعه, وآثر ما يفني على ما يبقي, وأشبع نفسه هواها, فقد مهد لنفسه بئس المهاد, وقبح القرار، وأحل نفسه دار البوار.

الجنة:

الجنة هي دار القرار للمتقين، ووعد الله الحق للصالحين، بها يجازي المؤمنين علي ما قدموا في دنياهم من أعمال خير مشروعة، وطاعات عليهم مفروضة، وسنن للنبي صلي الله عليه وسلم معلومة، و{ الجَنَّةُ البُسْتانُ ومنه الجَنّات والعربُ تسمِّي النخيلَ جَنَّةً تَسْقي جَنَّةً سُحُقاً والجَنَّةُ الحَديقةُ ذات الشجر والنخل وجمعها جِنان وفيها تخصيص ويقال للنخل وغيرها وقال أَبو علي في التذكرة لا تكون الجَنَّة في كلام العرب إلا وفيها نخلٌ وعنبٌ فإن لم يكن فيها ذلك وكانت ذات شجر فهي حديقة }[4]

الجنة والنار في السنة:

ولقد اعتنى القرآن الكريم عناية بالغة بشأن الجنة والنار، وكذلك السنة النبوية، وذلك حيث إنها النتيجة النهاية التي إليها مآلنا ومردنا ، وفيها الحياة ألأبدية ، فلا بد لهما من إعداد العدة بترك الصغير والكبير من المحرمات وفعل الطاعات والتزود بالقربات وأخذ الحد الحلال من الشهوات .

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ فوعزتك لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بالمكارة فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بالمكار فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ قَالَ اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا

---

1 : المستدرك [جزء 1 - صفحة 46] هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين و هو صحيح على شرط مسلم فقد احتج بأبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر بن العاص و عامر بن يحيى: مصري ثقة و الليث بن سعد: إمام و يونس المؤدب : ثقة متفق على إخراجه في الصحيحين تعليق الذهبي قي التلخيص : هذا على شرط مسلم مسند الإمام أحمد رقم 6699 كتاب مسند المكثرين من الصحابة باب عبد الله بن عمر بن العاص

2 : سورة الأعراف الآية 8

3 : سورة الأنبياء الآية 47 .

4 : لسان العرب لابن منظور [جزء 13 - صفحة 92].

بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا }[1]
فالجنة تحتاج إلى من تحكم في نفسه وحملها علي طاعة الله تعالي، فقد حفت بالمكاره، وأما النار ففيها أصحاب المتع الحرام والمسرفون فقد حفت بالشهوات.

أثر الإيمان باليوم الآخر (فقه الدعوة في الإيمان باليوم الآخر)

وجوب إعداد الزاد ليوم المعاد، والامتناع عن ظلم العباد لوجد القصاص الذي لا يفلت منه أحد " يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء "، ووجوب سؤال الله تعالى الجنة والعمل لها والاستعاذة بالله من النار والفرار منها وعدم الغفلة عنهما، وبيان أن نعيم الدنيا مهما طال فهو إلى زوال وإن تعلق به صاحبه، فمفارقة أحداهما للأخر أمر حتمي لا نقاش فيه، وأن دخول الجنة ليس بكثرة العمل فقط بل هو أولا وآخرا بتوفيق الله تعالى." لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته " ([2])، بيان أن الجنة درجات والنار درجات فاعمل لنيل الدرجات والفرار من الدركات، تحمل النفس للمكاره في الدنيا سبب في نعيمها المقيم في الآخرة، وجوب العمل الدءوب في الحياة الدنيا لإدراك الثواب العظيم النافع في الآخرة فمن جد وجد ومن زرع حصد، ومن طلب الجنة عمل له، وأن النعيم في الجنة نعيم حقيقي يشعر به الإنسان ويحسه ويذوق حلاوته، ولا مقارنة بينه وبين نعيم الدنيا الزائل مهما بالغ الإنسان فيه، وأن الفضل لله في الأولى والآخرة، وان رحمة الله وفضله هما أساس وصل الإنسان لرضي الله تعالى ونعيمه المقيم، وأن المسلمين الذين ماتوا على غير شرك لا يخلدون في النار ولو كانت ذنوبهم كثيرة، وأن الجنة حرام على الكفار والمشركين الذين ماتوا وهم على ذلك، وأن الجنة والنار باقيتان إلى مشاء الله تعالى وليستا إلى زوال وأن الوصف الحقيقي للجنة لا يلمعه إلا الله تعالى وما ورد عن الجنة إنما هو تقريب لها وليس هو كنه حقيقتها لذا عندما يعبر القرآن عن الجنة بوصف يضرب لها مثلا ولا يذكر حقيقتها، قال تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) ([3])
)مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) ()([4])وفى الحديث الشريف (فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)([5])

---

1 : المستدرك [جزء 1 - صفحة 79], سنن أبي داود [جزء 2 - صفحة 649] قال الشيخ الألباني: حسن صحيح, مسند أحمد بن حنبل [جزء 2 - صفحة 354] تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن, الجامع الصغير وزيادته [جزء 1 - صفحة 935] قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: 5210 في صحيح الجامع, مشكاة المصابيح [جزء 3 - صفحة 237] والنسائي

2) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي باب القصد في العبادة 18/3.

3 -سورة الرعد الآية 35 .

4)سورة محمد الآية 15 .

5) المستدرك علي الصحيحين ك تفسير سورة السجدة 448/2 ح 3549

المبحث السابع

الإيمان بالقضاء والقدر من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.

تمهيد:

من دعائم الإيمان وأصوله، الإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره، حلوه ومره، وأن الله تعالي قدر الأشياء أزلا، وأنه يقع في هذا الكون الفسيح شيء إلا بقدر الله تعالي وقضائه، وأنه لا محال من وقوع مقدور الله تعالي، وقد أبرزت الأحاديث النبوية (في كتب السنة ومنها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري) ما يؤكد ضرورة الإيمان بهذا الركن الركين باعتباره أصلا من أصول العقيدة الإسلامية، ومنكره كافر لإنكاره ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

والإيمان بالقدر لا يعني الإجبار من الله تتعالي علي العبد، وللعبد حريته المطلقة وإرادته المستقلة، في جميع أعماله.

وقال تعالي: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.....)[1] وقال تعالي:- (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ)[2].

والإيمان بالقضاء والقدر لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب.

قال تعالي (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [3].

وجاءت الأحاديث النبوية – أيضا – تؤكد هذا المعني وناطقة بتطبيق هذا المدلول في حياة المسلمين العلمية وحضهم علي أن يأخذوا لكل أمر عدته، ولكل شأن أهبته، وأن يضعوا المقدمات للنتائج

---

1 - سورة الكهف من الآية 29

2 - سورة يونس : من الآية 108

3 - سورة الملك الآية 15

المقصودة، فلم يجلس النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه عن الجهاد وانتظار لما يأتيهم به القدر من نصر ا، وكذا لم يقعدوا عن طلب الرزق، وقد علموا أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، ولم يكفوا عن حرث الأرض وبذر الحب وتسميدها وسقيها توكلا علي الله تعالي، بل أمره بأن يعقلها ويتوكل، ومن ثم أخذوا بالأسباب وأكدوا إرادتهم وحققوا ذواتهم في كل شيء، ومن ثم أخذوا بالأسباب ولبسوا الدروع، واستخدموا السلاح، واستخدموا سلاح استخبارات وجمع المعلومات لرصد إمكانيات الأعداء والتصرف علي أساسها، وعقدوا المعاهدات والمواثيق، واستعانوا بالأصدقاء، وتداووا وأمروا بالتداولي، وأخذوا، وأخذوا بالحيطة والحذر، وقيل لابن الخطاب أمير المؤمنين عند هاجر من بلد أصيب بالطاعون هربا منه أفرارا من قدر الله ؟ فقال : نعم نفر من قدر الله إلي قدر الله . ([1])

القضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر هو الباعث الحقيقي للتعبير عن الإيمان اليقيني والرضا ولتسليم لأمر الله سبحانه وتعالى، وأن الأمور كلها مقدرة تجرى على وفق ما أراد الله تعالى وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويأتي بمعاني متعددة، منها الحكم والفراغ والأداء كما وضح علماء اللغة.

والقضاء في اللغة الحكم ومنه قوله تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) ([2]) ومنه قوله تعالي(إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)([3]))

وقد يكون بمعنى الفراغ تقول قَضَى حاجته و قَضَى نحبه مات وقد يكون بمعنى الداء والنهاء تقول قضى دينه ومنه قوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً)([4]) وقوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ)([5]) أي أنهيناه إليه وأبلغناه ذلك

القـــــدر:

وأما القدر فهو من التقدير والقدر بعني أن الله تعالى قدير على كل شيء ومقدره ومبدؤه ومنفذه في وقته وحينه بمشيئته، (قدر) من القُدْرَة ويكونان من التقدير وقوله تعالى إن الله على كل شيء قدير من القُدْرة فالله عز وجل على كل شيء قدير والله سبحانه مُقَدِّرُ كُلِّ شيء وقاضيه }[6]

وبين الأمرين "القضاء والقدر ارتباط والتزام فهما صنوان لا ينفكان فأحدها ظل للأخر.، { و القَدْرُ أيضا ما يقدره الله من القضاء }[7]

تعريف القضاء والقدر:-

من المعلوم بداهة أن الله تعالى قدر أمور في الأزل، وما قدر في الأزل يظهره في حينه بإذن الله ومشيئته، فلا نفاذ لأمر إلا بأذن الله ومراده، فلله تعالى أمور يبديها ولا يبتديها.

---

1 - انظر صحيح البخاري كتاب الطب باب ما يذكر في الطاعون 169/7

2 - (سورة الإسراء: من الآية23).

3 - سورة آل عمران: من الآية47)

4 - سورة الإسراء الآية:4)

5 - سورة (الحجر: من الآية66)

6 : لسان العرب [جزء 5 - صفحة 74] والقاموس المحيط – 371/4

7 : مختار الصحاح [جزء 1 - صفحة 560], النهاية في غريب الأثر [جزء 4 - صفحة 41]

فإذا أراد الله الأمر في الأزل فذلك القضاء وإذا أراد الله نفاذ ذلك الأمر حاضرا فهذا هو القدر.
لذا فأن علماء العقيدة يعرفون القضاء والقدر فيقولون:-
(القضاء هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل والقدر هو الحكم بوقوع الجزئيان التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل في الإنزال قال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)([1])
ومن علماء العقيدة من عرف القضاء والقدر وجعلهما شيئا واحدا فقال بأنهما:
علم الله تعالي الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء وتقدير ذلك الخلق وكتابته في الذكر هو اللوح المحفوظ ن كما هو حين يقضي بوجوده وكميته بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن آياته، ولا يتقدم عما حدد له من زمان ولا يتبدل في كميته بزيادة أو نقصان بحال من الأحوال.([2])
وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان بالقضاء والقدر شرط أساسي من شروط الإيمان بالله تعالى حيث قال فيما أورده الأمام الحاكم في المستدرك:
[عن علي بن أبي طالب: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن العبد حتى يؤمن بأربع: حتى يشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله بعثني بالحق و يؤمن بالبعث بعد الموت و يؤمن بالقدر][3]

الاحتجاج بالقضاء والقدر:

من الأمور الهامة في قضية القضاء والقدر مسألة الاحتجاج بهما، والتماس الإنسان العذر لنفسه في أمر من أمور الدين، وهنا يفرق العلماء بين حلتين اثنتين هما قبل وقوع المعصية وأخرى بعد وقوع المعصية.
ومن الأمور المشهورة في ذلك قصة آدم وموسى عبيهما السلام محاجة موسى لآدم عليه السلام في قضية الأكل من الشجر والمعصية والخروج من الجنة، واحتجاج آدم عليه السلام بالقدر في هذه المسألة.
بمعنى أن الإنسان ينبغي أن يساعد في التأم جراح الناس، وأن يجبر كسر هم وان يصلح من حالهم وأن يقوم معوجهم، ولا يكون عونا للشيطان على أخيه المسلم المذنب لاسيما الذي تاب ورجع وعن الذنب أقلع والى الله تعرف والى التوبة تشوق، وما أحوج الناس اليوم إلى هذا المنهج النبوي الكريم في معالجة أخطاء الآخرين والرفق بحال، وتحتاج الدعوة والدعاة اليوم إلى تطبيق هذا المنهج الرشيد الذي يبعث على التلطف مع المدعوين والرفق هم واللين في الحديث معهم، وعدم تيئسهم من رحمة نحن لا نملكها، ولا نضيق واسعا.

التأدب مع الله تعالى في نسبة القضاء والقدر:

من حسن الأدب مع الله تعالى أن لانتسب شيئا قبيحا إلى الله تعالى، فالكون كله ملك لله والخلق كلهم خلق لله تعالى ما يحدث فيه من خير أو شر، لا يقطع أبدا مراد الله، وإنما كل الأمور تجرى بالمقادير وفق نظام ألهى دقيق، لكن الأدب مع الله سبحانه وعدم نسبة الشر أو القبيح إليه أمر وواجب من الزم واجبات الدين.

---

1) شرح السيوطى لسنن النسائي ج8 ص 270، مكتب المطبوعات الاسلاميه حلب.

2 - انظر عقيدة المؤمن أبو بكر الجزائري ص 345

3 : المستدرك [جزء 1 - صفحة 87] هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و قد قصر بروايته بعض أصحاب الثوري و هذا عندنا مما لا يعبأ تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرطهما

(و القدر على وجهين أحداهما الحد الذي عليه يخرج الشيء وهو جعل كل شيء على ما هو عليه من خير أو شر من حسن أو قبح من حكمة أو سفه.

وعلى هذا يكره القول في الكفر والمعاصي إنها بقضاء الله وقدره وإرادته لوجهين أحدهما ما ذكر من القبح أو هي لا تذكر إلا على الاستقباح والاستهانة والذي ذلك وصفه لا يضاف إلى الله تعالى على ما أخبرت وإن كان في التحقيق من قول ووجه آخر إنه يتكلم به على الاعتذار والاحتجاج ذلك المفهوم منه وقد بينا أن لا عذر لهم في ذلك ولا قوة إلا بالله
وكذلك عند الناس لا يقال يا خالق الخبائث والأنجاس ونحو ذلك وإن كان هو في الحقيقة لكل شيء حالقا فمثله الذي ذكرنا وأصل ذلك إنه يضاف إلى الله تعالى كل ما كانت الإضافة إليه تخرج مخرج التعظيم أو مخرج الشكر أو مخرج ذكر نعمه أو أمره وما خرج على غير ذلك لا يضاف إليه وإن كان في الحقيقة خلقه ولا قوة إلا بالله) ([1])
الأخذ بالأسباب مع الإيمان بالقضاء والقدر:
{ لا ريب أن المقادير سابقة وقد جرى القلم بما هو كائن إلى الأبد قال إمام النووي في شرح مسلم إن الله تعالى قدر مقادير الخلق وما يكون من الأشياء قبل أن يكون في الأزل وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده و على صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها

{ سئل الشيخ القرضاوي عن **القضاء والقدر** فأجاب: { س: هل كل ما يحدث للإنسان في الدنيا مكتوب عليه من الأزل: الموت والرزق، والنجاح والفشل، والسعادة والشقاء في الدنيا، وإن كان من أهل الجنة أو أهل النار... فما قيمة سعي الإنسان إذن؟ وهل للأطباء أن ينقذوا إنسانا من الموت في حادثة من الحوادث؟ وهل للاجتهاد والعمل المتواصل، أو حسن إدارة التجارة أو الزراعة علاقة بزيادة الرزق، أم أن هناك محدد مقدر... عملنا أم تكاسلنا؟

ج: هذا السؤال سؤال قديم معروف، ويبدو أنه مهما طال الزمن سيظل يخطر على الأفئدة، ويدور على الألسنة. ولا داعي للحيرة في شأنه، فإن الإسلام قد شفى في جوابه وكفى..
(أ) أما أن كل ما في الكون مكتوب مسجل. فهذا معلوم من الدين بالضرورة ولا شك فيه، وإن كنا لا نعلم كيفية الكتابة، وماهية الكتاب، وكل الذي نعلمه أن الله تعالى قد أبدع هذا الكون بأرضه وسمائه، وجمادا ته وأحيائه، على وفق تقدير أزلي عنده، وأنه أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، وأن كل ما يحدث في هذا الكون العريض يحدث وفق علمه وإرادته (ولا يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) يونس:61، (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)الأنعام:59، (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير) الحديد:22.
(ب) هذا العلم المستوعب، والإحصاء الدقيق، والتسجيل الشامل للأشياء والأحداث قبل وقوعها لا ينافي الاجتهاد في العمل واتخاذ الأسباب.
فإن الله كما كتب المسببات كتب الأسباب، وكما قدر النتائج، قدر المقدمات فهو لا يكتب للطالب النجاح فحسب بحيث يصل إلى هذه النتيجة بأي وسيلة، ولكن يكتب له النجاح بوسائله من جد وحرص وانتباه ووعي وصبر وجلد إلى آخر هذه الأسباب. فهذا مقدر مكتوب، وهذا مقدر مكتوب.
إن الأخذ بالأسباب لا ينافي في القدر بل هو من القدر أيضا.

---

1 : التوحيد [جزء 1 - صفحة 313]

ولهذا حين سئل صلى الله عليه وسلم عن الأدوية والأسباب التي يتقى بها المكروه، هل ترد من قدر الله شيئا، كان جوابه الفاصل: (هي من قدر الله) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي.
ولما انتشر الوباء في بلاد الشام قرر عمر بمشورة الصحابة العدول عن دخولها، والرجوع بمن معه من المسلمين. فقيل له: أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت إن نزلت بقعتين من الأرض، إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة، أليس إن رعيت المخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت المجدبة رعيتها بقدر الله؟!.
(جـ) على أن القدر أمر مغيب مستور عنا. نحن لا نعرف أن الشيء مقدر إلا بعد وقوعه، أما قبل الوقوع فنحن مأمورون أن نتبع السنن الكونية، والتوجيهات الشرعية لنحرز الخير لديننا ودنيانا.

، ورحم الله الدكتور محمد إقبال إذ قال: "المسلم الضعيف يحتج بقضاء الله وقدره، أما المسلم القوي فهو يعتقد أنه قضاء الله الذي لا يرد، وقدره الذي لا يغلب".
وهكذا كان المسلمون الأولون يعتقدون.
في معارك الفتح الإسلامي دخل المغيرة بن شعبة على قائد من قواد الروم فقال له: من أنتم؟ قال: نحن قدر الله، ابتلاكم الله بنا، فلو كنتم في سحابة لصعدنا إليكم، أو لهبطتم إلينا!!
ولا ينبغي أن يلجأ الإنسان إلى الاعتذار بالقدر إلا حينما يبذل وسعه، ويفرغ جهده وطاقته، وبعد ذلك يقول: هذا قضاء الله.
غلب رجل آخر أمام النبي عليه السلام، فقال المغلوب: حسبي الله، فغضب النبي، ورأى ظاهر هذه الكلمة إيمانا، وباطنها عجزا، فقال: (إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله). ([1])
(هـ) إن من ثمرة الإيمان بالقضاء والقدر -حينما يبذل الإنسان كل ما تحت يده، ويرتقب ما في يد الله- أن يهبه المضاء في موقف اليأس، والعزيمة في مجال الكفاح، والشجاعة ساعة الخطر، والصبر عند الصدمة، والرضا بالكسب الحلال عند تفاوت الحظوظ الدنيوية.
إنه سيقول عند الكفاح: لن (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)([2])
إلا ما كتب الله لنا.
وسيقول عند المعركة: (..قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)([3])
وسيقول عند المصيبة: قدر الله وما شاء فعل.
وسيقول للسلطان الجائر: إنك لن تقدم أجلي، ولن تحرمني رزقا هو لي.
إن عقيدة القدر إذا فهمت على وجهها الصحيح تستطيع أن تخلق من أمتنا أمة مجاهدة صامدة، جديرة بأن تقود زمام التاريخ.}([4])

---

1 - أخرجه أبو داود (313/3، رقم 3627)، والطبراني (75/18، رقم 139)، وابن السني (ص 137، رقم 351)، والبيهقى (181/10، رقم 20514). وأخرجه أيضًا: أحمد (24/6، رقم 24029)، والنسائي في الكبرى (160/6

2 - سورة التوبة – الآية:51)

3 - سورة آل عمران الآية:154)

4 : محاضرات مسموعة للدكتور القرضاوي حول موضوع القضاء والقدر.

أثر الإيمان بالقدر (فقه الدعوة في الإيمان بالقدر):

أنه لا يجرى شيء في كون الله إلا قدر الله فلا يظن ظان أن شيئا يحدث بغير علم الله وإرادته، وأنه لا يقدر أحد على تغيير القدر مهما كانت قوته وجبروته، وأن من أهم آثار الإيمان بالقدر راحة البال و اطمئنان النفس في الخير والشر حيث إنما من الله لحكمة تعلمها وأن الإيمان بالقدر لا ينبغي أن يمنع الإنسان من الجد والعمل على تحصيل حياة أفضل وذلك بالأخذ بالأسباب وترك التواكل، ولا ينبغي الاعتذار بالقدر عند وقوع المعاصي توصل إليها أو الرجوع لها أو للاستمرار والمواظبة عليها يدعو أنها من قدر الله تعالى، قبول الاحتجاج بالقدر بعد وقوع في المعصية لفتح الأمل عند المدعوين المذنبين، لاسيما من وجد منه صدق التوبة والندم وإخلاص النية، فكم من الأمل رد الحياة في نفوس اليائسين، والرضي والتسلم لقضاء الله تعالى فيحمد في السراء ويشكر على النعماء ونرضى ونصبر عند نزول البلاء، والإيمان بأن الأمور مقدره أزلا عند الله تعالى, وأنها تقع وقت حدوثها بعلم وإرادته.

تلك هي أهم الأصول العقدية التي أمرنا الله تعالي في آياته القرآنية والأحاديث النبوية بالإيمان بها دون تفريق، وهي بمجموعها الدعامة الأساسية التي تميز المؤمن من غيره، ومن يسلك سبيل المؤمنين ومن ينهج سبيل الشياطين، ومن خلال ما سلف بيانه يمكننا إجمال الآثار الإيمانية التي تترتب علي صحة اعتقاد الإنسان من غيره فيما يلي:-

أولا: العبودية الخالصة والتامة المطلقة لله رب العالمين، فقد ركزت العقيدة الإسلامية علي ضرورة اعتقاد الإنسان بإفراد الله تعالي بالربوبية والألوهية والعبودية، وتخليص العبد من شوائب الشرك بأشكاله وصوره وتجريد العبد لخالقه وانشغاله بالحق ودعوة الحق فذلك من أعظم ثمرات هذه العقيدة السامية

ثانيا:- القضاء علي سلطة الكهنوت ([1])فليست هناك وصاية من السماء علي الأرض بعد انتهاء عصر النبوة، وما دامت العبودية خالصة لله فليس هناك شركاء في هذه العبودية من البشر حتى لو كانوا أنبياء أو مرسلين يتحدثون باسم الدين ويتكلمون باسم الرب، فلا وساطة بين العبد وخالقه.

ثالثا:- من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر الاستسلام المطلق لله رب العالمين

رابعا:- الصبر عند المحن والابتلاءات فصحة عقيدة المؤمن تتجلي في الصبر وعدم الجزع مهما اشتدت المحن والنوازل.

خامسا:- من ثمار العقيدة الإسلامية القضاء علي الأمراض النفسية التي استبدت بالإنسان في مختلف عصوره، والواقع الإنساني يشهد بتعدد الهموم والهواجس والمشاكل حتى أصبح الإنسان صريع الأوهام والأمراض، إلا من عصمة الله تعالي، مما يجعله يهرب من حياته أو يسقط صريعا مؤثرا الانتحار علي الحياة ة واليأس من الأمل، ولا منجي ولا وقاية للإنسان ألا بالعقيدة الإسلامية التي توقيه من المهالك وكافة الأمراض.

سادسا:- من ثمرات العقيدة الإسلامية تدعوا إلي الصدق في القول والإخلاص في العمل، والالتزام والانضباط في الأقوال والأفعال والظاهر والباطن في كل حياة الإنسان وهذه ركيزة تحقق له الطمأنينة والسكنية والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومن يتأمل الأحاديث النبوية في كتب السنة ستتضح له بجلاء:

---

1 - الكهنوت: وظيفة الكاهن، والكاهن كل من تعاطي علما دقيقا، ومن العرب من كان يسمي المنجم والطيب كاهنا وعند اليهود والنصارى: ومن ارتقي إلي درجة الكهنوت، وعند أصحاب الديانات من غير المسلمين: من ساغ له أن يقدم الذبائح والقرابين ويتولي الشعائر الدينية. ورجال الكهنوت: رجال الدين عند اليهود والنصارى ونحوهم. المعجم الوسيط 803/2.

أولا:- تأكيدها بوجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وأنه لا يصلح إيمان العبد إلا به ولا تقبل الأعمال إلا به.
ثانيا:- النهي عن الخوض في القدر والتعمق فيه فهو من الغيب الذي استأثر الله تعالي بعلمه.
ثالثا:- ضرورة السعي الحث علي بذل الجهد والأخذ بالأسباب في كل شيء ينظم حياة الإنسان وترك النتائج علي مسبب الأسباب وهو الله سبحانه وتعالي.
رابعا:- إلغاء مفهوم الجبر حيث أوضحت السنة النبوية أنه ليس هناك إجبار من الله تعالي علي خلقه بل للعبد حريته المطلقة، وإرادته المستقلة في جميع أعماله، كما أنه لا يتنافى ولا يتعارض مع الأخذ بالأسباب ففي الحديث الشريف:" ما من مولود إلا يولد علي الفطرة...."(1).
وفي الحديث: اعملوا فكل ميسر لما خلق له.(2)
خامسا:- ضرورة التسليم المطلق والرضا التام بكل ما يجري به القضاء والقدر (خيره وشره، حلوه ومره) وعدم الجزع أو اليأس والاعتراض علي قضاء الله تعالي وقدره فالجزع لا يغير شيئا ولا يمنع وقوع ما أراد الله تعالي للعبد، والإيمان بالله تعالي وبهذا الركن الركين حصن للإنسان، ففي الحديث: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير.."(3)
سادسا: إن فساد عقيدة المسلم في الإيمان بالقضاء والقدر خدش في توحيد الله تعالي، وانغماس في أحضان المذاهب الوضعية كالرأس مالية والشيوعية والماركسية وغيرها.

---

1 - صحيح البخاري كتاب القدر 4/ 2047

2 - البخاري في صحيحه ج4/ص1891 ح4666

3 - الحديث صحيح مسلم كتاب الزهد باب المؤمن أمره كله خيره 4/2295.

الفصل الثاني
الأصول التشريعية الإسلامية
من خلال المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : –

تعريف الشريعة الإسلامية نشأتها وتطورها وأهميتها

المبحث الثاني : –

خصائص الشريعة الإسلامية من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى

منها :

[الربانية 0 والإنسانية 0 والشمولية 0 والوسطية 0 والوضوح واليسر 0 ومراعاة سنة التدرج 0 والواقعية]

المبحث الثالث :–

مقاصد الشريعة الإسلامية من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى

فى جانب العبادت 0 وفى جانب المعاملات 0 وفى كافة ميادين الحياة الإنسانية :
(الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والادارية وغيرها)

الفصل الثاني

الأصول التشريعية الإسلامية من خلال الأحاديث النبوية في مستدرك الحاكم النيسابوري.

تمهيد:

لقد بينت من خلال ما سلف أن الأحاديث النبوية قد ركز ابتداء علي اصطلاح العقيدة، وتعميق جذورها وتهذيبها والإرشاد إلي الفضائل الخلقية التي ينبغي التحلي بها من قبل المدعوين.

وكيف استطاع الداعية الأول أن يقضي أعواما يبني ويرسخ ويعمق هذه الأصول العقدية في نفوس المدعوين فإذا صلحت العقيدة صلح كل شيء في حياة المدعوين لأنها أس الدعوة وأساسها، وركنها الداعم لركائزها، ومن ثم، فلقد خلق الله تعالي الإنسان لعمارة هذا الكون وجعله خليفة عنه في الأرض كي يعمرها فيسعد نفسه ويسعد الآخرين، ولقد كرم الله تعالي الإنسان أيما تكريم فصنعه علي عينه وهيئه بنفسه فالإنسان صناعة الله وبنيان الله تعالي والله تعالي خلق الإنسان بيده وأمر ملائكته بالسجود له تكريما وإعزازا ورفعا لمكانته ومنزلته، ويسر الله تعالي للإنسان كل سبل المعيشة والحياة الكريمة التي تدخل علي الفرحة والسرور وتمكنه من العيش الهنيء الآمان، فالإنسان لم يخلق عبثا ولم يترك سدي وإنما خلق لحكمة إلهية هي عبادة الله تعالي والنزول علي شرعه وطاعته، ولما كان الإنسان محتاجا إلى من يوجهه ويأخذ بيده إلى الصراط المستقيم فقد أرسل الله تعالي له الرسل وأنزل معهم الكتب ووضع لهم الشرائع وبين لهم الأوامر والنواهي وكل ما فيه الصلاح والخير لهم في دينهم ودنياهم وحياتهم وأخراهم، وما ترك الله حاجة للإنسان في شيء إلا تتضمنها دينه ووضحتها شريعته.

وقد أراد الله تعالي للإسلام أن يكون خاتم الأديان، وان يعيش مع مصالح الناس طول الزمان لذا فقد شرع الله تعالي لهذا الدين خصائص تميزه عن غيره من الأديان وشرائع تناسبه، فأعطاه الله تعالي القوة التي يستمد منها حياتها واستمراره إلى قيام الساعة فلا دين بعده، لذا فقد جاء الإسلام منذ ما يزيد علي أربعة عشر قرنا و إلى يومنا هذا بكل خير، وعلي قدر ما يواجه الدين من صعوبات وتحديات ومعوقات من الداخل ومن الخارج، وعلي الرغم من الكيد المدبر المنظم من قبل أعدائه إلا أن الذين يقبلون علي هذا الدين جمع غفير.

ذلك راجع إلى قوة هذا الدين وما تميز به من خصائص وما في تشريعاته من مرونة ويسر وسهولة تناسب كل عصر ومصر دون شقاء أو عناء.بل يسعد الإنسان ويرتاح خاطره وهو يطبق شرع الله ويعمل علي إقامة دينه وتنفيذ أوامره فقد جاء الدين شاملا جامعا مانعا لكل جوانب الحياة مناسبا لحاجة الإنسان موافقا لفطرته مسيرا لمصالحه قاضيا لحاجاته، منفذا لمتطلباته، مناسبا للعقل والفؤاد والجوارح.لذا فلو خلع الإنسان من رقبته التعصب الأعمى ونظر بعين صادقة وبصيرة خالصة إلى الحق ما وسعه غير الإسلام وشرائعه .

ومن ثم كان اهتمام الأحاديث النبوية بقضية التشريع وهي لا تنفصل عن سائر القضايا الدعوية الأخرى (العقائد والأخلاق) فبينهم جميعا ترابط وثيق وعلاقة وطيدة لا تنفصل ولا يتحقق إيمان المدعو إلا بترسيخ وغرس هذه الأصول في كيانه كله، والعلاقة بين العقيدة والتشريع والأخلاق علاقة ترابط وتوافق لا تضاد ولا انفصام لأحدهما عن الأخر.

وهذا ما يدفعني الحديث عن أهم الأصول التشريعية كما أجلتها كتب السنة النبوية ولا سيما أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري. موضوع هذا البحث، وذلك علي النحو التالي.

المبحث الأول

تعريف الشريعة ونشأتها وتطورها وأهميتها

أولا: تعريف الشريعة في اللغة والاصطلاح:

التشريع مصدر شرع وأشرع الطريق بينه (1).

أوهي الطريق الذي يوصل منه إلي الماء، وعلي مورد الشاربة الذي يشرعه للناس، أو هي ما شرعه الله تعالي لعباده من الدين والعقائد والأحكام: أي سبة لهم وافترضه عليهم (2) وجاء في المصباح المنير: الشرعة – بكسر الشين – الدين، والشرعة مأخوذة من الشريعة وهي مورد الناس لاستسقاء، وسميت بذلك لوضوحها وظهورها، وجعها شرائع، وشرع الله لنا كذا يشرعه أظهره وأوضحه. (3).

ومما سلف يتضح أن مداول الشريعة يعني في اللغة: التبيين والتوضيح أي بيان وتوضيح الأحكام الشرعية.

وأما في **الاصطلاح** تطلق ويراد بها: ما سن الله تعالي من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر، أو ما شرعه الله لعباده من العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ونظم الحياة في شعبها المختلفة لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة.(4)، **أوهي** :- النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه، وبأخيه الإنسان في والكون، وبمناحي الحياة المختلفة.(5) أو هي طرق العبادة، ومباديء المعيشة والاجتماع، وقوانين ما بين العباد من المعاملات والعلائق والحدود، والحلال والحرام (6) والمتأمل في المدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة الشريعة سيلمس ترابطا بينهما، فالتعريف اللغوي عام يشمل الدين كله الذي شرعه الله لعباده من العقائد والأخلاق والأحكام في العبادات والمعاملات والحدود لذلك شاع في واقعنا المعاصر بين العلماء لفظ الشريعة علي ما شرعه الله تعالي من أحكام عملية فجعلوا الشريعة قسيما للعقيدة وقالوا: الإسلام عقيدة وشريعة. ولذلك فلم يكلف الإنسان إلا بما يستطيع وإلا بما في وسعه وقدرته، والفرق بين تشريع البشر للبشر وتشريع رب البشر للبشر أن تشريع البشر للبشر يخضع للأمزجة والأهواء والميول الشخصية والعاطفة القلبية ويخضع كذلك لسبق الجهل وقلة الإدراك أما التشريع الكامل التام الموافق للطبيعة المناسب للخليقة فهو التشريع الحكيم من لدن الحكيم الخبير.

والله سبحانه وتعالي لم يفاجئ الإنسان بالتشريعات ولم يثقل عليه في الأوامر والنواهي ولم يكلفه فوق طاقته، وإنما استوعب التشريع الإسلامي كل مظاهر الرحمة وعوامل الرأفة، فبدأ الإسلام رويدا رويدا ونزلت التشريعات والأحكام والتعاليم والقرآن علي مدار ثلاثة وعشرين سنة مدة البعثة النبوية المباركة وكانت هذا العوامل أحد الأسباب التي جاء القرآن فيها منجما مفرقا طيلة مدة البعثة النبوية

---

1 - المنجد ص 182

2 - القاموس المحيط للفيروز أبادي ص 946

3 - المصباح المنير) للفيومي ج ا ص 310 المكتبة العلمية بيروت.

4 - انظر (التشريع والفقه في الإسلام تاريخا ومنهجا) مناع القطان ص 15 مؤسسة الرسالة (الطبعة السابعة 1986 م.

5 - (الإسلام عقيدة وشريعة) للإمام محمود شلتوتً 7/ 72 يتصرف ط دار الشروق.

6 - مباديء الإسلام أبو الأعلى المودودي ص 15 ط دار البشير بدون.

المباركة، وقد استوعب الصحابة الكرام أوامر الدين شيئا شيئا وآية آية وحكما حكما حتى كمل الله تعالي الدين وأتم عليهم نعمة الإسلام.

ثانيا:- مراحل التشريع:-

إن التشريع الإسلامي الحكيم تشريعا يستلزم من أتباعه اتباعه وتطبيقه وعدم مخالفته وحيث إن الأمر كذلك فقد راعى التشريع الإسلامي التيسير على الناس وعدم إيقاعهم في الضيق والحرج ولذا جاءت تكاليفه في حدود الاستطاعة البشرية قال الله سبحانه وتعالى: "وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" (1) وقال تعالى "لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا(2)"

لذا فقد سن الشارع لعباده رخصا دفعا للمشقة فشرع الصيام، ورخص في الفطر للمريض والمسافر والحامل والمرضع، ورخص للمريض أن يصلي حسب مقدوره قائما أو جالسا أو نائما، وشرع الطهارة للصلاة بحيث لا تصح الصلاة من غير وضوء أو غسل، ولكنه أباح لنا الصلاة من غير وضوء أو غسل حيث رخص لنا في التيمم من تراب الأرض بدل الماء بالنسبة للوجه واليدين فقط عند ضرورة المرض أو السفر أو فقد الماء أو وجوده، مع قلته كحاجته للشرب عند العطش الشديد الذي لا يحتمل قال الله تعالى: "وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ ليجعل عليكم من حرج" (3).

وقد اقتصر التشريع الإسلامي في التكاليف على أمور محددة وقليلة كي لا يرهق كاهل الناس ولا يشق عليهم فالمتتبع نصوص الشريعة يجد أنها قد تضمنت قلة في التكاليف سواء أكانت واجبة أم محرمة.

وراعى التشريع الإسلامي التدرج في أحكامه كي يكون ذلك أوقع في النفس وأقرب إلى الانقياد وحتى تتهيأ النفوس بالحكم السابق لتلقي الحكم اللاحق فيسهل الأمر عليها.

ونضرب مثلا على ذلك: فالخمر لم تحرم دفعة واحدة بل جاء تحريمها على دفعات حتى نزل قوله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (4).

فهذه آيات محكمات تسلسلت بغية اقتلاع عادة شرب الخمر من نفوس هؤلاء القوم الذين دأبوا على شربها، نزلت فيها التشريعات على مراحل تتهيأ النفوس من خلالها لتقبل ما ينزل عليها وهكذا في بقية التشريعات.

ولقد راعى التشريع الإسلامي أن تساير أحكامه مصالح الناس جميعا في كل زمان ومكان باعتباره خاتم الشرائع السماوية الذي ليس بعده تشريع.

ولو نظرنا بفهم وعمق في أحكام التشريع الإسلامي لتبين لنا وجه هذه المصلحة حتى في الأمور التي تعبدنا الله بها وهي ما نعتبره عبادات خالصة لله تعالى: فإذا تأملنا الحكمة من مشروعية الصلاة نجدها في قوله تعالى: "إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالمنكَرِ" (1)

---

1 - سورة الحج من الآية 78

2 - سورة البقرة من الآية 287

3 - سورة المائدة الآية 6

4 -سورة المائدة الآية 90

ثالثا: - مصادر التشريع:-

إن لهذه الشريعة السمحة مصادر تستقى منها ومراجع ترجع إليها وأسس يستفاد منها وترجع إليها وهى ربانية المصدر إلهية الواقع فالمصدر هو الله اللطيف الخبير وأساس التشريع الإسلامي والقاعدة التي يقوم عليها هي القرآن الكريم ثم سنة رسول الله صلي اله عليه وسلم، وقد كمل الإسلام علي هاتين القاعدتين مشتملا لكل نواحي الحياة قاضيا لكل حاجات الإنسان.

"فالتشريع في الدور الأول كان يعتمد علي المصدرين العظيمين القرآن والسنة، فالقرآن كان يجيء بالقواعد العامة والأحكام أو التشريعات بصفة إجمالية، وكان علي الرسول تفصيل هذا الإجمال، وتحديد تلك القواعد العامة. وقد يكون لنا أن نقول بإيجاز بأن دور الرسول كان الشارح للمتن الذي هو القرآن، إلا أنه شارح بوحي من الله ، يعمل تحت رعايته فلا يقر علي خطأ بحال.[2] إلى أن أدى رسالته وبلغ أمانته وترك الأمة علي خير طريق يوصلها إلى رضي الله تعالي بعيد عن الضلال.

وقد وضح العلماء **مصادر التشريع** حسب الأولوية والأهمية والترتيب، وهي وان كانت فيها مصادر مختلف فيها بين العلماء إلا أن هناك مصادر متفق عليها لا كلام لأحد فيها:-

"من المتفق عليه بين جمهور الفقهاء أن مصادر التشريع الإسلامي أربعة:

(1) القرآن (2) السنة (3) الإجماع (4) القياس.

ويعبر الفقهاء عن المصادر التشريعية بأنها الأدلة التي تستمد منها الأحكام. ومن المتفق عليه أيضاً أن الحكم الذي يدل عليه واحد من هذه الأدلة الأربعة هو حكم واجب الاتباع.

ويرتب الفقهاء الأدلة والاستدلال بها طبقاً للترتيب الذي ذكرناه، فالمصدر الأول للشريعة هو القرآن، والمصدر الثاني هو السنة، والمصدر الثالث هو الإجماع، والمصدر الرابع هو القياس، فإذا لم يوجد حكم الواقعة في القرآن رجع إلى القياس.

وهناك مصادر أخرى للشريعة مختلف عليها، فيراها البعض مصادر تشريعية أحكامها ملزمة، ولا يراها البعض الآخر كذلك، والمصادر المختلف عليها هي: الاستحسان، والاستصحاب، والمصلحة المرسلة، والعرف، وشرع من قبلنا، ومذهب الصحابي.

ويجب أن نلاحظ الفرق الهام بين القرآن والسنة من ناحية وبين غيرهما من المصادر من ناحية أخرى. فالقرآن والسنة هما أساس الشريعة، وهما اللذان جاءا بنصوص الشريعة المقررة للأحكام الكلية. [3]

ومما ورد في هذا الشأن من أحاديث المستدرك مايلى:

ما رواه الحاكم بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ }[4] يعني (أهل الفقه و الدين و أهل طاعة الله الذين يعلمون الناس معالي دينهم و يأمرونهم بالمعروف و ينهونهم عن المنكر فأوجب الله طاعتهم". [5]

---

1 - سورة العنكبوت الآية : 45

2- الإسلام وحاجة الإنسانية ص 135 ".

3 - رواه الحاكم ك / العلم ح 427 225/1 وأورده الذهبي في التلخيص وسكت عنه.

4 - سورة [النساء الآية :59]

5 - المستدرك للحاكم برقم 427- أوردة الذهبي في التلخيص سنداً ومتناً، و هذه أحاديث ناطقة بما يلزم العلماء من التواضع لمن يعلمونهم

من فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* وجوب طاعة الله والرسول طاعة مطلقة دون تردد أو توقف أو نظر مع التسليم والرضي.
* وجوب طاعة أولى الأمر في إطار طاعة الله والرسول.
* ضرورة الفقه في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
* إلزام جماعة المسلمين بالنزول علي طاعة من أطاع الله ورسوله.
* بيان درجات الطاعة و أنها علي الترتيب لا تتقدم واحدة علي أخرى.

وبالتأمل في منهج السنة النبوية المطهرة في التشريع للعبادات أو المعاملات أو لغير ذلك من نظم الحياة المختلفة نجد أن عناصر تتركز في:-

أولا :- تأكيد ما نص عليه القرآن الكريم وموافقته، بذلك يكون التشريع عن طريقين ودليلين: القرآن والسنة النبوية.

ثانيا :- بيان وتفصيل ما ورد مجملا في القرآن الكريم.

ثالثا :- الاستقلال بتشريعات لم ترد في القرآن الكريم، والمتتبع لكل جانب من جوانب التشريع النبوي يتأكد له وجود هذه العناصر الثلاث، وهي تشريع واجب الإتباع والتنفيذ والتطبيق. وقد تستقل السنة بالتشريع في أمر ما يجعله الله تعالي ملزما للمؤمنين النزول عليه والرضي به، وتلك مكانة أكد الله تعالي عليها أمر المؤمنين بالعمل بها واحترامها، وليست تلك المكانة لأحد إلا للرسول بعد القرآن الكريم، فقد أوجب الله تعالي طاعة الرسول والأخذ بما يقوله وقد جاءت أحكام في السنة لم ترد في القرآن الكريم، وتعد السنة مستقلة بها:-

استقلال السنة بالتشريع:

ولم ينفرد القرآن الكريم بالتشريع وحده بل انضم إليه ما أُثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وقد جعل الله تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم مكانة خاصة وأهمية عظيمة في التشريع الإسلامي جعلت من السنة النبوية مصدرا مستقلا في التشريع يمكن الأخذ به منفردا فيما لم يرد فيه نص من كتاب الله تعالي ، فكان الصحابة رضوان الله عليهم ينظرون إلى الأمر وما جاء فيه من القرآن الكريم فإذا لم يجدوا بحثوا في سنة النبي صلي الله عليه ، وإذا وجدوا الحكم في السنة اكتفوا بذلك ولم يبحثوا عن غيره...، وقد أمر الله تعالي بالأخذ بسنة النبي صلي الله عليه وسلم وضرورة العمل بها وأنها معتبرة في التشريع بعد كتاب الله تعالي فقال الله تعالي " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ " [1].

والآيات الناطقة بذلك في القرآن الكريم من الكثرة بمكان ، والتي توجب طاعة الرسول في كل ما يأمر به ، وتحذر من مخالفة أمره أو هجر سنته .

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلي:

ما رواه الحاكم بسنده عن أمية بن عبد الله بن خالد أنه قال لعبد الله بن عمر: إنا نجد صلاة الحضر و صلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر في القرآن فقال عبد الله: يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا صلى الله عليه و سلم ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأينا محمدا يفعل[2]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع.
* وجوب البحث عن الدليل في كتاب الله تعالي فهو الحجة الأولي وهو الدليل القاطع.

---

1 - سورة الحشر الآية (7).

2 - **رواه الحاكم في المستدرك ك / الصلاة ب / التأمين ح 974: وقال: رواته ثقات مدنيون هذا حديث رواته مدنيون ثقات و لم يخرجاه.**

* أهمية السنة النبوية المباركة وضرورة العمل بما جاء فيها.
* ضرورة الإقتداء بما جاء عن النبي صلي الله عليه وسلم.
* تقليد النبي صلي الله عليه وسلم أمر شرعي لا خلاف فيه بخلاف تقليد غيره.

البحث عن أحكام الشريعة في الكتاب والسنة:

وقد بين الإمام الحاكم كذلك ترتيب مصادر التشريع كما جاء في الأحاديث الشريفة والتي التزم بها الصحابة الكرام في الأخذ بها في أحكامهم، فقد كانوا ينظرون في الحكم أولا من القرآن ثم من السنة ثم ما كان عليه الصحابة المقربون من رسول الله صلي الله عليه وسلم فهم أعرف الناس بالدين لقربهم من الرسول في حياته كلها:-

ترتيب مصادر التشريع:-

عن عبيد الله بن أبي يزيد قال:(كان ابن عباس إذا سئل عن شيء فكان في كتاب الله قال به فإن لم يكن في كتاب الله و كان من رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه شيء قال به فإن لم يكن عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فيه شيء قال بما قال به أبو بكر و عمر فإن لم يكن لأبي بكر و عمر فيه شيء قال برأيه) [1].

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* رجوع الصحابة إلى ابن عباس لما تميز به من علم وفي ذلك دليل علي الرجوع إلى العلماء في كل عصر.
* اعتبار الرجوع إلى كتاب الله تعالي في المقام الأول فإن لم يكن ففي سنة النبي صلي الله عليه وسلم
* اعتبار رأي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وان رأيهم حجة فيما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة.
* احترام مكان كل صحابي علي الترتيب في العلم وأسبقية الإسلام ومكانته عند رسول الله وكذلك في التعامل مع العلماء أهل الفتوى ينبغي الرجوع إلى الأفضل فالأفضل.
* احترام مكانة أبي بكر وعمر وأنهما من أفاضل الصحابة.
* عدم افتخار العالم بنفسه والرجوع لرأيه قبل رأي من هو أفضل منه.
* جواز القول بالرأي في حالة التحقق من عدم وجود دليل من الشرع لدي العالم.

رابعا :- التوافق بين الشريعة والفطرة:-

إن الشريعة الإسلامية والإنسان يشتركان في وحدة مصدريهما فالقرآن من عند الله تعالى والشريعة من عنده سبحانه كذلك ولا بد في وحدة المصدر من التوافق والتلاؤم والتماشي بانسيابية وبدون عنت ولا مشقة وكذلك فطرة الإنسان.

فالشريعة الإسلامية شريعة الفطرة، فالإنسان صنعة الله تعالي، والفطرة الإنسانية فطرة الله والدين دين الله هو الذي أنزله وشرعه، لا ظلم فيه ولا غبن، لذا فقد امتازت الشريعة بالاتزان ومناسبة قدرات الإنسان، وذلك أمر بين واضح منذ تاريخ الإسلام لا يختلف عليه أحد ويعد من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، ومراعاة جوانب الاستطاعة والقدرات، إلى غير ذلك مما لا يتوفر في غير المنهج الرباني لذا فقد راعت الشريعة جانب اليسر والتخفيف والبعد عن التشدد وتكليف العباد بما لا يطيقون، والنفس البشرية تنفر ممن يثقل عليها ويكلفها ما لا تطيق فلن تصبر علي ذلك ولو تحملت يوما فلن تتحمل طيلة الدهر فطبيعتها الفرار والنفور مما يضيق بها ذرعا أو يشق عليها، و الشريعة لكافة الناس علي اختلاف قدراتهم الجسدية والأخلاقية والعلمية والدينة لذا قد روعي فيها أن توافق

---

1 - رواه الحاكم في المستدرك ك / العلم ح [446] 229/1 وافقة الذهبي قي التلخيص: على شرطهما. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و فيه توقيف و لم يخرجاه.

الجميع علي اختلاف أشكالهم أيا كان اختلافهم، ومنذ أن جاء الإسلام والي يومنا هذا والرفق في الدين تتضح آثاره يوما بعد يوما في إقبال المدعوين عليه راغبين.
وقد كانت الوسطية والاعتدال أهم ما تميزت به شريعة الإسلام وكانت سببا في نجاح دعوته واستقرار اتباعه وثباتهم علي الدين حتى الموت فلا عسر فيها ولا مشقة ولا إفراط فيها ولا تفريط فهي بين العسر واليسر تدور وهي بين الإفراط والتفريط، أراد الله لها أن تكون أمة وسطا: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ).
وهذا ما ينطق به القرآن الكريم في صراحة ووضوح مبينا أن الإسلام يسير مع الفطرة في طريق واحد، وأن الذي فطر الخلق هو الذي أنزل الدين.
(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [1]

إن الإسلام لا يريد إلا المنفعة للإنسان ولا يبتغي له إلا الخير والناس اليوم يلمسون ما يهدف إليه الإسلام، وكل من يقترب منه أو يسمع عنه لا يملك أن يرجع عنه بل إنه من العجب إن تلحظ الناس كيف يأتون إلى الإسلام راغبين رغم تقصير أهله في حق دعوته يجذبه الإسلام جذبا إليه بما فيه من راحة وسكينة، ومقاومات للحياة بكل ما فيها.
خامسا:- تكامل التشريع الإسلامي وشموله:-
لقد احتوي الإسلام كل جوانب الحياة بما فيها وما عليها مراعيا بذلك التوازن بين كل الأنظمة والمتطلبات "فالإسلام منهج حياة. منهج حياة. حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها. منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة " الوجود " ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود كما يحدد غاية وجوده الإنساني.. ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق من ذلك التصور الاعتقادي وتستند إليه، وتجعل له صورة واقعية متمثلة في حياة البشر. كالنظام الأخلاقي والينبوع الذي ينبثق منه، والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها. والنظام السياسي وشكله وخصائصه، والنظام الاجتماعي وأسسه ومقوماته. والنظام الاقتصادي وفلسفته وتشكيلاته. والنظام الدولي وعلاقاته وارتباطاته.." [2].
ومما تميز الإسلام به في تشريعاته انه متجدد بنفسه لا بغيره أحكامه وتشريعاته تميزت بمرونة ويسر تجعلها صالحة ابد الدهر دون الافتقار لغيرها، فعندما يتجدد الدين لا يعني ذلك أن تغيرا طر أعليه أو أن زيادة حلت عليه بل إن نفس الحكم بما فيه من خصائص ارتقي إلى مستوي العصر والوقت الذي يمر به، وتوفر فيه كل ما يحتاج إليه الناس وكل متطلبات حياتهم فلا حياة بغير الإسلام ولا عيش إلا في منهجه، ولا يخرج عن ذلك الإطار إلا معاند
"والناس إما أن يعيشوا بمنهج الله بكليته فهم مسلمون، وإما أن يعيشوا بأي منهج أخر فهم في جاهلية لا يعرفها هذا الدين... ذات الجاهلية التي جاء هذا الدين ليحطمها، وليغيرها من الأساس. ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله..
والناس إما أن يعيشوا بمنهج الله هذا بكليته فهم في توافق مع نواميس الكون، وفطرة الوجود، وفطرتهم هم أنفسهم. وإما أن يعيشوا بأي منهج آخر من صنع البشر، فهم في خصام مع النواميس الكون، وتصادم مع فطرة الوجود، ومع فطرتهم هم أنفسهم، بوصفهم قطاعا في هذا الوجود... تصادم تظهر نتائجه المدمرة من قريب أو بعيد...

---

1 - سورة الروم: الآية 30.

2 - المستقبل لهذا الدين – للسيد قطب ص 3

ونحن نستيقن أن الناس عائدون إلى الله، عائدون إلى منهجه هذا للحياة. وأن المستقبل لهذا الدين عن يقين. " [1].
فمهما بعد الناس عن الإسلام إلا أنه سرعان ما يرجعون فما أن يسمع الناس بالإسلام إلا يتبع ذلك القناعة والتسليم، فهو دين الفطرة ولا راحة إلا بعودة الفطرة إلى مستقرها ومستودعها، وبغير ذلك فالإنسان المعرض معاند لنفسه، تائه حائرا يبحث عمن يرشده ويهده إلى الصراط المستقيم ولن يكون له غير الإسلام سبيلا.

سادسا : - خصائص التشريع الإسلامي:

لقد تميز التشريع الإسلامي بخصائص أفردته عن غيره وجعلته متكاملا بين الأديان، من حيث مرجعيته إلى الوحي الإلهي أو ما يتعلق بالثواب والعقاب.
"وليس من الممكن استيعاب تلك الخصائص، التي مرجعها بداهة طبيعة الخاصة، ولكن يمكن تعريفها بإجمال مما يأتي:-
أ - أنه يرجع في أسسه العامة إلى وحي الله تعالي.
ب - التمهيد لأحكامه بوازع الدين والأخلاق
ج - جزاؤه دنيوي وأخروي معا.
د - نزعة جماعية.
هـ - قبوله للتطور حسب بيئات الزمان والمكان.
و - غايته تنظيم الحياة الخاصة والعامة، وتيسيرها، وإسعاد العالم كله"(2)
ز - ومن أهم ما يميز الشريعة الإسلامية عن غيرها من سائر الشرائع الوضعية أنها في تكاليفها الشرعية راعت الإنسان قبل أن يولد باختيار الزوجة الصالحة وأثناء حمله وبعد ولادته طفلا وشابا وكهلا وشيخا بل وبعد مماته.
ح - ومن خصائصها أيضا: الوسطية فلا مكان في أحكامها للغلو والتطرف أو التفريط.
ط - ومن خصائصها أيضا أنها: عامة للناس جميعا في سائر الأزمان والعصور والبقاع وخالة وصالحة لكل زمان ومكان.
ي - ومن خصائصها أنها:- يجمع بين المرونة والثبات في سائر ما كلفت وشرعت وتيسر سنة التدرج، وجلب المصالح ودرء المفاسد، وتحقيق العدل للناس جميعا ([3])

<u>اشتراك الشريعة مع غيرها من الشرائع:-</u>

ومما ورد في هذا الشأن من أحاديث المستدرك
ما رواه الحاكم بسنده عن سالم بن أبي الجعد عن ابن عباس رفعه قال: لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثالثة

---

1 - " من كتاب المستقبل لهذا الدين سيد قطب ص 10 -11.

2 - الإسلام وحاجة الإنسانية ص 151.

3 - لمزيد من الاستفادة انظر (الخصائص العامة للإسلام)، (المدخل للشريعة الإسلامية) د- يوسف القرضاوي طبع ونشر مكتبة وهبه.

فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض قال ابن عباس: الشيطان ترجمون و ملة أبيكم تنعون "([1])
وقد أثبتت خصائص الإسلام أهميتها وجدواها من حيث قبول الناس له والدخول فيه عن اقتناع وتضحياتهم لهذا الدين بكل ما يملكون من نفس وأهل ومال وعلمهم بأنه ليس من صنع بشر وانه فوق ما يقوله البشر أو يعرفونه وانه دين الحاضر والمستقبل وان المصلحة والنفع فيه ليس لشيء سوي الإنسان، ويمكننا بيان أهم سمات الشريعة الإسلامية التي ميزتها عن غير من سائر الشرائع الوضعية ومنها مراعاة اليسر والتدرج في أحكامها ورفعا للعنت والحرج.

المبحث الثاني

يسر التشريع الإسلامي :-

مكانة اليسر والسماحة في الإسلام:-

ولقد تأكد في الدين قضية رفع الحرج بما لا يدع مجال للشك أو محلا للنقد وأصبح من الأمور القاطعة التي يجب العمل بها والنزول علي حكمها، والتي تعد مخا لفتها عصيانا ولو كانت في الطاعة، فالخير في حدود ما وضح الشرع و أمر، والدين لا يؤخذ بالأهواء والرغبات والميول حتى تتوحد الأمة علي منهج الإتباع، ولو كان اختياره لنفسه فأولي به إتباع المنهج الحق والوسطية ولا يعرض عن منهج الله إلى منهجه، أو اختيار الله إلى اختياره، والتشدد ولو مع النفس من الأمور المنهي عنها فالمخافة فيه عصيان والخروج عنه خسران، والأدلة الشرعية في النهي عن الغلو في الدين متنوعة.

فرفع الحرج من أصول الشريعة، "فكما قال الإمام ألشاطبي: إن الأدلة على رفع الحرج عن هذه الأمة بلغت مبلغ القطع من كتب وسنة وإجماع..... "[2] " فما نزل الدين إلا ومعه اليسر والسماحة وما شرعت العبادة إلا وهي كذلك، ومن مبدئه إلى منتهاه وذلك المنهج في التشريع واضح في الدين بين.

---

1) رواه الحاكم أول كتاب المناسك ح 1748 27/2 وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبى فى التلخيص: صحيح على شرط مسلم.

2 - التحرير والتنوير ص 340/1.

معنى اليسر والسماحة:-

أ – "معنى اليسر لغة: اليسر - بضم الياء وسكون السين، وبضمها -: اللين والسهولة اللِّينُ والانقياد، والانقياد، ضد العسر. والتيسير: مصدر يسر الأمر، إذا سهله ولم يعسره، ولم يشق على نفسه أو غيره فيه "[1] .

ومعناه في الاصطلاح: موافق لمعناه اللغوي، وهو:" عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم، أو بعبارة أخرى: هو عمل فيه يسر وسهولة وانقياد." [2]

ومعنى قوله - صلى الله عليه وسلم -: " إن هذا الدين يسر [3] " قال ابن الأثير: " اليسر ضد العسر، أراد أنه سهل سمح قليل التشديد " [4]

إن اليسر والسماحة قريبان في المعنى، يعنيان السهولة واللين والسعة ورفع الحرج والضيق والمشقة ونحو ذلك من المعاني الدالة على السلاسة والسهولة واللين.وقد وردت الأدلة الشرعية تؤكد هذا المعني الشرعي وأنه أصل في هذا الدين الذي جاء من عند الله رحمة للعالمين يزيل عن الناس كل ما علق بهم من تعب أو ضرر أو مشقة ويوضح لهم المنهج السوي المستقيم الذي ارتضاه أحكم الحاكمين سبحانه وأرسل به خاتم الأنبياء والمرسلين ليكون نورا وهداية للعالمين

فقد صرحت الآيات القرآنية الكريمة برفع الحرج عن العباد وبينت رحمة الله تعالي وتيسيره علي الأمة في كل شؤونها وتكاليفها وتشريعاتها.

فمن ذلك قوله تعالي: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)5َ والآية عامة في كل قضايا الإسلام وليس في شيء خاص، قال أبو حيان: " وظاهر اليسر والعسر العموم في جميع الأحوال الدنيوية والأخروية " [6] .

."ومن هنا قرر الفقهاء أن ما عُجِزَ عن أدائه سقط وجوبه، كما صرح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - في غير موضع من كتبه بأن الواجبات كلها تسقط بالعجز عن أدائها"[7]. فالله تعالي لا يحاسب إلا المستطيع القادر علي الأداء أما العاجز أو المعذور أو الضعيف فله في الدين رخص وأحكام تناسب وضعه وحالته فليس كل الناس في أداء التكاليف سواء وإنما لكل واحد من أفراد الأمة حكم يناسب وضعه وحالته في قوته وضعفه وصحته وسقمه ويسره وعسره ويقظته ومنامه وصغره وكبره وإجباره واختياره وعلمه وجهله وفي ذلك أعظم الأثر في دعوة الناس إلى دين رب العالمين.....

اليسر والسماحة في السنة النبوية المطهرة:-

وقد جاءت السنة النبوية توضح منهج الإسلام في التسامح واليسر مع المدعوين وإتباع الدين فوضحت وبينت وقعدت قواعد الدين وبينت روحه السمحة ورفقه مع المدعوين في وضع أحكام الشريعة الدين: وقد جاءت الأحاديث البنيوية الشريفة توضح هذا الأمر علي لسان خاتم النبيين:فمن

---

1 - لسان العرب مادة يسر 5 / 292 .

2 - فيض القدير 326/2 .

3 رواة البخاري ك / الإيمان باب الدين يسر 23/1

4 - النهاية في غريب الحديث 295/5 .

5 سورة البقرة ألأية (185)

6 - الجامع لأحكام القرآن 301/2

7 -القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية ص 268

ذلك قوله صلي الله عليه وسلم " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ " [1] والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، " فَسَدِّدُوا " أي الزموا الصواب، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط" [2].فقد نهي النبي عن مجاوزة الحد في التعامل مع أحكام الدين بما يشق علي النفس أو يثقل عليها ويسبب الملل.
وقد كان صلي الله عليه وسلم ينكر علي من يبالغ في أداء العبادة ولو كانت صلاة أو صوم أو نحو ذلك فليس للإنسان أن يزيد أو ينقص أو يبالغ في تأدية العبادات وليس الدين بالكثرة كما يزعم البعض وإنما الدين بإتباع نهج خاتم النبيين.
وعن مِحْجَنِ بْنِ الْأَدْرَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: " رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، وَيَسْجُدُ وَيَرْكَعُ، وَيَسْجُدُ وَيَرْكَعُ وجاء في آخره: " إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ " وفي رواية:" إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أُرِيدَ بِكُمُ الْيُسْرُ " [3].
"إن اليسر والسماحة ورفع الحرج تشمل جميع أعمال المكلف، الدينية منها والدنيوية، ما لم يخالف حكما شرعيا. فليس للمسلم أن يشدد على نفسه بما لا يحتمله من العبادة، ولا أن يضيق على نفسه في أمور الدنيا بزعم التقرب إلى الله تعالى بذلك، فليس التضييق على النفس في الحلال من القربة إلى الله تعالى والزهد؛ لأن وجهة الإسلام العامة هي التيسير، فمن يبغي الشدة والتعنت إنما يعاند روح الإسلام ". [4]
4- إن الأمر بالتيسير والسماحة يعم جميع المكلفين، كل فيما يخصه:
فنرى - مثلا - أن الأئمة مأمورون بتخفيف الصلاة، مراعاة لظروف وأحوال من وراءهم من المأمومين.
والمعلمون والمربون مطالبون بالتيسير والرفق بالمتعلمين، فينبغي أن يرفقوا بهم ويأخذوهم باللين واللطف لا بالشدة والعنف الذي ينفرهم من الحق، ويستأنس لذلك بما حكاه الله سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام - وهو في مقام التعلم من الخضر عليه السلام – (قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) [5].
وكذلك الدعاة ينبغي لهم أن يتحلوا بالرفق واللين والسماحة حتى تعطي دعوتهم ثمارها المرجوة كما أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون عليهما السلام بقوله: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) ، وكما قال عز من قائل : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [6].
كما يجب على الأمراء والولاة والعمال، وكل من تولى شيئا من أمور المسلمين أن ييسر على من تحت أيديهم ويرفق بهم، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

---

1 - رواه البخاري :

2 - فتح الباري ابن حجر 117/1

3 - رواه البخاري في الأدب المفرد ص 124 ، والطبراني في الكبير 296/20

4 - العبادة في الإسلام : د / يوسف القرضاوي ، ص 188.

5.سورة الكهف : الآية 73 .

6 سورة النحل : الآية 125

" اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فأرفق به " [1].
"والمفتون كذلك ليس لهم أن يفتوا بما فيه حرج وشدة على المستفتي، ما دام يجد له مخرجا شرعيا صحيحا. وهكذا باقي فئات المجتمع.
5 - إن الأمر بالتيسير والنهي عن التعمق والتشديد معلل بأمور، منها:
"الخوف من الانقطاع عن العبادة وبغض العبادة، وكراهة التكليف. وينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله.
قال ابن المنير - رحمه الله تعالى - في قوله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ " : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة ؛ فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع " [2] .ولم تغفل الشريعة الإسلامية في جانب الرحمة أن توصي بالحيوان وتأمر بضرورة الترفق به وأن المخالف سيناله العقاب والحساب من الله تعالي، فالحيوان خلقه الله تعالي وسخره للإنسان وبين الشرع الإسلامي حدود الانتفاع والمعاملة مع هذا الحيوان الذي انعم الله تعالي به علي الإنسان، فلا ضرب ولا إهانة ولا تجويع ولا إذلال فذلك في شرعة الإسلام قبل أن تعرف أي منظمة أو هيئة حقوق الحيوان.
"تمضي الشريعة الإسلامية في تشريع الرحمة بالحيوان، فتحرم المكث طويلا علي ظهره وهو واقف فقد قال عليه الصلاة والسلام " لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي " وتحرم إجاعته وتعرضه للضعف والهزال. فقد مر عليه السلام ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال " اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة "[3]
وقد أوضح الإمام بن القيم المراد بالسماحة والحنيفية فقال رحمه الله " السمحة ": السهلة، أي أنها مبنية على السهولة، فجمع بين كونها حنيفة وكونها سمحة ، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل ، كما قال الإمام ابن القيم"[4] .فهي سهلة ميسور فأساس وضع الشريعة جاء علي السماحة واليسر في أساس وضعها عند الله تعالي وقد وضحت سمات وخصائص معينة في الشريعة بينت مفهوم اليسر في الشريعة .
أولا:- رفع الحرج :-
امتازت شريعة الإسلام باليسر والرفق ورفع الحرج عن العباد وتعددت الأدلة التي تثبت ذلك المر وتوضحه للعباد فالله تعالي الذي وضع الدين وشرعه للعباد لم يجعله مشددا مصعبا علي العباد وإنما جعله سهلا ميسرا مرفوع منه الحرج جميع الناس في قوتهم وضعفهم وصحتهم وسقمهم ويقظتهم ومنامهم.
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم و الأعراب يسألونه قالوا:(يا رسول الله علينا حرج في كذا علينا حرج في كذا لأشياء ليس بها بأس ؟ فقال: عباد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقتراف من عرض امرئ مسلم ظلما فذلك الذي حرج و هلك فقالوا: نتداوى يا رسول الله ؟ قال: نعم تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا

---

1 - مسند أبى عوانة مبتدأ كتاب الأمراء بيان ثواب الإمام العادل المقسط . 370/4

2-الصحوة الإسلامية بين التطرف والجمود ، ص 30 .

3 - الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ص 63 ."

4 - إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية: 1 / 158 .

وضع له دواء غير داء واحد) قالوا: يا رسول الله و ما هو ؟ قال:(الهرم) قالوا: يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان ؟ قال:(خلق حسن).[1]
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن أسامة بن شريك قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه و سلم كأنما على رؤوسنا الطير لا يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس من الأعراب فقالوا: يا رسول الله أفتنا في كذا أفتنا في كذا فقال:(يا أيها الناس من الأعراب وضع الله الحرج إلا من اقترض لأخيه عرضا فذلك الذي حرج و هلك) قالوا: أفنتداوى يا رسول الله ؟ قال:(نعم إن الله عز و جل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ قالوا: و ما هو يا رسول الله ؟ قال: (الْهَرَمُ) قالوا: فمن أحب عباد الله إلى الله ؟ قال: أحسنهم خلقاً). [2]
"ومن قواعد الفقه العامة "المشقّةُ تجلب التيسير". وكانت المشقة مظنّة الرخصة، وما ورد من التكاليف الشاقّة فأمر نادر، في أوقات الضرورة، كتكليف الواحد من المسلمين بالثبات للعشرة من المشركين، في أول الإسلام، وقلّة المسلمين." [3].
إن الله جل شأنه وضع هذه الشريعة المباركة حنفية سمحة سهلة، حفظ فيها على الخلق قلوبهم ، وحببها إليهم بذلك، فلو عملوا على خلاف السماحة والسهولة لدخل عليهم فيما كلفوا به ما لا تخلص به أعمالهم و نرى ذلك واضحا في قوله تعالى: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)[4] فقد أخبرت الآية - كما يقول الإمام ألشاطبي – "أن الله حبب إلينا الإيمان بتيسيره وتسهيله ، وزينه في قلوبنا بذلك ، وبالوعد الصادق بالجزاء عليه" [5]
وإذا كانت الشريعة تأمر بالجهاد الذي فيه التضحية بالنفس والمال أو ما شابه من أعمال شاقة أحيانا علي نفس الإنسان فإن ذلك لظروف معينة وكان القصد منه المصلحة العامة في ظروف خاصة تحمل معها جانب الرحمة بالمسلمين، ففي تمكن العدو منهم الهلاك لهم والقضاء عليهم فالمشقة ارحم من الهلاك والأسر والموت وهلاك الحرث والنسل والأهل والأصحاب فالصبر ساعة في ساحة المعارك معناه الرحمة أبدا الدهر.
ثانيا :- الرفق بالسائل وتعدد الآراء في المسألة الواحدة:
وقد كان من منهج النبي صلي الله عليه وسلم الرحمة بالسائل التخفيف عليه إلى حد بعيد يندهش له السامع فربما كان الفعلان مختلفين وتأتي الإجابة النبوية في المسألة بردا وسلاما عليهما كل يجد في الإجابة راحته وكيف يكون التوافق بينهما مع اختلاف سؤالهما إنها روح الشريعة الإسلامية بلاغة نبي الرحمة صلي الله عليه وسلم.
عن أبي سعيد ألخدري قال : خرج رجلان في سفر فحضرت الصلاة و ليس معهما ماء فتيمما صعيدا طيبا فصليا ثم وجدا الماء في الوقت فأعاد أحدهما الصلاة و الوضوء و لم يعد الآخر ثم أتيا

---

1 - المستدرك للحاكم ك / الطب برقم- 8373- 314/5 وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبى .

2 المستدرك للحاكم ك / الطب برقم-8381- 316/5 وأورده الذهبى في التلخيص وسكت عنه .

3 - التحرير والتنوير ج3/.18

4 سورة الحجرات الآية 7.

5 الموافقات لإمام ألشاطبي 2/ 136 .

رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكروا ذلك له فقال للذي لم يعد:(أصبت السنة و أجزأتك صلاتك) و قال للذي توضأ و عاد :(لك الأجر مرتين). [1]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

* يسر الشريعة الإسلامية في وضع الرخص للعباد .
* أهمية الحفاظ علي الصلاة في السفر والحضر علي وقتها .
* سعة التشريع الإسلامي بوجود البدائل والحلول .
* جواز الاجتهاد الشخصي إذا لزم الأمر وضاق الحال .
* ضرورة الرجوع إلى أهل العلم والخبرة وأهل الذكر للتأكد من الاجتهاد .
* رفق الداعي بالمدعوين وقبول عذرهم .
* علي قدر العمل يكون الثواب والأجر .
* منحة الله تعالي للعباد بمضاعفة الأجر والثواب للعباد وتعويضا عما قدموه .
* ويؤكد الله تعالي علي إثبات معاني الرفق والرحمة واليسر في التشريع الإسلامي ورفع الحرج عن العباد وكدم تكليفهم بما هو فوق الطاقة والاستطاعة فيقول الله تعالي في رفع الحرج عن الأمة اجمع (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ) [2] وفي رفع الحرج عن الناس في الدين أيضا يقول الله تعالي (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [3] وفي رفع الحرج عن حالات خاصة في الإسلام بعد تأكيد رفع الحرج العام عن سائر الناس ودخولهم تحت الخطاب القرآني أكد الله تعالي علي رفع الحرج لأصناف خاصة من الأمة قبل الله عذرهم وقدر ظروفهم منهم الأعمى والأعرج والمريض خاطبهم الله تعالي بخطاب خاص في القرآن الكريم ولم يغفلهم أو يتركهم تحت الخطاب العام في القرآن الذي خاطب الله به الأمة الإسلامية

(لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) [4]

ويبين القرآن الكريم أن إرادة الله تعالي اليسر بالعباد فيقول تعالي شأنه

(يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) [5] ويبين القرآن الكريم أن إرادة الله تعالي في تكليف العباد نحو التخفيف علي العباد لعلمه تعالي بضعفهم وما هم عليه من حدود الاستطاعة فيقول الله تعالي:- (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً) [6]

وهكذا نري من الآيات أن الله الرحمن الرحيم، والعالم بتفاوت الناس صحة ومرضا وقوة وضعفا، رفع عنا الحرج ودفع المشقة عن الناس جميعا بعامة، وعن المرضي والمصابين خاصة.

" ولرفع الحرج ودفع المشقة عنا مظاهر كثيرة، منها ما هو في العبادات، ومنها ما هو في المعاملات، ومنها ما هو في العقوبات وما يتصل بها، ولنذكر أمثلة توضح كلا من هذه النواحي :-

---

1 - **المستدرك للحاكم برقم 649 – ك / الطهارة 284/1 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فإن عبد الله بن نافع ثقة ووافقه الذهبى .**

2 - **سورة المائدة: من الآية6**

3 - سورة الحج: من الآية 78

4 - سورة الفتح: منالآية 17

5 - سورة البقرة: من الآية 185

6 - سورة النساء: الآية 28

ففي **العبادات** نري أولا عدم كثرة التكاليف التي جاءت بالقرآن خاصة بها، حتى صار من اليسر القيام بها دون عنت ولا مشقة. كما نري إباحة قصر الصلاة حال السفر، والفطر للصائم إذا كان مريضا أو علي سفر، وهذا ما نجده منصوصا عليه في القرآن، وإباحة التيمم بدلا من الوضوء للصلاة لمن لم يجد الماء أو كان في استعماله ضرر به ، وتناول المحرم كالخمر ولحم الخنزير عند الضرورة.

من مظاهر اليسر البشارة بعمل الخير وكراهية الشر

وقد فتح الإسلام باب الأمل والبشارة بالخير في حالة الطاعة بكثرة الثواب، وفي حالة المعصية بتخفيف العقاب،

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:

ما رواه الحاكم بسنده عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل سيئة فكرهها حين يعمل وعمل حسنة فسر بها فهو مؤمن) [1]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* فتح الأمل في نفوس العباد.
* احتمال وقع المعصية والطاعة من المؤمنين.
* كراهية السيئة والسرور بالحسنة من علامات الإيمان بالله تعالي.
* سعة رحمة الله تعالي ويسر الحصول علي الإيمان إذا صدق العبد.

يسر الإسلام في الطهارة :-

يسر الإسلام علي أهله بكل ما من شأنه أن يسهل لهم طريق الوصول إلي الطاعة دون أدني مشقة أو تعب أو تكلف، وقد كان لذلك عدة طرق استخدمها الإسلام لتحقيق هذا الغرض الذي هو من أهم مميزات الإسلام

(أ) تعدد الوسائل و استخدام البديل في الطهارة

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:

ما رواه الحاكم بسنده عن سعيد بن جبير عن بن عباس رفعه ثم في قوله عز وجل { وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ } [2] قال:(إذا كان [بالرجل](1) الجراحة في سبيل الله أو القروح أو الجدري فيجنب فيخاف إن اغتسل أن يموت فليتمم)[3].

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

* سعة التشريع الإسلامي بوجود البديل في الطهارة التي هي مفتاح الدين ومدخل العبادات في الإسلام.
* يسر هذا البديل وجعله في متناول الجميع يرنوه ويمتلكونه في كل مكان ولا أدني مشقة.
* الرفق بالمرضي والمسافرين ومنحهم الرخص اللازمة لتهوين الأمرعليهم فلا تجتمع عليهم مشقتان مشقة المرضي أو السفر ومشقة التكاليف.

1- المستدرك للحاكم برقم- 176 153/1 ووافقه الذهبي في التلخيص: علي شرطهما. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ وقد ذكرت فيما تقدم من خطبة عمر بالجابية وأنهما لم يخرجاه وهذا بغير ذلك اللفظ أيضاً.

2 - سورة [المائدة من الآية (6)].

3 - **المستدرك للحاكم برقم [600] 271/2 وأوردة الذهبي في التلخيص سنداً ومتناً.وسكت عنه.**

* ملائمة التشريع لكل حالات العباد في القوة والضعف والصحة والسقم والإقامة والسفر مما يوضح صلاحية التشريع الإسلامي لكل زمان ومكان .
* لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .
* حفاظ الإسلام علي أتباعه ورعيته والعناية بهم وخوفه عليهم .
* صحة الأبدان قبل الأديان .
* مجرد الخوف أو احتمال وقوع الضرر يمكن العبد من استخدام الرخصة.
* البعد عن التكلف

الـــــــوضـــــــــــــــــوء :-

يسر الله تعالي في استعمال الماء في الوضوء وأمر الله تعالي بالاقتصاد في الماء ما أمكن وتحرم الإسراف في الماء ولو كان الإنسان علي نهر جار.

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:

ما رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن زيد:(أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بثلثي مد من ماء فتوضأ فجعل يدلك ذراعيه). [1]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* جعل الوضوء سهلا ميسورا لا مشقة فيه ولا عناء.
* من آداب الوضوء الاقتصاد في الماء ما أمكن.
* بيان السنة للقدر الذي يصلح به الوضوء مما يجهله في متناول الجميع تحت أي الظروف حتى لا يشق عليهم.

<u>اليسر في الوضوء:-</u>

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن عطاء بن يسار عن ابن عباس : [أتحبون أن أريكم كيف كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتوضأ ؟] فدعا بإناء فيه ماء[فأغترف]غرفة فمضمض و استنشق ثم أخذ أخرى فجمع بها يديه فغسل وجهه ثم أخذ أخرى فغسل يده اليمنى ثم أخذ غرفة أخرى فغسل يده اليسرى ثم قبض قبضة من الماء فنفض يده فمسح بها رأسه و أذنيه ثم [فأغترف] غرفة أخرى فرش على رجله اليمنى و فيها النعل و اليسرى مثل ذلك ثم قال: هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه و سلم) [2]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

* فهم الصحابة لفعل النبي صلي الله عليه وسلم فهما عميقا يمكنهم من شرحه وتوضيحه وتطبيقه برويّة وإتقان مما يسهل دعوة غيرهم إلى الإسلام وشرح قواعد الدين.
* من أمانة العلم تبليغه ونقله وتوريثه للآخرين حتى تعم المنفعة وقد كان الصحابة يحرصون علي تبليغ السنة وتعاليم النبي.

---

1 - المستدرك للحاكم برقم 521] 249/1 ووافقه الذهبي في التلخيص: علي شرطهما. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

2 - المستدرك للحاكم برقم 533 – 1/ 253 وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه بهذا اللفظ.

* الاغتراف نظرية اقتصادية تحافظ علي الماء وتحد من الإسراف وتيسر علي المتوضئ وتبين يسر دعوة الإسلام.
* من العبادة عدم التكلف في العبادة.
* علي الداعية أن يعبر بأحسن الألفاظ التي تحرك المدعوين وترغبهم في العلم والمعرفة مثل قوله أتحبون أن تعرفوا كذا ويتجنب الألفاظ التي تحمل معها الكبر والغرور والاستعلاء علي المدعوين وتزهدهم في الداعي وعلمه فقد قال ابن عباس أتحبون – ثم قال أن أريكم ولم يقل أعلمكم.
والشواهد علي ذلك كثيرة في سنة النبي صلي الله عليه وسلم ففي حديث عروة الفقيمي رضي الله عنه: " كُنَّا نَنْتَظِرُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مِنْ وُضُوءٍ - أَوْ غُسْلٍ - فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْنَا حَرَجٌ فِي كَذَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِينَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي يُسْرٍ " ثَلَاثًا يَقُولُهَا "(1) .
وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَرْفُوعًا:" " لِتَعْلَمَ الْيَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ " (2).فالصحابة يسألون والنبي صلي الله عليه وسلم يبين لهم رفع الحرج وبسر هذا الدين، وإن الدين الذي بعث به سمحا يسع كل الناس .

القصد في الأعمال :-

من مظاهر اليسر في هذا الشريعة الإسلامية أيضا القصد في الأعمال والتخفيف في العبادات من ذلك مثلا **في الصلاة ما جاء في السنة النبوية المباركة :-**

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن(3)
فالحديث يدعو إلى الاستقامة علي الطاعة والعبادة وعدم الإسراف إلى حد يضر بالإنسان، وقد كان صلي الله عليه وسلم يترفق بالناس ويوضح لهم رحمة الدين وقبول الأعذار ، و عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيما علمني أن قال:(حافظ على الصلوات الخمس) فقلت: هذه ساعات لي فيها اشتغال فحدثني بأمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني قال:(حافظ على العصرين) قال: و ما كانت من لغتنا قلت: و ما العصران ؟ قال: صلاة قبل طلوع الشمس و صلاة قبل غروبها.) (4)

ومن فقه الدعوة في الحديثين الشريفين :-

* الأمر بالاقتصاد في الطاعة والرفق بالنفس وعدم المشقة عليها حتى لا تكل ولا تمل.
* الحث علي المحافظة علي الصلاة والوضوء وبيان أنهما من أفضل الأعمال عند الله تعالي وان الوضوء من علامات الإيمان.

---

1 -(3) أخرجه ابن ماجه ك/ الأشربة باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء 1137/2

2 - أخرجه أحمد - واللفظ له - في 6 / 116، و 233؛ والحميدي في مسنده 1 / 123. وإسناده حسن

3 - المستدرك للحاكم برقم [456] 233/1 وهو علي شرط الشيخين . ذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولست أعرف له علة يعلل بمثلها مثل هذا الحديث إلا وهم من أبي بلال الأشعري وهم فيه على أبي معاوية.

4 - المستدرك للحاكم برقم – 51 1/ 115 وقال : الذهبي قي التلخيص : وخولف هشيم رواه خالد بن عبد الله عن أبي حرب عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* قبول أعذار المدعوين ووضع الرخص لهم في حالة الشدة .
* وجود طاعات تعوض ما فات المدعو من الطاعات .
* وجود الرخص في الإسلام يفتح أبواب الرحمة للعباد ويقبل مشاغلهم .
* أهمية وقت العصرين.
* إذا انشغل المدعو لبعض الوقت فلا ينبغي أن ينشغل كل الوقت.
* مراعاة الإسلام للحاجات الدينية والدنيوية للمدعوين.
* الرفق بالمدعوين والترخيص لهم ولو كان في أمر الصلاة.
* يفضل بعض الأوقات علي بعض في الإسلام لحكم دينية واعتبارات تشريعية.
* علي المسلم أن يعلم أهمية الأوقات حتى يغتنم الفرص ولا يفوته شيء فيه مصلحة شرعية.
* التهيؤ للجمعة والبشارة بالمغفرة:
* من مظاهر التيسير البشارة بالمغفرة وتكفير الخطايا والذنوب وتوضيح العبادات التي تزيل المعاصي فهذا مما يفتح باب الجد والاجتهاد أمام العباد فلا يملون ولا يقنطون وإنما يزداد أملهم وتقوي عزائمهم، فإذا علم العبد أن هناك وسائل وعبادات تكفر الخطايا وتذهب المعاصي حاو ل أن يغتنمها ويعمل لها ويحافظ عليها، وما من إنسان إلا وهو مفتقر لهذا الأمر فكلنا عرضة للخطأ وعرض للوقوع في المعصية والذنب ولا يوجد إنسان إلا له حظ من هذه الذنوب وان اختلفت من واحد إلى وحد نوعا وحجما، وإذا يذكر للإنسان ما يكفر له فإنه لا شك يسارع إليه، فهو بسعي لتحقيق وسائل المغفرة وإدراك أسبابها
- عن عكرمة عن ابن عباس: أن رجلين من أهل العراق أتياه فسألا عن الغسل يوم الجمعة أواجب هو ؟ فقال لهما ابن عباس:
من اغتسل فهو أحسن وأطهر وسأخبركما لما بدأ الغسل كان الناس في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم محتاجين يلبسون الصوف يسقون النخل على ظهورهم و كان المسجد ضيقا مقارب السقف فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الجمعة في يوم صائف شديد الحر ومنبره قصير إنما هو ثلاث درجات فخطب الناس فعرق الناس في الصوف فثارت أبدانهم ريح العرق و الصوف حتى كاد يؤذي بعضهم بعضا حتى بلغت أرواحهم رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو على المنبر فقال: أيها الناس إذا كان هذا اليوم فاغتسلوا و ليمسن أحدكم أطيب ما يجد من طيبه أو دهنه). [1]
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر يوم الجمعة: من غسل و اغتسل و غدا وابتكر و دنا و أنصت و استمع غفر له ما بينه و بين الجمعة و زيادة ثلاثة أيام و من مس الحصى فقد لغا.) [2]
فقد حرص الإسلام علي حسن الهيئة وجعل المسلم في أحسن صورة و أطيب رائحة لا سيما في الجمع والجماعات والاجتماعات واللقاءات فالنظافة وحسن الهيئة باعث علي المودة والمحبة لدي المسلمين، فهي تؤلف بين قلوبهم وتدخل الراحة والسكينة عليهم وتجمع بينهم ، وعلي النقيض الرائحة الكريهة والمنظر غير الحسن باعث علي الكراهية والنفور والفرقة بينهم فهو يباعد بين المسلمين ويفرق بينهم وينزع الحب من قلوبهم فلذلك الأمر اعتبارات دينية ودنيوية بينهما تلازم وتوافق لا ينفك بعضها عن بعض ، علاوة علي أجرها في الآخرة وتكفيرها للذنوب والخطايا .

---

1 - المستدرك للحاكم برقم [1066] 389/1 ووافقه الذهبي في التخليص : على شرط البخاري هذا حديث صحيح على شرط البخاري.

2 - المستدرك للحاكم برقم – [1068] 389/1 وأورده الذهبي في التخليص : سنداً ومتناً , وسكت عنه.

من فقه الدعوة في الحديثين الشريفين:-

* حرص الإسلام علي النظافة والطاهرة وظهور المدعوين في أحسن صورة.
* لفت أنظار المدعوين إلى أهمية يوم الجمعة في الإسلام.
* ضرورة الاستعداد ليوم الجمعة ولصلاتها في الجسد والثياب بالغسل ووضع الطيب.
* من وجوب استعداد المدعوين لهذا اليوم بالتبكير والانتظار قبل الصلاة قدر الاستطاعة
* بشارة المدعوين بالخير بجعل الجمعة إلى الجمعة مكفرة للخطايا.
* التزام المدعوين بآداب المسجد والحفاظ عليه.
* ضرورة مراعاة شعور الآخرين وعدم إزاءهم.
* تطبيق قاعدة " لا ضرر ولا ضرار ".
* علي الداعية أن ينبه علي ما يراه مناسبا لصالح الجميع دون حرج أو تجريح وعلي المدعوين التزام الأمر والطاعة.
* علي الداعية التزام الحكمة مع المدعوين مهما كان خطأهم واستخدام ما يناسبهم من موعظة لمعالجة الضرر.
* التنبه علي الخطأ فور ملاحظة الداعية له وسرعة الاستجابة من المدعوين.

عدم المشقة علي النساء :-

لم تهمل الشريعة الإسلامية حق النساء في التشريع وأداء شعائر العبادات والتكاليف فمنحتهن كذلك حقوقهن دون أدني تمييز أو غبن أو ظلم، فيسرت عليهن أداء العبادات وبينت حدود الشرع وأوامر الدين في الخروج إلى المساجد وبيان أفضل الأمور التي يتعبدن بها ويتقربن بها إلى الله تعالي ، فسمحت لهن بالخروج إلى المساجد لأداء العبادة وبينت كذلك أن أفضلية الصلاة لهن في بيوتهن فذلك خير لهن مع حصولهن للأجر والثواب وما ذلك إلا للحفاظ الشريعة عليهن

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تمنعوا نساءكم المساجد و بيوتهن خير لهن. [1]

من فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* التيسر علي النساء في التكاليف للضرورات الشرعية.
* ترك الخيار والموازنة للمدعو كي يقيم الموقف مع بيان رأي الشرع في المسألة وترك الباب مفتوحا أمامه.
* الشرع يترفق بالنساء ويعادلهن في الثواب بالرجال فيجعل بيوتهن خير لهن .
* تطبيق قاعدة " درء المفاسد مقدم علي جلب المصالح ".
* تيسير الإسلام علي المرأة بتخييرها في الأمر، في حين الزم الإسلام الرجال وحاسبهم علي ترك الصلاة في المسجد.

الترغيب في أداء العبادة بزيادة الأجر:-

وقد رغب الإسلام في الذهاب إلى المساجد التي يكثر السير إليها وجعلها أفضل من غيرها، فهي تزيد حسنات العبد بكثرة خطواته إليها، ولعل نظرية الإسلام في ذلك أن تعمر المساجد بالمصلين فلا تهجر لبعدها ولا تعمر لقربها، فوازن الإسلام بين المصلحتين.

---

1 - المستدرك للحاكم برقم 864 1/ 339وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعا بالعوام بن حوشب و قد صح سماع حبيب من ابن عمر و لم يخرجاه فيه الزيادة و (بيوتهن خير لهن)

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرا.) [1]
وعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد) . [2]

ومن فقه الدعوة في الحديثين الشريفين:-

* موازنة الشرع بين مشقة التكليف ومكافأة الجر للمدعوين.
* دعوة الشرع للمدعوين بعمارة المساجد كلها القريبة والبعيدة فلا يهجر البعيد لبعده ولا يهتم بالقريب لقربه بل الأفضل البعيد كما بين الشرع.
* توجيه الدعوة بعمارة كل المساجد بالصلاة فلا صلاة إلا في المسجد، إلا ما رخص فيه الشرع لظروف معينة.

يسر الإسلام باستخدام الرخص في الصوم :-

وقد رخص الإسلام في الصوم كذلك بما يناسب كل القدرات البشرية ، بحيث لا يجد العبد فيه مشقة أو ضررا، وبحيث لا يترتب عليه هلاك للإنسان من وراء العبادة لله ، فما أنزل الله تعالي الدين لهلاك العباد والقضاء عليهم وإرهاقهم وإنما أنزله الله سبحانه ليحيوا به حياة سعيدة وتصح به في أجسادهم وأرواحهم وتزكوا به نفوسهم، وإن ظهر من شكل العبادة المشقة لدي البعض إلا أنها في حقيقتها تحمل كل معاني الخير للإنسان في نفسه أهله وماله ومجتمعه وكل من حوله بلا استثناء شأنه في الصوم شأن كل العبادات.
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال:(رخص للشيخ الكبير أن يفطر و يطعم عن كل يوم مسكينا و لا قضاء عليه). [3]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

* تشرع الرخص مع العبادة حتى لا يضيق الأمر بالمدعوين .
* احترام السن وتقدير الكبار أمر معتبر في الدين وأدب من آداب الدعوة .
* الرخص منحة الله للعباد وهديته إليهم من الأدب قبولها .
* أداء العبادة واستخدام الرخص لمستحقها في الثواب ثواب .
* تيسر الله علي المدعوين مرتين الأولي في عدم الأداء عند العجز والثانية في تسهيل الفدية عليهم بديلا عن الأداء.

يسر الإسلام في المعاملات :-

---

1 - المستدرك للحاكم برقم 832 330/1 وقال: صحيح هذا حديث صحيح رواته مدنيون و يحيى بن سعيد هو الإمام في انتقاد الرجال و لم يخرجاه إذ لم يرو بغير هذا الإسناد.

2 - المستدرك للحاكم برقم 832 - 330/1 وأورده الذهبى وسكت عنه.

3 - المستدرك للحاكم برقم 1641 547/1 ووافقه الذهبي في التلخيص: هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه .

لم تكن المعاملات في الإسلام بعيدة عن رفق الإسلام وجوانب الرحمة فيه، بل لقد تألقت أفضل صور الرحمة والرفق في المعاملات بحظ كبير موفور وضحت من خلاله شمولية هذا المنهج المتميز في شريعة هذا الدين الذي اعز الله به المسلمين.
ولقد تيسرت العقود التي تقوم عليها المعاملات بين العباد والتي تؤكد انتقال حقا من طرف إلى طرف وإثبات حقا لطرف آخر، " نجد اليسر شاملا، فليس هناك إجراءات رسمية أو شكلية يجب اتباعها ليكون العقد صحيحا كما كان الأمر عند الرومان، بل تكفي في هذا رغبة المتعاقدين فقط كما هو معروف، ومن ثم لا نجد في القرآن في جواز العقود إلا شرطا الرضا، ومصداق ذلك قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) [1]
فإن كلمة تجارة تشمل كل أنواع المعاملات.
ومن باب التيسير في المعاملات أيضا، ابتناء كثير من الأحكام علي العرف الصحيح نوعا، وفي هذا ملاحظة اختلاف العرف والعوائد باختلاف الزمان والمكان، " [2] .، فلقد رفع الإسلام كل أشكال التميز العنصري بين أفراد الأمة وجعل أساسا ثابتة تقوم عليه قواعد الصلاح أو الفساد في العقود دون ادني تفريق في المعاملات بين الناس.، ولقد بين الإسلام الأخلاق التي ارتضاها للأمة في واحد من أنواع التعامل بي أفراد الأمة كالبيع مثلا وأن العقد يكون بالتراضي وطيب النفس قائما علي الاختيار المطلق بين الطرفين المتعاقدين، فقد شرع الإسلام أن تقوم عملية البيع بين الطرفين علي أساس من الاختيار والتوافق والقبول، فعن سمرة بن جندب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " البيعان بالخيار ، ما لم يتفرقا ، ويأخذ كل واحد منهما من البيع ما يهوى " قالها ثلاثا " [3] ، فمجلس العقد قائم علي الحرية والاختيار كل من الطرفين ينظر ما يراه مناسبا له دون ادني ممارسة تلبس عليه الأمر وتجعله يحيد عن الاختيار الصواب أو القيام بما يعرف اليوم بالغش التجاري أو تدليس الأمر علي البائع أو المشتري بالقيام بدعاية كاذبة تخفي الحقيقة علي أحد الطرفين، أو ممارسة أي ضغط أو إكراه في العقد.
فلقد بين الرسول صلي الله عليه الأخلاق الطيبة الكريمة التي ترضي الله تعالي والتي شرعها الإسلام، ولقد دعا الرسول بالرحمة لمن ينهج هذا النهج في بيعه وشرائه وقضائه.
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء " [4].
فالسماحة من أسس التشريع الإسلامي وهي أساس التعامل الكريم الذي ارتضاه تعالي للعباد في معاملاتهم وهي التي تجلب محبة الله تعالي لصاحبها.
بإمعان النظر في النصوص التي سقناها آنفا، نستنبط منها جملة من الدلالات –
1 - إن اليسر والسماحة وانتفاء الحرج من أكبر مقاصد الشريعة،

1– سورة (النساء: الآية 29).
2 - الإسلام وحاجة الإنسانية ص – 171.
3- المستدرك – باب حديث إسماعيل بن جعفر ج286/5 الشاملة. « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه الزيادة.
4 - المستدرك ك / البيوع برقم [2384] 187/2 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه »

فقد قال الإمام العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى -: " التيسير ورفع الحرج أصل عظيم في الدين، وركن من أركان شريعة المسلمين شرفنا الله - سبحانه وتعالى - به، فلم يحملنا إصرا ولا كلفنا في مشقة أمرا " (1).
فهذا هو واقع التشريع الإسلامي انه في مقدور العباد من السهل القيام به كمنا أمر به الله تعالي دون أي تعب أو مشقة بل علي العكس ربما ادخل السرور علي أصحابه والقائمين به، فيفرحون بتأديته ويسعدون للقيام به.
ويقول الإمام الشاطبي - رحمه الله تعالى -: " رفع الحرج مقصود للشارع في الكليات، فلا تجد كلية شرعية مكلفا بها وفيها حرج كلي أو أكثري البتة " (2). فالسماحة واليسر من مقاصد الدين الإسلامي ومن صلب التشريعات، وليست شيء طارئ أو دخيل عليها.
ويقول العلامة ابن عاشور - رحمه الله تعالى -: " استقراء الشريعة دل على أن السماحة واليسر من مقاصد الدين " (3) .
وهذا ما عليه علماء المسلمين فكلهم يجمعون علي يسر هذا الدين وسماحته وان الله تعال يرفع الحرج فيه عن الناس.
"وقد أجمع علماء الأمة على عدم وقوع المشقة غير المعتادة في التكاليف الشرعية ولو كان واقعا لحصل في الشريعة التناقض والاختلاف، وهي منزهة عنه" (4) . فلا تناقض أو اختلاف في الشريعة، ومن هنا فقد وجدنا الفقهاء - رحمهم الله تعالى - كثيري الاعتماد على هذا الأصل في استنباط الأحكام وتعليلها وترجيح بعضها على بعض، حتى قال الإمام إبراهيم النخعي - رحمه الله تعالى - : " إِذَا تَخَالَجَكَ أَمْرَانِ ، فَظُنَّ أَنَّ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ أَيْسَرُهُمَا " (5) فالتشريع يغلب جانب اليسر علي غيره فالتعبد لله به أولي من غيره وهذا هو منهج النبي صلي الله عليه وسلم في اختيار أيسر الأمرين ، ووصيته صلي الله عليه وسلم بتفضل العمل بالرخصة الشرعية في موطنها وحينها .
وقد استنبط الفقهاء من هذا الأصل القاعدة الفقهية الكبرى: " المشقة تجلب التيسير "(6)، وما يندرج تحتها من القواعد الفقهية.
2 - إن اليسر والسماحة من خصائص الشريعة الإسلامية: وذلك:
ولما كان تشريع الإسلام للناس كافة في كل زمان ومكان فقد اقتضت إرادة الله تعالي أن يمتاز باليسر والسهولة والتخفيف علي العباد كي يمكنهم القيام به.
أولا – "لأن الله سبحانه وتعالى أراد للشريعة الإسلامية أن تكون شريعة عامة للناس كافة في جميع أنحاء المعمورة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فاقتضى ذلك أن يجعل الله فيها من اليسر والسماحة والتخفيف ما يلائم اختلاف الناس وطبائعهم، في مختلف الأزمان، وتباين البقاع، حتى يكون تنفيذها بين الأمة سهلا ميسورا، ولا يتأتى ذلك إلا إذا انتفى عنها التشديد والإعنات" (7) .

---

1 (1) مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، ص 128.

2 (2) الموافقات 1 / 352.

3 (3) مقاصد الشريعة الإسلامية، ص 270

4 (1) انظر: الموافقات 2 / 132.

5 (2) كتاب الآثار: محمد بن الحسن الشيباني ، ص 196

6 3) انظر: الأشباه والنظائر: السيوطي، ص 76.

7 - العبادة في الإسلام: د / يوسف القرضاوي، ص 188بتصرف.

ومن جوانب العظمة في الإسلام وتقديره للأمور مراعاة أمور الناس وأحوالهم ومصالحهم ورعايتها.
ومن قواعد هذا الدين وأهدافه ما جاء من تجاوز الله تعالي ورفع الحرج والجناح عن الحاج الذي يرغب في حاجة من حاجات الدنيا من بيع أو شراء ملتزما فيه بخلق الإسلام وأداء الهدف الرئيسي الذي جاء من أجله.
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " كانوا في أول الحج يتبايعون بمنى كسوق المجاز، ومواسم الحج، فلما نزل القرآن، خافوا البيع، فأنزل الله عز وجل: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج " [1]
فالإسلام في تشريعه لا يفرق بين الدين والدنيا فهي لله كلها ونعمة الدين ونعمة الدنيا لا تتعارضان إذا أديت بما أمر الله تعالي وحاجات الإنسان ورغباته أمور معتبرة في شريعة الإسلام والإسلام يسمح بذلك إذا أديت كل منهما كما أراد الله تعالي.
- وصور الرحمة في التعامل الإسلامي ومكارم الأخلاق لا تنفك أبد فالإسلام بخلقه الحسن ومكارمه الفائقة يجعل من الرحمة في التعامل سمة إسلامية بارزة إذا ضاعت وانتزعت من عملية التعامل رد البيع وفسد وقد علم النبي الكريم هذا الخلق الفاضل للصحابة الكرام .
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن علي رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أبيع أخوين من السبي فبعتهما ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته ببيعهما فقال : فرقت بينهما قلت: نعم قال: فارتجعهما ثم بعهما ولا تفرق بينهما [2]
ففي مثل هذا الوقت الذي تغيب فيه الرحمة عن قلوب كثيرة ويطغي البغي والجبروت وتنزع فيه الرحمة من القلوب، لكن يبقي قلب نبي الذي أرسل للناس رحمة لهم ورأفة، فلم تكن الحرب لتغيره.
ولم تكن صورة واحدة فريدة أو نادرة وإنما كانت صورا متكررة، كلما وجدت وجدت الرحمة معها بلا قيد أو شرط.
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:
ما رواه الحاكم بسنده عن جعفر ابن محمد عن أبيه: أن أبا أسيد الأنصاري قدم بسبي من البحرين فصفوا فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم فنظر عليهم فإذا امرأة تبكي فقال: ما يبكيك ؟ فقالت: بيع ابني في بني عبس فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي أسيد: لتركبن فلتجئين به فركب أبو أسيد فجاء به [3]
فالنبي صلي الله عليه وسلم يسمع شكوى المرأة ويرد أمر البيع رحمة بها ومراعاة لشعورها وتطبيع لمنهج الإسلام في التعامل مع الآخرين، فالبيع والشراء والجهاد وكل أمور الحياة تتم وفق قواعد و أسس وضوابط إسلامية.

---

1 - **المستدرك ك/ التفسير باب من سورة البقرة 393/2 وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجا**

2 - **المستدرك ك / الجهاد برقم - [2621] 248/2 ووافقه الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه و له إسناد آخر عن الحكم بن قتيبة صحيح أيضا على شرطهما**

3 - المستدرك ك/ معرفة الصحابة **[6302] 235/2** وقال الذهبي في التلخيص : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

وكم نلحظ الفرق بين جيوش الحق وبين ذئاب الباطل التي خرجت من ديارها لتخرب البلاد وتهلك العباد فربما نكلت بالولد أمام أمه أو أبيه وربما كان العكس وربما فتكت بالجميع دون أدني شفقة أو رحمة أو مراعاة مشاعر الآخرين.

ومن فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة:-

* يسر التشريع الإسلامي في كل جوانب الحياة.
* إرساء الإسلام لقواعد المعاملة السليمة القائمة علي الخلق الفاضل.
* التسامح ضروري في البيع والشراء والقضاء بين المسلمين تدور حركة الحياة بين البشر.
* علي الداعية مراعاة شعور المدعوين وأحوالهم والتزام خلق الرحمة بينهم.
* جواز رد المعاملة المبنية علي الضرر.
* احترام النفس الإنسانية ضرورة إسلامية ولو كان صاحبها من السبي بغض النظر عن انتمائه للدين
* ضرروة ملاحظة الداعية لأحوال الأمة ورعاية شؤونها والعمل علي راحتهم وحل مشاكلهم.
* العمل علي التقارب الاجتماعي بين أفراد المجتمع لا سيما بين الأم وولدها والأخ وأخيه.
* التحرك السريع وحل المشكلة علي الفور يقلل نسبة المعانة.
* علي المدعوين النزول علي أمر وحكم الولي دون أدني مراجعة لا سيما إذا كان الأمر من رسول الله.
* وقد سمح الإسلام بالتعامل مع أهل الكتاب و يسر في ذلك إلى حد بعيد حتى لا يحرج الناس أو يشق عليهم أو ينفروا من الشرع بدافع صعوبة التشريع الإسلامي.

وما ورد في هذا الشأن من أحاديث المستدرك ما رواه الحاكم بسنده عن :

عن أبي ثعلبة الخشني: أنه أتى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: قلت: يا رسول الله إنا بأرضنا أهل كتاب يشربون الخمور و يأكلون الخنازير فما ترى في آنيتهم و قدورهم ؟ فقال:(دعوهم ما وجدتم عنها بدا فإذا لم تجدوا عنها بدا فاغسلوها بالماء أو قال انضحوها بالماء ثم قال: اطبخوا فيها و كلوا) قال حماد: و أحسبه قال: و اشربوا. [1]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

* انفتاح دعوة الإسلام لسائر الأديان.
* السماح بمعاملة آهل الكتاب واستعمال آنيتهم .
* ضرورة رجوع المدعوين إلى أمامهم للسؤال عما لا يعرفون.
* البعد عن الشبهات قدر الاستطاعة.
* مرونة الإسلام في التعامل ونهيه لأفراد الأمة بعيدا عن الضيق والحرج.
* وجود البديل يوجب الإقلاع التام والبعد الكامل عن الحرام والضرورة ترخص فيه بقدر منضبط في الشرع.
* في بلاد غير المسلمين ينكر المسلمين علي أنفسهم ويحترمون غيرهم ولا ينكرون علي أهل البلاد غير المسلمين حتى لا تكون فتنة.

ولقد طبق الرسول صلي الله عليه وسلم ذلك المنهج الرباني في التيسير في كل جوانب الحياة وفي سائر أركان الدين بداية من الركن الذي يقوم عليه الدين وهو الصلاة إلى آخر أركان الإسلام فقد أورد الحاكم في المستدرك ما كان يفعله رسول الله مع الصحابة وهو يعلمهم منهج الإسلام وكيفية العبادة وأداء الصلاة وكيفية الموازنة بين العبادة ومشاغل الحياة التي ربما ألقت بثقلها علي الإنسان بحيث لا

---

1 - المستدرك للحاكم ك/ الطهارة 284/1 برقم 514- وأورده الذهبي في التلخيص سنداً ومتناً، وسكت.

يستطيع لها دفعا، وقد كانت رحمة الإسلام ومراعاته لكل الجوانب نظرة رحمة سديدة حققت المراد وطمأنت النفوس التي بحثت عن الحل عند رسول الإسلام.
فليس هناك مشقة أو إجهاد للإنسان لا يتحمله، وإنما ما كلف الله به البشر وان ثقل بعض الشيء لكن يمكن القيام به، فهو تكليف يحتاج إلى صدق من العباد ليس خارجا عن استطاعتهم وليس فوق قدراتهم وإمكانياتهم مناسبا لكل واحد من أفراد الأمة مراعيا فيه الفوارق والقدرات بين العباد، مع وضع الضوابط الشرعية لذلك.ولا يفهم اليسر في الدين بأنه تسيب وانحلال واستهانة بحدود الله تعالي، ولا يفهم من التطبيق انه تشدد ومغالاة فالله تعالي لا يحب هذا ولا ذلك وخير الأمور أعدلها أوسطها واد ومها ولو كانت قليلة.
هذا هو خط الوسط والصراط المستقيم، والميل عنه إلى التهوين أو التهويل أو الإفراط أو التفريط أمر خارج عن الدين.
وكما نقل الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - عن بعض السلف:
" إن دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه " [1].
وقد وضح الإمام ألشاطبي النمط السلوكي عند كل من المغالي والجافي، أو المفرط والمتشدد، وميل كل منهما إلى جانب واحد بحيث ينمو لديه علي حساب الآخر، مما يجعله غير مستقر ومكتمل في تطبيقه للدين، والميل إلى أحد الجانبين مضيعة للآخر، وخير الأمور أوسطها، فالتخويف والترهيب له وقته وله من يخاطبون به و من يوجه إليهم بحيث يكون هو الرادع لهم ويهتدون به، وكذلك التيسير والترغيب والترخص له أيضا من يخاطبون به ولا ينفعهم غيره، وحيثما استعمل كل واحد منهما في موضعه كان النفع والفائدة للداعي والمدعو والدعوة وحيث قلبت الموازين وانعكس الأمر كانت النتائج سلبية علي الدعوة وأهلها. " فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف، فذلك في مقابلة واقع، أو متوقع في طرف آخر.
فطرف التشديد - وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر - يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين.
وطرف التخفيف - وعامة ما يكون في الترجي والترغيب والترخيص - يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحا، ومسلك الاعتدال واضحا، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه " 2 .ولذا فإن علي الداعية الذي يرغب في نجاح دعوته وجمع المدعوين حوله وجذبهم إليه أن يتوسط بين الأمرين الترغيب والترهيب والثواب والعقاب فلا يمل إلى جانب علي حساب الآخر فيقوي أحدهما ويضعف الآخر مما يكون له أثره السلبي علي الدعوة ولو ظن صاحبه انه علي صواب فالتوسط صفة هذه الأمة ومنهج الإسلام وسبيل النجاح في الدعوة إلى الله تعالي.

التدرج في التشريع:

من مظاهر رحمة الله تعالي بعباده انه سبحانه لم يكلفهم بالعمل مرة واحدة ولم يأخذ علي أيديهم في الحرام مرة واحدة حتى لا يثقل عليهم، أو يصعب عليهم بما تضيق به نفوسهم أو تضر به صحتهم، فما كان لتشريع الله تعالي الذي نزل لراحة الناس وإسعادهم أن يكون سببا في إرهاقهم وإتعابهم وضيق صدورهم وقطع أنفاسهم، بل لقد راعي تشريع الإسلام كل حاجات النفس البشرية في فرض التكاليف ووضع الحرام والحلال عليها بما لا يدع مجال لأي احتمال من الضرر بحيث لو كان

---

1 - مدارج السالكين ابن القيم ج2 /392.

2 - الموافقات ج2/ 167-168.

الإنسان هو الذي يشرع لنفسه ما سعي في مصلحته كما سعي إليها تشريع الله تعالي وشتان بين شرع الله تعالي وشرع الإنسان، لذا فقد وضع الله تعالي التدرج في الشرع وفرض الحرام والحلال كي تتقبل النفس بطريقة راضية ميسورة عليها لا تضر بها وهذا منهج الإسلام في تشريعاته في الحرام والحلال:-

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال:(يا أهل المدينة إن الله يعرض علي في الخمر تعريضا لا أدري لعله ينزل علي فيه أمرا ثم قام فقال: يا أهل المدينة إن الله قد أنزل تحريم الخمر فمن أدركته هذه الآية و عنده منها شيء فلا يشربها و لا يبعها) قال:(فسكبوها في طرق المدينة) [1] فمع تهيئة النفوس للأمر وغرس الفكرة في الأذهان كانت سرعة الاستجابة من الصحابة والتنفيذ المباشر للأمر عن طيب نفس واقتناع، واستعداد لتنفيذ أوامر الله تعالي.

- عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال: قال عمر رضي الله عنه:(اللهم بين لنا في الخمر فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ }[2] إلى آخر الآية فدعا النبي صلى الله عليه و سلم عمر فتلاها عليه فكأنها لم توافق من عمر الذي أراد فقال: اللهم بين لنا في الخمر فنزلت: { {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ }[3] فدعا النبي صلى الله عليه و سلم عمر فتلاها عليه فكأنها لم توافق من عمر الذي أراد فقال: اللهم بين لنا في الخمر فنزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ }[4] حتى انتهى إلى قوله: {فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}[5] فدعا النبي صلى الله عليه و سلم عمر فتلاها عليه فقال عمر: انتهينا يا رب) (6)

ومن فقه الدعوة في الحديثين الشريفين:-

* رحمة الله تعالي في فرض التكاليف والتشريعات ونزول الأحكام.
* مراعاة الأولويات في التشريع فلم ينزل تحريم الخمر إلا في المدينة المنورة بعد سنوات طوال من نزول الإسلام في مكة.
* علي الداعية وضع البرامج الدعوية اللازمة التي تؤهل المدعوين في الإقلاع عن المعاصي أو القرب من الطاعات كما فعل النبي صلي الله عليه وسلم مع الصحابة الكرام كي يستعدوا لما ينزله الله من أحكام قبل نزوله بمجرد التعريض له مع الفارق بين الصورتين.
* التأدب مع الله تعالي في الأمور غير المعلومة وعدم القطع بشيء محتمل الوقوع.

ترك أمور الغيب لله تعالي فلا دخل لأحد فيها.

* ضرورة إبلاغ المدعوين بالأحكام والتشريعات فقد كان النبي يخبر بالأمر فور نزوله.
* بعد نزول الأحكام وتأهيل الناس لاستقبالها لابد من الصراحة والوضوح فلا مداراة بعد ذلك.

---

1 - المستدرك للحاكم ك / التفسير ب / تفسير سورة البقرة ح 3152 395/2 - ووافقه الذهبي في التلخيص:هذا صحيح.

2 - سورة النساء الآية: 43

3 – سورة البقرة:الآية 219 .

4 - سورة المائدة: الآية 90

5 - سورة المائدة الآية 91

6 - المستدرك للحاكم ك / الأشربة ح 7382 70/5

* مراعاة المصلحة الخاصة والعامة في وضع التشريع فالخمر لا تشرب ولا تباع فلا يضر الإنسان نفسه أو غيره.
* سرعة استجابة الصحابة للأمر وسكبها فور كلام النبي صلي الله عليه وسلم.
* إثبات برهان الإيمان في فعل الأمر علانية في الطريق مما يشجع جماعة المسلمين علي الإقلاع عن المعاصي فليس الأمر في خفية أو انفرادي وإنما كل المجتمع يسارع إلى الاستجابة لأمر الله ورسوله عن طيب نفس واقتناع.
ولو فاجأ الشرع الناس مرة واحدة أضر بهم وترتب عليه مخاطر كثيرة منها عدم الالتزام بالشرع ومحاولة التمرد علي الأوامر والنواهي.
الانتقال السريع من أمر إلى أمر بين عشية وضحها قد يضر بالإنسان صحيا ونفسيا وتترب عليه ضعف عنصر الاستجابة والاستعداد لتنفيذ الأمر.
كم أن الاستجابة عند جموع الناس قد تكون بطيئة وقد يترتب عليها انقسام الناس إلى فرق وأحزاب، وقد كان الكثيرون من الصحابة يدعون الله تعالي كي يحرم الخمر لما ايقنوه من الضرر المحقق من ورائها، ولعل من أبرزهم فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي كان كثيرا ما يدعو الله تعالي أن ينزل في الخمر أمر شافيا واضح التحريم إلى أن استجاب الله تعالي دعوته ونزل الحكم فيها قاطعا:-
" وهكذا حرمت الشريعة علي الإنسان كل شيء يجلب إليه الضرر. واحلت له كل شيء يعود عليه بالنفع ولا يضر غيره . إن المبدأ الذي يقوم عليه بناء الشريعة الإسلامية، هو أن الإنسان من حقه أن يعمل لتحقيق رغبات نفسه وحاجاتها، ويسعي في سبيل منفعته الذاتية كيفما يشاء. ولكن من الواجب عليه في الوقت نفسه، ألا يتمتع بهذا الحق، إلا من حيث لا يضيع حقوق غيره من البشر بجهله أو شره، بل ينبغي أن يكون مساعدا لهم ومتعاونا معهم علي قدر وسعه. أما الأمور التي فيها ناحية للنفع وناحية للضرر، فتقول فيها الشريعة: إن الإنسان عليه أن يتحمل الضرر الخفيف للنفع الكبير، ويترك النفع التافه احتراز من الضرر الشديد.
لا يمكن أن يعرف كل إنسان، في كل زمان، عن كل شيء أو عمل ما فيه النفع أو الضرر ولذا وضع الله تعالي – وهو العليم الخبير الذي لا يخفي عليه سر من أسرار الكون – نظاما صحيحا كاملا لحياة الإنسان، وما كان الناس ليفطنوا إلى كثير من مصالح هذا النظام في القرون القديمة: ولكن رقي العلم في هذا الزمان قد كشف عنها الغطاء بل لا يزال الناس يجهلون كثيرا من مصالحه في هذا الزمان أيضا، ولكنها لا تزال تتكشف وتتجلي لأعين الناس، علي قدر ما يكتب للعلم من الرقي والنمو. " [1]
فما غاب عن الشريعة شيء فيه مصلحة لم تحله وما تركت شيئا فيه مضرة إلا وحرمته دون أدني نقصان أو إخلال بالنظام الكوني والنفسي ذلك لأنه دين الله تعالي وأن المشرع هو الله.
الثواب والعقاب في الشريعة الإسلامية:-
لم تكن العقوبة أمراً مستحدثاً في حياة الإنسان أو حالة طارئة فيه، إنما تعد العقوبة من الأمور التي رافقت الإنسان منذ ولادته، فيمكن القول بأن العقوبات قديمة بقدم الإنسان.
فالإنسان لا يندفع نحو العقوبة ولا ينساق ورائها إلا بدافع من تلك الغرائز الكائنة في نفسه، وتلبية لنداء غريزة حب البقاء. فمع (وجود الإنسان على الأرض تكونت لديه فكرة واضحة عن مبدأين أساسيين في الحياة ما زالا حتى الآن ركنين من أركان المجتمع الإنساني هما:
* العمل الحسن ويقابله (أي الثواب).
* العمل السيئ ويقابله (أي العقاب) ".

1- مبادئ الإسلام – أبو الأعلى المودودي ص 163 ط الاتحاد لإسلامي العالمي .

على هذا لم تكن لتجد مرحلة من المراحل التي مر بها الإنسان، ولا عهداً من العهود التي تعاقبت عليه تخلو منه مبدأ العقوبة إذ أنه يرتبط بحياة الإنسان وبقاءه، حيث قلنا ـ إنه من آثار غريزة حب البقاء، هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله: "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (1)

مما تجدر الإشارة إليه أن الشريعة الإسلامية قد حافظت على التوازن الذي يجب أن تقوم عليه العقوبة من خلال حفظها للنسبة بين الجرم والجزاء، فالشريعة الإسلامية تضع في حسبانها أن العقوبة إنما تقرر لأجل **حفظ التوازن الاجتماعي:**

1) تحقيق العدالة : إن حياة الإنسان، وممتلكاته، وعرضه من الأمور الواجبة الاحترام وبالتالي فليس من العدل في شيء ترك الإنسان الذي يتعرض لهذه الأمور دون أن يطاله شيء، فإن في ذلك إجحافاً في حقوق الناس وتشجيعاً للجناة على ارتكاب الجرائم.

أن الشريعة الغراء إنما جاءت لحفظ الأمور التالية:

حفظ الدين. حفظ النفس.

حفظ النسل. حفظ المال. حفظ العقل.

إن الشريعة الإسلامية تختلف عن غيرها في طريقة التجريم فهي لم تكن قد وضعت الإجراءات الاعتباطية في طريقة تجريم الإنسان كما فعل غير من أشرنا إليه سابقاً. وإنما كان الدين الإسلامي أحرص على تبرئة ساحة المتهم قبل أن يدان بالجرم الذي اتهم فيه امتثالاً للقواعد العامة التي تقوم على العدل والرحمة .

المعاصي تذهب الإيمان:-

الإيمان يزيد وينقص فالطاعات سبب في الزيادة والمعصية سبب في النقصان، وقد أخبرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أن الزني يخرج الإيمان من صاحبه إلى حين رجوعه وإقلاعه عنه.

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:

ما رواه الحاكم بسنده عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا زنى العبد خرج منه الإيمان وكان كالظلة فإذا انقلع منها رجع إليه الإيمان) (2)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* احتمال وقوع المعصية من المدعوين، فلا عصمة إلا للأنبياء.
* إمكانية زيادة الإيمان ونقصانه.
* الإيمان والمعصية نقيضان لا يلتقيان، لا يجتمعان في قلب المؤمن إذا دخل أحدهما خرج الأخر.
* سعة رحمة الله تعالي بالعبد فالإيمان لا يزول بالمعصية وإنما يظل قريبا من صاحبه لعله يرجع.
* رجوع الإيمان إلى العبد بمجرد الإقلاع عن المعصية.

وقد وضع الإسلام العقوبات في الشريعة الإسلامية صيانة وحفظا للمجتمع كي يعيش الناس في آمان وسكينة، ويطهر المجتمع من الفوضى والإجرام ويأمن الناس علي أنفسهم وأموالهم وأهليهم ومصالحهم، وقد وضعت العقوبات بنظام محكم متين عادل يأخذ علي يد الظالم ويعطي للمظلوم حقه دون ميل لأحد علي حساب أحد فنجد أن العقوبة محاسبة للجاني على جرم معين ارتكبه ففرضها الشرع صيانة للمجتمع.

---

1 - سورة البقرةالآية – 179.

2 - المستدرك للحاكم برقم564 117/1 ووافقه الذهبي في التلخيص وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا برواته

"وفي باب العقوبات، نجد أن منها ما يسمي في الفقه بالحدود وهي عقوبات الزنا والقذف والسرقة وشرب الخمر وصيانة للعرض والنسل والمال والعقل. وفي هذا، نجد الرسول صلي الله عليه وسلم يقول " ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم " وفي بعض الروايات " ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله، فإن الإمام لأن يخطئ في العفو، خير من أن يخطئ في العقوبة [1].

ولذلك ورد أن النبي صلي الله عليه وسلم أتى بلص اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع، فقال له، " ما أخالك سرقت " قال بلي (أي سرقت). فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا. فأمر فقطع. ولذلك يسقط الحد عن السارق لما يقتات به حفظا لنفسه، وإذا كان لا يجد شيئا غيره وعمن سرق ما يسد حاجته من مال يدعي أن له حقا فيه.

هذا ومن دلائل اعتبار التيسير في التشريعات من أسس الشريعة الإسلامية، أن الله تعالت حكمته تفضل ورفع عنا تكاليف كثيرة شاقة وعقوبات شديدة ضربها علي اليهود جزاء بغيهم وعدوانهم، وفي ذلك نزلت هذه الآيات

"فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً) [2]

"وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) [3]

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإنجيل يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [4]

وإذا وضعنا هذه الآيات بجانب آية أخري يخاطب بها رسول المسلمين، وهي قوله تعالي:- "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[5] (نلمس أي رحمة ويسر خص بهما عباده المسلمين المؤمنين به وبما أنزل علي رسوله .

هنا رحمة وسعت كل شيء، ودعوة إلى التوبة التي تمحو الذنوب، وهناك أخذ بالعقاب الغليظ المتعدد ! هنا تحليل للطيبات من الرزق، فلا تحريم إلا للخبائث كالخمر والميتة والخنزير، ووضع لما كان علي اليهود من إصر أو أغلال ! وهناك، هذا الإصر وهذه الأغلال تضرب عليهم في صورة تكاليف ثقيلة وتشريعات شديدة ! فهل بعد هذا يسر وتسهيل !" [6]

فقد كانت تشريعات الإسلام وسطية عادلة وضعها الله تعالي لإصلاح حال الناس جميعهم ولم تساوي الشريعة بين الناس في الجرائم وإنما نظرت إلى الظروف والملابسات ، فنظرت إلى حاجة السارق ودوافع السرقة ، وفرقت بين الزاني المحصن وغير المحصن ، وفي القتل عمدا وغير عمدا وخطأ وغير ذلك بتفصيل واسع في الشريعة الإسلامية يناسب كل أحوال الناس وظروفهم وأسباب وقوع الجريمة ودوافعها .

---

1 - سنن الترمذي باب ما جاء في درأ الحدود 322/5

2 - سورة النساء الآية 160

3 - سورة الأنعام الآية 146

4 - سورة الأعراف 157

5 - سورة الزمر الآية 53.

6 - الإسلام وحاجة الإنسانية ص173 – 174 ".

الكسب الحرام سببا في العقاب:-

كما حرمت الشريعة المال من أي طريق غير مشروع ونفرت الناس منه حتى لا ينالهم الخزي والعار يوم القيامة علي رؤوس العباد

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم حنين وبرة من جنب بعير ثم قال:(يا أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس و الخمس مردود عليكم فأدوا الخيط و المخيط و إياكم و الغول فإنه عار على أهله يوم القيامة و عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم و الغم) قال: و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكره الأنفال و يقول: (ليرد قوي المؤمنين على ضعيفهم) [1] فأخذ المال بغير طريق الشرع ظلم للمجتمع واستعلاء علي حقوق الآخرين ولو كان للإنسان شبة فيه فلا يحل له كذلك، كما الزم الإسلام أتباعه بمراعاة حق الفقراء والمساكين وعدم التعدي عليها:_

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* تحريم الإسلام لكل طرق الكسب غير المشروع.
* وضوح منهج الإسلام في بيان الحلال والحرام فلا يحل أي شيء بغير حق صغيرا كان أم كبر أو قل أو كثر.
* ضرب المثل بوبر البعير ليكون أوضح وأبين مشاهد لا ينكره أحد.
*علي الداعية أن يبدأ بنفسه في تطبيق الأحكام وبيان الحلال والحرام فليس له شيء وللمدعوين شيء
* تذكير المدعوين بالحساب في الآخرة عن الصغير والكبير والقطمير.
* علي المسلم مراعاة حق الفقراء والمساكين والوفاء به.

الحدود تدفع عذاب الآخرة:

من رحمة الله تعالي بالعباد انه لم يثني عليهم في العقوبة في الدنيا والآخرة وإنما جعل الله تعالي الرحمة حتى وقت العقاب، فجعل العقاب واحدا فمن أدركه في الدنيا فلا يعود إليه في الآخرة ومن فاته في الدنيا فأمره إلى الله تعالي.

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:

ما رواه الحاكم بسنده عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أصاب حدا فعجل الله له عقوبته في الدنيا فالله أعدل من أن يثني على عبده العقوبة في الآخرة و من أصاب حدا فستره الله عليه و عفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه) [2]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:

* العقاب لا ينافي رحمة الله تعالي بل هو من رحمة الله بالعباد.
* عدم الإفراط في فرض العقوبة أو تنفيذه بالزيادة علي ما هو مقدر شرعا.
* أحكام الإسلام وعقوباته مهما بلغت فكلها رحمة بالإنسان.
* عقوبة الدنيا تسقط عقوبة الآخرة.
* تغليب جانب الرحمة والعفو والستر علي العذاب والعقاب.

وهذا ما يدفعنا لبيان أهمية السنة النبوية ومنها كتاب المستدرك للحاكم النيسابوري في ميدان الدعوة إلي الله تعالي أقول وبالله التوفيق.

---

1 - المستدرك ك/ المغازى والسرايا ح 4425 3 /268 وأورده الذهبى في التلخيص وسكت عنه .

2 - المستدرك للحاكم برقم 13 - 1/ 102 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

المبحث الثالث

من مقاصد الشريعة الإسلامية

إن الذي يريد إحصاء مقاصد الشريعة وأهدافها سوف يواجه صعوبة جمة ذلك لأنه قد تعددت المؤلفات في ذلك واختلفت الإحصاءات لكل من أدلى بدلوه فى هذا الموضوع، إنما كل يكتب على قدر الطاقة والوسع، والمنتهى إليه أن هذه الشريعة تهدف وتقصد إلى إرساء كل خلق سني وإلى النهى عن كل خلق دنى أو بمعنى آخر تهدف إلى إرساء مكارم الأخلاق والنهى عن سيئها، وتهدف كذلك إلى ما ييسر للناس حياتهم وما يسهل عليهم معايشهم وما يحفظ لهم كرامتهم فى الدنيا وسعادتهم يوم القيامة.

وهذه المقاصد ما هي إلا غيض من فيض وما هي إلا جزء من كل وما هي إلا نماذج لمقاصد الشريعة الإسلامية وليس إحصاء لها.

(أولا) حفظ مال اليتيم ومراعاة مصالحه :-

لقد أوصي الإسلام بمراعاة اليتيم ونظر إلى ما فيه مصلحته وأمر بالحفاظ علي ماله حتى يكبر، وأمر الولي القائم علي مصلحة اليتيم بمحافظة علي ثروة اليتيم والتعفف عنها قدر الاستطاعة ومن ثم دفعها إليه عند الكبر، فاليتيم في ذمة الله تعالي والمتعدي عليه متعد علي حد عظيم من حدود الله تعالي، وذلك لضعفه وعدم معرفته وصغره، ولوترك اليتيم لأهواء الناس لضاع حقه بين الكثير منهم، ولطمع في ماله القاص والدان من ذوي النفوس الضعيفة.

وقد أمر الله تعالي بإصلاح حال اليتيم ومخالطته وعدم تركه منفرد ا معزولا عن المجتمع، حتى لا يضيق ذرعا بحاله وعزلته وانفراده ويتمه، فإذا فقد والد فقد جعل الإسلام له سائر الناس أباء، قال الله تعالي:- "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (*)[1]

يقول العلامة ابن عاشور "فقد ثبت أن النظر في مصالح الأيتام من أهم مقاصد الشريعة في حفظ النظام فقد كان العرب في الجاهلية كسائر الأمم في حال البساطة يكون المال بيد كبير العائلة فقلما تجد لصغير مالاً فلما جاء الإسلام أمرَهم بإصلاح حال اليتامى في أموالهم وسائر أحوالهم حتى قيل إن أولياء اليتامى تركوا التصرف في أموالهم واعتزلوا اليتامى ومخالطتهم فنزلت هذه الآية.وصلاح المال نماؤه المقصود منه، وصلاح الحال كونها بحيث تترتب عليها الآثار الحسنة[2]

وما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك ما رواه الحاكم بسنده:

عن عبيد بن عمير، عن أبيه، أنه حدثه وكانت له صحبة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع : " ألا إن أولياء الله المصلون من يقيم الصلوات الخمس التي كتبت عليه، ويصوم رمضان، ويحتسب صومه يرى أنه عليه حق، ويعطي زكاة ماله يحتسبها، ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها " ثم إن رجلا سأله فقال: يا رسول الله، ما الكبائر ؟ فقال: " هن تسع: الشرك بالله، وقتل نفس مؤمن بغير حق، وفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا "، ثم قال: " لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء

---

1 - سورة البقرةالآية (220) .

2 - التحرير والتنوير لابن عاشور ج2/ ص 228

الكبائر، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في دار أبوابها مصاريع من ذهب " [1].

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

الحفاظ علي مال اليتيم واجب إسلامي، وفي الحديث موزانة الإسلام بين كافة الحقوق والواجبات، احترام الإسلام وحفظه لحق الصغير قبل الكبير، وبيان أنه لا مانع من مخالطة الوصي لليتيم مع مراعاة حدود الله تعالي، و خطورة أكل مال اليتيم وجعله من الكبائر، والبشارة بصحبة النبي صلي الله عليه وسلم لمن صان مال اليتيم.البعد عن المال الحرام سببا في المتعة الحلال بالذهب والقصور في الآخرة.

ثانيا:- حفظ حق النساء وقت الطلاق والفراق وبيان ما لهن وما عليهن:-

جاءت الشريعة الإسلامية لتسد حاجات البشر وتقض لهم حقوقهم، وتفصل بينهم فيما يحتاجون إليه من شؤون دينهم ودنياهم وتوضح لهم طريقهم في السراء والضراء وفي العسر واليسر، ولقد شرع الله تعالي لكل حالة ما يناسبها ووضع للإنسان كل ما يحتاج إليه في كل الأنظمة والظروف، لكي تدور مسيرة الحياة ولا تتوقف، وقد رفع الإسلام شأن المرأة واعلي قدرها في بيت زوجها وفي حالة فراقها، وجعل الله تعالي لها حقا مكفولا في الشريعة الإسلامية هو من أهم مقاصدها لا يمكن التعدي عليه، والخروج عنه يعبر معصية وإثما.

"ولقد جاءت الشريعة الإسلامية تسد الحاجة وتحقق الغرض، فلا تريد أن تهمل قوة من قواك أو تمحو رغبة من رغباتك، أو تنفي عواطف من نفسك، فهي لا تقول لك: اترك الدنيا، واقض أيام حياتك في الجبال والغابات الكهوف والمغارات، واشدد علي نفسك واكسر سورتها، وذللها بالمصائب والشدائد، وحرم عليها زينة الحياة الدنيا ولذاتها ونعمها. كلا ! فإنها شريعة عني بوضعها الله الذي خلق للإنسان هذه الدنيا. فكيف يرضي لكونه الخراب والفناء ؟ إن الله تعالي ما أودع في الإنسان قوة لا تنفعه ولا يحتاج إليها، وكذلك ما خلق شيئا في السماوات ولا في الأرض عبثا، بل يريد أن يبقي معمل الكون هذا يسير سيرا مستمرا علي نظام مدبر، ينتفع فيه الإنسان بكل شيء، ويستخدم فيه مختلف أسبابه ووسائله، لكن علي وجه لا يضر نفسه ولا أحد غيره، ولهذا الغرض نفسه وضع الله تعالي ما وضع من قواعد الشريعة وضوابطها" [2]

وقد نص القرآن الكريم صراحة علي هذا الحق وبين حرمته لما يقع فيه من الظلم والتعدي علي حقوق النساء واستضعافهن أحيانا من قبل بعض الرجال الذين ربما تزرعوا في فعلهم بما هو غير شرعي، وها هو الإسلام الذي يتهم بظلم المرأة والانحياز إلى الرجل يؤكد علي ضرورة إعطاء المرأة حقها ولو كان ذلك في حق الطلاق وفي لحظة الفراق. .

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (*)[3]

---

1 –المستدرك ك / الإيمان ح 196 158/1 وقال الحاكم : احتجا برواة هذا الحديث وقال الذهبى فى التلخيص لم يحتجا بعبد الحميد لجهالته

2 - مبادئ المودودي ص 161.

3 - سورة البقرة الآية 228.

وقد سبق الإسلام كل القوانين الوضعية التي ربما رأت أنها تنصف المرأة بمنع الطلاق لكنها جاءت لتعالج المرض فزادتهم مرضا علي مرضا ووسع دائرة الخلاف والمشاكل بين الزوجين وربما فكر أحدهما في الخلاص من الأخر بكل طريقة متاحة، مما دفع هؤلاء الناس إلى النظر في القضية من قريب وسن قوانين تبيح أمر الطلاق والفراق بين الزوجين.

الأسبقية في تحريم كل ما من شأنه الضرر بالإنسان:-

ذلك أنه دين الله تعالي لكل الناس:- " والشريعة الإسلامية نزلت بتحريم الخمر وإباحة الطلاق ، وذلك قوله تعالي :- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [1] وقوله تعالي (الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) [2]

ولم تعرف القوانين الوضعية تحريم الخمر، وإباحة الطلاق إلا في هذا القرن، وبعض القوانين الوضعية تحرم الخمر تحريما مطلقا وبعضها يحرمها تحريما جزئيا، وبعضها يبح الطلاق دون قيد أو شرط وبعضها يقيده، فكيف تصلح القوانين التي أخذت عن الشريعة، ولا تصلح الشريعة! ؟" [3] وقد كان لإباحة الخمور في الغرب الضرر البالغ الذي هدد كيان هذه المجتمعات، فكثرت الجرائم بكل أنواعها وعاش الناس في جو من الرعب والخوف علي حياتهم وأموالهم وأعراضهم وكل ما يملكون، وقد صان الإسلام حق الجميع حتى تستقر أحوالهم ر ويسعدون في حياتهم

وما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك ما رواه الحاكم بسنده:

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني أحرج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة "(4).

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* الوصية بحفظ حق المرأة، ووصف المرأة بالضعيفة تعاطفا عليها وترغيبا في الوقوف معها وليس تحقيرا لها أو تقليلا من شأنها، المجاورة اللفظية مع اليتيم تشديدا علي حقها وتخويفا للمتعدي عليها، و وجوب الحفاظ علي الحقوق علي الأداء.

ثالثا:- حفظ المال وضمان حق الفقراء والضعفاء ووضع ضوابط للإحسان إليهم:-

إقامة العدل بين الأفراد من أهداف الشريعة الإسلامية ومقاصدها والقواعد التي جاءت ترسخها في المجتمع فالشريعة جعلت الناس كلهم في ميزان واحد و ألغت نظام الطبقية أو ما يعرف بالسادة والعبيد، وجعلت الناس في ميزان واحد أمام الله تعالي لا فرق بين غني وفقير وقوي وضعيف وحاكم ومحكوم فالكل في ذمة واحدة أمام الله تعالي سواء، وجعلت للفقير حق في مال الغني يأخذه ويحصل عليه في إطار شرعي منضبط، وبينت الشريعة الإسلامية طريقة أدائه ودفعه للفقير فليست القضية دفع المال إلي الفقير فقط، ومن ثم بينت طريقة الأداء متضمنة حفظ الكرامة وماء الوجه وجعلته أمرا معتبر في الشريعة الإسلامية، فبينت أن الفقير يأخذ حقه وبالأسلوب الموافق للشرع دون مساس أو تجريح.

---

1 - سورة المائدة الآية :90)

2 - سورة البقرةالآية 229)

3 - الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه. ص 54- 55.

4 - رواه الحاكم في المستدرك ك / الإيمان ح 211 161/1 وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافق الذهبى.

"إن الشريعة الإسلامية قد بينت حقوق الفرد والجماعة أيا كان هذا الفرد وهذه الجماعة، وعملت بأحكامها علي صيانة هذه الحقوق لأربابها، و بذلك أصبح الكل آمنا علي نفسه وماله وجميع حقوقه.
ولنأت ببعض الآيات الآمرة بالعدل مع الأولياء والأعداء علي حد سواء:-
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [1]
وقوله تعالي (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) [2]
الشريعة تقوم علي فكرة العدل الكامل علي هذا النحو يجب أن تكون مثالية تنظر إلى الناس جميعا نظرة واحدة، فهم أمامها سواء لا فرق بين سيد ومسود ونبيل ووضيع، ومن ثم، فهي تعدل بينهم في أحكامها، هذه هي الشريعة الإسلامية.
التشريع الإسلامي في أسسه وقواعده العامة وفي كثير من أحكامه التفصيلة هو الله العليم بكل شيء والخبير بكل ما كان ويكون إلى آخر الدهر، فهو بلا ريب قادر علي تحقيق العدل والعدالة معا." [3]
فموقف الشريعة مع اتباعها يقوم علي المساواة المطلقة بين جميع الأفراد علي أساس من العدل والمساواة وتحقيق الخير والنفع للجميع وغرس كل السبل التي تقيم الأمن في المجتمع وتحقق السعادة للناس أجمعين، وقد أصل القرآن الكريم تلك القاعدة في المعاملة مع الفقير ودفع حقه إليه، أو أداء الصدقة إليه فقال الله تعالي.
قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (*) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (*) [4]
.يقول ابن عاشور في معني هذه الآية "حذّر الله المتصدّق من أن يؤذي المتصدّق عليه عُلِم أنّ التحذير من الإضرار به كشتمه وضربه حاصلٌ بفحوى الخطاب لأنّه أوْلى بالنهي.
أوْسع اللَّهُ تعالى هذا المقام بيَاناً وترغيباً وزجراً بأساليب مختلفة وتفنّنات بديعة فنّبهنا بذلك إلى شدّة عناية الإسلام بالإنفاق في وجوه البرّ والمعُونة.
وكيف لا تكون كذلك وقوام الأمة دوران أموالها بينها، وإنّ **من أكبر مقاصد الشريعة الانتفاع بالثروة العامة بين أفراد الأمة على وجوه جامعة بين رعْي المنفعة العامة ورعي الوجدان الخاص**، وذلك بمراعاة العدل مع الذي كدّ لجمع المال وكسبه، ومراعاةِ الإحسان للذي بطّأ به جُهده، وهذا المقصد من أشرف المقاصد التشريعية"[5]
فأول ما ابتدأت به تأمين ثقة المكتسب بالأمن على ماله من أن ينتزعه منه مُنتزع إذ قال تعالى: { يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل }[6]."[1]

---

1 - سورة النحل: الآية90

2 - سورة النساء الآية :58

3 - **الإسلام وحاجة الإنسانية ص 179.**

4 - **سورة البقرة الآيتان (263 – 264).**

5- **التحرير والتنوير لابن عاشور ج450/2.**

6 - سورة النساء الآية 29].

وكلها مقاصد كريمة للشريعة الإسلامية تضمن للناس حقوقهم وللثروة بقائها ونمائها وللمجتمع مصالحة وقيمه وأسلوب التعامل والعيش فيه دون تفرق أو تمييز.وقد بين الرسول صلي اله عليه وسلم قيمة الصدقة وثوابها وفضلها عند الله تعال فأكدت علي الصدقة وحق الفقراء والمساكين، ورغبت في البذل والعطاء لهم وضرورة الإحسان إليهم.
وما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك ما رواه الحاكم بسنده:
عن عائشة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(ثلاث أحلف عليهن: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له و سهام الإسلام: الصوم و الصلاة والصدقة و لا يتولى الله عبدا فيوليه غيره يوم القيامة و لا يحب رجل قوما إلا جعله الله معهم و الرابعة: أن حلفت عليها رجوت أن قالا آثم: ما يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة)[2]
ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-
* للصدقة قيمة عظيمة في الإسلام.
* قسم النبي صلي الله عليه وسلم علي حسن ثواب الصدقة.
* إن الصدقة أحد سهام الإسلام الثلاثة الصوم والصلاة والصدقة.
* المجاورة اللفظية للصوم والصلاة والصدقة تعني الأهمية الكبرى للصدقة.
* ضرورة الإحسان إلى الفقير والوفاء بحقه الذي شرعه الله له.
* وتقوم الشريعة الإسلامية علي مبادئ أخلاقية كريمة أساسها صلاح المجتمع وصيانته وتحقيق السعادة له.
" ومن المبادئ التي تقوم عليها الشريعة الإسلامية مبدأ العدالة المطلقة وذلك قوله تعالي "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً) [3]
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [4]
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)[5]
هذه المبادئ جاءت بها الشريعة من يوم نزولها لم تعرفها القوانين الوضعية إلا ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر. هذه المبادئ الثلاثة التي تقوم علي أساسها القوانين الوضعية الحديثة، عرفتها الشريعة

---

1 - **التحرير والتنوير لابن عاشور ج449/2.**

2 - **المستدرك للحاكم ك / الإيمان 114/1 برقم 49 فقال عمر بن عبد العزيز: إذا سمعتم مثل هذا الحديث يحدث عروة عن عائشة فاحفظوه شيبة الحضرمي قد خرجه البخاري و قال في التاريخ: و يقال الخضري سمع عروة و عمر بن عبد العزيز و هذا الحديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه[قال الذهبي في التلخيص: شيبة الحضرمي ما خرج له سوي النسائي هذا حديث، وفيه جهالة. قال ابن الملقن: شيبة الحضرمي، قال الحاكم: خرج له البخاري، قلت، ما خرج له سوي النسائي هذا حديث وفية جهالة.**

3 – سورة النساء الآية 58

4 – سورة المائدة –الآية 8

5 - سورة النساء الآية – 135

قبل القوانين بأكثر من أحد عشر قرنا. فكيف تصلح القوانين للعصر الحاضر. ولا تصلح الشريعة وهي تقوم علي نفس المبادئ !؟ " [1]
وهنا يظهر فرق واضح بين التشريع الإسلامي وبين القانون الوضعي لهذه الدولة أو تلك من دول الأرض جميعا. أن كلا منهما يسري في حق جميع المخاطبين بأحكامه. ولكن المخاطبين بأحكام القانون محددون بحدود الإقليم ن أو بجنس الدولة التي يعبر القانون قانونا لها، علي حين أن الأمر ليس كذلك في الشريعة الإسلامية. [2]
فقانون الأمة واحد في كل الدول وفي شتي البقاع الأرض لا يختلف في بلد عن بلد أو مكان عن مكان ذلك بأن الأمة واحدة والله تعالي اله واحد ولهم كتاب واحد وقد أرسل الله تعالى للأمة نبي هو خاتم النبيين لكل أفراد الأمة وفرض عليهم فرائض وعبادات واحدة كي يتعاونوا فيما بينهم.
رابعا:- من مقاصد الشريعة توزيع الثروات وعدم احتكارها لدي فئة بعينها:
فالثروة في الإسلام نعمة من الله تعالي، اختص الله تعالي بها بعضا دون بعضا لكن الله تعالي جعل لها قانونا ينظمها وميزانا يوزعها بين الناس حتى لا تصبح حكر علي طائفة دون طائفة أو جماعة من المسلمين دون جماعة، فهي نعمة الله تعالي للعباد أعطها ووكل بها البعض كي ينعموا بها في أنفسهم ويعينون بها الآخرون ممن لا مال لهم ولا ثروة عندهم فالأرض لله والمال مال الله تعالي فهذا ما بينته الشريعة الإسلامية "فمن مقاصدها ألاّ تبقى الأموال متنقّلة في جهة واحدة أو عائلة أو قبيلة من الأمة بل المقصد دورانها بقوله تعالى في آية الفيء : (مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))[3] فالضمير يكون عائدا إلى ما أفاء الله باعتبار كونه مالاً أي كيلا يكون المال دُولة . والدُّولة ما يتداوله الناس من المال ، أي شرْعنا صرفه لمن سمّيناهم دون أن يكون لأهل الجيش حق فيه ، لينال الفقراءُ منه حظوظهم فيصبحوا أغنياء فلا يكون مُدالاً بين طائفة الأغنياء كما كانوا في الجاهلية يأخذ قادتهم المر باع ويأخذ الغزاة ثلاثة الأرباع فيبقى المال كله لطائفة خاصة." [4] .
فقد كان الظلم واضح والجهل سائدا والقسمة غير جائرة إلى أن اعز الله تعالي الناس بالإسلام، وقسم سبحانه بينهم الثروات والأموال فنزلت به آيات محكمات من عند الله تعالي ترعي للناس شؤونهم وتحقق العدالة والمساواة بينهم.
فاستغلال الموارد أو احتكار الثروات علي طائفة معينة أمر نهت عنه الشريعة الإسلامية وحرمته علي أصحابها
" فالشريعة تحرم الاحتكار، وتحرم استغلال النفوذ، والرشوة، فيقول الرسول صلي الله عليه وسلم:" لا يحتكر إلا خاطي " [5] ويقول الله تعالي "وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

---

1 - الإسلام بين جهل أبنائه ص 53.

2 -مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ص63 - 65.

3 – سورة الحشر الآية 7.

4 - التحرير والتنوير لابن عاشور ج449/2

5 - رواه مسلم ك/ المساقة ب / باب تحريم الاحتكار في الأقوات 1227/2

لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بالإثم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [1] وهذه المبادئ لم تعرفها القوانين الوضعية إلا أخيرا" [2]

وقد كان الصحابة يوزعون ما لديهم من ثروات ويقسمون ما عندهم من أموال فيفيض الغني علي الفقير ببعض ما انعم الله تعالي به عليه من مال مراعيا في ذلك حق الجميع.

وما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك ما رواه الحاكم بسنده:

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: إن الله تبارك و تعالى لما أراد هدي زيد بن سعنة قال زيد بن سعنة.....يا عمر إني قد رضيت بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا و أشهدك أن شطر مالي فإني أكثرهم مالا صدقة على أمة محمد صلى الله عليه و سلم فقال عمر رضي الله عنه: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم قلت: أو على بعضهم فرجع زيد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله و آمن به و صدقه و بايعه و شهد معه مشاهد كثيرة ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر و رحم الله زيدا. [3]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* نزول المسلمين السابقين من الصحابة علي حكم الله تعالي.
* تطبيق منهج الإيثار لدي الصحابة الكرام وعلي الذين جاءوا من بعدهم الإقتداء بهم.
* تصدق الكثير من الصحابة بمال وفير بما كان بمقدار النصف أو يزيد مما يدل درجة اليقين التي وصلوا إليها في التوكل والاعتماد علي الله تعالي.
* حاجة المسلمين اليوم ملحة إلي العودة إلى منهج البذل والعطاء والإيثار لا سيما مع كثرة المحتاجين اليوم وضعف حالة المسلمين.
* ثبات الصحابة علي مبادئ الإسلام إلى أن يلقوا الله تعالي ويختم لهم بخاتمة خير.
* علي الداعية توجيه النصيحة للمدعوين بالحفاظ علي المال ولو كان في النفقة في سبيل الله فلا ينفقه ويبقي فقيرا.

"وقد أبطل الإسلام ما كان في الجاهلية ذلك كله فجعل الفيء مصروفاً إلى ستة مصارف راجعة فوائدها إلى عموم المسلمين لسدّ حاجاتهم العامة والخاصة، فإن ما هو لله وللرسول صلى الله عليه وسلم إنما يجعله الله لما يأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم وجعل الخمس من المغانم كذلك لتلك المصارف.

وقد بدا من هذا التعليل أن من مقاصد الشريعة أن يكون المال دُولة بين الأمة الإسلامية على نظام محكم في انتقاله من كل مال لم يسبق عليه ملك لأحد مثل المَوات، والفيء، واللقطات، والركاز، أو كان جزءاً معيناً مثل: الزكاة، الكفارات، وتخميس المغانم، والخراج، والمواريث، وعقود المعاملات

---

1 - سورة البقرة:الآية 188

2- الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه ص56. عبد القادر عوده.

3 - المستدرك للحاكم برقم 6665 ك / معرفة الصحابة ب / ذكر إسلام زيد بن السعنة 328/4 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و هو من غير الحديث و محمد بن أبي السري العسقلاني ثقة. [6665]قال الذهبي في التلخيص:ماانكرة واركة, لا سيما قولة: (مقبلا غير مدبر) فإنه لم يكن في غزوة تبوك. واقتصر علي هذا القدر من الحديث وإلا فالحديث طويل جدا

التي بين جانبي مال وعمل مثل: القراض والمغارسة، والمساقة، وفي الأموال التي يظفر بها الظافر بدون عمل وسعي مثل: الفيء والرّكاز، وما ألقاه البحر "[1]
وقد نظمت الشريعة الإسلامية الحقوق المالية تنظيما دقيقا في كل جوانب المعاملات أعطت لكل ذي حق حقه دون غبن أو ظلم أو تعدي علي أحد، فكل فرد في ظل الشريعة آمنا علي نفسه وماله ضامنا أن حقه لن يضع إن كان شريكا أو أجيرا أو وريثا أو متصدقا أو متصدقا عليه أو مقرضا أو منعما عليه بنعمة الله تعالي فكل قد ضمنت الشريعة له حقه.

خامسا:- من مقاصد الشريعة عدم تكليف النفس فوق طاقتها:-

وما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك ما رواه الحاكم بسنده:

- عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه:(أن النبي صلى الله عليه و سلم سافر في رمضان فاشتد الصوم على رجل من أصحابه فجعلت راحلته تهيم به تحت الشجرة فأخبر النبي صلى الله عليه و سلم بأمره فأمره أن يفطر ثم دعا النبي صلى الله عليه و سلم بإناء فوضعه على يده ثم شرب و الناس ينظرون) [2]

وقد كان صلي الله عليه وسلم يأمر الصحابة في الجهاد بالفطر وترك الصوم حتى يتقووا لعدوهم

وعن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قال:(رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر الناس في سفره بالفطر عام الفتح و قال:(تقووا لعدوكم) و صام رسول الله صلى الله عليه و سلم قال أبو بكر بن عبد الرحمن و قال الذي حدثني: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم بالعرج يصب على رأسه الماء و هو صائم من العطش أو قال: من الحر) [3] فقد حرص صلي الله عليه وسلم بالحالة القوة عند الصحابة مراعاة لصحتهم وللمصلحة الدينية.

ومن فقه الدعوة في الحديثين الشريفين:-

* مشروعية الفطر فى السفر
* أن القربة إلى الله تعالى لا تتوقف على تكليف النفس بما يثقل عليها.
* مشروعية الإفطار فى الجهاد والغزو.

من مظاهر اليسر مراعاة الوسطية:-

وقد كان صلي الله عليه وسلم يأمر الصحابة بمراعاة الوسطية وترك التشدد والمبالغة في الدين

- عن زياد بن الحصين ثنا أبو العالية قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة:(هات - القط - لي حصيات من حصى الخذف)، فلما وضعن في يده قال:(بأمثال هؤلاء بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين). [4]

---

1 - التحرير والتنوير 14/ 92. بتصرف يسير.

2 - المستدرك للحاكم برقم[1614] ك / الصوم 1/ 541 وافقه الذهبي في التلخيص: علي شرط مسلم هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه

3 - المستدرك للحاكم برقم. [1611] 1/ 540 وأورده الذهبي في التلخيص سنداً ومتناً، وسكت عنه.

4 - المستدرك للحاكم برقم [176]: 27/2 وقال: صحيح علي شرط البخاري ومسلم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي في التلخيص

فالغلو في الدين أمر مرفوض بنص صريح ذلك انه يرهق صاحبه فيضر بنفسه ومن ثم يضر بالمجتمع ، وربما ضيع أوامر وعبادات بعكس ما يعتقد صاحبه أنه ينفذ أوامر الدين ويقرب نفسه من الله تعالي ، ولو كان فيه خيرا ما نهي عنه رسول الله .

النهي عن الغلو:-

نهي الإسلام عن الغلو وحذر منه ولعل السبب في النهي عنه أنه ربما ضيع صاحبه تكاليف أخر فربما غالي في قيام الليل فأصبح من يومه متعبا منهكا ربما ضاع منه كسبه عمله في النهار وربما ضاعت منه فرائض كثيرة ولربما ضيع صحته فيكون قد فعل سنة أو فريضة مضيعا بها كثيرا من الفرائض، لذ افقد نهي الشرع عن الغلو والتشدد والمبالغة في أي عبادة أيا كانت هي صوم أو صلاة أو غيرهما فلا يرتضي الدين إلا بالعبادة الوسط، فهي التي ينال صاحبها أجرها ويكافأ عليها "و يجب التنبيه على أنه ليس المراد بيسر الدين وسماحة الشريعة ترك العمل، أو تتبع مواطن الرخص، بعيدا عن الغاية الحقيقية من خالص الخضوع والطاعة لله وحده، والأخذ بالأسهل من الأمور تبعا للهوى، مما قد يودي بصاحبه إلى الانسلاخ من الأحكام والتهاون في مسائل الحلال والحرام في المطاعم والمشارب والمعاملات المالية وغيرها بدعوى يسر الدين وسماحته وعدم الحرج فيه بل المراد تجنب المشقة غير المعتادة بعدم التشديد في العبادات بنية التورع، وتحاشي التعمق في المسائل بزعم الطلب للأحوط وترك الشبهات "،(1)

بل الواجب أن يكون الإنسان ملتزما الوسطية بين هذا وذلك فلا يلتمس الرخص ويضيع العزائم ولا يترك الرخص في موطنها التي تطلب فيها بل عليه أن يراعي في كل مقام عباداته وتشريعاته فحيثما وجد موطن الرخص فهو دين الله وحيثما وجد موطن العزيمة فهو دين الله وحيثما توسط الإنسان في الدين فهو دين الله.

وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَحْتَجِرُ حَصِيرًا بِاللَّيْلِ فَيُصَلِّي وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَثُوبُونَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ حَتَّى كَثُرُوا، فَأَقْبَلَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا " " (2) .

وأمر الرسول بالرفق علي النفس عدم الشدة عليها فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: " إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ "(3) .

ومن فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة:-

* الرحمة بالمدعوين من أهم مبادئ الشريعة الإسلامية.
* وضع التكاليف الشرعية في الإسلام وفق قدرات المدعوين.
* علي الداعية التأمل في حال المدعوين ومراقبتهم والنظر إلى حاجاتهم للتخفيف عليهم
* علي الداعية أن يطبق علي نفسه إذا لزم الأمر.
* بيان أهمية الدعوة العملية.
* علي الداعية أن يبدأ بنفسه قبل أن يأمر المدعوين حتى يكون أوقع في أنفسهم لا سيما إذا كان يأمرهم بترك طاعة مثل ترك الصوم أو ترك الإكثار من الصلاة حتى لا يعتقدون انه يكره الخير لهم أو يأمرهم بما يخالف الشريعة ويعد هذا الفعل من قبيل الدعوة العملية وهي أوقع في النفس دائما من الكلام باللسان

سابعا:- من مقاصد الشريعة الإصلاح بين أفراد المجتمع وتوثيق الصلات بينهم:-

---

1 رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: ضوابطه وتطبيقاته: الدكتور / صالح بن عبد الله بن حميد، ص 14

2 أخرجه البخاري: كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره1L540

3 - رواه البيهقي في السنن الكبرى 18/3 وله في شعب الإيمان باب إن الدين متين 419/8، وفي مسند الشهاب القضاعي باب إن الدين متين 246./4

هذا المقصد عمراني، وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العُرى مشدودة الوثوق فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم، ثم عاطفة الأبوة المنبعثة عن إحساس بعضه غريزي ضعيف وبعضه عقلي قوي حتى أن أثر ذلك الإحساس ليساوي بمجموعه أثر عاطفة الأم الغريزية أو يفوقها في حالة كبر الإبن . ثم وزع الإسلام ما دعا إليه من ذلك بين بقية مراتب القرابة على حسب الدنو في القرب النسبي بما شرعه من صلة الرحم، وقد عزز الله قابلية الانسياق إلى تلك الشرعة في النفوس.

جاء في الحديث: " أن الله لما خلق الرحم أخذت بقائمة من قوائم العرش وقالت: هذا مقام العائذ بكَ من القطيعة. فقال الله: أما تَرْضَيْنَ أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك " وفي الحديث: " إن الله جعل الرحم من اسمه الرحيم ".

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى:

ما رواه الحاكم بسنده عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه رفاعة بن رافع:قال رسول الله..... و أنا أدعو إلى عبادة الله و شهادة أن لا إله إلا الله و إني رسول الله و صلة الرحم و ترك العدوان بغضب الناس قلنا: لا و الله لو كان الذي تدعو إليه باطلا لكان من معالي الأمور و محاسن الأخلاق.....[1]

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

* شمول رسالة الإسلام لكل معالي الأمور وكمال الأخلاق، وبيان أن صلة الرحم من عوامل التقارب بين العباد التي تعمل علي عمارة الكون واستقرار الحياة، وأنها من الأسس التي قامت عليها الدعوة الإسلامية، وشهادة المدعوين وإقرارهم بحسن رسالة الإسلام وقبولها لدي العقل، وتوافق خلق الإسلام لكل مبادئ الحياة الكريمة.

الفصل الثالث
أصول الدعوة الأخلاقية
في أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من تمهيد وأربعة مباحث :

المبحث الأول :-

صفات ناتجة عن الخلق السوي من خلال أحاديث المستدرك

---

1 - المستدرك للحاكم ك / البر والصلة برقم [7399] 76/5 وقال الذهبي في التلخيص:يحيي الشجري، صاحب مناكير، وهو قول الملق وفي هذا التكوين لأواصر القرابة صلاح عظيم للأمة تظهر آثاره في مواساة بعضهم بعضاً، وفي اتحاد بعضهم مع، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

المبحث الثاني :-

الأثر الأخلاقي في الثواب والعقاب من خلال أحاديث المستدرك

المبحث الثالث :-

وصايا وتعاليم إسلامية تضبط الأخلاق من خلال أحاديث المستدرك

المبحث الرابع :-

نماذج من الآداب الأخلاقية كما وردت في أحاديث المستدرك للحاكم

الفصل الثالث

أصول الدعوة الأخلاقية في أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

تمهيد:-

إن الإسلام منهج متكامل شامل لكل جوانب الحياة فهو دين ودنيا، منهج متوازن بين كل حاجيات الإنسان، فقد ضبط الأمور كلها وبينها، في كل تشريعاته ومقوماته وأصوله في العقيدة في الشريعة في الأخلاق، وفي كل جوانبه الاجتماعي السياسي، الاقتصادي والعسكري، وما ينبثق عن كل منهم من مسائل وفروع، وما يستجد في الحياة المستقبلية للإنسان، فهو دين كل عصر ومصر، وكل وقت وحين.

وقد ركز الإسلام علي الجانب السلوكي والأخلاقي الذي هو قوام الحياة وأساس التعامل بين الناس، فالمعاملة الأخلاقية في الإسلام لها أعظم الأثر وأحسن الثواب

وتبرز الأهمية الكبرى للأخلاق من خلال تأكيد النبي صلي الله عليه وسلم علي هذا الأمر وأنها هي الهدف الذي بعث من أجله، فكأنه صلي الله عليه وسلم حصر الهدف من البعثة كلها في إتمام وكمال الأخلاق، فهي من أهم مقاصد الدين، تقرب صاحبها من الناس والمجتمع وهي التي تبعده عن سائر الناس وتجعله بغيضا مكروها، وكم من أناس احتلوا العقول والقلوب بحسن أخلاقهم، فعاشوا في الناس طيلة حياتهم قدوة وغاية ومثلا يقتدي به، وكم من آخرين مقتهم الناس وتمنوا زوالهم لسوء خلقهم وقبح صنيعهم، فما أسهموا بشيء في حياتهم، وما قدموا خيرا لأنفسهم في آخرتهم، إنّ الدين

يدعو إلي محاسن الأخلاق وينهي عن مساوئها، يسعى لنشر الفضيلة ومحو الرذيلة، ويحتل هذا العلم مكانة مرموقة، ومحلاً رفيعاً بين العلوم، لشرف موضوعه، وسمو غايته.. فالأخلاق الفاضلة هي التي تحقق في الإنسان معاني إنسانيته الرفيعة، وتحيطه بأسمى معاني الجمال.
وتعد الأخلاق من أهم مظاهر رقي الأمم أو انحطاطها، وأثرها ليس فرديا فحسب، بل إن أثرها ينطلق من الفرد ليشكل الجماعة والأمة والدولة، ويقاس نجاح الأمم أو تخلفها، بمقدار ما لديها من أخلاق تنظم علاقة الفرد بالمجتمع وتعمل علي إسعاد الناس في مجتمعهم ودولهم وتنظم علاقتهم بغيرهم من الأمم والشعوب ليعم الخير والسلام علي العالم بأسره، وما انتشرت الفوضى في العالم إلا بانحطاط الأخلاق وترديها، أو تجاهلها وترك تنميتها، وترك العمل علي نشرها، وما انحدر العالم إلي ما هو فيه من السوء إلا عندما تركت الأخلاق الإنسانية الدينية، التي نادت بها الأديان السماوية، التي جاءت رحمة وهداية للناس، ففي غياب الأخلاق الإنسانية يكثر الفساد ويعم الظلم والاضطهاد، وتخرب البلاد وتشرد العباد
وقد كان حسن الأخلاق سببا في تقدم أمم وازدهارها وعلو شأنها، وكان انحراف الأخلاق سببا في تراجع كثير من الأمم وانهيارها وفنائها.
وناهيك في قيمة الأخلاق، أن النبي ρ أولاها عناية كبرى، وجعلها الهدف والغاية من بعثته ورسالته، فقال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). ([1])
وهذا هو ما يهدف إليه علم الأخلاق، بما يرسمه من نظم وآداب، تهذّب ضمائر الناس وتقوّم أخلاقهم، وتوجههم إلى السيرة الحميدة، والسلوك الأمثل، والرفعة والرقي.

تعريف الأخلاق لغة واصطلاحا:-

الأخلاق جمع خلق وهو في اللغة يراد به : السجية والعادة والطبع.
والأخلاق تدل علي مجموعة من الصفات الطبيعية الفطرية في الإنسان، وعلي مجموعة الصفات المكتسبة التي أصبحت كأنها فطرية.
وللأخلاق لدي المتخصصين تعريفات عدة منها:- ما ذكره الإمام الغزالي بقوله:- الخلق: عبارة عن هيئة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلي فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت تلك الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا.([2])
وعرفها شيخ الإسلام الإمام المرحوم عبد الحليم محمود بقوله : هي مجموعة المباديء والقيم التي تنظم سلوك المسلم واليت يحددها الوحي الإلهي لينظم بها حياة الإنسان ويضع لها من الضوابط ما يمكنها منم أن تحقق الغاية من وجود الإنسان عيل هذه الأرض وهي عبادة الله سبحانه المؤدية إلي سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.([3])
وبين العقيدة والأخلاق صلة وثيقة وعلاقة وطيدة، فالعقيدة تمثل الأساس الراسخ للإسلام، كما تمثل الأساس الأول للإصلاح، وبدايته هو الإصلاح النفسي، وتعد الأخلاق أثرا من الآثار العقيدة ومظهرا من مظاهر تمكينها واستقرارها في طبيعة الكيان الإنساني، كما تعد الأخلاق الترجمة السلوكية والعملية للعقيدة، فإن كانت الأخلاق صحيحة، والعقيدة بلا خلق شجرة لا ظل لها، والخلق دون عقيدة ظل لشبح غير مستقر.

---

1) رواه البيهقى ك / آداب القاضي ب / باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها 191/10

2) إحياء علوم الدين 52/3.

3 - مع العقيدة والحركة والمنهج ص 85.

وقد أجلت آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة هذه العلاقة وأكدت عليها، وهي أساس دعوة الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام إلي خاتمهم سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، وبالتأمل في كلمة الوحي الإلهي نري ما يؤكد الأخلاق وأهميتها ومنزلتها وأنها ليت ثانوية في الدين، وإنما هي من أهم دعائمه وركائزه فالدين حسن خلق، وما بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم إلا لييتتم مكارم الأخلاق.

وهذا ما يدفعنا لبيان النقاط التالية:-

تصنـــــــــــيف الأخلاق :

يمكننا تصنيف الأخلاق حسب ورودها في آيات القرآن الكريم لإجمالها إلي ما يلي:-

أخلاق قوليه متعلقة بكلام الإنسان وأقواله.

أخلاق قلبية وفقي المتعلقة بقلب الإنسان نيته.

أخلاق سلوكية وهي المتعلقة بالسلوك الإنساني مع أهله والناس جميعا.

وأخلاق تعبدية وهي المتعلقة بالشعائر التعبدية التي يؤيدها الإنسان.؟

وأخلاق تعاملية وهي المتعلقة بتعامل الإنسان مع غيره في أي لون من ألوان العقود والمعاملات.

وهذه التصنيفات ليست مشطورة ولا مجزئة في الجملة الأخلاقية بل هي ترتبط ببعضها ارتباطا وثيقا .

أما الأخلاق القولية فيدخل تحتها : الصدق، حفظ الإنسان من الآفات، والفاء بالوعود والعهود.

ويندرج تحت الأخلاق السلوكية : الأمانة واللاحستان والحياء، والرفق، والتواضع.

ويدخل تحت الأخلاق القلبية :- الإخلاص والمراقبة والخشية والخوف من الله تعالي والمحبة والإخاء وسلامة الصدر وحب الخير للآخرين.

ويندرج تحت الأخلاق التعبدية :- استحضار عظمة الله تعالي في سائر السلوك الإنساني والخشوع

ومن أبرز صفات الأخلاق العامة :- السماحة في البيع والشراء، والوفاء بالكيل والميزان وحسن التقاضي والقضاء وانظار المعسر والتيسير عليه.

ومنهج السنة النبوية في أحاديثها المتعلقة بالأخلاق يرتكز علي :-

الترغيب والترهيب ، والتعليم والتوجيه والإرشاد ، والربط بين حسن الخلق وبين تقوي الله تعالي والخوف منه تعالي، والرشاد إلي وجوه الكسب والإنفاق المشروع وغير المشروع ، واكتساب والأخلاق عن طريق مصاحبة المؤمنين والصالحين ومطالعة ومصاحبة أهل العلم، والإكثار من ذكر الجنة والنار.

والحكمة من اتباع السنة النبوية في مجال السلوك والأخلاق يؤكد ضرورة.

أولا: تمرين الإنسان المسلم بطريقة منظمة علي أن يحيا دائما في محيط من الوعي الداخلي واليقظة الشديدة وضبط النفس هذه مزية الإقتداء برسول الله صلي الله عليه وسلم، في حياته، هذا الانضباط السلوكي وفقا لسنة النبي صلي الله عليه وسلم يؤدي إلي التخلص من الأعمال والعادات العفوية التي تعرقل مسيرة الإنسان في الحياة عن التقدم.

ثانيا :- تحقيق النفع الاجتماعي للمسلمين لأنهم بإتباع السنة (أي منهج النبي صلي الله عليه وسلم في الحياة (الإنسانية) تصبح عادتهم وطبائعهم وأقوالهم وأفعالهم وظاهرهم وباطنهم متماثلة في وحدة اجتماعية واقتصادية وإنسانية واحدة مهما كانت الطباع مختلفة ومتنافرة.

ثالثا :- ضمان الهداية إلي الحياة الإنسانية الكاملة الكفيلة بتحقيق السعادة والحياة الطيبة لأنه صلي الله عليه وسلم كان سلوكه وفق وحي الهي فهو الهادي إلي الطراط المستقيم.([1])
ومن ثم تتجلي الأخلاق الإسلامية وفق ما جاءت في آيات كلمة الوحي الإلهي علي غيرها من سائر الأخلاق في الدعوات الوضعية أيا كان مسماها بعدة خصائص يمكننا إجمالها فيما يلي :
أنها متوازنة ، وملائمة للفطرة اليت فطر الله تعالي الناس عليها وصالحة لكل زمان ومكان ، وأنها تهدف لهداية السلوك الإنساني ، وأنها واقعية ، وأنها ايجابية ، وأنها موافقة للعقل ، وأنها عالمية وشمولية والإسلام يرفع من البنيان الأخلاقي في كافة أوامره ونواهيه، وأحكامه ومبادئه وسائر تشريعاته ، ويبوء الأخلاق في ساحته مالا يمكن أن تجده في ساحة أخري بحيث يمكن أن يقال :- بأن الإسلام هو المجال الوحيد للأخلاق الصحيحة التامة الكاملة.
وهذا ما يدفعنا لبيان فقه الدعوة إلي الله تعالي في الجانب الأخلاقي كما جاء في أحاديث المستدرك للحاكم وذلك علي النحو التالي:

المبحث الأول
صفات ناتجة عن الخلق السوي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم.

زيادة الإيمان:-
إن حسن الخلق من المعاني الجامعة الشاملة فيتسع، لخصال كريمة وآداب جليلة وسلوكيات حميدة يتميز بها صاحبها وحامل لوائها، فلا تكاد تتأمل في شيء قط إلا وللأخلاق سهم فيه، وكم من فعل صغير عظمته الأخلاق وجملته وأعلت شأنه، وكمن سلوك عظيم مفتقد الأخلاق ضاع وأضاع صاحبه، وربما رد العمل علي صاحبه، وربما أورث صاحبه عذابا وإذلالا " والإسلام يعتبر الأخلاق الفاضلة من شعب الإيمان، ومن ثماره اليانعة.فكما يتمثل الإيمان الإسلامي في سلامة العقيدة، وإخلاص العبادة.. يتمثل كذلك في استقامة الخلق. بل يشمل هذا وذاك ، ويشمل ما هو أوسع وأعمق من جوانب الحياة من ضبط النفس ، والصدق في القول ، والإحسان في العمل ، والأمانة في المعاملة، والشجاعة في الرأي ، والعدل في الحكم ، والصلابة في الحق ، والعزم علي الخير ، والأمر

---
1 - (الإسلام علي مفترق الطرق) محمد أسد ص 104 – 110 يتصرف يسير دار العلم للملايين بيروت .الطبعة التاسعة 1997 م هامش

بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحرص علي النظافة ، واحترام النظام ، والتعاون علي البر والتقوى . ([1])
وقد بين النبي صلي الله عليه وسلم، أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من وسائل تحقيق كمال الإيمان وزيادته حسن الخلق، فهي قوة مؤثرة في الإيمان زيادة أو نقصانا.
وقد بينت السنة النبوية ذلك الأمر صراحة، فقد جاء في الحديث الشريف في هذا المعني:-
2- عن أبي هريرة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا). ([2])
وقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا المعني تؤكد وتوضح العلاقة الوثيقة بين الإيمان وحسن الخلق، فقد ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم، أن كمال الإيمان مرتبط بحسن الخلق مع الآخرين، وقد أكدت السنة النبوية علي اللسان واليد، وأن حفظهما حفظ للأخلاق وكمال للإيمان بالله تعالي، وان من سلم المسلمون من أذى لسانه ويده، فقد أتم الله عليه نعمة الإيمان، فتلحظ من خلال كلامه صلي الله عليه وسلم قيمة الأخلاق وأهميتها وأثرها في الجانب الإيماني.
ومما أورد الحاكم فى مستدركه فى هذا الشأن:
عن جابر: أن النبي ρ قال: (أكمل المؤمنين من سلم المسلمون من لسانه ويده). ([3])
ولم ينس رسول الله صلي الله عليه وسلم في أواخر عهده بالمسلمين أن يذكرهم في حجة الو ادع بأهمية الأخلاق وضرورة الثبات عليها، بالمعاملة الكريمة مع الناس والحفاظ علي أموالهم وأعراضهم والبعد عن المعاصي والذنوب، فقد بين لهم الطريقين، طريق الإيمان وطريق الإسلام اللذان يوصلان إلى الخير، اثنان لا ثالث لا لهما، وتلك وصية في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ليبن للصحابة رضوان الله عليهم أهمية الأمر، ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة.
ومما أورد الحاكم فى مستدركه فى هذا الشأن أيضا:
ما ورد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:(ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب). ([4])
وفي هذا المعني أيضا يؤكد الرسول علي حسن المعاملة مع الناس لا سيما الجار فهو أقرب الناس وأولاهم بالمعروف والإحسان وينبغي أن يكون القرب سببا في الخير والمعروف، لا في الشر والمنكر والإساءة، لذا فقد أكد صلي الله عليه وسلم علي ذلك الأمر في الحديث الشريف:-
(المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه). ([5])

1- التربية الإسلامية د/ يوسف القرضاوي . ص 46.بتصرف يسير.

2) المستدرك برقم [2] قال الذهبي في التلخيص: ورواه ابن علية عن الحذاء، عن أبى غلابة، عن ، عائشة ، وأنا اخشي أنه لم يسمعه منها عن أبي هريرة :أبو إسحاق مولى عبد الله بن الحارث عن أبي هريرة روى عنه سعيد المقري . هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين وهو صحيح على شرط مسلم.

3) رواه الحاكم في المستدرك برقم: 23.

4 - المستدرك برقم 24. [24] أورده الذهبي في التلخيص: سنداً ومتناً.

5- المستدرك برقم [25] أورده الذهبي في التلخيص: سنداً ومتناً، وسكت المؤمنين.

فعندما يصل الإنسان بسلوكه إلى درجة الحفاظ علي أموال الناس وأعراضهم، الناس لا يخشون جانبه ولا يقلقهم وجوده بل في أمان وطمأنة عند هذه الدرجة يكمل إيمان المؤمن، وبدون الخلق القويم والسلوك الحميد لمن يكون هناك إيمان ينفع صاحبه.

ومن فقه الدعوة في الأحاديث السابقة:-

إخبار إمام الدعاة صلي الله عليه وسلم بأهمية الأخلاق والحرص علي بيانها وتعليمها للصحابة والمسلمين من بعده ووجوب تأكيد الدعاة عليها، وبيان أن الأخلاق طريق الإسلام والإيمان، ويدونها ينقص كل منها أو ينتهي ويفني ويهلك صاحبه وأن زيادة الإيمان ونقصانه علي قدر الأخلاق، وأكمل الناس في خلقه أكملهم إيمانا، والتأكيد علي قضية أداء الأمانات إلى أصحابها فيهي من صميم الأخلاق الإسلامية ووجوب التزام المدعوين بها، وتأكيد الإسلام علي ضرورة سلامة المجتمع من آذى الآخرين، وأن من طال المجتمع بسوء في نفس أو مال فقد انتفي عنه الإيمان، وذكر الجوارح التي يقع منها الضرر كثير والتي هي عماد للخير أو الشر "اليد و اللسان " وأن الإسلام لا يستثني أي آذى يقع من آية جارحة وإنما يؤكد علي أكثر ما يحدث الضرر، متضمنا في معناه كل جوارح الإنسان وكل أنواع الضرر.

الأصل الأول :- الحياء:- والغاية الأولي من بعثته صلي الله عليه وسلم تكمن في إتمام مكارم الأخلاق فقال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

كما أجلت كلمة الوحي الإلهية أن أركان الإسلام كلها مبناها وأسسها الخلق فالصلاة من غايتها تطهير النفس من سوء القول والعمل.

قال الله تعالي:- (....وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)([1]) وفي الحديث النبوي: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي) ([2])

والزكاة غايتها غرس مشاعر الحنان والرأفة ، وتوطيد لعلاقات التكامل والتآلف والتعارف بين شتي الطبقات، قال تعالي:- (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)([3])

وفي الحديث النبوي تبسمك في وجه أخيك صدقة وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطرق صدقة.

والصوم من غايته حرمان النفس من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة (قال تعالي (....كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)([4])

ففي الحديث النبوي الشريف: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.([5])

---

1 - سورة العنكبوت الآية:45)

2 - رواه البزار 348/1 كشف الاستار. (ضعيف) وذكره الألباني في السلسلة الضعيفة ج950/2.

3 - سورة التوبة: الآية 103)

4 - سورة البقرة الآية:183)

5 - أخرجه أحمد (443/2، رقم 9717)، والبخاري (2251/5، رقم 5710)، وأبو داود (307/2، رقم 2362)، والترمذي (87/3، رقم 707) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (539/1، رقم 1689)، وابن حبان (256/8، رقم 3480). وأخرجه أيضًا: البغوى في الجعديات (414/1، رقم 2831)، والنسائي في الكبرى (238/2، رقم 3246)، والبيهقى (270/4، رقم 8095).

والحج من غايته كما قال تعالي: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ([1])

فالغاية منه إتمام مكارم الأخلاق، كما قال تعالي: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)([2])

والإيمان به قوة عاصمة من الدنايا، ودافعة إلي المكارم، وقد وضح الرسول صلي الله عليه وسلم أن الإيمان القوي حتما، وأن انهيار الأخلاق مرده إلي ضعف الإيمان، أو فقدانه بحسب تفاقم الشر أو تفاهته،كما في قوله صلي الله عليه وسلم: "الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع احدها رفع الأخر وفي رواية: الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار".([3])

وفي الحديث: " الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السوء يفسد العلم كما يفسد الخل العسل".([4])

وقد نهي الإسلام عن الفحش والتفحش، والسب والشتم واللعن وسوء الخلق وبين صلي الله عليه وسلم أن الإسلام يتبرأ من هذه المظاهر الخبيثة وأصحابها، ففي الحديث:" إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وان أحسن الناس إسلاما أحسنهم أخلاقا، وليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"، ([5]) وفي الحديث: " أي المؤمن أكمل إيمانا قال : أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله " ([6])، وفي الحديث:" كرم المؤمن دينه ومروؤ ته وعقله وحسبه خلقه "([7]). وفي الحديث "من أعطي لله ومنع لله وأحب لله وابغض لله وأنكح لله فقد استكمل الإيمان)"([8]) وفي الحديث "المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم، "([9]) وصاحب الخلق القويم ينال رضي الله تعالي ومحبته ففي الحديث" إن الله كريم يحب الكريم ومعالي الأخلاق ويكره سفاسفها، "([10]) ومن مكارم الأخلاق التي حث عليها النبي صلي الله عليه وسلم في أحاديثه.

الحياء في الإسلام:-

---

1 - سورة البقرة الآية :197)

2 - سورة (الأنعام الآية:162)

3 - المستدرك للحاكم مجلد 1/ 52،

4 - (الطبراني عن ابن عباس)أخرجه الطبراني في الكبير (319/10، رقم 10777). وأخرجه أيضًا: في الأوسط (259/1، رقم 850)، والديلمى (200/2، رقم 2991)، قال الهيثمى (24/8): فيه عيسى بن ميمون المدني، وهو ضعيف. ضعفه المنذرى (276/3) وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبيهقى.

5 - المستدرك للحاكم مجلد 1/ 12، 13.

6 - المستدرك للحاكم ج 1/ 10.

7 - المستدرك للحاكم ج / 2/ ص-- 163

8 - المستدرك للإمام الحاكم ج2/ ص 164

9 - المستدرك للحاكم ج 1/ 43

10 - المستدرك للحاكم ج 1/ 48،

الحياء خلق كريم ونعمة من الله تعالي، من رزق به فقد أعطى خيرا كثيرا ونال به حظا عظيما، فهو حفظ ووقاية للإنسان من الذلل والانحراف والوقوع في المعاصي والفواحش أو التلبس بالمنكرات، فإذا استحي الإنسان من الله تعالي خاف من معصيته وابتعد عنها، وراقب الله تعالي الذي يراه دوما، ولا يحجبه عنه شيء أبدا، فقد يستحي الإنسان العاقل من نفسه، فإن لم يكن فمن الملكين الذين وكلاهما الله تعالي لكتابة أعمال الإنسان، فهما ملازمان للإنسان فكيف به يفعل الحرام وهما يشاهدانه في كل حركاته وسكناته، فقد اختصهما الله بذلك، وهل من الممكن أن يفعل الحيي ذنبا والناس من حوله ينظرون فيسرق أو يزني أو يرتكب جرما ولو صغيرا.
إن النفس السوية تستحي من أن تفعل الحرام جهرا، ربما كانت تميل إليه لكن في خفاء وانفراد، وان نوعا من الناس يفعل المعاصي جهرا نهارا، لكن ذلك من رفع منه الحياء، وفقد جزءاً من عقله واتزانه.
والحياء سلوك وطبع وغريزة في النفس، فقد تجد إنسانا ربما لا يعرف الدين، يظهر منه الحياء فهو فطري في الإنسان، لكن الدين ينميه ويساعد عليه ويقويه، حتى لقد أظهر علماء النبات أنواع من النبات تستحي إذا أمسك بها الإنسان وهناك ما يعرف في عالم النبات " بالنباتات المستحية " مما يدل علي أن الحياء ليس خاصا بالإنسان، بل فطرة في المخلوقات، ومن قبل الإسلام ظهر حياء من بعض الناس قبل أن يعرفوا الإسلام، ووجد الإسلام أخلاقا حسنة وطباعة سوية من البعض أقرها وأعتبرها عبادة لله تعالي في الإسلام، وما كان منكرا من الطباع أنكره الإسلام ونهي عنه وجرمه كل علي قدره.
ووجد الإسلام قبل أفذاذا أمثال أبى بكر الذي ترفع عن شرب الخمر، وعن الزني والسرقة والبغي وغيرهم من الجرائم وبين أبو بكر رضي الله عنه العلة من ترك الخمر فقال في ذلك أنها تذهب مروءة الرجل.
وإذا رفع الحياء ضاع الإنسان في غيابات الضلال وظلمات الجهل والانحراف، فالحياء قوام السلوك وطريق النجاة، وخلق الوقاية للإنسان من الحرام.
"والحياء مشتق من الحياة والغيث يسمى حيا بالقصر لأن به حياة الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت بالحياة حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء فيه ميت في الدنيا شقي في الآخرة، وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثا ومن استحي من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستح من الله تعالى من معصيته لم يستح الله من عقوبته"([1])
وهو من أوصاف المؤمنين ومن شيم الصالحين ومن صفات عباد الله المتقين، وكفي به أهمية أن الله تعالي وصف به نفسه، وأنه من صفات الرسول صلي الله عليه وسلم، فقد وصف الله تعالي رسوله صلي الله عليه وسلم بالحياء من الصحابة الكرام وفي قضايا هينة يقبلها كل الناس ولو ترك الحياء فيها ما كان فيها من جناح وقد لمح القرآن الكريم لهذا المعني في قوله تعالي.
"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً"([2])

---

1 - الجواب الكافي 46/1 مدارج السالكين 1/ 127 ط دار الكتب العربي بيروت 1393 هـ 1973 م

2)سورة الأحزاب الأية (52) ..

وينبغي أن لا يمنع الحياء صاحبه من مطالبة بالحق أو سكوت عن الحق، فإن الحياء الذي يمنع من الحق ليس هو الذي يقصده الإسلام بل إن الذي يهدف إليه الإسلام هو الذي يوصل إلى الحق ويدفع إليه ويقيمه في الناس.

قال القرطبي: " وقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يأخذ نفسه بالحياء ويأمر به ويحث عليه ومع ذلك فلا يمنعه الحياء من حق يقوله أو أمر ديني يفعله تمسكا بقوله في الحديث الآتي : (إن الله لا يستحي من الحق) ([1]) وهذا هو نهاية الحياء وكماله وحسنه واعتداله فإن من فرط عليه الحياء حتى منعه من الحق فقد ترك الحياء من الخالق واستحيا من الخلق، ومن كان هكذا حرم منافع الحياء واتصف بالنفاق والرياء. والحياء من الله هو الأصل والأساس فإن الله أحق أن يستحي منه أي لا يمتنع من بيانه وإظهاره.

ولما كان ذلك يقع من البشر لعلة الاستحياء نفي عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر.....

فالحياء الذي يمنع من الحق عابه الإسلام والحياء الباعث علي الحق حث عليه الإسلام أوصي بالتمسك به "([2]) إنما شرع الحياء ليحصل الناس به علي حقوقهم، فيستحي من عليه الحق فيؤديه إلي صاحبه وليس العكس، ولا خير في حياء يضيع الحق ويظلم به صاحبه..

كمال الحياء ونقصانه:-

ومما يعزز مكانة الحياء أنه من صفات الله عز وجل فالله تعالي حيي ستير يستحي من عبده لكنه سبحانه وتعالي لا يستحي من الحق، فما كان من حق ذكره الله تعالي في قضايا الدين حتى تتبين الأمور ويعرف الناس طريق الله تعالي.

" فأكمل الناس حياة أشدهم حياء وكان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها لكمال حياة قلبه والله سبحانه الحي القيوم وقد وصف نفسه بالحياء ووصفه رسوله فهو الحيي الكريم كما قال النبي إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا وقالت أم سليم يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق وأقرها على ذلك وقال النبي ρ (إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن).([3])

"إن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى ربما أنه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلا عهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعله والحامل على ذلك انسلاخه من الحياء وإذا وصل العبد إلي هذه الحالة لم يبق في صلاحه مطمع"([4])

فالحياء يملك زمام الأمور في التصرف البشري وبوجوده ينضبط الإنسان وفي غيابه ينفلت الإنسان، وتنفتح عليه الأمور ويأته الشيطان من كل مكان، وربما كانت الاستجابة للخسران والعصيان سريعة أكثر مما كان من قبل عندما وجد الحياء الإيمان في الإنسان.

ولقد بين النبي صلي الله عليه وسلم أن الحياء من شعب الإيمان

ومما أورد الحاكم فى مستدركه فى هذا الشأن:

---

1) رواه البخاري ك / العلم ب / الحياء فى العلم 60/1

2) تفسير القرطبي 277/14 – بتصرف يسير.

3) الصواعق المرسلة على الجهنمية والمعطلة: محمد بن أبي بكر أيوب ألزرعي أبو عبد الله الناشر: دار العاصمة – الرياض لطبعة الثالثة، 1418 - 1998 تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله 1499/4 والحديث فى سنن النسائي ك / عشرة النساء ب / تأويل قول الله تعالى:فاتوا حرثكم أنى شئتم 316/5

4) الجواب الكافي 45/1- بن القيم – درا الكتب العلمية بيروت.

ما روى عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الحياء و العي(*) شعبتان من الإيمان و البذاء و البيان شعبتان من النفاق). (1)
فلقد بين النبي صلي الله عليه وسلم أن الحياء الإيمان متلازمان متوافقان حيثما وجد أحدهما وجد الأخر وحيثما غاب أحدهما غاب الأخر فما من مؤمن الا وهو حيي.
ومما أورد الحاكم فى مستدركه فى هذا الشأن أيضا :
ما روى عن بن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : (الحياء والإيمان قرنا جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) (2)
ومن آمن بالله ووجوده لم يشرك معه غيره ولم يفعل شيء يغضبه، بل دائما وأبدا يسعى إليه ويثني عليه، يرجو رحمته ويخاف عذابه استحي منه وراقب ونهي نفسه عن الهوى، فترك القبيح وفعل الإحسان، ومن ذاق طعم الحياء صعب عليه تركه والعيش بدونه،
قال البيضاوي : ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول" (3)

ومن فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة:-

أن الحياء ملازم للإيمان وإذا رفع الحياء رفع الإيمان وأن الحياء من الله تعالي باعث علي طاعته والتزام شريعته يقرب من الطاعة ويعبد عن المعصية وهو زاد الدعاة إلي الله تعالي، والحياء الذي أمر الإسلام به هو الذي يأمر بالحق ويدفع إليه وما سواه منهي عنه غير مأمور به. وأول مراتب الحياء وأهمها الحياء من الله تعالي ودينه، ثم الحياء من الناس والحياء من النفس مما يبعث علي تهذيب سلوك المدعوين وبعدهم عن المعصية، والمسلم داع ومدعو مطالب بحفظ جوارحه جميعها من الوقوع في المعصية، و الحياء ليس فضيلة فحسب بل فريضة وعبادة وسلوك وأصل من الدين.بيان أن الخجل المضيع للحق ليس حياء فهو معيب في الإسلام يضر بالفرد والمجتمع. ، وأن فعل الحياء للناس في غير موضعه رياء يعاقب عليه الإسلام، ومن مكارم الأخلاق التي حث عليها النبي صلي الله عليه وسلم في أحاديثه

الأصل الثاني : التواضع ومكانته في الإسلام:-

التواضع من شيم الكرام لا يلتزم به إلا من صفت نفسه وعلت همته وطابت في الناس سيرته، فهو لا ينقص من قدر الإنسان، وإنما هو سلوك باعث رفعة وخلق كريم داع الي الاحترام والقرب من الناس والتودد إليهم، والألفة معهم ورفع الحواجز وإلغاء الطبقية، ومحو العنصرية وإنكار الذات والتقارب مع الناس فلن يدخل إلى قلوب الناس متكبر أو مختال، بل الناس تنكره والطباع تلفظه ، أما المتواضع فهو يغزو الناس بسلوكه يشعرهم بأنه من جنسهم ومن طبقتهم، واحد منهم يتألم لآلمهم ، ويفرح لفرحهم، ويبأس لبؤسهم وينزعج لانزعاجهم، بهذا يكون قريبا منهم ،أما المتعالي عليهم فالصعود إليه

---

1) المستدرك ج1 برقم: [17] ك الحياء وافقه الذهبي في التلخيص: صحيح على شرط الشيخين هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه و قد احتجا برواته عن آخر هم..

(*) العي: هو التأمل في المقال والتحرز من الوبال ومن الزور وقول البهتان، وليس المقصود به، التخلل فى اللسان.

2) المستدرك برقم [58] وافقه الذهبي في التلخيص: علي شرطهما. هذا حديث صحيح على شرطهما فقد احتجا برواته ولم يخرجاه بهذا اللفظ

3) فيض القدير للمناوي– 1/477- 478.

مشقة علي الناس يترفعون عنه وينأون عنه فالماء لا يصعد إلى أعالي الجبال وإنما ينحدر منها ، كذا الناس كيف يصعدون إلى من هو أعلي منهم ، ومن يشعرهم أنه من جنس آخر ومن طبقة ثانية! كيف يتعاملون معه ويقبلون منه ويأخذون عنه، إذا فلن يلتف حوله أحد ولن يكون منهم إلا البعد عنه والنفرة منه، ومن أساس الدين أن يلتزم التواضع مع أهله وإخوانه ومجتمعه فقد أمر الله تعالي به أفضل الخلق، معلم البشرية صلي الله عليه وسلم، فقال الله تعالي لنبيه الكريم وقال تعالى: ((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))([1]) فقد أمر الله تعالي نبيه أن يكون هينا لينا مع أتباعه، فالشدة والعنف لا يأتيان إلا بالفرقة واختلاف الناس.

قال الإمام بن كثير في تفسيره " أي: ألِن لهم جانبك " ([2])

"قال الإمام القرطبي في قوله تعالي (واخفض جناحك للمؤمنين) أي ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم.." ([3])

فهو أمر من الله تعالي للنبي صلي الله عليه وسلم صاحب الخلق الكريم بالتواضع ولين الجانب وخفض الجناح مع المؤمنين.

وقال القرطبي أيضا " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " أي أرفق بهم"([4])

فهو أيضا دعوة من الله تعالي للنبي صلي الله عليه وسلم بالتعامل برفق مع المؤمنين ، ومع أن هذا الخلق متأصل في النبي - صلي الله عليه وسلم - لكن الله تعالي يبين أنه من مناهج الإسلام في التعامل مع الأتباع والمدعوين ، منهج لسائر الناس يقتدون به بعد النبي صلي الله عليه وسلم ، وحتى يتحول الأمر من كونه أخلاق وعادات فطر الإنسان عليها وتربي معها وتأدب بها ، إلى كونه عبادة لله تعالى فكل الأخلاق الطيبة والعادات الحسنة السوية فرق بين أن تكون من العادات والطباع والأخلاق ، وبين أن تتحول إلى كونها عبادة وتكليف لله تعالي يفعلها الإنسان بأمر من الله وخوف من الله وحبا لله ، إذا قام بها أطاع الله وإذا أهملها عصي الله ، فرق بين الأمرين كبير ، بين العادات والعبادة وهذا الأمر يؤكد عليه الإسلام .

ولقد أكد الله تعالي علي فضيلة التواضع في القرآن الكريم ذاكرا قصص السابقين ووصاياهم ، من ذلك وصية لقمان عليه السلام ، والتي شملت كثرا من الآداب والأخلاقيات العالية التي يحتاج الناس إليها في سلوكياتهم ومعاملاتهم فقال تعالي : ((وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً))([5])

"قال القرطبي في الحديث عن هذا المعني : هذا نهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الإنسان قدره مذموم" ([6])

والتواضع هو قبول الحق من كل علي لسان أي إنسان والنزول عليه والعمل به

---

1) سورة الشعراءالآية – 215

2) تفسير ابن كثير ت 774 هـ: 4/ 546 تحقيق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية 1420هـ - 1999 م والآية 128 من سورة التوبة

3) تفسير القرطبي 10/ 57

4) تفسير القرطبي 284/13

5) سورة الإسراء الآية – 37.

6) تفسير القرطبي – 10/ 227

"قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل من جاء به وإن كان صغيرا فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيرا أو كبيرا وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبي قبول الحق تعاظما عليه فهو متكبر" ([1])
وليس الإنسان بمستغن عن جانب من التواضع، بل إنه لمفتقر إليه في كل أحواله وأعماله لا سيما الداعية في مجال دعوته حينما يخاطب الناس ويتعامل معهم، يأمرهم بأمر الله وينهاهم بنهيه تعالي، لا شك أن النفس تحتاج إلى من يتواضع معها ولا يتعالى عليها، من يناديها من قريب لا من بعيد، من يشعرها بأنه جزء منها لا من جنس أخر.
ومع مكانة النبي صلي الله عليه وسلم وعلو منزلته وتعلمه من جبريل عليه السلام، أمين الوحي الذي قال الله تعالي عنه ((عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى))([2])
إلا أنه ثبت أن النبي ρ قرأ علي أبي بن كعب، ولا عجب في ذلك فقد تعلم موسى عليه السلام من الخضر وكشفت له آيات باهرات ما كان يعلمها من قبل, كان الله تعالي قد أطلع عليها العبد الصالح ، في حين غابت عن نبي مكرم من أنبياء الله تعالي من أولى العزم من الرسل ، ولعل في ذلك الدلالة الكافية علي حسن التعامل مع الآخرين أي كانت منزلتهم ومكانتهم ، صغروا أم كبروا فالله تعالي يضرب لنا المثل بالأنبياء عليهم السلام حتى يتواضع من دونهم "روي عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبى بن كعب: (إن الله أمرني أن اقرأ عليك " لم يكن الذين كفروا " قال: وسماني لك ! ؟ قال " نعم " فبكى)([3])
ولم يتحرج النبي صلي الله عليه وسلم من ذكر الأمر لكعب ولم يحتج عليه بل كان في الأمر رحابة وسعة صدر تزيد النبي صلي الله عليه وسلم رفعة وعلوا، فليت طلاب العلم يتعلموا.
ومما أورد الحاكم فى مستدركه فى هذا الشأن:
ما روى عن عبد الله بن أبي أمامة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(البذاذة[*] من الإيمان البذاذة من الإيمان)
ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-
أن خلق التواضع له أثره الكبير في الإيمان بالله تعالي وأن الأخلاق من العبادات و الطاعات وليست من العادات، وأن التواضع قربة وصلة وخلق كريم يهدي إلى الله تعالي الزهد في الثياب واللباس والمظهر من أخلاق المؤمنين، وأن خلق التواضع مطلوب في كل أفعال المسلم وأقواله وسلوكه وعلمه وتعلمه فلن ينال العلم أحد بالتكبر وأن التواضع لا يزيد صاحبه عزا ورفعة، وإذا كان التواضع من الإيمان فأن الكبرياء يبعد صاحبه عن الإيمان وأهمية التواضع في سلوك الداعية ومعاملاته مع الآخرين، ومن مكارم الأخلاق التي حث عليها النبي صلي الله عليه وسلم في أحاديثه النبوية سمة:
الأصل الثالث :- العـــــــــفـــــــو :-
إن العفو خلق فاضل من أخلاق المؤمنين الصادقين ' يتسامحون ويعفون ويحسنون حتى تفني بينهم العداوة والبغضاء أبدا ، فالقلوب صافية والنوايا صادقة ، والناس بطبيعتهم يخطئون ويتجاوزون بالتعدي بعضهم علي بعض ولو أن الإنسان حاسب الناس كل على خطئه ربما ما زكي منهم من أحد

---

1 - **جامع العلوم والحكم 122/1 لابن رجب الحنبلي ---1408ـــ ط المعرفة بيروت – لبنان آل ابن العربي:**
"

2 - سورة النجم الآية– 5

3 - **رواه البخاري باب مناقب أبى بن كعب 12/ 174، ومسلم بابا استحباب قراءة القرآن علي أهل الفضل 221/4.**

أبدا ، وكما يخطئون هم في حقه، فهو كذلك يخطئ في حقهم بالتعدي أحيانا فهو بشر ليس معصوم ، لذا فإن المجتمع الإسلامي في حاجة إلى الاتحاد والوحدة ، ولن يتحقق ذلك إلا بأن يتناسي الناس أخطائهم والعفو فيما بينهم عن أمورهم وسلبياتهم وتجاوزاتهم، لذا فإن العفو من الأمور الفاضلة التي هي من أساس الدين ومما يستحبُّ الدعاء به في كل موطن:(اللَّهمّ إني أسألُك العفوَ والعافية اللَّهمّ إني أسألُك الهدى والتقى والعفافَ والغنى والله أعلم" (1)

وقد بين الله تعالي كيفية التعامل في الأزمات مع الإنس والجن يقول الإمام بن القيم "ولما كان الشيطان على نوعين :- نوع يرى عيانا وهو شيطان الإنس :- ونوع لا يرى وهو شيطان الجن أمر سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفي من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه والعفو وجمع بين النوعين في سورة الأعراف وسورة المؤمنين وسورة فصلت والاستعاذة في القراءة والذكر أبلغ في دفع شر شياطين الجن والعفو والإعراض والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شر شياطين الإنس (2)

وقال عز وجل ((وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ *وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) (3)

وقال الله تعالي عن صفات المؤمنين وعفوهم وخلق وسلوكهم "أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (4)

"وتأمل حال النبي الذي حكى عنه نبينا أنه "ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسيل الدم عنه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه أحدها عفوه عنهم والثاني استغفاره لهم الثالث اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون الرابع استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال اغفر لقومي كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا ولدي هذا غلامي هذا صاحبي فهبه لي" (5)

وتأمل كيف أن الله تعالي فتح له قلوب العباد وفتح له البلاد ببركة ما كان عنده من عفو وتسامح مع أعدائه قبل أصحابه وأتباعه، سيرته صلي الله عليه وسلم مليئة بنماذج طيبة مشرقة تلقي بظلالها علي المسلمين كي ينعمون في رحابها.

حتى في مواطن الحكم علي الآخرين وحسابهم واتهامهم ومعاقبتهم يأمر- صلي الله عليه وسلم - بتحري الدقة وأخذ الحيطة والحذر في إصدار الحكم عليهم، وتغليب أمر العفو علي العقوبة والتجاوز علي المؤاخذة "ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن يكن له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير له من أن يخطئ في العقوبة أن من عقد على أمه أو ابنته أو أخته ووطئها فلا

---

1) الأذكار للنووي 158/1.

2) زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله 420/2: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت الطبعة الرابعة عشر، 1407 - 1986تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط

3)سورة فصلت الآيتان 34 ،35 .

4 - سورة الأعراف الآية:54.

5) بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة الطبعة الأولى، 1416 –1996- تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي 468/2

حد عليه وأن هذا مفهوم من قوله ادرءوا الحدود الشبهات).([1])، وقد كان صلي الله عليه وسلم يعيش مع الناس بهذا الخلق الرحيم فيعفو ويصفح ويتجاوز ويغفر.
ومن صور عفوه صلي الله عليه وسلم التي كانت سببا في إسلام كثير من الصحابة لا لشيء بداية غير خلق رسول الله صلي الله عليه وسلم وعفوه وإحسانه، ونسيانه أخطاء المدعوين الذين ربما اعتدوا وأساءوا أكبر إساءة يوما ما، لكن الإسلام يجب ما قبله، ومن خلقة صلي الله عليه وسلم أنه لا يقابل السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح.
ومما أورد الحاكم فى مستدركه فى هذا الشأن:
ما روى عن عكرمة بن أبي جهل: لما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قلت: يا محمد إن هذه أخبرتني أنك أمنتني فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنت آمن فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنت عبد الله و رسوله و أنت أبر الناس و أصدق الناس و أوفى الناس قال عكرمة: أقول ذلك و إني لمطأطئ رأسي استحياء منه ثم قلت: يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكها أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو موكب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك قلت يا رسول الله مرني بخير ما تعلم فأعلمه قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و تجاهد في سبيله ثم قال عكرمة: أما و الله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله و لا قاتلت قتالا في الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله ثم اجتهد في القتال حتى قتل يوم أجنادين شهيدا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه و قد كان رسول الله صلى الله عليه و سلم استعمله عام حجته على هوازن يصدقها فتوفي رسول الله صلى الله عليه و سلم و عكرمة يومئذ بتبالة ([2])
تلك هي ثمرة العفو والجود بالإحسان والصفح عن الآخرين ومعاملة المدعوين بالرفق والرحمة واللين، فما ثمرة الشدة والقهر والغلظة، إنها انفراط العقد وتفريق المدعوين وانعزالهم عن الداعين وبعدهم عن الاستجابة لدعوة رب العالمين قال الله تعالي في خطابه لخاتم النبيين والمرسلين ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) ([3])
ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-
* أهمية الإعلام والدعاية الصادقة التي يجب أن تصل الي المدعو يسمعها ويعلم بها والتي ويطمئن علي نفسه ومستقبله من خلالها كانت سببا في إقبال عكرمة وغيره من المدعوين على الإسلام.، وأن الصدق والصراحة مع المدعوين وعدم استدراجهم أو خداعهم أو الكيد لهم وإنما علي الداعية أن يستوعب اتباعه وان يكون خيرا لهم ورحمة بهم .
* أهمية إقرار الداعية للمدعو بما يطمع فيه من الآمان والخير الذي يثبته بعد ذلك علي طريق الإيمان والسلام والعمل لهذا الدين، وإقرار المدعو بالإيمان بالله، بعدما وثق في الخبر واطمأنت نفسه لهذا الدين، وإقرار المدعو بخطئه أمام الداعي اكبر دليل علي الصدق، والزم شيء للعفو والتجاوز عما مضي .

---

1) إعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن القيم - دار الجيل بيروت 1973 – تحقيق طه عبد الرؤف سعد

241/1

2 - المستدرك برقم:- [5131] سقط هذا الحديث من التلخيص.

3 - سورة آل عمران – الآية – 159

* علي الداعية أن يكون ذا نفس طيبة قنوعة لا تطمع في ضعف الناس أو تطغي علي انكسارهم، وأن الشعور بجو الأمان والثقة في الداعي كان سببا في إعلان المدعو للإيمان والشهادة علي مسامع الناس بعدما ازداد قناعة بأخلاق هذا الدين وحسن سلوكه وأنه يشرف بالانتساب إليه.
* ومعاونة الداعي للمدعو والوقوف معه في محنته في حالات يحتاج فيها المساعدة، والأخذ بيده والشد من أزره، لذا فقد دعا له الرسول صلي الله عليه وسلم بالمغفرة في الحال مع احترام حق الله تعالي .
* علي الداعية أن يتوجه بالطلب والدعاء الي الله تعالي فليس هناك أحد يغفر لأحد، وأن ذالك يؤدي إلي زيادة القناعة بالدين وثقة المدعو في الداعية، ومن ثم تزداد القناعة من المدعو وتظهر علي السطح علامات الصدق وبرهان الإيمان فيهب نفسه لله تعالي يضحي بنفسه وماله وكل ما يملك ليصل الأمر الي اعلي مقاماته ببركة سلوك الداعية وحسن خصاله وأفعاله وعفوه عن المدعوين وفهمه للدعوة وحسن التعامل مع قضاياها.

روى الحاكم بسنده: عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي عن أبيه نعيم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لرسولي مسيلمة حين قرأ كتاب مسيلمة: ما تقولان أنتما ؟ قالا: نقول كما قال: أما و الله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما. ([1]).
إن الرسول صلي الله عليه وسام قد تسامح مع رسولي مسيلمة الكذاب، رغم فداحة ما جاء به من كذب وضلال ورغم تجرؤهما وإقراريهما أنهما علي دين مسيلمة، إلا أن النبي صلي الله عليه وسلم تعامل معهم بكل رفق ولين.
ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-
ضرورة اتصال الداعية بكل ما يحيط به من مذاهب وتيارات منحرفة أو باطلة وبيان الخير لهم، فالداعية ليس معلما للصالحين من العباد فحسب يتعامل معهم ويجلس بينهم، بل للطالح منهم قبل الصالح، وفي استقبال الداعية لمن أرسل من الرسل إليه ولو جاءوا من عند كذاب أو منافق أو مخادع ،أو ناحل نحلة أو مبتدع بدعة ، حتى يعلم ما جاءوا به ولو كان باطلا ومتابعة الداعية كبريات الأمور بنفسه وعدم إسنادها إلي من دونه طالما توافرت الظروف لذلك ، وأنه لا مانع من حضور بعض المدعوين بجوار الداعية وسماعهم أمر ما جاء في الرسالة ، وإطلاعهم علي ما دار من حوار ، وفيه تقدير النبي صلي الله عليه للعهود والمواثيق الدولية المتعارف عليها ، فيا يخص أمر الرسل ، وأنهم لا يقتلون ولا يهانون ، فما علي الرسول إلا البلاغ ، وفيه صبر الداعية وتريثه لسماع الأخبار وتوقع كل الاحتمالات حتى لا تكون مفاجأة وتقبل السماع ، ولو كانت رسالة سوء أو تحمل معاني الكفر فلا شأن لحاملها ، فيما كتب فيها ، وانه علي الداعية التزود بقوة الاحتمال والصبر علي ما يقع من حوله مهما كانت صعوبته .
ومن مكارم الأخلاق التي حث عليها النبي صلي الله عليه وسلم في أحاديثه سمة ومكانة في الإسلام
الزهد:
من الصفات الأخلاقية الباعثة علي الإيمان البساطة في الهيئة مع المحافظة علي الذوق العام والعرف المعهود بين الناس، وفي إطار الضوابط الشرعية التي لا تحرم نعمة الله تعالي علي العباد، بل تأمرهم فيها بإتباع المعروف والواسطة دون إفراط أو تفريط، فما خلقت النعم ليحرم منها العباد، وإنما لينعموا بها فالأمر له ضوابطه الشرعية وحكمه الإلهية، حتى توزع النعم بين العباد، وتستغل كما أراد الله تعالي.

---

1) المستدرك برقم [2680 [ج 6 ك الرسل لا تقتل ووافقه الذهبي في التلخيص: على شرط ومسلم هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

"فحسن الخلق يدخل فيه كظم الغيظ ولين الجانب والتواضع"([1])

الأصل الرابع :- حفظ الجميل لأهله

وقد أوصي الإسلام بحفظ الجميل لأصحابه وعدم التنكر لأهل الفضل ، فهذا من كمال الخلق وتمامها، فالمسلم يحفظ للناس فضلهم، ويشكر لهم صنيعهم، ويرد لهم جميلهم، فهذا خلق الكرماء وسلوك الصالحين ، لا يلتزم بها إلا كريم ولا ينكرها ويجحدها إلا لئيم ، وهي كذلك طاعة وعبادة لله تعالي " عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ أَبِي الْحَجّاجِ قَالَ كَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَمِمّا صَنَعَ اللهُ لَهُ وَأَرَادَهُ بِهِ مِنْ الْخَيْرِ أَنّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ ذَا عِيَالٍ كَثِيرٍ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لِلْعَبّاسِ عَمّهِ وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ يَا عَبّاسُ إنّ أَخَاك أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ وَقَدْ أَصَابَ النّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ فَانْطَلِقْ بِنَا إلَيْهِ فَلْنُخَفّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ آخُذُ مِنْ بَنِيهِ رَجُلًا ، وَتَأْخُذُ أَنْتَ رَجُلًا ، فَنَكْفُلُهُمَا عَنْهُ فَقَالَ الْعَبّاسُ نَعَمْ . فَانْطَلَقَا حَتّى أَتَيَا أَبَا طَالِبٍ فَقَالَا لَهُ إنّا نُرِيدُ أَنْ نُخَفّفَ عَنْك مِنْ عِيَالِك حَتّى يَنْكَشِفَ عَنْ النّاسِ مَا هُمْ فِيهِ فَقَالَ لَهُمَا أَبُو طَالِبٍ إذَا تَرَكْتُمَا لِي عَقِيلًا فَاصْنَعَا مَا شِئْتُمَا - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَال: عَقِيلًا وَطَالِبًا . فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلِيّا، فَضَمّهُ إلَيْهِ وَأَخَذَ الْعَبّاسُ جَعْفَرًا فَضَمّهُ إلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ عَلِيّ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حَتّى بَعَثَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيّا، فَاتّبَعَهُ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَآمَنَ بِهِ وَصَدّقَهُ وَلَمْ يَزَلْ جَعْفَرٌ عِنْدَ الْعَبّاسِ حَتّى أَسْلَمَ وَاسْتَغْنَى عَنْهُ".([2])

وكان أبو طالب قد أكرم النبي ρ في صباه وفي شبابه، قبل بعثته وبعدها، وهو لا يزال ينتقل من موقف مشرف إلي آخر، فقد ساند النبي صلي الله عليه الي آخر حياته، وقد رد أذى قريش عن النبي إلي أن مات، وكانت قريش تحسب له ألف حساب وما نالت من النبي شيئا يكره إلا بعد موت أبى طالب، فجميله للإسلام لن ينسي ومعروفه وحسن صنيعه مع الرسول محفوظ.

"وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ هُوَ الّذِي يَلِي أَمْرَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بَعْدَ جَدّهِ فَكَانَ إلَيْهِ وَمَعَهُ." ([3]).

وقد أراد النبي صلي الله عليه أن يرد الأمر ويصنع الجميل لأبي طالب الذي رباه وأحسن إليه في صغره، وسانده طيلة حياته، فلم ينس هذا الجميل والمعروف له، ولما استطاع أن يمد له يد العون، بادر برد الجميل إلي عمه وأحسن إليه في ذريته، فلم يكن الأمر يغيب عن النبي صلي الله عليه وسلم، فقد كان عطوفا بأهله يعرف الضعيف منهم، ومن له حاجة ومن أسدى إليه معروفا، فأخذ النبي صلي الله عليه وسلم عليا فتربي في حجره، وتعلم من الرسول صلي الله عليه وسلم، فآمن بالنبي وعاش بجواره ونام مكانه ليلة الهجرة مفتديا النبي صلي الله عليه وسلم بنفسه، وكان من بركات هذه التربية أن كان عليا أول المسلمين من الشباب، وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وزوج بنت النبي صلي الله عليه وسلم.

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك

ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سألكم بالله فأعطوه، ومن استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن آتى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم

---

1) يقظة أولي الاعتبار: صديق بن حسن القنوجي ص226، الناشر مكتبة دار الأنصار القاهرة – الطبعة 1398- 1987 تحقيق: أحمد حجازي السقا،

2) سيرة بن هشام 245/1 .

3) الروض الأنف 311/1

كافيتموه، ومن استجاركم بالله فأجيروه) ([1]) فمن خلق الإسلام أن يرد المعروف إلي أهله وأصحابه فمن زرع الخير لابد وأن يذوق حلاوته، ويجني ثمرته ويري في أفعال الناس ما يكون باعثا نفسيا له علي الخير والمعروف ، والنماذج والمواقف النبوية في ذلك أكثر من أن تحصي منها :-

ومما ورد فى هذا الشأن أيضا فى مستدرك الحاكم:

ما ورد عن عائشة قالت: استأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه و سلم في هجاء المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: فكيف بنسبي فيهم ؟ فقال حسان: لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين

قال هشام: قال أبي: و ذهبت أسب حسان عند عائشة فقالت: لا تسب حسانا فإنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم([2]) .

فقد حفظ الإسلام علي لسان أم المؤمنين لحسان رضي الله عنه حقه ورد له غيبته، وشهد له بالصدق في الدفع عن الدين

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

حفظ الجميل والمعروف لأهله وأصحابه في حضورهم وفي غيابهم، في حياتهم وموتهم، وفيه بيان مكانة حسان بن ثابت بين الصحابة رضوان الله عليهم، و ضرورة دفع الظلم ورد غيبة الصالحين من المدعوين، وتذكر أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها لأفعال ومواقف حسان مع النبي صلي الله وسلم, والإسلام، ووجوب رد المنكر ورفع الظلم علي الفور، في حضور أصحابه وعدم السكوت علي الخطأ، فالسكوت علي الخطأ يزيد من ظلم العباد والتعدي عليهم، و حفظ الجميل يجعل الناس في صلة ومحبة ووفاء مع بعضهم البعض

.ولم يبعد فعل الصحابة الكرام أبد عن هذا الخلق الكريم الذي أكد عليه سيد الأنبياء والمرسلين، من حفظ الجميل وإسداء المعروف الي أهله وأصحابه، وامتد الإحسان إلي الأجيال المتلاحقة حتى يعم الخير ويسعد الجميع، ويجني الأولاد ثمرة غرس أهليهم من الخير والمعروف الذي زرعه الأباء.

الأصل الخامس :- الرحمة بالمدعوين

إن ألصق صفة بالداعية هي صفة الرحمة فالداعية يستمد رحمته من رحمة الداعية الأعظم ρ الذي قال عن نفسه إنما أنا رحمة مهداة.

وإن من أجلى صور الرحمة بالمدعوين حرص الداعية عليهم واهتمامه بهم وحدبه عليهم ودعوته لهم فى كل أسبوع مرة فى خطبة الجمعة وربما تتحول الخطبة التى أصلها رفق ورحمة بالمدعوين إلى تعذيب لهم إن طالت وامتد أجلها.

فالخطبة ليست بطولها وقصرها ولا بوقتها وكثرة كلماتها، إنما بموضوعها بحسن عرضها وإيجاز وقتها، كان النبي صلي الله علي وسلم يتخول الصحابة بالموعظة والتوجيه والنصح ولا يثقل عليهم، يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة عليهم. فقد كان الصحابة - رضي الله عنهم- قلوبهم رقيقة يتأثرون بالموعظة، وكان لها وقع في نفوسهم، فإذا كانوا عنده بالمجلس وذكرهم وعرفهم رقت منهم القلوب،

---

1 - المستدرك علي الصحيحين للإمام الحاكم – باب حديث معمر بن راشد 5/ 479» « هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه للخلاف الذي بين أصحاب الأعمش فيه ، استجار : استغاث والتجأ .

2 - [6165] ووافقه الذهبي في التخليص: على شرط البخاري- هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه هكذا إنما أخرجه مسلم بطوله من حديث الليث عن خالد بن يزيد و ذكر فيه القصيدة بطولها : (هجوت محمدا فأجبت عنه و عند الله في ذاك الجزاء)

ودمعت منهم الأعين، وخشعت منهم الأبصار، واقشعرت منهم الجلود، واطمأنوا واستكانوا، وأثرت الموعظة فيهم؛ فيكون من آثارها أنهم ربما انقطعوا للعبادة، وتركوا الدنيا وشهواتها، لما استقر في نفوسهم من آثار تلك الموعظة في نفوسهم.
والصحابة رضوان الله عليهم ذووا قلوب رحيمة وعقول بصيرة فكان- صلى الله عليه وسلم- لا يواصل الموعظة والتنكير ونحوه مخافة السآمة عليهم، ومخافة أن يتأثروا تأثيرا بغيضا؛ فلذلك كان يعظهم كل أسبوع مرة أو مرتين هكذا. والمراد بالموعظة هاهنا التذكير والتخويف؛ بحيث يذكرهم بالآخرة، ويذكرهم بمعادها، وما فيها من الوعيد ومن الثواب والعقاب، ومن الأقوال ومن النكال، ومن عاقبة الدنيا ومآله وتقلبها بأهلها، ومن أحوال المكذبين ممن سبق، وما نزل بهم من المثلات، وما حل به من العقوبات، من آثار المعاصي والسيئات.
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك:
ما ورد عن صفة النبي صلي الله عليه وسلم ورحمته بالمدعوين في خطبته أو موعظته ومراعاته صلي الله عليه وسلم لأحوال وأوضاعهم، مما يدل علي الرحمة الواسعة للرسول صلي الله عليه وسلم، وحمته في خطاب المدعوين.
عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هن كلمات يسيرات ([1])
من فقه الدعوة في الحديث الشريف:-
أولا:- رحمة الداعية بالمدعوين والحرص علي التخفيف عليهم في الموعظة أو الخطبة أو الصلاة.
ثانيا :- عدم إطالة الداعية يوم الجمعة بصفة خاصة لما في الجمعة من قيود وضوابط وشروط شرعية خاصة ليست في غيرها من الأوقات،
ثالثا :- ضرورة إحساس الدعية بما عليه المدعوين من تعب أو إرهاق أو نشاط .
رابعا :- التخفيف في الخطاب للمدعوين أولى من التثقيل عليهم وإتعابهم وصبرهم علي مضد.
خامسا:- حرص الداعية علي انتقاء الكلمات اليسيرة والمؤثرة والمفيدة التي تفيد المدعوين ولا تضر بهم.
التيسير في الإسلام أولي من التعسير ، فلا تقاس الأمور في الإسلام بكثرتها وحجمها إنما بدقتها وإخلاص أصحابها .
الأصل السادس :- الرحمة بالصغار
الرحمة بالصغار أدب إسلامي رفيع وخلق كريم، أوصى الإسلام به أتباعه وأمرهم بالقيام به، فهو من الأمور التي أولاها الإسلام أهمية خاصة ومكانة فاضلة، فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ما كان يفعله علي مرأى ومسمع من المدعوين ، وفي المسجد وفي وقت الصلاة والخطبة التي لها مكانتها واحترامها وقدسيتها لكن كل هذا لم يمنع من تؤدي الواجبات وتقام الفرائض والصلوات وأن ينال الأطفال من عطف رسول الله ρ مع الأطفال .
ولم يكن الأمر سلوكا طارئا أو منهجا مؤقتا في حياة الرسول صلي الله عليه وسلم ، إنما كان منهجا مطبقا عادلا تفيض منه الرحمة والعدل ، لا يظن البعض أن الأمر عامل نفسي لحب النبي ρ عليا وأولاده أو أنه متعلق بصلاة القرابة والنسب أبدا ، فقد كان الأمر سلوكا عام ينعم به المسلمون جميعهم ، من يعرفه ومن لا يعرفه ليكون هدية للمؤمنين بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم .

1- المستدرك برقم -[1095] ووافقه الذهبي في التخليص: وشاهدة مثله. أي صحيح.

"وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوفا رحيما بالكبير والصغير والأطفال خاصة وكان ربما تجوّز في صلاته وخففها لبكاء الطفل يسمعه خشية أن يشق على أمه خلفه" (1)
ففي الصلاة التي هي صلة بين العبد وربه ووقوف بين يدي الله تعالي، وتخلي عن كل ما سوي الله تعالي وترك للدنيا خلف ظهر الإنسان، وإقباله علي الله تعالي كان النبي عليه الصلاة والسلام يحرص علي أن ينال الأطفال حقهم من الرحمة التي حث عليها الإسلام
عن (عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ) . (2)
فكان صلي الله عليه وسلم يخفف في الصلاة رحمة بالأطفال ورحمة بأمهاتهم اللائي تتقطع قلوبهم وتنشغل علي أولادهم، فقد خرج القلب من تلقاء نفسه من الصلاة دون أن يشعر أحد ، وباتت الأمم بجوارحها دون فؤادها .
ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:-
ما روى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطب فأقبل الحسن و الحسين عليهما قميصان أحمران فجعلا يعثران و يقومان فنزل فأخذهما فوضعها بين يديه و قال: صدق الله و رسوله إنما أموالكم و أولادكم فتنة رأيت هذين فلم أصبر ثم أخذ في خطبته (3)
ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-
أولا :- احترام الإسلام للنوازع الفطرية في الإنسان لاسيما الأبوة والأمومة خاصة
ثانيا :- علي الداعية مراعاة حال المدعوين واحترام مشاعرهم ورغباتهم ونوازعهم الفطرية.
ثالثا :- علي الداعية أن يكون قريب من قومه يشعر بأوجاعهم واضطراباتهم.
رابعا :- الرحمة بالصغار والترفق بهم.
خامسا :- جواز قطع الداعية للخطبة إذا دعت الظروف واقتضت الأحوال ثم العودة إليها.
سادسا :- علي الداعية تعريف المدعوين بقضايا الدين حتى لا ينكر عليه أحد ويسبب له حرج علي الملأ.
سابعا :- تواضع الداعية للمدعوين صغيرهم وكبيرهم قريبهم وبعيدهم دون ادني تفريق.
ثامنا :- مكان الحسن والحسين عند رسول الله صلي الله عليه وسلم.
تاسعا :- سعة قلب الداعية للجميع.
عاشرا :- معالجة ما يطرأ بحكمة وفطنة قدر الاستطاعة، وعدم تجاهل ما يطرأ من قضايا.
ثامنا :- صبر العالم علي أذى السائل:-
تعترض الداعية عقبات وصعوبات في حياته العلمية والعملية علي طرق الدعوة الي الله تعالي، فليس طريق الدعوة سهلا ميسرا للداعين، وإنما هو طريق شاق يحتاج الي جهد وعزم من السالكين والداعين من العباد وأصحاب الصدق واليقين، مع الله تعالي الذين سماهم الله تعالي بالرجال في

---

1) **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري 2/98 الناشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، 1387 هـ تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي .**

2 - **صحيح البخاري – باب من أخف الصلاة عند بكاء الطفل – 126/3**

3 - **7554] ووافقه الذهبي في التخليص: على شرط البخاري ومسلم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه و البيان الشافي فيه في الحديث الذي**

الإسلام قال تعالي ((مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً))([1]).
وكما كان حظ الأنبياء من التعب فإن إتباع الأنبياء يناولون قدرا من التعب بقدر إخلاصهم وصدقهم في دعوتهم ، لينالوا شرف العمل في هذا الميدان الفسيح الذي تتعدد فيها الأفكار والمدارس علي اختلاف ألوانها وأشكالها ومد ارجها، فالدعوة ليست من خواص الأنبياء عليهم السلام فحسب، بل ومن تبعهم من بعدهم علي نفس نهجهم
فقد قال الله تعالي:((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) ([2]) .
ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك :
ما روى عن الخنس بن خليفة الضبي قال :(رأى كعب الأحبار عبد الله بن عمرو يفتي الناس فقال : من هذا ؟ قالوا : هذا عبد الله بن عمرو بن العاص فأرسل إليه رجلا من أصحابه قال : قل له يا عبد الله بن عمرو لا تفتر على الله كذبا فيسحتك بعذاب و قد خاب من افترى قال : فأتاه الرجل فقال له ذلك قال : ابن عمر : و صدق كعب قد خاب من افترى و لم يغضب قال : فأعاد عليه كعب الرجل فقال : سله عن الحشر ما هو و عن أرواح المسلمين أين تجتمع و أرواح أهل الشرك أين تجتمع ؟ فأتاه فسأله فقال: أما أرواح المسلمين فتجتمع بأريحاء و أما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء و أما أول الحشر فإنها نار تسوق الناس يرونها ليلا و لا يرونها نهارا فرجع رسول كعب إليه فأخبره بالذي قال فقال: صدق هذا عالم فسلوه)([3]).
ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف: -
أولا :- صبر الداعية علي ما يصادفه من أذى المدعوين واحتمال ما يصدر عنهم.
ثانيا :- ربما كانت موعظة البعض في غير محلها لكن علي الداعية أنة يتحملها ويعالج الأمر بحكمة وبصيرة دون تعنيف للمدعوين.
ثالثا :- علي كل من الداعية والمدعو قبول الحق ولو كان مرا فهذا من تمام الدين وكماله.
رابعا :- تصديق الدعية للمدعو إذا تكلم بالحق وعدم انتقاصه.
خامسا:- حسن أخلاق ابن عمر رضي الله عنه والتزامه الأدب الجم والذوق الرفيع والتزامه بالسلوك الأمثل للدعاة المخلصين.
سادسا :- تصديق الداعية للحق ولو كان النصح موجه إليه ، وتحمله لخطاب الخصم ولو كان جارحا.
سابعا :- احتساب الداعية الأجر عند الله تعالي وعدم الثأر لنفسه من اتباعه وإخوانه.
ثامنا:- وصول الداعية للمجد والرفعة والعلم محتاج منه الي ضريبة غالية وثمن كبير عليه أن يؤديه.

---

1 - سورة الأحزاب – الآية 23.

2 - سورة يوسف الآية – 108

3 - [6356] 6 ، ك ذكر عبد اله بن عمر بن العاص قال الذهبي في التلخيص:الأخنس تابعي كبير أودعه البخاري في الضعفاء، أبو حاتم وغيره.

المبحث الثاني

الأثر الأخلاقي في الثواب والعقاب من خلال أحاديث المستدرك للحاكم

يظن البعض أن الأخلاق الإسلامية من نافلة القول، أو أنها ربما شرعت علي التخيير للعباد، فمن شاء فعل ومن شاء ترك، فهي باعتقادهم صاحبها مخير بين الفعل والترك ، وهذا الاعتقاد عار عن الصحة تماما ، إن للأخلاق الإسلامية أهمية كبيرة في حياة المسلمين الدنيوية والأخروية ، فهي تقرب من الله تعالي ، وهي سبب أساسي في رضي الله تعالي عن صاحبها، ومكافئته في الآخرة، فهي من ثوابت

الدين وأسسه التي لاغني عنها، فحسنها من أسباب دخول الجنة، وسوءها من أسباب دخول النار، وهي في مجملها من أصول الدين وقواعده التي ينطلق منها الي غيرها، فهي طريق الخير والطاعة ونيل القبول عند الله عز وجل وهذا ما يدفعنا لبيان المطالب الآتية:

المطلب الأول: (صفات أخلاقية باعثة علي الثواب):-

إن الأخلاق هي أحد أصول هذا الدين، ولها من الأهمية والضرورة ما لغيره الأصول التي يقوم عليها هذا الدين، ومن ثم فهي أساس في الثواب والعقاب، يجني المسلم من ورائها الخير أو الشر والثواب أو العقاب.

" يقر القرآن فكرة الجزاء، أساس الأخلاق التوحيدية، ويقول الأستاذ أندريه لودن " وقد قصر الإنجيل الجزاء كله علي يوم " القيامة " بحيث أصبحت الأخلاق من مسائل الآخرة، أصبحت برمتها من الهموم الشخصية.

حتى جاء القرآن وجدناه يقيم بناءه الأخلاقي علي أساس القيمة الخلقية للفرد، وعلي العاقبة الدنيوية للجماعة ، فأما الفرد فإن ثوابه مستحق يوم الحساب ، ومن أجل هذا يقرر القرآن صراحة القيمة الدينية للفرد في قوله: ((ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً)) ([1])

وأما الجماعة فإن جزاءها عاجل ، يلفتنا القرآن إلى قصة في هذه الدنيا حين يدعون)

دائما إلى تأمل العقاب الدنيوي في عواقب الأمم البائدة، والحضارات الدارسة:

((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)) ([2])

بل إن القرآن ليعنف تلك الأمم في آية أخرى فيقول: ((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِين ([3])) ([4]) .

فالأمم التي انحرفت عن الأخلاق السوية والقيم الجمالية الإنسانية، نالها كلها عقاب الله تعالي ، وحل عليها الانتقام ، وقد تفاوتت أشكال الانتقام الإلهي علي قدر جرم هؤلاء وقبح صنيعهم ، فعدل الله تعالي لا يغيب حتى مع أعدائه.

وقد تنوع الجزاء الأخلاقي فوجدنا منه ما يكون سببا في دخول الحنة، والقبول عند الله تعالي، ومنه ما كان سببا في مقت الله تعالي وغضه وانتقامه في الدنيا والآخرة.

أولا :- صفات تدخل الجنة :-

ولقد بين رسول الله صلي الله عليه أن هناك من الصفات الأخلاقية ما يكون سببا في دخول الجنة ، وما يكون فاتحة خير علي صاحبه في الآخرة ، فليست الأخلاق منفصلة عن الدين .

بل هي قطعة منه فلا هو يستغني عنها ولا هي تستغني عنه، بل هي مداخلة فيه كتداخل الروح في الجسد.

ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:

ما رواه الحاكم بسنده عن مطرف أن عياض بن حماد حدثه: أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول في خطبته:(أصحاب الجنة ثلاثة: ذو سلطان مصدق و مقسط موفق و رجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى و رجل فقير عفيف). ([1])

---

1 - سورة المدثر الآية –11

2 – سورة آل عمران – الآية 137

3 - سورة الأنعام الآية– 6

4 - الظاهر القرآنية – مالك بن نبي. ص 248.

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

أولا : - بشارة النبي صلي الله عليه وسلم بالجنة لأصحاب الخلق الكرام الذين التزموا آداب دينهم وتعاليم ربهم، ومنهج نبيهم وهو منهج مبشر بالخير للمدعوين علي الدعاة العمل به.

ثانيا :- العدل والقسط والرحمة والعفة من أسباب الفوز في الآخرة.

ثالثا :- بيان مكانة السلطان العادل عند الله تعالي في الآخرة.

رابعا :- فضل من تعفف رغم فقره وحاجته وبيان أن الله تعالى لن يضيع عمله وثوابه في الآخرة.

خامسا :- تعبير النبي صلي الله عليه وسلم عن هؤلاء الصالحين الفائزين بأنهم أصحاب الجنة ولم يقل إنهم يدخلون الجنة، وهناك دلالة كبيرة في التعبير عنهم بالأصحاب وكأن الله تعالي ملكهم إياها، وأغناهم بها في الآخرة.

ثانيا:- صفات تيسر الحساب

كذلك هناك صفات أخلاقية تكون سببا في تيسير الحساب علي صاحبه، فتكون عوننا له يوم القيامة، ومن يسر الله عليه حساب فقد هيأ الله له للفوز الأسباب وبيسر له دخول الجنة من أي باب ، و أراد به خيرا عظيما.

روى عن الحارث عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ألا أدلكم على أكرم أخلاق الدنيا و الآخرة أن تعفو عمن ظلمك و تصل من قطعك و تعطي من حرمك" (2)

فجزاء العفو عن الظلم عظيم عند الله تعالي، وصلة الإنسان لأهله وأقاربه لا سيما من قطعه منهم لهي من أعظم الأعمال والقربات عند الله تعالي.

ولأهمية الأمر يؤكد عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم، ففي مسند الإمام أحمد من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك "3 فيؤكد رسول الله صلي الله عليه وسلم علي وصل الصلة المقطوعة ، والعفو والسماح عن من ظلمك ، والصفح عن من تعدي عليك بالفظ أو الشتم ، وما شابهما من فحش في الكلام أو الصخب في الحديث

ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:

ما روى الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا و أدخله الجنة برحمته قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال: تعطي من حرمك و تعفو عمن ظلمك و تصل من قطعك قال: فإذا فعلت ذلك فما لي يا رسول الله ؟ قال:(أن تحاسب حسابا يسيرا و يدخلك الله الجنة برحمته). (4)

فكرم الإنسان في خلقه في الدنيا الفانية يقابله الله تعالي بكرم وافر في الآخرة الباقية، جزاء للإنسان علي صبره وتحمله وحسن خلقه، وليس يقارن كريم الله بخلق العبد فشتان بين هذا جهد المقل وبين كرم الله الذي يعطي بلا حدود

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

---

1 -المستدرك برقم 7157 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. .

2 - شعب الإيمان 260/6

3 - جامع العلوم والحكم ص 183/1

4 - المستدرك ج/3 ح[3964] ك من أسباب دخول الجنة قال الذهبي في التلخيص: سليمان بن داود اليمامي ضعيف.

أولا :- ضرورة التراحم بين المدعوين، حتى تتأكد بينهم أسباب المودة والمحبة الباعثة علي الوحدة الإسلامية.
ثانيا :- بيان الداعية للأمور الهامة التي تجمع المدعوين ولا تفرقهم.
ثالثا :- أن الداعية يجمع ولا يفرق، وعليه أن يزيل كل العقبات من طريق المدعوين حتى يتحابوا ويتآلفوا.
رابعا :- لا مانع من بيان الداعية للأمور الهامة التي تبشر الإنسان بالفوز في الآخرة بالقدر الذي يفرحه، ولا يكسبه الغرور.
خامسا : - جزاء الله تعالي للمحسنين من عباده بأحسن ما كانوا يعملون.
سادسا :- معونة الله يوم القيامة لمن أحسن من عباده، ومجازاته له بالجنة.
سابعا :- يسر الحساب وعسره في الآخرة علي قدر ما للإنسان من خلق حسن، وخصال طيبة وسلوك قويم.

<u>التواضع وبذل الجهد في التعليم :-</u>

إن طلب العلم من أعظم القربات عند الله تعالي، وتحصيله من أفضل العبادات فهو طريق النور والهداية، ونجاة الناس من الضلالة والغواية، وطرق جد طويل، تعرف له البداية ولا تعلم له عند الإنسان نهاية، يحتاج الي تقوي وورع وتواضع وحسن خلق، وجهد وعطاء وتضحية وبذل، فلا يناله الإنسان بغير التواضع وخفض الجناح والاجتهاد وتحمل الصعاب، وإخلاص النية فيه لله تعالي.
والمسلم أيا كان موقعه في المجتمع فلا غني له عن تحصيل العلم، فهو زاده في هذه الحياة، وفي الآخرة طريق الجناة.
وقد أوصي النبي صلي الله عليه بتحصيل العلم وإبلاغه للناس، لا سيما العلم الشرعي ، وكل ما ورد عنه صلي الله عليه وسلم، فقد دعا بالخير ونضرة الوجه لكل من بلغ عنه ولو كان القدر المبلغ قليل ، فالعبرة بالبلاغ لا بالكم والقدر، وقبول المبلغ أو رفضه.
" روي عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال حدثوا عني ولا حرج وقال نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها وبلغها غيره وقوله ليبلغ الشاهد منكم الغائب" ([1]) ، فالإنسان وإن كان محدثا أو مبلغا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، إلا أنه عليه أن يتواضع، ويبلغ أعلي درجات الأدب والتواضع مع الله تعالي، وذلك بإخلاص النية والاجتهاد في العمل والسعي في طلب العلم، ثم إخلاص النية في التبليغ للناس والإحسان إليهم بما علمه الله تعالي من العلم. "قال ابن المبارك طلبنا العلم فأصبنا منه شيئا، فطلبنا الأدب فإذا أهله قد ماتوا.... فابن المبارك من أهل العلم والفضل والأدب، لكن ما أجمل وأحلي تعبيره وقوله عن أهل الأدب أنهم ماتوا، فلم يحسب نفسه منهم، وهو من هو، أدبا وعلما وعملا وسلوكا رضوان الله عليه.
ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:
ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فإنهم اليوم كثير فقال : و اعجبا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من فيهم ؟ قال: فتركت ذاك و أقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و إن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه و هو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلي فآتيك ؟ فأقول

---

1) نقض الإمام أبي سعيد عثمان: أبي سعيد عثمان بن سعيد- 2/ 653 بتصرف. مكتبة الرشيد - الرياض الطبعة الأولى، 1998 تحقيق:د.رشيد بن حسن الألمعي.

: لا أنا أحق أن آتيك قال : فأسأله عن الحديث فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني و قد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول هذا الفتى كان أعقل مني. ([1]).

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:

أولا :- إخلاص الداعية نيته لله تعلي في طلب العلم.

ثانيا :- التواضع لله تعالي والاجتهاد وبذل كل ما في الوسع كي ينال الداعية شرف العلم.

ثالثا :- تجرد الدعاة وطلاب من الحسب والنسب وترك كل الشوائب والعلائق والتفرغ للعلم.

رابعا :- اجتهاد الإنسان في شبابه وصغره في طلب العلم يجعله من العلماء الثقات في الكبر، الذين يسند الأمر إليهم، ويحتاجهم الناس في فتاواهم وأمورهم.

خامسا :- تحمل الداعية لما يواجهه من صعوبات وتحديات.

سادسا :- تحمل ما قد يصدر من سخرية وإهانات قد تقليل من حماس الإنسان للعلم.

سابعا :- نظرة الداعية للمستقبل ضرورة حتمية وبصيرة دعوية.

ثامنا :- علي الداعية الذهاب الي العلماء في بيوتهم وأماكن تواجدهم والتأدب معهم.

تاسعا :- علي الدعية التجرد من حسبه ونسبه ولو كان هو من كان.

عاشرا :- اعتراف الدعية بالحق لأصحابه وأهله.

المطلـب الثانـــــي

صفات لا أخلاقية باعثة علي العقاب من خلال أحاديث المستدرك للحاكم :-

لقد جعل الله تعالي يوما جامعا لناس يحاسبون فيه علي أعمالهم إن خيرا فخير، وان شرا فشر، كل ينال حقه دون ظلما أو غبن له، فالله تعالي يعامل الناس بفضله لا بعدله، تسبق رحمته غضبه، وعفوه عقوبته، ولقد بين رسول الله صلي الله عليه وسلم في كتب السنة ومنها كتاب المستدرك للحاكم النيسابوري، بعض الصفات التي قد تكون من أسباب الحرمان من الجنة والبعد عنها منها:-

<u>أولا:- صفات رذيلة تمنع من دخول الجنة:-</u>

أ- سوء الخلق مع الوالدين:-

الوالدان هما السبب المباشر بعد الله تعالي في وجود الإنسان في هذه الحياة، لذا فقد أولاهم الإسلام خصوصية كبيرة في التعامل، وأكد الله تعالي الوصية بالوالدين في كثير من آياته المباركة في القرآن الكريم، مبينا فضلهم ومكانتهم، وأمر الإنسان بالإحسان إليهم ما استطاع الي ذلك سبيلا، معددا لفضلهم وتحملهم وإرهاقهم في سبيل إنجاب هذا الولد، وتربيته والسهر عليه حتى يكبر، ويستطيع أن يستقل بأمر نفسه، والأمثلة علي ذلك كثيرة في كتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم. ((وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)) ([2]).

وقد عدهم رسول الله صلي الله عليه وسلم من الذين لا يدخلون الجنة، وأنهم إنما حرموا منها بسبب فعلهم، وتقصيرهم فيما أمر الله تعالي به من إحسان الي الوالدين، أو غيرة وصيانة للأهل، أو محافظة علي هوية النفس من الضياع والذوبان، فتلك أوامر الله تعالي نؤمن وندين بها لله تعالي، والتقصير

---

1 - [367] وافقه الذهبي قي التلخيص: علي شرط البخاري. هذا حديث صحيح على شرط البخاري و هو أصل في طلب الحديث و توقير المحدث.

2 - سورة لقمان الآية – 14

فيها لن يعود بخير علي الإنسان، في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما سيلحقه الخزي والعار و النكال، لذا فوصية رسول الله صلي الله عليه وسلم تبين للمدعوين طريقهم كي لا يضلوا ويخذلوا.
"عن [عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه و الديوث و رجلة النساء] و روى النسائي أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: [ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة : مدمن الخمر و العاق لوالديه و الديوث الذي يقر الخبث في أهله] يعني يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك.
فمن كان يظن بأهله الفاحشة و يتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه دينا و هو عاجز أو صداقا ثقيلا أو له أطفال صغار فترفعه إلى القاضي و تطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه و لا خير فيمن لا غيرة له فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة إنه جواد كريم" ([1]).
فرعاية المدعو لوالديه وحفاظه لأمر دينه وصيانته نفسه وأهله من الواجبات التي أوصى الإسلام بها ، كي يظل المجتمع طاهرا نظيفا، لا ينتابه خلل أو شطط، ولا تطمس هويته، ولا تزول كرامته، ولا تنتهك حرمته، فارتكاب هذه الذنوب يحمل الإنسان من الويل والعذاب ما لا طاقة له به.
ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:
ما رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن يسار الأعرج: أنه سمع سالم بن عبد الله بن عمر يحدث عن أبيه: عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق بوالديه و الديوث و رجلة النساء) ([2]).
فقد جعل رسول الله صلي الله عليه وسلم عصيان المسلم ربه في واحد من هذه الأمور الثلاثة جد خطير، وليس هناك اشد علي النفس يوم القيامة من الحرمان من الجنة التي هي مقصد لمسلم، وغاية كل مؤمن

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

أولا :- ضرورة توجيه وإرشادهم المدعوين كي لا يقعوا في الخطأ.
ثانيا :- بيان أن الجزاء في الإسلام يقوم علي الثواب والعقاب والجنة والنار.
ثالثا :- بيان الأمر للمدعوين بأن الإسلام لا يفصل بين الأخلاق وغيرها من الأصول الإسلامية العقائدية أو التشريعية وأنهم جميعا يشكلون دين الله تعالي.
رابعا :- بيان الداعية لمكانة الوالدين وضرورة احترام المدعوين لأهلهم ووضعهم في مكانهم المناسب الذي أوصى به الدين.
خامسا :- وضوح رسالة الإسلام وبيانها للمدعوين كي لا يحيوا علي خداع أو نفاق.
سادسا :- علي الداعية انتقاء الألفاظ وضبطها قبل إعلانها للمدعوين.
سابعا :- وضوح المنهج النبوي وخطابه، في توجيه الموعظة للمدعوين.
ثامنا :- فيه رسالة لهؤلاء الشباب الذين يتعنتون مع المدعوين فيدخلونهم النار ويخوفونهم بطريقة صعبة علي النفس، تفرق ولا تجمع، وتبعدهم ولا تقربهم، وتنفرهم.
تاسعا :- توضح الإسلام وتأكيده علي أهمية صيانة العرض، واحترام الأهل، وترك الحرام.

ب - سوء الخلق مع الجار

من الأمور الهامة التي أولاها الإسلام عناية خاصة، قضية الجوار، وحسن التعامل فيها مع الجيران علي اختلاف صلتهم، وتنوع مللهم ونحلهم، فالذي نظر إليه الإسلام هو الجوار بداية لا لاشيء غير، ثم تأتي أمور معتبرة أخرى ما هي إلا معززات لمكانة الجوار، كي يعرف المسلم كيف يتعامل

---

1) **الكبائر: محمد بن عثمان الذهبي 1/ 137 الناشر: دار الندوة الجديدة - بيروت.**

2) المستدرك:للحاكم برقم ج1 **[244]** ووافقه الذهبي في التلخيص.

ويعطي كل ذي حق حقه، فالجار هو الأخ والصديق والقريب والمعين والمغيث من البشر إذا احتاجه الإنسان في شدة أو ضيق، يدركه قبل أن يدركه أهله ويغيثه أحيانا قبل الأبوين أو أبويه، لذا وللأسباب أخري كثيرة أولاه الإسلام رعاية خاصة، وأعطاه أهمية كبيرة ومكانة فاضلة، ورتب عليه دخوله الجنة الذي هو غاية وهدف كل مسلم حقا، وقد عد الإسلام من صفات أهل الجنة الإحسان الي الجوار.

"فمن أعمال أهل الجنة صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم ومن أعمالهم الإخلاص لله والتوكل عليه والمحبة لله ورسوله " ([1])

ومن أعظم الذنوب كذلك عند الله تعالي أن يعتدي المسلم علي حرمة جاره ، ويعتدي علي أهله وعرضه، وقد جرم الإنسان ذلك الفعل البشع مع سائر الناس لكنه مع الجار أشد إنكار، ولعل السبب في ذلك قرب الجار من جاره، وإمكانية مراقبته

والإطلاع علي حرمته ، ومراقبة أحواله ، وتتبع أعماله وأوقاته في سفره وارتحاله ، وتتبع سائر أموره وأحواله، ومن الواجب أن يكون الجار حافظا لسر جاره أمينا علي ما يصدر منه، حارسا له عرضه وأولاده حافظا لوصيته، فهو القرب منه يمكن أن يطلع علي عورته ويتجسس علي حديثه وأحواله، وينال منه ومن حرمته أكثر من غيره ، أم أن يكون هو اللص والخائن والمتربص بالجار ولو كان الجار غير مسلم فهذا ما يجرمه الإسلام ، وينكره أشد إنكار .

(عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال: أن تجعل لله ندا و هو خلقك فقلت: إن ذلك لعظيم ثم أي ؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي ؟ قال أن تزني بحليلة جارك) ـ يعني زوجة جارك ـ فأنزل الله عز و جل تصديق ذلك: ((وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً*إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً)) ([2])

فانظر رحمك الله كيف قرن الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله و قتل النفس التي حرم الله عز و جل إلا بالحق " ([3]).

فمنزلة الجار مقدسة في الإسلام وحرمته جد معتبرة ، يجب أن تراعي وتقدر، تحفظ في غيابه وفي حضوره، فهو في ذمة الله تعالي، يحتاج فيعطين وينادي فيلبي، ويستغيث فيغاث، وقد احترمه الإسلام اشد احترام، وإكرامه أفضل إكرام ، و أكد في غير موضع علي ضرورة التعامل السوي معه ، كل هذا لا لشيء غير اعتبار مسألة الجوار، ولو كان غير مسلم.

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك:

ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه). ([4])

---

1) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار صديق بن حسن بن علي القنوجي 222/1

الناشر: مكتبة عاطف ـ دار الأنصار – القاهرة الطبعة الأولى، 1398 - 1987 تحقيق: د. أحمد حجازي السقا

2) سورة الفرقان الآيات – 68الي 70.

3 - الكبائر 170/1

4 – المستدرك للحاكم برقم ج 1 ح [21] قال الذهبي في التلخيص: في الصحيحين نحوه للأعرج.

فقد جعل الحديث الإحسان الي الجار أحد أسباب دخول الجنة، مع كون الإنسان مصليا أو صائما أو قائما، أو محسنا أو فاعلا للخيرات لكن يبقي الإسلام متوقفا في حكمه الي أن تحسم القضية بمسألة خلق المسلم في التعامل مع الجار.

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

أولا :- أمر الإسلام أتباعه بحفظ حق الجار والعناية به وإعطائه حقه.

ثانيا : - التقصير في حق الجار يعوق بين المدعو ودخوله الجنة.

ثالثا :- الآمان والراحة واجبة بين الجيران فلا ينبغي أن يكون الجوار متوجس خيفة من جاره

رابعا :- أن الله تعالي جعل للعباد حقوقا تكون سببا في رضي الله تعالي أو سخطه.

خامسا :- تشديد الله تعالي على حرمة العباد حتى لا يستهان بها ولو كانوا غير مسلمين.

سادسا :- علو ورفعة مكانة الجيران في الإسلام أن الجار يدخل جاره الجنة أو النار.

سابعا :- تنبيه المدعوين ولفت أنظارهم الي العناية بالآخرة ومصيرهم فيها.

ثامنا :- غرس دوافع الوحدة والمحبة والود بين المدعوين بما يقوي شوكتهم ويعزز مكانتهم.

ثانيا:- صفات لا أخلاقية تدخل النار:-

بين الإسلام الحنيف للإنسان ما يجب أن يفعله وما يجب أن ينتهي عنه ويجتنبه، ووضح له كل أمور دينه ودنياه، كي يكون علي بينة من أمره، فما يقرب من الجنة بينه وأمر باتباعه، وما يقرب من النار بينه وأمر باجتنابه.

ووجه خطابه للمدعوين في كل أمورهم وأحوالهم ونظم لهم علاقاتهم، فما تغافل عن صغيرة أو كبيرة، وما ترك كثيرا أو قيلا إلا وبينه ووضحه حتى لا يأخذ اتباعه علي غرة أو غفلة، وكما تحدثنا عن صفت أخلاقية تدخل الجنة ، كذلك بين لنا رسولنا صلي الله عليه وسلم صفات قد تكون سببا في دخول صاحبها النار، كي يعرف الإنسان أي الطريقين يختار ، فيكون بعد ذلك مستحقا لما يحل به من ثواب أو عقاب، وقد بين لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الصفات وقد اقتصرت علي جانبا منها :-

أ- الكذب عمدا علي رسول الله:-

إن من الجرائم الكبر التي تحدث ضلالا كبيرا أو خلالا عظيما في الدين، قضية الكذب علي رسول الله صلي الله عليه وسلم، فتلك المسألة تتعلق بالدين والتشريع، فليس الخطاب عن واحد من الأمة أو لفرد من عامة أفرادها، إنما القضية تتعلق بصاحب الرسالة صلي الله عليه وسلم، وإمام الدعاة، المبلغ عن رب العالمين، ومن ثم فالضلال فيها ضلال للأمة كلها فلا يعرف الإنسان نهاية خطورتها، فعمر الرسالة طويل وأتباع الإسلام كثير، إذن فلن يقف الضرر الي قيام الساعة، أو معرفة ما قيل من صدق أو كذب، فما سوي ذلك فالأمر جد خطير، والنتيجة جد سيئة، وعاقبتها كبيرة.

والكذب هو: مخالفة القول للواقع. وهو من أبشع العيوب والجرائم، ومصدر الآثام والشرور، وداعية المذلة والسقوط. لذلك حرمته الشريعة الإسلامية، ونعت على المتصفين به، وتوعدهم الله تعالي في القرآن الكريم:

قال تعالى: ((وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)) ([1])
وقال تعالى: ((وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ))([2])
وقال تعالى: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) [3]

من دوافع الكذب :-

إن كثرة ممارسة الكذب قد تحوله الي طبيعة وخلق فاحش في الإنسان يصعب معالجته، حتى انه ربما يغلب علي الطابع السلوكي للفرد فينقلب ويتبدل من حال الي حال، فإذا تكلم لا يبالي كيف يتكلم في بالصدق أو الكذب، فقد استحل الأمر واستهان به، وتعود عليه، لذلك قال بعض الحكماء: «من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه».

ومن أبشع صور الكذب وجرائمه الكذب علي رسول الله صلي وسلم، لتعلقه بالدين، ولوجوب السمع والطاعة له من جميع أفراد المسلمين، داعين ومدعوين، محدثين وناقلين ومستمعين، لأوامر رب العالمين، كلها فليس الأمر شخصي، أو فردي.

""وقد أمر النبي الأمة أن يبلغ عنه من شهد لمن غاب، ودعا للمبلغين بالدعاء المستجاب، فقال في الحديث الصحيح " بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقال أيضا في خطبته في حجة الوداع ألا ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع".....ولقد دعا بالنضرة لمن بلغ عنه صلي الله عليه وسلم فقال.....(نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له و رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله و الطاعة لذوي الأمر و لزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ([4])

وفي هذا دعاء منه لمن بلغ حديثه وإن لم يكن فقيها ودعاء لمن بلغه وإن كان المستمع أفقه من المبلغ لما أعطى المبلغون من النضرة..... وقد استجاب الله تعالي لدعاء نبيه صلي الله عليه وسلم فبيض وجوه العلماء ونورها بفضل ما هم عليه من العلم والتقوى والرضي بدين الله تعالي والعلم والتحمل في سبيله..... ولهذا قال سفيان بن عيينة لا تجد أحد من أهل الحديث إلا وفي وجهه نضرة لدعوة النبي.

ولم يزل أهل العلم في القديم والحديث يقدرون نقلة الحديث حتى قال الشافعي رضي الله عنه إذا رأيت رجلا من أهل الحديث فكأني رأيت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليهم وسلم وإنما قال الشافعي هذا لأنهم في مقام الصحابة من تبليغ حديث النبي وقال الشافعي أيضا أهل الحديث حفظوا فلهم علينا الفضل لأنهم حفظوا لنا "[5]

---

1 - سورة غافر الآية – 28

2 - سورة الجاثية الآية – 7

3 - سورة النحل الآية 105

4 - المستدرك للحاكم ك- العلم 162/1هذا حديث صحيح على شرط الشيخين قاعدة من قواعد أصحاب الروايات و لم يخرجاه فأما البخاري فقد روى في الجامع الصحيح عن نعيم بن حماد و هو أحد أئمة الإسلام و له أصل في حديث الزهري من غير حديث صالح بن كيسان فقد رواه محمد بن إسحاق بن يسار من أوجه صحيحة عن الزهري تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرطهما "

5 - مجموع الفتاوى 11/1

فاجتهدوا وتعبوا من أجل تبليغ الدين ونقله لمن بعدهم جيلا بعد جيل، وكم كانت معاناتهم من أجل جمع الحديث، وارتحالهم من بلد إلي بلد وقطع الشهور والأعوام من أجل سؤال عن حديث من أحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم، وتحريهم الدقة في الأخذ عن المحدثين، وتثبتهم لما نقل عن خاتم النبيين، حتى وصلوا إلينا هذا الدين كما جاء إمام الداعين الي الله.
فالكذب علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قد حرمه الله تعالي لاسيما فيما يتعلق بالرسول صلي الله عليه وسلم، كي تلزم الأمة الصدق في البلاغ والنقل عن رسول الله صلي الله عليه وسلم، لذا فقد حفظ الدين بحمد الله وفضله، ثم ببركة هؤلاء المبلغين فظل متماسكا متينا صادقا يسمعه الناس كأنما يسمعونه من فمه الشريف صلي الله عليه وسلم فهو كلامه وأقواله وأفعاله والتي لا تزال موصولة الي ما شاء الله..

عقوبة من كذب علي رسول الله:-

وللعلماء آراء في بيان حكم الكذب على رسول الله صلي الله عليه وسلم:-

"أحدهما : الأخذ بظاهرة في قتل من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم ومن هؤلاء من قال: يكفر بذلك قاله جماعة منهم أبو محمد الجويني حتى قال ابن عقيل عن شيخه أبي الفضل الهمداني: مبتدعة الإسلام و الكذابون و الوضّاعون للحديث أشد من الملحدين قصدوا إفساد الدين من خارج و هؤلاء قصدوا إفساده من داخل فهم كأهل بلد سعوا في فساد أحواله و الملحدون كالمحاصرين من خارج فالدخلاء يفتحون الحصن فهم شر على الإسلام من غير الملابسين له.
ووجه هذا القول أن الكذب عليه كذب على الله و لهذا قال: (إن كذبا علي ليس ككذب على أحدكم) [1] فإن ما أمر به الرسول فقد أمر الله به يجب اتباعه كوجوب اتباع أمر الله و ما أخبر به وجب تصديقه كما يجب تصديق ما أخبر الله به.....والكذب بالزيادة كالكذب بالنقصان سواء بسواء، فقد كمل الدين واستغني عن الزيادة والنقصان، والذي يعدل أو يغير أو يزيد أو ينقص من الدين شيئا هو يتعدى علي عظيم ليس له أن يقترب منه، فالمقام الأول لله ثم من بعده لرسوله صلي الله عليه وسلم، فماذا يكون هو بين مقام الألوهية ومقام النبوة، ولو فتح الأمر للناس يضيفون ما يشاءون، لأفسدوا الدين وما عرف له بداية من نهاية، لذا فالزيادة أو النقصان كلاهما حرام ومحض افتراء علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
و الزيادة في الدين كالنقص منه و لا فرق بين من يكذب بآية من القرآن أو يصنف كلاما و يزعم أنه سورة من القرآن عامدا لذلك
و أيضا فإن تعمد الكذب عليه استهزاء به و استخف لأنه يزعم أنه أمر بأشياء ليست مما أمر به بل و قد لا يجوز الأمر بها و هذه نسبة له إلى السفه أو أنه يخبر بأشياء باطلة و هذه نسبة له إلى الكذب و هو كفر صريح. " ([2])

---

1 - حديث المغيرة بن شعبة: أخرجه أحمد (245/4، رقم 18165)، والبخاري (434/1، رقم 1229)، ومسلم

(10/1، رقم 4).حديث سعيد بن زيد: أخرجه البزار (100/4، رقم 1276) وأبو يعلى (257/2، رقم 966)

قال الهيثمى (143/1): رواه البزار، وأبو يعلى، وله عند هما إسنادان أحدهما رجاله موثقون. والبغوى

(64/3، رقم 965)، والضياء (286/3، رقم 1087).

2 - ا لصارم المسلول 178/1 الكتاب: الصارم المسلول على شاتم الرسول أبي عمر أسامة بن عطايا بن عثمان العتيبي

لذا فقد شدد الدين وجرم ذلك الفعل الذي يتعدي علي تشريع الله تعالي وأحكام هذا الدين، والذي قد يؤدي الي إضلال أمم وعصور بأثرها، والتي قد تعتنق من الدين ما ليس منه، وتنسب لرسوله ما لم يقله، فعلته خطيرة وعقوبته في الدنيا كبيرة وعند الله عظيمة.
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك:
ما رواه الحاكم بسنده: -" عن يزيد بن حيان قال: شهدت زيد بن أرقم و بعث إليه عبيد الله بن زياد: فقال: ما أحاديث بلغني عنك تحدث بها عن النبي صلى الله عليه و سلم تزعم أن له حوضا في الجنة فقال: حدثنا ذاك رسول الله صلى الله عليه و سلم و وعدناه فقال: كذبت و لكنك شيخ قد خرفت قال: أما إنه سمعته أذناي من رسول الله صلى الله عليه و سلم يعني: و سمعته يقول:(من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) و ما كذبت على رسول الله صلى الله عليه و سلم" ([1]).
فقد جرم رسول الله صلي الله عليه وسلم وحرم الكذب علي شخصه الكريم، فالرسول كلامه تشريع وملة ودين، وكلامه حق ويقين، معصوم عن الكذب والخطأ في تبليغ الدعوة والدين فكيف، يستحل بعض الناس التجرؤ علي مقام خاتم النبيين وينسبون إليه ما لم يقله عن خالق السماوات والأراضين، إن الكذب علي رسول الله صلي الله عليه وسلم يفتح علي الناس باب فتنة وشر لا يعلم مداهما إلا رب العالمين، لذا فقد حرمه الإسلام في خطابه للعالمين، ووعده من اكبر الجرائم المعتبرة التي يحاسب عليها صاحبها بقوة وشدة دون أدني هوادة أو لين، لكنه أشد جرم وأقبح فعلا إذا تعلق بأمر التشريع والنبي والوحي والدين.

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-
أولا :- وجوب التمسك بما جاء عن رسول الله صلي الله عليه وسلم دون زيادة أو نقصان أو تغيير أو تبديل.
ثانيا :- تحري الدقة واخذ الحيطة في نقل الأخبار عن الرسول صلي الله عليه وسلم في كل ما جاء هنا علي وجه الإجمال.
ثالثا :- علي الدعية أن يكون عالما ممن يأخذ أخباره ويروي موضوعاته.
رابعا :- الذهاب إلي أهل العلم وسؤالهم عما عندهم من العلم.
خامسا :- السماع من النبي صلي الله عليه وسلم من أقوي الأدلة، ومن ألزم الأمور في تلقي الأخبار الواردة عنه صلي الله عليه وسلم.
سادسا :- حرمة التعدي على مقام النبوة بالقول أو الفعل، أو التحريف والتغيير والتبديل، أو الزيادة والنقصان وبيان شدة العقوبة علي نقل الأخبار الكاذبة عن النبي.
سابعا :- ذكر العقوبة الواضحة للكذب علي رسول الله صلي الله عليه وسلم مباشرة، وذلك ببيان أنها الكاذب علي النبي في النار دون وضع أي من الاحتمالات
ثامنا :- تأكيد النبي صلي الله عليه وسلم بأن الكذب عليه له خاصية في العذاب، والعقوبة وليس كأي كذب علي آحاد الأمة.
تاسعا :- النص الصريح علي العقوبة في الآخرة وبيان أن الكاذب علي النبي صلي الله عليه وسلم ينتظره مكانه في النار.

المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: دار ابن حزم - بيروت الطبعة الأولى،

1417 تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني , محمد كبير أحمد شودري عدد الأجزاء : 3

1 - المستدرك للحاكم النيسابوري ك الإيمان 149/1 برقم – 259.

عاشرا :- ضرورة توضيح الأمر من الداعية للمدعوين بالتزام الصدق في نقل الأخبار عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين عقوبة الكاذب التي بينها صلي الله عليه وسلم.
الحادي عشر: - ضرورة التنبيه علي مقام النبوة واحترامها وعدم المساس بها، وتحري الدقة في النقل عنها أو النسبة إليها.
ثالثا :- صفات تجلب كراهية الله تعالي للعبد السوء:-
ب- الفحش والتفحش:-
إن رضا الله تعالي والوصول الي محبته هما، غاية المدعو العاقل في هذه الحياة الدنيا، فهو يعمل لهما ويعيش من أجلهما، ربما أتعبته حتى أراحته، وربما أعيته حتى أسعدته، فقد يحرم من المال، لكنه لا يطلبه إلا من الحلال، قد يحرم من متع كثيرة في الحياة، لكنه لا يطلبها إلا من طريق يرضي الله تعالي، فإذا فاز العبد برضى الله تعالي فقد ساد وفاز، وان كانت الأخرى فقد خسر وخاب. قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إياكم و الفحش و التفحش فإن الله لا يحب الفاحش المتفحش و إياكم و الظلم فإنه هو الظلمات يوم القيامة و إياكم و الشح فإنه دعا من قبلكم فسفكوا دماءهم و دعا من قبلكم فقطعوا أرحامهم و دعا من قبلكم فاستحلوا حرماتهم ([1]).
فالمسلم لا يكون فاحشا ولا متفحشا " (فإن الله تعالى لا يحب الفحش) قال في النهاية هو كل ما يشتد قبحه من ذنوب ومعاصي، ويكثر وروده في الزنى وكل خصلة قبيحة فاحشة من الأقوال والأفعال (و التفحش) هو تكلف الفحش وتعمده
فالهيئة الردية والحالة الكثيفة داخلة أيضا تحت الفحش والتفحش وإن الله جميل يحب الجمال. ([2])
"قال في النهاية الفحش هو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنى وكل خصلة قبيحة من الأقوال والأفعال
وقيل الفاحشة الزنى وما يشتد قبحه من الذنوب وكل ما نهى الله عز وجل عنه، قوله (ما كان الفحش) أي ما اشتد قبحه من الكلام (إلا شانه) أي عيبه الفحش وقيل المراد بالفحش العنف. " ([3]).
فيدور الكلام عنهما حول كل معني للقول أو الفعل أو الهيئة والوصف، قبيح خارج عن الإطار العام المتعارف عليه شرعا، أو ارتكاب محرم، أو تعدي علي حرمة مال أو عرض، أو تلبس بمنكر.
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك:
ما رواه الحاكم بسنده عن قيس بن بشر ألتغلبي قال: كان أبي جليسا لأبي الدرداء رضي الله عنه بدمشق و بها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من الأنصار يقال له ابن الحنظلية و كان متوحدا قلما يجالس الناس إنما هو في صلاة فإذا انصرف فإنما هو تكبير و تسبيح و تهليل حتى يأتي أهله فمر بنا يوما و نحن عند أبي الدرداء فسلم فقال أبو الدرداء كلمة تنفعنا و لا تضرك فقال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنكم قادمون على إخوانكم فأحسنوا لباسكم و أصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس إن الله لا يحب الفحش و التفحش". ([4])
فقد كان الصحابة يتواصون بينهم بما يصلح بالهم ويهذب سلوكهم ويوافق دينهم، وكانوا في وصاياهم يأتمرون بما أمر به الشرع الحنيف في وحي أو حديث، في قول أو فعل أو هيئة.

---

1 - المستدرك للحاكم النيسابوري ك- الإيمان 56/1 ح 28تعليق الذهبي قي التلخيص: رواه الليث والنبيل عنه

2 - المستدرك للحاكم النيسابوري ك- اللباس 4/ 203 ح 7371، وعون المعبود 100/11 – عون شرح سنن أبى داود -- محمد آبادي – دار الكتب العلمية بيروت 1415) .

3 - تحفة الأحوذي 93/6- والحديث في لبخاري -

4 - 7529] ووافقه الذهبي في التلخيص: صحيح. هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

أولا :- ضرورة الالتزام بالسلوك القويم والبعد عن ما فحش من القول والفعل.

ثانيا :- ضرروة التواصي بالخير بين المدعوين بعضهم البعض.

ثالثا :- التزام الأوامر والنواهي وفق ما جاء في الدين دون إفراط أو تفريط.

رابعا :- حسن هيئة كل من الداعية والمدعو فهما من دواعي القبول والتآلف بينهم.

خامسا :- علي المسلم داع أو مدعو أن يكون مميز بخلقه وسيرته وهيئته بين الناس.

سادسا :- اختلاط الداعية بالمدعوين ومشاركته لهم ضرورة دعوية وفريضة أخلاقية.

سابعا :- فضل مجالسة العلماء والصالحين من العباد لمناقشة أمور الدين والدعوة إليه

ثامنا :- الذكر هو زاد الدعاة والمدعوين علي طريق الدعوة.

تاسعا :- علي المسلم تحري الدقة وسؤال الآخرين وطلب الوصية من الصالحين والمخلصين من عباد الله العالمين.

عاشرا :- حسن الهيئة والمنظر من الأمور المعتبرة في هذا الدين والتي ينال العبد بها حب الله رب العالمين.

الحادي عاشر :- علي المسلم أن يكون أمينا في دعوته صادقا في نقل وصيته مستدل فيها بما جاء عن القرآن أو السنة حتى تنال ثقة المدعوين ويتعاملون معها علي أنها قضية أساسية في الدين.

الثاني عشر: - قد ينال العبد حبا من الله تعالي أو ينال غضب وكراهية بسبب فعله وعمله إن خير فخير وان شرا فشر دون ظلما أو مجاملة لأحد علي حسب أحد مع اعتبار الرحمة الشاملة من الله للعباد.

المبحث الثالث

وصايا وتعاليم إسلامية تضبط الأخلاق من خلال المستدرك للحاكم النيسابوري.

ويتضمن المطالب التالية:-

المطلب الأول الوصايا:-

أولا:- الوصية بالاستقامة مع حسن الخلق.

من الوصايا الغالية التي كان كثيرا ما يؤكد عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم في توجيهه للصحابة الكرام الاستقامة وحسن الخلق، ذلك لأنها تجمع الخير كله، فمن حسن خلقه واستقام فقد أطاع الله سبحانه، وأحسن إلي العباد، لذا فقد كان رسول الله صلي عليه وسلم يوصي أصحابه وأحبابه بتلك الوصية "وكان معاذا رضي الله عنه من النبي بمنزلة عالية فإنه قال له يا معاذ والله إني لأحبك وكان يردفه وراءه وروى فيه أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام وأنه يحشر إمام العلماء برتوة أي بخطوة، ومن فضله أنه بعثه النبي مبلغا عنه داعيا ومفقها ومفتيا وحاكما إلى أهل اليمن

وكان يشبهه بإبراهيم الخليل عليه السلام وإبراهيم إمام الناس وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول إن معاذا كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين تشبيها له بإبراهيم

ثم إنه وصاه هذه الوصية..... استقم ولتحسن خلقك.....فعلم أنها جامعة وهى كذلك لمن عقلها)[1]

فالاستقامة طريق الخير والنجاح والقرب من الله وهي زاد الدعاة الي المدعوين، بها تنح الدعوة، ويتم القبول والتلاقي بين الطرفين، وبها يكون نيل الفوز والسعادة في الدارين، وصية مختصرة لكنها جامعة للخير، صغيرة في مبناها كبيرة في معناه، من إعجازه وبلاغته في القول صلي الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم، فالاستقامة علي الطاعة، استقامة علي الدين، استقامة في البيت في العمل في المعاملة..... ، وحسن الخلق شامل كذلك لكل نواحي الحياة، فإذا طبقت الوصية التي جمعت هاتتين الكلمتين لكان أثرها عظيم وثوابهما كبير.

---

1 - الفتاوى 10/ 658 – الإمام بن تيمية.

"وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له وتعطى من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدا فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقا) ([1]).
وقد كان صلي الله عليه وسلم كثيرا ما يوصي أصحابه بالاستقامة وحسن الخلق، لما لهما من أثر طيب في الدعوة والعلاقة بين الناس.
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك:
ما رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمر: أن معاذ بن جبل أراد سفرا فقال: يا رسول الله أوصني قال: أعبد الله و لا تشرك به شيئا قال: يا رسول الله زدني قال: إذا أسأت فأحسن قال : يا رسول الله زدني قال: استقم و لتحسن خلقك. ([2]).
وكان صلي الله عليه وسلم كثيرا ما يؤكد عليها مع الصحابة رضوان الله عليهم ، مما يؤكد أهمية هذا السلوك وأثره بين المسلمين ، ويؤكد أنه ليس عرضا أو طارئ , إنما مؤكد بوصية النبي الأمين.
وتأكيدا علي هذا المعني العظيم فقد أوصي رسول الله صلي الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه بحسن الخلق فقال
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك :
ما رواه الحاكم بسنده عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:(يا أبا ذر اتق الله حيث كنت و أتبع السيئة الحسنة تمحها و خالق الناس بخلق حسن) ([3])
فتلك وصية النبي صلي الله عليه وسلم لأبي ذر رضوان الله عليه مؤكد له فيها علي فعل الخير والسلوك المستقيم، والتخلق بكل خلق كريم .

ومن فقه الدعوة في الحديثين الشريفين :-

أولا :- علي الداعية تحري الدقة في اختيار من يرسله للدعوة وتبليغ رسالة الإسلام اقتضاء بما فعله رسول الله صلي الله عليه وسلم **فالحكيم يفهم ويبلغ بفكر مستقيم.**

ثانيا :- مكانة معاذ بن جبل رضي الله عنه واختياره لينشر الدعوة بين الناس.

ثالثا :- طلب الداعية المرسل للوصية والنزول علي طاعة من يرسله ليمثل الإسلام، وعدم التكبر والافتخار بما هو فيه.

رابعا :- الأساس الثابت والهام الذي يرتكز عليه الداعية في دعوة التمسك بالتوحيد والشهادة والإقرار بأن الله واحد وان محمد صلي الله عليه وسلم مرسل من عند الله.

خامسا :- ضرورة تجنب الداعية وبعده عن كل مظاهر الشرك.

سادسا :- طلب الداعية التزود من الوصية والاستفادة من معلمه.

سابعا :- علي الداعية الإكثار من فعل الطاعات وما يوصل إليها فهي سبب في تكفير الخطايا ومحوها.

---

1 - الزهد والورع والعبادة الإمام أحمد بن تيمية 86/1 مكتبة المنار الأردن – الطبعة الأولي – 1407 هـ تحقيق حماد سلامة، محمد عويصة.

2 - هذا حديث صحيح الإسناد من رواية البصريين و لم يخرجاه

3 - المستدرك الحاكم كتاب الإيمان 1/ 121 برقم – 177. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

ثامنا :- استقامة الداعية خير سبيل للنجاح والوصول الي رضي الله تعالي، واستقرار دعوته.
تاسعا :- حسن الخلق من أهم الأمور التي يطبقها الداعية ويدعو بها.
عاشرا :- طلب المدعو الوصية والتوجيه من الداعي مما يوضح مدي التواضع والتألف بين الطرفين.
الحادي عشر :– ضرروة الحرص علي مصلحة الدعوة بين الداعية والمدعو وإخلاص كل منهما لها.
الثاني عشر :- حسن اختيار الداعية المرسل للدعوة يوفر الكثير من الجهد.

حسن الخلق

(وجماع حسن الخلق أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.([1])
وقد جمع الله -عز وجل - ذلك في آية واحدة، وهي قوله -تعالى -:
{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } (الأعراف: 199).
ولئن كان حسن الخلق جميلًا من كل أحد فهو من المعلم أجمل وأجمل؛ فحري بالمعلم أن يتحلى بمكارم الأخلاق، وجدير به ألا يغفل ذلك من حسابه.
قال الزيات : ولعمري ما يؤتى المعلم إلا من إغفاله هذه الجهة؛ فالادعاء، والتظاهر، والكبرياء، والتفاخر، والبذاءة، والتنادر، والكذب، والتحيز، والكسل، والتدليس -آفات العلم، وبلايا المعلم.
وما استعبد النفس الشابة الحرة كالخلق الكريم، ولا يَسَّر تعليمها وتقويمها كالقدوة الحسنة، ناهيك بما يتبع ذلك من جمال الأحدوثة، واستفاضة الذكر وهما يزيدان في قدرة المعلم واعتباره، ويغنيان الطلاب الجدد عن اختباره .
- الأخلاق في الإسلام عبارة عن المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني ، والتي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على الوجه الأكمل والأتم ويتميز هذا النظام الإسلامي في الأخلاق بطابعين :
الأول : أنه ذو طابع إلهي ، بمعنى أنه مراد الله سبحانه وتعالى .
الثاني : أنه ذو طابع إنساني أي للإنسان مجهود ودخل في تحديد هذا النظام من الناحية العملية . وهذا النظام هو نظام العمل من أجل الحياة الخيرية ، وهو طراز السلوك وطريقة التعامل مع النفس والله والمجتمع .
وهو نظام يتكامل فيه الجانب النظري مع الجانب العملي منه ، وهو ليس جزء من النظام الإسلامي العام بل هو جوهر الإسلام ولبه وروحه السارية في جميع نواحيه : إذ النظام الإسلامي -على وجه العموم -مبني على مبادئه الخلقية في الأساس ، بل إن الأخلاق هي جوهر الرسالات السماوية على الإطلاق([2])

---

1 : انظر أدب الدنيا والدين ص243، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 10 / 658، ومدارج السالكين لابن القيم 2 / 294، والرياض الناضرة لابن سعدي ص68، وسوء الخلق مظاهره –أسبابه –علاجه للكاتب ص79 –80.

2 : في أصول الأدب للزيات ص124 –125.

(قال الشريف في التعريفات قيل حسن الخلق هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال المحمودة بسهولة وتيسر من غير حاجة إلى إعمال فكر وروية)[1]

(عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)"[2]"

(وقال ابن وكيع :

لاق بالبشر من لقيت من النا ... س وعاشر بأحسن الإنصاف

لا تخالف وإن أتوا بخلافٍ ... تستدم ودهم بترك الخلاف

وإذا خفت فرط غيظك فانهض ... مسرعاً عنهم إلى الانصراف

إنما الناس إن تأملت داءٌ ... ماله غير أن تداويه شافي)([3])

(حسن الخلق في السنة:-

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ قَالَ الْمُتَكَبِّرُونَ ([4])

.

من هنا فإن العقيدة الإسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا بمحاسن الأخلاق والمواطنة الصالحة متحققة في بساط شديدة إذا حسنت أخلاق الناس .

لا بذاءة في طريق .

والطريق آخذ حقه إماطة الأذى بأنواعه عنه .

الناس تتعامل في مودة ورفق وإيثار .

لا كسب حرام .

ولا نهب ولا سلب .

لا غش في الحياة اليومية .

الجار يعرف حق جاره ويذكر عن رسول الله التوصية المتكررة من جبريل عليه السلام عن الجار حتى ظن رسولنا الكريم أن الحق تبارك وتعالى سيورثه . .

المرؤوس يجل رئيسه .

---

1 : سبل السلام - (4 / 152) مد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : 1182هـ) الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي الطبعة : الرابعة 1379هـ/ 1960م

2 : شرح النووي على مسلم - (8 / 343) المستدرك على الصحيحين للحاكم - (5 / 276)

3 : بهجة المجالس وأنس المجالس - لابن عبد البر (1 / 130)

4 – سنن الترمزي باب ماجاء في معالي ألأخلاق **309/7** . قَالَ أَبُو عِيسَى وَفِي الْبَاب عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ الْمُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ وَهَذَا أَصَحُّ وَالثَّرْثَارُ هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ

والرئيس يعطف على المرؤوس ويرحم ولا يخلط بين الحزم والرحمة ، هذه هي المواطنة الصالحة !
بقي أن نقف قليلا عند بعض الأخلاق الفاضلة إجلالا لشأنها وتأكيدا لقيمتها في إعداد المواطن الصالح الغيور على دينه وعلى سلامة وطنه ومواطنيه)"[1]"
ظهر في هذا الحديث أن حسن الخلق من الصفات العظيمة التي ينبغي للداعية أن يتصف بها؛ ولهذا الخلق قال جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ولا رآني إلا تبسم في وجهي" قال الإمام القرطبي رحمه الله: "هذا منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرح به، وبشاشة للقائه، وإعجاب برؤيته؛ فإنه من كملة الرجال: خَلْقًا وَخُلُقًا" (2) وقال النووي رحمه الله : "وفعل ذلك إكرامًا، ولطفًا، وبشاشةً، ففيه استحباب هذا اللطف للوارد، وفيه فضيلة ظاهرة لجرير " (3) وقال العلامة العيني رحمه الله: "فيه أن لقاء الناس بالتبسم، وطلاقة الوجه من أخلاق النبوة، وهو مناف للتكبر، وجالب للمودة". (4) وهذا يؤكد على الداعية التزامه بحسن الخلق .
(قيل للحسن البصري : ما حُسْن الخلق ؟ قال : بَذْل النَّدَى، وكَفُّ الأذى، وطلاقة الوجه . فكف الأذى جزء من حسن الخلق .)
قَالَ اللهُ تَعَالَى : ? وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ? [القلم (4)] .
حسن الخلق : بسط الوجه وبذل المعروف ، وكفُّ الأذى . وقال علي : الخلق العظيم آداب القرآن . وقال - صلى الله عليه وسلم - : « بُعثت لأُتمِّم مكارم الأخلاق » .
وقال تَعَالَى : (وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) آل عمران (134)] الآية .
أي : إذا ثار بهم الغيظ كظموه وعفوا عمَّن أساء إليهم .
قال الثوري : الإحسان أن تُحسن إلى المسيء .
وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ثلاث أُقسم عليهنَّ : ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدًا بعفوا إلا عِزًّا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه » . وعن أنس - رضي الله عنه - قال : كَانَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَحْسَنَ النَّاس خُلُقاً . متفقٌ عَلَيْهِ

---

1 : متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار –سليمان بن عبد الرحمن الحقيل الطبعة: الأولى الناشر : – تاريخ النشر : 1418هـ – 1997م (1 / 136)

2 : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لشيخُ الفقيهُ الإمام ، العالمُ العامل ، المحدِّثُ الحافظ ، بقيَّةُ السلف ، أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ الشيخِ المرحومِ الفقيهِ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ، رحمه الله وغَفَر له 6 / 403

3 : شرح النووي على صحيح مسلم، 16 / 268

4 : عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين العيني الحنفي، 14 / 280، وانظر: شرح الكرماني على صحيح البخاري، 15 /59

(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ([1]) .
أكثر الأحاديث التي تقدمت تتعلق بالإسلام وأصوله، وهذا الحديث يتعلق بمكارم الأخلاق، ومكارم الأخلاق من صلب الشريعة الإسلامية، بل سر الشرائع كلها، كما أخبر صلى الله عليه وسلم أن الرسالة كلها، والبعثة بأكملها؛ من أجل مكارم الأخلاق، فقال صلى الله عليه وسلم: (إنما) وإنما أداة حصر، (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)،
إذاً: حسن الخلق هو البر، والبر هو كل الخصال الكريمة التي قد تكون أصولاً أو فروعاً.)([2])
ومن فقه الدعوة في الحديث :-
- حسن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم.
- فضل حسن الخلق ومنزلته وأنه أثقل شيء في ميزان المسلم يوم القيامة.
- أن حسن الخلق من أكثر الأعمال التي تدخل الجنة وترفع الدرجات.
- أن حسن خلق المسلم دليل على كمال إيمانه.
(وقال العتّابي يذم رجلا :
فكم نعمةٍ آتاكها الله جزلة ... مترّأةً من كل خلق يذيمها
فسلطت أخلاقاً عليها دميمةً ... تعاورنها حتى تفرّى أديمها
وكنت امرءًا لو شئت أن تبلغ المدى ... بلغت بأدنى نعمةٍ تستديمها
ولكن فطام النفس أثقل محملا ... من الصّخرة الصّماء حين ترومها)([3])

ثانيا :- الوصية بالسمع والطاعة:-

فقد أمر الله تعالي بالوحدة بين المسلمين والتماسك بينهم، وفرض الله سبحانه وتعالي السمع والطاعة علي المسلمين لله ولرسوله ومن بعدهم لولاة الأمر منهم، والنزول علي أمر قائد هم ومن ملك الأمر عليهم، والعمل حسب توجيهه وأوامره، فله حقوق وعليه مسئوليات قد فرضها الله تعالي عليه، هو محاسب ومسئول أمام الله تعالي، وكما انه يتحمل المسئولية عن الصغير والكبر والقاص والداني والإنسان وكل ما هو واقع تحت يده وسلطانه ودولته، وقد أوجب الله تعالي علي الأتباع السمع والطاعة لله، حتى لا يخرج كل واحد برأي يمزق الصف ويفرق وحدة جماعة المسلمين وينشر الفوضى بين المدعوين، فلا بد للسفيه حتى تيسر من أن يكون لها قائد واحد يوجهها ويسيرها حسب خطته ورأيه، فالمجتمع الإسلامي مجتمع راق منظم ينزل تحت أمر الله تعالي ورسوله، ثم أمر من ولاهم الله علي المسلمين، فالطاعة لهم واجبة بأمر الله "وأولوا الأمر من أهل العلم وأهل الإمارة إنما تجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله قال في الحديث الصحيح على المرء المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه ما لم يؤمر بمعصية الله فإذا أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" ([4])

---

1 : المستدرك على الصحيحين للحاكم - (18 / 147)

2 : شرح الأربعين النووية الشيخ عطية سالم - (39 / 3)

3 : بهجة المجالس وأنس المجالس - (1 / 130)

4 - الفتاوى -- 1/ 316.

وعلي المسلم أن يكون فطنا فقيها علما بأمور بدينه، فليس الأمر مجرد سمع وطاعة عمياوان، لا تفكير فيهما ولا رأي، بل إن رسول الله صلي الله عليه وسلم كما كلف المدعوين بالسمع والطاعة كلفهم كذلك بفهم ما يطيعون فيه وما يبتعدون عنه، ففي الدين ما يطاع فيه وفيه كذلك ما يعصى فيه وما يجب الابتعاد عنه والتبرؤ منه فالسمع والطاعة المطلقة لله ولرسوله، أما طاعة أولى الأمر ففيها قيد ولها ضابط وهذا ما لمح به القرآن الكريم في سورة النساء في قول الله تعالي ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) ([1])

وقد عني القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بقضية السمع والطاعة فهي لله وللرسول وللأولي الأمر، فولي الأمر الذي يوصل الخير والطاعة لله، والي طريق الله المستقيم، الذي يقضي بما أمر الله تعالي، يحل ما احل الله ويحرم ما حرم الله، ذلك هو أمر الله بطاعته، فالطاعة هنا لم تخرج عن الإطار الشرعي الذي وضعت له، فهاهنا الطاعة مفروضة من الله من فعلها أطاع الله ومن تركها عصي الله، وقد أوصى الإسلام أن تكون الطاعة في حدود ما شرع الله وأمر، وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لكن العلماء بينوا ضرورة ملازمة جماعة المسلمين والصبر علي الأذى وتحمل المكاره والبعد عن دواعي الفتنة التي تضر بولي الأمر وتفرق الجماعة وتشتت الشمل، وان كان هناك جور أو ظلم، فالصبر عليه أولى من الخروج عليه وفتح باب من الفتنة لا يعلم مداها إلا الله تعالي.(دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه أئمة الأمة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا.
وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال لا طاعة لمخلوق في معصية الله إنما الطاعة في المعروف وأن أصبر على جور الأئمة وأن لا أخرج عليهم في فتنة لما في الصحيح عن ابن عباس قال، قال رسول الله من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات فميتته جاهلية..... فقد أمر الإسلام واجب الطاعة ليس حرصا منه علي مصلحة شخصية للأمر، أو محاباة من الإسلام له وظلما للأتباع، كلا، وإنما هو حرص الإسلام علي وحدة الصف وتماسك الجماعة ومصلحة الأمة، حتى لاتتخطف من حولها..... ([2])
فالذين يسعون الي الخروج عن طاعة أولي الأمر والتمرد عليه، إنما يتعدون علي حدود الله تعالي وأوامره، ولن تجني الأمة من وراء ذلك خيرا.
فترتيب الإسلام لذلك لأمر الطاعة والعمل بها غاية في الدقة يحث يجعله من الواجبات التي يحاسب عليه المرء في الدنيا والآخرة، وان الإنسان بدونها ليس علي شيء، وأنها تقع ضمن المسئولية الدينية التي الزم الله تعالي بها المسلمين.
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك:
ما رواه الحكم بسنده عن العرباض بن سارية قال:(صلى لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة الصبح ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب و ذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله و السمع و الطاعة و إن أمر عليكم عبد حبشي فإنه

---

1 - سورة النساء الآية – 59.

2 - المصدر السابق – 250/3 بتصرف.

من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) ([1]) .
فقد كان صلي الله عليه وسلم يتعهد الصاحبة الكرام بالموعظة والنصيحة والتوجيه، وفي تلك الوصية الجامعة للخير يؤكد صلي الله عليه وسلم علي ضرورة الطاعة لأولي الأمر، والتمسك كذلك بكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم، وان الفتن ستأتي علي الأمة من بعده وانه لا سبيل للنجاة الا الطاعة و بالدين.

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

أولا :- تعهد الداعية للمدعوين بالنصح والتوجيه وإلزامهم بالفرائض والضرورات والواجبات.

ثانيا :- وجوب استماع المدعوين لنصيحة الداعية والإنصات إليها والعمل بها.

ثالثا :- حسن اختيار الداعية لأفضل الأوقات التي يوجه فيها النصح ويلقي فيها الموعظة

رابعا :- بركة هذا البكور وكثرة الخير فيه وحسن اغتنامه للدين.

خامسا :- إخلاص الدعية لله وصدقه في دعوته سبب مؤثر في نفوس المدعوين.

سادسا :- الدموع الصادقة من المدعوين علامات صدق علي قبولهم للنصيحة واقتناعهم بها

سابعا :- حرص الداعية علي جمع المدعوين وجعلهم أمة واحدة بعيدة عن التمزق والتفرق

ثامنا :- الإسلام لا يلتفت الي المظاهر في اللون أو الطول والقصر أو السمنة والنحافة.

تاسعا :- من واجبات الداعية تحذير المدعوين من الوقوع في الشر.

عاشرا :- علي الداعية وضع العلاج المناسب كذلك فلا يقتصر الأمر علي بيان المشكلة والتحذير من الوقوع فيها.

الحادي عشر: - وضع الحلول المسبقة قبل وقوع الجريمة أو حدوث المشكلة، أو عمل دراسة مستقبلية للخروج من الأزمة قبل وقوعها، أو ما يسمي بالعلاج الوقائي واخذ الحيطة والحذر.

الثاني عشر :- الدور الهام للدعاة والكبير للدعاة في توجيه النصيحة للأمة المسلمين.

الثالث عشر: - دور الدعاة في القضاء علي الفتن والأخطار التي تواجه مجتمع المسلمين.

ثالثا :- الوصية بعدم قتل النساء والذرية في الجهاد:-

إن العقل الإسلامي والميزان الأخلاقي الذي تعامل الإسلام بها مع البشرية لم يغب لحظة من الدهر، وإنما كان له حضوره وأفكاره التي عمت البشرية جمعاء ، وقد كان الإسلام حاضرا بخلقه بين الجنود في المعارك يوجههم ويرشدهم ، ويرسم لهم طريقه ،ويثبت لهم عقلهم ، ويصحح لهم مسارهم بما أراد الله تعالي وبما بين رسوله صلي الله عليه وسلم ، لذا فقد ميز الإسلام وقت المعركة يصعب فيها السيطرة وضبط النفس ووزن ،لك المعارك التي لا يعرف فيها أحد أحدا ، ميز الإسلام بين الناس ، ولم يعاملهم معاملة واحدة ، فنظر الي مشاركتهم وعدم ومشاركتهم، ونظر كذلك الي أعمارهم فترفق بصغيرهم وعطف علي كبيرهم ، ونظر كذلك الي رجالهم ونسائهم فميز وحدد وفصل في الأمر دون ادني شطط أو انحراف أو تجاوز أو ظلم .

ولقد كان نهي النبي صلي الله عليه وسلم صريحا واضحا، حينما أوصى في الحروب بعدم قتل النساء، كما أنه لا شك أن الحرب يصعب فيها ميزان الأمور بماء الذهب، لذا فقد كانت هناك بعض التجاوزات من البعض، لكن عدل النبي عليه الصلاة والسلام ومراقبته ويقظته كانت تصحح وتبين

---

1 -المستدرك النسيابوري ك العلم 1/ 174 برقم 1746] ووافقه الذهبي في التلخيص: علي شرط مسلم.

دوما الحرام والحلال للجند، وقد عاتب من تجاوزك وخالف أوامره ولم يكن هناك مبررا في المعركة لوقوع المخالفة لكان الأمر له موقفه وعقوبته مع من خالف أمر الرسول صلي الله عليه وسلم.فالنساء في حكم وشرعه لا يقتلن إذا لم يشتركن في المعركة والقتال ضد المسلمين، ولهن معاملتهن الخاصة التي قننها الإسلام وحدد مسارها وبينها سلوكها وأخلاقها وحددها بحدود لا يمكن التجاوز عنها أو الغلو من المحاربين. فقتل المرأة لا يجوز إلا أن تقاتل لأنه صلى الله عليه و سلم رأى امرأة في بعض مغازيه مقتولة فقال: (ما كانت هذه لتقاتل) و نهى عن قتل النساء و الصبيان:

((أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)) (1)

فأباح للمؤمنين القتال دفعا عن نفوسهم و عقوبة لمن أخرجهم من ديارهم و منعهم من توحيد الله و عبادته و ليس للنساء في ذلك حظ." (2)

إن الحرب في الإسلام ليست عشوائية أو إبادية تخرب البلاد وتأكل الأخضر واليابس، وليست الغاية فيها تبرر الوسيلة، إنما شرعت لنصرة حق ورد باطل، ودفع ظلم، وتأمين دين رب العالمين "إنما الحرب المشروعة ما كانت إلا لغايتين اثنتين:-

الأولي - دفاع عن عقيدة الأمة وأخلاقها.

الثانية - ودفاع عن حرية الشعب واستقلاله وسلامته...." (3)

فالإسلام لا يرضي لأتباعه بالذلة و المهانة والقهر والاستكانة، ولا أن يكونوا غنيمة لأعدائهم، يتحكمون فيهم كيفما شاءوا، لذا فقد فرض الله تعالي الجهاد علي الأمة كي تحافظ علي كرامتها ودينها وشرفها وحريتها وتنال استقلالها.

وجعل الله تعالي ذلك مضبوط بتعاليم وشرائع، لا يحق لمسلم أن يحيد عنها أو يخالفها، ولا أن يضع هو لنفسه قانونا خاصا يخدم أهدافه ومصالحه ويمكنه من السيطرة وظلم الآخرين، إنما جعلها الله في سبيل الله بما أراد الله، وفق تعاليم دينية مقدسة تنظم وتضبط ذلك جيدا.

وقد كانت الوصايا الأخلاقية العالية في رفع مقاماتها تنطلق من كلام النبي الكريم صلي الله عليه وسلم فلم ينس في أي من الحروب أن يذّكر الجند بعهد الله تعالي وميثاقه ودينه وشريعته، فكان دائما يوصيهم أن يفعلوا الخير، وان يترفقوا بالناس، وأن يميزوا بين المحارب وبين غيره ممن لم يشارك في المعركة من أفراد المجتمع، وميز الإسلام في المعركة بين الشيخ الكبير والشاب المقاتل والصبي الصغير، ولم يأمر الإسلام بقتل النساء اللآتي لم تشاركن في القتال بل جعل للنساء أحكامهن الخاصة التي تفيض عليهن بالرحمة والرفق، و ميز الإسلام بين المرأة والرجل، وأن يحافظوا علي البلاد بلا خراب ولا دمار، وصايا إسلامية شاملة تضمنت حفظ وصيانة كل مظاهر الحياة.

يقول الدكتور مصطفي السباعي :- "فإذا قامت الحرب كان علينا أن لا ننسي مبادئنا فنقسو ونفسد ونظلم وننشر الخراب والدمار.. كلا... فالحرب الإنسانية الخالصة لله يجب أن تظل إنسانية في وسائلها وعند اشتداد وطيسها، من هنا جاءت الوصايا التي لم تسبق لها في التاريخ " لا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في

---

1 - الحج الآية 29.

2 - الصارم المسلول 1/ 104.

3 - من روائع حضارتنا – ص 140

الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له " من وصية أبى بكر لجيش أسامة.هذه هي مبادئ الحرب في حضارتنا، وتلك هي أخلاقنا الحربية: عدل ورحمة ووفاء " ([1]).

قال الله تعالي في خطابه لعباده المؤمنين:- ((قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) ([2])

وفي بيان منهج النبي الكريم الذي أمر الله تعالي المؤمنين باتباعه، بين الله تعالي إيمان النبي واتباعه بالأنبياء السابقين وما أوحاه الله إليهم، فقال الله تعالي ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) ([3])

ولقد طبق النبي صلي الله عليه وسلم الأمر كاملا دون أدني نقصان أو إخلال, فعفي عمن أساء إليه، ممن أذوه وحاربوه وأخرجوه، أمور ليست بالهينة ما كانت لتنسي فقد نالت من النفس والأهل والمال والعيال، فرقت الجماعات وحاربت العبادات التي جاءت من خالق الأرض والسماوات، وشتت شمل المسلمين، وخربت ديارهم وقطعت أوصالهم، مرات ومرات، يصعب علي النفس أن تعفو وتصفح وعلي العقل أن ينسي، عشرات السنين ما تفتأ قريش أن تدبر كيدا إلا والثاني لاحق به، مؤامرات من القتل، وعرض الديات والمغريات والمساومات حتى يسهل علي الأمر انقضاؤه، لكن الله تعالي سلم ورد عليهم كيدهم ، ثم لم فتح الله تعالي للنبي صلي الله ، عفي عن قوة واقتدار وليس العفو عن عجز وضعف كالعفو عن قوة واقتدار ، وقد سار الأمر منهجا للإسلام تعامل به مع الأحباب والأعداء ، .

يقول الدكتور مصطفي السباعي:

" فلننظر في الواقع التطبيقي لهذه المبادئ... ولنبدأ قبل كل شيء برسول الله صلي الله عليه وسلم فهو رائد حضارتنا وواضع أسسها وشريعتها وهو التعبير الصادق عن أخلاقها وأهدافها ورسالتها.. رأي في بعض حروبه امرأة من الأعداء مقتولة، فغضب وأنكر وقال: ألم أنهكم عن قتل النساء ؟ ما كانت هذه لتقاتل. هذا هو رسول الله المحارب يطبق مبادئه الإنسانية وهو يخوض الغمار ويقود الكتائب. ولما فتح مكة ودخلها الرسول ظافرا علي رأس عشرة آلاف من أبطاله وجنوده، واستسلمت قريش، ووقفت تحت قدميه علي باب الكعبة تنظر حكم الرسول عليها بعد أن قاومته إحدى وعشرين سنة.. ما زاد صلي الله عليه وسلم علي أن قال: يا معشر قريش: ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم، فقال اليوم أقول لكم ما قال أخي يوسف من قبل: لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو ارحم الرحمين. اذهبوا فأنتم الطلقاء.. إنه أيها الناس محمد الرسول معلم الإنسانية الخير، لا القائد السفاح الذي يسعى لمجده فتسكره نشوة النصر." ([4])

وقد كانت كذلك سيرة الصحابة بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم فما غيروا وما بدلوا أمر ربهم و منهج نبيهم، ففي حروبهم وسلهم، وفي وفتوحاتهم التزموا الأخلاق الكريمة والمعاملة السوية مع

---

1 - من روائع حضارتنا – ص 141.

2 - سورة البقرة الآية – 136

3 - سورة البقرة الآية -- 285

4 - من روائع حضارتنا – ص 142.

أعدائهم حتى أذهل سلوكهم أعداء الإسلام، وكان الأمر سببا في بزوغ فجر جديد علي البشرية جمعاء.

ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:

ما رواه الحاكم بسنده عن المرقع بن صيفي بن رباح أخي حنظلة الكاتب: أن جده رباحا أخبره أن رسول الله صلى الله عليه و سلم غزا غزوة كان على مقدمته فيها خالد بن الوليد فمر رباح و أصحابه على امرأة مقتولة مما أصاب المقدمة فوقفوا عليها تعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ففرجوا له حتى نظر إليها فقال: ما كانت هذه تقاتل ثم نظر في وجوه القوم فقال لأحدهم: الحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية و لا عسيفا) (1) فقد كان النهي صريحا في كلام الرسول صلي الله عليه وسلم في إنكار ما وقع من بعض المقاتلين وبين فيه النبي صلي الله عليه وسلم، قواعد الإسلام وإحكام الدين مع المقاتلين.

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

مسؤولية الداعي لما يصدر عن المدعوين، بيان الحق للمدعوين ومنعهم من أي تجاوز أو ظلم مع سائرين الناس، وإقامة الدعاية للعدل والحق تحت آية ظروف أو ملابسات أو أمور طارئة، شرف الهدف العسكري في الإسلام وحسن غايته وعدل وسائله، ومحاسبة المخطئ أين كان وعدم استثناء واحد من القاعدة حتى لا تعم الفوضى ويستفحل الخطر، وان قائد الجيش في الإسلام يجب أن يدير معركته من مباشرته لأخبارها ومن خلال توجيهاته للجند وتصحيح الخطأ فور وقوعه، ورحمة الإسلام بالنساء وتحريم دمائهم حتى في المعركة، شريطة أن لا يقاتلوا، وضرورة مباشر ولي الأمر لمن دونه في القرار حتى يعلم المفسد ومن المصلح والطائع من العاصي، و مسئوليته عن أعمال تابعيه، وضرورة تصحيح الخطأ فور وقوعه، وإقرار الإسلام في دعوته لحرية الأديان السماوية وحسن معاملة أهل الكتاب، والناس شركاء في الإنسانية وان اختلفوا في الدين ويجب الرفق في تبليغ الدعوة إليهم، بيان أن للحرب هدفها في الدين، ولها ضابط وميزان عدل بينه الوحي الكريم وخاتم النبيي

<u>رابعا:- الوصية بعدم التفريق في السبي بين الأقارب:</u>

من حسن أخلاق الإسلام ورحمته وعاطفته مع أعدائه في وقت حربهم وفي سلمهم، أنه أوصى كذلك بعدم التفريق بين الأخوين، فأحترم مشاعر الأخوة بين الناس، فلم تغب عن الإسلام هذه الأخلاق الطيبة، رغم أنهم أسري حرب، أو ربما أنهم سبوا فأصبحوا أرقاء عبيد لا قيمة لهم بعرف بعض الناس، لكن الإسلام وان كانوا عبيدا نظر إليهم علي إنهم بشر فحفظ لهم مكانتهم البشرية، ومشاعرهم الإنسانية، واحترم رغباتهم القلبية وميولهم العاطفية والنفسية والروحية، فربما فارق الأخ أخاه، الي غير رجعة فهو رقيق ليس من حقه أن يسأل أو يعترض، أو يطلب تعديل القرار فإذا ذهب أخوه فأين يلقاه، وكيف يقابله ومتي سيكون اللقاء، لذا فقد احترام الإسلام ووضع في اعتباره كل هذه الحسابات، وحفظ لهم حقوقهم و أمر بالإحسان إليهم والتعاطف معهم وعدم التفريق بينهما في السبي.

عن عبد الله ابن فروخ عن أبيه أنه قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب لا تفرقوا بين الأخوين ولا بين الأم وولدها في البيع وقال سفيان مرة: كتب إلى نافع بن عبد الحارث بذلك" (2)

---

1 - المستدرك برقم (2612] ووافقه الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم وقال: ورواه ابن جريح وغيره عن أبى الزناد و هكذا رواه المغيرة بن عبد الرحمن و ابن جريح عن أبي الزناد فصار الحديث صحيحا على شرط الشيخين و لم يخرجاه

2 - سنن سعيد بن منصور 247/2

وقد ضرب قادة المسلمين كذلك أروع الأمثلة وأفضل النماذج في تطبيق ذلك السلوك القويم، وتطبيق كل ما من شأنه الرحمة والإحسان الي الأخوة في السبي "إن قصة صلاح الدين مع الغربيين في الحروب الصليبية تشبه الأساطير. ولولا أن الغربيين أنفسهم لا يكاد ينتهي عجبهم من نبل هذا البطل الخالد وسمو أخلاقه، لكان مجال لاتهام مؤرخينا بالمبالغة، والغربيون أنفسهم هم الذين يذكرون عن صلاح الدين أنه بلغه مرض ريتشارد قلب الأسد – أكبر قواد الحملات الصليبية وأشجعهم – فأرسل إليه صلاح الدين طبيبه الخاص، يحمل إليه العلاج والفاكهة، التي لا يمكن أن يحصل عليها ذلك القائد الصليبي. هذا والحرب بينهم مستعرة، وجيشاهما في صراع !وهم الذين يذكرون أن امرأة غربية ألقت بنفسها علي خيمة صلاح الدين تبكي وتولول وتشكوا إليه أن اثنين من جنود جيشه خطفوا ولدها، فبكي صلاح الدين وأرسل من يفتش عن الولد حتى وجدوه وسلم إليها. وأرسلت بحراسة الجيش إلى معسكرها آمنة مطمئنة، فماذا يقول قائل بعد هذا ؟ " ([1]) . فأي خلق كريم غير خلق الإسلام الحنيف يسمع الي صوت مثل هذه المرأة، فتطلب وترفع شكوها، فتلقي القبول والتنفيذ، وحل ما كانت تعاني منه،

ومما ورد فى أحاديث المستدرك فى هذا الشأن:

تأكيد النبي صلي الله عليه وسلم علي ذلك في كثير من الحالات منها ما يتعلق بالأم وولدها ومن منها كذلك ما يتعلق بالأخوين:-

عن علي رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أبيع أخوين من السبي0 فبعتهما ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته ببيعهما فقال: فرقت بينهما قلت: نعم قال: فارتجعهما ثم بعهما و لا تفرق بينهما ([2]).

فمشاعر الأخوة لا أصيلة في النفس، غرسها الله تعالي في نفس المخلوقين، مشاعر لا يكمن تجاهلها، ولا يمكن إنكارها والحيد عنها الا إذا أراد الإنسان أن يتجاهل الحق وينكر العدل ويحد عن الحق ويقيم الظلم والجوار، وقد احترام الإسلام ذلك واقره ووضعه في نظامه وحساباته، مع انه ليس للعبد المملوك أن يسأل ولا للرقيق أن يعترض، ولا لمشاعر في تلك الظروف أن تقدر وتحترم، انه وقت التشفي والانتقام، وقت الذلة والمهانة والطغيان، لكن الإسلام لا يعرف كل هذا الهوان للإنسان فالناس لهم حقوق يحصلون عليه في وقت النصرة أو الانهزام

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

أولا :- حسن أخلاق النبي صلي الله عليه وسلم وكرمه مع أعدائه وعفوه عن الصغير والكبير، وشعوره بالحر الرقيق علي السواء.

ثانيا : - سؤاله واطمئنانه علي حال السبي وكيف تم البيع.

ثالثا :- مراعاة القرابة بين الناس واحترامها وعدم استغلالها للضغط الي الناس أو زيادة آلامهم وعذابهم، فلن ينفعنا تعبهم وضررهم.

رابعا :- رده صلي الله عليه وسلم لبيع علي لهذين الغلامين لما فيه من الضرر وعلي الداعية معالجة ما يقع فورا من المدعوين والأتباع.

خامسا :- علي الداعية مراعاة الشعور الإنساني والروحي والعاطفي بين الناس وان لم يكون من علية القوم.

---

1 - من روائع حضارتنا – 151

2 - المستدرك برقم [2621] ووافقه الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه و له إسناد آخر عن الحكم بن قتيبة صحيح أيضا على شرطهما.

سادسا :- عدم التباطؤ في تصحيح الخطأ حتى لا تعم الفوضى ويستقر الظلم ويقهر الناس وتزداد معاناتهم والآمهم.
سابعا :- بين الطريق الصحيح في التصرف وعدم الاكتفاء بالنقض وإنكار الخطأ فقط بل الأهم منه وضع العلاج والحل المناسب.
ثامنا :- سبق الإسلام لكل القانون التي نادت باحترام حقوق الأسري.
تاسعا :- نبذ الإسلام للظلم في السلم والحرب.
عاشرا :- مسئولية القائد عن أخطاء جنده وضرورة تصحيحها علي الفور.
الحادي عشر :- فعل الخير وعدم تحقير الناس ولو عبيدا مملوكين.
وليست هذه هي الصورة الوحيدة في تلك القضية بل إن الأمر له أشكاله المتعددة الكثيرة التي يستدل بها علي صدق ما جاء في هذا الأمر وبيان انه من خلق أصيل في الإسلام، جميع فيه الإسلام بين كل الصور والأشكال.
ومما ورد أيضا فى هذا الشأن ما رواه الحاكم فى المستدرك
عن جعفر ابن محمد عن أبيه: أن أبا أسيد الأنصاري قدم بسبي من البحرين فصفوا فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم فنظر عليهم فإذا امرأة تبكي فقال: ما يبكيك ؟ فقالت: بيع ابني في بني عبس فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبي أسيد: لتركبن فلتجئين به فركب أبو أسيد فجاء به ([1]).
فقد رحم النبي صلي الله عليه وسلم دموع الأم وولعها علي ولدها، أمر النبي صلي الله عليه وسلم علي الفور أن يرد ولدها إليها ولا تترك هكذا للحسرة والندامة والبكاء علي فراق ولدها
فأي أخلاق تلك التي جاء بها الإسلام، فحين تجد أصحاب الحضارات المزعومة، خطفوا أطفال من أحضان آبائهم و أمهاتهم، فعمرو بهم بلادهم واحرقوا قلوب عليهم آبائهم وأمهاتهم، بل وادهي من ذلك كما قتلوا علي مرئي، فيا للإسلام من خلق كريم.
أما الإسلام فتلك أخباره ناطقة شاهدة عليه، تبين كل يوم عدل هذا الدين وصدق ما جاء به، وبيان انه من عند خالق السماوات والأرض، الذي نظم هذا الكون ووضع له أسسه وأخلاقه فقد جاء عن البني صلي الله عليه وسلم انه نهي عليا كذلك عن التفريق بين الأم وولدها، وأمره برد البيع وعدم التفريق بينهما، مراعاة منه لنوازع الفطرة ومشاعر الأمومة، وإقامة مشاعر البناء لا الحقد والهدم.
ومما ورد أيضا فى هذا الشأن ما رواه الحاكم فى المستدرك:
عن علي رضي الله عنه: أنه فرق بين جارية و ولدها فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ورد البيع. ([2])
هذه إطلالة علي أخلاق الإسلام وتشريعاته وأوامره لأتباعه في سلمهم وفي حربهم، تفيض رحمة ورأفة للصغير والكبير، والرجال والنساء، ومراعاة للشعور الإنساني للناس أجمعين وان اختلفوا معه في الدين.

---

1 - المستدرك برقم ك ذكر بني أسيد الساعدي ج 591/3 [6193] قال الذهبي في التلخيص: مرسل هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

2 -المستدرك للحاكم النيسابوري برقم [2622] ووافقه الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم

المبحث الرابع

نماذج من الآداب الأخلاقية الإسلامية كما وردت في المستدرك للحاكم النيسابوري

إن الأخلاق من الأمور الهامة المعتبرة في دين الإسلام، حافظ الإسلام عليها هي وما يؤدي إليها، لذا فقد وضع الإسلام في الاعتبار صفات وهيئات تؤدي الي ثواب أو عقاب ومن ثم فهي من الأمور المؤثرة في الأخلاق إيجاب أو سلبا، وما من شيء الا وضحه الإسلام فليس هناك أمور مهملة أو مسكوت عنه في الإسلام، لا يعرفه المسلمون، وهي من الكثرة بمكان نبين منها بعض مما بينه رسول الإسلام محمد خير الأنام..

أولا – بيان هيئة النوم:-

جعل الله تعالي النوم حاجة فطرية للإنسان يحتاج إليها ويطلبها عند يريد، لا يستطيع الإنسان لها دفعا أو ردا، وجعلها الله تعالي ضرورة عند الشعور بالتعب والمعانة وان أستطيع الإنسان المغالبة والمكابرة والصبر فلمدة محدودة وفترات معينة.

والنوم من أعظم نعم الله تعالى علينا, حيث جعله الله راحة للجسم البشري، يستجمع بعده النشاط، ويسترجع من خلاله القوة المنهكة، ولو لم يحصل الإنسان علي نومه بما هو طبيعي للطلب من العلاج ما يعيد له النوم لينعم بلذته، وينام مع الناس الذين يهدؤون في الليل في سبات عميق.

وللنوم ساعاته وأوقاته تنظمها الإنسان حسب ما هو متاح لديه من فراغ، فمن الناس من ينام بالليل وهذا هو الغالب علي كثير من الناس ومنهم من لا يتيسر له ذلك فيضطر الي استبدال الوقت بأخر، فيعمل مثلا بالليل وينام بالنهار، وهذه الأوقات قد ينظمها الإنسان لنفسه، وإن تجاهلها فسيقوم الجسد بتلك المهملة مطالبا بحقه الذي فرضه الله له من الراحة والنوم والهدوء وإلا فلن يستطيع مواصلة السير والعمل في هذه الحياة، وربما حدد الجسم من تلقاء نفسه تلك الأوقات وهذه الساعات بما فطره الله وهيأه له، فإذا جاء وقته، يطلب هو صاحبه، كلما أحس بالتعب ينهك قواه من جراء عمل دءوب، أو جهد مبذول.

وكثير من الناس قلما يشعرون بالحكمة التي هيأها الله بهذا النوم، لذا فهم يفتقدون كثير من آداب النوم رسمها الإسلام وما وراء ذلك من مصالح وفوائد.

وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته آداباً كثيرة، للنوم بالاستعداد والدعاء، والوقت والهيئة لأهمية النوم من ناحية، ولرعاية الإسلام للنفس البشرية من ناحية أخرى، ومن تلك الآداب النوم على

الشق الأيمن, كما جاء في الأحاديث الشريفة. وفي رواية أخرى: عن البراء بن عازب τ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نام علي شقه الأيمن وقال:
"اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قالهن ثم مات تحت ليلته مات على الفطرة" (1)
فهذه الهيئة ليست من فراغ أن لحكمة عظيمة، وإعجاز نبوي، هدي الله تعالي رسوله إليه قبل أن يكشفه العلم بمئات السنين، فتكلم به رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوي قبل أن توجد المعامل والبحوث والدراسات.
وها هو العلم الحديث اليوم يثبت أن هذه الهيئة هي أفضل الهيئات للنوم وأكثرها نفعاً للجسم, من هذه الفوائد التي قررها العلم الحديث, ومن خلال هذه الفوائد يتجلى بصديقها الإعجاز العلمي والتشريعي يوما بعد يوم. " والنوم نعمة الله تعالي للإنسان خاصة في ساعات الليل، فالليل فهو وقت الراحة والهدوء والسكينة والطمأنينة، و الليل كله خير وبركة يحسها الإنسان في نومه، قال الله تعالي ((فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)) (2)
عن علي رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم متعني بسمعي وبصري حتى تجعلهما الوارث مني و عافني في ديني و جسدي و انصرني ممن ظلمني حتى تريني فيه ثأري اللهم أني أسلمت نفسي إليك و فوضت أمري إليك و ألجأت ظهري إليك و خليت وجهي إليك لا ملجأ منك إلا إليك آمنت برسولك الذي أرسلت و بكتابك الذي أنزلت(3)
حيث يشعر الإنسان بعدها بالشبع في نومه أكثر من غيرها، فهذا هو الوقت الذي جعله الله محل لذلك قال الله تعالي ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً)) (4)
وقد جاء الدين الإسلامي الحنيف شاملا ليعلم العباد كيف تكون العبادة الصحيحة, يعلم الناس كل ما يتعلق بشؤون حياتهم ويهذب لهم العادات والعبادات علي حد سواء فما ترك شيئا قط ولا سكت عن شيء قط ولا تغافل عن شيء قط, ومن تلك العادات النوم, فقد كان لها المساحة الكبيرة في هدي النبي صلي الله عليه وسلم بين فيها الصواب والخطأ، لأنه لولا النوم والراحة ما كان الجهد والتعب، فهو الزاد والوقود الذي يدفع للجهد والعمل، وقد نظم الرسول صلي الله عليه وسلم النوم ونسقه مع قيام الليل وطاعة الله تعالي، وبين حقوق الجسد في الراحة بما لا يتعارض مع فعل الواجبات وأداء الطاعات لله تعالي ففي الهدي النبوي العديد من الآداب والأحكام المتعلقة به, ومن أهمها النوم على الجانب الأيمن.

---

1 - أخرجه: البخاري 85/8 (6315). أخرجه أحمد (4/5، رقم 20049)، قال الهيثم (351/10): رجاله ثقات. والطبراني (407/19، رقم 969)، والحاكم (643/4، رقم 8774) وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضًا: محمد بن نصر فى تعظيم قدر الصلاة (409/1).

2 - سورة الأنعام الآية – 96

3 - المستدرك للحاكم النيسابوري ك الدعاء والتكبير 709/1 ح 1933 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و حسين بن علي هذا الذي روى عنه موسى بن عقبة و هو حسين الأصغر الذي أدركه عبد الله بن المبارك و روى عنه حديث مواقيت الصلاة المستدرك للحاكم النيسابوري ك الدعاء والتكبير 709/1 ح 1933.

4 – سورة الفرقان الآية – 47.

وقد كشف العلم الحديث عن الكثير من فوائد النوم على الشق الأيمن, وفي الوقت نفسه كشف العلم الحديث عن بعض مضار النوم على غير الشق الأيمن, وهذا كله جاء متأخراً على الوحي الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد, إلا أنه جاء مؤكداً ومدللاً على صحة ما أرشد إليه نبينا الكريم, حتى يكون ذلك شاهداً على أن هذا النبي صلي الله عليه وسلم ما كان ينطق بكلام من عنده, وإنما هو كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلب سيد الخلق أجمعين.
وقد بين رسول الله صلي الله عليه وسلم آدابا كثيرة للإنسان يفعلها عند نومه وإيوائه الي فراشة، تتعلق كلها بالصحة النفسية والبدنية، وتعين كلها علي الراحة الجسدية، وتحفظ صاحبها من اللمسات الشيطانية، فكان من هديه صلي الله عليه أن لا ينسي أن يذكر الله تعالي عند نومه، ولا أن يذكر الله تعالي عند يقظته ورد من الأدعية عند اليقظة: «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور» رواه مسلم. ومن الآداب التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء وهيئة تقول عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبتدئ بالنوم على اليمين مستقبلاً
"والمتأمل في تدبيره صلي الله عليه وسلم لأمر النوم واليقظة، ويجده أعدل نوم وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى فإنه كان ينام أول الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني فيقوم ويستاك ويتوضأ ويصلي ما كتب الله له فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظها من النوم والراحة وحظها من الرياضة مع وفور الأجر وهذا غاية صلاح القلب والبدن والدنيا والآخرة
ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه وكان يفعله على أكمل الوجوه فينام إذا دعته الحاجة إلى النوم على شقه الأيمن ذاكرا الله حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب ولا مباشر بجنبه الأرض ولا متخذ للفرش المرتفعة بل له ضجاع من أدم حشوه ليف وكان يضطجع على الوسادة ويضع يده تحت خده أحيانا" ([1]).
هيئة هي غاية فيى التواضع يؤديها الرسول صلي الله عليه وسلم في نومه، من حيث الفرش واختيار المكان، وما يضعه لجسده كي يستريح عليه كلها راحة وهدوء مع كونها غاية في التواضع، دون ادني إفراط أو تفريط أو غلو.
من فوائد النوم:-
وللنوم فوائد كثيرة متنوعة ومتعددة، تعين الجسد علي الراحة والعمل بجد ونشاط بعد الحصول علي حاجته من الراحة والهدوء، ومنها ما يعين ويساعد علي عملية الهضم، واستفادة الجسد من الطعام الذي هو وقوده، ولا يمكن للإنسان الاستغناء عنه.
ذكر ابن القيم رحمة الله بعض هذه الفوائد:-
قائلا "وللنوم فائدتان جليلتان:- إحداهما: سكون الجوارح وراحتها مما يعرض لها من التعب فيريح الحواس من نصب اليقظة ويزيل الإعياء والإكلال.
والثانية: هضم الغذاء. وأنفع النوم: أن ينام على الشق الأيمن ليستقر الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقرارا حسنا فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلا.
وأردأ النوم، النوم على الظهر ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم وأردأ منه أن ينام منبطحا على وجهه.
وقد بين النبي صلي الله عليه وسلم النافع والضار من هذه هيئات النوم للإنسان بوجه محكم دقيق يفصح عنه العلم الحديث في يومنا هذا مقرا بالصديق والإعجاز للبني صلي الله عليه وسلم فما ذكره قبل أن يعرف الناس شيء عن هذا كله، فقد نهي ومنع وحرم بعض الهيئات مثل من ينام منبطحا علي بطنه.

---

1 - زاد المعاد – 219/4

وفي المسند و سنن ابن ماجه عن أبي أمامة قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل نائم في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله وقال:
(قم أو اقعد فإنها نومة جهنمية)
وبين الصالح منها وما كان يفعله صلي الله عليه وسلم، وهديه في تلك المسألة، مما يحفظ للإنسان راحته واتزانه فكان ينام علي شقه الأيمن، وما نهي عنه النبي صلي الله عليه وسلم نهي لحكم جليلة وآداب أخلاقية وسلوكية رفيعة، وحكم صحية ثمينة وفي الصحيحين عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**(إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت واجعلهن آخر كلامك فإن مت من ليلتك مت على الفطرة)**
وفي صحيح البخاري عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى ركعتي الفجر - يعني سنتها - اضطجع على شقه الأيمن
وبين ابن القيم الحكمة من النوم علي الشق الأيمن وفوائده الصحية، ومنها سلامة القلب والحفاظ عليه قائلا:
وقد قيل: إن الحكمة في النوم على الجانب الأيمن أن لا يستغرق النائم في نومه لأن القلب فيه ميل إلى جهة اليسار فإذا نام على جنبه الأيمن طلب القلب مستقره من الجانب الأيسر وذلك يمنع من استقرار النائم واستثقاله في نومه بخلاف قراره في النوم على اليسار فإنه مستقره فيحصل بذلك الدعة التامة فيستغرق الإنسان في نومه ويستثقل فيفوته مصالح دينه ودنياه
ولما كان النائم بمنزلة الميت والنوم أخو الموت - ولهذا يستحيل على الحي سبحانه الذي لا يموت، وأهل الجنة لا ينامون فيها - كان النائم محتاجا إلى من يحرس نفسه ويحفظها مما يعرض لها من الآفات ويحرس بدنه أيضا." ([1])
لذا كان حفظ الله تعالي للإنسان في الليل والنهار في نومه ويقظته وسكونه وحركته قال الله تعالي **(قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ))** ([2])
وقال سبحانه وتعالي:**((وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))** ([3])
وقد أورد الإمام بن القيم في بيان أردأ صفات النوم، النوم علي الظهر، واشد منه الضرر أن ينام علي بطنه.. حيث قال.. " وأردأ النوم: النوم على الظهر، ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم، وأردأ منه: أن ينام منبطحاً على وجهه، وفي المسند وسنن ابن ماجة، عن أبى أمامة قال: «مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل نائم في المسجد، منبطح على وجهه، فضربه برجله وقال: قم أو اقعد فإنها نومة جهنمية» ([4]).
وكان صلي الله عليه يوازن بين نومه ويقظته، فكان يعطي للجسد حقه دون إفراط، ومن ثم كان يقوم مبكرا للصلاة ذاكرا لله تعالي، وينام كذلك في أول الليل ويكره السهر بعد العشاء.

---

1) زاد المعاد 219/4

2) سورة الأنبياء الآية 42

3) سورة الأنعام الآية – 6.

4) الطب النبوي ص 27.

"وأما هديه في يقظته فكان يستيقظ إذا صاح الصارخ وهو الديك فيحمد الله تعالى ويكبره ويهلله ويدعوه ثم يستاك ثم يقوم إلى وضوئه ثم يقف للصلاة بين يدي ربه مناجيا له بكلامه مثنيا عليه راجيا له راغبا راهبا فأي حفظ لصحة القلب والبدن والروح والقوى ولنعيم الدنيا والآخرة فوق هذا " ([1]).
وقد كان صلي الله عليه وسلم حريصا علي بيان كل هذه الهيئات الصالحة في النوم يأمر بها، ويحذر وينهي عن التلبس بهيئة في النوم غير شرعية أو صحية لا تليق بحال صاحبها لجوانب دينية وصحية وأخلاقية.

ومما ورد أيضا فى هذا الشأن ما رواه الحاكم فى المستدرك
فعن قيس الغفاري عن أبيه قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه و سلم و نحن في الصفة بعد المغرب فقال:(يا فلان انطلق مع فلان و يا فلان انطلق مع فلان) حتى بقيت في خمسة أنا خامسهم فقال:(قوموا معي) ففعلنا فدخلنا على عائشة رضي الله عنها و ذلك قبل أن ينزل الحجاب فقال:(يا عائشة أطعمينا) فقربت حشيشة ثم قال:(يا عائشة أطعمينا) فقربت حيسا مثل القطاه ثم قال:(يا عائشة اسقينا) فجاءت بعس ثم قال:(إن شئتم نمتم عندنا و إن شئتم انجليتم إلى المسجد فنمتم فيه) فقال: فنمنا في المسجد فأتاني النبي صلى الله عليه و سلم في آخر الليل فأصابني نائما على بطني فركضني برجله و قال:(مالك و هذه النومة هذه نومة يكرهها الله أو يبغضها). ([2])
فمن واجبات الداعية توجيه المدعوين وإرشادهم الي ما ينفعهم، وبهذا الفعل من الرسول الكريم يسكت من يدعي أن النوم من الأمور الشخصية التي يكمن للإنسان أن يفعلها كيفما يشاء ويحلو له، وليس الأمر كذلك بل هو تشريع من الله تعالي فيه أمر ونهي، وتحذير وترتيب، فالالتزام به واجب، وهو طاعة لله رب العالمين.
ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-
أولا - مراعاة الدين للصحة البدنية للإنسان رجاء صحته وعافية وسلامته.
ثانيا - ملاحظة الداعية لحال المدعوين وتوجيههم الي ما يفه المصلحة
ثالثا- تصحيح الداعية للخطأ الذي يقع من البعض وبين حكم الدين فيه
رابعا- شمولية الإسلام لكل الأمور الدينية والدنيوية والصحية والبدنية والنفسية والسلوكية.
خامسا :- بيان كراهية الله تعالي لبعض الهيئات والحالات التي يكون عليها الإنسان.
سادسا :- الإعجاز العلمي لحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد أخبر عن الأمور التي لم يعرفها العلم الا في العصر الحديث..
سابعا :- بيان إمام الدعاة للأفضل أوقات النوم وأفضل أوقات العبادة والعمل دون تعارض بينهما
ثامنا :- شدة كراهية النبي لهيئة النوم علي البطن.

ثانيا :- الذهاب إلى المدعو في بيته:-

---

1 - زاد المعاد – لابن القيم – 255/4.

2) المستدرك برقم [7871] قال الذهبي في التلخيص: قيس هو ابن طخفة، واختلف في سنده علي يحيي، وهو الحاكم. هذا حديث مختلف في إسناده على يحيى بن أبي كثير و آخره أن الصواب قيس بن طخفة الغفاري و شاهده حديث أبي هريرة قال الذهبي في التلخيص: صحيح وله علة.

إن الدعوة الإسلامية جاءت لهداية الناس ودعوتهم الي ما فيه الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة، جاءت لتبلغ الي العباد في كل وقت وحين، يستمعون إليها ويتعرفون عليها، ويؤمنون بها، تبلغ لهم في بيوتهم، وفي أماكن عبادتهم وفي أفراحهم وأحزانهم، فهم الزاد لهم في كل وقت وحين، تغرس فيهم القيم الطيبة وتزرع فيهم الأخلاق الطاهرة وتعينهم علي تحمل متاعب الحياة، وتعلمهم طريق الإيمان بالله تعالي، فهذا نهج جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالي كي يبلغوا الدعوة الي العباد، ويعرفونهم طريق الإيمان بالله تعالي، نبي الله نوح عليه السلام ذكر القرآن الكريم قوله عليه السلام في سورة نوح وكيف بلغ الدعوة الي قومه، فقال الله تعالي علي لسان نوح عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾ (1)

ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم كذلك كان لا يمل من تبليغ الدعوة الي الناس في أماكن تواجدهم، وفي الأسواق وفي موسم الحج، وفي الوفود التي تفد علي مكة، وفي أماكن تجمعهم، أينما كانوا، وكان يجهز لهم الطعام ويدعوهم إليه في بيته فإذا فرغوا دعاهم الي الله تعالي.

" لقد كان سلوك النبي صلي الله عليه وسلم قويما عادلا رحيما مع سائر الناس مسلمين وغير ومسلمين، يترفق بالمدعوين ويتلطف معهم، ويأخذ بأيدهم الي طريق الهداية والرشاد، وإذا مرضوا عادهم صلي الله عليه وسلم، لم يلتفت الي سنهم أو وضعهم الاجتماعي والمالي، إنما كان حرصه الشديد علي تبليغ رسالة الإسلام، دون الالتفات الي الأشخاص والأوضاع، فإذا مرضوا عادهم، وإذا غابوا سأل عنهم وزارهم، تلك هي مهمة الداعية وأخلاقه في الناس، أن يكون دائم الود معهم، دائم السؤال عليهم، يتعادهم بالسؤال والزيارة بين الحين والحين، وقد كانت جهوده صلي الله عليه وسلم مباركة، ودعوته ناجحة حققت القبول عند الناس فدخول في دين الله أفواجا عن حب واقتناع.

وقد عاد رسول الله صلي الله عليه وسلم غلاما يهودي، فدعاه الي الإسلام فأسلم وبينه وبين الموت لحظة لكن إرادة الله تعالي، ومن بعدها دعوة رسول الله كانت السبب في إسلام هذا الغلام، قبل موته بلحظات، إن من واجبات الدعاة اليوم أن يخلصوا في دعوتهم لله تعالي وان يتواضعوا مع المدعوين وان اختلفوا في أوضاعهم وإمكانياتهم وان لا ينعزلوا عن المجتمع، وينتظرون الناس كي يأتوا إليهم، إنما عليهم بأن يسعوا ويخرجوا للدعوة ويذهبوا الي المدعوين، وان يعودوا الناس في بيوتهم، وان لا يغفلوا عن تبليغ دعوة الله تعالي.

ومما ورد فى هذا الشأن من أحاديث المستدرك:

ما رواه الحاكم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه و سلم فمرض الغلام فأتاه النبي صلى الله عليه و سلم يعوده، فقال: يا غلام أسلم قل لا إله إلا الله فجعل الغلام ينظر إلى أبيه فقال له أبوه: قل ما يقول لك محمد صلى الله عليه و سلم فقال: لا إله إلا الله و أسلم فمات فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: صلوا عليه و صلى عليه النبي صلى الله عليه و سلم (2)

---

1 - سورة نوح من الآية 5 إلي 9

2 - المستدرك ج 4 / برقم 7951] أورده الذهبي في التلخيص:وسكت عنه.

ولا ينسي النبي صلي الله عليه وسلم أن يدعوه إلى الله تعالي، وهو في تلك الحالة المرضية الشديدة التي أعقبها الموت، وقد وجدت دعوته صلي الله عليه وسلم القبول والصدق، باجتهاد إمام الدعاة صلي الله عليه وسلم وكرمه وتواضعه بعد معونة الله تعالي.

ومن فقه الدعوة في الحديث:-

أولا :- الترغيب في ذهاب الداعية إلي المدعو في داره وتوجيه الدعوة إليه.

ثانيا :- عيادة المريض وان لم يكن مسلما رجاء إسلامه لله ودعوته إلي الحق.

ثالثا :- دعوة المريض ولو كان في آخر لحظاته فالأجل بيد الله تعالي ولا يعلم النهاية إلا الله.

رابعا :- دعوة الناس من أجل نفعهم هم لا من أجل الانتفاع منهم.

خامسا :- الداعية الصادق في دعوته لا يستغل الفرص ويستعبد الناس من أجل دعوتهم وإسلامهم

سادسا :- عدم المساومة علي الدعوة والمراهنة بها.

سابعا :- حسن المعاملة مع أهل الكتاب ولو كانوا خدام.

ثامنا :- وضوح منهج الدعوة الإسلامية وجعلها في النور لا في الخفاء.

تاسعا :- العبرة في الإسلام بالصدق مع الله تعالي ولو بكلمة واحدة يدخل الإنسان بها.

عاشرا :- الأعمال في الإسلام بخواتيمها.

الحادي عشر: - الإسلام يجب ما قبله.

الثاني عشر :- الداعية لا ييأس من اتباعه الي آخر لحظة في عمره أو عمرهم.

الثالث عشر :- جواز عيادة أهل الكتاب في بيوتهم والإحسان إليهم ودعوتهم الي الإسلام.

الرابع عشر: - علي الداعية أن يكون جريئا في دعوته لا يخشى في الله لومة لائم.

الخامس عشر :- صدق إسلام الغلام استنباط من شهادة الرسول صلي الله عليه وسلم له بهذا.

السادس عشر :- وجوب حمد الله تعالي علي استجابة الدعوة عند المدعوين ونسبة الفضل فيها لله.

السابع عشر :- اعتراف الداعي ، أن لله تعالي سبب توفيقه في دعوته وأن الفضل منه سبحانه.

الثامن عشر: - جواز عيادة أهل الذمة ولا سيما إذا كان الذمي جارا له لأن فيه إظهار محاسن الإسلام

التاسع عشر: - بيان جواز المعاملة مع أهل الكتاب واستخدامهم في الأعمال التي تمس الدين.

العشرون :- عدم نسيان المعروف من الناس وصيانة العهد معهم، وحفظ المعروف لهم.

الحادي والعشرون :- إباحة العمل للصغير كي يتعود عليه ويعتمد علي نفسه ويشعر بالمسؤولية التي سيكلف بها مستقبلا.

الثاني والعشرون :- حالات المرض من أوقات الشدة التي يرجي فيها التوسل والتقرب الي الله تعالي قال الإمام بن حجر " وَفِي الْحَدِيث جَوَاز اِسْتِخْدَام الْمُشْرِك، وَعِيَادَته إِذَا مَرِضَ، وَفِيهِ حُسْن الْعَهْد، وَاسْتِخْدَام الصَّغِير، وَعَرْض الْإِسْلَام عَلَى الصَّبِيّ وَلَوْلَا صِحَّته مِنْهُ مَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ. وَفِي قَوْله " أَنْقَذَهُ بِي مِنْ النَّار " دَلَالَة عَلَى أَنَّهُ صَحَّ إِسْلَامه، وَعَلَى أَنَّ الصَّبِيّ إِذَا عَقَلَ الْكُفْر وَمَاتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُعَذَّب "[1].

---

1 - **فتح الباري لابن حجر باب إذا اسلم الصبي ومات – 427/4.**

وعلي الداعية أن لا ينسي مهمته التي كلف بها وألا ينصرف عناها الي غيرها، فمهمته الدعوة، فإذا عاد الناس فلهذا السبب، وإذا تلطف معهم فليس له هدف الا الخير لهم بدعوتهم الي الله ودين الحق.
"قَالَ الْمُنْذِرِيُّ: وَالْحَدِيث أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ وَالنَّسَائِيّ. قِيلَ يُعَاد الْمُشْرِك لِيُدْعَى إلَى الْإِسْلَام إذَا رُجِيَ إجَابَته أَلَا تَرَى أَنَّ الْيَهُودِيّ أَسْلَمَ حِين عَرَضَ عَلَيْهِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَام، فَأَمَّا إذَا لَمْ يُطْمَع فِي إسْلَام الْكَافِر وَلَا يُرْجَى إنَابَته فَلَا يَنْبَغِي عِيَادَته، وَقَدْ عَادَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْد بْن عُبَادَةَ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ. وَقَدْ جَاءَ مِنْ حَدِيث جَابِر أَيْضًا قَالَ أَتَانِي النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودنِي وَأَبُو بَكْر وَهُمَا مَاشِيَانِ. وَعِيَادَة الْمَرِيض رَاكِبًا وَمَاشِيًا كُلّ ذَلِكَ سُنَّة.([1]).
وان كان من الأفضل للداعية أن يحسن نيته لله تعالي في الدعوة والعمل لها، ويعود الناس ويكرمهم ويزورهم بما يتناسب مع الحفاظ علي دينه وكرامته، أما قضية أن الإنسان يسلم أو لا يسلم ليست لنا علينا البلاغ، أما الحساب فعلي الله تعالي، وكلنا نطمع في إيمان الناس بالله تعالي، لكن لا يعلم الغيب الا الله، وقد تلطف النبي الله عليه وسلم مع الناس جميعهم ودعاهم الي الله تعالي، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، وتيسر أمر الإسلام للكثيرين، واعرض عنه آخرين، فليت الدعاة بل والمسلمون جميعهم يحسنون المعاملة مع غير المسلمين، مع الطع في إيمانهم لله رب العالمين، وقد قال الله تعالي: ((**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**)) ([2]) .
قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالي:" قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) - هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم. قال ابن زيد: كان هذا في أول الإسلام عند الموادعة وترك الأمر بالقتال ثم نسخ. وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة."[3].
فالمودة في غير مذلة ولا ضعف, تجلب خيرا ونفعا وقوة للمسلمين، ولو تجمد المسلمون وانغلقوا علي أنفسهم وأغلقوا عليهم بابهم، واشهروا في الناس سيوفهم وأني لهم ذلك ؟ فكيف ستبلغ الدعوة للناس، إنها ستكون دعوة السيف والإكراه علي الدين التي حرمها الإسلام ونهي عنها دعوة مرفوضة غير مقبولة مؤزرة غير مأجورة.
إن الإسلام يحتاج الي قوة تحرسه ودعوة تدفعه وداعية يفهمه، وحق ينصره، لكنه في الوقت ذاته يحتاج الي مودة مع المقسطين ورحمة مع المدعوين وان اختلفوا معنا في الدين، فتلك أوامر رب العالمين للأنبياء والمرسلين، والدعاة والمخلصين الذين يريدون العمل لهذا الدين، فأولي بالدعاة في هذه الأيام أن يترفقوا كذلك بالمدعوين التزاما بقواعد هذا الدين، الذين أرسله الله هداية للعالمين.
وبالتأمل في منهج السنة النبوية في الدعوة إلي الأخلاق من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري نلمس أنها سلكت منهجا واضحا يتمثل في:-
أولا:- الترغيب والترهيب.
فقد استخدمت السنة النبوية في الدعوة إلي الأخلاق أسلوب تشويق المدعوين وترغيبهم في الخلق الحسن، وأن أساس الخلق هو الدين، والدين حسن الخلق، وبينت فضلها ومنزلتها في الدنيا والآخرة، وبيان ما يترتب علي حسن أو سوء الخلق من ثواب وعقاب. وفي الأحاديث بين صلي الله عليه وسلم أن الأخلاق تثقل موازنين العبد يوم القيامة، وانه تجلب له محبة الله تعالي، وان سوء الخلق سبب في

---

1 - عون المعبود –باب عيادة الذمي – 80/7

2 - سورة الممتحنة – الآية 8.

3 - تفسير القرطبي -- 18 / 58.

بغض الله تعالي للعبد يوم القيامة، مما يترتب عليه هلاك العبد ، فغضب الله تعالي في هذا الموقف شديد ، فلا توبة ولا دعاء ولا عمل ، عن أبى الدر داء عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق([1])
ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق وان الله يبغض الفاحش البذيء "([2]).
، وأوضحت الأحاديث النبوية أن حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة وسئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: تقوي الله وحسن الخلق وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقالا: الفم والفرج"([3])
ثانيا: التعليم والتوجيه والإرشاد وقد يأتي -
أ)في شكل تعهده صلي الله عليه وسلم لأصحابه (ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم خلقا)([4])
ب) وقد يأتي في شكل جواب علي السائل كما ورد عن النواس بن سمعان ألأنصاري فقال: سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن البر والإثم ؟ ما حاك في الصدر وخشيت أن يطلع عليه الناس."([5])
ج) وقد يأتي في شكل وصية كما جاء في حديث عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن معاذ بن جبل أراد سفرا فقال: يا نبي الله أوصني ؟ فقال: اعبد الله ولا تشرك به شيئا، قال يا نبي الله ذد ني ، قال : استقم وليحسن خلقك "([6])
ثالثا: تقديم القدوة العملية لتوجيه أنظار المدعوين للتأسي والإقتداء، وخير أسوة يحتذي بها ويقتدي بأقوالها وأفعالها إمام الدعاة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم فلقد كان خلقه القرآن، وكان قرآنا يمشي علي الأرض.
قال تعالي:- (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)([7]).
رابعا :- الربط بين حسن الخلق وبين تقوي الله تعالي والخوف منه كما في الحديث: "اتقِ اللهَ حيثما كنتَ وأتبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها وخالِقِ الناسَ بخُلقٍ حسَنٍ"([8])

---

1 - البخاري في الأدب المفرد ج1/ص103 ح270

2 - سنن أبي داود باب حسن الخلق 5/ 150

3 - سنن الترمذي أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق 8/ 168

4 - مسند الإمام احمد 2/ 185

5 - صحيح مسلم باب البر والصلة باب تفسير البر والإثم 1980/4

6 - المستدرك للحاكم 244/4 وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي..

7 - سورة الأحزاب: الآية 21)

8 - حديث أبى ذر: والحاكم في المستدرك (121/1، رقم 178) أخرجه أحمد (153/5، رقم 21392)، والترمذي (355/4، رقم 1987) وقال: حسن صحيح. والدارمى (415/2، رقم 2791)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. والبيهقى في شعب الإيمان (245/6، رقم 8026). وأخرجه أيضًا: البزار (416/9 رقم 4022) وأبو نعيم فى الحلية

خامسا : -الإرشاد إلي طريق اكتساب الأخلاق الفاضلة ويتمثل هذا المنهج النبوي كما أجلته كتب السنة المطهرة في :

أ) مجالس الصالحين:- كما في الحديث(مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يعطك من عطره ـ أو قال: إن لم تصب من عطره ـ أصابك من ريحه)([1])

ب) مصاحبة المؤمنين:- **(لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي)**([2])

ج) مطالعة العلم:- **(من سلك طريقا يلتمس فيها علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة)([3])**

د) الإكثار من ذكر الجنة والنار:- عن أَبي سعيد ألخدري - رضي الله عنه -، عن النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم -، قَالَ: **((احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا))([4])**

والحكمة من إتباع السنة النبوية في المجال السلوكي والأخلاقي قد أجلاها الأستاذ محمد أسد حيث قال:

أولا:- تمرين الإنسان المسلم بطريقة منظمة علي أن يحيا دائما في حال من الوعي الداخلي واليقظة الشديدة وضبط النفس، وهذه مزية الإقتداء برسول الله صلي الله عليه وسلم في حركاته وسكناته، إن هذا الانضباط السلوكي وفقا لسنته صلي الله عليه وسلم يؤدي إلي التخلص من الأعمال والعادات العفوية التي تعرقل النشاط الإنساني عن التقدم.

ثانيا :- تحقيق النفع الاجتماعي للمسلمين لأنهم بإتباع المنهج النبوي في مجالات الحياة وميادينها المتنوعة تصبح عاداتهم وطبائعه متماثلة مهما كانت أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية متنافرة.

ثالثا :- ضمان الهداية إلي الحياة الإنسانية الكاملة والكفيلة بتحقيق السعادة والحياة الطيبة لأنه يعمل بوحي الإلهي، وقد أرسل رسول الله صلي الله عليه وسلام رحمة للعالمين وبعث ليتمم مكارم الأخلاق ويهدي الناس إلي الطريق المستقيم.([5])

(378/4).

1 - صحيح المستدرك للحاكم، ك الآدب 312/4 ح 7749 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح.

2 - والحاكم المستدرك (143/4، رقم 7169) وقال: صحيح الإسناد أخرجه ابن المبارك (124/1، رقم 364)، والطيالسى (ص 294، رقم 2213)، وأحمد (38/3، رقم 11355)، والدارمى (140/2، رقم 2057)، وأبو داود (259/4، رقم 4832)، والترمذي (600/4، رقم 2395) وقال: حسن. وأبو يعلى (484/2، رقم 1315)، وابن حبان (314/2، رقم 554)، والبيهقى في شعب الإيمان (42/7، رقم 9382).

3 - أخرجه الترمذي (28/5، رقم 2646) وقال: حسن. وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (284/5، رقم 26117)، والحاكم (165/1، رقم 300) وقال: على شرط الشيخين

4 - أخرجه: مسلم 151/8 (2847).

5 - راجع (الإسلام في مفترق الطرق ص – 104 – 110 بتصرف دار العلم للملايين بيروت الطبعة التاسعة 1977 م

ومن ثم فالسنة النبوية دعوة إلي الرقي الأخلاقي وتزكية النفس الإنسانية وتطهيرها مما علق بها من أمراض نفسية وتربوية كالحقد والحسد والغل... وغيرها.
فالأخلاق الإسلامية كما بدت من الأحاديث النبوية تتسم عن غيرها من سائر الأيدلوجيات الوضعية بالتوازن والواقعية وموافقتها للعقل الإنساني والايجابية والإنسانية والعالمية والشمولية وملاءمتها للفطرة التي فطر الله تعالي الناس عليها فهي مستبوعة لكل النشر في كل زمان ومكان.

الباب الثالث
وسائل الدعوة الإسلامية
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

وسائل الدعوة الإسلامية

من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من تمهيد وخمسة فصول:

الفصل الأول:-

الوسيلة الأولي:

الكتابة وأهميتها للدعوة من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الثاني:-

الوسيلة الثانية:

الخطابة وأهميتها للدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الثالث:-

الوسيلة الثالثة:

المسجد وأهميته في الدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الرابع:-

الوسيلة الرابعة:

الهجرة وأهميتها للدعوة إلي الله تعالي من خلال المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الخامس:-

الوسيلة الخامسة:

الجهاد وأهميته للدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الباب الثالث

وسائل الدعوة الإسلامية من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري من وسائل الدعوة الإسلامية

تمهيد :

لا شك أن الوسائل هي الأدوات التي تحمل الدعوة لأصحابها وتوصلها إليهم وعلى قدر قيمة الوسائل وقوتها تكون فائدتها أرجى في إفادة المدعو، والوسائل مهمة جدا بالنسبة للدعوة والدعاة إلي الله (فهم أولي الناس بابتغاء الوسائل التي تقربهم إلي الله وتصل بدعوتهم إلي الناس , تمشيا مع سنن الله في الأرض , حيث جعل من سنن الهداية , إرسال الرسل الكرام وتنزيل الكتب , وهو القادر علي أن يهدي الناس جميعا دون هذه الوسائل)[1]

1) المدخل إلي علم الدعوة / ص 282 . محمد أبو الفتح البيانوني . ط / مؤسسة الرسالة .

لكنها الأسباب التي أمرنا نحن البشر بالتماسها والعمل بها ومن بعدها نكون قد أدينا ما كلفنا به والداعية غير مطلوب منه إلا التبليغ وإيصال الدعوة للمدعوين قال تعالي لرسوله صلي الله عليه وسلم (إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ البَلاغُ)([1]) والدعاة من بعد الأنبياء كذلك هم حملة الدين والمبلغين عن الرسل عليهم السلام بشرط اتباع الأنبياء والسير علي منهجهم وطريقتهم وهذا جانب من تشريف الله تعالي للدعاة فالذي نص عليه وقدم الفضل والتشريف للدعاة هو الله جل جلاله في القرآن الكريم حتى يكون منها يحفظ ويبقي إلى ما شاء الله تعالي لا ينسخ ولا يتغير ولا يتبدل لأن الذي حفظه هو الله تعالي قال الله تعالي (**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...**).([2])

معني ذلك أن البحث عن الوسائل المناسبة للدعوة من واجبات الداعية الناجح حتى تصل دعوته إلي الناس , ولو من باب الأخذ بالأسباب وترك النتائج علي الله رب العالمين حتى لا ينسب إليه شيء من التقصير .

(والوسائل للدعوة في عصرنا وفيما قبله وبعده لابد أن تكون هي وسائل الدعوة التي بعث بها النبي ρ وبلغ فيها الغاية ولا تختلف في عصرنا مثلا إلا في جوانب منها مرتبطة بأصولها التوقيفية)([3]) وهكذا كلما كانت الوسائل أصيلة كانت نافعة للدعوة والدعاة .ذلك أنها من كتاب الله الذي خلق الخلق وعلم بما يصلحه في احتمال للخطأ ، وكذلك هي من منهج النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوا فالمنهج واضح لإضلال وانحراف فيه واحتمال ا لخطأ معه معدوم إذا ما إبلاغه دعاة مستيقنين .

وإن للأداة التي تحمل الدعوة والوسيلة المنوط بها توصيلها أهمية عظمى وفائدة كبرى ذلك لأنه تنجح دعوات كثيرة لتوفر الوسائل المناسبة لها وتفشل أخرى لانعدام تلك الوسائل أو لوجود أخطاء بها "ولكل دعوة أدواتها ووسائلها التي تستعملها لإبلاغ ونشر دعوتها وقد تطورت هذه الأدوات والوسائل عبر العصور حسب حاجة الإنسان إلى هذه الوسائل والأدوات وحسب إمكانيات المعارف والخامات التي يملكها فتعدت وتنوعت واختلفت أشكالها ومظاهرها على أداء مهمتها في كل وقت وفى كل مكان "([4])

فما يصلح لزمن قد لا يصلح للآخر وما يحتاجه الناس في عصر قد لا يحتاجه الآخرون في عصر آخر ولا بد من الاستفادة مما فتح الله به علي العباد من نعمة العلم ووسائل المعرفة ووضعها- ما أمكن - لخدمة الدعوة إلى الله تعالي حتى لا تضيع الفائدة من وجودها أو تسخر في غير موضعها أو تتخذ كسلاح مضاد للدعوة يكيد لها ويضعف من عزمها.

ولا نبالغ إذا قلنا إن العامل الأول في نجاح الدعوة هو وسيلتها الناجحة والمعول الأول في هدمها هو وسيلتها الفاشلة أو أداة توصيلها الخاطئة فإذا أردت لدعوة ما نجاحا فائقا فاختر لها الوسيلة الناجعة وإذا رأيت دعوة متعثرة مترنحة فعالج وسيلتها وقوم أداتها .

تعريف الوسائل :-

---

2)سورة الشورى الآية (48)

3)سورة يوسف الآية (108)

4) الدعوة إلي الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي / علي بن حسن بن عبد الحميد ص 27 . ط / مكتبة الصحابة – جدة .

4) فقه الدعوة والإعلام ص36

الوسيلة في **اللغة** (تأتي بمعني الوصلة والقربى)[1] .

وهي(ما يتوصل به الداعية إلي تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية ومادية)[2] وقيل هي (جميع الأمور التي يتوصل بها إلي الدعوة إلي الله رب العالمين سواء كانت هذه الأمور معنوية أو مادية)[3] .

وقيل هي(كل طريقة مشروعة يلجأ إليها الداعي إلي الله ليحقق بها أهداف الدعوة)[4]

والوسيلة إلى الله ما يوصل إلي ثوابه وذلك بفعل الطاعات وترك المعاصي ومنه قوله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [5]

"والمراد بها هنا: ما يتوصل به إلى هداية الناس ودعوتهم إلى الخير"[6]

وقد عرفها بعض المشتغلين بالدعوة فقال :

الوسائل : عمليات الاتصال الفردي والجماعي التي تتم بين الداعية ومجتمعه من أجل تبليغ الإسلام ونشره "[7]

وعليه:" فالوسيلة في مفهوم الدعوة : ما يتوصل به في نقل الدعوة من الداعي إلى المدعو للوصول إلى الهدف الأعلى وهو تبليغ الدعوة " [8]

ويتضح من تلك التعريفات أنه لا خلاف بينها وكلها بمعني واحد وهو أن الوسيلة ما به تصل الدعوة إلي الناس .

" ولقد جاءت وسائل وأساليب الدعوة الإسلامية متميزة بحيث تصل إلى كافة الخلق وتلتقي مع فطرهم فتحقق لها الإيمان الذي يوفر الاستقرار والطمأنينة وذلك لأن الإسلام جاء رسالة عامة وشاملة لكافة الناس في كل زمان ومكان . **(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)**[9] وجاء في الحديث:" أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم

---

1) المعجم الوسيط جـ 2 ص 1032 .

2) المدخل إلي علم الدعوة / محمد أبو الفتح البيانوني ص 282 . ط / مؤسسة الرسالة .

3) مباحث في الدعوة ومناهجها ورسائلها / د / عبد الخالق إسماعيل . ص 257 – 258 .

4) فقه الدعوة الفردية / د . علي عبد الحليم ص 111 . ط / دار الوفاء .

5) سورة المائدة الآية:35

6) الدعوة الإسلامية ووسائلها د/سليمان الدبشة ص23

7)الدعوة الإسلامية ووسائلها في عصر النبي صلى الله عليه وسلام احمد غلو ش ص104

8) الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ، د رجب الشتيوى ص86

9)سورة الأعراف الآية :158

ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة ....."([1])
والوسائل تختلف من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان ، فالوسائل في عصر النبي صلى الله عليه وسلم مثلا تختلف عنها في العصر الحديث حيث وجدت وسائل كثيرة اليوم يستطيع بها الداعية أن ينقل الدعوة إلي المحيط الأكبر وذلك مثل الوسائل الحديثة من المذياع والتليفزيون أو الصحف أو المجلات أو القنوات الفضائية أو شبكة القنوات المعلومات العالمية (الإنترنت)أو جهاز المحمول (الرسائل القصيرة). وغيرها **من الوسائل التي لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . ولكن ما نحب أن ننبه إليه في أمر الوسائل الحديثة أمرين:**
الأول : أن هذه الوسائل الحديثة : يجب أن تعتمد أساسا في نشر الدعوة على الوسائل الحقيقية التي كانت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مثل القرآن الكريم والسنة النبوية وخطب النبي صلى الله عليه وسلم والكتب والرسائل التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القياصرة الملوك آنذاك وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم في الدعوة ثم إنشاء الأماكن لتكون مقر الالتقاء الداعي والمدعو وذلك كبناء المساجد ودور الندوة وغيرها)[2]
الثاني :أن وسائل الدعوة الحديثة " آلات لا تعقل ولا تدرك ماهية ما تحمله ولا تعرف غاية ما تنقله ، فالمذياع آلة تنقل ما يجهز لها وترفع الصوت به بلا فهم أو معرفة لأنه آلة جامدة لا عقل لها . ومن هنا لابد للوسائل المادية من عقل يتحكم فيها وينظم وقتها ويضع فيها الموضوع الذي يراد إيصاله للغير وبغير العقل المدرك لا تفيد الآلات شيئا أبدا " ([3])
وبدون ذلك نضيع مكسبا عظيما للإسلام في مشارق الأرض ومغاربه يمكن أن يغير وجه العالم لو وضع في موضعه وحسن استخدامه .
وكما يحرص الإسلام على سن المقاصد ونبل الأهداف والغايات فإنه يحرص كذلك على سلامة الأسباب والوسائل والأدوات من كل ما يقوم إلى زيغ أو انحراف أو خدمة للأهواء ولذلك كانت القاعدة الشرعية الأصولية "إن الوسائل تأخذ حكم المقاصد " ولذلك نجد أن الإسلام في سبيل نشر دعوته استخدم من الوسائل أطيبها وأحسنها ليربط الناس بربهم ،وعندما أمر الله تعالى العباد بالإتباع والإجابة لدعوة الحق بين سبحانه حسن ما أنزل وألزم العباد به وبين أنه من عنده وأنه المنزل له فالمصدر معروف والمنهج مألوف فقال سبحانه **(وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ)([4])**
"وإن مما تميزت به رسالة الإسلام التي أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم أنها رسالة عالمية ، وقد وضح هذا المفهوم في دعوته صلى الله عليه وسلم منذ بدء الدعوة حيث خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس في مكة بعد أن جمعهم قائلاً لهم : " إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس

---

1) الحديث رواه البخاري : الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ت 256 هـ كتاب التيمم قول الله تعالى فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه 1/ 128 ط دار ابن كثير . اليمامة 1407 هـ - 1987 م ط الثالثة تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

2) الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ص86 .

3) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها د/احمد غلو ش ص415

4) سورة الزمر الآية :**55**

جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة " (1)

وقد استفاضت آيات القرآن الكريم ببيان هذا الأمر ، من ذلك قوله تعالى " **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ..** " (2)

قال ابن عباس في تفسيرها : " إن الله تعالى فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء ، قالوا يا ابن عباس فبم فضله الله على الأنبياء ؟ قال : " إن الله تعالى قال : " **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** "(3) ، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ... الآية " (4) فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس " (5) وقال تعالى : " **قُلْ يا أَيُّهَا الناس إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** " (6) **وقال تعالى** : " **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** " (7) وقال تعالى " **تَبَارَكَ الَّذِي نزل الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** "(8) فالنداء في الآيات السابقة نزلت في بيئة الإسلام الأولى أي أنها مكية . " فمنذ اللحظة الأولى وجه القرآن الدعوة إلى البشر جميعاً وخاطب كل الأجناس وكل الشعوب وكل الطبقات " (9)"

وقد بشر رسول الله صلي الله عليه وسلم ببلوغ دعوة الإسلام إلى كل صوب وحدب فما من مكان علي ظهر هذه الأرض إلا سيدخله الدين وتصل الدعوة إليه ذلك وعد الله تعالي الذي لا يتغير ولا يتبدل وتلك بشارة من رسول الله للمسلمين، وفي نسبة الأمر إلى الله تعالي ما يفتح الأمل في قلوب المسلمين ،فالذي سيدخل العباد في الدين هو الله، والذي سيوصل رسالة الإسلام في كل بيت بعد أم قرب هو الله تعالي وشوهد الأمر ودلائل الإعجاز النبوي باتت واضحة، وشاهدة علي صدق هذا الدين وطهارة مصدره.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن تميم الداري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين "(10)

---

1) السيرة الحلبية جـ ص 321

2) سورة سبأ الآية 28

3) سورة إبراهيم الآية (4)

4) سورة سبأ الآية (28)

5) تفسير الق الآية رآن العظيم ابن كثير صـ 538 جـ 3)

6) سورة الأعراف الآية (158)

7) سورة (الأنبياء الآية 117)

8) سورة (الفرقان الأية 1)

9) الدعوة الإسلامية ص 126 د/ محمد رجب الشتيوى)

10) المستدرك ك / الفتن والملاحم برقم 8497 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي 4/ 477 ط دار الكتب العلمية

وكل ذلك وغيره يدل على أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية للناس كافة ولا تختص بجنس دون آخر ولا بمكان دون آخر ولا بزمان دون آخر لتمامها وكمالها وكيف لا وقد أنزلت من لدن حكيم خبير .
من أجل ذلك وغيره كانت مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم للمدعوين البعيدين عنه من سائر الأمم، الذين لا يرونه ولا يسمعون قوله من خلال الكتب والرسائل.
وهكذا يمكننا بيان تقسيم هذه الوسائل وفقا لما تضمنته أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم في السنة النبوية لا سيما أحاديث المستدرك موضوع دراستنا إلي قسمين رئيسيين :-
ألأول :- وسائل علمية وهي التي تقوم علي العمل والحركة وتعبر عن عمله وسعيه وجهده عليه الصلاة والسلام في مسيرة تبليغه للدعوة ولعل من أهمها : الاتصال الشخصي وهو أول وسيلة عملية شرعها النبي صلي الله عليه وسلم منذ تكليفه بالبلاغ بدعوة الحق ، وكما أنه صلي الله عليه وسلم التزم بهذه الوسيلة في جميع مراحل الدعوة إلي أن توفاه الله تعالي .
ومن أهم صور هذه الوسيلة :-
أولا :- الدعوة الفردية أي التي توجه الدعوة الإسلامية إلي فرد واحد بقصد نقله من الكفر إلي الإيمان أو من الضلال والمعصية إلي الهدي والطاعة ، أو من توجيهها إلي جمع قليل من الناس لهم صفة الخصوص لا العموم([1])
وقد أثمرت هذه الدعوة إلي إسلام آل بيته ، وإسلام الصديق رضي الله ، وعلي بن أبي طالب ، والحصين والد عمران وعدي بن حاتم والطفيل بن عمرو الدوسي وضماد رضوان الله عليهم ، وقد اقتدي الصحابة بأهمية هذه الدعوة الفرد ية
في مسيرة عملهم الدعوى فآتت الدعوة ثمرتها ودخل الناس في دين الله تعالي أفواجا.
ثانيا :- ومن صور الاتصال الشخصي تعهد المدعوين بالنصيحة والتوجيه حتى يستكمل معهم الفهم الصحيح لكنه الإيمان بالله تعالي ويرسخ لديهم الغاية التي من أجلها خلق الله تعالي الناس ، وذلك بهدف تربية هذه الفئة المؤمنة وإعدادها بصورة تجعل الواحد منهم كأمة ، صحيح العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة ، بصورة تكون شخصيته تجاه المدعوين.
ومما يدعم هذا التعهد النبوي ما روي عن أبي العباس قال: كنت خلف النبي صلي الله عليه وسلم يوما فقال لي : يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ....) الحديث.([2])
وهي بلا ريب عهود وأسس وركائز يفهمها المسلم كي يحفظ حدود الله تعالي وحقوقه ،وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه جل شأنه وفي ذلك حفظ لحياة المسلم ودينه ، ودنياه وأخرته ، كما في هذا التعهد حفظ وإفراد الله تعالي بالسؤال والدعاء والتضرع والاستعانة واليقين بأن النفع والضر بيد الله تعالي وحده ، وكذلك حفظ الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره وفي هذا درس عملي للدعاة يعلمهم به النبي صلي الله عليه وسلم ألا يدعو أي فرصة مواتية لتبليغ الدعوة ، والا يكفوا عن تبليغها دون كلل أو ملل .
ثالثا :- ومن صور الاتصال الشخصي : عرض النبي صلي الله عليه وسلم نفسه علي القبائل ، ويترقب المواسم وتنتهز فرصة قدوم القبائل العربية إلي مكة فيقابلهم ويعرض نفسه ودعوة عليهم ، وقد أسفر هذه المقابلات أن التقي النبي صلي اله عليه وسلم عند العقبة بنفر من الخزرج ، وبايعوه بيعتي العقبة الأولي والثانية ([3])

---

1)- كيف ندعوا الناس عبد البديع صقر ص 23 .

2 - مسند الإمام أحمد ج 1 ص 207، 303، 293

3 - سيرة ابن هشام ج2 ص 24، 25، والبداية والنهاية لابن كثير ج3 ص 138 .

رابعا:- ومن صور الاتصال الشخصي (استقبال الوفود) بعد فتح مكة وهي تمثل مختلف القبائل والعشائر المعروفة في شبه الجزيرة العربية كوفد بني تميم ، وبني عامر ، وعبد قيس ، وبين حنيفة ، وطيء ونجران وغيرهم ([1])
ومن الوسائل العلمية التي شرعها النبي صلي الله عليه وسلم في تبليغ دعوته إلي جانب الاتصال الشخصي ، المسجد ، والقدوة الحسنة والجهاد في سبيل الله تعالي
كما أن من الوسائل نشر الدعوة الإسلامية وسائل بيانية عن طريق المشافة والمخاطبة ومن أهمها :- الخطبة والحديث والدرس ...
ومن الوسائل الدعوية ما كان عن طريق التدوين : كالكتب والرسائل وغيرهما ...
وهذه الوسائل لها تأثيرها علي مشاعر المدعوين وإقناعهم كما أنها موصلة للعلاقات المباشرة بين الداعية والمدعوين ورباط وثيق لحسن هذه العلاقة وإقناعا واستمالة .
والي جانب هذه الوسائل العلمية والبيانية استجدت وسائل أخري للدعوة في العصر الحاضر : كالبيت ودور الحضانة ، والمدارس والجامعات ، ووسائل الإعلام الحديثة (المرئية والمسموعة والمقرؤة كالصحافة والتليفزيون والفيديو والسينما والمسرح والكاسيت والإذاعة فهذه وغيرها كثير من الاتصال لبث الدعوة ، وكذا المعسكرات والرحلات ، والنوادي والمؤتمرات (العلمية والثقافية والرياضية والاجتماعية والاقتصادية والطبية ، وكذا الهيئات والمؤسسات العمالية والإدارية وهي تضم جميع مواقع العمل الحكومية والخاصة والمصانع والشركات والمصانع والمستشفيات والسجون والجهات الإدارية وكذا طرق المواصلات المتنوعة والمناسبات العامة والخاصة في المجتمع ، فكلها وسائل هامة تحتاج من الدعاة مزيد من العناية والاهتمام في مسيرة العمل الدعوية .
لتوجيه الناس وتذكيرهم وإيقاظ الدعوة في قلوبهم ، فلذا وجب علي الدعاة إلي الله تعالي تسخير كل وسيلة لخدمة الدعوة الإسلامية .
وهاك بعضا من التفصيل لأهم هذه الوسائل كما وردت في أحاديث المستدرك :-

---

1 - راجع المزيد من الاستفادة سيرة بن هشام ج 4ص154، 155.

الفصل الأول

الوسيلة الأولى :

الكتابة وأهميتها للدعوة
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :-

الكتب والرسائل وخدمتهما للدعوة في صدر الإسلام

المبحث الثاني :-

الكتب والرسائل وأهميتهما لدعوة في العصر الحديث

المبحث الثالث :-

الفصل الأول

الوسيلة الأولى ((الكتابة))

لقد استعمل الإنسان منذ القديم الكتابة لتدوين العلوم ، وكان المكتوب عليه جلداً أو خشباً أو حجراً أو نباتاً (كالبردي) وعظاماً وقد علم المسلمون أهمية القراءة والكتابة منذ ظهور الإسلام ولذلك كتبوا القرآن وقرأوه وكتبوا السنة واستمروا في تدوينها وتصنيفها ، وكان في زمن النبي من الصحابة لقبوا بكتبة الوحي، وربما كان فور نزول الوحي من يدونه بعد تلقيه مباشرة .

ومما ورد في هذا الشأن في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن أبى سعيد الخدرى : أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصي الصحابة رضوان الله عليهم بكتابة القرآن الكريم قال " لا تكتبوا عنى شيئاً سوى القرآن ، من كتب عن شياً سوى القرآن فليمحه " ([1])

وفى رواية أخرى عند الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قالت لي قريش : تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إن قريشاً تقول : تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر قال : فأومأ إلى شفتيه فقال : " والذي نفسي بيده ما يخرج من بينهما إلا حق فاكتب " ([2])وقد كانت الكتابة لأهميتها في الإسلام ثمنا للفداء من الأسري ،فقد أوصي النبي صلي الله عليه وسلم أن يفك من أسري المشركين من علم عدد من الصحابة القراءة والكتابة ، فلربما كانت نجاة لصاحبها من القتل أو الموت

---

1) المستدرك ك / العلم برقم 444 ووافقه الذهبي صحيح على شرط الشيخين) 228/1

2) المستدرك ك / العلم برقم 360 وقال صحيح الإسناد، أصل في نسخ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه الذهبي) 228/1

فمن ذلك ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان ناس من الأسرى يوم بدر ليس لهم فداء فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة " ([1]).

وقد كانت الكتابة الوسيلة التي دون بها أوامر النبي ووصاياه للصحابة الكرام فمن ذلك ،ما جاء بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتني بدواة وكنف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، ثم ولانا قفاه ثم أقبل علينا فقال : يا أبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر([2])

ومن ذلك أيضا ماروه الحاكم في المستدرك بسنده عن قيس بن عبادة قال : دخلت على علىّ بن أبى طالب أنا والأشتر يوم الجمل فقلت : هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم عهداً دون العامة ؟ فقال : لا إلا هذا وأخرج من قراب سيفه فإذا فيها " المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم على من سواهم ، لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده .([3])

من فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :

أن الأمر بكتابة القرآن وتدوينه،وكذلك أوامر النبي ووصاياه تم تحت عينه وبإذنه ولذلك كان له كتبة يعرفون بكتبة الوحي منهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وأبى بن كعب ومعاوية ابن أبى سفيان وغيرهم .

وأن النهى عن كتابة السنة ابتداء حتى لا تختلط بالقرآن، ثم جاء الإذن بكتابة السنة بعد وفي حياة رسول الله دونت السنة النبوية.

وقد بينت الأحاديث الشريفة أهمية الكتابة في حفظ الدين للأجيال جيلاً بعد جيل ولذلك نجد اهتمام الإسلام بتعلم النشء القراءة والكتابة .

وقد أكدت الأحاديث علي ضرورة التدوين للقرآن والسنة والتراث الإسلامي بين الحين والحين حتى يسهل نقلهم إلى الأجيال اللاحقة، وبينت أن الكتابة هي أمان للأمة من الضلال ما بقيت بينهم الكتب ، وقد استخدمت الكتابة في عصر التابعين ومن بعدهم بتوسع أكبر في نقل ما فهموه عن الصحابة من القرآن والسنة فكانت دواوين السنة بتصنيفاتها وأصولها وقواعدها وكان تفسير القرآن وعلومه واللغة وعلومها ومذاهب الفقهاء والسير والتراجم والتاريخ وشرح المختصرات واختصار المطولات إلى غير ذلك مما هو معروف .

"وفي هذا دليل علي وجود التدوين والكتابة ووجود وثائق حفظت بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم حفظها الصحابة وعلموها للناس من بعده .

وفى العصور الحديثة تطورت الكتابة والطباعة بصورة رائعة وأصبح من الممكن الاستفادة بهذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى بصور عدة وأشكال متباينة.

" والكتاب وسيلة صالحة للعصر الحديث ، فلو استغلت الكتب للتعريف بالإسلام وحملها قادرون على البلاغ لأفدنا الإسلام كما يجب أن يكون " ([4])

---

1) المستدرك ك / قسم الفيء برقم 2669 262/2

2) المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / مناقب عبد الرحمن بن أبى بكر برقم 6115 وقال الذهبي إسناده صحيح وسكت عنه الحاكم ورواه البخاري في كتاب العلم بسياق أتم من هذا) 192/4

3) المستدرك ك / قسم الفيء برقم 2671 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي) 263/2

4) دراسات في الدعوة الإسلامية ص 119، د/ أحمد غلوش)

لقد أصبح الكتاب في كل بلاد العالم هو الغذاء الروحي والعقلي الذي يطالب به الجميع مثل رغيف العيش ، وعلم الرغم من تعدد وسائل التكنولوجيا الحديثة وما تستطيع أن تقدمه ، إلا أنه يبقى للكتاب صدارتها الأولى ، ويوضح .
تخريج حديث خاتم الرسول إلى الملوك .
ذلك الكم الهائل من الكتب التي تصدر في مختلف فروع المعرفة وحجم المكتبات الهائل على مستوى العالم التي أصبحت الواحدة منها تحوى ملايين الكتب والمخطوطات ، ويرجع أهمية الكتاب من بين الوسائل الأخرى لسهولة تداوله وإمكانية الكتابة في أكثر من موضوع في كتاب واحد وكذلك رخص ثمنه في كثير من الأحيان ، والأمان في حفظ المعلومة وتداولها فقد نجد كتب مر عليها اليوم مئات بل آلاف السنين ولم يغير أو يبدل فيها شئ وهذا لا تجده في وسائل التكنولوجيا الحديثة ، كما أن الكتاب صديق دائما للإنسان يرشده إلي الخير
" وعلى كل حال فإن الكتب لها تأثير كبير في تكوين آراء الطبقة المثقفة بوجه عام والطبقة الممتازة منهم بوجه خاص ، وهؤلاء هم الذين يمثلون الرأي العام المستنير أو المسيطر . ([1])
والكتب والرسائل من الوسائل التي استخدمت قديماً في نشر الدعوة وكانت سبباً في إسلام من توجهت إليهم وتستخدم حديثاً أيضاً خاصة بعد أن أصبحت الكرة الأرضية كأنها بيتاً واحداً يعيش فيه الجميع بسبب ثورة الاتصالات الحديثة .

أولاً : الكتب والرسائل في القديم :

الرسائل النبوية للملوك كانت وسيلة هامة لتبليغ الناس وإخبارهم عن دعوة الإسلام ومنهجه الرباني الكامل الشامل لسعادة البشرية . خاصة لمن يصعب الوصول إليهم في شتى أقطار الدنيا وهذا من كمال حرصه صلى الله عليه وسلم وشفقته على الأمة قال الله تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم "([2])
" ولقد استثمر النبي صلى الله عليه وسلم وسيلة الكتابة استثماراً بليغاً في المعاهدات ، كما في معاهدة المؤاخاة والمناصرة في أول عهدة بالمدينة ، وفى معاهدة الموادعة والمناصرة كما في صلح الحديبية ، ونحوها ، وفى بيان أحكام الإسلام ووصاياه كما في مقادير الزكاة وأحكام العبادات ونحوها كما في قوله صلى الله عليه وسلم بعد خطبته في حجة الوداع " اكتبوا لأبي شاة " ([3]) ومنها :
أ)- رسائل الدعوة التي بعث بها إلى الملوك والأمراء ، والتي حفظ التاريخ لنا من نماذجها كتبة صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة ، مع عمرو بن أمية الضمري ، وإلى هرقل ملك الروم ، مع دحية الكلبي ، وإلى المقوس عظم القبط في مصر ، مع حاطب ابن أبى بلتعة وإلى كسرى عظيم الفرس ، وإلى أمير البحرين واليمامة وعمان ودمشق .
قال صاحب الرحيق المختوم : " وبهذه الكتب كان النبي صلى الله عليه وسلم ، قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولكن شغل فكرة هؤلاء الكافرين وعرف لديهم باسمه ودينه " ([4])
وهذا من أهم واجبات الداعية فعليه أن يبلغ دعوته ويوصلها إلى الناس في شتي بقاع الأرض ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وأفضل الوسائل أسهلها في ذلك الكتابة .

---

1) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها د/ أحمد غلوش ص 443)

2) سورة التوبة الآية128)

3) المنتقى لابن أبى الجار ود 1/ 134 ، السنن الكبرى للنسائي ج3، ص 435

4) الرحيق المختوم ص 427 دار الوفاء

ولاهتمامه بتلك الرسائل والكتب صلى الله عليه وسلم أنه أقام مترجماً له ليعرف لغة القوم ويخاطبهم بها .
روى الحاكم في المستدرك بسنده عن زيد بن ثابت قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتحسن السريانية " فقلت : لا قال : " فتعلمها فإنه يأتينا كتب " فتعلمها في سبعة عشر يوماً . قال الحاكم : " قال الأعمش : كانت تأتيه كتب لا يشتهى أن يطلع عليها إلا من يثق به " (1)
فعلي الداعية أن يجتهد فيتعلم لغات أخرى حتى يتمكن من إيصال الدعوة إلى أصحاب هذا اللغة وقد منَّ الله تعالي علي المسلمين فخصصوا أقساما في الجامعات لتعلم اللغات الأجنبية وقامت جامعة الأزهر بتدريس العلوم الشرعية باللغات الأجنبية وأيضا سمحت وزارة الأوقاف بتعيين هؤلاء الخريجين ومن ثم إيفادهم للخارج وكان ذلك من أعظم المنافع للإسلام لنشر الدعوة الإسلامية .
ب): أنه اتخذ لنفسه صلى الله عليه وسلم خاتماً يختم به تلك الكتب والرسائل " وكان خاتمه من فضة نقشه : محمد رسول الله وكان هذا النقش ثلاثة أسطر هكذا " (2)
ج):- اختياره من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة ، بالدخول على الملوك والأمراء فقد كانوا " صحابة أكفاء لأنهم جميعاً دافعوا عن دينهم حين سئلوا عنه ووضحوه وقاموا بدورهم كدعاة إلى الله " (3)
وبالنسبة للرسائل التي أرسلت للملوك والأمراء لدعوتهم للإسلام بالحجة والبيان فقد كانت قليلة الكلمات ، سهلة مؤدية للمعنى دون اختصار مخل أو إسهاب ممل ، فيها وضوح وبيان ، اشتركت جميعها في وحدة الموضوع ووحدة الهدف ، إلا أنه اختلفت في صياغتها من واحد إلى أخر حسب ما يراه صلى الله عليه وسلم من مقتضى الحال بالنسبة لكل منهم .
ونذكر منها ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن إسحاق قال : كان اسم النجاشي أصحمة وهو بالعربية عطية وإنما النجاشي اسم الملك كقولك كسري وهرقل قال ابن إسحاق : هذا كتاب من النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبش سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله فأسلم تسلم " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله"الآية،فإن أبيت فعليك إثم النصارى . (4)
من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

---

1) المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / مناقب زيد بن ثابت برقم 5877 وقال صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمعه من زيت بن ثابت،ولم يخرجاه ووافقه الذهبي) 137/4

2) البخاري ك / أبواب الخمس ب / ما ذكر من درع النبي صلى الله عليه وسلم وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم تذكر قسمته ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك به أصحابه وغيرهم بعد وفاته 1131/3

3) دراسات في الدعوة د/ أحمد غلو ش ص 119بتصرف يسير .

4) المستدرك من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة برقم 4297 وقال لم يتابع محمد بن إسحاق القرش على اسم النجاشي أنه أصحمة فإن الأخبار الصحيحة المخرجة في الكتابين الصحيحين بالألف والكتاب إليه في كتاب رسول الله والحديث سقط من التلخيص عند الذهبي ، وقد رواه البيهقى عن ابن إسحاق بنصه 222/3

وضوح الدعوة التي من أجلها بعث الكتاب أو الرسالة ،مع مراعاة مقتضى حال المرسل إليه ودعوته بالحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن

و اختيار الوقت المناسب لإرسال الرسالة حيث كان ذلك في العام السادس من الهجرة بعد صلح الحديبية حيث انتشار الأمن في الجزيرة العربية ودخل كثير من الناس في دين الله أفواجاً وكانت هناك الهدنة والمعاهدات ،

وفيه عرض موضوع الرسالة بما يليق بفهم المرسل إليه وما يفهمه ،فالرسالة إلى رجل يعتنق النصرانية وفيها كثير من القضايا الشائكة وليس في هذا القضايا مداهنة أو مخادعة , لذا بين الرسول في خطابه الدعوة إلى التوحيد وأن الله تعالي ليس له ولدا ولا صاحبة وبين صلي الله عليه وسلم أن النصرانية الحق تؤيد ما جاء به الإسلام فكلاهما من عند الله الواحد الأحد ،فعلي الداعية أن يكون فطنا فاهما لتوجهات المدعو ومعتقدات من يدعوهم إن كانوا من غير المسلمين ، فمعرفة ذلك توفر علي الداعية الكثير من الوقت علاوة علي الحفاظ علي مشاعر القوم التي توجه إليهم الدعوة والرفق بهم والتلطف معهم حتى لا يعرضون عن الدعوة ويزدادون عنادا، ومن المواقف المشهودة في ذلك ما حدث بين جعفر ابن أبى طالب وبين النجاشي أيضا في هجرة الحبشة عندما طلب النجاشي عرض شيئا مما جاء في الإسلام فقرأ عليه من سورة مريم ما جاء عن السيدة مريم وابنها عيسى عليه السلام فشهد النجاشي أن ذلك حق وان لا يتلف عما جاء به عيسي عليه السلام .

" هذا ومن تأمل في كتاباته صلى الله عليه وسلم عهوداً أو رسائل أو بياناً ، لا يجد منها إلا ما هو منهج دعوة ، وتبلغ رسالة وبيان مراد الله من عباده "([1])

ثانياً : الكتب والرسائل فى العصر الحديث :

إذا كانت الكتب والرسائل من أهم الوسائل الإعلامية التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر وتهيئة الظروف الاتصالية للعلاقات الإنسانية العامة في القديم فإنها لا تزال ذات الأثر الفعال في العصر الحديث بأشكالها المتنوعة اليوم سواء المقروء منها أو المسموع أو المرئي .

" إن الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية وغيرها من الوسائل صناعات يسهل استخدامها في نقل مضمون الدعوة والإعلام إلى الإسلام وبالإسلام ، وعليه فإن تعاون جميع الوسائل المشروعة واجب لخدمة الهدف المشترك ، نقل المضمون العلمي إلى العالم للتعريف بالإسلام وبقيمه وبفضائله إن دعوة الحق تطالبنا بسرعة الخروج من هذه الغفلة وبالتحرر من استيراد الثقافة المستوردة ، وبتحقيق التعاون بين وسائل الدعوة والإعلام ، القديمة منها والحديثة ليكون فيض الخير والتقدم جزاءاً وفاقاً لهذه الأمة " ([2])

وسيكون الحديث في وسائل الاتصالات الحديثة على ثلاثة محاور المحور الأول الوسائل السمعية .

" يراد بهذه الوسائل ما تصل بواسطته الرسالة الدعوية إلى سمع المدعو مع عينة وجوارحه الأخرى وهى كثيرة العدد ومتنوعة الصور ومنها المذياع ، الشريط "

وكذلك الاسطوانات ، أجهزة التليفون والمحمول اليوم عن طريق الرسائل المسجلة الصوتية ([3])

وترجع أهمية المذياع والشريط الإذاعي وغيره مما ذكرنا إلى :

---

1) الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً ص 287 ط دار الصفوة)

2) فقة الدعوة والإعلام د/ عمارة نجيب ص 250 طبعة مكتبة المعارف بالرياض عام 1987)

3) الدعوة الإسلامية د/ أحمد غلوش ص 438 : 440

أ): سهولة وصول الفكرة إلى كل مكان وبمختلف اللغات وفى أسرع وقت ودون جهد ومشقة
ب) :مخاطبة كافة فئات المجتمع ، في جميع المشكلات التي تعتبر أحداث الساعة سواء على المستوى الديني أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو العلمي أو السياسي ووضع الحلول لها من منظور شرعي .
ج)ا :يمكن مخاطبة المدعو بها أياً كانت حالته ، لأنه يخاطب بها في بيته أو عمله أو وهو يأكل ويستريح أو وهو في سيارته أو سفره .
د): ربط المسلمين بعضهم ببعض خاصة في المناسبات والأحداث فور ظهورها فيوضحون الآداب المناسبة لها والأحكام الشرعية التي تتعلق بها مثلاً كشهر رمضان ، موسم الحج وأخبار الجهاد والمجاهدين في الغزو ..... إلى غير ذلك
ومما ورد في السنة ما هو تبليغ حي مباشر وإسماع صوتي حي ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : أنذرتكم النار أنذرتكم النار حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه .([1])

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

دقة الرسالة الدعوية المسموعة في اختيار كلماتها واستخدام المؤثرات الصوتية التي تساعد على انتباه المستمعين وفيه الصدق في الدعوة والشعور بالمسئولية تجاه المدعو .و العمل على أن يصل صوت الحق إلى أقصى مكان بالوسائل الممكنة ،
وفيه مسارعة الصحابة إلى سماع أوامر النبي وتطبيق تعاليمه والحرص علي سماع الأخبار والقيام بها فور صدورها .
ومنها أيضا :

1- الكتيبات والمطويات :

وعلى نفس الدرب ويؤدى نفس الوظيفة والمهمة الكتيب والكتيب تصغير كلمة كتاب ، وهي وإن كانت صغيرة الحجم قليلة العدد إلا أن لها أثر طيب في الدعوة حيث تعطي جوابا سريعا في أمر ما، يعود بالفائدة علي القارئ ،وتوصل معلومة ما بعينها في أوقات بسيطة وسريعة ، وتوجه المدعوين بإرشادات نافعة نحو الدعوة الإسلامية لاسيما إذا كانت متنوعة تعالج قضايا كثيرة فهي أحيانا تحمل بعض الآداب أو تسهم في نشر سلوك معين أو تحمل أذكار نبوية شريفة يحتاج المسلم إليها يشق عليه حمل الكتاب كاملا أو تدعو إلى سلوك معين في مناسبات دينية مثل شهر الصيام أو تبين آداب ومناسك الحج أو العمرة للمتوجهين إليهما أو تذكر في عجالة سريعة مقادير الزكاة وأنصبتها في صفحة أو صفحتين ، أو تذكر فتاوى هامة يحتاج إليها الخاصة والعامة ، مما يوفر الجهد الكبير علي القاري ويسهل عليه الوصول من أقرب طريق ويمكنه من مراجعة الموضوع في أي وقت وفي أي مكان، فهي معه أينما حل وحيثما ارتحل ، وتمكنه كذلك من دعوة الآخرين إلى ما تحمله من تعاليم مع توفير الكثير من الجهد والمال فربما بثمن كتاب واحد يشتري القاري ألف نسخة توزع علي ألف فرد ينتفعون بها ويعلمون مرادها سريعا ويدعون غيرهم . " وهو كذلك عبارة عن فكرة سريعة توضع في كلمات موجزة، وفائدة الكتيب تظهر في إمكانية الحصول علية ، وإمكانية قراءته في أوقات كثيرة وأثناء الحركة والعمل " ([2])

---

1) المستدرك ك / الجمعة برقم 1086 وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي) 395/1

2 - الدعوة الإسلامية د /أحمد غلوش صـ443 ، 444

ومثل الكتيب ، المطويات والرسائل التي في حجم الكارت الشخصي فهي تتميز:-
بقلة صفحاتها وصغر حجمها وسهولة حملها وسرعة الانتهاء من قراءتها
سرعة فهمها لأن موضوعها يعرض بصورة مجملة وبأسلوب سهل مبسط يفهمه المتخصصون وغير المتخصصين.
مناسبتها لعصر السرعة الذي نعيشه الذي تزاحمت فيه الأمور والهموم والأعمال علي الإنسان بحيث لم يعد يفرغ للقراءة وقتا طويلا كما كان من قبل .

2- الصحف اليومية والمجلات الشهرية والدوريات .

"وقد اصطلح على أن الصحيفة هي التي تصدر كل يوم أو مرة في كل أسبوع بحجم معين وصفحات كبيرة الحجم معدودة ، أما المجلة الأسبوعية أو الشهرية أو الدورية (حولية . أو نصف حولية . أو ربع حولية) فعدد صفحاتها كبيرة يشبه الكتاب . وتهتم بالصورة مع الحدث وتتناول بالتحليل والتعليق في كافة موضوعاتها " [1]

إن الصحف اليومية أو الأسبوعية وكذلك المجلات والدوريات يمكن أن تقوم بدور كبير في تبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها وتوضيح الشبهات التي علقت في أذهان الكثير من المنتسبين للإسلام بسبب فقدهم للعلم الشرعي والسطحية الدينية التي يعيشونها .

وترجع أهمية الصحيفة والمجلة للآتي :-

كثرة أبوابها ومواضيعها التي تناقش باستفاضة مع المختصين .
سهولة الحصول عليها لرخص ثمنها.
يمكن قراءتها وتداولها في أي مكان ويمكن قراءتها عدة من مرات.
نشر آراء وأفكار الدعاة والعلماء والمصلحين والمفكرين والأدباء الذين لا يستطيع القارئ الوصول إليهم .
إجابتها على كثير من الأسئلة الهامة والمعاصرة عن طريق باب الأسئلة والا فتاءات.
معالجتها للموضوعات التي يعبر عنها بأحداث الساعة . وهو ما يعرف (بالسبق الصحفي).
إفادتها للدعاة والمختصين والعلماء من خلال عرضها للموضوعات التي يحتاجون إليها بعمق ومنهجية .
ولأهمية تلك الوسيلة فقد اهتمت الدول والساسة ورجال الأحزاب في العصر الحديث بهذه الوسيلة ، " فأصدروا صحفا تنطق باسمهم وتزين سياستهم وتحبب الناس فيهم.والدعاة هم الأولى بذلك خدمة لدين الله تعالى ونفعا للناس أجمعين " [2]
وقد فطنت لذلك الأمر المؤسسات والوزارات المنوط بها الدعوة في هذا العصر، فقاموا بإصدار صحف ومجلات ودوريات تختص بأمور الشريعة ،ومعالجة مشكلات الواقع من منظور إسلامي، ونخص بالذكر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ووزارة الأوقاف ، والأزهر الشريف حيث أصدروا صحيفة صوت الأزهر ، مجلة منبر الإسلام ومجلة الأزهر وأصدروا الموسعات الفقهية والتاريخية والعامة واللغوية وقاموا بترجمتها إلى لغات كثيرة فجزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء .
3- مواقع الإنترنت والبريد الالكتروني ورسائل المحمول القصيرة .

---

1 - الدعوة الإسلامية صـ(444)

2 - الدعوة الإسلامية صـ(446)-

وقد وضعتها في محور الرسائل والكتب وذلك لأن معظمها مقروء من خلال جهاز الحاسب الآلي (الكمبيوتر) أو جهاز التليفون المحمول غالبا.
وهو مما يسهل للدعاة عملية نقل الخبر للناس وتحقيق تواصل مكين معهم، والدعوة بواسطة تلك الأجهزة الحديثة سهلة وبسيطة وتحتاج من الدعاة إلى وضع خطة دقيقة للاستفادة بها حتى لا تتحول إلى أجهزة للكسب والربح واللعب والهوى والفساد .
وكثير من الدعاة استخدم تلك الوسائل في هداية الشباب ودعوة غير المسلمين ، فدخل بسبب ذلك كثر من غير المسلمين في الإسلام، واهتدى شباب كثيرون ممن كان يتصفح المواقع الغنائية والإباحية وحجرات المراسلة والدردشة (شات) على يديه. وهذا جهد فردى فما بالنا لو تم وضع خطة لهذا الأمر تقوم بها المؤسسات والدول والوزارات المختصة لذلك . إذا لدخل الناس في دين الله أفواجا في مشارق الأرض ومغاربها .
ولعل من الأصوب في ذلك الأمر مراعاة الآتي في تلك الوسائل حتى يتم الاستفادة منها .
أولا:- تضمن تلك الوسائل لعوامل الجذب والتأثير.
فيجب أن يتوفر فيها جذب الحواس كالبصر والسمع وتحريك الجوارح والعواطف بأساليب التشويق المباحة كالأسئلة الاستفهامية وأساليب التعجب ، والوقوف علي أهم القضايا وأحداث الساعة والأخبار التي ينتظرها الكثيرون.
إن كثيرا من مرتادي المواقع على الشبكة العالمية يحكمون على مضمون المواقع من خلال جودة تصميمها ويقبلون عليها لرضاهم عن الشكل البراق والصورة الجذابة وربما كان ذلك في كثير من جوانب الحياة فالمظهر له أثر كبير في النفس والميل القلبي والواقع النفسي.
" والإسلام دين عظيم في مظهره ومخبره ويجب أن تتساوى وسائله مع هذه العظمة لتلقى مع عقول الناس وعواطفهم أينما كانوا وكيفما كانوا " (1) والإسلام لا يمنع الزينة والحسن والنظافة بضوابط شرعية وآداب يلتزم أهله بها رجالا ونساء .
ثانيا:- أن لا تتجاوز حد الطاقة والتكليف .
بمعنى أن تكون سهلة في تداولها والوصول إلى ما بها من معلومات فلا ترهق المدعو في تصفحها أو الوصول إلى حد الإسراف في المال والوقت والجهد دون فائدة تذكر .
وفي الحديث أن النبي ρ قال :" إن الله كره لكم القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال "[2]
ثالثا:- تبادل الخبرات :
وذلك بالاستعانة بالمتخصصين في تلك المجالات ونقل خبراتهم والاستفادة منها إذا أثبتت فاعليتها ، وربط المواقع الإسلامية بعضها البعض للتعاون فيما بينها
وذلك حتى تتلاءم تلك الوسائل مع التقدم الحضاري الحالي ، بل يا ليتنا نكون سباقين ولا نتسول التجارب من غيرنا في تلك المجالات لما في ذلك من نفع للدعوة إلى الله تعالي .
رابعا:-" المرونة والواقعية والشمولية" [1]

---

1 - (الدعوة الإسلامية أصولها وأساليبها ووسائلها صـ(450) -

2 - رواه البخاري بلفظ "كان يقول في دبر كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وكتب إليه إنه كان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال إضاعة المال وكان ينهى عن عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات" ك الاعتصام بالكتاب والسنة /: ب / ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم 2658/6

إن الإعلام الإسلامي بتوخيه الصدق إعلام هادف يدعو إلى الفضائل ويحث عليها ويحض على ترك الرذائل مبينا خطرها ومدى تأثيرها على المجتمع ، وعليه فإن المستجدات الداخلية والخارجية كثيرة فعليه أن يتسم بهذين الأمرين (الواقعية والمرونة)
ونعنى بالمرونة : " القدرة على المواجهة التطورات التي تحدث في العالم من ناحية، والتطورات التي تحدث في المجتمع من ناحية أخرى وذلك بإيجاد الكيفية لمواجهة هذه التطورات " [2]
ونعنى بالواقعية الشمولية : " أن تلتزم وسائل الإعلام بكشف المفاسد التي تقع في المجتمع فعلا ووقعا مع بيان ما في الإسلام من حقائق وأحكام ونظم الإصلاح واقع المسلمين وان تتجه وسائل الإعلام إلى كل إنسان لأنها تسعى لإقامة الإنسان الصالح دائما " [3]
تلك مهمة المسلم على وجه هذه الأرض خاصة من اصطفائه لحمل مشعل الهداية للبشرية وهم الدعاة والعلماء وارثو النبوة، الذين يبلغون عن الله تعالي ورسوله، والذين دعا لهم الرسول بالخير والبركة ونضارة الوجه .
قال صلى الله عليه وسلم :-" نضر الله امرء سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه " [4]
وخلاصة القول:

إن أهمية الإعلام الإسلامي بوسائله الحديثة المقروءة والمسموعة والمرئية تكمن في بيان مايلى :
أولا :-إعلاء كلمة الله بكافة وسائل الاتصال المناسبة المشروعة .
ثانيا :- إرشاد الناس إلي هدى الإسلام الصحيح وذلك بيان شرائعه وأحكام ونظمه التي تصلح من شأن الفرد والمجتمع .
ثالثا:- تصحيح مفاهيم الإسلام والدعوة إلى مبادئه السمحة وقيمه الأصيلة النافعة بطريقة علمية وعملية وفنية لتكون هذه القيم منهاج حياة كل مسلم في بيته وعملة ومع إخوانه وأقاربه وفى معاملاته وعاداته وتقاليده.
رابعا:- توضيح حقائق الإسلام وتاريخه المجيد . والذي استفاد منه الغرب في القديم.
رفض الشبهات التي يروجها أعداء الإسلام لتلويث ثوب الإسلام النظيف . وصد الناس عنه حتى لا يعتنقوه .[5]
إن أهمية الدعوة تأتى من جانبين . من جانب الناس حيث مصلحة الناس وسعادتهم لهذا التبليغ ومن جانب الدعوة لأن طبعها الحركة الهادفة والوصول إلى كل مكان في الوجود، ولابد من مضاعفة الجهود في خدمة هذا الدين لتتكافأ مع حجم المعاداة التي رصدها الأعداء عن دين الله تعالي .

---

1 - اتجاه الصحافة المصرية وعلاقة بالدعوة الإسلامية صـ10-

2 - ((الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة صـ (18)- د / محمد رجب الشتيوى))

3 - ((وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة صـ(49)-)) ((د/ محمد موفق الغلاييتى صـ(47)- طبعة دار الندوة جدة))

4 - رواه الطبراني في الأوسط 58/6 بلفظ "المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس "

5 - ((الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنةً صـ (122 . 121)- بتصرف))

((لذلك لابد أن تستمر مسيرة الدعوة إلى هذا الدين، ولا يتكل الدعاة يوما أبدا على وجود بعض المظاهر في اتجاه الخير لأن الشيطان مستمر في الإفساد والمعارضين للدعوة كثير عددهم وتعددت وسائلهم وعظمة إمكانياتهم [1]
يقول الشيخ محمد الخضر حسن : ((ولا تنسى أن المضلين المخادعين في هذا العصر قد تهيأ لهم من وسائل الدعاية ما لم يتهيأ لغيرهم فمن نواد تفتح , وصحف تنشر , وجمعيات تعقد , وأموال تنفق, وجاه يبذل , وهناك طائفة لم تفسق عن جحود وتمرد وإنما أوتيت من قبل الجهل , وعدم صفاء البصيرة فوضعت بجانب حقائق الإسلام وما يتبرأ منه الإسلام))[2]
وإذا كانت العلل اليوم عظيمة , ومنتشرة كانتشار النار في الهشيم إلا أن الإصلاح ليس بالعسير ولو كانت هناك مشقة إلا أن أمر من الممكنات وليس مستحيلا وإذا كان الدعاة اليوم يواجهون بعض الصعوبات في تبليغ دعوتهم ، فإن تلك سنة الله تعالي في الكون حتى مع أفضل الخلق الأنبياء والمرسلين ولو شاء الله تعالي لكانت الدعوة أيسر من ذلك ولكن الغنم بالغرم ((ولا دواء لتلك العلل إلا بمراهم الشريعة المركبة تركيبا كيماويا دقيقا من أجزاء الخطب والمواعظ وغيرها [3]
وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب يوم خيبر : ولئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمْر النعم [4]
فعلى الداعي أن يسعى ويجتهد ولكل النتائج على الله القادر على كل شئ : قال تعالي (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ)) [5]
وفى الحديث : " ليس الخبر كالمعاينة " ([6]) روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أن وفد عبد القيس من أهل الهجر قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم قعود عنده إذ أقبل عليهم فقال لهم : تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا حتى عد ألوان تمراتهم أجمع فقال له رجل من القوم : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال : إن أرضكم رفعت لي منذ قعدتم إلى فنظرت من أدناها إلى أقصاها ،فخير تمراتكم البرنى يذهب الداء ولا داء فيه " ([7])

---

1 - (دراسات في الدعوة صـ184-))

2 - ((الدعوة إلى الصلاح ص9))

3 - ((هداية المرشدين ش/ على محفوظ ص69, 70))

4 - رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل 3/ 1096

5 - (سورة غافر الآية 1هـ)

6) (المستدرك ك / التفسير ب / تفسير سورة الأعراف برقم 3300 بسنده عن ابن عباس وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي 435/2

7) (المستدرك ك / الطب برقم 7609 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجان وله شاهد من حديث أبى سعيد الخدرى وقال عنه الذهبي في التلخيص عثمان لا يعرف والحديث منكر وهو قال ابن الملقن) لا يعرف والحديث منكر وهو قول ابن الملقن 128/5

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

مدى تأثر المدعو بالواقعية التي يتحدث بها الداعي ، أن المشاهدة للحدث تحدث ردة انفعال المتحدث وقوة المناقشة والتسليم للمدعو بما قال ، وفيه تأييد الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرة دليلاً على صدق دعوته صلى الله عليه وسلم .

" إن المشاهد بواسطة التلفاز يرى انفعال المتحدث وقوة المناقشة ويتأثر بذلك كما يتأثر بالصور التي تتحرك هنا وهناك تظهر القدرة في خلق الله تعالى وتقدم العبر والعظات في صورة وحركة ، وعلى الدعاة أن يهتموا بهذه الوسيلة وعلى الدولة أن تمكن لهم منها " ([1])

وقد فطن الدعاة والمصلحون لخطورة تلك الوسيلة خاصة بعد أن تمكن العلماء من ربط التلفاز بالفضاء الخارجي بواسطة الأقمار الصناعية وبذلك تمكنوا من نقل أحداث أي منطقة في العالم في لحظة وقوعه بلا حد للمسافات أو الأماكن ، وكذلك بعد أن تحكمت في تلك الأقمار جهات هدفها الربح التجاري المادي وخفت سلطة الدول والحكومات من التحكم في تلك الوسيلة ، فقام الخيرون من الأمة والمصلحون والدعاة والعلماء بتخصيص قنوات للبث المباشر ، تميزت بصدق الدعوة ووسطية الإسلام وسماحته ويسره ، ونقل الخبر الصادق ، وإيجاد حلول للمشكلات التي تعتري البشرية من خلال منظور إسلامي فمن هذه القنوات " قناة المجد الفضائية والقرآنية والوثائقية والعلمية وقناة المجد للأطفال وقناة " خير " وقناة " الناس " وقناة " الهداية " وقناة " الهدى " والتي تخاطب غير العرب من المسلمين وقناة " الحكمة " وقناة " الفجر والعفاسى " القرآن الكريم وقناة " المجد للأحاديث النبوية " وغيرها من القنوات .

وقد هدي الله تعالي أناسا كثيرين استمعوا في بيوتهم إلى هذه القنوات وتتبعوا مواقيتها وبرامجها وأخبارها وتأثروا بما فيها فكانت السبب في نقلهم من محيط إلى محيط آخر.

ومن أهم المميزات في التلفاز أنه يقوم بدور الداعية في داخل البيت فتستمع إليه مع الأسرة في البيت جماعة أو فرادى، علاوة علي الاستفادة العظمي لهذه القنوات في الدعوة في الخارج في سائر الدول الإسلامية وغير الإسلامية، والعربية وغير العربية ،فاستخدام هذا الجهاز في الدعوة يعد فتحا ونصرا من الله تعالي للدعوة الإسلامية .

---

1) الدعوة الإسلامية ص 447) .

الفصل الثاني
الوسيلة الثانية:
الخطابة وأهميتها للدعوة إلي الله تعالي
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

وتحدثت فيه عن النقاط التالية

أولا :-

أهمية الخطابة في الإسلام .

ثانيا :-

عوامل مساعدة للداعية في نجاح دعوته .

ثالثا :-

أهم مميزات الخطيب الجيد .

الوسيلة الثانية
(الخطابة)

إن الخطابة الدينية نوع من أنواع الدعوة الجماعية وهي صوت الإسلام يبلغه الداعية أو الخطيب إلي الناس، ليهتدوا به إلي طريق الصواب ويحققوا به الثبات علي الحق "وهي "جهد في الدعوة إلى الله موجه من داع إلى الله استوفى أهلية البيان المقنع إلى جمع من الناس،ليست لهم خصوصية ولا خضعوا لاختيار وإنما هم المسلمين الذين.جمعهم مكان ليستمعوا،سواء كان هذا المكان بيتا من بيوت الله أم منتدى أو قاعة محاضرات أو غيرها([1])

وهى " فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تحتوى على عنصري التشويق والاستمالة"([2])

"فالقائمون بالدعوة العامة،يجب أن تتوفر لديهم شروط وصفات شخصية تؤهلهم لأن يتصدروا المحافل ويستحوذوا على انتباه الجماهير - بعض هذه الصفات خلقية تكوينية مثل سلامة الجسم من المنفرات وقوة الصوت والقدرة على الحركة،لكن البعض الأخر خلقي يمكن تنميته بالعلم والتمرين كحسن الخلق ولين الجانب وحسن الفراسة والاستنباط"([3])

ويعتبر حملة لواء الدعوة العامة هم الأنبياء والمرسلين ...لأنهم واجهوا بدعواتهم الجماهير المتباينة المشارب والأهواء،وتحملوا نتائج الدعوة أيما تحمل ،والحكماء

دعاة عاملون أيضا ...لأنهم قاموا بنقل ما منحهم الله من علم وحكمة بصورة جماعية إلى الجماهير ،ورغم الشدة والحظر الذي تعرضوا له فان ما قاموا به، وما بذلوه من جهد في الدعوة إلى الله وإلى دينه عاشت بعدهم حتى وصلت إلينا.

يقول الشيخ على محفوظ :"إن الأمراض والعلل تعرض للأجسام فتذهب بجمالها وكثيرا ما تؤدى بحياتها إذا لم تسعف بالعلاج الناجح قبل استفحالها،و اشتداد خطرها، والقلوب كالأجسام يعرض لها من الأمراض والعلل ما يطفئ نورها وقد يفقدها حياتها:وذلك بورودها مورد الغي والضلال وانهماكها في اللذات والشهوات وعدم المبالاة بأنواع الفسق والفجور وسيئات البدع فمن هذه الأفعال تكون أمراض القلوب وعللها ،ولدوائها وشفائها أمرت الشريعة الغراء بإعداد المعالجات الدينية المركبة،تركيبا كيماويا دقيقا من أجزاء الخطب والموعظة وغيرها"([4])

وإن انتقال الأفكار الجديدة عن طريق السماع لها وقع سريع في الانتشار وهو ما يعرف بطريقة التكاثر أو المتواليات العددية "فلو أن مائة إنسان سمعوا رأيا فنقله كل منهم إلى خمسة آخرين لوصل الخبر إلى خمسمائة في المرحلة الأولى ،ولو نقله كل واحد من هؤلاء الخمسمائة إلى خمسة آخرين لصاروا ألفين وخمسمائة في المرحلة الثانية .....في ظنك بمقدار انتشاره بعد مائة عام "([5])

عوامل مساعدة للداعية لنجاح دعوته:-

وإن مما يساعد الداعي في نجاح الدعوة العامة مراعاة المسائل الآتية:

1- حسن الأداء

2- حسن اختيار الموضوعات وحسن اختيار اللفظ والعبارة.

---

1) "فقه الدعوة إلى الله،الدعوة الفردية د/ علي عبد الحليم محمود ص41، ط دار الوفاء .

2) الخطابة ص5وزارة الأوقاف وقواعد الخطابة ص9 د/احمد غلو ش

3) كيف ندعو الناس ص38

4) "هداية المرشدين ص79 ، 80 بتصرف يسير.

5)"كيف ندعو الناس ص36

3- اليقظة 4- المتابعة "([1])

5-الإخلاص في الدعوة.

6-إتباع المنهج القويم القائم علي كتاب الله وسنة رسول الله.

7- البذل والتضحية.

وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يبذل أقصي ما في وسعه بذهابه إلي الناس ولقاءه بهم ،معلما إليهم وداعيا لهم إلي دين الله تعالي ، ومبينا دعوته التي جاء بها ،ومما ورد في هذا الشأن ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن جابر بن عبدا لله الأنصاري: إن النبي صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ ومنازلهم من منى:"من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربى فله الجنة:"فالدعوة إلي الله تعالي تحتاج من الداعية إلي نفس طويل وصبر جميلا ، فربما كانت بعض المواقف البسيطة سببا في ترك ساحة الدعوة والتخلي عنها ، ولو أنهم صبروا في دعوتهم لكن خيرا لهم .

ومنه أيضا ما رواه الحاكم في المستدرك أيضا بسنده عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم انجفل الناس إليه وقيل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس وجه كذاب ،فكان أول شئ تكلم به أن قال:يا أيها الناس افشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام " ([2])

من فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :

حسن السمت والهدى الصالح جزء من أجزاء النبوة ،وفيه اختيار النبي صلى الله عليه وسلم الجمل التي لا تتعارض مع أحد في أول خطاب له في جموع أهل المدنية، كذلك حسن أدائه صلى الله عليه وسلم من جعل تلك الكلمات تستر في أذن وقلب عبد الله بن سلام في أول لقاء له بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعلي الداعية أن يحسن اختيار الموضوعات ويحسن اختيار اللفظ والعبارة،وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول:"فضلت على الأنبياء بست .....وأوتيت جوامع الكلم"([3]) ونعلم أن وضوح شخصية الداعي للمدعوين من أهم مقومات نجاح الدعوة، وأن الداعية الصادق تبدو عليه علامات الصدق علي وجهه،وفيه بيان واضح لمعرفة أهل الكتاب لبعض أوصاف النبي محمد صلي الله عليه ،وجحودهم له رغم معرفتهم به، ومسارعة البعض إلى الإيمان به وهذا هو الواقع في كل زمان ومكان ،فقد يجد الداعية صدا وجحود من البعض وإنكارا لدعوته وعليه أن يتحمل ويصبر، وليعلم الدعاة أن أهل الكتاب هم أولى الناس بالإيمان بالنبي صلي الله عليه وسلم لمعرفتهم السابقة به ولعل ذلك كان من أسباب اختياره للمدينة المنورة دارا للهجرة .

وقد كان جمال منطقه دائم في سلوكه صلي الله عليه وسلم يلتزم به أينما حل وحيثما ارتحل ، يؤيد ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن شقيق قال:خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ أو يفسر فجعلت أقول:ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والروم لأسلمت"([4])

---

1) انظر كيف ندعو الناس ص47 وما بعدها

2) رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي 236/2

3) رواه مسلم ك/ كتاب المساجد ومواضع الصلاة 1/ 372

4)"أورده برقم 6400 ك / معرفة الصحابة ب / ذكر عبد الله بن عباس وأورده الذهبي وسكت عنه 257/3

وقد أورد الحاكم في المستدرك بسنده عن عقبة بن مالك قال:بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأغاروا على قوم فشذ رجل من القوم ،فاتبعه رجل من السرية معه سيف شاهر فقال الشاذ من القوم: إني مسلم ،فلم ينظر فيها فضربه فقتله،فوصل الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولا شديدا فبلغ القاتل ،فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إذ قال القاتل : يا رسول الله والله ما قال الذي قال إلا تعوذا من القتل فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن من
قبله من الناس وأخذ في خطبته ثم قال الثانية:يا رسول الله والله ما قال الذي قال إلا تعوذا من القتل فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن من قبله من الناس وأخذ في خطبته ثم لم يصبر إن قال الثالثة (مثل ما قال في الأولى والثانية) فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف المساءة في وجهه ثم قال:إن الله عز وجل أبى على من قتل مؤمنا قالها ثلاثا"([1])

من فقه الدعوة في الحديث الشريف:

يقظة الداعي من إن يلبس عليه أحد المدعوين أمر دعوته، ومتابعة الداعي للمدعوين وحرمة دم من قال لا إله إلا الله ، وأنه يكفى في الدخول في الإسلام العبارة التي تدل على ذلك أيا كانت طالما تؤدى المعنى.

كما أنه لآبد من صراحة الداعية وقوله للحق ولو على نفسه أو أحب الناس إليه قال الأستاذ الدكتور محمود محمد عماره:"إذا حدثنا التاريخ أن أمة ذلت بعد عز أو دولة سقطت بعد قوة .....فتبعه ذلك الذل ....وهذا السقوط ملقاة على دعاة لا ينصحون ...ومن أجل ذلك كان لابد من النصيحة....مهما كانت الظروف"([2])

و النصيحة تعنى تقديم حق الله تعالى على كل حق.

"إذا وجد الداعية نفسه أمام حق الله تعالى في العبودية وحق الوالد في البر ....فانه....وبلا تردد يسقط حق الوالد إذا كان فيه تضييع لحق الله تعالى "([3])

إن يقظة الداعي ومتابعته لا تعنى الشدة والتضييق على المدعو

"ثم إن المقصود بها (بالنصيحة) الازدجار أو الاعتبار وليس الانتقام أو التشفي وهذا ما نلمحه في خطابه عليه الصلاة والسلام.....وعلى قسوة الخطاب إلا أن الداعية لا يتخلى أبدا عن حكمته ....حكمته البادية في منطقة البليغ" ([4])

قال ابن حجر في الفتح:"تنبيه:"قصر الغضب على الموعظة والتعليم دون الحكم مأمور أن لا يقضى وهو غضبان،والفرق أن الواعظ من شأنه أن يكون في صورة الغضبان لأن مقامه يقتضى تكلف الانزعاج لأنه في صورة المنذر،وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه لأنه قد يكون ادعى للقبول منه وليس ذلك لازما في حق كل أحد بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين "([5])

من هديه ρ في خطبه:

كان صلي الله عليه وسلم يستعين في خطبته بالإشارة والحركة فإذا أشار بيده وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمني راحته اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه ρ وربما نظر إلي السماء وهو يريد أن يتحدث بالأمر العظيم يحدث للأمة .ففي استخدام العين

---

1) أورد الحاكم برقم ك / الإيمان ووافقه الذهبي على شرط مسلم 114/1

2) أصول الدعوة من قصة إبراهيم عليه السلام ص114

3) "نفس المصدرص114

4) نفس المصدر ص 114، 115

5) انظر فتح الباري ص 274، 275 طبعة دار مصر "

أو النظر كأداة مساعدة في التعبير ما كان يفعله صلي الله عليه وسلم من توجيه البصر أو صرفه إلى جهة معينة حسبما تقتضي الظروف و تتطلب الأحوال.
روي الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ρ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : " هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء " قال:فقال زياد بن لبيد الأنصاري : يا رسول الله وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ،فوالله لنقرأ نه ولنُقرئنه نساءنا وأبناءنا ، فقال :" ثكلتك أمك يا زياد ، إني كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ، هذا التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم ؟ " ([1])
وفي استخدام إصبعه الشريف للإشارة أو التعبير والتأكيد علي ما يقوله ليصل بوضوح إلى القوم ما ورد في حديثه صلي الله عليه وسلم في خطبته عام حجة الوداع انه كان يقول :" اللهم بلغت اللهم اشهد يرفع إصبعه السبابة إلي السماء ثم يرم بها نحو الصحابة ثلاثاً "
وفي بيان أهمية الشفتين وما يخرج من بينهما من كلامه الشريف صلي الله عليه وسلم 0
ومما ورد في هذا الشأن أيضا ما رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمرو ، قال : قالت لي قريش : تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إن قريشا ، تقول : تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر ،قال : فأومأ إلى شفتيه ، فقال : " والذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلا حق فاكتب " ([2])
وفي بيان بعض صفات الله تعالي وتوضيحها للناس وحتى يسهل عليهم فهمها ، استعان الرسول صلي الله عليه وسلم في بيان أن الله تعالي سميع، وأشار إلى أداة السمع الأذن ،ثم أراد إخبار الصحابة عن البصر فأشار بإصبعه إلى العين التي هي أداة الإبصار مما يزيد الأمر وضوحا وثباتا في أذهان المدعوين، فاستخدام الإشارة من الوسائل الناجحة في إيصال الدعوة وتفهيمها للمدعوين.
وروي الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله كان سميعا بصيرا فوضع إصبعه الدعاء على عينيه وإبهاميه على أذنيه" ([3])
وأورد الحاكم في المستدرك أيضا بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : كنا نمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض حيطان المدينة ، فقال : " يا أبا هريرة " فقلت : لبيك يا رسول الله . فقال : " إن المكثرين هم الأقلون إلا من قال بماله هكذا وكذا "، وأومأ بيده عن يمينه ، وعن شماله ، وقليل ما هم .."([4])
وقد كان صلي الله عليه وسلم يحسن استخدام هذه الأعضاء في تبليغ الدعوة ولا يعتدي بها علي أحد.
كان صلي الله عليه وسلم يتسم بأخلاقه العظيمة في خطبته لا يعيب ولا يشتم ولا يجابه فرداً بأمر خاص ، وإذا أراد مخاطبة يقول : ما بال أقوام يفعلون كذا ، وكل ضحكه التبسم

---

1) المستدرك كتاب العلم 1/ 179

2) المستدرك ك / العلم برقم 357 وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهني وقال صحيح ولم يخرجا لعبد الواحد وهو شامي ك العلم 1/ 186

3) المستدرك ك / الإيمان برقم 63 وقال صحيح ولم يخرجاه وله شاهد علي شرط مسلم ووافقه الذهني وقال علي شرط مسلم 119/1

4) الحديث رواه الحاكم ك / الدعاء والتسبيح والتهليل والذكر برقم 1937 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهني في التلخيص 76/2

روي الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن عبد الله بن عمرو ، قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي عليه جبة من طيالسة مكفوفة بالديباج ، فقال : إن صاحبكم هذا يريد رفع كل راع وابن راع ، ويضع كل فارس وابن فارس ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فجلس ، فقال : " إن نوحا لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال : إني قاص عليكما الوصية : آمركما باثنين وأنهاكما عن اثنين : أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله ، فإن السماوات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منهما ، ولو أن السماوات والأرض وما فيهما كانت حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما ، وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنهما صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ".([1])

من فقه الدعوة في الحديث الشريف:

بيان واضح لجفاء الأعراب وشدتهم ، وفي القرآن آيات سورة التوبة في الإعراب عرض واضح لهذا الخلق الذي اشتهر عنهم .

كما أوضح الحديث الشريف أن الإسلام يسوى بين الشريف والوضيع ،فالكل عباد الله لا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح وفي ذلك إزالة كل الحواجز والطبقات بين الناس ، وفتح المجال أمام الجميع لينتفعوا سويا بالدعوة إلي الله تعالي دون أن تكون حكرا علي احد أو يتميز بها احد علي احد ، كما أوضح الحديث الشريف الداعية الأول صلي الله عليه وسلم علي جفاء الأعراب والتعامل بالحسنى ، فالدعية الناجح هو الذي يحتوي مدعويه ولا يجهل عليه ،تعريض الداعية في خطبته بذم الكبر والمتكبرين فيه كفاية عن التصريح والتوضيح والتجريح .

و إذا أراد الداعي رد المدعو إلي الصواب فليصرف انتباهه إلي كلام معظم عنده لقول الله سبحانه وتعالي كقول رسول أو قول عالم أو قول شيخ مما يعلم أنه يكن له التعظيم والتوقير وفي حديث ابن اللتبية الذي جاء بالصدقة فقال هذا لكم وهذا أهدي لي فغضب النبي صلي الله عليه وسلم وخطب الناس فقال : ما بال الرجل نبعثه فيأتي ويقول هذا لكم وهذا أهدي لي هلا جلس في بيت أمه فينظر أيهدي إليه أم لا ([2]).

ولما كان أمر الخطابة من أهم عناصر البحث في الدعوة الجماعية كان لزاماً أن نبين بعضا من ميزات الخطيب .

من مميزات الخطيب الجيد علي سبيل الإيجاز:-

أ- عدم الالتزام بالنمط الواحد أو الأسلوب المتكرر المعاد التقليدي – دائما وإنما عليه أن يجدد دائما ويراعي ما يناسب المدعو ما يحتاج إليه.

ويتضح ذلك بجلاء في دعوة نبي الله نوح مع قومه

قال تعالي { **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9 ...** ([3])

---

1) المستدرك ك / الإيمان برقم 154 وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجا للصقعب ابن زهير فإنه ثقة قليل الحديث ووافقه الذهني في التخليص 147/1

2) رواه البخاري ك / كتاب الهبة وفضلها باب من لم يقبل الهدية لعلة وقال عمر بن عبد العزيز كانت الهدية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية واليوم رشوة2/ 917

3) سورة نوح الآيات من 5 إلي 9.

وكذلك ما قصه ربنا جل وعلا من دعوة نبي الله إبراهيم لقومه قال تعالي :
{ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } [الأنعام:75] ([1])
هذا والدعاة إلي الله عليهم مراعاة هذا الأمر في شتى جوانبه ومن صور التنوع والتجديد، ومهما جدد الداعي في دعوته من معلمات فلن يصل إلى نهاية العلم فليس للعلم نهاية فبحره مديد مهما أخذ منه فلن ينفد أبدا .

ب- تزويد الداعي لدعوته بالقصة والمثل .

لا ينكر أحد أمر القصة وما لها من فائدة عظمى إذا سيقت لتأكيد مبدأ ما ولا غرو فقد كثرت القصة في القرآن الكريم لتقرير العقيدة الصحيحة وبين زيف العقائد الباطلة ، وغير ذلك من فوائد القصة في القرآن الكريم .
وينبه في القصة إلى الحذر من الكذب والأمر الذي لابد من بيانه هو " ضرورة الالتزام في القصة والمثل بصدق الرواية صحتها قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **: "** إن كذباً علي ليس ككذب علي أحد من كذب علي متعمداً فليلج النار **"([2])**
وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " كفي بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع **" ([3])**
إن القصة سلاح فعال إذا أحسن الداعي استعماله ، لأن النفس ترتاح لسماع القصة وتسمع وتتأثر بالمغزى الذي تحويه ، ومن أجل ذلك وجدنا في القرآن والسنة الصحيحة عديداً من القصص وعلي الداعي أن لا يغفل أيضا إيراد القصة من واقع الحياة وصياغتها بأسلوب سهل العبارة يناسب المدعوين ففي ذلك أبلغ واعظ وزاجر من القصص التي كانت فيمن سبق ، وذلك لواقعيتها التي يلمسها الناس.
قال الله تعالي : " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن"([4])
والقرآن الكريم مليء بالقصص والعظات والعبر في شتي الجوانب التي تؤثر في الإنسان بمجرد قراءتها فضلا عن تفسيرها وتوضيحها للمدعوين لا سيما إذا استخدمها الإنسان ووظفها للاستفادة منها في وقتنا الحاضر.
وقال تعالي : **" لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "([5])**
فما فعل بالمرسلين من سخرية واستهزاء وإنكار حدث لرسول الله ρ وما فعله القوم مع الأنبياء فعلته قريش وما حدث من جرم في الحاضر يتكرر مع اختلاف بسيط لا يؤثر في أحداث الجريمة فالأشخاص تنفذ الأحداث.

ج- الترغيب والترهيب :

---

1) سورة الأنعام من الآية(75)

2) رواه البخاري كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة على الميت وقال عمر رضي الله عنه دعهن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقع أو لقلقة والنقع التراب على الرأس واللقلقة الصوت 434/1

3) صحيح البخاري ك / العلم ب / ب ليبلغ العلم الشاهد الغائب 52/1

4) سورة يوسف الآية 2

5) سورة يوسف الآية (111) .

إن التلويح بما يعود علي المدعوين عند الاستجابة من المنافع المادية والمعنوية في الدنيا والآخرة وأيضا بالعقوبة والنقمة العاجلة والآجلة عند المخالفة ما تتفتح له القلوب وتتصدع له الأفئدة ويحدو بالناس لدخول في دين الله أفواجاً (1)

وإننا حين نبين ذلك نلفت الانتباه بشدة نحو هدي القرآن لمعالجة تلك النفوس الشاردة ، كما في قوله تعالي :" الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني " (2)

قال ابن كثير رحمه الله : " إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من التشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني ... هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين (3)

وقد كان هذا النوع واضحاً جليا في دعوته صلي الله عليه وسلم

ج- استخدام منطق الاستمالة والمقاربة :

إن الإسلام غني بالمبادئ التي تألفها الجماعات وتحبها إذ هو دين يخاطب الفطرة " إن نفوس الناس قد جعل الله لها مداخلا ذللاً ، وذلك أنها تفتح مصاريع قلوبها لمن يأيتها من الزوايا التي تريحها وتقترب بكليتها لمن يتألفها ومباعدة ممن يهاجمها أو يستثيرها ويحرك الكوامن التي تخفيها وتحاول التغطية عليها ما وسعها في ذلك جهدها " (4)

ومما ورد في هذا الشأن أيضا ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن شقيق قال : خطب ابن عباس وهو علي الموسم فافتتح سورة النور فجعل يقرأ أو يفسر فجعلت أقول : ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله ، لو سمعته فارس والروم لأسلمت (5)

وذلك هو ما عرفه أصحاب رسول الله صلي الله وسلم وما ألفه الدعاة الصادقون ممن سار علي نهجهم فلم يتشددوا ولم يتنطعوا وإنما كانوا دعاة مخلصين ناصحين لأمتهم علي النهج السوي الذي رسمه لهم النبي صلي الله عليه وسلم.

فأين أولئك من هؤلاء الدعاة الذين لا يرون الدعوة إلا ثورة انفعال وتشنج وتعصب وهدير صوت وطول لسان أحياناً وكثرة طعن وتجريح وسوء فهم للذات والدعوات للناس !؟

د- استخدام وسائل الإيضاح:

إن الداعية الموفق يستطيع أن يأخذ من كل ما هو بين يديه وسيلة لإيضاح فكرته وبيان دعوته وشرح منهجه ، والكون كله ملئ بما يخدم هذا الهدف .

قال الله تعالي " وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ () وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُون () وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ " (6)

روي الحاكم في المستدرك بسنده عن سمرة بن جندب ، قال : بينما أنا يوما وغلام من الأنصار نرمي غرضا لنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانت الشمس على قدر رمحين ، أو

---

1) الدعوة إلي الله فقهاً ومنهجاً ص 278

2) سورة الزمر الآية 23

3) تفسير القرآن العظيم ص 4 / 50 بتصرف

4) الدعوة إلي الله ص 281)

5) المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / ذكر عبد الله بن عباس برقم 6400 وأورده الذهبي في التلخيص وسكت عنه) 257/4

6) سورة الذاريات الآية (23)

ثلاثة في عين الناظر من الأفق اسودت حتى آضت كأنها تنومة ، فقال : أحدنا لصاحبه انطلق بنا إلى المسجد فوالله ليحدثن شأن هذه الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته حدثا ، فدفعنا إلى المسجد ،

فإذا هو بارز ، " فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى الناس . قال : فتقدم وصلى بنا كأطول ما قام بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته ، ثم ركع بنا كأطول ما ركع بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته ، ثم سجد بنا كأطول ما سجد بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته ، قال : ثم فعل في الركعة الثانية مثل ذلك ، قال : فوافق تجلي الشمس جلوسه في الركعة الثانية ، قال : ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه ، وشهد أن لا إله إلا الله ، وشهد أنه عبده ورسوله " ، ثم قال : " يا أيها الناس إنما أنا بشر ورسول الله ، فأذكركم الله إن كنتم تعلمون أني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما أخبرتموني حتى أبلغ رسالات ربي كما ينبغي لها أن تبلغ ، وإن كنتم تعلمون أني قد بلغت رسالات ربي لما أخبرتموني " . قال : فقام الناس فقالوا : نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك وقضيت الذي عليك ، قال : ثم سكتوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما بعد فإن رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس ، وكسوف هذا القمر ، وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض ، وإنهم كذبوا ولكن آيات من آيات الله يفتن بها عباده لينظر من يحدث منهم توبة ، والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون في دنياكم وآخرتكم ، "الحديث ([1])

فقه الدعوة في الحديث الشريف :

استخدام وسائل الإيضاح المبثوثة في الكون والأنفس لتثبيت المفاهيم العقدية حيث استخدم ρ في دعوته ، وكذا تعد من أهم مناهج الدعوة الإسلامية التي دعي بها القرآن الكريم ، ففي كتاب الله الكثير والكثير من الآيات الكونية ، والإنسانية المستخدمة في توجيه المدعوين إلي الله تعالي ،

فهذه الآيات تؤدي إلي انفعال الناس وتأثرها بالوقائع المحسوسة .

وعلي الداعي تصحيح الأخطاء التقليدية وتقويم المفاهيم المنحرفة عن طريق وسيلة الإيضاح المحيطة بالناس ورد ما يحدث في هذا الكون إلي خالقه سبحانه وربط قلوب الناس بذلك والاستدلال بالآثار الكونية وتغيير الظروف والأحوال التي تمر بالإنسان فرؤية المخلوقات تشهر بعظمة الخالق سبحانه وتعالي ،وعلي الإنسان ألا يكون في سيرة من الغافلين وعلي الداعية بيان خطأ الغير للمدعوين حتى يحذروا منه ويجتنبوه خاصة إذا كان يتعلق بالاعتقاد وحثهم علي ضرورة المسارعة إلي التوبة وترك الفتن وأن ذلك من سمات الصالحين .

---

1) المستدرك من كتاب الكسوف برقم 1260 وقال صحيح علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص 441/1، 442

الفصل الثالث

المسجد وأهميته في الدعوة إلي الله تعالي

من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :-

النهوض بالدعوة من المسجد في العصر الحاضر

المبحث الثاني :-

المسجد والتربية

المبحث الثالث :-

التجمعات التعبدية في المساجد

الفصل الثالث

الوسيلة الثالثة
((المسـجد))

بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجاً وذلك بعهد هجرة المسلمين إلي المدينة أصبح المسجد جهازاً فعالا للدعوة الإسلامية ووسيلةهامة من وسائل نشرها،ومحصن آمن يجمع بين الداعي والمدعو عن قرب

" فمن أول يوم بني رسول الله صلي الله عليه وسلم مسجده الشريف علي تقوى من الله ورضوان، لم يفكر لنفسه في بيت، وإنما فكر في بيت لله لتقوي صلة الأمة بربها ، إذ أن المساجد مراكز إشعاع للنور والهدي ، ويكيفه فخراً وشرفاً أنه بيت الله "([1])

أولا :أهمية المسجد في الإسلام :-

إن المسلمين أصحاب عقيدة تحدد صلتهم بالله وتوضح نظرتهم إلي الحياة وتنظم شئونهم في الداخل علي أنحاء خاصة وتسوق صلاتهم بالخارج إلي غايات معينة ، إنهم يريدون أن يستضيئوا بالوحي وأن يحصوا علي رضوان الله وأن يحققوا الحكمة العليا التي من أجلها خلقوا ، ولذلك تأتي أهمية المسجد في الإسلام حيث هو المحصن الآمن والمعين الذي لا ينضب من الرحمة والعلم ومن هنا شغل رسول الله صلي الله عليه وسلم أول مستقره بالمدينة بوضع الدعائم التي لابد منها لقيام رسالته ، فكان أول عمل قام به كما ذكرنا بناء المسجد ، لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين وتنقي القلب من أدران الأرض ودسائس الحياة الدنيا .

"إن المسجد في الإسلام رمز لما يكترث له الإسلام أعظم اكتراث ويتشبث به أشد تشبث ، وهو وصل العباد بربهم وصلا يتجدد مع الزمن ويتكرر أناء الليل والنهار فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله الواحد وتجهل اليوم الآخر وتخلط المعروف بالمنكر " ([2])

وكانت رسالة المسجد في صدر الإسلام تشمل الإسلام كله فالمسجد هو:

أ) المعبد الذي يدع المسلمون فيه أحقادهم ، ومطامعهم وشرورهم وفسادهم علي الباب ويدخلون إليه بقلوب متفتحة للإيمان منطلقة إلي السماء ، متحلية بالخشوع ثم يقومون صفا واحداً يستوي فيه الكبير

---

1) أضواء علي الدعوة الإسلامية ص 161 دار الطباعة المحمدية طبعة خاصة بالمؤلف د/ مبروك محمد عبد السميع

2) فقه السيرة / الغزالي ط دار الريان ص 189

والصغير ، الأمير والغني والفقير ، أقدامهم متراصة ، وأكتافهم متزاحمة ، وجباههم جميعاً علي الأرض ، متسابقين لنيل شرف العبودية[1]والمساجد هي دليل إسلام المرء وهي برهان إيمانه فهي الشاذة التي يعتد بها ظاهرا للناس، وأما الباطن فموكل إلى الله تعالي .
وقد روي الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا عليه بالإيمان ، قال الله عز وجل : " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر " (2) وللمسجد دور عظيم منذ أن جاء الإسلام فارتبطت نه كل جوانب الحياة.
ب) المسجد في الصدر الأول كان هو البرلمان فما دهي المسلمين أمر ، ولا عرض لهم عارض إلا نودي الصلاة جامعة ، فيجتمع المسلمون في المسجد فيكون انتخاب الخليفة ، وفيه تكون البيعة ، وفيه تبحث القوانين التي تستمد من الشرع ثم تعلن فيه علي الناس .
ج) وهو النادي : إن قدم أميراً بلداً كان أول ما يدخل من البلد المسجد ، فعلي منبره يعلن سياسته ، ويذيع منهجه وإن كانت حرب عقدت الرايات في المسجد .
د) وهو المدرسة : ففي المساجد وضعت الثقافة الإسلامية وفيها شيدت صروحها وكان يدرس في المسجد كل علم ينفع من علوم القرآن وعلوم السنة وعلوم الشريعة وعلوم للسان وعلوم سنن الله في الأكوان . (3)
ومن ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي أمامه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " من غدا إلي المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان له أجر معتمر تام العمرة ..." الحديث (4)
هـ) وهو المحكمة : فعلي بسط المساجد وبين أعمدتها وأساطينها أصدرت أعدل الأحكام وأجراؤها وفيها سطرت أروع صفحات القضاء (5)

ثانيا: فضل المساجد :

وفي فضائل المساجد وعمارتها والمشي إليها والاعتكاف فيها أورد الحاكم في المستدرك عدة أحاديث منها
ما روي بسنده عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي البقاع خير ؟ فقال : لا أدري قال : فأي البقاع شر ؟ فقال : لا أدري فأتاه جبريل فقال : سل ربك ... وفيه أن رب العزة قال لجبريل : " فحدثه أن خير البقاع المساجد وأن شر البقاع الأسواق " (6)

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :

---

1) (الجامع الأموي بدمشق ص 18)

2) المستدرك أول كتاب الصلاة ب / في مواقيت الصلاة برقم 770 وقال صحيح وعلق الذهبي عليه في التلخيص بقوله دراج كثير المناكير. 1/ 342 والآية (18) من سورة التوبة .

3) كتاب الجامع الأموي بدمشق ص 18

4) المستدرك ك / العلم برقم 314 قال صحيح علي شرط البخاري ووافقه الذهبي. 1/ 192

5) كتاب الجامع الأموي بدمشق ص 18 أضواء علي الدعوة ص 162

6) المستدرك ك / العلم برقم 309 وقال : أورده الذهبي في التلخيص سندا ومتنا وسكت عنه 190/1.

قول العالم إذا سئل عما لا علم له به " لا أدري " فليس هذا بعيب وليخرج من الإحراج بوسيلة حسنة وحيلة كريمة بعيدة عن الإجابة الخاطئة التي ربما كلفته الكثير في الدنيا والآخرة .

وبيان أن المساجد خير بقاع الأرض لما تحويه من الذاكرين والقائمين والعاكفين والركع السجود .

الأسواق شر بقاع الأرض لأن الغفلة فيها تكون أتم ،فإذا ذهب المسلم إليها فليتقي الله تعالي وليعرف حدوده فلا يغفل عن ذكر الله ، وليتق الله ربه ، ولا يقول إلا الصدق ،و لا يذكر إلا الحق وليحرص المسلمين على التعلم والاستفادة والسؤال عن المهم والأكثر فائدة لدينهم ووجوب الاهتمام بخير البقاع نظافة وتنظيما وسلوكا ووجوب الاهتمام بشر البقاع ومراقبتها ودوام الرقابة عليها .

وروي الحاكم أيضا في المستدرك بسنده عن سهل بن سعد ألساعدي قال: قال " رسول الله صلي الله عليه وسلم :" بشر المشاءين في الظلم إلي المساجد بالنور التام يوم القيامة " (1)

وروي أيضا بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " لا يوطئن أحدكم المساجد للصلاة إلا تبشبش الله به من حيث يخرج من بيته كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم " (2)

من فقه الدعوة في الحديثين الشريفين :

فضل المشي إلي المساجد خاصة في الليل وفرحة الله جل وعلا بعمار بيته (المسجد)

وفضل الصلاة في المسجد علي غيرها وفضل صلاتي الفجر والعشاء وعظم أجرهما ،وفي فضل الذهاب إلي المسجد للتعلم والتعليم وردت عدة أحاديث عن رسول الله منها :

ما روي الحاكم أيضا في المستدرك بسنده عن أبى أمامه : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : من غدا إلي المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان له أجر معتمر تام العمرة فمن راح إلي المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه كان له أجر حاج تام الحجة (3)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

فضل الذهاب إلي المساجد لتعلم العلم أو تعليمه وعظم أجر متعلم ومعلم الناس الخير وبيان واضح لسعة فضل الله تعالى وكثرة نعمه علي عباده وبيان منزلة النية في التمييز بين درجة العمل .

ومن فضائل المشي إلي المساجد أنه يغسل الذنوب غسلا ، وقد وردت عدة أحاديث في هذا الشأن عن رسول الله منها:

ما روي الحاكم في المستدرك بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إسباغ الوضوء علي المكاره وإعمال الأقدام إلي المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا " (4)

وروي الحاكم أيضا في المستدرك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الأبعد فالأبعد من المسجد (5)أعظم أجراً .

من فقه الدعوة في الحديثين الشريفين :

---

1) المستدرك ك/ في مواقيت الصلاة 342/1 برقم 877 وقال علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي

2) المستدرك ك/ في مواقيت الصلاة 343/1 برقم 880 وقال صحيح علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي

3) المستدرك ك/ العلم برقم 192/1 برقم 314 وقال الحاكم صحيح علي شرط البخاري ووافقه الذهبي

4) المستدرك ك/ في مواقيت الصلاة 335/1برقم 463 وقال صحيح علي شرط مسلم ووافقه الذهبي

5) المستدرك ك/ في مواقيت الصلاة 338/1 برقم 752 وقال صحيح ووافقه الذهبي

الترغيب في المشي إلي المساجد حتى ولو كان في ذلك مشقة علي البعيد عنها
و الإرشاد إلى مكفرات الذنوب ومذهبات الخطايا و كثرة الثواب بعظمة المشقة ،وعلي قدر التعب تكون المكافأة وعلي قدر العمل يكون الأجر

ثالثا- فضل المشي إلى المساجد :-

ومن فضائل المشي إلي المساجد أنه يغسل الذنوب غسلا روي الحاكم في المستدرك بسنده عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إسباغ الوضوء علي المكاره وإعمال الأقدام إلي المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة يغسل الخطايا غسلا " (1)وروي الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : الأبعد فالأبعد من المسجد (2)أعظم أجراً .

ومن فقه الدعوة في الحديثين الشريفين:

الترغيب في المشي إلي المساجد حتى ولو كان في ذلك مشقة علي البعيد عنها، وفيه قاعدة الغنم بالغرم، فكلما زادت الشقة تضاعف الأجر، والحث علي إسباغ الوضوء مع تحمل المكاره.، وانتظار الصلاة من بعد أداء التي قبلها ، فذلك طريق غفران الذنوب وطهارة الظاهر والباطن .

وللمسجد قدسية وروحانية وتأثير قوى على جموع المسلمين في شتى بقاع الأرض فالمسجد هو بيت المسلمين ومأواهم ومكان تجمعهم ومكمن الدعوة فيهم وهو البيت الذي لا يصد عنه أحد ولا يرد عنه طالب ولا يمنع منه راغب وهو البيت الذي يستوي فيه الغنى والفقير والوزير والخفير وهو بيت الله في الأرض وهو مكان إقامة الصلوات وتجمع الجماعات وتنزل الرحمات، وبعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وذلك بعد هجرة المسلمين إلي المدينة أصبح المسجد جهازاً فعالا للدعوة الإسلامية ووسيلة من وسائل نشر الدعوة ومحصن آمن يجمع بين الداعي والمدعو عن قرب .

" فمن أول يوم بني رسول الله صلي الله عليه وسلم مسجده الشريف علي تقوى من الله ورضوان، لم يفكر لنفسه في بيت، وإنما فكر في بيت لله لتقوي صلة الأمة بربها ، إذ أن المساجد مراكز إشعاع للنور والهدي ، ويكيفه فخراً وشرفاً أنه بيت الله "(3)

رابعا- المسجد في الحاضر:

لقد كان المسجد في الصدر الأول في حدود البساطة ، " فراشة الرمال والحصباء ،وسقفه الجريد ، وأعمدته الجذوع ، وربما أمطرت السماء فأوحلت أرضه ، وقد تفلت الكلاب إليه فتغدو وتروح ، هذا البناء المتواضع الساذج ، هو الذي ربي ملائكة البشر ، ومؤدبي الجبابرة وملوك الدار الآخرة "(4) ، وأما اليوم فقد أعيا المسلمين والدعاة بناء الرجال فاستعاضوا عن ذلك بتشييد المساجد وزخرفتها .

وأراني أمام حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم واقعاً عمليا لحال المساجد في هذا العصر وحال روادها ، ففي الحديث عن أنس قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد " (5)

---

1) المستدرك ك / الإيمان 1/ 233 برقم 456 وقال صحيح علي شرط مسلم ووافقه الذهبي)

2) المستدرك ك / الإيمان برقم 752 وقال صحيح ووافقه الذهبي) 1/ 310

3) أضواء علي الدعوة الإسلامية د/ مبروك محمد عبد السميع ص 161 ط دار الطباعة المحمدية

4) " فقه السيرة ص 188 للغزالي

5) رواه ابن حبان ك / المساجد 4/ 493

وقد روي الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : يأتي علي الناس زمان يجتمعون في المساجد ليس فيهم مؤمن . ([1])، وفيه بيان حالة ضعف الإيمان التي تصيب حتى المصلين من هذه الأمة في آخر الزمان

" ولو أنفقنا علي الدعوة الإسلامية عشر معشار ما ننفقه علي المساجد المزخرفة لنجحت الدعوة وأدت دورها ، إذ أن الداعية في المسجد هو نقطة الارتكاز وعليه المعول وبدونه لا يصبح للمسجد فائدة ، أرأيت إلي المساجد المزخرفة هل استطاعت أن تدفع عن نفسها الجيوش التي هاجمتها والخيول التي داستها كلا ..... كلا " ([2])

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : " ولكن الناس لما أعياهم بناء النفوس علي الأخلاق الجليلة استعاضوا عن ذلك ببناء المساجد الشاهقة تضم مصلين أقزاما ، أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد وتشيدها إلي تزكية أنفسهم وتقويمها ، فكانوا أمثلة صحيحة للإسلام "([3])

خامسا ـ النهوض بالدعوة من خلال المسجد في العصر الحاضر:

علي الرغم مما واجه الدعوة والدعاة من عقبات ومشاق وآلام إلا أنه يبقي للمسجد دوره الرئيس في هذا الوقت بالذات متى أحسن استغلاله تنظيميا ودعويا ، لأنه مهوي أفئدة الحيارى والمقصرين والمتلبسين بفتن الشهوات والشبهات .

وهذا النهوض بالدعوة من خلال المسجد منوط بالداعية وسعة أفقه ووحدة أهدافه وذلك لأنه فارس الميدان بحق وقائد تلك السفينة ، وهو ممارس العملية الدعوية يومياً .

" إن ميدان العمل الحياتي أو ميدان الممارسة هو المجال الذي لا يكون الاعتماد فيه علي الجانب المقالي أو بعبارة أوضح ، لا يكون ليس عاملا أساسيا في الموضوع " ([4])

إن الداعية يجب أن يستفيد من كل وسيلة وأسلوب شرعي مباح في سبيل إعادة دور المسجد ليرتقي بالدعوة والمدعوين عليه أن يكون مجاهداً وداعية ومعلما ومرشدا ومستشارا مؤتمنا علي أسرار المدعوين ومصلحاً اجتماعيا ومربيا حنونا " وهكذا كل أحوال أصحاب الرسالات وأعمالهم هي أولا وأخيراً منهج دعوة ومقتضيات رسالة إذا أنها " لله رب العالمين لا شريك له " ([5])

ونستطيع بإيجاز أن نضع نقاطا هي بمثابة إشارات علي الطريق للنهوض بدور المسجد دعويا في الآتي :

1) المسجد والتعليم والتثقيف

لقد اختار النبي صلي الله عليه وسلم المسجد ليكون مركز التعليم والتثقيف والتفقه في الدين بتبليغ الوحي وتوضيحه في خطب الجمعة ومجالس العلم .

---

1) رواه الحاكم أول كتاب الصلاة 1/ 356 برقم 8537 وقال صحيح علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي في التلخيص

2) أضواء علي الدعوة ص 163

3) فقه السيرة ص 189

4) الدعوة إلي الله فقها ومنهجا ص 299 دار الصفوة

5) الدعوة إلي الله فقهاً ومنهجاً ص 300

" والمسجد أنسب الأماكن لهذه المهمة العظيمة خصوصاً عند اجتماع المسلمين للصلاة في جماعة كل يوم خمس مرات " ([1])
ولقد حث النبي صلي الله عليه وسلم علي حضور مجالس العلم في المسجد فقال : " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالي يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " ([2])
ومما جاء حول هذه المسألة في المستدرك ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلي الله وسلم يقول " من جاء مسجدنا هذا يتعلم خيراً أو يعلمه فهو كالمجاهد في سبيل الله ، ومن جاء بغير هذا كان كالرجل يري الشيء يعجبه وليس له " وربما قال : " يري المصلين وليس منهم ويري الذاكر وليس منهم " ([3])
من فقه الدعوة في الحديث الشريف :
إخلاص النية في طلب العلم داخل المسجد يعدل الجهاد في سبيل الله ، فضل تعلم العلم وتعليمه وهذا إلا يفطن إليه كل أحد قال ابن القيم رحمه الله تعالي : " وتعليم سننه صلي الله عليه وسلم أبلغ من توجيه السهام إلي نحور العدو ، لأن تبليغ السهام يحسنه كل أحد وأما تبليغ السنن فلا يحسنه إلا ورثة النبيين وخلفاؤه علي أمته من بعده " ([4])
ومما ورد في هذا الشأن أيضا ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن معاوية رضي الله عنه قال : " كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم يوماً فدخل المسجد فإذا هو بقوم في المسجد قعود ، فقال النبي صلي الله عليه وسلم : ما يقعدكم " قالوا صلينا المكتوبة ثم قعدنا نتذاكر كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن الله إذا ذكر شيئا تعاظم ذكره " ([5])
من فقه الدعوة في هذا الحديث الشريف :
- فضل الجلوس في المسجد لتعلم كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم ، الجزاء من جنس العمل فقد أعلي الله من شأنهم بسبب جلستهم تلك وباهي الله بهم ملائكته
بذلك نكون قد ارتقينا بالدعوة من خلال المسجد في الوقت الحاضر عن طريق قطبا رحى التغيير في حياة كل أمة إنها التربية والتعليم وبذلك يكون المسجد جامعة تخرج الرجال كما كان في الصدر الأول قال تعالى " لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم "([6])
- " كان المسجد النبوي هو الجامعة التي تخرج منها الأبطال الذين فتحوا قلوب العباد والبلاد بدعوة الإسلام ، فلم تكن وظيفة المسجد مجرد مكان للصلوات الخمس ، ولكنه كان مدرسة النبوة ، ومنارة العلم ، كان المسجد هو البوتقة التي انصهرت فيها قلوب الصحابة وذاب فيها ما كان فيها من

---

1) أضواء علي الدعوة الإسلامية ص 164

2) رواه مسلم ك/ الذكر والدعاء4/ 2047

3) المستدرك ك/ العلم 190/1 برقم 312 ، 313 وقال صحيح علي شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال لا أعلم له علة

4) جلاء الأفهام لابن القيم 415/1

5) المستدرك ك/ العلم برقم194/1 برقم 324 وقال صحيح علي شرطهما ووافقه الذهبي

6) سورة آل عمران الآية 164

عصبيات وتكبر وتمرد ، وكان المسجد كير القلوب الذي أخرج ما فيها من شرك وحقد وحسد ، حتى صار الصحابة أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً " (1)
تلك كانت وظيفة المسجد في الصدر الأول وهذا ما ننشده في الداعي اليوم أن ينتقل بالمسجد إلى سابق عهده فيكون منارة يهتدي بها الحيارى في ظلمات الشبهات المضلة والشهوات المستحكمة .
وينبغي أن يكون الهدف الذي يسيطر على الجهة التي تنشئ هذه المؤسسات أو تديرها عقلية الدعاة إلى الله لا عقلية التجار الذين لا هدف لهم إلا الربح المادي .
ولا مانع من أن يستعين الداعي ببعض الوسائل الحديثة لتكون عوناً له على توصيل الدعوة للمدعوين ، مثل الملصقات ، مكتبة للكتب والشرائط والاسطوانات،والأقراص المعدنية المعدة لذلك ، لوحة لإعلانات ، عمل مسابقات في القرآن الكريم وتجويده وقراءته ، إنشاء لجنة للزكاة ويستعين فيها بأهل الخير من الأمناء لكفالة الأيتام ورعاية المساكين والمرضى والمدينين ، عمل لجنة لإصلاح ذات البين وفض المنازعات ، عمل ندوات عمليه يدعى إليها العلماء المؤثرين في المجمع ، عمل مستوصف خيري للكشف على المرضى .
ولو تأملنا ما ذكرناه لوجدنا ذلك كله كان يقوم به المسجد في الصدر الأول .مع الحفاظ علي حرمة المسجد كاملة وقدسيته وجعل الدعوة في المقام الأول فهي التي تصلح غيرها ، وهي التي تؤثر في الناس وليس العكس .
" إن جميع الخطط بأهدافها ووسائلها والقائمين على تنفيذه يجب أن تكون منطلقة من حرص الجميع على هداية الجيل إلى الخير والفلاح ، وبذر بذور التقى والصلاح في النفوس والقلوب ، لتحقق آمال الزراع الدعاة " (2)

2) <u>المسجد والتربية :</u>

إن المسجد هو الحصن الأمن حيث يزكى فيه النفوس وتصهر فى بوتقة الإيمان لتتخلص من كل ما يشرب القلب من شهوات وشبهات .
قال تعالى " { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ }(3) "
" إن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغذى القلوب والأرواح بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ، ويغذى العقول بالعلم والمعرفة الشاملة ، وهذان الغذاءان عليهما حياة الإنسان وفيهما قوته وشرفه " (4)
ومن ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فضل العلم أحب إلى من فضل العبادة وخير دينكم الورع " (5)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف:

- فضل العلم على فضل العبادة ويؤخذ منها فضل العالم على العابد وفيه أهمية التخلق بخلق الورع وهو خلق أخص من التقوى ، وفيه اهتمام الداعي بتعليم المدعو أعمال القلوب كما يعلمه الصلاة والصوم والزكاة والحج ، أهمية صرح الأخلاق في الشرع المطهر.

---

1) وقفات تربوية من السيرة النبوية د / أحمد فريد ص 163 طبعة دار ابن خلدون

2) أضواء على الدعوة الإسلامية ص 169

3 – سورة النور الآية 36

4) أضواء على الدعوة الإسلامية ص 165

5) المستدرك / العلم 1/ 192 برقم 317 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي

ومما ورد في هذا الشأن ما رواه الحاكم فى المستدرك بسنده عن أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " (1)
وبين صلى الله عليه وسلم أن كمال الإيمان لا يوصل إليه إلا بكمال الخلق الحسن
ففي المستدرك بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " (2)
وكان من وصاياه صلى الله عليه وسلم لأصحابه عند تعليمهم مراعاة الأخلاق الحسنة مع الله ومع النفس ومع الناس .
ومن ذلك ما روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا أبا ذر اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " (3)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

أولا :- على الداعي أن يغرس في نفس المدعو مراقبته لله عز وجل وأن لا ييأس من رحمة الله عندما يقترف سيئة ، وأن يراعى حق الخلق بالإحسان إليهم .
ثانيا :- حب الرسول لأصحابه ووصايته الدائمة لهم بالخير
ثالثا :- وجوب تقوى الله تعالى في كل حين ومكان
رابعا :- إتباع السيئة الحسنة يزيلها
الأمر بمعاملة سائر الناس بالحسنى .
قال الله تعالى : " **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا () فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا () قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا () وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ()** } "(4).
" إن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم الخشية "
كما قال تعالى : " **إنما يخشى الله من عباده العلماء** " (5) العلم نور يقذف في القلب (6)
إن أصل المسألة يدور على طهارة القلب وخضوع الجوارح لأحكام الشرع ، فالداعي قبل أن يكون معلماً أو عالماً يجب أن يكون مربياً مهتماً بأن يتحلى المدعو بطهارة الباطن والظاهر .
وفى الحديث الذي رواه الحاكم بسنده عن أبى الدر داء قال عبادة للسائل " إن شئت لأحدثك بأول علم يرفع من الناس، الخشوع يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيها رجلاً خاشعاً "(7)
ومن الأسباب الجالية لعبارات القلب تعلم الأذكار الموظفة بالليل والنهار على ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم من حين يستيقظ وحتى نومه صلى الله عليه وسلم وتمرير تلك الأذكار على القلب .

---

1) المستدرك ك/ آيات رسول الله التي هي دلائل النبوة 3/ 214 برقم 4274 وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي

2) المستدرك ك/ الإيمان 1/ 99 برقم 2 وقال صحيح على شرط مسلم وقال الذهبي رواه ابن عليه عن الحذاء عن أبى قلابه عن عائشة وأنا أخشى أنه لم يسمعه منها .

3) المستدرك ك الإيمان 1/ 153 برقم 177 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي

4) سورة الشمس الآيات من (7– 10)

5) سورة فاطر من الآية (28)

6) إحياء علوم الدين جـ 1 ص 49 .

7) المستدرك ك/العلم 1/ 200 برقم341 وقال صحيح ووافقه الذهبي)

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن سلمان قال : " كان سلمان في عصابة يذكرون الله فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم قاصداً حتى دنا منهم ، فكفوا عن الحديث إعظاماً له قال ما تقولون ، فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم ، فأجبت أن أشارككم فيها " (1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

أولا :- بيان أهمية ذكر الله وأن ذلك من أسباب تنزل الرحمة ،

ثانيا : - حرص صلى الله عليه وسلم على الخير في خاصة نفسه ولأمته ،

ثالثا :- وفيه تبشير الداعي للمدعو بفضل الله ورحمته والفرح بذلك .

رابعا :- وفيه فضل حلق الذكر .

خامسا :- وتواضع النبي صلي الله عليه وسلم وطلبه المشاركة مع القوم فيما يفعلون من الخير .عدم التحرج من السؤال ولو كان من الأعلى للأدنى أو من المعلم للمتعلم ، وأدب الصحابة وتوقيرهم للنبي صلي الله عليه وسلم وسكوتهم عن الحديث ولو كان في طاعة ، وفيه رؤية النبي صلي الله عليه وسلم للرحمة وتميزه رغم أنها غير محسوسة لغيره .

خطبة الجمعة :

ومما ورد في شأن يوم الجمعة أن يوم الجمعة خير أيام الأسبوع فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة " (2)

وفي فضائله أيضا ما أورده الحاكم في المستدرك بسنده عن سلمان ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا سلمان ، ما يوم الجمعة ؟ " قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : " يا سلمان ، يوم الجمعة فيه جمع أبوك أو أبوكم ، وأنا أحدثك عن يوم الجمعة ، ما من رجل يتطهر يوم الجمعة كما أمر ، ثم يخرج من بيته حتى يأتي الجمعة فيقعد وينصت حتى يقضي صلاته إلا كان كفارة لما قبله من الجمعة "

والجمعة تجب علي كل مسلم مكلف (بالغ عاقل) ذكر مستوطِن ببناء ووقتها من الضحى إلي آخر وقت الظهر وفي العدد كلام لأهل العلم منهم من قال أقله أربعين ومنهم من أجازها بأقل من ذلك ومن أدرك مع الإمام ركعة أتمها جمعة والا صلاها ظهراً . والكلام في هذه المسألة مفصل في كتب الفقه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " من أدرك ركعة من صلاة الجمعة فليضف إليها أخري وقد تمت صلاته " (3)

ويخطب الإمام قبلها خطبتين قصيرتين يقرأ فيهما آية من كتاب الله مع حمد الله والصلاة والسلام علي رسوله صلي الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويسن أن يخطب قائماً معتمداً علي عصا أو سيف مواجهاً للناس .

وكذلك روي الحاكم في المستدرك بسنده عن جابر بن سمرة السوائي ، قال : من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب جالسا على المنبر فكذبه ، فأنا شهدته " كان يخطب قائما ، ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى " . قال : قلت : كيف كانت خطبته ؟ قال : " كلام يعظ به الناس ، ويقرأ آيات من كتاب الله ثم ينزل ، وكانت قصدا - يعني خطبته - وكانت صلاته قصدا بنحو الشمس

---

1) المستدرك ك / العلم 1/ 224 برقم 423 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي)

2) رواه مسلم ك/ الجمعة / فضل يوم الجمعة 2/ 585

3) مسند أبى عوانة 415/1

وضحاها ، والسماء والطارق ، إلا صلاة الغداة ، وصلاة الظهر كان يؤذن بلال حيث تدحض الشمس ، فإن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام وإلا سكت حتى يخرج ، والعصر نحوا مما تصلون ، والمغرب نحوا مما تصلون ، والعشاء الآخرة يؤخرها عن صلاتكم قليلا " (1)
أما الصلاة فركعتان يقرأ فيها جهراً ، ويستحب رفع الصوت بالخطبة وتقصيرها والاهتمام بها ففي الحديث أمرنا رسول الله بإقصار الخطب " (2) ،ومن أوصاف رسول الله صلي الله عليه وسلم وتغيره وتأثره بما ينذر به الناس ما ورد عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم "(3)
قال النووي : يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبنية من غير تمطيط ولا تكون ألفاظا مبتذلة ملفقة فإنها لا تقع في النفوس موقعاً كاملاً ولا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها ، بل يختار ألفاظا جزلة مفهمة ، وقال ابن القيم رحمه الله " وكذلك كانت خطبته صلى الله عليه وسلم إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعد لأعدائه وأهل معصيته فيملأ القلوب من خطبته إيمانا وتوحيدا ومعرفة الله وأيامه لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيمانا بالله ولا توحيدا له ولا معرفة خاصة به ولا تذكيرا بأيامه ولا بعثا للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلي التراب أجسامهم فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به ومن تأمل خطب النبي وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ثم طال العهد وخفي نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغي الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها . (4)
ولأهمية هذا اليوم الطيب يوم الجمعة نجد أن الشرع هيأ المسلم لاستقباله وأمره أن يكون في أحسن صورة وأجمل حال .
ويتأكد ليوم الجمعة الغسل والتطيب ولبس أحسن الثياب لصلاة الجمعة ويكره تخطى الرقاب والكلام حال الخطبة .
روى الحاكم بإسناده عن عن أوس بن أوس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر يوم الجمعة : " من غسل واغتسل ، وغدا وابتكر ، ودنا ، وأنصت واستمع غفر له ما بينه وبين الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصى فقد لغا" (5)

---

1) المستدرك ك/ الجمعة 1/ 394 برقم 1085 وقال علي شرط مسلم ووافقه الذهبي

2) المستدرك ك/ الجمعة برقم1/ 396 برقم 1094 وقال صحيح هلي شرطهما ووافقه الذهبي)

3) رواه مسلم ك/ الجمعة ب/ باب تخفيف الصلاة والخطبة 5/ 592

4) زاد المعاد 423/1

5) المستدرك ك/ الجمعة 1/ 390 برقم 1068 وأورده الذهبي سنداً ومتنا وسكت عنه

ومن أهم التجمعات في المسجد والتي تتكرر دوريا وتتكرر معها الموعظة وتستخدم فيها وسيلة الخطابة

صلاة العيدين :

" وقد شرعت صلاة العيدين في السنة الأولي من الهجرة وهي سنة مؤكدة واظب عليها النبي صلي الله عليها وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها " (1) ، وشروطها كشروط صلاة الجمعة ويسن أن تقام في ظاهر المدينة إلا أهل الأعذار وتصلي ركعتان قبل الخطبة جهراً ،" فقد ورد أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأضحى والفطر فقال كان يقرأ فيهما بـ "ق والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر " (2)، ثم يخطب بعد الصلاة خطبة يبدأ فيها بحمد الله تعالي والثناء عليه والصلاة علي رسوله صلي الله عليه وسلم ولم يحفظ عن رسول الله صلي الله عليه وسلم غير هذا في افتتاحه لخطبة العيد ، قال ابن القيم : " فصل في هديه في العيدين كان يصلي العيدين في المصلى وهو المصلى الذي على باب المدينة الشرقي ... ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة واحدة أصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ... وكان يلبس للخروج إليهما أجمل ثيابه فكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة ومرة كان يلبس بردين أخضرين ومرة بردا أحمر وليس هو أحمر مصمتا كما يظنه بعض الناس فإنه لو كان كذلك لم يكن بردا وإنما فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية فسمي أحمر باعتبار ما فيه من ذلك وكان يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات ويأكلهن وترا وأما في عيد الأضحى فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته... وكان يخرج ماشيا والعنزة تحمل بين يديه فإذا وصل إلى المصلى نصبت بين يديه ليصلي إليها فإن المصلى كان إذ ذاك فضاء لم يكن فيه بناء ولا حائط وكانت الحربة سترته وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ويعجل الأضحى وكان ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة لا يخرج حتى تطلع الشمس ويكبر من بيته إلى المصلى وكان إذ انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة ولا قول الصلاة جامعة والسنة أنه لا يفعل شيء من ذلك ولم يكن هو ولا أصحابه يصلون إذا انتهوا إلى المصلى شيئا قبل الصلاة ولا بعدها " (3)

ومن هديه صلي الله عليه وسلم في خطبة العيد أنه كان يخرج يوم الأضحى والفطر فيبدأ بالصلاة فإذا قضى صلاته وسلم قام فأقبل على الناس بوجهه وهم جلوس في مصلاهم فإن كانت له حاجة ببعث ذلك ذكره للناس وإن كانت له حاجة أمرهم بها وكان يقول تصدقوا تصدقوا تصدقوا وكان أكثر من يتصدق النساء ثم ينصرف "(4)

وتصح صلاة العيد من الرجال والنساء والصبيان مسافرين كانوا أو مقيمين، ومن فاتته الصلاة مع الجماعة صلي ركعتين، قال البخاري : " باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين وكذلك النساء ومن في البيوت والقرى ، لقول النبي صلي الله عليه وسلم " هذا عيدنا أهل الإسلام ، وأمر أنس بن مالك مولاهم ابن أبي عتبة بالزاوية فجمع أهل بيته وصلي كصلاة أهل المصر وتكبيرهم ، وقال عكرمة أهل السواد يجتمعون في العيد يصلون ركعتين كما يصنع الإمام وقال عطاء : إذا فاته العيد صلي ركعتين

ومن أهم التجمعات أيضا والتي تتكرر معها الموعظة وتستخدم فيها هذه الوسيلة

---

1) فقه السنة رقم 1 ص 267

2)رواه مسلم ك/ صلاة العيدين باب ما يقرأ به في صلاة العيدين 607/2

3) زاد المعاد 441/1 وما بعدها بتصرف

4) صحيح ابن خزيمة باب قراءة القرآن في الخطبة والاقتصاد في الخطبة والصلاة جميعا 350/2

صلاة الكسوف الخسوف:

وهي ركعتان – سنة – كل ركعة بقيامين وركوعين وقد اتفق العلماء علي أن صلاة الكسوف سنة مؤكدة في حق الرجال والنساء وأن الأفضل أن تصلي جماعة

قال ابن القيم : السنة الصحيحة الصريحة المحكمة في صلاة الكسوف تكرار الركوع في كل ركعة لحديث عائشة وابن عباس وجابر وأبي بن كعب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي موسي الأشعري أنهم رووا عن النبي صلي الله عليه وسلم تكرار الركوع في الركعة الواحدة وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وذهب أبو حنيفة إلي أن صلاة الكسوف ركعتان علي هيئة صلاة العيد والجمعة ووقتها من حين الكسوف إلي التجلي وصلاة خسوف القمر مثل صلاة كسوف الشمس ([1])ويستحب بعد الفراغ من الصلاة أن يتم تذكير الحضور بالله وبأيامه وآلائه ويأمر الناس بالإكثار من الاستغفار والتوبة والتصدق وعند الشافعي أن الخطبة من شروط صلاة الكسوف والخسوف وقال مالك وأبو حنيفة لا خطبة في صلاة الكسوف وإنما خطب الرسول ليرد علي من زعم أن الشمس كسفت بسبب موت إبراهيم ابن الرسول صلي الله عليه وسلم . ([2])

وقد روي الحاكم في المستدرك بسنده عن ثعلبة بن عباد العبدي ، من أهل البصرة ، أنه شهد خطبة يوما لسمرة بن جندب ، فذكر في خطبته قال سمرة : بينما أنا يوما وغلام من الأنصار نرمي غرضا لنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كانت الشمس على قدر رمحين ، أو ثلاثة في عين الناظر من الأفق اسودت حتى آضت كأنها تنومة ، فقال : أحدنا لصاحبه انطلق بنا إلى المسجد فوالله ليحدثن شأن هذه الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته حدثا ، فدفعنا إلى المسجد ، فإذا هو بارز ، " فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى الناس . قال : فتقدم وصلى بنا كأطول ما قام بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته ، ثم ركع بنا كأطول ما ركع بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته ، ثم سجد بنا كأطول ما سجد بنا في صلاة قط لا نسمع له صوته ، قال : ثم فعل في الركعة الثانية مثل ذلك ، قال : فوافق تجلي الشمس جلوسه في الركعة الثانية ، قال : ثم سلم فحمد الله وأثنى عليه ، وشهد أن لا إله إلا الله ، وشهد أنه عبده ورسوله " ، ثم قال : **" يا أيها الناس إنما أنا بشر ورسول الله ، فأذكركم الله إن كنتم تعلمون أني قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي لما أخبرتموني حتى أبلغ رسالات ربي كما ينبغي لها أن تبلغ ، وإن كنتم تعلمون أني قد بلغت رسالات ربي لما أخبرتموني "** . قال : فقام الناس فقالوا : نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك وقضيت الذي عليك ، قال : ثم سكتوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أما بعد فإن رجالا يزعمون أن كسوف هذه الشمس ، وكسوف هذا القمر ، وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض ، وإنهم كذبوا ولكن آيات من آيات الله يفتن بها عباده لينظر من يحدث منهم توبة ، والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقون في دنياكم

وآخرتكم ، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا آخرهم الأعور الدجال : ... الحديث ([3])

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

---

1) فقه السنة (1/ 181، 182)

2) فقه السنة 1 ص 181)

3) رواه الحاكم في المستدرك1 / 442 من كتاب الكسوف برقم 1260 وقال صحيح علي شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص)

- حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ الأمانة للناس وعدم كتمانها ،مع حرصه صلى الله عليه وسلم على إشهاد الناس على البلاغ وإبراء ذمته من ذلك .، وتصحيح عقيدة الناس في الكواكب والنجوم وكيف أنها مخلوقات لله تعالى كسائر المخلوقات ، و.إطلاع الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم على بعض غيوب المستقبل

وكذلك صلاة الاستسقاء والاستسقاء هو طلب السقيا من الله تعالي :

فإذا أجدبت الأرض واحتبس المطر يدعو الإمام أهل البلدة للخروج إلي صلاة جامعة ويخرج ومعه أهل الدين والصلاح والمميز من الصبيان إلي ظاهر المساكن متضرعين متذللين فيصلي بهم ركعتين ثم يخطب خطبة واحدة بعد الصلاة أو قبلها ، فإذا انتهي من الخطبة حول المصلون جميعهم أرديتهم بأن يجعلوا مع علي إيمانهم علي شمائلهم والعكس ويستقبلوا القبلة ويدعون الله عز وجل رافعين أيديهم مبالغين في ذلك .

روي الحاكم في المستدرك بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت عن عائشة ، قالت : شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعد الناس يوما يخرجون فيه ، قالت عائشة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بدا حاجب الشمس ، فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ، ثم قال : " إنكم شكوتم جدب ديياركم ، واستئخار المطر عن أوان زمانه ، وقد أمركم الله أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم ، ثم قال : " الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، أنت الغني ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين " ، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ، ثم حول إلى الناس ظهره ، وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه ، ثم أقبل على الناس ، ونزل فصلى ركعتين ، فأنشأ الله سحابا فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت بإذن الله ، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول ، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك حتى بدت نواجذه ، فقال : " أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأني عبد الله ورسوله" (1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

تفاعل الداعية مع حاجة المدعوين واستجابته لهم فيما يصلح أمور دينهم ودينياهم

أولا :- مشروعية الخروج لطلب السقيا.

ثانيا :- جواز أن تكون الخطبة في الاستسقاء قبل الصلاة وجوازها بعد الصلاة

ثالثا :- إظهار الحاجة والفاقة إلي الله من الإمام والمأموم.

رابعا :- الله يحب أن يشكر وهو سبحانه يجيب دعوة المضطرين.

خامسا : - سماحة الداعية وانبساطه للمدعوين واستبشاره بالخير.

سادسا :- شكر النعم يزيدها ويحفظها.

سابعا :- الإيمان بأن الفرج والسعة بيد الله سبحانه وتعالي.

ثامنا :- استجابة الله لعباده ورحمته بهم .

تاسعا :- التواضع والبذل لله من أسباب الرحمة .

---

1) رواه الحاكم من كتاب الاستسقاء 1/ 438 برقم 1255 ووافقه الذهبي في التلخيص وقال صحيح على شرطهما .

الفصل الرابع

الهجرة وأهميتها للدعوة إلي الله تعالي

من خلال المستدرك للحاكم النيسابوري

وتحدثت فيه عن:

أولا :-

تعريف الهجرة وأنواعها من منظور الإسلام .

ثانيا :-

الخطوات العملية والإعدادية للهجرة .

ثالثا :-

حكم الهجرة بعد الفتح .

رابعا :-

الهجرة لنشر الدعوة

الفصل الرابع

((الهجرة))

تمهيد :

إن الدعوة إلى الله جاءت لإصلاح حال العالم وهداية الناس وإرشادهم إلى ما فيه الخير في الدنيا والآخرة وليحيا الناس في جنة الدنيا قبل جنة الآخرة : **قال تعالى((فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى))**[1]

وقال تعالى : ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [2]

وقال تعالى ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ))[3]

وفي الحديث أنه صلى الله وعليه وسلم قال : **((إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعلت الجنادب والفراش يقتحمن فيها , وهو يذبهن عنها , وأنا اخذ بحجزكم عن النار وأنتم تنقلون منى))** [4]

---

1 - (سورة طه الآيتان 123 , 124)

2 - (سورة النحل الآية 97)

3 - سورة الأنعام الآية (82)

4 - رواه مسلم ك/ الفضائل باب شفقته صلى الله وعليه وسلم على أمته 1790/4

ومن هنا كانت عالميه الدعوة لا تعرف أرضا ولا وطنا ولا زمنا تنشط فيه وتسكن في غيره إنما كان مناط عملها الأرض كلها والناس أجمعين .لقد كانت الهجرة حدثا من أعظم أحداث التاريخ الإسلامي , لقد كانت حدا فاصلا بين الحق والباطل خرج بها المهاجرون من وضع الاستضعاف إلى وضع التحرر والتحري , فامتلكوا إرادتهم وأسسوا دولتهم وأصبحوا قوة لا يستهان بها في مواجهه قوى الكفر والشرك والإلحاد ليس في مكة وحدها , بل في كل ارض الله، وقد اعتبرت الهجرة ميلادا جديدا للمسلمين ، فقد حملت في طياتها الأمان والتحرر وتأسيس الدولة الإسلامية التي غاب انتظارها وعظمت التضحية في سبيلها، ولعل هذا السبب هو الذي دفع بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى التأريخ للمسلمين بالهجرة النبوية المباركة .

روى الحاكم في المستدرك عن سعيد المسيب قال : جمع عمر الناس فسألهم من أي يوم يكتب التاريخ : فقال على بن أبى طالب : من يوم هاجر النبي صلى الله وعليه وسلم وترك أرض الشرك , ففعله عمر رضي الله عنه [1]

"إن الهجرة نقطة تحول في تاريخ الدعوة الإسلامية ومرحله انطلاق لها ولأتباعها , ولقد حمت ديننا,ونشرت رسالته وأسست حضارته,وأقامت أسواقا للفكر والأدب والعلوم واللغة,كما كرمت الإنسان,وراعت حقوقه,وحقوق المستضعفين والمعذبين في الأرض,ونشرت الحرية وأكدت الإخاء والمساواة والتعاون والتعارف بين البشر جميعا والى حضارة تعم الأرض والى حكم الأمم من أجل نشر القيم الإنسانية الرفيعة في حياة الناس والمجتمعات والشعوب " [2]

أولا : معني الهجرة :

الهجرة في اللغة :

مشتقة من الهجر ضد الوصل – يقال : هجرته هجرا وهجرانا , غلب على الخروج من بلد إلى أخرى , وهاجر القوم من دار إلى دار : تركوا الأولى للثانية كما فعل المهاجرون حيث هاجروا من مكة إلي المدينة , يقال : هاجر مهاجرة , وتهجر وإذا تشبه بالمهاجرين , واهجر في المنطقة يهجر إهجارا : إذا أفحش وكذلك إذا أكثر الكلام فيما لا ينبغي , والاسم : الهجر : وهجر يهجر هجرا , بالفتح , وإذا خلط في كلامه وإذا هدى " [3]، وفى المستدرك بسنده عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها , فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا " [4]

---

1 - ((المستدرك ك / الهجرة برقم 4340, وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه) 237/3

2 - ((الهجرة معجزة التاريخ د/ محمد عبد المنعم خفاجي – مجلة الأزهر عدد المحرم 1421 ص21 بتصرف ((

3- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج6 / 35034 , غريب الحديث والأثر ابن الأثير : ج5 /212-213 , الأزهري : تهذيب اللغة ج6 /43 تحقيق عبد السلام هارون ط الدار المصرية للترجمة .

4 - ((المستدرك برقم 1342 ك / الجنائز قال الذهبي فى التلخيص : الجابر (أحد رواته) ضعيف وكذلك ضعفه ابن الملقن . 485/1

وفى اصطلاح الفقهاء : ((هي الخروج من دار الحرب إلي دار الإسلام)) [1]
وفى الموسوعة الإسلامية : ((يقصد بها : الخروج من أرض إلي أرض , وانتقال الأفراد من مكان إلي أخر سعيا لتحقيق أغراض المهاجر)) [2]
والهجرة عند إطلاقها عامة, فإنما تعنى بها هجرة النبي صلى الله وعليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم من مكة إلى المدينة وهى التي ينصرف إليها الذهن إذا أطلق لفظ الهجرة ,وذلك لأنها أعظم هجرة تركت آثار طيبة ، أمر بها الله تعالي ونفذها الرسول صلي الله علي وسلم وضحي المسلمون فيها بكل ما يملكون ، واستحقوا الثناء من الله تعالي بعدما نجحوا في الاختبار وصبروا مع البلاء وانتصروا علي الأعداء، ولعلها لذلك من أعظم الأحداث في تاريخ المسلمين , حيث أصبح لهم دولة وجيش وأذن لهم في الدفاع عن أنفسهم ومكن لهم الله دينهم الذي ارتضى لهم وبدلهم من بعد الخوف أمنا .

ثانيا : أنـــواع الهـــــــجرة :

(الهجرة نوعان):
وتتنوع الهجرة في المفهوم الديني لتتسع وتشمل أنواعا كثيرة تدور في فلك الانتقال والتغيير للبلد أو الدار والمكان أو هجران الأفراد والبعد عنهم أو هجران الذنوب والمعاصي وكلها أمور تحتاج إليها الدعوة الإسلامية وتقوي بها ، وما نحتاجه منها في وقت قد لا نحتاجه في وقت آخر وما يصلح لزمان قد لا يصلح للأخر لكنها علي كل حال أحكام باقية ببقاء الدين والمسلمين والحياة . وللهجرة نوعان :
النوع الأول :(وهى الهجرة الحسية بالأبدان من مكان إلى مكان، ومن بلد إلي أخر لتحقيق أغرض للمهاجر لا تستقيم له إذا ظل في مكانه الأول .
النوع الثاني : وهى الهجرة المعنوية والمقصود بها هجرة إلى الله بمحبته وطاعته وترك مخالفته وهجرة إلى الرسول صلى الله وعليه وسلم بمتابعته وعدم مخالفته والتمسك بهديه وسنته وهى هجرة تقطع بالقلوب) . [3]
وإذا وقعت الهجرة فينبغي أن تكون لله ويقصد بها النصرة للدين ورفعة شأن الدعوة الإسلامية سواء كانت بانتقال من مكان إلى مكان ، أو كانت هجرة للمعاصي والشيطان والمفسدين ، فكلام رفعة للدين

النوع الأول : الهجرة الحسيه:
الهجرة قبل فتح مكة : " وكانت فتنه المسلمين من أصحاب النبي صلى الله وعليه وسلم في مكة فتنه الإيذاء والتعذيب وما يرونه من المشركين من ألوان الاستهزاء والسخرية فلما أذن لهم رسول الله صلى الله وعليه وسلم بالهجرة (الأولى والثانية) يعنى إلي الحبشة – أصبحت فتنتهم في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم أمتعتهم ولقد كانوا أوفياء لدينهم مخلصين لربهم أمام الفتنه الأولى والثانية قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت وعزم عنيد " [4]

---

1 - (فتح الباري ص6 / 39

2 - (الموسوعة الإسلامية الهامة ص1423 ا.د محمد رأفت سعيد طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية))

3 - (طريق الهجرتين ص2) .

4 - ((فقه السيرة للبويطى ص137)

لذا سرعان ما جاء النصر والفتح من الله تعالي بعد فترات قريبة يندهش العقل منها لكنها إرادة الله تعالي، والرخاء بعد الشدة ، والفرج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر ، ففي قرابة عام واحد من الهجرة تبدأ حلقات النصر ورفعة هذا الدين ومن الذي يصدق أن من عاشوا قرابة ثلاث عشرة سنة في ذل وعذاب وضيق ،يواجهون الطغاة اليوم وينتصرون عليهم وتصبح لهم قوة وغلبة ويحسب لهم ألف حساب وعلي الداعية أن يبصر الناس بهذه الدروس الغالية ، وأن النصر مع الصبر ، وكلما كانت التضحية كبيرة كلما كان عطاء الله اكبر منها ، وان المسلم الصادق لا يبخل بشيء علي الدين والدعوة ، وأن الصبر سبيل النصر ،وأن وعد الله تعالي لعباده لا يتغير ولا يتبدل وإن طال الزمان .

الهجرة إلى الحبشة (الأولى والثانية):-

ومما ورد في شأن الهجرة في أحاديث المستدرك "ما جاء فى كتاب الهجرة الأولى للحبشة : أنه تواترت الأخبار أن رسول الله صلى الله وعليه وسلم لما مات عمه أبو طالب لقي هو والمسلمون أذى من المشركين , فقال لهم النبي صلى الله وعليه وسلم حين ابتلوا وشطت بهم عشائرهم تفرقوا , وأشار قبل أرض الحبشة وكانت أرضا ترحل إليها قريش رحلة الشتاء,فكانت أولى الهجرة في الإسلام , وإنما أمر رسول الله صلى الله وعليه وسلم أصحابه بالخروج إلى النجاشي لعدله " [1]

وكان فيمن هاجر إلى الحبشة مع من هاجروا , عثمان بن عفان وزوجته أسماء بنت عميس , السيدة أم سلمة رضي الله عنهم أجمعين))([2])

من فقه الدعوة في الحديث الشريف:

- قوة المحنة التي تعرض لها الرسول والصحابة وضرورة البحث عن دار استقرار للإسلام دعوة، والسعي لنشر الدعوة إلي الله تعالي قدر الاستطاعة ، ولو كلف ذلك ترك الديار الأوطان والخروج من الأموال والأولاد ، وسماح الإسلام بانتقال والفرار بالدين من بلد إلي بلد ، وفيه اختيار النبي صلي الله عليه وسلم للدار التي يهاجرون إليها ، واختيار العنصر المناسب لوضعه في المكان المناسب ،و احترام الصحابة لاختيار رسول الله ، وعدم رده ،فالقائد ينبغي ان يحترم ويقدر ، وعلي الإنسان أن يجرد نفسه لله تعالي ، فهدف الهجر ة كان الدين وليس الدنيا أو الربح والتجارة .، واختيار أفضل البلاد للهجرة إليها وضرورة المعرفة بحالها حتى لا ينتقل المسلم من سيئ إلى أسوء،أو من شر إلى شر،و شهادة النبي صلي الله عليه وسلم بعدل النجاشي ،و صدق نبوءة الرسول فيه.

ومنه أيضا ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن شهاب : " أن عثمان بن عفان وامرأته رقيه بنت رسول الله صلى الله وعليه وسلم خرجا مهاجرين من مكة إلى الحبشة الأولى , ثم قدما على رسول الله صلى الله وعليه وسلم مكة , ثم هاجرا إلي المدينة " [3]

وفى المستدرك أيضا بسنده عن جابر بن عبد لله قال :" لما قدم جعفر بن أبى طالب من الحبشة قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم وما أدرى بأيهما أنا أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر " [4]

من فقه الدعوة في هذه الأحاديث الشريفة :-

- حرص الداعي على سلامة المدعو من أن يصيبه ما يضر بدينه أو نفسه وذلك لأن المدعو هو رأس مال الداعي،

---

1 - المستدرك أول كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة 222/3

2) المستدرك برقم 4299 ك / الهجرة الأولى إلى الحبشة 3/ 223

3 - المستدرك ك / الهجرة الأولى إلى الحبشة وقال صحيح على شرطهما وهو عن المسور بن مخرمة وهو برقم 4299 223/3

4 - المستدرك ك / الهجرة الأولى إلى الحبشة برقم 4302 وقال صحيح الإسناد 225/3

اختيار الأرض المناسبة لسلامة المدعو واختيار الحماية المناسبة في تلك الأرض ، مع ضرورة الموازنة بين المصالح والمفاسد فعلى الرغم من أن المسلمين كانوا في أرض شرك وانتقلوا إلى أرض شرك أيضا وهى الحبشة إلا أن اختيار النبي صلى الله وعليه وسلم لها كان بسبب مالكها العادل النجاشي الذي لا يظلم عنده أحد، فعلى الدعاة مراعاة المصالح والمفاسد واختيار أقل المفسدتين وأخف الضررين .، وفيه إمكانية مشاركة المرأة للرجل في التكليف والجزاء وأنها كانت جنبا إلى جنب مع الرجل للحفاظ علي الدين، تسعى لتنال رضي الله وإعلاء كلمته .، وفيه الدور الكبير لمشاركة السيدة رقية ،وعثمان وجعفر رضي الله عنهم للمهاجرين وهي من أقرب الناس إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم فبيت النبوة قد تحمل ما كان يتحمل عامة المسلمين دون تميز بين أفراد الأمة.

الخطوات العملية التي اتخذها رسول الله صلي الله عليه وسلم للإعداد للهجرة :-

وقد اتخذ النبي صلي الله عليه وسلم خطوات عدة تعد أمورا حاسمة ونقاط تحول ونجاح في تاريخ الهجرة منها :

1 - عرض النبي صلى الله وعليه وسلم نفسه على القبائل قبل أن يأذن الله له بالهجرة إلى المدينة ولقد اشتد إيذاء المشركين للنبي صلى الله وعليه وسلم ومن معه من المسلمين بعد وفاة عمه أبي طالب الذي دافع عن النبي صلي الله عليه وسلم طيلة حياته وصد عنه الكثير من أذي المشركين وهذا ما كان يشهد به رسول الله ويكرره في حق أبي طالب .

ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : ((مازالت كاعة ([1])قريش حتى توفى أبو طالب)) [(2)]

فخرج صلى الله وعليه وسلم إلى الطائف ليعرض نفسه على أهلها بعدما ضاق الأمر به في مكة ، وقد لقي صلي الله عليه وسلم من أهل الطائف أصعب مما كان يلقاه من أهل مكة ، حتى أنه صلي الله علي وسلم كان يعد ذلك اليوم من أشد الأيام عليه وعندما يسأل عن أشد الأمور يحدث بيوم الطائف وما لقيه من أهلها .

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

- أن حامل الدعوة لا يكل ولا يمل ولا ييأس مهما اشتدت الأزمات مادام واثقا من رسالته ونبل دعوته وشرف غايته ،وأن الألم المعنوي أشد وقعا علي النفس من الألم ألبدني، وبيان رحمة النبي صلي الله عليه وسلم وشفقته علي الناس أجمعين وصدق ربنا(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [(3)]، واستشراف المستقبل دائما يحدو الدعاة إلى يقينهم أن النصر قادم لا محالة ,فمهمة الدعاة هي تعبيد الناس لرب الناس .، وبيان أن الهجرة بالدعوة لإيجاد ارض صالحة لها وسيله من وسائل انتشارها وتحقيق

---

1 : تاريخ دمشق [جزء 66 - صفحة 340] أبو سليمان الخطابي قال كاعة جمع كائع وهو جبان كما يقال بائع وباعة وقائد وقادة يريد أنه كان يحوط رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويذب عنه قريش فكانت تكيع وتجبن عن أذاه يقال كع الرجل عن الأمر إذا جبن وانقبض يكع وكاع يكيع قال الفراء يقال كعت عن الشئ وكبنت (1) بمعنى واحد

2 - (المستدرك من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة 222/3 برقم 4212 صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)

3 - (سورةالأنبياء) الآية (107)

العبودية لله في أعلي صورها وهذا ما حدث بعد أن أصبح للإسلام دولة و دخل الناس في دين الله أفواجا.
ذكر موسى بن عقبه في المغازي عن ابن شهاب أنه صلي الله عليه وسلم لما مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يؤوه, فعمد إلى ثلاثة نفر من تثقيف وهم سادتهم ..... فعرض عليهم نفسه وشكى إليهم وما انتهك منه قومه , فردوا عليه أقبح رد وكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد مطولا وذكر ابن سعد أن ذلك كان في شوال سنه عشرة من المبعث وانه كان بعد موت أبى طالب وخديجة . (1)
" ثم دخل رسول الله صلى الله وعليه وسلم بعد مرجعه من الطائف إلي مكة مرة أخرى في جوار المطعم بن عدى وازداد قومه عليه حنقا وغيظا وجرأة وتكذيبا وعناد (2)
قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله وعليه وسلم مكة , وقومه اشد ما كانوا عليه من خلافة وفراق دينه , إلا قليلا مستضعفين من أمن به , فكان رسول الله صلى الله وعليه وسلم يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ويخبرهم انه نبي مرسل , ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله عز وجل وما بعثه به . (3)
ورغم صعوبة الأمر وشدته ووقعه الأليم علي نفسه صلي الله عليه وسلم إلا أنه لم ييأس من تبليغ دعوته ولم تضق نفسه ذرعا من رسالته و ما كان يزيده ذلك الإلا ثباتا وما كان يزيده البلاء إلا صبرا وتحملا،وليت الدعاة اليوم يصدقون في اتباع الرسول والإقتداء به ،بل مما يؤسف له إن تجد من الدعاة من يخر صريعا من أبسط أمر يواجهه ، بل ربما لا يشرف بعضهم بالعمل في الدعوة وينظر إليها بعين انتقاص وصغار رغم أن في الدعوة فلاحهم وفي تبليغها شرفهم .
ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن ربيعه بن عباد الدؤلي قال : رأيت رسول الله ρ في الجاهلية بسوق ذي المجاز وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا اله إلا الله تفلحوا قال : يرددها مرارا والناس مجمعون عليه يتبعونه وإذا وراءه رجل أحول ذو غديرتين وضئ الوجه يقول : انه صابئ كاذب فسألت : من هذا ؟ فقالوا عمه أبو لهب " (4)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

- لا حرج فقد يأتي الخطر من أقرب الناس وقد يعترض علي الدعوة بعض الأهل والعشيرة، وقد يلصقون التهم بالداعية وهو منها براء، وربما يتتبعون الداعي في كل مكان يدعو فيه ، وإذا كان أهل الباطل لا يملون فأولي بأهل الدعوة الحق أن يصبرون ، وقد يستجيب إلى الدعوة الغرباء ، فالله سبحانه وتعالي يفتح قلوب الناس للهداية دون تقيد بقريب أو غريب ، وإن كان أذي القريب أشد وقعا علي النفس من أذي الغريب ، وقد أصاب النبي من هذا ومن ذلك وصبر عليهما صبرا جميلا ، وعلي الدعاة تحمل ذلك حتى ينالوا الصدق في دعوتهم .
" وقد استجاب لدعوته صلى الله وعليه وسلم أقوام ثم رجعوا عن ذلك.
وقد كان صلي الله عليه وسلم ينتقل بالدعوة من حال إلى حال ومن قوم إلى قوم ومن مكان إلى مكان حتى يتمكن من إيصال الدعوة إلى كل من يمكنه الوصول إليه ، فالدعوة أمانة الله، و يجب علي الداعية أن يبلغها إلى أهلها ، لذا فقد كان الرسول يبلغ قريش فيقابل بالصد فينتقل الطائف فيلق الصد

---

1 - (فتح الباري 6 / 363)

2 - صفوة السيرة النبوية لابن كثير ج2 ص80 ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1422 /2002)

3 - (صفوة السيرة النبوية 81/2

4 - (المستدرك برقم 38, 39 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي) 111/1

فيصل إلى الوفود والحجيج يعرض عليها الدعوة ، عمل دؤوب وصبر جميل لا ينفك عنه الرسول صلي الله عليه وسلم مهما كانت نتائجه .
ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله وعليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : هل من رجل يحملني إلى قومه , فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربى ؟ قال : فأتاه رجل من بنى همدان فقال أنا فقال وهل عند قومك منعه قال : نعم وسأله من أين هو قال من همدان , ثم إن الرجل الهمداني خشي أن يخفره قومه فأتى رسول الله ρفقال : آتي قومي فأخبرهم ثم ألقاك من عام قابل قال:نعم , فانطلق فجاء وفد الأنصار في رجب " [1]
وكان من ثمرة دعوته وحسن عرضها علي الوفود ، أن استقرت في نفس نفر من أهل المدينة ، فاقتنعوا بها وذهبوا واقنعوا غيرهم من أهل بلادهم، وعادوا وفاء بعهدهم مع رسول الله لتكون الثمرة من الدعوة بيعة العقبة الأولى والثانية والترتيب المبارك للهجرة إلى المدينة .
" ثم كان ما حدث من بيعه العقبة الأولى عندما لقي النبي صلى الله وعليه وسلم في الموسم ستة نفر من الأنصار كلهم من الخزرج فدعاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي الإسلام فأسلموا " [2]
ومهما كان العدد قليل فلا يستحقره الداعية ولا يرفضه وإنما يحافظ عليه وينميه،
فقد ذهبوا إلى قومهم بالمدينة فدعوهم إلى الإسلام فلما كان العام المقبل جاء منهم اثنا عشر رجلا . ((فلما انصرف القوم بعث معهم رسول الله صلى الله وعليه وسلم مصعب ابن عمير وأمره أن يقرأهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، وقد بارك الله تعالي في هذه الفئة القليلة فكانوا بعد عام واحد ثلاثة وسبعون وامرأتان.
قال ابن هشام : (ثم كانت بيعه العقبة الثانية وكان عدد الأنصار هذه المرة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان نسيبه بنت كعب وأسماء بنت عمرو بن عدى فاجتمعوا في الشعب ليلا وجاء النبي صلى الله وعليه وسلم ومعه عمه العباس وهو على دين قومه إلا انه أحب أن يتوثق لأمر ابن أخيه). [3]وكانت البيعة على الحماية والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه كما يحمون نساءهم وذرياتهم .
ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن النبي صلى الله وعليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ ومنازلهم من منى , من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالات ربى فله الجنة , فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤويه حتى إن الرجل ليرحل من مصر أو من اليمن إلى ذي رحمه فيأتيه قومه فيقولون له : احذر غلام قريش لا يفتنك , ويمشى بين رجالهم يدعوهم إلى عز وجل ويشيرون إليه بالأصابع , حتى بعثنا الله من يثرب فيأته الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن , فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه , حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام وبعثنا الله إليه فائتمرنا واجتمعنا وقلنا ,حتى متى رسول الله صلى الله وعليه وسلم يطرد في جبال مكة ويخاف فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم فواعدنا بيعه العقبة (الثانية) فقال له عمه العباس : يا ابن أخي لا أدري ما هؤلاء القوم الذين جاءوك إني ذو معرفة بأهل يثرب , فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين فلما

---

1 - المستدرك ك / تواريخ المتقدمين ب / أخبار نبينا ρ برقم 4273 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي 213/1

2 - زاد الميعاد 3 /45

3 - (سيرة ابن هشام مع الروض الأنف 3 /189

نظر العباس في وجوهنا قال هؤلاء قوم لا نعرفهم , هؤلاء أحداث , فقلنا : يا رسول الله على ما نبايعك ؟ قال : تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم وعلى أن تنصروني وإذا قدمت عليكم وتمنعوني مما تمنعون عنه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم , ولكم الجنة , فقمنا نبايعه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السبعين ، قال رويدا يا أهل يثرب : إنا لم نضرب إليه أكباد المطى إلا ونحن نعلم أنه رسول الله وإن إخراجه اليوم مفارقه العرب كافة وقتل خياركم وإن يعضكم السيف , فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم وعلى قتل خياركم ومفارقه العرب كآفة فخذوه وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر عند الله عز وجل فقالوا : يا سعد ابسط عنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقيلها,قال :فقمنا إليه رجلا رجلا فأخذ ليعطينا بذلك الجنة [1] .

من فقه الدعوة في هذا الحديث الشريف :

- أن الدعوة تحتاج من الدعاة إلى جهد ومثابرة .وأن الفترة قد تطول من الداعية مع المدعوين ولكن العبرة بالخواتيم فقد يهدي الله تعالي لدعوته خلق كثير ما كان يخطر ببال أحد أن يسلموا .،وعلي الداعية أن يبلغ ويدع النتائج علي الله تعالي ،وأن العبرة في الدعوة ليست بالعدد وأن العدد قد يكثر مع الزمان ويتضاعف ،وعلي الداعية أن لا يتعجل وإن طال العهد والموعد بينه وبين المدعوين . ،حسن اختيار الزمان والمكان من فطنة الداعي. ،قد تحتاج الدعوة إلى العهد والميثاق والبيعة بين الداعية والمدعوين وهذا أفضل إذا دعت الحاجة إليه كما حدث في البيعتين- وما أكرم الله به أهل يثرب من صدق النية وإخلاصها ورجاحة العقل وثبات القلب وتلك أمور يجب أن يفطن إليها الداعي عند اختياره للمدعوين وانتقائه لحملة المستقبل من بعده،و صدق أهل المدينة في عهدهم وحسن وفائهم بما تعاهدوا عليه مع الرسول صلي الله عليه وسلم وعودتهم في كل مرة حسبما اتفقوا وتواعدوا ،و تحمل المدعوين مسئولية الدعوة من أول يوم وسعيهم بجد واجتهاد لخدمة الدين عملا بما فعله الأنصار، فمن أول سماعهم عن الإسلام وتقابلهم مع رسول الله بدؤوا دعوتهم لقومهم .،ولو أن كل مسلم دعا إلى الله تعالي بهذا الفهم السريع وبتلك الاستجابة لفتح للإسلام في كل مكان ، وما أعظم ما فعلته الجن مع قومهم عندما سمعوا القرآن كما حكا الله تعالي في مطلع سورة الجن وفي آخر سورة الأحقاف ،وبيان أثر القرآن في تلك النفوس حتى كأنهم يعاينون الجنة رأى العين فما أن ذكر لهم النبي صلى الله وعليه وسلم الوعد بالجنة ، وأن الجنة سلعة غالية دونها النفس والمال والولد والأوطان وحس المدعوين علي البذل والتضحية من اجلها . وأن الإيمان بالله والحب فيه والأخوة على دينه والتناصر . باسمه ذلك كله وقود الدعوة وأعمدتها الراسخة ، وان معونة الله عز وجل تجلت لنبيه ومن معه للمدينة وبيئتها لقبول الدعوة الإسلامية والذود عنها بالغالي وهذا من بركه دعائه ρ بقوله ((فيما رواه الحاكم بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد إلى فأسكني أحب البلاد إليك , فأسكنه المدينة)) [2]

و- ما للأنصار من فضل بتوفيق الله لهم للذود عن هذا الدين والتمكين له وإقامة دولته ولذا يجب على الداعي أن يحفظ لمن أعانه على نشر دعوته جميله فهذا رسول الله صلى الله وعليه وسلم يقول

---

1 - (المستدرك برقم 4304 وقال حديث صحيح الإسناد جامع لبيعه العقبة ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص) 224/3، 225

2 - (المستدرك برقم 4314 وقال الذهبي في التلخيص لكنه موضوع فقد ثبت أن أحب البلاد إلى الله مكة وسعد (بن سعيد المقبرى) ليس بثقة . 228/3 .

للأنصار فيما رواه الحاكم في المستدرك أن رسول الله وعليه وسلم قال: ((لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار)) [1]
الثبات والصبر والتحمل في سبيل الله تعالي من أهم عوامل النجاح للدعوة .
اليقين والثقة في وعد الله تعالي من أهم الدوافع الموصلة إلى طريق القبول والنجاح في الدعوة.
إن الدعوة إلى الله تعالي مهمة شاقة تحتاج من الداعية إلى جهد كبير وعمل دءوب وما من نبي إلا وتحمل المشاق والصعاب في التبليغ، لحكمة أرادها الله ولو شاء الله تعالي لجعلها سهلة يسيرة، فأولي بالدعاة أن يتحملوا في سبيل الدعوة إلى الله .
علي الداعية ألا يحقر شيء من الجهود ولو كانت قليلة فإن الله سبحانه سيباركها والفئة القليلة المخلصة خير من الكثرة المقلقة فهاهو الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمن معه إلا القليل بعد سنوات طويلة من الدعوة في مكة ، وفي البيعة الأولى ولكنه لا يحقر من الخير شيء ومن ثم كان فتح الله تعالي للإسلام ونبيه، لا يلتفت إلى العدد في الدعوة ولكن ينظر إلي البلاغ قال الله تعالي لنبيه (إن عليك إلا البلاغ)،وحرص العباس علي النبي ρ معرفته وخبرته بأهل المدينة ،إصرار أهل المدينة علي إنفاذ البيعة وضرورة اختيار الداعية لمن يعاونه في نشر الدعوة وفعل الخير ، قدر علمه واجتهاده ، وترك النتائج علي الله تعالي ،وأن الإيمان إذا خالط القلوب فليس للإنسان اختيار بعد ذلك .

أولا- التمهيد للهجرة المباركة :

قال ابن عبد البر رحمه الله ما ملخصه: فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله وعليه وسلم ليلة العقبة وكانت سرا على الكفار قومهم وكفار قريش , أمر رسول الله صلى الله وعليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة أرسالا . [2]
ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن ابن شهاب قال : ((كان بين ليلة العقبة (الثانية) وبين مهاجر رسول الله صلى الله وعليه وسلم ثلاثة اشهر أو قريبا منها , وكانت بيعة الأنصار رسول الله صلى الله وعليه وسلم ليله العقبة في ذي الحجة , وقدم رسول الله صلى الله وعليه وسلم المدينة في شهر ربيع الأول)) [3]
ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن عمر رضى الله عنه قال : ((ثم أقام رسول الله صلى الله وعليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن الله له في الهجرة وأصحابه من المهاجرين وأقام أبو بكر معه ينتظر أن يؤذن لرسول الله صلى الله وعليه وسلم فيخرج معه)) [4]

ومن فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :-

أن الهجرة من مكة إلى المدينة هي أمر الله لرسول الله صلى الله وعليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، قبل أن تكون جهدا بشريا أو تخطيط من الرسول حتى التخطيط كان بعناية وتوجيه من الله تعالي لرسوله .
أن النبي لم يتعجل في الأمر رغم ما يحيط به من كيد وإنما ظل ينتظر أمر الله تعالي علي صبر ويقين من وعد الله .

---

1 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 7121 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه) 8/5

2 - (في اختصار المغازى والسير ص75 تحقيق د / شوقي طبعه دار المعارف)

3 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 4305 225/3

4 - (المستدرك ك / تفسير سورة الزمر برقم 3679 وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي 43/3

ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ρ للمسلمين ((قد أريت دار هجرتكم أريت سبخه ذات نخل بين لا بتين)) وهما الحرتان,والسبخة الأرض التي تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر))[1] ورؤيا الأنبياء حق ووحي من الله تعالي ، لذا كانت رؤية دار الهجرة رسالة من الله إلى رسوله ρ ،و أن الله لا يعجل لعجلة العباد فكل شيء عنده بمقدار فوعد الله تعالي للعباد صدق وإن طال الزمان ،وضرورة التسليم المطلق لأمر الله من رسول الله صلى الله وعليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين وذلك في انتظارهم أذن الله لهم بالهجرة وتحملهم الصعاب إلى أن يأذن الله تعالي ، وأهمية كتمان السر لاسيما عن الأعداء سبل الوصول إلى الغاية المرجوة فلو علم أهل مكة علي وجه اليقين المكان والزمان المعدان للهجرة لكان في الأمر كثيرا من الصعوبة كما حدث لبعض المهاجرين من المطاردة والمنع من أهله وعلي الداعية أن يفطن لذلك ، فهناك أمور يتوقف نجاحها علي الإسرار بها وإعلانها قد يفسدها أو يمكن العدو مكن الإطاحة بصاحبها ، وأهمية الصحبة والرفقة الصالحة فلقد اختار رسول الله صلى الله وعليه وسلم أبا بكر ليكون صاحبه في الهجرة وكانا آخر الناس خروجا من مكة ،وأن الهجرة لم تكن هروبا من ساحة الوغى أو فرارا من المعركة بين قوي الإيمان القليلة وقوي الشرك الظالمة ولو كانت كذلك لكان النبي أول الناس هروبا وفرارا لكنها كانت انتقال بالدين من دار إلى دار وهاجر الكثيرون قبل رسول الله صلي الله عليه وسلم .

وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم كثيرا ما يشكر أهل الفضل الذين أسهموا بنصيب موفور في أمر الهجرة لاسيما الصديق .

ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : " قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني إلى دار الهجرة "[2]فعلي الداعية أن ينسب الحق إلى أهل والفضل لأصحابه ،وعلي المدعوين البذل العطاء للدين ، وصحبة الأخيار لا تلقي علي الإنسان إلا بظلال أو ثمار طيبة ..

ثانيا - **الهجرة إلى المدينة:**

أذن الله لنبيه صلى الله وعليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم بالهجرة إلى المدينة أحب البلاد إلي الله عز وجل ، وقد كانت مكة من أحب البلاد إلى رسول الله وكان يصعب عليه فراقها لكنها إرادة الله تعالي ،لكن الرسول يطلب من الله تعالي أن يبدله عنها بما يعوضه فقدها فكانت المدينة المنورة أحب البلاد إلى الله تعالي .

ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : أن رسول الله صلى الله وعليه وسلم قال : **((اللهم إنك أخرجتني من أحب البلاد[3] إلىّ فأسكني أحب البلاد إليك , فأسكنه المدينة))**

فعظم البلاء يعقبه فرج من الله تعالي علي قدره فمعونة الله تعالي لنبيه كانت عظيمة فعوضه الله تعالي بالبلد المدينة، وعوضه بفراق الأهل والأحباب أصحاب أوفياء ورجالا مخلصين كان يتمني رسول الله صلي الله أن يكون واحد منهم .

---

1 - (المستدرك كتاب الهجرة برقم4315 وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي) 228/3

2 - (المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / من مناقب أبى بكر برقم 4497وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي 3/ 287

3 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 4312 وقال رواته مدنيون من بيت أبى سعيد المقبرى) 227/3

وعن عبد الله بن عباس قال : ((وكان رسول الله وعليه وسلم بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه , ((وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا))
قال قتادة في تفسيرها : ((فأخرجه الله من مكة إلى المدينة مخرج صدق وادخله المدينة مدخل صدق)) [1]
فأمر رسول الله صلى الله وعليه وسلم أصحابه بالهجرة فاستجابوا لذلك جماعات ووحدانا , حتى كادت مكة تخلو من المسلمين وشعرت قريش بأن الإسلام أضحت له دار يأرز إليها وحصن يحتمي به , وتوجست خيفة من هذه المرحلة الخطيرة في دعوة محمد صلى الله وعليه وسلم . [2]
وقد كان الإذن بالهجرة منظما ومرتبا حسب ما تقتضيه الظروف والأحوال حيث كان من أول المهاجرين مصعب بن عمير وذلك لعلمه بالقرآن الكريم وأحكام الإسلام ، كي يعلمها الناس من أول ساعة فيعرفوا قيمة الدين وتعاليم الإسلام فيسهل عليهم التعامل مع المهاجرين ويزدادون قناعة بهذا الدين ، بحيث تكون الأرض خصبة للإسلام بعد الهجرة ، وقد كان لذلك الأمر ثمرته الطيبة بعد ما تمت الهجرة
ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال :
((أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فكانوا يقرءوننا ... ثم قدم سعد بن مالك وعمار بن ياسر , ثم قدم عمر ابن خطاب في عشرين , ثم قدم رسول الله صلى الله وعليه وسلم فما فرحنا بشيء فرحنا برسول الله صلى الله وعليه وسلم ...الحديث [3]
قال ابن إسحاق :وأقام رسول الله صلى الله وعليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة , ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن إلا على ابن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله وعليه وسلم في الهجرة فيقول له رسول الله صلى الله وعليه وسلم (لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا , فيطمع أبو بكر أن يكونه) [4]
وقد روى الإمام البخاري رحمه الله حديث الهجرة بأتم وجه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال رسول الله صلى الله وعليه وسلم على رسلك فأنى أرجو أن يؤذن, فقال أبو بكر ؟ وهل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله وعليه وسلم ليصحبه. ورحلتين كانا عنده ورق السمر – وهو الخبط – أربعة أشهر قال ابن شهاب – قال عروة – قالت عائشة – بينما نحن جلوس يوميا في بيت أبى بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر : وهذا رسول الله صلى الله وعليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها – فقال أبو بكر فداء له أبى وأمي وما جاء , في هذه الساعة إلا أمرا , قالت فجاء رسول الله صلى الله وعليه وسلم فاستأذن فأذن له , فدخل فقال النبي صلى الله وعليه وسلم لأبى بكر أخرج من عندك , فقال أبو بكر إنما هم اهلك بأبي أنت يا رسول الله قال : فإني قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر : الصحبة (الصحبة) بأبي أنت يا رسول الله , قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : نعم , قال أبو بكر فخذ

---

1 - (سورة الإسراء الآية 80) (المستدرك برقم 4228 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه)

2 - (فقه السيرة للغزالي رحمه الله ص168 , 169)

3 - صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة 1428/3

4 - (سيرة ابن هشام مع الروض الأنف م2 / 221)

بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين , قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : بالثمن , قالت عائشة : فجهزناهما أحدث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب , فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين . قالت : لحق رسول الله صلى الله وعليه وسلم وأبو بكر بغار في جبل ثور , فقمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهم بسحر , فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان فيه إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك , حين يختلط الظلام , ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم فيرحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء....., يفعل ذلك في كل ليله من تلك الليالي الثلاث , وأستأجر رسول الله صلى الله وعليه وسلم وأبو بكر رجلا ... من بنى عبد بن عدى هاديا خريتا – والخريت الماهر بالهداية –قد غمس حلفا في آل العاصي بن وائل السهمي , وهو على دين كفار قريش فأمناه , فدفعا إليه راحلتيهما – وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال صبح ثلاث , وانطلق معهما عامر بن فهيرة , والدليل فأخذ بهم طريق السواحل.[1]

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

أ- مكانه الصديق عند الله وعند رسول الله صلى الله وعليه وسلم .

ب- أهمية الكتمان وحفظ السر في الأمور العظيمة وأهمية ذلك في الحفاظ علي الداعية ودعوته ، لا سيما وقت الكيد للداعية ودعوته وتربص الأعداء له .

ج- طلب الرسول صلى الله وعليه وسلم من أبى بكر اخذ الراحلة بالثمن ،وفي ذلك أعظم نماذج العفة عما في أيد الناس فلا يزال الإنسان كريما في الناس ما دام مستغنيا عنهم ، وإذا لم يكن التعفف شأن الدعاة فإن الدعوة ستخسر كثيرا ويسوء حالها، وهاهو الرسول صلي الله عليه وسلم ((أحب أن تكون هجرته إلا من مال نفسه)) ليكون في ذلك قدوة للدعاة من بعده .

د- استفراغ الوسع وبذل كل الطاقة في الأخذ بالأسباب المادية .

هـ- أن يكون اتكالنا على الله تعالى دون اعتمادنا على الأسباب ، فالأسباب لاتنفع ولا تضر لذاتها وإنما هي وسيلة خلقها الله تعالي يأخذ الإنسان بها اعتمادا علي خالقها

ز- وفى نجاته صلى الله وعليه وسلم وصحبه من أذى المشركين بعد أن وقفوا على فم الغار دليل على أن الله ناصر دينه وحفظ نبيه ولن يضيع أولياءه فهو القادر الذي لا يعجزه شيء والقوى المتين الذي لا يغالب

قال الغزالي في هذا ((ولم يكن ذلك محاباة القدر لقوم لم يدعوا وسيلة من وسائل الحذر إلا اتخذوها , وكم من خطة يضعها أصحابها فيلقون بها نهاية الإتقان تمر بها فترات عصيبة لأمور فوق الإرادة أو وراء الحسبان ثم تستقر أخيرا وفق مقتضيات الحكمة العليا وفى حدود قوله تعالى ((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون))[2]

ح- المؤمن الصادق المخلص لدعوة الحق يفدى رسوله بحياته ففي سلامة القائد سلامة للدعوة وفى هلاكه خذلانها ووهنها .[3]

وهذا ما يتضح من موقف أبي بكر وأبنائه الثلاثة ومولاه وكذلك موقف على بن أبى طالب رضي الله عنه ، حيث كانت تضحية الجميع ثمينة غالية فاقت آفاق الخيال ، وتنوعت بين تضحية بمال أو أهل

---

1 - رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب المعراج كتاب فضائل الصحابة باب المعراج 1419/3

2 - (يوسف 21) (فقه السيرة ص176)

3 - (السيرة النبوية د / مصطفى السباعي ص67)

أو نفس، وليس هناك شيء أكبر مما قدمه صحابة رسول الله من أول إسلامهم إلى أن لقوا ربهم ، مما جعل العقل يندهش عندما يذكر في أيامنا هذه ما بذلوه كأنه ضرب من الخيال، ولعل هذا هو السبب في معونة الله تعالي لهؤلاء فسرعان ما فتحت لهم البلاد ودان لهم العباد وذاع صيت الإسلام في كثير من البلاد، فعلي قدر ما قدموا وبذلوا كانت النتائج .
فمن منا اليوم يصل به اليقين والتوكل علي الله أن يقدم كل ماله في سبيل الله تعالي كما فعل الصديق في الهجرة ، ومن منا اليوم يصل إلي درجة إيمان علي ابن طالب عندما ينام في فراش النبي والموت ينتظره خارج البيت من خيرة فتيان قريش الذين لا تخطيء ضربتهم ،لكنه اليقين والثقة في وعد رسول الله فقد وعده أنهم لن يصلوا إليه ، وليس هذا هو السبب وحده فلو علم أن الموت ينتظره لما تردد في فداء رسول الله صلي الله عليه وسلم والنماذج في ذلك أكثر من أن تحصي فكم من صحابة فضلاء كانت أنفسهم أهون عليهم من أذي رسول الله لو باللسان
ولقد تم الاستعداد للهجرة أتم استعداد وتم أخذ الحيطة والحذر وكان توفيق الله وعونه لنبيه صلى الله وعليه وسلم .
ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((لما خرج رسول الله صلى الله وعليه وسلم من الغار مهاجرا ومعه أبو بكر , وعامر بن فهيرة أبو بكر وخلفه عبد الله بن أريقط الليثى فسلك بهما أسفل مكة.....الحديث [1]
إن الهجرة لم تكن بالأمر الهين على شخص رسول الله صلى الله وعليه وسلم وأصحابه ولكنه الاستسلام المطلق لأمر الله عز وجل ، رغبة في أن تكون للإسلام دولة وتصبح له أرض يعبد الله فيها لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلي .
ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهري قال : رأيت رسول الله صلى الله وعليه وسلم وهو على راحلته بالحرورة يقول ((والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي الله , ولولا أني أخرجت منك ما خرجت . [2]
وفى الطريق إلى المدينة كانت هناك وقفات وآيات أكرم الله بها نبيه صلى الله وعليه وسلم .
ومنه ما رواه الحاكم بسنده في قصه تعقب سراقة للنبي صلى الله وعليه وسلم لمنعه من الهجرة وتسليمه لقريش .[3]
ثم كان دخول رسول الله صلى الله وعليه وسلم المدينة يوما مشهودا روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : ((شهدت يوم دخل رسول الله صلى الله وعليه وسلم المدينة فلم أر يوما أحسن ولا أضوء منه . [4]
وجاء أيضا في المستدرك بسنده عن أبى بكر رضي الله عنه قال : ومضى رسولا الله صلى الله وعليه وسلم حتى قدم المدينة وخرج الناس حتى دخلنا في الطريق وصاح النساء والخدام والغلمان , وجاء محمد رسول الله صلى الله وعليه وسلم الله أكبر جاء محمد رسول الله , فلما أصبح انطلق فنزل حيث أمر . [5]

---

1 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 4325 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي 231/3

2 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 4314 وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي) 229/3

3 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 4322 231/3

4 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 237/43343

5 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 4335 237/3

فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :-

1- المسلم أن لا يبخل بشيء علي الدين .
2- الصحابة رضوان الله عليهم هم خيرة الناس وأفضلهم بعد رسول الله
3- الدور العظيم الذي قدمه الصحابة رضوان الله علهيم من أكبر الآيات التي نصر الله بها هذا الدين.
4- ضرورة البذل والتضحية في كل زمان ومكان لنصرة هذا الدين إقتداء بالسابقين الأولين من الصحابة والصالحين .
5- حسن اختيار النبي صلي الله عليه وسلم لمن يرافقه ومن ينام علي فراشه.
6- جواز الاستعانة بغير المسلم إذا لم يتوافر من المسلمين من يقوم بما انتدب له ، مع ضرورة الحرص وأخذ الحيطة والحذر وتوسم الخير فيه ما أمكن .
7- تأييد الله تعالي لنبيه في طريق الهجرة وظهور بعض المعجزات مثل التي حدثت لسراقة .
8- معونة الله تعالي تأتي لمن يتوكل عليه ويستنفذ الأسباب وليست للمتواكل الكسلان .
9- اعتزاز النبي صلي الله عليه وسلم وحبه الشديد لأرضه ووطنه وصعوبة الفراق عليه .
10 - حب أهل المدينة للنبي صلي الله علي وسلم قبل أن يروه وحسن استقبالهم له وتفتح قلوبهم للإسلام من أول لحظة.

ولما علم المسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة بهجرة رسول الله صلى الله وعليه وسلم وأصحابه إلى المدينة هاجروا من الحبشة ليكونوا مع رسول الله صلى الله وعليه وسلم في دولة الإسلام الجديدة .

ومما ورد في شأن الهجرة في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن ابن شهاب : ((أن عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله وعليه وسلم خرجا مهاجرين من مكة إلى الحبشة الأولى , ثم قدما على رسول الله صلى الله وعليه وسلم مكة , ثم هاجر إلى المدينة)) . [1]

وفى المستدرك بسنده عن جابر عبد الله قال : لما قدم جعفر بن أبى طالب من الحبشة قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : وما أدرى بأيهما أنا أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر [2]

لقد أثنى الله عز وجل على المهاجرين والأنصار في كتابه في مواطن كثيرة ، وحفظ لهم الإسلام هذا الصنيع وذلك الفضل الذي أنعم الله به عليهم ، وذكر تضحيتهم وشهد لهم بالإخلاص فيما قدموه لله ورسوله، وما خلفوه من ديار وأهل ومال .

قال تعالى :((**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)) [3] ((**أي أخرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون**)) أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين . [4]

ومن ذلك أيضا أنه جعل الإمامة فيهم سواء كانت العظمي(الخلافة) أو الصغرى (الصلاة) .

---

1 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 4299 وقال صحيح على شرطهما وهو السور بن مخرمة) 223/3

2 - (المستدرك ك / الهجرة برقم 4302 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه) 224/3

3 - (سورة الحشر الآية 8)

4 - ((ابن كثير تفسير القرآن العظيم م4ص25 طبعه مكتبه الإيمان)

ففي الحديث لما اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة يريدون إقامة خليفة لرسول الله صلى الله وعليه وسلم بعد وفاته فلحق بهم أبو بكر وعمر وأبو عبيده بن الجراح وكان مما قاله : ((الأئمة من قريش)) [1]
وأما إمامة الصلاة . فقد روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :
((قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : يؤم القوم أكثرهم قرآنا , فإن كانوا في القرآن واحدا فأقدمهم هجرة , فإن كانوا في الفقه واحدا فأكبرهم سنا . [2]
فقد نص الحديث الشريف صراحة علي مكانة الهجرة المباركة، وأنها وسام علي صدر صاحبها، يتقدم بها المسلم علي غيره ويعلو فضله فضل غيره ، ويا له من شرف عظيم عندما تذكر الهجرة جنبا إلى جنب مع الإسلام ويثني بها بعد القرآن.
وفي أشد اللحظات وعند فراق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للحياة لا ينسي للمهاجرين تضحيتهم لنصرة الإسلام ، ويوصي بأن يحسن إليهم ويعرف لهم حقهم .
وعند البخاري رحمه الله بسنده أن عمر بن الخطاب((أوصى بعد ما طعن فقال وأوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم)) [3]

حكم الهجرة قبل فتح مكة :- .

لقد كانت الهجرة من مكة إلى المدينة فرض على كل مسلم قادر وهو دليل على إيمان المسلم وولائه لله ولرسوله للمؤمنين ولقد حذر الله جل وعلا في كتابه من ترك الهجرة إلى رسول الله صلى الله وعليه وسلم فقال جل شأنه **((إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا))** [4]
قال ابن كثير : ((وقال عكرمة : نزلت هذه الآية في شباب من قريش كانوا تكلموا بالسلام بمكة منهم : على بن أمية بن خلف , وأبو قيس ابن الوليد ابن الغيرة , وأبو العاصي بن منبه بن حجاج , الحارث بن زمعة وقال لضحاك : نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله وعليه وسلم بمكة , وخرجوا من المشركين يوم بدر , فأصيبوا فيمن أصيب فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهر المشركين وهو قادر على الهجرة , وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم نفسه مرتكب حرام بالإجماع , وبنص هذه الآية حيث يقول تعالى : **((إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم))** أي بترك الهجرة ((قالوا فيم كنتم أي : لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة)) [5]
بل إن النبي صلى الله وعليه وسلم أعلن البراءة من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين .
بل نجد أن النبي صلى الله وعليه وسلم لعظم أمر الهجرة لعن المرتد عن الهجرة إلى داره وان لم يرتد عن الإسلام . ففي المستدرك بسنده عن مسروق قال عن عبد لله قال :ما عبد الله آكل الربا وموكله

---

1 - (رواه الحاكم في المستدرك برقم 7114 ك / ذكر فضائل قريش 6/5

2 - المستدرك برقم 821 ك / الصلاة ب / في مواقيت الصلاة 327/1

3 - البخاري كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر بن الخطاب 1356/3

4 - (سورة النساء الآية 97)

5 - (التفسير لابن كثير م 1/ ص239 طبقة مكتبة الإيمان)

وشاهداه إذا علماه والواشمة والمتوشمة ولاوى الصدقة – مانعها والمرتد أعرابيا بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد صلى الله وعليه وسلم يوم القيامة [1]
إذا فوجوب الهجرة على المسلمين وقتئذ هي للصالح المسلم نفسه أولا، والمجتمع الإسلامي ثانيا ، وذلك لأن إقامة المسلم بأرض الكفر تعرضه للفتنة والأذى وتحرمه من نعمة الحياة في المجتمع الإسلامي وتعرضه للخطر في نفسه وماله وأهله ، وربما وقع في الكبائر لقربه منها وقربها منه وغير ذلك مما لا يحصي عده ،والمجتمع المسلم نفسه بحاجة إلى كل كفاءة لبنائه وازدهاره وتقدمه , لاسيما المجتمع الناشئ الجديد بالمدينة , كما أنه بحاجة إلي كل فرد مسلم حتى يكثر سواد المسلمين فيه ،فيدافعون عن أنفسهم ويصدون عدوهم ويمكنون لدينهم ودعوتهم، وماذا لو امتنع الكثير من المسلمين عن الهجرة ، ثم إننا ذكر أن الهجرة أمر الله تعالي أمر رسوله، فتعد بذلك من التكاليف الشرعية ويعد تركها عصيانا .

حكم الهجرة بعد فتح مكة:-
الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة وهى واجبة على كل مسلم قادر عليها : وهى ثلاثة :
الأول : من تجب عليه وهو قادر عليها ولا يمكنه إظهار دينه , وإقامة شعائره وواجباته مع البقاء بين الكفار فهذا تجب عليه لقول الله تعالى :**((إن الذين توفاهم الملائكة))** ..... [2]وفى الحديث عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله وعليه وسلم يقول : لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)) [3]
((فالهجرة من بلاد الكفر إلي بلاد الإسلام باقية لا تنقطع حتى يأتي الوقت الذي لا يقبل الله توبة التائبين وذلك عند طلوع الشمس من مغربها فإذا طلعت من مغربها فلا تقبل هجرة ولا توبة [4]
الثاني : من لا هجرة عليه .
وهو من يعجز عنها إما لمرض أو إكراه على الإقامة أو ضعف من أمثال الولدان والنساء والعجزة فهؤلاء لا هجرة عليهم لقوله جل شانه في الآيات السابقة : **((إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا () فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا))** [5]
قال ابن كثير رحمه الله في التفسير ((وقوله إلا المستضعفين هذا عذر من الله تعالى لهؤلاء في ترك الهجرة , وذلك أنهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ولهذا قال ((لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال مجاهد وعكرمة والسدى : يعنى طريقا))[6]

---

1 - (المستدرك ك / الزكاة برقم 1461وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي) 497/1

2 - سورة النساء الآيتان 97 ، 98)

3 - أبو دواد أول كتاب الجهاد باب في الهجرة هل انقطعت 3/3

4 - (فتح الملك المعبود للشيخ أمين خطاب السبكى المكتبة المحمودية السبيكية ط الأولى عام 1997 وانظر فتح الباري ج6 ص25)

5 – (سورة النساء الآيتان 98 , 99)

6 - (تفسير القرءان لابن كثير م1 صـ239)

وعند البخاري من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : وذكر دعاءه صلى الله وعليه وسلم للمستضعفين من المؤمنين , اللهم اشدد وطأتك على مضر ... الحديث .[1]
وعند ابن حاتم بسنده عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله وعليه وسلم رفع يده بعد ما سلم وهو مستقبل القبلة فقال : ((اللهم خلص الذين لا يستطعيون حيلة ولا يهتدون سبيلا من أيدي الكفار))[2]
وفى البخاري في صحيحه بسنده أن ابن عباس قال : كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان. [3]
وهذا العفو منهج قرآني فقد أكد الله تعالي أن من مبادئ الإسلام عدم تكليف النفس فوق طاقتها أو تكليفها ما لا تستطيع ، حيث قال الله تعالي في القرآن الكريم **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.....)** ذلك العفو عن كل ما لا يستطيعه الإنسان في كل التكاليف ليس الهجرة فحسب، وهذا المسألة من أوسع المسائل في الإسلام .

الثالث : من تجب له ومن لا تجب عليه .

وهو من يقدر عليها لكنه يتمكن من إظهار دينه وإقامة شرائعه في دار الكفر فتستحب له الهجرة وذلك ليتمكن من جهاد الكفار وتكثير سواد المسلمين ومعونتهم، ويتخلص من مخالطة الكفار، وتكثير سوادهم، ورؤية المنكر بينهم، ولا تجب عليه الهجرة لتمكنه من إقامة دينه بينهم، وقال: صاحب الفتح في التعليق على قول السيدة عائشة لما سئلت عن الهجرة فقالت : ((لا هجرة اليوم)) الحديث أشارت عائشة رضى الله عنها إلي بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنه والحكم يدور مع علته ومن ثم قال الماوردى : إذا قدر على إظهار دينه في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار الإسلام فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها)) [4] فطالما أنه يتمكن من إظهار دينه وإقامة شعائره ولا يخاف علي نفسه فتنة ولا ضررا فلا ضرورة للهجرة إذا ، ولعل بقائه في هذه البلد أفضل لتمكنه من إقامة الدين ونشر الدعوة بين غير المسلمين ، فالبلاد كلها بلاد الله وليس للإسلام أرض أو وطن بعينه دون الأخر وإنما الأرض كلها لله فلا إلزام بالهجرة .
وبهذا يعلم لماذا أخر قدوم المهاجرين من الحبشة على إخوانهم في المدينة ؟ ولماذا لم يأمرهم النبي صلى الله وعليه وسلم بالهجرة من الحبشة إلى المدينة كما حدث مع غيرهم ممن هم في مكة؟ وهذا ما حدث مع جعفر بن أبى طالب فقد كان قدومه على النبي صلى الله وعليه وسلم في المدينة بعد فتح خيبر كما أورد ذلك الحاكم في المستدرك بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . قال : لما قدم جعفر بن أبى طالب من الحبشة قال صلى الله وعليه وسلم : ((ما أدرى بأيهما أنا أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر)) [5]
وذلك لأنهم كانوا يستطيعون إقامة شعائر الدين في الحبشة وذلك لوجود الحاكم العادل وهو النجاشي الذي أمنهم على أنفسهم وعقائدهم ومكثوا كما مر((في خير دار وفى خير جوار))[6]

---

1 - (البخاري م6 /61 مع الفتح)

2 - (تفسير القرآن العظيم لابن كثير م1 ص240 وذكره ابن جرير بسنده فى التفسير ج9 ص110)

3 - رواه البخاري كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي455/1

4 - (فتح الباري ج7.ص162)

5 - المستدرك ك / الهجرة الأولى إلى الحبشة برقم 4302 وقال صحيح الإسناد 225/3

6 - (انظر فتح الباري ج7ص162)

ولأنها كانت بتوجيهات ومباركة من النبي صلي الله عليه وسلم وذلك لعدل مليكها، وكانت خير دار نزل بها المسلمون إلى أن توجهوا إلى المدينة المنورة .
إذا فحكم الهجرة باق إلى يوم القيامة إذا وجد معناها وهو الفرار بالدين وخوف الفتنه فيه أو انتشار البدع وعدم القدرة على تغيرها لغلبة أهل البدع والشرور عليها)) [1]
وأما الحديث الوارد في الصحيحين وغيرهما : عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : ((لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا))[2] فقد أجمع الفقهاء على أن الهجرة من مكة إلى المدينة قبل فتح مكة كانت واجبة على كل مسلم ....حفظا للدين، وقربا من رسول الله صلى الله وعليه وسلم ومعاونته وأصحابه , أما بعد الفتح صارت مكة وما حولها دار الإسلام أمن فيها الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم فلا يجب الانتقال عنها إلى غيرها)) [3]
أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قيل لصفوان بن أمية وهو بأعلى مكة – إنه لا دين لمن يهاجر , فقال : لا أصل إلي بيتي حتى أقدم المدينة , فقدم المدينة فنزل على العباس بن عبد المطلب , ثم أتى النبي صلى الله وعليه وسلم فقال ما جاء بك يا أبا وهب ؟ قال قيل انه لا دين لمن لم يهاجر , فقال النبي صلى الله وعليه وسلم : ارجع يا أبا وهب إلي أباطح مكة فقروا (اسكنوا واثبتوا) على مسكنكم , فقد انقطعت الهجرة ولكن جهاد ونية فان استنفرتم فانفروا)) [4]
وأخرج البغوى , وابن منده , وأبو نعيم عن صالح بن بشير بن فديك أن جده فديكا أتى النبي صلى الله صلى الله وعليه وسلم فقال : يا رسول الله : أنهم يزعمون أن من لم يهاجر هلك , فقال النبي صلى الله وعليه وسلم : يا فديك : أقم الصلاة، وآت الزكاة ، واهجر السوء، واسكن من أرض قومك حيث شئت مهاجرا . [5]
قال الخطابي وغيره : كانت الهجرة فرضا في أول الإسلام على من اسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا , فسقط فرض الهجرة إلى المدينة , وبقى فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو,
وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وكانت الحكمة أيضا في وجوب الهجرة على من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه , وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها)) [6]
وهذا ما نلمحه في الحديث الذي رواه أبو نعيم والحسن بن سفيان عن جنادة بن أميه الازدى رضى الله عنه قال : هاجرنا على عهد النبي صلى الله وعليه وسلم فاختلفنا في الهجرة , فقال بعضنا : انقطعت وقال بعضنا : ولم تنقطع : فدخلت على رسول الله صلى الله وعليه وسلم فسألته عن ذلك فقال ((لا تنقطع الهجرة , ...)) [7]

---

1 - (حدائق الأنوار ج1/324 والهجرة في الإسلام د/ محمود بابللى ص26, 27 ط المكتب الإسلامي)

2 - (البخاري في الجهاد) (2783) ومسلم في الحج (445) ج2 /986 باب تحريم مكة وصيدها)

3 - (فتح الملك المعبود ج5 /1 إلى 11

4 - (كنز العمال ج8 ص333 , البيهقى ج9 /ص17)

5 - (كنز العمال ج8ص331 البيهقى ج9 ص17)

6 - (الفتح ج6 ص25)

7 - (كنز العمال ج8 ص331 وأبو حاتم وابن حيان , والنسائي وقال أبو زرعة : حديث متقن , رواه الإثبات عنه , انظر الإصابة ج2 ص319 , حياة الصحابة للكاندهلوى ج1 ص352)

قال البغوى في شرح السنة ((يحتمل الجمع بين هذا وبين حديث ابن عباس ((لا هجرة بعد الفتح ....أي من مكة إلى المدينة وقوله : لا تنقطع , أي من دار الكفر في حق من اسلم إلي دار الإسلام وقد أفصح ابن عمر رضي الله عنهما بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله صلى الله وعليه وسلم ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار أي مادام في الدنيا دار كفر، فالهجرة واجبة منها على من اسلم، وخشي أن يفتن عن دينه. [1]
وقال الطيب تعليقا على حديث ((لا هجرة بعد الفتح))
((وهذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله , والمعنى : أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة، انقطعت إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية , وكذلك المفارقة بنية صالحة كالفرار من دار الكفر والخروج في طلب العلم والفرار بالدين من الفتن والنية في جميع ذلك)) [2]
وهذه الأنواع التي سقناها من قبل للحديث عن الهجر التي تعني الانتقال من مكان إلى مكان وتر ك بلد يعاني فيها المسلم من ظلم أو خوف إلى بلد يشعر فيه بأمان والعدل وإظهار دينه وإقامة شعائره، أو الهجرة لطاب العلم أو الكسب الحلال فهذا كله من أمور المشروعة التي سمح الإسلام فيها بالهجرة وجعل لها ثوابها العظيم عند الله تعالي في الدنيا والآخرة .

الهجرة لنشر الدعوة :

إن هجرة لنشر الدعوة إلى الله وتبلغها إلى من لم تصل إليهم أو بلغتهم بصورة مشوهة غير صحيحة فرض كفاية على الأمة، إذا قام به البعض سقط الحرج وارتفع عن الباقين، وهو من أعظم أهداف بعثة النبي صلى الله وعليه وسلم كما بين الله عز وجل في قوله : **((قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين))** [3] فالدعوة تكليف من الله تعالي للأنبياء ابتداء ومن بعدهم للعلماء العارفين الوارثين للأنبياء ، فالعلم الشرعي والدعوة إلى الله تعالي هما ميراث النبوة ، فالأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، وهذا الميراث الذكي حامله محاسب عليه ضيع أم بلغ أم قصر ، فالنعمة من الله تعالي يقابلها سؤلا وحساب لصاحبها ، وذلك حتى يظل العلم والتبليغ موصولا إلى ما شاء الله تعالي ، فلا تموت الدعوة بموت الأنبياء ، ولا ينته الدين بنهاية حياة الأنبياء الدنيوية ، وإنما يكتمل في حياتهم وعلي أيديهم ويظل تبليغه أمانة في أعناق العلماء
قال ابن كثير : يقول تعالى لرسوله صلى الله وعليه وسلم إلى الثقلين آمرا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته وملكه وسنته وهى الدعوة إلى شهادة أن لا اله إلا الله وحدة لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله وعليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي)) [4]

وقلنا إن ذلك فرض كفاية لقوله تعالى :

---

1 - (فتح الباري ج7 ص163)

2 (فتح الباري لابن حجر ج6 ص25)

3 - (سورة يوسف الآية 108)

4 - (تفسير القرآن العظيم ج2 / 190 ج4)

((وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)) [1] للجهاد فإنه فرض كفاية على الأحياء . [2] ((وهذا ما تفعله بعض الهيئات الإسلامية اليوم كالأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بمصر وكالجامعة الإسلامية والهيئة العامة للدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية وبعض الجامعات الإسلامية ووزارات الأوقاف بقطر والكويت والإمارات والجزائر وتونس والمغرب وباكستان يرسلون مبعوثيهم إلى كثير من دول العالم يقضون هناك مدة من الزمن قد تصل إلى عدة سنوات لتفقيه المسلمين في دينهم ونشر دعوة الإسلام في تلك الدول، ومن الجماعات التي لها جهود مشكورة في ذلك جماعة الدعوة والتبليغ حيث ينتشر دعاتها إلى جميع دول العالم على نفقتهم الخاصة،حيث ينزلون في المساجد ويقومون بإلقاء المواعظ والدروس وحلقات التعليم، كما يتجولون على الناس في بيوتهم وأماكن اللهو والأندية، لدعوة المسلمين وغير المسلمين، ومن سمات هذه الجماعة أنها لا تخوض في القضايا السياسية، ولا الخلافات المذهبية، وتحاول ما استطاعت تجنب الشقاق والخلاف مع الآخرين أيا كانوا ، ويوقرون العلماء ويحترمونهم وقد هدى الله على أيديهم الكثير من الناس ممن لا يحصون عدا , وكما أسلم على أيدهم الكثير أيضا وقد أثني على عملهم ودعوتهم الكثير من العلماء إلا انه لا يخلو المنهج البشرى من أخطاء و أظهرها في الجماعة الضعف العلمي للكثير من المنتسبين فيها)) [3]

وكل ما مر من جهود على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول ، لتبليغ دعوة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها من الهجرة المؤقتة المحمودة والمندوبة وهى سبيل من سبل الإصلاح ونشر الدعوة

النوع الثاني من الهجرة : الهجرة المعنوية :

وهى الهجرة إلى الله ورسوله بهجران السيئات والمعاصي , وهجران كل ما نهى الله عنه ورسوله ، وهي من أعظم الأمور التي يحرص الإسلام عليها ، بل لا نبالغ إن قلنا إنها أساس دعوة الإسلام ، فمن الأهداف الأصيلة للدين نقل الناس من المعصية إلى الطاعة والعبادة والخوف من الله تعالي ، لذا فإن هجران المعاصي ركيزة أساسية في دعوة الإسلام.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: خطبنا رسول الله صلى الله وعليه وسلم فقال : إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالقطيعة فقطعوا وبالبخل فبخلوا وبالفجور ففجروا)) فقام رجل فقال يا رسول الله , أي الأعمال أفضل ؟ قال : أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك فقال ذلك الرجل أو غيره : يا رسول الله أي هجرة أفضل ؟ قال : أن تهجر ما كره ربك [4] فإذا وصل المسلم إلى هذا الحد فقد أدي كما أمر به الله تعالي ورسوله صلي الله عليه وسلم

---

1 - ((سورة التوبة الآية 122)

2 - (تفسير القرآن العظيم م2 ص28 ج4))

3 - (انظر كتاب منهج الشيخ محمد الياس في الدعوة د / محمد عبد الخالق بيرزاده وهى رسالة ماجيستر محفوظة بكلية أصول الدين بالقاهرة 1408 ه , الدعوة إلى الإسلام س محمد أبو زهرة ص64 . 63 دار الفكر العربي , ملحق فتاوى ورسائل كبار العلماء في العالم الإسلامي بكتاب أهل التبليغ ولا ايمن شادي ط1418ه , القول البليغ في جماعة التبليغ للشيخ أبو بكر الجزائري ص18 : 3)

4 - (الحاكم في المستدرك ك / الإيمان برقم 26 107/1

ويؤيد ذلك أيضا ما جاء عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في بيان هجرة المعاصي والذنوب وأنها من أفضل الأعمال ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله وعليه وسلم يقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)) [1]

والهجرة المعنوية هي : هجرة القلب إلى الله سبحانه وتعالى والى رسوله صلى الله وعليه وسلم وهذه الهجرة يهاجر فيها المسلم بقلبه من محبة غير الله إلى محبته سبحانه ومن عبودية غير الله إلى عبوديته ورجائه والخوف منه وحده وتلك هجرة مستمرة ودائمة لا ينبغي للمسلم أن ينفك عنها .

قال ابن القيم رحمه الله ((والمؤمن له في كل وقت هجرتان : هجرة إلي الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجوء والافتقار في كل نفس إليه , وهجرة إلى رسول في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة , بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته , ولا يقبل الله دينا سواه , وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لزاد المعاد.قال بعض العارفين : كل عمل بلا متابعة فهو عيش النفس)) [2]

وقال رحمه الله في موضع آخر عن الهجرة المعنوية : ((إنها فرض عين على كل أحد في كل وقت , وانه لا إنكار لا حد في وجوبها وهى مطلوب الله ومراده من العباد , إذ الهجرة هجرتان هجرة بالجسم من بلد وهذه أحكامها معلومة والهجرة الثانية الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله وهذه الهجرة هي الهجرة الحقيقية وهى الأصل , وهجرة الجسد تابعة لها.... إلى أن قال رحمه الله : والمقصود أن الهجرة إلى الله تتضمن هجران ما يكرهه وإتيان ما يحبه ويرضاه , وأصلها الحب والبغض فإن المهاجر من شيء إلى شيء لابد أن يكون ما هاجر إليه أحب إليه مما هو مهاجر منه , فيؤثر أحب الأمرين على الأخر .....إلى أن قال رحمه الله : وإذا كان نفس العبد وهواه , وشيطانه إنما يدعوه انه إلى خلاف ما يحبه ويرضاه , وقد تلبى بهؤلاء الثلاثة, فلا يزالون يدعونه إلى غير مرضاة ربه , وداعي الإيمان يدعوه إلى مرضاة ربه , فعليه في كل وقت أن يهاجر إلى الله ولا ينفك في هجرته إلا بالممات)) [3]

فقه الدعوة في الهجرة:-

1- أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت حدثا تاريخيا جليل القدر عظيم الأثر لأنه غير مجرى التاريخ فقد صار للمسلمين دولة يلوذون بها ويدافعون عنها .

2- ضرورة الحركة المستمرة للداعية دون يأس أو ملل , والبحث الحثيث الدائم عن منافذ جديدة وأساليب حديثة للدعوة وعدم الخضوع لمحاولات التضييق للضغوط المختلفة لإيقاف سيرة الدعوة .

3- وضوح مبادئ الإسلام والدعوة من أول لحظة حتى يكون الداعية علي بينة من أمره فيدخل الدين عن إرادة واقتناع بينة و ما هو ما حدث في بيعة العقبة الثانية .

4- ضرورة التخطيط الجيد لكل الأمور التي تهم المسلمين وتوسع دائرة الدين .

5-ضرورة وضع الخطط لرد كيد الأعداء وإحباط محاولاتهم للنيل من الدين ومحاولة متابعتهم وكشف كيدهم قبل وقوعه.

---

1 - (البخاري في كتاب الإيمان كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده 13/1

2 - (طريق الهجرتين ص7 ط مكتبة المتنبي القاهرة)

3 - (زاد المهاجر إلى ربه ص61الى 20 بتصرف طبعه أنصار السنة المحمدية)

وجوب الهجرة من دار الكفر والبغي إلى دار الإسلام والأمان وذلك حتى يتمكن المسلم من إظهار شعائره وشرائعه وتبليغ دعوته .
7- يلتزم المسلمون المقيمون في دار الإسلام بدارهم ولا يلزمهم الهجرة مع وجود الفسق والمعاصي وإنما عليهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويدعوا إلى الله تعالي ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا
8- حرص الداعي علي مصلحة المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه الخير والنفع لهم .
9- جواز الاستعانة بغير السلم في قضاء بعض الأمور مهما كان قدرها ، وذلك مع ضرورة
10- الحذر والحيطة في حالة عدم توافر الخبرة المماثلة لدي المسلم .
11- ضرورة العمل والسعي من اجل الوحدة بين المسلمين .
12- الوحدة هي سبل النصر وصد كيد الأعداء في القديم والحديث
13- ضرورة الاستفادة من دروس الهجرة في العصر الحديث ، فالحدث مليء بالدروس والعبر والعظات ، التي وصلت بالمؤمنين إلى التقدم والنصر .
13- بذل كل ما في الوسع والطاقة من نفس أو مال أو حتى الجهاد بالكلمة، فكل يقدم علي قدر استطاعته وإن كان يستطيع الكل فلا بأس .

الفصل الخامس

الجهاد وأهميته للدعوة إلي الله تعالي

من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

وتحدثت فيه عن:

أولا:-

مفهوم الجهاد والحكمة منه.

ثانيا :-

فضل الجهاد في سبيل الله

ثالثا:-

أنواع الجهاد

رابعا :-

مراحل تشريع الجهاد في الإسلام

خامسا :-

أهداف الجهاد ، وآدابه

سادسا:-

أحكام الغنيمة والفيء

الفصل الخامس

الوسيلة الخامسة
((الجهاد في سبيل الله))

تمهيد :

إن الجهاد في الإسلام ركن ركين وأصل أصيل من أصول الإسلام وهو ذروة سنامه وأفضل الأعمال بعد الإيمان بالله عز وجل كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله وعليه وسلم حين سئل((أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله , قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله , قيل ثم ماذا ؟ قال . حج مبرور)) .[1]

وقد أخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم أن الجهاد من أفضل الأعمال التي تقرب من الله تعالي ، ولعل ذلك لأن المجاهد في سبل الله تعالي ينفق النفس والمال وربما لا يرجع من ذلك بشيء ، وأن المجاهد هو الذي يؤمن البلد والعيش والحياة للناس من بعده وإذا تخاذل الناس عن الجهاد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وغلب أمر عدوهم عليهم وضيق عليهم في كل حالهم وعبادتهم فلا صلاة ولا صوم ولا عبادة قط ، من هنا كان فضل الجهاد علي غيره من العبادات والقربات .

ففي المستدرك بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم :(ألا أخبركم بخير الناس منزلة ؟ قالوا بلى يا رسول الله , قال : رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يقتل أو

---

1 -رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال 88/1

يموت ,ألا أخبركم بالذي يليه ؟ رجل معتزل في شعب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويشهد أن لا اله إلا الله). [1]

ولما كان الجهاد وسيلة هامة من وسائل الدعوة الإسلامية لذا لزم الحديث عن الجهاد وبيان أهدافه وفضائله وآدابه وبعض أحكامه وأنواعه , لندفع تلك الشبه والأباطيل التي يردها أصحاب الغزو الفكري والمستشرقين ومن لف لفهم من أعداء الإسلام الذين يخلطون الحق بالباطل ويشككون في الدعوة الإسلامية ومبادئها السامية , ويهرفون بما لا يعرفون خاصة فيما جاء عن الجهاد وتشريعاته في الإسلام .

((فقد أدراك هؤلاء أن هذا الركن إذا استيقظ في نفوس المسلمين وأصبح ذا أثر فعال في حياتهم في أي عصر وفى أي وقت فلن تقف أي قوة بالغة ما بلغت من الأهمية في وجه الفتح الإسلامي ولذا ينبغي أن يكون البدء في القيام بأي عمل بغية إيقاف المد الإسلامي من هذه النقطة بالذات) [2]

والذي ينبغي أن يعلم ،أن الله جلت حكمته، شرع الجهاد وسيله لنشر الدعوة وتمكينا للدعاة من مباشرة البلاغ ودفعا للظلم والاضطهاد .

أولا : مفهوم الجهاد والحكمة منه :

أ - مفهوم الجهاد :

الجهاد في اللغة : الجهاد والمجاهدة : استفراغ الوسع في مجاهدة العدو . [3]

والجهد بفتح الجيم وضمها الطاقة .تقول أجهد جهدك .وقيل الجهد :المشقة والجهد : الطاقة يقال اجتهد الإنسان إذا أفرغ طاقته وجهده فيما هو مقبل عليه , وإذا جاهد فقد بالغ في استفراغ ما في وسعه وطاقته من قول أو فعل في دفع العدو .[4]

ب- الجهاد في الاصطلاح :

الجهاد في سبيل الله مفهومه واسع ، فهو ليس قاصرا على الحرب والقتال بل هو أعم من ذلك وأشمل، وذلك لاختلاف العدو وتباينه ، وليس الهدف منه سفك الدماء وإزهاق الأرواح وتخريب الديار وتشريد العباد وإكراه الناس علي الاعتقاد أو تغيير لغتهم وهويتهم وتجويعهم وقتل أولادهم ونهب ثرواتهم ونشر الفساد بينهم ، وإنما هدف الإسلام في الجهاد أشرف من ذلك وأعظم لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد وأعداء الإسلام يعرفون الأمر جيدا لكنه التزييف الباطل وقلب الحقائق والحقد الدفين علي الإسلام والمسلمين وما مفهوم الحرب عندهم منا ببعيد، فمفهوم الحرب عندهم

---

1 - المستدرك ك/ الجهاد برقم 2426 وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص صحيح على شرط البخاري 198/2

2 - (الدعوة إلى الإسلام ووسائلها ص218 د/ سليمان الدبشة)

3 - (بصائر ذو التمييز للفيروز ابادى ج402/2 المجلس الأعلى للشئون الإسلامية)

4 - (القاموس المحيط ج1 / 286 , المعجم الوجيز ص122 تربية وتعليم مختار الصحاح /114, المصباح المنير ص132 فصل الجيم مع الهاء)

يعرفه القاص والدان ، فأسلوبهم في الحرب مشاهد للعين يستطيع العاقل أن يميز بينه وبين غيره ويعرف الحق والباطل.
والغاية معروفة والوسيلة كذلك وشتان بين كل ما عندهم وبين ما جاء من عند الله تعالي .

ب :- الحكمة من الجهاد :-

لقد جاء الإسلام والعالم يموج في ضلالات وغوايات وباطل وكان لهذا الباطل قوة تحميه وتحارب الإسلام ، وكان الاعتداء على الإسلام يشمل أساليب ووسائل الإكراه والضغط والفرض , لذا كان لابد وأن يكون للدين من قوة تحميه من عبث العابثين واعتداء الكفرة والمشركين .

((إن حكمة الجهاد بأنواعه النظرية والعلمية والإعلامية والدعائية والقتالية , أن نخلص رقاب العباد من عبودية البشر وأن تنفذ حياتهم من الضلال والفساد وأن نطلق العنان للفطرة البشرية المتميزة للبحث عن الحقائق وتصل إلى اليقين في كل شئون الحياة المادية والمعنوية حتى تقوم الحجة علي الناس بالبيان والبرهان والدليل العملي الذي لا يدع لمدع أنه أكره على دين أو اضطر إلى معتقد , ولا ريب أن هذا يعنى ضرورة مناوأة الباطل ومدافعة الشر والطغيان واستمرار الصراع لإحقاق الحق ورد العدوان ومن منطلق العالم بطبائع النفوس البشرية الفردية والاجتماعية فرض علينا الخالق الجهاد بأنواعه وطلب إلى الأمة الإسلامية إن تعد العدة المادية والمعنوية للقتال , ليكون في قوة المسلمين إعلاما بقوة الإسلام وإعلانا عن شرع ينظم الحياة تنظيمنا علميا يحقق التقديم والترقي وقد تأكد من وقائع التاريخ الإنساني أن الجري وراء تقليد الأقوياء والبحث عن أسرار قوتهم ,من أقوى الدوافع الفطرية عند الإنسان)) [1]

أليس الواقع الآن أن الأقوى يخطب وده وتفرض حضارته بل ومأكله ومشربه وملبسه بل وقاذوراته فرضا على الأضعف وقديما قالوا"ويل للمغلوب من الغالب"

((وإذا كانت الأرض متعطشة للعدل والنصفة , وإذا أصبح الناس لإخوانهم سباعا ضارية , ونئابا على أجسادها ثياب وإذا كانت الأمم والأجيال تئن تحت وطأة الجور والعدوان وإذا أوذي عباد الله لمجرد أن ءامنوا بربهم وأرادوا قضاء حياتهم كما يريدون , إذا كان كف الجور والقيام بالقسط جريمة لا تغتفر ،من هنا كان الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله والقضاء على الفساد الذي يملأ الأرض حتى لا تكون فتنة ويكون الدين الله , وكانت الغاية من الجهاد في الإسلام هو إقامة المجتمع الإسلامي وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة))[2]

ومن حكمة فريضة الجهاد أيضا الابتلاء , ليس للمؤمنين وحدهم بل لغيرهم من أعدائهم قال تعالى :

((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين))[3]

وقال تعالى:**((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ))**[4]

وقال تعالى : **((أَلَمْ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ...))** [5]

---

1 - (فقه الدعوة والإعلام د/ عمارة نجيب ص256)

2 - (الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ص167)

3 - (سورة آل عمران الآية 142)

4 - سورة البقرة الآية 214

5 - سورة العنكبوت الآيات 3 ، 2 ، 1.

قال ابن القيم رحمه الله : ((فالناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين : إما أن يقول أحدهم آمنت وإما أن لا يقول , بل يستمر على عمل السيئات , فمن قال آمنت امتحنه الرب عز وجل وابتلاه وألبسه الابتلاء والاختبار ليبين الصادق من الكاذب, ومن لم يقل آمنت فلا يحسب أنه يسبق الرب لتجربته , فان أحدا لن يعجز الله تعالى وهذه سنته تعالى يرسل الرسل إلى الخلق فيكذبهم الناس ويؤذونهم قال تعالى: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ " (1)

فمن آمن بالرسل وأطاعهم عادوه وآذوه فابتلى بما يؤلمه , وإن لم يؤمن بهم عوقب فحصل ما يؤلمه أعظم وأدوم , فلابد من حصل الألم لكل نفس سواء آمنت أم كفرت , ولكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون العاقبة له في الدنيا والآخر والكافر تحصل له النعمة ابتداء ثم يصير إلى الألم ولذا لما سئل الشافعي : أيما أفضل للرجل أن يُمَكَّن أو يبتلى ؟ فقال الشافعي لا يمكن حتى يبتلى فان الله ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم , فلا يظن أحدا أن يخلص من الألم البتة)) (2)

وهناك حكمة أيضا قد تغيب عن كثير ممن يملكون أو تكلموا عن الحكمة من فريضة الجهاد , ألا وهى تجلى أسماء الله وصفاته لعباده بمشاهدة آثارها في البذل والفداء والتضحيات والنصر والتمكين لأوليائه , بل تتجلى حكمة الله جل وعلا في فريضة الجهاد بيان بعض الأحكام الشرعية الخاصة بالجهاد في التكليف بما في الطاقة والوسع , فكيف يتسنى لنا مطالعه آثار اسم الله المهيمن بدون فريضة الجهاد أو اسم الله الصمد أو اسم الله العزيز أو اسم الله الجبار أو اسم الله المقتدر أو اسم الله الحكيم أو اسم الله الفعال لما يريد أو اسم الله المحيط أو اسم الله العليم أو كيف لنا مطالعة معية الله الخاصة وهى معية النصر والتأييد لأوليائه بدون فرضية الجهاد .

لذا لو تأملنا كل الآيات التي وردت التي وردت في الجهاد بأنواعه نجد دائما أنها تنتهي باسم من أسماء الله الحسنى أو صفة من صفاته أو فعل من أفعاله أنه مشهد التوحيد بأنواعه تراه واضحا جليا في أمور الجهاد وأحكامه .

من ذلك قول الله تعالي : ((أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (3)

فلنتأمل ما ذكره الله في تلك الآيات البينات من مشهد التوحيد في أوامره وحثه وتشجيعه لتقوية قلب المؤمنين وفى أسمائه وأفعاله وفى عمله بسرائر العباد ودخائل نفوسهم وبيان كيف يتولد من الجهاد هذا خيرا للمسلمين وخيرا لأعدائهم بقوله تعالى ((ويتوب الله على من يشاء)) وخاتمه الآية ((والله عليم حكيم))

وفى قوله تعالى ((إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (4)

---

1 - سورة الأنفال الآية 112 .

2 - (الفوائد ص257, 258 ط دار ابن رجب تحقيق ش / مصطفى العدوى 1422ه)

3 - سورة التوبة من الآية 13 إلي 15

4 - (سورة التوبة الآية 40)

فانظر ما ذكره الله من آثار تدل على الخاصة لعباده المؤمنين وتأييده لهم بالنصرة وانظر إلى التعقيب في نهاية الآية بقوله تعالى الله عزيز حكيم فهو العزيز الذي لا يغالب ولا يغلب وهو الحكم في شرعه وقدره .

وتأمل ما ذكره ربنا في قوله تعالى : ((كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)) [1] إذا تلك المشاهد كيف كانت تتجلى دون فريضة الجهاد بأنواعه . وكيف كان التمييز بين الخبيث والطيب في الفئة المؤمنة لو لم يكن البذل والتضحيات والاختبارات

قال تعالى ((وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ () إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ . [2]

ومما ورد في شأن الجهاد وفضله في مستدرك الحاكم ما روى عن أبي عمرو الشيباني ، عن عبد الله ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال:« الصلاة في أول وقتها » قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » قلت : ثم أي ؟ قال : « بر الوالدين »[3]

من فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :-

بيان أن الجهاد سبيل العزة للمؤمنين ورفع المهانة والمذلة،و بيان سنة التدافع بين الحق والباطل ومدوالة هذا على ذاك، وأن الجهاد هو السبيل لنيل أعظم وسام وهى الشهادة في سبيل الله ونصرة دينه.، وان الجهاد وسيلة للدفاع عن الدين والأرض والعرض ، وأنه وسيلة لتأمين الدعوة الإسلامية ونشرها في بقاع الأرض والدفاع عنها إذا دعت الحاجة.ففيه حماية الداعي والدعوة والمدعوين ، وانه وسيلة لرد المعتدين والطامعين من أعداء الدين وأنه برهان علي الإيمان و اليقين إذ تتجلى فيه أعظم تضحية بأغلى ما يملك الإنسان ، وفيه دليل علي صدق إيمان المؤمنين وإخلاص المخلصين أو نفاق المنافقين.، وأنه أفضل طريق للبذل والتضحية والفداء في سبيل الله تعالي ، وخير وسيلة لتحقيق العدل وإقامة الحق بين العباد، وأنه من أعظم الفضائل والقربات عند الله تعالي والطريق الأمثل للجنة والنعيم في الآخرة .

ومما ورد في شأن الجهاد وفضله في مستدرك الحاكم ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش , فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا أن أحياء في الجنة نرزق ، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تبارك تعالى : أن أ بلغهم عنكم وأنزل الله ((ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)) [4]

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

---

1 – (سورة البقرة الآية 249)

2 - (سورة آل عمران من الآية 139 : 141)

3 -المستدرك للحاكم أول كتاب الصلاة باب في مواقيت الصلاة 295/1 برقم 694

4 - (المستدرك ك/ الجهاد برقم 2491وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص) 216/2 والآيتان (من سورة آل عمران 169 : 171)

حسن المصير والثواب للمجاهدين ، وبيان مكانة شهداء أحد عند الله تعالي وأنهم في الجنة في حوا صل طير خضر تنعم بالجنة.، وبيان أن الجنة فيها من النعيم مالا يخطر علي قلب إنسان، وأن الشهداء يتمنون الخير للمؤمنين من خلفهم ويتمنون لحاق إخوانهم بهم.، وحرص الشهداء علي إخبار إخوانهم بحسن مصيرهم وخوفهم من أن يتقاعس من بعدهم عن الجهاد في سبيل الله وذلك لما رأوه من حسن الثواب في الآخرة ، و رحمة الله عز وجل بعبادة الشهداء والمؤمنين في الدنيا وتوليه سبحانه الإخبار بذاته العلية عن ثواب الشهداء ، وإثبات الحياة الآمنة المستقرة للشهداء عند الله تعالي في الجنة منذ اللحظة الأولي لانتقالهم واستشهادهم في المعركة مما يحفز الآخرين في اللحاق بهم وعدم الحرص علي الدنيا.

ثالثا : فضل الجهاد في سبيل الله :

الجهاد في سبيل الله فريضة من فرائض الإسلام , وهو من أوجب الواجبات فرضه الله عز وجل حفاظا على دينه وهو ذروة سنام الإسلام وهو أفضل الأعمال عند الله عز وجل بعد الإيمان بالله عز وجل , لذا فضل الله المجاهدين على غيرهم ولم يرضى لهم جزاء إلا الجنة فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت إلى جنب النبي صلى الله وعليه وسلم فغشيته السكينة ,فوقعت فخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام على فخذي , فما وجد ثقل شيء أثقل من فخذ رسول الله صلى الله وعليه وسلم , ثم سرى عنه , فقال : اكتب فكتب (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله) إلى آخر الآية [1] فقام ابن أم مكتوم – وكان رجلا أعمى – لما سمع فضيلة المجاهدين فقال : يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد مع المؤمنين [2] ؟ .....الحديث ولعل هذا السؤال خاصة من ابن أم مكتوم لأنه لم يكن من المؤهلين للاشتراك في ميدان المعركة لكونه كفيفا ، لكنه علي كل حال من الذين عذرهم الله تعالي ورفع عنهم الحرج , لكن لعله أراد بذلك تأكيد الأمر وسماعه مباشرة من رسول الله صلي الله عليه وسلم.

ويكفى في فضل الجهاد أن الله عز وجل أنزل فيه سورا كاملة تتحدث عن فضيلته ودرجات المجاهدين وما أعد الله لهم في الآخرة وتبين أحكام الجهاد والحرب وتوضح آداب الجهاد وتقسيم الغنائم وغير ذلك مما يتعلق بالجهاد مثل: سوره الأنفال والتوبة وسورة محمد(القتال) وسورة الفتح , وعشرات الآيات في سورة آل عمران والنساء والبقرة والأحزاب والحشر وغير ذلك من سور القرآن الكريم . والجهاد في سبيل الله برهان على صدق إيمان العبد, وتركه من أكبر الذنوب خاصة لمن كان قادرا عليه وكان في حقه واجبا . روى الحاكم في المستدرك عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم : من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبه من النفاق . [3]

قال النووي : المراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف , فان ترك الجهاد أحد شعب النفاق . [4]

والمجاهد في سبيل الله يضاعف له عمله وتظل صحيفة حسنا مفتوحة ولا تغلق بموته ويأمن من فتنه الملكين في القبر، فإذا كان الشهيد قد وهب نفسه لله تعالي ومات مقاتلا ، فالله تعالي يبارك له في عمله ويبقي له الثواب موصولا إلى ما شاء الله تعالي .

---

1 - (سورة النساء الآية 95)

2 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2475 قال صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه 210/2

3 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2465 وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه 144/2

4 - (المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي ج370/6 ط الفدالوبى)

ومما ورد في شأن الجهاد وفضله في مستدرك الحاكم ما روى عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله وعليه وسلم قال : كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فانه ينمو له عمله إلي يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر. [1]
بل إن الغبار الذي يصيب المجاهد في سيره إلي الجهاد أو وقت مشاركته في المعركة، يجعله الله تعالي وقاية وحجابا للإنسان من النار ، لذا فإن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفضلون السير والترجل علي الركوب وامتطاء الدواب لما له من فضل عظيم (أخرج ابن حبان في صحيحة بسنده عن جابر بن عبد لله وهو في غزو في أرض الروم قال : سمعت رسول الله صلى الله وعليه وسلم يقول : وما اغبرت قدما عبد في سبيل الله إلا حرم الله عليهما النار وكان جابر يمشى ويسحب بعيره فلما سمع الناس ذلك نزلوا يمشون فما رؤى يوما أكثر ماشيا منه) [2]
وكلما كانت مشقة الجهاد أكبر كان الأجر أعظم وقد فضل رسول الله جهاد البحر علي جهاد البر لما فيه من المشقة والتعب والوقوف علي الخطر أكثر من جهاد البر، ولوقوف الإنسان علي خطر الغرق وملاقاة الأعداء.
ومما ورد في هذا الشأن ما أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده(عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ومن أجاز البحر فكأنما غاز الأودية كلها والمائد فيها كالمتشحط في دمه) [3]
وقد كان المسلمون الصالحون يقرؤون القرآن ويتذكرون آيات الجهاد وينظرون إلى ثوابه وعقاب المتخلفين عنه،
وكان الصالحين من المؤمنين يتمنون الجهاد والموت في سبيل الله تعالي أو حتى أن يدفنوا في أرض العدو إذا لم يمكنهم أن يصلوا إليه ، حتى يكون خروجهم شاهدا عليهم أمام الله يوم القيامة ، وتشهد لهم الأرض التي خرجوا إليها ، وسعيهم وخطواتهم تكون كذلك .
ومما ورد في شأن الجهاد في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن محمد بن سيرين قال : شهد أبو أيوب رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً ، ثم لم يتخلف عن غزاة المسلمين إلا هو فيها إلا عاماً واحداً فإنه استعمل على الجيش رجل شاب (هو عبد الملك بن مروان) فقعد ذلك العام، فجعل بعد ذلك يتلهف ويقول : ما على من استعمل ، فمرض وعلى الجيش يزيد بن معاوية فدخل عليه يعوده فقال ما حاجتك ؟ فقال حاجتي إذا أنا مت فاركب بي ثم اسع في أرض العدو ما وجدت مساغاً ، فإذا لم تجد مساغاً فادفني ، ثم ارجع قال : وكان أبو أيوب رضي الله عنه يقول : قال الله عز وجل : " انفروا خفافاً وثقالاً فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا "[4]
بل كان الصحابة رضي الله عنهم يعلمون أن في تركهم للجهاد والجلوس والانشغال بالأموال والضيعات هو التهلكة التي حذر الله منها وهو الذل والصغار .

---

1 - (المستدرك ك / الجهاد 2464 وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه 144/2

2 - (الترغيب ج2 /396 وقال الهيثمى ج5 /286) رواة أبو يعلى ورجالة ثقات وانظر الإصابة ج126/3

وهو عند احمد وابن حبان من طريق عبد الله بن المبارك وأخرجه البيهقى ج126/9)

3 - المستدرك ك/ الجهاد برقم 2682 وقال حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص على شرط البخاري 265/2

4 -الحاكم في المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / ذكر مناقب أبى أيوب برقم 6820 173/4

والأحاديث والآثار في فضل الجهاد وبيان منزلة المجاهدين كثيرة جداً وما سقناه غيض من فيض وقطرة من بحر لعله يكون حافزا لمن فترت عزيمته وقصر فهمه واختلطت نيته عن الجهاد وذلك لتحرير نفسه من هواه وشيطانه وتحديث نفسه بالغزو لتحرير بلاد المسلمين من أيدي الغاصبين ونصرة المستضعفين .

وأجر الشهداء وثوابهم يعطيه الله تعالي للصادقين ولو لم يخرجوا إلى ساحة المعركة ويلتحموا مع العدو ويلقوا حتفهم ، حتى ولو كانوا علي فراشهم لكن أنفسهم تتشوق للقاء الله تعالي والجهاد في سبله ، فالله تعالي يعطيهم ذلك الثواب ولو كانوا علي فرشهم .

ومما ورد في شأن الجهاد في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن سهل بن حنيف قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه " [1] فالنية لها أعظم الأثر في الحصول علي الثواب والفوز برضي الله تعالي ، فربما جاهد الرجل في ميدان المعركة ولا حظ له من الثواب، وربما نال غيره الثواب وهو علي فراشه ، وذلك فضل الله تعالي يهبه لمن يشاء .

ومن فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :-

أن ثواب الجهاد لا يعادله ثواب ،وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ،وأن ثواب الشهيد لا ينتهي بموته وصفحة عمله لا تغلق ولا تنتهي،وبيان زيادة فضل المجاهدين في البحر علي المجاهدين في البر ولعل ذلك لما في البحر من أخطار أكبر من البر فهو في البحر بين خطر العدو وخطر الغرق ،حرص المسلم علي الجهاد وعدم تخلفه اقتداء بصحابة رسول الله فمنهم من لم يتخلف عن أي غزوة قط .، وأن الله سبحانه وتعالي يعطي للراغبين في الجهاد ثوابهم علي نيا تهم ولو لم يجاهدوا في ساحة المعركة ، السير علي منهج النبي الكريم والصحابة فقد كانوا يعشقون الشهادة والموت في سبيل الله تعالي ويتمنون ولو أن يد فنون بعد موتهم في أرض العدو حتى تشهد عليم ،وأن ثواب المجاهد عظيم ويكتب له الكثير مكن الحسنات بخطوات سيره وغبار طريقه وإحسانه لفرسه .، بيان أن لتهلكة الحقيقية في التخاذل والقعود عن الجهاد وليست في الموت والشهادة في سبيل الله تعالي .

رابعا : أنواع الجهاد :

والجهاد أنواع: فمنه جهاد العدو الإنساني وهناك جهاد العدو الشيطاني وهناك مجاهدة الهوى والنفس وشهواتها والحياة الدنيا ومغرياتها ، النفس وهي من أكبر أعداء الإنسان ويجب على الإنسان أن يجاهد هواه حتى يكون تبعا لشرع الله عز وجل .

وفى الحديث الذي ذكره الحاكم في المستدرك بسنده(عن فضالة بن عبيد قال، قال رسول الله صلى الله وعليه وسلم في حجة الوداع : ألا أخبركم بالمؤمن؟ المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) [2]((فالجهاد هو مواجهة هؤلاء الأعداء لتبقى الحياة نظيفة من الأوبئة والشرور بقد ما يمكن فهي عمليه مستمرة بين الخير والشر والإيمان والكفر)) [3]ويتسع مفهوم الجهاد في سبيل الله حتى يشمل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...فكل من يسعى لإقامة

---

1 - المستدرك ك/ الجهاد برقم 2459 وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي 207/2

2 - (المستدرك ك / الإيمان برقم 24 وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي في التلخيص وسكت عنه)1/ 106

3 - (الجهاد في الإسلام د/ رءوف شلبي ص23/ 26 مجمع البحوث الاسلاميه1980)

معروف أو محو منكر هو يجاهد في الحقيقة في سبيل الله . بل هو أعلى فروعه))[1]وكلمة الحق التي ينطق بها المسلم وتحتاج إلى مجاهدة وتكلفه الكثير ، وربما عرضته للخطر ، تعد أيضا من أنواع الجهاد المنصوص عليها صراحة . ،ففي الحديث . ((عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم إن من أعظم الجهاد كلمة عدل سلطان جائر))[2] ، و((من هنا كان الجهاد في سبيل الله فريضة من فرائض الدين الإسلامي حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ([3])، وقد وردت مادة الجهاد بمشتقاتها في القرآن الكريم إحدى وأربعين مرة مما يدل على مدى اهتمام الإسلام بالجهاد واعتنائه به لأنه ذروة سنامه وسبل إلى عزة الأمة ورفعتها وتبليغ دعوة الله تعالي .

وأما الجهاد في مصطلح الفقهاء فيراد به : قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله .([4])، وقال الكاساني : ((أما الجهاد في عرف الشرع : فيستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان أو غير ذلك))[5]، وهو معنى ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس رضى الله عنه : أن النبي صلى الله وعليه وسلم قال : **((** جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم **))**[6] فقد أوصي رسول الله بمجاهدة المشركين بكل ما في الوسع والطاقة .

ولقد اتسع مفهوم الجهاد في الإسلام حيث شمل الجهاد بمراتبه كلها كما بين ذلك الإمام ابن القيم حيث قال معلقاً على قوله تعالى **" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ "** [7]

" وقد علق سبحانه الهداية بالجهاد ، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً وأفضل الجهاد جهاد النفس ،وجهاد الهوى ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الدنيا ، فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة جنته ، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد ... ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً ، فمن نُصِر عليها نُصِر على عدوه ، ومن نصرت عليه نُصِرَ عليه عدوه " [8] ما تخاذل البعض عن الجهاد إلا تعلقا في الحياة وشهواتها وطلب للعيش في دركها ، وربما سولت له نفسه ذلك وألحت عليه في الطلب ، وربما أكد الشيطان الأمر، فلكل منهم دوره والفرد إما أن ينتصر وإما أن ينساق ورائهم ويتبعهم . فتلك مراتب الجهاد في الإسلام ، وتدخل الأربعة في قوله تعالى " وجاهدوا في الله حق جهاده " [9]

يتبين من ذلك أن المسلم لا ينفك أبداً طوال حياته عن الجهاد ولا يضع سلاحه أبداً ما دام فيه رمق وما دام فيه عينٌ تطرف ، ولقد كان رسول الله ρ في ذروة الجهاد العليا فاستولى على أنواعه كلها ، فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان ، وكانت ساعاته موقوفة

---

1 - (الدعوة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ص167)

2 - الترمذي ك / الفتن باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل ثم سلطان جائر 551/4

3 - (الفتوحات الربانية في التفسير الموضوعي ص23 ج1 د/ الحسيني أبو فرحة)

4 - (القسطلانى . إرشاد الساري ج2 /182 دار الكتب العلمية)

5 - (بدائع الصنائع ج7 /97 ط بيروت)

6 - (المستدرك ك / الجهاد 2/ 210 برقم 2474 وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي)

7 - (سورة العنكبوت الآية 69)

8 - (الفوائد صـ 74 ، 75 ط دار ابن رجب)

9- (سورة الحج ألآية 78)

على الجهاد بقلبه ولسانه ويده ولهذا كان أرفع العالمين ذكراً وأعظمهم عند الله قدراً ، ولقد أمره الله بالجهاد من حين بعثه فقال جل شأنه : " وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا [1] فهذه سورة مكية أمر فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن ، قبل أن يؤمر بالقتال بالسيف والسنان " [2]

النوع الأول : الجهاد بالنفس وهو القتال :

وهو أفضل أنواع الجهاد وأعظمها على الإطلاق ، لما له من إعزاز الدين ونشر دعوة رب العالمين ، فالمجاهدون يقومون بإزالة العقبات التي تحول بين الدعوة والمدعوين وتصد الناس عن دين رب العالمين الله ،

فهم يقومون بإزالة جميع العوائق من أمام مريدي الحق ليسهل عليهم التفكير والتفهم لدعوة الحق ومنهج الفطرة ورؤية الحق وعلي المجاهدين إزالة كل العلائق والغيوم حتى تصبح الصورة واضحة .

قال ربعي ابن عامر لرستم قائد الفرس لما سأله رستم من أنتم وما الذي جاء بكم ، فقال ربعي :" نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن كان قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نقضي إلى موعود الله قالوا : وما موعد الله ؟: قال الجنة لمن على قتال من أبى والظفر لمن بقى "

ولذلك كان عظيم الأجر لهم كما قال ρ " إن عظم الجزاء من عظم البلاء " [3]

ويتفرع من هذا عدة أمور :

أ – كراهية النفس للجهاد ومعالجة الإسلام لذلك :

ولما كان هذا الأمر مكروهاً على النفس ، وذلك لأنها تركن إلى البطالة والدعة وحب الحياة ولو كانت مع المذلة والقلة كان خطاب الله تعالى للمؤمنين بقوله .

"كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون [4]

" فالعبد يكره مواجهة عدوه بقوته الغضبية خشية على نفسه منه وهذا المكروه خير له في معاشه ومعاده ، ويحب الموادعة والمتاركة وهذا المحبوب خير له في معاشه ومعاده فالإنسان كما وصفه خالقه"ظلوم جهول"فلا ينبغي أن يجعل المعيار على ما يضره وينفعه : ميله وحبه،ونفرته،وبغضه،بل المعيار على ذلك ما اختاره الله له بأمره ونهيه ، فأنفع الأشياء له على الإطلاق طاعة ربه وباطنه ، فإذا قام بطاعته وعبوديته مخلصاً له فكل ما يجري علي ما يكرهه يكون خيراً له وإذا تخلى عن طاعته وعبوديته فكل ما هو فيه من عيوب هو شر له، فمن صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقيناً أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي لا يحصيها علمه ولا فكرته،بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب" [5]

1- (الفرقان الآيتان 51، 52)

2 - (زاد المعاد جـ 2 صـ 38)

3 - (أورده ابن كثير في البداية والنهاية جـ7 / 38

4 - (سورة البقرة الآية 216)

5 - (الفوائد لابن القيم صـ 116 ، 117 ط دار ابن رجب)

فالنفس هي النفس ومطامعها لا تنقض فقد كان في القديم من يتخاذل ويتقاعس وفي عصرنا من يكون كذلك فإنسان هو الإنسان ، لذا فالقرآن يضع العلاج للبشر في كل زمان وهذا من صلاحية القرآن للحياة منذ أن نزل إلى منتهاها، وقد كان الصحابة مع صعوبة الجهاد علي النفس البشرية إلا أن الله تعالي أعانهم عليها فضربوا أروع الأمثال في التضحية والفداء في سبيل الله تعالي .
وهذا صديق هذه الأمة أبو بكر τ يبين ذلك في كتابه الذي أرسله لخالد بن الوليد τ بعد فراغه من اليمامة ، وجاء فيه بعد أن حمد الله وأثنى عليه ... إلى أن قال : إن الله " فرض الجهاد على المؤمنين فقال : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم " حتى فرغ من الآية فاستمسكوا بوعد الله إياكم وأطيعوه فيما فرض عليكم وإن عظمت فيه المؤنة ، واستبدت الرزية (المصيبة العظيمة) وبعدت المشقة ،وفجعتم في ذلك بالأموال والأنفس فإن ذلك يسير في عظيم ثواب الله ، فاغزوا رحمكم الله في سبيل الله " خفافاً وثقالاً" [1]
فقد عالجت تلك الآية هذا الخوف وهذا الكره بأمرين : "وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم " أي لأن القتال يعقبه النصر والظفر على الأعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم وذرياتهم وأولادهم ، " وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم " وهذا عام في الأمور كلها قد يحب المرء شيئاً وليس فيه خير ولا مصلحة ومن ذلك القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم ، ثم قال تعالى : "والله يعلم وأنتم لا تعلمون " أي هو أعلم بعواقب الأمور منكم وأخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم فاستجيبوا له وانقادوا لأمره لعلكم ترشدون. [2]

ب- مراحل تشريع الجهاد في سبيل الله :

إن الجهاد بالنفس لم يفرض دفعة واحدة ، بل فرضه الله تعالى على مراحل شأنه في ذلك شأن بعض التشريعات مراعاة لحال الدعوة والمؤمنين في أول الأمر .
والناظر في آيات القرآن الكريم وسيرة سيد المرسلين يجد أن تشريع الجهاد في الإسلام اشتمل على المراحل التالية :

أولا- المرحلة الأولى : كانت قبل الهجرة ، وتسمى هذه المرحلة " مرحلة إعلان الدعوة "

وفيها كان الجهاد بالحجة والبرهان والصبر على أذى المشركين وهو جهاد اللسان كما قال تعالى فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا "[3] قال ابن عباس " يعني القرآن " [4]
وقال المراغي : " جاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاينة والمدارة لتكسب ودهم ومحبتهم وعظهم بما جاء به القرآن من المواعظ والزواجر وذكرهم بأحوال الأمم المكذبة لرسلها ، وذلك منتهى الجهاد " [5]
فكان جهاده ρ في هذه المرحلة هو الصبر على الأذى ومثابرة أهل الهوى والثبات على الدعوى ولذلك وردت الآيات المكية في هذا الشأن وكلها تنادي بالصبر والمثابرة وعدم التعرض لهؤلاء الطغاة إلا بالحسنى والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة "[6]

---

1 - (أخرجه البيهقى في سننه جـ 9 / 179)

2 - (تفسير القرآن العظيم لابن كثير م1 صـ 322)

3 - (سورة الفرقان الآية 52)

4 - (ابن كثير جـ3 / 311)

5 - (تفسير المراغي جـ 19 / 26 دار الفكر)

6 - (التفسير الموضوعي لآيات الجهاد د / محمد محمود حجازي صـ 11)

لقد كانت هذه المرحلة من أهم المراحل لأنها مرحلة نشر وبلاغ وتثبيت وتمحيص وتربية وصبر على إيذاء الأعداء وإعداد الفئة المؤمنة ليحملوا رسالة الإسلام إلى العالمين ولا عجب أن تستمر تلك المرحلة قرابة ثلاث عشر عاماً وهي عمر الدعوة المكية .

ثانيا- المرحلة الثانية : الإذن في القتال :

وهذه المرحلة بدأت بعد الهجرة النبوية حيث أذن الله للمؤمنين بأن يدافعوا عن أنفسهم ويردوا الظلم الذي يقع عليهم من أعداء الله .يقول ابن عباس لما خرج النبي ρ قال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون أخرجوا نبيهم ، قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل : " إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " [1]

وإنما كان الإذن لازماً في بداية المرحلة الثانية ليكون المسلمون في حل من الدفاع القتالي ، وحتى لا يتخيلوا أن أوامر المصابرة وحدها هي أوامر هذه المرحلة أيضاً ، إن الإذن بالقتال لم ينسخ العفو والمصابرة حيث لا مناقضة بينهما ، لأن الصبر طريق الإيمان، والقتال يحتاج إليه والإذن بالقتال غير الأمر به ، ولهذا لم يشعر المؤمنون بفريضة القتال بعد الإذن فكان خروجهم في بدر اختياراً وعلموا أن من خرج للقتال أُثيب ومن تخلف لم يحاسبه رسول الله رسول الله صلي الله عليه وسلم " [2] فكان لزاماً على المسلمين أن يأخذوا بأسباب النصر من إيمان وعمل صالح واستعداد وإعداد للعدة والصبر والتضحية في سبيل الدفاع عن هذا الدين بعد أن صارت له دولة يطمع كثير من الأعداء في تقويض أركانها خاصة وهي ما تزال في مهدها .

و بهذا الإذن كان تحريض النبي رسول الله صلي الله عليه وسلم للمؤمنين على الجهاد روى الحاكم في المستدرك بسنده عن انس رضي الله عنه قال : أن النبي رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "[3]

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

الإذن بقتال المشركين للزود عن الدين ، وتحريض النبي رسول الله صلي الله عليه وسلم للمسلمين على الجهاد كل بحسب ما يملك من مواهب وإمكانيات وقدرات، وأن الجهاد يكون بالمال واللسان كما يكون بالسيف والسنان.،وبذل الجهد واستفراغ الوسع لكف شر أعداء الدين وهو معنى قوله تعالى : "فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله

---

1 - (سورة الحج ألآيتان 39، 40 وهي أول آية نزلت في القتال (تفسير القرآن العظيم لابن كثير صـ 262 جـ 3 ورواه أحمد في المسند م1 / 216 والترمذي في التفسير تحفة الأحوذي م 9 / 15) وكان ذلك الإذن في السنة الثانية للهجرة (الموسوعة الإسلامية العامة ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص469)

2 - (دراسات في الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش صـ 125 ، 126)

3 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2474 وقال صحيح على شرط مسلم 210/2

أشد بأسا وأشد تنكيلا" [1] ،والتجهز والاستعداد البدني والمادي والمعنوي للدفاع عن الدين والأرض والعرض.
وقد بينت السنة النبوية أن الرمي من أهم أنواع القوي التي ينبغي الحرص والتحريض عليها, وهي من أهم الأمور التي حرصت عليها السنة النبوية ، ومن أهم وصايا الرسول صلي الله عليه وسلم في ناحية البناء الجسدي والقوة البدنية والتي تسهم مباشرة في بناء القوة العسكرية أو القوي الجهادية لدي المسلمين.، و أن الإذن بالقتال جاء بعدما ذاق المسلمون ألوان العذاب وأصبح لديهم القدرة علي صد كيد الأعداء والنيل منهم .
ففي المستدرك عن عقبة بن عامر الجهني τ قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " ألا إن القوة الرمي .[2]
فقد حصر الرسول القوي في الرمي كأنه لاشيء غيره ، والمطلع للجانب العسكري المعاصر أو الجهادي يجد إعجاز الرسول صلي الله عليه وسلم في التعبير بهذا المعني ففي حقيقة الأمر نجد أن القوة هي الرمي ، فإذا كان الجندي قويا في صحته أو ماله أو غنيا في ثقافته لكنه غير رمي فما أثره في ميدان المعركة ، ومع تطور الأسلحة والقدرات الهائلة التي توصل إليها الخبراء العسكريون في العصر الحاضر وامتلاك بعض الدول لأسلحة دمار شامل تغني عن الجندي في ميدان المعركة، إلا انه ستظل للجندي مكانته في المشاركة الفعلية علي أرض الواقع ،والذي يحسم المعركة في النهاية هي القوي البرية أو من تسمي بلغة العصر الحديث بجنود المشاة ، وهي بلا شك تحتاج إلى البشر في المقام الأول والأخير والرمي هو سلاحها الذي لا نبغي إهماله أو التفريط فيه أو الاستغناء عنه كما أوصى رسول الله صلي الله عليه وسلم .
وكان صلي الله عليه وسلم يحفز الصحابة ويشد من عزائمهم وهممهم كي يعتنوا بالرمي ولا يقصروا ، فكان يذكرهم بما كان عليه الآباء والأجداد ، من مهارة وحب ، ومما ورد في شأن الجهاد في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر رسول الله رسول الله صلي الله عليه وسلم بقوم يرمون فقال : ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً " [3]
فالرمي كان حرفة ومهارة لدي النبي إسماعيل ابن النبي إبراهيم عليهما السلام وإسماعيل هو من تنسب إليه العرب لذي قال صلي الله عليه وسلم إن أباكم كان راميا ، وكأن الرمي سنة من سنن الله تعالي وسنة إلهية طبقها إسماعيل عليه السلام وربما غيره من الأنبياء .
ومما ورد في شأن الجهاد في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : " إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه الذي احتسب في صنعته الخير ، والرامي ، ارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلى من أن تركبوا وليس من اللهو إلا ثلاثة تأديب الرجل فرسه وملاعبته زوجته ورميه بنبله عن قومه، ومن علم الرمي ثم تركه فهي نعمة كفرها "[4]

من فقه الدعوة في الحديثين الشريفين :-

فضل الرمي وأهميته والتحذير من تركه بعد التعلم ،وتحريض النبي لأصحابه على الاستعداد بالرمي والركوب والتجهز للقاء العدو ، وبيان أن الرمي من سنة الأنبياء السابقين وليس بدعة أو عادة مما

---

1 - (سورة النساء الآية 84)

2 - مسلم كتاب الإمارة باب بيان الشهداء 1522/3

3 - المستدرك ك / الجهاد برقم 2511 ووافقه الذهبي في التلخيص وقال صحيح على شرط مسلم 220/2

4 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2514 وقال صحيح ووافقه 211/2

يقوي من عزيمة المؤمنين في التقرب إلى الله بتعلمه والأخذ به ، وأن الرمي أحب من الركوب على الخيل وذلك لأن نكايته أشد وأقرب من السلامة لعدم وجود الالتحام الذي يكون لمن يركب الخيل مع عدوه ، وتشجيع الصناعات الحربية وأن الصانع والناقل لها في أرض المعركة كالمستخدم لها في القتال والأجر ،وفضل الجهاد وعظم جزاؤه ، ومراعاة الإسلام للدوافع الفطرية والرغبات الإنسانية في كل الأوقات ،و بيان الأمور الثلاثة التي لا يؤاخذ الرجل عليها مع أنها من اللهو ، بل هو فيها مأجور متى تحسنت النيه

ثالثا: المرحلة الثالثة : قتال من يقاتل المسلمين :

وهو ما يعرف بجهاد الدفع وإلى هذه المرحلة تشير الآية الكريمة قال الله تعالى : وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين [1]

وقد انتقل المسلمون حسب هذه الآية من مرحلة إلى مرحلة أخري فبعد الإذن بالدفاع جاء الأمر بالقتال والتأكيد عليه وهناك مفارقة بين الأمرين " وإنما احتاج المسلمون إلى الأمر بالقتال بعد الإذن لأن منهم من اسلم حديثاً ، ولم يقع إيذاءُ عليه ، ومنهم من طبع على ضعف فطري ومنهم من بينه وبين أهل مكة قرابة وصلة ، وهؤلاء لا يكفي معهم الإذن بالقتال وإنما لا بد لهم من الأمر به لإقامته " [2] وقد بدأت هذه المرحلة الثالثة بعد غزوة بدر مباشرة .[3]

" وبهذا تبين لنا أيضاً أن هذه المرحلة لم تخرج هي الأخرى عن مبدأ العدل والدفاع كما يستفاد من آيات تشريعها ففيها قوله تعالى : " ولا تعتدوا ، ولا عدوان إلا على الظالمين " [4]

وفي هذه المرحلة كان الإعداد لإرهاب الأعداء الخارج الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر خاصة من المنافقين واليهود ، وكان لزاماً لذلك قتل مثيري الفتن من أمثال كعب بن الأشراف اليهودي وأبي رافع اليهودي روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الحميد بن أبي عبس عن أبيه عن جده قال : كان كعب بن الشرف يقول الشعر ويخذل عن النبي صلي الله عليه وسلم ويخرج في غطفان ، فقال محمد بن مسلمة الحارثي : أنا يا رسول الله أتحب أن أقتله فصمت رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال :إيت سعد بن معاذ فاستشره قال : فجئت سعد بن معاذ فذكرت وذلك له فقال : امض على بركة الله... " الحديث .[5]

وكذلك تم قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي وقد كان بحصن خيبر وهو عند البخاري بسنده عن البراء بن عازب τ قال : بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك رضي الله عنه وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ρ ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز .... " الحديث .[6]

---

1 - (سورة البقرة الآية 190)

2 - (الدعوة في عصر النبوةصـ210 د / أحمد غلوش)

3 - (المصدر السابق)

4 - (الدعوة الإسلامية د / محمد رجب الشيتوي صـ 175)

5 - (المستدرك ك/ معرفة الصحابة ب/ مناقب محمد بن مسلمة برقم 5938 وأورده الذهبي في التلخيص وسكت عنه 3/ 151

6 - (صحيح البخاري ك / المغازى باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال سلام بن أبي الحقيق كان بخيبر ويقال في حصن له بأرض الحجاز قال الزهري هو بعد كعب بن الأشرف 1482/4

رابعا- المرحلة الرابعة : قتال المشركين عامة:

. وهو ما يعرف (بجهاد الطلب) حيث أمر الله تعالى بقتال المشركين أياً كان نوعهم وجنسهم ومكانهم وزمانهم وتباين بلادهم وأزمانهم دون استثناء لطائفة أو جماعة منهم فقال تعالى : **"وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين "** (1)

وقال تعالى:" **فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** " (2)

وقال تعالى : " **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** "(3)

وأكد رسول الله صلي الله عليه وسلم ما جاء بالقرآن في ذلك فقال : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن قاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم { لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر فيعذبه الله } هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" (4)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

أن فعل النبي ρ وأصحابه للجهاد (الطلب) إنما هو استجابة لأمر الله تعالى

أن جهاد المشركين ومتابعتهم في هذه المرحلة كان بسبب إمكانية فتنتهم للمسلمين في دينهم وان خطر المشركين لا يتوقف علي أنفسهم وإنما يتعداهم إلى غيرهم فهم يؤذون الدين والمسلمين من طرف خفي ، وممارستهم الشرك بالله والمعتقدات الفاسدة تشكل أكبر فتنة علي الموحدين لا سيما أن فيهم قريبي عهد بالإسلام ، لكن أهل الكتاب من اليهود والنصارى مع مخالفتهم للمسلمين في الدين أن الإسلام قبل منهم دينهم ورضي منهم بالجزية إن هم رغبوا في ذلك ولم يكرهم علي الدخول في الإسلام , مع ضرورة احترامهم لشعائر الإسلام وتقدير مشاعر المسلمين ضرورة إغلاق أبواب الشر التي يمكن أن تلحق بالمسلمين ، وأن حرية الأديان ليست في الإشراك بالله تعالي وترك عبوديته ،وإقرار الإسلام للأديان السماوية التي تقر التوحيد وأن الإسلام لا يكره أهل الكتاب علي الدخول في الإسلام وأنه يعرض عليه الإسلام أو الجزية أو الجهاد ،وأن الجهاد وسيلة لإقامة العبودية لله في الأرض في أعلى صورها ،و أن هدف الجهاد ليس سفك الدماء وإنما إقامة فرائض الإسلام ، قبول الظاهر من العباد والله يتولى السرائر ، وأن عصمة الدم والمال إنما تثبت بشروطها كما بينها الحديث وهي النطق بالشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وهذا ما فهمه أبو بكر الصديق لما أراد محاربة المرتدين وأرجعه عمر في ذلك (متفق عليه)، عرض الرأي والمشهورة في أمر اغتيال كعب بن الأشراف علي سعد بن معاذ سيد الأنصار وان النبي صلي الله عليه وسلم أحال الأمر إليه وأن النبي لم يسمح مباشرة بقتله ، والسبب في اختيار سعد لأنه ربما كان اعرف بحال هؤلاء القوم فهم أهل بلد واحد وهو الذي حكم في أمر اليهود الخائنين من بني قريظة ، أن هؤلاء الذين أراد المسلمون الانتقام

---

1 - (سورة التوبة الآية 36)

2 - سورة التوبة الآية 5)

3 - (سورة التوبة الآية29)

4 - المستدرك 568/2 ك/ التفسير ب / تفسير سورة الغاشية برقم 3926 .

منهم كان بسبب تطاولهم علي شخص النبي صلي الله عليه وسلم والتمادي في الاستهزاء بالنبي صلي الله عليه وسلم ليس كآحاد الأمة وإنما هو رمز الإسلام وإهانته إهانة للإسلام كلها ، وربما دفع هؤلاء المنافقين غيرهم للتطاول بأكثر من ذلك ولابد من حسم الموقف .
إن كره هؤلاء وبغضهم كان يتطور يوما بعد يوم ويتزايد في إهانة شخص رسول الله صلي الله عليه وسلم واخذ يؤلب الناس ويحرضهم علي الرسول والمسلمين واستنكر ما حدث في غزوة بدر للمشركين وذهب إلى قريش وأخذ يغررهم برسول الله رسول الله صلي الله عليه وسلم ويؤجج مشاعرهم ضده .
وتثور بين الحين والآخر شبهة تقول : إن الجهاد شرع لإكراه الناس على الدخول في الإسلام :
وقد قصر كثير من الدعاة والكتاب المحدثين الجهاد على نوع واحد فقط وهو جهاد الدفع فقط بمعنى أنه لا يجوز للدولة الإسلامية أن تهاجم دولة غير إسلامية إلا إذا هاجمتها هذه الأخيرة والحقيقة أن تلك الشبهة إنما تأثرت بشبهة أخرى بقول الأعداء من المستشرقين والمبشرين ومن العلمانيين "أن الإسلام إنما انتشر بحد السيف " [1]
فأما الرد على الشبهة الأولى فيفندها صاحب كتاب أصول الدعوة فيقول : " والواقع أن هذا القول غير سديد وينقصه التحقيق والتدقيق ولا تدل عليه دلائل الشريعة ، وذلك أن القتال في الإسلام له أسباب منها رد الاعتداء وفي هذا قال تعالى :
" وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " [2]
ومنها القتال لنصره ضعفاء المسلمين الذين يتعرضون لظلم الكفرة قال تعالى :
" وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِياً وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً "[3]
ومنها أن يبدأ المسلمون قتال الكفرة إذا رفضوا الإسلام ومنعوا المسلمين من تولي الحكم والسلطان لإقامة شرع الله وتطبيقه في الأرض وهذا هو الذي يجادل فيه البعض ويعتبره من قبيل القتال الذي يبدأ به المسلمون دون مبرر ، والحقيقة أن القرآن والسنة النبوية يدلان على هذا النوع من القتال ، قال تعالى : " قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ [4]
والفتنة معناها الكفر والشرك قال الإمام أبو بكر الجصاص في أحكام القرآن في تفسير هذه الآية يوجب فرض قتال الكفار حتى يتركوا الكفر ، أي الكفر المتعلق بتشريع الأحكام ، لأن التشريع من حق الله وحده ، فمن نازعه ذلك فقد كفر أو أشرك ... ويؤيد ما قلناه أيضاً قوله تعالى :
قال الإمام الشافعي : الصغار أن تؤخذ منهم الجزية وتجري عليهم أحكام الإسلام . [5]

الدفاع عن النفس

---

1 - (انظر في ذلك كتاب الإسلام قوة الغد العالمية (باول شميتز) نقله من الألمانية د / محمد شامة صـ156(وفان فلوتن) السيادة العربية صـ 5 ط النهضة المصرية وفقه السيرة للبوطي صـ 352)

2 - سورة البقرة الآية 190

3 - سورة النساء الاية 75

4 - سورة التوبة الآية 29

5 - (مختصر المزني جـ 8 / 277)

تأمين الدعوة واستقرار الدولة ولإقامة المجتمع الإسلامي .) [1]
ومن أظهر الأحاديث التي تدل على كراهية الصحابة لإراقة الدماء والدخول في قتال مع الأعداء ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن أبي أو في وهو خارج إلى قتال الحرورية (الخوارج) كتب كتاباً فإذا فيه أن رسول الله ρ قال : يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . [2]

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

أن الغاية هي دعوة الناس إلى الحق فإذا كان المدعو يذعن للحجة والبرهان فلا داعي للسيف والسنان ، وفيه النهي عن تمني لقاء العدو ، فقد يضعف الشجاع وتخور العزائم عند تطاير الرؤوس والأيدي والأرجل وقد يقع في المحظور فيولي الدبر ، وقد يؤسر ويفتنه عدوه ويرده عن دينه ، أما إذا دعت الضرورة فلا سبيل غير الجهاد ، ولا كلمة إلا للسيف ، وسؤال الله العافية ليس معناه النكوص على الأعقاب والوقوف عن دعوة الكفار والفجار وإنما الدعاء بأن يهديهم الله بغير قتال وإراقة دماء فلعلهم يسلمون أو يقبلون بالجزية فتحقن الدماء وتصان الأرواح ، والصبر والثبات عند اللقاء والثقة بموعود الله

من أهداف الجهاد :

يمكن أن نجمل الأهداف التي يروم لها الجهاد في نقاط

1- رد عدوان المعتدين من الكفار والمشركين والحاقدين على الإسلام وبث الرعب في قلوب الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر قال تعالى :(**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)** [3]
قال في التفسير " ترهبون " أي تخوفون " عدو الله عدوكم " أي من الكفار " وآخرين من دونهم " قال مجاهد بني قريظة وقال السدي : فارس وقال ابن يمان هم الشياطين التي تدور في الدور وقال مقاتل وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هم المنافقون ، وهذا أشبه الأقوال " [4]

2- حماية الدعوة والدعاة

" وضع الجهاد المسلمين أمام واجب مفروض وهو الدعوة إلى الله وقتال من يصد الدعوة أو يقف في طريقها وفي ذلك دعائم مؤثرة لأن الحق إذا لم تسنده القوة تغلب الباطل عليه بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب . [5]

" إن بعوث النبي وسراياه كان الهدف الأساس منها نشر دين الله في الأرض وإرشاد الناس إلى الخير والفلاح وتأديب الضالين والغادرين الذين يروا سبيل الرشد فلا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً "[1]

---

1 - (تاريخ العالم الإسلامي ج 1 / 303 د / محمود زيادة وفقه السيرة للبوطي 134)

2 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2460 وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التخليص) 207/2

3 - (سورة الأنفال الآية 60)

4 - (ابن كثير صـ 377 م 2)

5 - (دراسات في الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش صـ 123)

ومما ورد في شأن الجهاد في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن أبي وائل قال : شهدت القادسية فانطلق المغيرة بن شعبة فلما أتى ابن رستم على السرير وثب فجلس معه على سريره ، فتحيروا فقال لهم المغيرة ابن شعبة : ما الذي تفزعون من هذا، أنا الآن أقوم فأرجع إلى ما كنت عليه ويرجع صاحبكم إلى ما كان عليه ، فقالوا أخبرنا ما جاء بكم (وفي رواية " إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد وجهد فخرجتم فإن شئتم مرناكم (زودناكم بالطعام)ورجعتم إلى بلادكم ") فقال المغيرة : كنا ضلالاً فبعث الله فينا نبياً فهدانا إلى دينه ورزقنا فكان فيما رزقنا حبة يكون في بلادكم هذا فلما أكلناها وأطعمناها أهلنا قالوا : لا صبر لنا حتى تنزلونا هذه البلاد ، قالوا : إذاً نقتلكم ؟ قالوا إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار " [2]

ومما ورد في شأن الجهاد في مستدرك الحاكم ما رواه بسنده عن أبي وائل رضي الله عنه قال : كتب بخالد بن الوليد τ إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام : بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران وملأ فارس سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنا ندعوكم إلى الإسلام ، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبون القتال في سبيل الله كما تحب فارس الخمر.[3]

من فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :

قناعة الصحابة ويقينهم بهذا الدين الذي التزموا به مع رسول الله وتعاهدوا علي نصرته

اكتساب المسلمين العزة من دين الله تعالي وافتخارهم بهذا الدين العظيم .

جرأة الرسل في الدخول علي ملوك فارس وجلوسهم علي عروشهم وهم في غاية الرفعة والشرف .

بيان مضمون رسالة الإسلام في جلاء ووضوح .

بيان تكليف الله تعالي للمسلمين بفتح البلاد وتبليغ دعوة الإسلام .

شرف غاية الجهاد السامية فليس مقصده الدنيا وزخارفها وإنما الغاية هي إيصال دعوة الله إلى العباد

قبول التحدي وبث الرعب والخوف في نفوس العدو من خلال الحديث المتضمن أسلوب الهزيمة النفسية .

ملاينة العدو ومساومته للمسلمين وعرضه المال والمساعدة قبل اتخاذ قرار الحرب بعدما شعر بالقوة والشجاعة من رسول جيش المسلمين .

تمسك المسلمين بمبادئ الدين والأهداف التي خروج من أجلها وعدم قبولهم المساومات علي الدين والدعوة .

بيان فرحة المسلمين بالحرب والعركة ولو أدت إلى الموت فهي إحدى الحسنيين الآتين يطمع المسلم في إحداهما .

إيضاح أن الجنة هي سبيل الشهداء ينعمون فيه بحياتهم الخالدة وأن النار مثوى الكافرين.

وقد كانت الغزوات سبباً في تشريع كثير من الأحكام كصلاة الخوف وتوزيع الفيء والغنائم والتيمم ... الخ

وأسهمت أيضا في إبراز روح الرجل المسلم وحبه للقاء الله ورجاءه الاستشهاد في سبيل الله ، فمن كان يظن أن الخنساء التي عميت من البكاء على أخيها قبل أن تسلم تقول مقالتها الخالدة تلك عند نبأ

---

1 - (السرايا الحربية في العهد النبوي د / محمد السيد طنطاوي صـ 128)

2 - (المستدرك برقم 5998 ك/ معرفة الصحابة ب / مناقب المغيرة 4/ 166

3 - (الحاكم في المستدرك ك / الجهاد برقم 5379 15/4

استشهاد أبنائها الأربعة في القادسية((الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا أن يجمعني معهم في الجنة ماذا فعل الإسلام في تلك النفوس من جلال وصبر وقوة الإيمان)) . [1]
وأخرج البخاري بسنده عن سلمة τ قال : بايعت النبي ρ ثم عدلت إلى ظل الشجرة فلما خف الناس ، قال : يا ابن الأكوع : ألا تبايع ؟ قال : قلت : قد بايعت رسول الله ρ : قال أيضاً ، فبايعته الثانية : فقلت:يا أبا مسلم:على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال :على الموت [2]

5- تقرير حرية الدين :

لقد جاءت رسالة الإسلام تحمل اسمي الفضائل وأرفع الآداب وتركز علي حرية العباد من العبودية لغير الله تعالي إلى عبودية الواحد الأحد ، وترفع عنهم ظلم الآخرين ، وتساوي بين الجميع في الحقوق والواجبات بعدما تردوا إلى أسوء حالتهم " إن أغراض السرايا الإسلامية كانت تستهدف تثبيت المبادئ الخلقية والإنسانية التي جاء بها الإسلام في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من أجل القضاء على المجتمع الجاهلي وبناء مجتمع جديد يقوم على أساس من العلاقات الإنسانية والاجتماعية السوية وتتمثل هذه المبادئ والقيم في حرية الرأي والدعوة إليه وفي السلام القائم على العدل وفي الجهاد دفاعاً عن العقيدة واليقين وفي رعاية لحرمات الإنسانية وفي المساواة بين الناس جميعاً وفي الحقوق والواجبات ونبذ التعصب والعدوان وفي وحدة الصف والتعاون بين الناس والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن " [3]
" إن الجهاد الإسلامي نوع من مدافعة الباطل ، وهو حق وعدل وذلك يتضح من تشريعاته ووقائعه " [4]

خامساً : القتال وتبليغ الدعوة :

إن القتال المسلح والتحام الصفوف لا يلجأ إليه الإسلام والمسلمون إلا بعد فشل جميع السبل والوسائل السلمية ، فالحرب إذاً ضرورة يلجأ إليها المسلمون فإذا تحققت أهداف الإسلام السابقة من رد العدوان أو حماية الدعوة وحرية الدين وعرض الدعوة على الكفار والمشركين ، ونصره المؤمنين المضطهدين ، فإن الحرب عندها تنتهي فور تحقيق الأهداف مباشرة ، فلا يعرف في الجهاد البطش والانتقام والتشفي وإذلال الخصوم بفضح السوءات وكشف العورات والإجهاز على الجرحى وغير ذلك مما نرى اليوم أو نسمع عنه مما تشيب له الولدان ويجعل الحليم حيران ، ويتساءل المرء عند ذلك أهؤلاء هم بنو الإنسان أم بنو الشيطان عندما يملكون الديار ويحكمون العباد والبلاد وشتان بين ما فعله الإسلام في غزواته وفتوحاته وبين ما فعله المغتصبون الهمجيون الشاردون .
في الحديث أن المقداد بن الأسود τ سأل النبي ρ فقال : أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار ' فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف ، فقطعها ثم لاذ مني بشجرة ، فقال : أسلمت لله ، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها ؟ فقال : لا تقتله فقلت يا رسول الله قطع إحدى يدي، ثم قال ذلك بعدما قطعها ؟ فقال " لا تقتله ، فإن قتلته ، فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنما أنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال " [5]

---

1 - (الإصابة جـ 8 صـ 66 ، 67)

2 - (مسلم كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش ثم إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة 3/ 1486

3 - (القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات صـ 34 أ / حسن فتح الباب)

4 - (دراسات في الدعوة د / احمد غلوش صـ 125)

5 - مسلم كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله 1/95

قال النووي رحمه الله : ومعنى " إنه بمنزلتك " أي معصوم الدم محكوم بإسلامه ، ومعنى " إنك بمنزلته " أي مباح الدم بالقصاص لورثته ، لا أنه . بمنزلته في الكفر ، والله أعلم . [1]
فأي أخلاق تلك التي جاء بها الإسلام عندما يجرد أصحابه عن كل هوي في أنفسهم، فهدف الدعوة الوصول بالناس إلى دين الله تعالي فهو يحرم علي المسلم أن يأخذ حقه ممن نطق بالشهادة و أعلن إسلامه فلا يسمح حتى بالثأر بقطع يده وحدها وإنما يعصمه الإسلام فهذا مبدأ إسلامي معلن من قبل قال صلي الله علي وسلم فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم فلا مبرر للثأر بعد ذلك وإنما العفو والتسامح واحترام الشهادة ، فهذا هو وضوح منهج الدين للقاص والدان ، ليعلم الناس حرمة الدين وقدر الشهادة والمساواة بينهم وبين غيرهم من المسلمين الجدد الذين لم يركعوا ركعة ولم يسجدوا سجدة .
وعن جندب بن عبد الله τ أن رسول الله ρ بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين وأنهم التقوا ، فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله ، وأن رجلاً من المسلمين قصد غفلته وكنا نتحدث أنه أسامة فجاء البشير إلى رسول الله ρ فسأله فقال : لم قتلته ؟ فقال رسول الله ρ أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمي له نقداً ، وإني حملت عليه ، فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله ، قال رسول الله ρ : أقتلته ؟ قال : نعم قال : فكيف تصنع بلا إله إلا الله ، إذا جاءت يوم القيامة ؟ قال : يا رسول الله استغفر لي قال : وكيف تصنع بلا إله إلا الله وإذا جاءت يوم القيامة : فجعل لا يزيد على أن يقول : كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة " [2]
تلك هي فريضة الجهاد في الإسلام ، لا تعرف الانتقام للنفس ولا الحقد على الخصم ، مهما فعل الأفاعيل بالمسلمين ، فبمجرد نطقه بالشهادتين ولو مظنة التعوذ في ساحة المعركة أصبح معصوم الدم والمال له ما للمسلمين وعليه ما عليهم .
من آداب الجهاد :
للجهاد آداب يتحلى بها المجاهد قبل دخول المعركة وأثناء المعركة وبعد انتهائها من ذلك
1- تفقد الإمام للجند قبل أن تبدأ المعركة والتعرف على أحوالهم وتهيئتهم روحياً وبدنياً ليكونوا على أهبة الاستعداد للقاء العدو ، ولا بأس أن يمدهم بالوصايا التي تشحذ الهمم وترسخ في قلوبهم إخلاص العمل لله وحسن التوكل عليه وطلب مثوبته ومرضاته وتعيين الأمراء عليهم .
" روى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر رسول الله ρ بقوم يرمون فقال رمياً بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً " [3]
وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابن عباس قال : مشي رسول الله ρ إلى بقيع الغرقد حين وجههم ثم قال : انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم [4]
فقد كان صلي الله عليه وسلم يودع الجيش ويدعو له وينظم أحواله وشؤونه قبل التحرك للمعركة ، وكان لذلك أعظم الأثر في شحذ همم الجند وتقوية عزيمتهم وتقوية روحهم القتالية عندما يكون آخر عهدهم قبل التحرك لقاء رسول الله ، ولعل هناك وصية أو تنبيه أو تشريع هام يرغب في إطلاعهم عليه وتعليمهم إياه قبل التحرك ، وقد كان هذا المنهج هو المتبع أيضا من الصحابة بعد رسول الله فقد كان يطبقه الصديق الخليفة الأول للمسلمين .

---

1 - (رياض الصالحين صـ 139 ط مكتبة الصفا 2001)

2 - مسلم كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله 97/1

3 - المستدرك ك / الجهاد برقم 2511 ووافقه الذهبي فى التلخيص وقال صحيح على شرط مسلم 220/2.

4 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2527 224/2

وأخرج البيهقى وابن عساكر بسنديهما عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى : أن أبا بكر τ لما بعث الجنود نحو الشام أمر يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة لما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودعهم حتى بلغ ثنية الوداع فقالوا : يا خليفة رسول الله أتمشي ونحن ركبان ، فقال إني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله فإن الله ناصر دينه ، ولا تغلو ، ولا تغدروا ، ولا تفسدوا في الأرض ، ولا تعصوا ما تؤمرون ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقها ولا تعقروا البهيمة ولا شجرة ولا تهدموا بيعة ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له وستجدون آخرين اتخذوا الشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصا فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله " [1]

وعن بريده الأسلمي τ قال : " كان رسول الله ρ إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا بسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً " [2]

تلك سماحة الإسلام تتجلى في أعلى صورها حتى في أثناء المواقف التي تحتاج إلى تجلد وشدة بأس وذلك لأنهم هداة وليسوا جباه

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

ضرورة متابعة القائد للجند قبل التحرك والخروج للمعركة .

التزام الخليفة بمنهج الإسلام وتطبيقه أفعال رسول الله صلي الله عليه وسلم

وحدة المنهج والمبادئ الأخلاقية والدينية بين المسلمين في التعامل مع غيرهم

الحفاظ علي أشكال الحياة بما فيها من حيوانات ونباتات وعدم إبادتها ولو كان ذلك وقت الجهاد فالحرب ينبغي أن تكون منظمة هادفة بعيدة عن مظاهر الفوضى والهمجية .

احترام العباد في أماكن عبادتهم وعدم الإساءة إليهم أو إلى دور العبادة فلا دخل لها بالحرب والقتال خاصة إذا لم يشاركوا في الحرب أو يستهدفوا المسلمين من خلالها ،أو يتحصنوا بداخلها ، وإذا حدث شيء من ذلك فتعامل معه يجب أن يكون بحذر وتفهم للأمر وفي أضيق نطاق ممكن.

الحفاظ علي الذرية والأطفال والشيوخ الكبار والنسوة اللاتي لم يتركن في الحرب ضد المسلمين فلا ذنب لهم ،وصية المسلمين بعدم الغدر أو الخداع أو الغلول من الغنيمة .

***- كتابة أسماء المجاهدين :-**

كان من منهج الإسلام في الجهاد ومن نظمه أن يكتب أسماء المجاهدين الذين يشاركون في المعركة المزمع القيام بها ، وفي ذلك الكثير من المنافع والفوائد :

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ρ يقول : لا يخلون رجل بامرأة ، ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم ، فقام رجل فقال يا رسول الله إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتي حاجة ، قال : اذهب فأحجج مع امرأتك .[3]

---

1 - (كنز العمال جـ 2 /295 والبيهقي جـ 9 / 85)

2 - مسلم كتاب الجهاد والسير باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام تقدم الإعلام بالإغارة 3/ 1357

3 - (رواه البخاري كتاب الجهاد والسير من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة وكان له عذر هل يؤذن له 3/1094

وفي المستدرك بسنده عن معقل بن يسار أنه ذكر ما حدث في غزوة فارس في عهد عمر بن الخطاب τ وفيه أن عمر سأل عن النعمان ابن مقرن فقالوا : قتل فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ثم قال : ما فعل فلان قالوا : قتل يا أمير المؤمنين ، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ، قالوا : وآخرين لا نعلمهم قال : قلت لا نعلمهم لكن الله يعلمهم "([1])

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

أن الإسلام دينا منظما يدعو أهله في كل موقف إلى المحافظة علي هذا السلوك في كل حال.

قيمة الرجل المجاهد وأهميته في الإسلام ومعرفة الإسلام له ومحافظته عليه ومتابعته له ، والوقوف علي أخباره .

الحرب في الإسلام منظمة وهادفة .

أهمية كتابة أعداد وأسماء المجاهدين وإحصائهم قبل وبعد المعركة ومعرفة المفقود منهم حتى لا تضيع الحقوق ولا يهدر حق الشهيد ، كما يعطي بيانا وإحصاء للقائد بتقييم الموقف مع الأعداء ، وإعادة تنظيم الصفوف بين المجاهدين ، والاستفادة أيضا في طلب المدد ومعرفة حاجة الجيش من المؤن والإمداد .

ضرورة معرفة الجندي برصد اسمه في المعركة حتى يتمكن من ترتيب شؤونه وأهله مسبقا.

بيان مدي الحرية التي تمتعت بها الرعية في عهد الفاروق ، والسماح للمجاهد أن يذكر حاجته،وعذره ورده إن دعت الضرورة .

حل قضايا المجاهدين والإجابة علي استفساراتهم حتى لا يكن في صدرهم حرج من الخروج إلى المعركة ولا ينشغل فكرهم بمن خلفهم من المال والأهل والولد .

حرمة الخلوة بالمرأة الأجنبية وذلك بتفصيل بينته الشريعة .

حذر سفر المرأة بغير محرم حفظا عليها وبيان أن استجابتها من علامات الإيمان بالله تعالي ولو كان ذلك في طاعة الله تعالي أو من أجل أداء فريضة

موازنة الإسلام بين كل العبادات والتشريعات ومراعاة حاجات الناس وأحوال أهليهم وبيوتهم ونسائهم ، فقد رد الخليفة الرجل الذي تهيأت زوجته للخروج للحج .

ضرورة معرفة القائد بجنوده قبل وبعد المعركة والسؤال عنهم ومتابعتهم وحصر عددهم بعد المعركة .

معرفة المجاهدين بسير المعركة وإجابتهم عن بعض الأشخاص الذين استشهدوا مما يدل علي أن المعركة لم تشغلهم ولم تفرق بينهم .

احتساب من استشهد عند الله تعالي واستحباب ذكر قوله تعالي(إن لله وإن إليه راجعون).

3- الدعاء والذكر قبل الجهاد :

" روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شيء أكرم على الله من الدعاء هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " [(2)]وهو أحد

---

1) (رواه الحاكم ك / معرفة الصحابة ب / ذكر مناقب النعمان برقم 5357 وأورده الذهبي في التلخيص وسكت عنه) 4/ 9

2 - المستدرك ك / الدعاء والتسبيح والتهليل برقم 1837 2/ 50 هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي فى التلخيص

أسباب النصر خاصة ساعة الحرب والتقاء الصفوف فذاك موطن لا تتخلف فيه الإجابة وقد كان ρ وأصحابه حريصين كل الحرص على ذلك استجابة لقوله تعالى :

((إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)) [1] روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبيد بن رافع الزرقي عن أبيه قال : لما كان يوم أحد انكفأ المشركون قال رسول الله ρ استووا حتى أثني على ربي عز وجل فصاروا خلفه صفوفاً فقال : اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما بعدت ولا مباعد لما قربت ، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك الأمن من يوم الخوف ، اللهم إني عائذ من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا ، اللهم قاتل الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك واجعل عليهم رجزك وعذابك إله الحق " [2]

وفي المستدرك أيضاً بسنده عن أبي برده بن عبد الله بن قيس أن أباه τ حدث أن النبي ρ كان إذا خاف قوماً قال : اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم " [3]

وكان من دعائه ρ يوم بدر " اللهم إنهم حفاة فأحملهم اللهم إنهم عراة فاكسهم ، اللهم إنهم جياع فأشبعهم " [4]

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :

ضرورة الدعاء والتقرب إلى الله تعالي في كل حال خاصة وقت المعركة .

أن النصر في المعركة ليس بالجيش والسلاح والقوة فحسب .

ضرورة التضرع واللجوء إلى الله .

ضرورة الأخذ بالسبب والتوكل علي خالق السبب سبحانه وتعالي .

جواز ذكر حال المسلمين وما هم فيه من ضعف أو وهن أو خوف أو فقر ، وطلب المعونة من الله تعالي في كل ذلك مع علم الله تعالي بحالهم .

المسلم يتوجه بدعائه إلى الله وحده ، فلا نافع ولا ضار غير الله تعالي وقد كان صلي الله عليه ويسلم يتوجه إلى الله تعالي مع انه نبي الله .

ضرورة الأخذ بالأسباب في الحرب وإن كانت ضعيفة، وبعد استنفاذ الأسباب تأتي معونة الله.

الدعاء من اقوي الأسباب التي تعين المسلم علي الوصول إلى غاياته .

4- وقت القتال :

ومن آداب القتال تخير الوقت المناسب للقتال وقد كان هديه ρ أن لا يقاتل ليلا وإنما يقاتل بعد صلاة الغداة أو يبتدأ بالقتال بعد الزوال إلا إذا احتاج الأمر إلى غير ذلك .وقال الترمذي : " وقد رخص قوم

---

1 - سورة التوبة الآية 45

2 - المستدرك للحاكم برقم 1904 ك الدعاء والتسبيح والتهليل برقم 1837 2/ 66 وقال : لم يخرجا لعبيد وهو ثقة .

3 - المستدرك للحاكم برقم 2677 ك/ قسم الفيء وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي) 264/2

4 - المستدرك برقم 2690 بسنده عن عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسقط من التخليص) 267/2

من أهل العلم في الغارة بالليل وكرهه بعضهم " [1]وقال أحمد وإسحاق :" لا بأس أن يبيت العدو ليلاً " [2]

" وسئل الرسول ρ عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيصاب من نسائهم وذراريهم ؟ فقال : هم منهم " [3]

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن معقل بن يسار في غزوة الصحابة لبلاد فارس أنه سمع المغيرة يقول للنعمان بن مقرن وهو أمير الجيش يومئذ إن القوم قد أسرعوا فينا فاحمل فقال : النعمان إنك ذو مناقب وقد شهدت مع رسول الله ρ ولكن أنا شهدت رسول الله ρ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر . [4]

فقه الدعوة فى الحديث الشريف :-

* رحمة الإسلام بأعدائه حتى في ساحة المعركة .
* اختيار الوقت المناسب للقتال مع ضرورة مراعاة المصالح في ذلك .
* نهي الإسلام عن قتل النساء والذرية حالة تميزهم .
* تبادل القادة للآراء والاستفادة من الخبرات .
* تقدير صحابة الرسول كل قائد لمنزلة صاحبه وسبقه في الإسلام وصحبته للرسول صلي الله عليه وسلم
* جواز مدح صاحب الفضل والخبرة في وجه وذكر مناقبه .
* شهادة النعمان بن مقرن للمغيرة بالصلاح وأنه ذو مناقب .
* أخلاق الإسلام في الجهاد واختيار الوقت المناسب والنهي عن محاربة القوم بليل إلا لضرورة .
* استشهاد الصحابة بفعل رسول الله صلي الله عليه وسلم وسيرهم علي نهجه الشريف ، وأسلوبه الكريم في مواجهة الأعداء .
* أن النبي صلي الله عليه وسلم لم يكن بمعزل عن الحروب والمعارك ،وإنما كان مشاركا للجند يدا بيد وان آثاره الطيبة المباركة لا تزال نبراسا للمسلمين من بعده .

5- الحراسة للأمير والجيش :

الأمير هو الرمز للجيش وهو القوي الروحية والمعنوية التي تدير المعركة وهو صاحب الأفكار والخطط والآراء وهو الذي يرتب ويوجه ، وهو صاحب النظر الثاقب والفكر السديد والخبرة الكثيرة التي تميزه عن غيره والتي كثيرا ما تكون هي المؤهلة له للوصول إلى تلك المكانة ونيل هذا الشرف ،حتى لا يؤخذ المجاهدون على غرة ، كان لزاماً من أخذ الحيطة والحذر باتخاذ الحرس ليكلئوا الجيش ويحموا الثغور، لذا فهو مستهدف أكثر من غيره فبسقوطه تنقلب الموازين وترتبك الأمور ، ويطمع فيه الأعداء دائما أول ما يطمعون ، لذا كان من الضروري توفير الأمان والحراسة له ورصد مزيد من العناية له ، وتوفير الحراسة التي تحقق له الأمان كي يتمكن من متابعة أعماله ،وإذا كان ذلك للقادة العادين فمن باب أولى للنبي خاصة ، فرغبة الأعداء في الكيد للنبي أضعافا مضاعفة لكونه نبي

---

1 - (فقه السنة جـ 3 صـ399)

2 - (فقه السنة ج 3 صـ399)

3 - البخاري كتاب الجهاد والسير باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري بياتا 1097/3

4 - (المستدرك برقم 5357 وأورده الذهبي وسكت عنه)ك / معرفة الصحابة ذكر البراء بن مالك الأنصاري أخ أنس بن مالك رضي الله عنهم 9/4

وكونه قائد والنيل منه نيل من الدين كله، فقد كان أمر حراسة النبي أمرا ضروريا يحرس عليه المسلمون .
روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عوف بن مالك : أنهم كانوا مع النبي ρ في بعض مغازيه ، قال عوف : فسمعت خلفي هزيراً كهزير الرحى فإذا النبي ρ فقلت : إن النبي ρ إذا كان في أرض العدو كان عليه الحراس ..."[1]
وعن سهل بن الحنظلية τ : أنهم ساروا مع رسول الله ρ يوم حنين فأطنبوا السير حتى كانت عشية ... فقال رسول الله ρ من يحرسنا الليلة ؟ قال أنس بن مرثد الغنوي τ : أنا يا رسول الله : قال فاركب ، فركب فرساً له وجاء رسول الله ρ فقال له رسول الله ρ ، استقبل هذا الشعب حتى تكون أعلاه ، ولا تفرر من قبلك الليلة "[2]
ومما جاء في فضل الحراسة قوله ρ " حرمت النار على عين دمعت من خشية الله حرمت النار على عين سهرت في سبيل الله[3]
فقه الدعوة في الحديث الشريف :
أهمية الحراسة في الإسلام ، وأن الإسلام يكافئ عليها أعظم المكافآت .
ضرورة العناية بالقائد وحراسته لأنه مستهدف من قبل الأعداء وفي هلاكه ضياع الجيش .
أن العين التي تحرس في سبل الله لن تدخل النار .
لم يكن النبي عليه الصلاة والسلام يعين حراسا معروفين بعينهم وإنما كان يخير الصحابة في الأمر ويسأل من يحرسنا الليلة ، مما يؤكد أن حراسته كانت تتغير وتتبدل وأنها لم تكن ثابتة .
ثقته صلي الله عليه وسلم في أصحابه جميعا من حيث إنه لم يحابي أحد علي حساب أحد وأنه لم يكلف بالحراسة أحدا بعينة ويمنع الأخر .
سرور الصحابة بخدمة النبي صلي الله عليه ومسارعتهم إلى حراسته رغم مشقتها.
أن أخذ الحيطة والحذر والحراسة لا يتنافي مع التوكل علي الله تعالي بل هو من عين التوكل والأخذ بالأسباب .
6- إرسال العيون :-
وذلك لتحسس الأخبار ومعرفة خطط العدو وهو ما يعرف اليوم بالاستخبارات أو وحدات الاستطلاع أو العمل اللوجستي الذي يعطي رؤية مسبقة عن العدو تفيد في تحديد سير المعركة وترتيب شؤونها .
روى الحاكم في المستدرك بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ثم أن الناس تفرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا جاثي من البرد وقال يا بن اليمان قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب فانظر إلى حالهم قلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد قال فابرز الحرة وبرد الصبح انطلق يا بن اليمان ولا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي قال فانطلقت إلى عسكرهم فوجدت أبا سفيان يوقد النار في عصبة حوله قد تفرق الأحزاب عنه قال حتى إذا جلست فيهم قال فحسب أبو سفيان أنه دخل فيهم من غيرهم قال ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه قال فضربت بيدي على الذي عن يميني وأخذت بيده ثم ضربت بيدي على الذي عن يساري فأخذت بيده فلبثت فيهم

---

1 - (المستدرك ك / الإيمان برقم 225 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي) 1/ 166

2 - (المستدرك ك/ الجهاد برقم2480 ووافقه الذهبي على شرط البخاري ومسلم 212/2)

3 - المستدرك ك/ الجهاد برقم2477 ووافقه الذهبي على شرط البخاري ومسلم 212/2) وضعف عمر بن راشد

هنية ثم قمت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي فأومأ إلي بيده أن ادن فدنوت ثم أومأ إلي أيضا أن ادن فدنوت حتى أسبل علي من الثوب الذي كان عليه وهو يصلي فلما فرغ من صلاته قال بن اليمان أقعد ما الخبر قلت يا رسول الله تفرق الناس عن أبي سفيان فلم يبق إلا عصبة توقد النار قد صب الله عليه من البرد مثل الذي صب علينا ولكنا نرجو من الله ما لا يرجو "الحديث .
(1)

فقه الدعوة فى الحديث الشريف :

مشروعية العمل الاستخباراتي في الإسلام وأهميته وقت الحروب والمعارك لأخذ الحيطة والحذر .
الفطنة واليقظة الفكرية والعسكرية للرسول صلي الله علي وسلم، وأن الرسول صلي الله عليه وسلم كان يباشر التخطيط بنفسه مع مشورة الصحابة الكرام، ولم يكن لتبليغ الرسالة وتعليم الدين فحسب ، وإنما كان صاحب رأي سديد في كل الأمور .
مسارعة الصحابة إلى إجابة النبي في استطلاع أخبار الأعداء .
نجاح حذيفة عليه السلام فيما انتدب له من معرفة أخبار القوم رغم شدة البرد
دعاء النبي لحذيفة عليه السلام مما سهل الأمر ورفع الروح المعنوية لدي حذيفة .
ضرورة الحرص دوما علي معرفة أخبار العدو حتى لا تكون مفاجئة.
ما فعله رسول الله منهجا عسكريا ينبغي العمل به والتضحية من أجله لمعاونة المسلمين في شدتهم وحربهم ضد عدوهم، وقد أصبح العمل الإستخباراتي اليوم علما يدرس في دول العالم ،وكل دولة لها رجالها وأسلوبها في التعامل مع الأخرى في السلم والحرب
معرفة أخبار العدو ورصد تحركاته أمرا شرعيا ليس من التجسس المنهي عنه شرعا .
7- مشاورة أهل الرأي لوضع الخطط واختيار الأمراء وغير ذلك :-
على القائد أن يشاور أهل الفطنة والخبرة من الجنود ولاسيما في هذا الوقت العصيب " فما خاب من استشار " ، وقد كان رسول الله ρ أكثر الناس مشاورة لأصحابه ، حيث شاورهم في قتال قريش يوم بدر وفي مكان النزول ، في الأسرى وفي الخروج لأحد وفي الخندق وفي صلح الحديبية ... إلى غير ذلك مما يثبت عنه ρ "(2)
وفي المستدرك بسنده عن معقل بن يسار : أن عمر بن الخطاب τ عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاور الهرمزان في أصبهان وفارس وأذربيجان فقال يا أمير المؤمنين أصبهان الرأس وفارس وأذربيجان الجناحان فإذا قطعت إحدى الجناحين فالرأس بالجناح وإن قطعت الرأس وقع الجناحان فابدأ بأصبهان فدخل عمر بن الخطاب المسجد فإذا هو بالنعمان بن مقرن يصلي فانتظره حتى قضى صلاته فقال له إني مستعملك فقال أما جابيا فلا وأما غازيا فنعم قال فإنك غاز فسرحه وبعث إلى أهل الكوفة أن يمدوه ويلحقوا به وفيهم حذيفة بن اليمان والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام والأشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب وعبد الله بن عمرو فأتاهم النعمان وبينه وبينهم نهر فبعث إليهم المغيرة بن شعبة رسولا وملكهم ذو الحاجبين فاستشار أصحابه فقال ما ترون أقعد لهم في هيئة الحرب أو في هيئة الملك وبهجته والحاصل في هيئة الملك وبهجته على سريره ووضع التاج على رأسه وحوله سماطين عليهم ثياب الديباج والقرط والأسورة فجاء المغيرة بن شعبة فأخذ بضبعيه وبيده الرمح والترس والناس حوله سماطين على بساط له فجعل يطعنه برمحه فخرقه لكي يتطيروا فقال له ذو الحاجبين إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد وجهد فخرجتم فإن شئتم مرناكم ورجعتم إلى

---

1 - (رواه الحاكم في المستدرك برقم 4378 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي) 253/3

2 - حياة الصحابة للكاند هلوي جـ 1 ، 2)

بلادكم... " الحديث . [1] فالمشورة ضرورية لاستطلاع أراء أهل الخبرة في الأمر ، وقد كان صلي الله عليه وسلم رغم أنه النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوي المؤيد بالوحي من الله تعالي وغم

ذلك كان يشاور أصحابه في الأمور القابلة للمشورة والأخذ والرد ، وإذا استبد القائد برأيه خسر كثيرا من الفوائد والخبرات لدي الآخرين وضيع علي نفسه ورعيته كثيرا من المنافع ، وأمات باستبداده الآراء الطيبة في نفوس أصحابها ، لكن النبي كان يلتزم بمنهج القرآن في المشورة حيث أمره الله تعالي بها فقال تعالي (وشاورهم في الأمر) وأنزل الله تعالي سورة في القرآن تسمي بالشورى وفيها قول الله تعالي في صفات المؤمنين (وأمرهم شوري بينهم) فالمشورة ومن عوامل النجاح وهي الطريق الموصل إلى أفضل الآراء.

9- اتخاذ شعار للمجاهدين :-

وهو ما يعرف بالصيحة لبث الرعب في قلب الخصم ، وكذلك هو بمثابة كلمة السر بين المجاهدين حتى لا يختلط بهم غيرهم من الدخلاء .

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن المهلب بن أبي صفرة قال أخبرني من سمع النبي ρ يقول : إن بيتم فليكن شعاركم حم لا ينصرون " [2]

" وعن سلمة بن الأكوع τ قال : غزونا مع أبي بكر τ زمن النبي ρ فكان شعارنا :أمت .. أمت " ([3])ويعتبر معرفة الشعار من الأمور الضرورية للجند ، مع الاحتفاظ بسريته حتى لا يتمكن الأعداء من معرفته .

قال ابن الأثير : " هو أمر بالموت والمراد به التفاؤل بالنصر بعد الأمر بالإماتة مع حصول الغرض للشعار ، فإنهم جعلوا هذه الكلمة علامة بينهم يعارضون بها لأجل ظلمة الليل " ([4])

فقه الدعوة في الحديث الشريف :

1- جواز اتخاذ شعارا للمسلمين في الميدان ، كما فعل رسول الله

2- ينبغي أن يكون الشعار باعثا علي التفاؤل والأمل في نفوس المسلمين ،وباعثا علي الرعب والخوف في نفوس الكافرين وليس لمجرد أنه كلمة تردد وإنما كان كلمة هادفة نافعة وقت الحرب والبأس يستفيد منها المجاهدين.

10- جواز الكذب والخداع للتعمية على العدو:-

حرم الإسلام الكذب والخداع وجعله من أكبر الكبائر بل هو بريد العبد إلى النار إلا أنه استثنى من ذلك حالات ثلاث وهو ما ذكرته أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ρ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث : كان رسول الله ρ يقول لا أعده كذباً : الرجل يصلح بين الناس

---

1 - (المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / ذكر مناقب النعمان برقم 5357 وأورده الذهبي في التلخيص وسكت عنه) 4/ 10

2 - (المستدرك ك/ الجهاد برقم 2559 وقال وهكذا رواه زهير بن معاوية عن أبي إسحاق ووافقه الذهبي على شرط البخاري ومسلم 232/2)

3 - (المستدرك ك/ الجهاد برقم2560 وقال وهكذا رواه زهير بن معاوية عن أبي إسحاق ووافقه الذهبي على شرط البخاري ومسلم 232/2)

4 - (النهاية في غريب الحديث والأثر جـ 14 / 316)

يقول القول ولا يريد إلا الإصلاح ، والرجل يقول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها "[1]
وذلك لأن رسول الله ρ قال : " الحرب خدعة " [2]
" وقد اتفق العلماء على جواز الخداع في الحرب كيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل كتضليل للعدو عن الوجهة الحقيقية للجيش ، وما يسمى عسكرياً بالهجوم الكاذب والمناورات المخادعة .. وللقائد المسلم أن يحتال على دحر العدو أثناء المعركة بكل خدعة تقضي عليه " [3]
وفي الحديث أن رسول الله كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها "[4]
11- إكرام الرسل والمبعوثين من قبل العدو :-
وهذا المبدأ أقره الإسلام ووفى به أيما وفاء إذ ما على الرسول إلا البلاغ روى الحاكم في المستدرك بسنده عن نعيم بن سعود τ قال : سمعت رسول الله ρ يقول لرسولي مسيلمة حين قرأ كتاب مسيلمة : ما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، قال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما "[5]
فقه الدعوة فى الحديث الشريف :
السماح لرسل الدعي الكذاب بالدخول علي رسول الله وسماع النبي لرسالته .
سماع النبي ρ لرأي الرسل وإقرارهم بالردة أمام رسول الله وترك النبي لهم لكونهم رسل ولم يغدر بهم ولم يحاسبهم علي انحرافهم فقد جاءوا لتبليغ رسالة .
يتجلي حلم الرسول صلي الله عليه وسلم في أعلي صوره حيث يسمع كلمة الكفر والردة منهما مباشرة ولا يقتلهما .
4-التزام المبادئ والقيم فإذا كانت الرسل لا تقتل وهذا هو المتبع ، فأول من يطبقه الرسول صلي الله علي وسلم .
جرأة أهل الباطل ودعوتهم لباطلهم رغم معرفتهم بما هم عليه من كذب وضلال ، بل مما يزد الأمر تبجحا وشناعة أن يرسل الكذاب المخادع إلى الرسول الحق يدعوه إلى الباطل، فيكذب ويصدق نفسه والرسول لا يزيده الأمر إلا حلما .
5- إذا كان أهل الباطل لا يملون الدعوة للباطل فأولي بأهل الحق أن لا يملون من دعوة الحق.
12- حرمة دم المعاهد ومن طلب الأمان :-
إن طلب الكفار والمشركون المحاربون للدولة الإسلامية الصلح والعهد والأمان أفراداً كانوا أو جماعات، قبل منهم المسلمين ذلك ولكن بشروط ، منها أن يكون ذلك في مصلحة المسلمين وأن يكون

---

1 - (رواه أحمد في المسند جـ6 / 404

2 - مسلم في الجهاد كتاب الزكاة التحريض على قتل الخوارج 2 /736

3 - (المنهاج في شرح مسلم للنووي جـ 6 / 21 ، الجهاد د / رؤوف شلبي صـ 166)

4 - البخاري كتاب الجهاد والسير باب من أراد غزوة ورى بغيرها ومن أحب الخروج يوم الخميس باب فضل الجهاد والسير وقول الله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنف 1078/3

5 - (المستدرك ك / قسم الفيء برقم 2680 وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي) 2/ 264 ، 274

هذا الصلح يحقق العزة والسيادة للإسلام وأهله والذل والصغار على الكافرين إذ الشأن كما قال ربنا "

" وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "(1)

وقال تعالى : **" وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ "** (2)

قال ابن كثير : " وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم " استجارك " أي استأمنك فأجبه إلى طلبته حتى يسمع كلام الله أي القرآن تقرؤه عليه ويذكر له شيئاً من أمر الدين تقيم به عليه حجه الله " ثم بلغه مأمنه) أي وهو آمن مستقر الآن حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه " ذلك بأنهم قوم لا يعلمون " أي إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله وتنتشر دعوة الله في عباده ، ... قال : ولهذا كان رسول الله ρ يعطي الأمان لمن جاء مسترشداً أو في رسالة أو تجاره أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب من الإمام أو نائبه أماناً أعطى أمان ما دام مترددا في دار الإسلام وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه ، لكن قال العلماء لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة ، ويجوز أن يمكن أربعة أشهر وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر أو نقص عن سنة قولان للإمام الشافعي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى " (3)

فإذا ما عقد الأمان وتم الصلح حرم دم المستأمن والمعاهد .

روي الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن مغفل المزني τ قال : كنا مع رسول الله ρ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن ... فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي ρ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال رسول الله ρ هل جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحداً أماناً فقالوا : اللهم لا ، فخلى سبيلهم فأنزل الله عز وجل " وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ... " (4)

وعقد الأمان على الراجح يجوز من أي أحد من المسلمين بشرط أن يخبر الإمام على الراجح يجوز من أي أحد من المسلمين بشرط أن يخبر الإمام بذلك . (5)

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله ρ ".... قد أجرنا ما أجرت يا أم هانئ " (6)

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي هريرة ألا من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد خفر ذمة الله ولا يرح ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا (7)

وفي المستدرك من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ρ : من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من كذا وكذا " (1)

---

1) سورة الأنفال الآية 61

2 - سورة التوبة الاية 6 .

3 - (ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ 4 صـ 10 ط مكتبة الإيمان)

4 - (الفتح) (المستدرك برقم 3767 وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي)

5 - (فقه السنة م3 صـ436)

6 - (رواه البخاري كتاب الصلاة جـ1 / 100 مع الفتح

7 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2622 250/2

فقه الدعوة فى الحديث الشريف :

* جواز إعطاء العهد والأمان لمن جاء طالبا له .

*حرمة دماء غير المسلم الذي أعطي الأمان والجوار .

معاقبة المعتدي من المسلمين علي الذمي أو المعاهد بأشد العقوبة والحرمان من رائحة الجنة .

لا فرق في أن يكون العهد أو الجوار من رجل أو امرأة فلا فرق في ذلك .

استجابة الله لدعاء الرسل صلي الله عليه وسلم علي القوم الغادرين .

قوة الآثار المترتبة علي دعاء النبي صلي الله عليه وسلم .

مروءة أم هانئ وكرمها في منحها الجوار .

احترام الإسلام للمرأة والسماح لها بمباشرة حقوقها حتى إنه يحترم عهدها وجوارها للآخرين علي خلاف ما يروج أعداء الإسلام .

إقرار النبي لفعل أم هانئ ومشاركته لهذا الجوار .

13- النهي عن قتل النساء والذرية والأجراء والرهبان والمدنيين :

نهي الإسلام عن قتل الضعفاء كالنساء والصبيان والشيوخ ، إذا لم يشتركوا في الحرب بالرأي والمشورة أو بالمعاونة .

ففي المستدرك بسنده عن رياح قال : أن رسول الله ρ غزا غزوة كان على مقدمته فيها خالد بن الوليد فمر رياح وأصحابه على امرأة مقتولة مما أصاب المقدمة ، فوقفوا عليها يتعجبون من خلقها حتى لحقهم رسول الله ρ ففرجوا له حتى نظر إليها فقال : ها ما كانت هذه تقاتل ثم نظر في وجوه القوم فقال لأحدهم : ألحق بخالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية ولا عسيفاً(أجيرا) [2]

وعند البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر : فأنكر رسول الله ρ قتل النساء والصبيان " [3]

وعن بريده الأسلمي τ قال : كان رسول الله ρ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً " [4]

فقه الدعوة فى الحديث الشريف :

1- النهي عن قتل النساء والأطفال والذرية .

2- إصدار الأوامر من القائد فور رؤية الخطأ حتى لا يستفحل الأمر ويعظم الضرر

3- النهي عن قتل من لم يقاتل .

4- حرمة قتل المدنين في الإسلام فلا يؤخذ أحد بذنب أحد ، ولا تعاقب الجماعة بذنب بعض أفرادها .

5- إلزام الجند بأخلاق الإسلام ومحاسبة المقصر .

6- ضرورة متابعة القائد للجند ، وقد كان صلي الله عليه وسلم يدقق في أحوال رعيته ويصحح خطأهم .

14- النهي عن الاستعانة بالمشركين:-

---

1 - (المستدرك ك/ الجهاد برقم 2627 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي) 250/2

2 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2612 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي)246/2

3 - (البخاري في الجهاد3014 جـ 6 / 172 ، مسلم في الجهاد برقم 24 جـ 3 / 1364)

4 - (رواه مسلم في الجهاد 3 جـ 3 / 1357)

وذلك لأن الجهاد يتشرف به المؤمنون خاصة ، فلا تدنسه معصية الشرك ، التي لا تقاتل إلا لمغنم عاجل أو منصب زائل وأصل الجهاد ولبه هو لإعلاء كلمة الله وتعبيد الناس لرب الناس فكيف يستعان بالمشرك والكافر على مثله...؟ ، وإن مثله نحن مطالبون بجهاده حتى يذعن لأمر الله وشرعه وكذلك إن الكافر لا يؤمن جانبه ويتوقع منه الغدر والخيانة ونقل الأسرار ، ثم إن الجهاد من غايته وأهدافه إعلاء كلمة الله تعالي لتكون هي العليا ، وإظهار الإسلام علي الدين كله ، فكيف يعمل المشرك علي نشر الإسلام ورفعة كلمته ، ثم إن تأمين الدعوة أيضا من أهداف الجهاد في الإسلام ولا يعمل لها بصدق إلا المسلمون الصالحون والدعاة المخلصون , ثم إن الجهاد قائم علي التضحية بالنفس والأهل والمال فداء لدين الله تعالي وطلبا للشهادة وطمعا في الجنة أما المشرك فهو من أحرص الناس علي حياة وقد لا يؤمن بالآخرة وما فيها .

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن خبيب بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده τ قال : خرج رسول الله ρ في بعض غزواته فأتيته أنا ورجل قبل أن نسلم فقلنا إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً ، فقال أأسلمتما ؟ قلنا لا ، قال : فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين فأسلمنا وشهدنا مع رسول الله ρ " (1)

وفي المستدرك أيضاً بسنده عن أبي حميد الساعدي τ قال : خرج رسول الله ρ حتى إذا خلف ثنية الوداع إذا كتيبة قال : من هؤلاء : قالوا بنو قينقاع وهو رهط عبد الله بن سلام قال : وأسلموا ؟ قالوا : لا بل هم على دينهم قال : قل لهم فليرجعوا فإنا لا نستعين بالمشركين " (2)

فقه الدعوة فى الحديث الشريف :

* ثواب الجهاد لا يناله إلا المؤمنين الصادقين .
* لا تجوز مشاركة المشركين في الجهاد مع المسلمين ضد المشركين .
* العبرة ليست بالعدد فقد رد رسول الله بعض الراغبين في الجهاد من غير المسلمين ، وطلب عوضا عنهم معونة الله تعالي .
* قبول الإسلام من الإنسان فور النطق بالشهادتين ، ومن توها تجري عليه أحكام الإسلام ، لذا فإن من *رفضه رسول الله لشركه، قبله فور النطق بالشهادتين .
* تأكد النبي من ديانة القوم وسؤاله عن إسلامهم .
* رد النبي لغير المسلين وهم كثرة والتوكل علي الله تعالي .
* الشعور بحلاوة الإيمان والرغبة الكبيرة في الجهاد حيث من الناس من يسلم ليشارك في الجهاد الذي ربما يرغب عنه الكثير من المسلمين اليوم ويرضون الدنية في دينهم ، والمذلة من عدوهم ..

15- اشتراك المرأة في الجهاد :-

ليس على المرأة جهاد واجب وهو جهاد الطلب ، لكن إن أرادت أن تخرج فهذا مستحب في حقها وتقوم على خدمة المجاهدين من مداواة الجرحى وسقيهم وإحضار السهام لهم إلى غير تلك الأمور التي تعين المجاهدين ، وإن كانت ذا قلب شجاع ولها دراية بفنون الحرب والقتال قاتلت ولا بأس بذلك ، أما في جهاد الدفع ، فهو واجب في حق الرجال والنساء كل حسب قدرته واستطاعته ولو أن تلقي الأحجار من فوق أسطح المنازل متى دهم الكفار بلاد الإسلام ، وبذلك يتم الجمع بين الأحاديث الواردة في المنع الواردة في الإباحة والله أعلم .

---

1 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2610 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التخليص) 246/2

2 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2610 246/2 وأورده الذهبي في التخليص وسكت عنه سنداً ومتناً

فمن ذلك عن أم كبشة رضي الله عنها امرأة من قضاعة – أنها قالت : يا رسول الله ، أتأذن لي أن أخرج في جيش كذا وكذا ، قال : لا ، قالت يا رسول الله : إنه ليس أريد أن أقاتل ، إنما أريد ، أداوي الجرحى والمرضى أو اسقي المرضى ، قال لو لا أن تكون سنة ويقال : فلانة خرجت لأذنت لك ، ولكن اجلسي " [1]

وعن ابن عباس τ قال : جاءت امرأة إلى النبي ρ فقالت : إني رسول النساء إليك وما منهن امرأة إلا وهي تهوي مخرجي إليك علمت أو لم تعلم ، الله رب الرجال والنساء وإلههن ، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء ، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا اثروا ، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال طاعة أزواجهن ، والمعرفة بحقوقهن ، وقليل منكن من يفعله " [2]

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها رسول الله ρ في جهاد النساء فقالت : يا رسول الله أفلا نجاهد ؟ قال : عليكن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة .[3]

وأما الأحاديث التي تدل على وجوب جهاد الدفاع عليهن ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن عروة قال : سمعت صفية بنت عبد المطلب (عمة رسول الله ρ) تقول : أنا أول امرأة قتلت رجلاً في فارع حصن حسان بن ثابت وكان حسان معنا في النساء والصبيان حيث خندق النبي ρ قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن فقلت لحسان : إن هذا اليهودي بالحصن كما ترى ولا آمنه أن يدل على عوراتنا وقد شغل عنا رسول الله ρ وأصحابه فقم إليه فقتله فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت : صفية فلما قال ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزت وأخذت عموداً من الحصن ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته ثم رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان أنزل فاستلبه فإنه لا يمنعني أن أسلبه إلا أنه رجل فقال : مالي بسلبه من حاجة فقلت له : أربط هذا السيف على ذراعي فربطه فقمت إليه فضربت رأسه حتى قطعته فقلت له خذ بأذنيه فارم بها عليهم ، فضعضعوا وهم يقولون ، قد علمنا أن محمداً لم يكن يترك أهله خلوفاً ليس معهن أحد " [4]

فقه الدعوة في الحديث الشريف :

* عدم تكليف المرأة بالجهاد مع جواز ذلك منها إذا دعت إليه الحاجة بشروطه.
* رغبة النساء في الجهاد والدفاع عن الدين بصدق ويقين من صحابيات رسول الله صلي الله عليه وسلم .
* تأكيد الإسلام علي حق الزوج وأن طاعته تعدل الجهاد في سبل الله .
* المنافسة الشديدة والغبطة المشروعة بين كل من النساء والرجال .
* شدة المحنة التي تعرض لها المسلمون في أحد .

---

1 - (قال الهيثمي في المجمع جـ 5 / 323 رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح وانظر حياة الصحابة للكاند هلوي م 1 صـ 582 ، 583)

2 - (الترغيب والترهيب ج3 صـ 363 ، حياة الصحابة جـ1 / 583)

3 - (رواه ابن ماجة جـ2 / 968 ط الحلبي)

4 - (المستدرك برقم 7017 ، 7018 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي)ك / معرفة الصحابة ذكر بنات عبد المطلب عمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنات عمه وأقاربه فمنهن عمته صفية بنت عبد المطلب أخت حمزة وأم الزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين 418/3

* تفرق الكثيرين عن رسول الله يوم أحد .
* قد تأتي المرأة بعمل أفضل من آلاف الرجال .
* فضل السيدة نسيبه في نجاة رسول الله وصد الأعداء عنه .
* الشجاعة في الجهاد والجرأة في الحق لا تتعلق برجل أو امرأة.
* من النساء من قدمن أروع النتائج وأفضل الأمثلة في التضحية والاستبسال في الدفاع عن جناب رسول الله صلي الله علي وسلم ، أمثال السيدة نسيبة بنت كعب التي ثبتت يوم أحد تقاتل وتدافع وتصد عن رسول الله وكان لموقفها أعظم الأثر في الحفاظ علي سلامة رسول الله ، وأمثال السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلي الله عليه وسلم التي دافعت عن الحصن وردت الطامعين من اليهود . .

نخلص من ذلك إلى أن اشتراك المرأة في الجهاد يكون تطوعاً منها لا إيجابا عليها وأن لبعض المسلمات بصمات شاهدة عليهن سجلها التاريخ الإسلامي بصحائف من نور .

الشروط الواجب توافرها فيي المجاهدين :-

.لقد وضع الإسلام شروطا ينبغي توافرها في المجاهد ، فالجهاد لا يغيب عن أحد أهميته وضرورته ،ويجب الاستعداد الكامل له بالمال والرجال ، و المجاهدين يجب أن تتوافر فيهم صفات وشروط معينة منها :((يجب الجهاد على المسلم، الذكر، العاقل، البالغ، الصحيح، الذي يجد من المال ما يكفيه ويكفي أهله حتى يفرغ من الجهاد- فلا يجب على غير المسلم، ولا على المرأة، ولا على الصبي، ولا على المجنون، ولا على المريض، فلا حرج على واحد من هؤلاء في التخلف عن الجهاد) [1]

1- الإسلام : وقد مر في آداب القتال عدم جواز الاستعانة بالكفار والمشركين في الغزو .

2- العقل : وذلك لأنه من شروط التكليف وفي الحديث " ففي البخاري قال علي لعمر أما علمت أن القلم رفع عن المجنون حتى يفيق (يعقل)[2]

3- البلوغ : وذلك لأن الصغير لا يقدر على مشقة الجهاد .

وقد كان ذلك هو منهج النبي صلي الله عليه فقد كان يرد الصبيان الصغار الذين لا يستطيعون مشقة الجهاد رغم رغبتهم الشديدة في الخروج للمعركة ومشاركتهم في محاربة المشركين، وقد كانوا يتسابقون في الخروج ويحزنون يردهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فقد وصل الإسلام إلى أعماق قلوب الجميع الصغير والصبي والكبير ، وتلك ثمرة التربية علي الإيمان بالله تعالي ، وليتنا نغرس في أولادنا تلك الأخلاق حتى يكبروا في جو الإيمان ولا ينصرفوا في اللهو واللعب والانحرافات التي تبعدهم عن الدين وتصدهم عن سبيل الله تعالي.

4- القدرة على مؤنة الجهاد والسلامة من الضرر ، من عتاد وعدة خاصة في جهاد الطلب

قال تعالى :

" لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى المَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى المُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ *[3]

---

1 - فقه السنة - ج2 / ص 632

2 - رواه البخاري 2499/6

3 –سورة التوبة الايتان 91، 92

قال ابن كثير : " ثم يبين تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال فذكر منها ما هو لا زم للشخص لا ينفك عنه وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجلاد في الجهاد ومنه العمى والعرج ونحوهما ولهذه بدأ به ، ومنها ما هو عارض بسبب فقده ولا يقدر على التجهيز للحرب فليس على هؤلاء حرج إذا قعدوا ونصحوا في حال قعودهم ولم يرجفوا بالناس ولم يثبطوهم وهم محسنون في حالهم هذا "[1]

وفي مثل هؤلاء قال رسول الله ρ : " إن بالمدينة لرجالا ما قطعتم وادياً ولا سرتم سيراً إلا وهو معكم " قالوا وهم بالمدينة ؟ قال : نعم حبسهم العذر " [2] وقد مدحهم الإسلام وجعل لهم المشاركة في الثواب لعجزهم عن الجهاد وعلم الله تعالي بصدق نياتهم في الخروج وأنه لم يمنعهم إلا العذر الذي لا دخل لهم فيه .

5- الذكورة:

فليس هناك تكليف علي النساء في أمر الجهاد , وما تقدمه يكون علي سبيل التطوع ، إلا إذا دعت إليه الضرورة فتكون المشاركة ضرورية من الجميع صغارا وكبار رجالا ونساء .

لما مر من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله هل على النساء جهاد ؟ فقال : جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة " [3]

وما تواترت أبناؤه هو اشتراك المرأة في ا لمساعدة أثناء المعارك في نقل الجرحى وتمريضهم ونقل الماء للجنود وعلى ذلك يكون اشتراك المرأة في الجهاد بالسيف تطوعاً "[4]

مكروهات الجهاد ومحرماته :-

إن الأخلاق الكريمة التي بثها الإسلام في أتباعه لا تنفك عنهم بحال أبدا، في سلم ولا حرب ولا سفر ولا حضر، فهي معهم أينما كانوا وحيثما وجدوا لأنها تملأ قلوبهم وتختلط بحملهم ودمائهم ، لذا فهناك أخلاق ألزم الإسلام بها أتباعه حالة الحرب والجهاد، التي لا قول فيها إلا للسيف، ولا خيار فيها للحياة أو الموت ، والتي يصعب فيها تقدير المواقف الأخلاقية والإنسانية لكنها ضرورية علي المسلم ،يلزم بها ولا يتجاوز عنها بحال من الأحوال ، ومن ثم كانت أمور محرمة في الجهاد ينبغي الابتعاد عنها

والأشياء التي تحرم في الجهاد :

أ- القتال في الأشهر الحرم (رجب – ذو القعدة – ذو الحجة – محرم) :-

قال تعالى : " إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم "[5]

وقال تعالى : **يسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى**

---

1 - (تفسير القرآن العظيم جـ4 صـ 60 ، 61)

2 - (رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب من حبسه العذر عن الغزو 1044/3

3 - (رواه ابن ماجة جـ2 / 968)

4 - (الموسوعة الإسلامية العامة لوزارة الأوقاف صـ 490)

5 - سورة التوبة الآية 36 .

يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (1)

قال ابن كثير في قوله : " منها أربعة حرم " فهذا مما كانت العرب أيضاً في الجاهلية تحرمه وهو الذي كان عليه جمهورهم .... وأما قوله ρ " السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان " (2)

الرأي الثاني هو الراجح والله أعلم ومحصله أنه لا يجوز البدء بالقتال في الأشهر الحرم على المجاهدين فلهم أن يستمروا في الجهاد رغم ذلك

ب - الغدر : وذلك بالخيانة ونقض العهد :-

يحرم الغدر والخيانة ونقض العهد دون إعلام الخصم بذلك فالمستأمن والمعاهد متى انعقد أمانة وعهده صار بذلك آمناً ، لا يجوز الاعتداء عليه بأي وجه من الوجوه ، ومهما تقرر الآمان بالعبارة أو الإشارة ، فإنه لا يجوز الاعتداء على المؤمن لأنه بإعطائه الأمان له ، عصم نفسه من أن تزهق ورقبته من أن تسترق " .(3)

روى البخاري في التاريخ والنسائي عن النبي ρ قال : " من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافراً " . (4)

وعن أنس قال : قال رسول الله ρ : لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به " .(5)

ولا يجوز نقض العهد الذي أبرم بشروطه من قبل المسلمين إلا في إحدى الحالات التالية :-

1- إذا كانت مؤقتة بوقت أو محددة بظرف معين وانتهت مدتها وانتهى ظرفها عن عمر بن عبسة قال : سمعت رسول الله ρ يقول : من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يحلن عهداً ولا يشدنه حتى يمضي أجله أو ينبذ إليهم على سواء " (6)

2- إذا أخل العدو بالعهد : قال تعالى : " **أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ** "(7)

فإذا علم الحاكم الخيانة ممن كان بينهم وبين المسلمين عهد فإنه لا تحل محاربتهم إلا بعد إعلامهم بنبذ العهد وبلوغ خبره إلى القريب والبعيد حتى لا يؤخذوا على غرة : قال تعالى : " **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** " (8)

---

1 - سورة البقرة الآية 217 .

2 - (رواه أحمد في المسند جـ5 / 307)

3 - (فقه السنة جـ 3 صـ 436 ط الفتح للإعلام العربي)

4 - (قال الهيثمي رواه الطبراني بأسانيد كثيرة وأحدها روته ثقات جـ 6 / 285 وأحمد بمعناه جـ5 / 223 وكنز العمال برقم 1930 جـ 4 / 365 وعزاة إلى البخاري في التاريخ والنسائي "

5 - (البخاري كتاب الحيل باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت 2555/6

6 - (أبو داود كتاب الجهاد باب في الإمام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير 3 / 83

7 –سورة التوبة الآيتان 13 – 14 .

8 - سورة الانفال الآية 58 .

" وقاعدة الإسلام : وفاء بغدر ، خير من غدر بغدر "[1]

جـ - قتل النساء المحاربات :-

بينما الإسلام ينهى عن تقصد قتل النساء والأطفال والأجراء والمدنيين والرهبان ممن لم يعينوا برأي أو مشورة أو غير ذلك ولكن إذا كانت المرأة ممن يقاتل أو تعين الكفار على المسلمين جاز قتلها، وتكون هي التي دفعت بنفسها إلى الموت والهلاك ولا يلومن أحد الإسلام في ذلك ، فقد نالت جزاءها ولا لوم علي الإسلام في ذلك ، فماذا لو تركها الإسلام دون أخذ الثأر منها ألا يمكنها أن تقتل الكثير من الرجل وهل كمن المعقول أن يقف الإسلام متفرجا علي امرأة تحصد الرجل ، وهل من العيب علي الإنسان أن يأخذ المرء حقها .

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما قتل رسول الله ρ امرأة قط من بني قريظة إلا امرأة واحدة والله إنها لعندي تضحك ظهر البطن وان رسول الله ρ ليقتل رجالهم بالسيوف " . [2]

فقد تدفع الضرورات المسلم إلى فعل المحذورات فالنساء لا تقتل ولا تهان ولا يتعرض لهن بإساءة ة قط ، لكن ربما تدخل المرأة الميدان وتقاتل بجانب الرجال وتستهدف المسلمين وتصيب منهم فإذا ما تهاون معها المسلمون ضاع منهم الكثير وتهاونوا في حق أنفسهم ودفعوا بأنفسهم إلى التهلكة ، لذا فإن التدخل بقتل المرأة في هذه الحالة أمر واجب لا تميز فيه المرأة عن الرجل

د - قطع أشجار الكفار وإفساد أموالهم وتحريقها :-

وذلك إذا كانت مما يعيق المجاهدين عن الوصول لأعدائهم أو كانت تحدث نكاية فيهم أو ما يعرف بالخسائر الاقتصادية .

ذ- مشروعية صلاة الخوف :-

ولها صور متعددة ذكر منها الحاكم في المستدرك بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : قال : قاتل رسول الله ρ محارب خصفة بنخل وفيه .. ، فلما حضرت الصلاة صلى رسول الله ρ صلاة الخوف ، وكان الناس طائفتين طائفة بإزاء العدو وطائفة تصلي مع رسول الله ρ فصلى بالذين معه ركعتين فانصرفوا فكانوا موضع أولئك الذين بإزاء عدوهم وجاء أولئك فصلى بهم رسول الله ρركعتين فكانت للناس ركعتين ركعتين وللنبي ρ أربع ركعات .[3]
وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي وقال على شرط البخاري

فقه الدعوة في الحديث الشريف :

1- وجوب الطاعة والعبادة لله تعالي دائما مهما كانت الشدة .
2- مشروعية صلاة الخوف .
3 - أن الصلاة هي طريق الصلة بن العبد وربه لذا فالحاجة إليها شديدة في حالة الحرب
4 - أهمية الصلاة في جماعة حتى حالة الجوف .
5 - تيسير الإسلام علي أهله بتخفف الصلاة عنهم حالة الحرب .
6 - ينبغى الانتباه والحذر من العدو حتى لا يباغت المسلمين وهم في صلاتهم
7 - يسمح للبعض بتقديم الصلاة في أول الوقت وتأتي من بعدهم الطائفة الأخرى
8 - التوكل علي الله تعالي ينبغ معه الحيطة والحذر فهو من الأسباب المشروعة .

---

1 - (فقه السنة جـ3 صـ443 وانظر السير الكبير لمحمد بن الحسن في تلك المسألة)

2 - (المستدرك ك / المغازى برقم 4388 وقال صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي) 257/3

3 - (المستدرك ك / المغازى برقم 4375) 253/3

9- للصلاة ميزة خاصة دون غيرها من العبادات فهي لاتسقط عن المسلم في سلم ولا حرب . ((أما إذا التحمت الصفوف واشتد وطيس المعركة ولم يجد الإمام وقتاً لذلك صلى المسلمون على حالهم أينما توجهوا)) [1]

ر - النهى عن التمثيل (المثلة) بالأعداء

حرم الله تعالى التمثيل بالأعداء المحاربين سواء كانوا أحياء أو أمواتا وذلك لأن المسلمين أعف الناس قتلة لما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والشفقة عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثنا على الصداقة وينهانا عن المثلة)) [2] فهدف الجهاد في الشريعة الإسلامية هدف شريف وهو كف أذي الأعداء ورد كيدهم وعدوانهم والعمل علي أن لا يغلب أمرهم علي المسلمين بقهر أو ذل أو قتال ، أما التشفي والانتقام بتعذيب الإنسان أو المثلة به في حياته أو بعد مماته فقد حرمه الإسلام ونهي عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم مهما كان شر المقتول وذنبه وأذاه النهى عن الفرار من الزحف .

ز- الشجاعة والثبات والصبر عند اللقاء:

وذلك لبث الرعب في قلوب الأعداء وليرى المؤمنين لربهم من أنفسهم خيرا .

روى الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن أبى أوفى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ..... [3]

وفى المستدرك بسنده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لطلب سعد بن الربيع رضي الله عنه وقال لي إن رأيته فاقرأه منى السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تجدك ؟ فجعلت أطوف بين القتلى ، فأصبته وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف ، رمية بسهم فقلت له : يا سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليك السلام ويقول لك : كيف تجدك ؟ قال على رسول الله السلام وعليك السلام وقل له يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة: وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيكم شفر(حاجب)يطرف . قال : وفاضت نفسه رحمه الله . [4]

فقه الدعوة في الحديث الشريف :

1- اهتمامه صلي الله عليه بمعرفة حال المسلمين ،ومباشرة القائد لجنوده ومعرفة الجانب النفسي لهم ،وتبليغ رسالة رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى صاحبها ولو كان في آخر أنفاسه ،و احتساب المجاهدين لتضحيتهم عند الله تعالي وحسن ظنهم بالله تعالي ،و حسن خاتمة الشهداء ،و يري الشهيد قبل مفارقته الحياة الدنيا حسن مصيره ،و إخبار سعد بن الربيع بما يجده من ريح الجنة ،وسعد بن الربيع يفرح بالشهادة ويوصي الصحابة بالدفاع عن جناب الرسول .

---

1 - (انظر الأم للشافعي جـ 1 / 320 : 349 ، المغني لابن قدامة جـ2 / 332 : 348 والفقه على المذاهب الأربعة جـ 3 / 12 وما بعدها)

2 -رواه ابن حبان ك/ الحدود ذكر البيان صلى الله عليه وسلم إنما قتل العرنيين لأنهم كفروا وارتدوا بعد إسلامهم 324/10

3 - المستدرك برقم 2460 ك/ الجهاد 2/ 207

4 - (المستدرك برقم 4969 ك معرفة الصحابة ب / ذكر مناقب مصعب الخير 410/2

أحـــــــــــكام الغنـــــيمة والفئ

- والغنائم لغة : جميع غنيمة وهى من الغنم وهو الفوز بالشيء . [1]

واصطلاحا : المأخوذ من أهل الحرب على سبيل القهر والغلبة والانتصار بقتال وركوب خيل ونحوها .[2]وقد شرعها الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم واختصها بها . قال تعالى :

((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)) [3]

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن انس بن مالك رضى الله عنه : إن هوازن جاءت يوم حنين بالنساء والصبيان والإبل والغنم فصفوهم صفوفا ليكثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا عبد الله ورسوله وقال يا معشر الأنصار أنا عبد الله ورسوله فهزم الله المشركين ولم يطعن برمح ولم يضرب بسيف فقال النبي صلى الله عليه وسلم من قتل كافرا فله سلبه فقتل أبو قتادة يومئذ عشرين رجلا واخذ أسلابهم ... الحديث [4]

فقه الدعوة في الحديث الشريف :

* أن الله تعالي أحل الغنائم للمسلمين ولم تكن حلالا لغيرهم من الأمم وربما كان ذلك لشرف هذه الأمة وفضلها علي غيرها من الأمم ، وربما كان ذلك لتقوية عزمها علي غيرها فكل الأمم ستتكالب علي هذه الأمة فهي بحاجة إلى دفعة للجهاد بجور الأجر في الآخرة، وان كان للأمم السابقة عدو واحد فأمة الإسلام لها من ذلك حظ كثير ، والدعوات السابقة محدودة في الزمان والمكان ، ودعوة الإسلام مطلقة .
* أن الخوف والفزع والفرار في غزوة حنين قد أصاب المسلمين لكن سرعان ما رجعوا إلى الصواب والجهاد وميدان المعركة .
* دعوة النبي للجند وتوجيه الخطاب إليهم بالعودة إلى المعركة .
* سرعة الاستجابة لأمر الرسول صلي الله عليه وسلم .
* لا مانع من زيادة الحافز الدنيوي للمجاهدين حتى يقوي من عزيمتهم .
* في هذه الغزوة من المسلمين من حصل أجرا كثيرا وأخذه كما وعد رسول الله صلي الله عليه وسلم .

قد يفتح الله تعالي للمسلمين البلاد بغير ضربة بسيف ولا طعنة برمح ، كما حدث في غزوة حنين ، وهذا بعد اتخاذ كافة الأسباب المشروعة والمؤهلة لذلك .

ويجب على أمير الجيش حفظ الغنائم وتكليف من يقوم بحفظها حتى يقسمها بين أصحابها وجمهور الفقهاء على أن التقسيم يكون في محل الغزو بعد الانتصار وانتهاء الحرب ليدخل السرور على

---

1 - (المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية صـ3 جـ2/664)

2 - (الموسوعة الفقهية الكويت مطبعة دار الصفوة سنـ1964ـة.

3 - سورة الأنفال الآية 41

4 - (المستدرك برقم 2638 وقال صحيح لي شرط مسلم ووافقه الذهبي ورواه البخاري بغير هذا السياق 254/2

المقاتلين إلا إذا كان الموقع غير آمن فينتقل بهم إلى موقع أخر يكون آمنا وقيل لا تقسم إلا في دار المسلمين . [1]
تقسيم الغنائم :- قال تعالى : **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)** [2]
وقد ظهر من هذه الآية الكريمة ومن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الغنائم تقسم على خمسة أسهم
ا- رسول الله
ب- أقارب من بني هاشم وبني عبد المطلب
ج- اليتامى
د- المساكين
هـ - ابن السبيل
فلكل جهة من هؤلاء الخمسة خمس الغنيمة
وقد اختلف العلماء في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فقالو تقسم على الأربعة الباقين أو يعتبر فيئا يعطي منه الغنى والفقير . [3]
وفى المستدرك بسنده عن قيس بن محمد قال : سألت الحسن بن محمد عن قول الله تعالى : واعملوا إنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)) فقال : هذا مفتاح كلام الله تعالى ما في الدنيا والآخرة قال : اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون : سهم الرسول لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقال قائلون لقربة الخليفة وقال قائلون : سهم الرسول صلى الله عليه وسلم للخليفة من بعده فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله مكانا على ذلك خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .
وبقية الأسهم الأربعة .
- سهم للمشاة من المقاتلين يقسم بينهم
- سهم للفرسان يقسم بينهم
- سهمان للخيول الصحيحة التي يقاتلون عليها [4]
روى الحاكم في المستدرك بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصاب غنيمة أمر بلالا فنادى في الناس فيجيئون بغنائمهم فيخمسها ويقسمها الحديث . [5]
ويدخل في الغنيمة كل ما حصل عليه المسلمون من الكفار نتيجة قهرهم والانتصار عليهم من الأموال منقولة أو أسلحة أو أراضٍ أو فداء للأسرى أو سابقة للمسلمين) [6]
ويحرم الغلول.

---

1 - (الأم للشافعي ط دار الفكر بيروت/جـ4/147)

2 –سورة الآنفال الآية 41 .

3 - (بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد جـ2/754 ط دار ابن حزم بيروت 1995)

4 - (الموسوعة الإسلامية العامة صـ1049- ,وزارة الأوقاف)

5 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2630 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي)250/2

6 - (الأم للشافعي جـ8/249)

وهو السرقة من الغنية وهو من كبائر الإثم بإجماع المسلمين ففي المستدرك بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر حرقوا متاع الغال ومنعوه سهمه وضربوه)) [1]
وقد رويت أحاديث أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يأمر بحرق متاع الغال ولا ضربه.
ولهذا قال العلماء : " ففهم من هذا أن للحاكم أن يتصرف حسب ما يرى من المصلحة ".[2]
ويستثنى من ذلك الانتفاع بالطعام وعلف الدواب فيباح للمقاتلين أن ينتفعوا بها ماداموا في أرض العدو قبل مسحة الغنائم .
ففي المستدرك عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه قال : قلت : هل كنتم تخمسون الطعام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أصبنا طعاما يوم
خيبر وكان الرجل يجئ فيأخذ منه بمقدار ما يكفيه ثم ينصرف)) [3]
فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :
* وجوب تقسيم الغنائم بين المجاهدين .
* تقسم الغنائم له حدوده ومقاديره في الشريعة الإسلامية .
* حرمة الأخذ من مال الغنيمة قبل تقسيمها لأنها حق الجميع ، مع جواز إطعام الماشية والدواب بما يصلح لهم من مال الغنيمة قبل تقسيمها .
* جعل خمس الغنيمة لرسول الله صلي الله عليه وسلم ، وصرفه لأقاربه بعد وفاته ، ثم في سبيل الله تعالي بعد ذلك .
* جواز الانتفاع من مال الغنيمة بطعام أو شرب بما يناسب حد الاعتدال وذلك قبل التقسيم وكذلك إطعام الحيوان .
5- وأما **الفيء** لغة : مصدر فاء يفئ بمعنى رجع فالفيء هو الرجوع.[4]
واصطلاحا : ما يرجع من أموال الكافرين إلى المسلمين بدون قتال ولا ركوب خيل وقد ذكره الله في كتابه في قوله تعالى : "... **وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " [5]
وذلك مثل الأموال المبعوثة مع رسول إلى إمام المسلمين والأموال المأخوذة على موادعة أهل الأرض[6]
الفرق بين الفيء و الغنيمة من جهتين :-
أ- أن الغنيمة تكون بالحرب وإيجاف الخيل والفئ يكون بدون ذلك

---

1 - (المستدرك برقم 2639 وقال حديث غريب صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والمستدرك جـ22 . 1 والترمذي جـ4/61 وأبو داود جـ3/157)
2 - (فقه السنة جـ3 صـ424-)
3 - المستدرك ك / الجهاد برقم 2625 وقال صحيح على شرط البخاري ووافقة الذهبي 249/2
4 - (المعجم الوسيط جـ706/2)
5 - سورة الحشر الآية 6
6 - (بداية المجتهد جـ776/2)

ب- أن تقسيم الفيء يختلف عن تقسم الغنيمة مع أن الجميع من أموال الكافرين وقد شرعه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل القرى. " فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ"(1)
وعن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ρ وكانت للنبي خاصة فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقى يجعله في الكراع والسلاح)) (2)
وقد اختلف الفقهاء في قسمة الفيء فقال قوم: أن الفيء لجميع المسلمين الفقير والغنى وان الإمام يعطى منه للمقاتلة وللحكام والولاة وينفق منه فى النوائب التي تنوب المسلمين كبناء القناطر وإصلاح المساجد وغير ذلك ولا خمس فى شيء منه وبه قال الجمهور يمد الشافعي – وهو الثابت عن أبى بكر وعمر وهذا هو المعنى العام للآية الكريمة . (3)
والشافعي رحمه الله يرى أن الفيء يخمس أي يقسم على خمسة أسهم : سهم منها يقسم على المذكورين في آية الفيء وهم المذكورون أنفسهم في آية الغنيمة وأربعه أخماس لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهاد الإمام من بعده ينفق من الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة وهو قول الشافعي فى القديم . (4)

_الاسترقاق:

إن القرآن الكريم لم يرد فيه نص يبيح الرق وإنما جاء فيه الدعوة إلى العتق ولم يثبت إن الرسول ضرب الرق على أسير من الأسرى ,بل أطلق أرقاء مكة وأرقاء بنى المصطلق وأرقاء حنين وثبت عنه "صلى الله علية وسلم " أنه أأعتق ما كان عنده من رقيق في الجاهلية وأعتق كذلك ما أهدي إليه منهم ,على أن الخلفاء الراشدين "رضي الله عنهم" ثبت عنهم أنهم استرقوا بعض الأسرى على قاعدة المعاملة بالمثل ,فهم لم يبيحوا الرق في كل صورة من صوره وإنما حصروه في الحروب المشروعة المعلنة من المسلمين ضد عدوهم الكافر وألغوا كل الصور الأخرى ومع أن الإسلام ضيق مصادره وحصرها في هذا الحصر ,فإنه من جانب آخر عامل الأرقاء معاملة كريمة وفتح لهم أبواب التحرر على مصراعيها " (5)
ومن ذلك أنه نهى إن يفرق بين الأخوة في السبي وكذلك بين الأم وولدها
روى الحاكم في المستدرك بسنده عن على ابن أبى طالب رضي الله عنة قال:" أمرني رسول الله صلى الله علية وسلم" أن أبيع أخوين من السبي فبيعتهما ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم" فقال: فرقت بينهما قلت: نعم قال : فارتجعهما ثم بعهما ولا تفرق بينهما " (6)
وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن جعفر بن محمد عن أبية أن أبا أسير الأنصاري قدم بسبي من البحرين فصفوا فقام رسول الله ρ " فنظر عليهم فإذا بامرأة تبكى فقال:ما يبكيك ؟ فقالت:بيع ابني في بنى عبس فقال رسول الله لأبى أسير:لتركبن فلتجئن به فركب أبو أسير فجاء به" (1)

---

1 - سورة الحشر الآية من 7
2 - (البخاري كتاب الجهاد والسير باب حكم الفيء 1376/3
3 - (بداية المجتهد جـ4/706)
4 - (الموسوعة الفقهية دار الصفوة 230/33)
5 - (فقه السنة ج429/2)
6 - (المستدرك ك / الجهاد برقم2621 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي)248/2

وفى المستدرك عن على" رضي الله عنه قال : أنه فرق بين جارية وولدها فنهاه النبيρ عن ذلك ورد البيع." (2)

فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :

* تضييق منافذ الرق والعمل علي إنهائه ورفعه عن الناس وربط الرق بكثير من التشريعات والكفارات .

* رحمة الإسلام بالرقيق والأمر بالإحسان إليهم في الطعام والشراب والملبس وعدم تكليفهم بما لا يستطيعون من العمل ومساعدتهم وإعانتهم في العمل الشاق ،و التلطف معهم في المعاملة وعدم الإساءة إليهم ولو بالكلمة ، وعدم التفريق بين الأقارب الأرقاء في حالة بيعهم ، وتصحيح النبي ρ لما وقع من خطأ الصحابة ، وسرعة استجابته ρ لمعالجة مارفع إليه من مظالم ، ووضع الحل المناسب لإسعاد الناس وان كانوا أرقاء فلهم احترامهم وآدميتهم فهم بشر يجب مراعاة شعورهم والرفق بحالهم ، كما وضع الإسلام الكثير من الحلول لتخلص من الرق .

((وبالجملة لقد حرم الإسلام الرقيق وأحسن إليهم وبسط يد الحنان ولم يجعلهم موضع ازدراء ولا إهانة ويبدو ذلك واضحا فيما يلي ونذكره بإيجاز :

أ- الوصية بهم خيرا

ب- النهى عن مناداته بما يدل على تحقيره واستعباده

ج- أمر بان يأكل ويلبس مما يأكل ويلبس المالك له

د - نهى عن ظلمهم وأذاهم وتكليفهم من الأعمال ما لا يطيقون

هـ - أمر بعتقه عند لطمه أو ضربة من مالكة

و- دعا إلى تعليمهم وتأديبهم

ز - فتح لهم أبواب التحرر والعتق واتخذ وسائل شتى لتخليصهم من الرق.))(3)

معاملة الأسرى:

عامل الإسلام الأسرى معاملة إسلامية رحيمة فهو يدعو إلى إكرامهم والإحسان إليهم ويمدح الذين يبرونهم , ومنه قوله تعالى:" وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا " (4)

وفي المستدرك بسنده أن مالك بن أوس بن الحدثان كان يحدث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في مجلس وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يذكرون سرية من السرايا هلكت في سبيل الله .... وفيه أن عمر قال : " الله أعلم إن من الناس ناساً يقاتلون وإن همهم القتال فلا يستطيعون إلا إياهم وإن من الناس أناس يقاتلون رياء وسمعة ، وإن من الناس أناس يقاتلون ابتغاء وجه الله فأولئك الشهداء وكل امرؤ منهم مبعوث على ما مات عليه والله ما تدري نفس ماذا مفعول بها "(5)

وفى الحديث :" أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر (الفخر والسمعة) فماله؟

---

1 - (المستدرك ك / معرفة الصحابة ذكر بلال المزنى برقم 6302 وقال صحيح الإسناد وأوردة الذهبي في التلخيص وقال مرسل) 235/4

2 - (المستدرك ك / الجهاد برقم 2622 وقال على شرطهما ووافقه الذهبي) 249/2

3 - (انظر فقه السنة ج3/ص431 , 430)

4 – سورة الإنسان الآية 8.

5 - المستدرك ك/ الجهاد برقم 2567 234/2 وقال صحيح على شرط البخاري

قال النبي صلى الله علية وسلم"لا شيء له ,إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهة " [1] بل إن صاحبها إذا كانت نيته كذلك كان أول من تسعر بهم النار يوم القيامة وذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة :إن رسول الله صلى الله علية وسلم"قال :أول من تسعر بهم النار ثلاثة :شهيد ومنفق وعالم....." [2]

ح - الجهاد في الإسلام يقوم على القيم والمثل العليا ولذا حرم قتل النساء والصبيان والشيوخ والمدنيين والرهبان وحرم التمثيل بالقتلى وحرق البيوت أو الأشجار إلا لضرورة ونهى عن إهانة الأسرى أو السبايا .....إلى غير ذلك كما مر.

ط - الجهاد يؤدى إلى عزة الإسلام والمسلمين وانتشار الدعوة للدين وتركة فيه ذل العاجل والأجل وضنك المعيشة وضعف شوكة المسلمين وتداعى أعداء الدين من كل حدب وصوب على أمة الإسلام ليطفئوا نور هذا الدين.

ففي الحديث أنة "صلى الله علية وسلم" قال:ستتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا:أو ملة قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال: لا بل أنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء , كغثاء السيل ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن قالوا:وما الوهن؟ قال:حب الدنيا وكراهية الموت" [3]

وفى الحديث :"إذا تبايعتم بالعينة واتبعتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم"[4]

---

1 - سنن البيهقى الكبرى ك/ الجهاد باب وجوب الجهاد 18/3

2 - رواه مسلم كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار3 /1513

3 - رواه أبو داو ود كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام 111/4

4 - رواه أبو داوود كتاب الأيمان والنذور باب في النهي عن العينة 274/3

الباب الرابع
أساليب الدعوة الإسلامية
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى

الباب الرابع
أساليب الدعوة الإسلامية
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من تمهيد وخمسة فصول:

الفصل الأول:-

الحكمة و أثرها في الدعوة إلي الله تعالي في العصر الحديث
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الثاني :-

الموعظة الحسنة و أثرها في الدعوة إلي الله تعالي
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الثالث:-

الحوار والجدل وأثرهما في الدعوة
من خلال أ حاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الرابع:-

القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة إلي الله تعالي
من خلال أ حاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الخامس:-

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في الدعوة إلي الله تعالي
من خلال أ حاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

(الباب الرابع)

(أساليب الدعوة إلى الله تعالى من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري)

تمهيد :

إن أي دعوة يتوقف نجاحها وإتيان ثمارها على الأسلوب الذي تساق به والطريقة التي تصل بها إلى المدعو، هذا الأسلوب وتلك الطريقة هما مفتاح نجاح الدعوة، وكم من دعوات نجحت وهى لا

تستحق، وذلك لبراعة عارضها وكم من دعوات فشلت وهى تستحق النجاح، لرداءة أسلوب عرضها وتدنيه،ومن هنا تأتى أهمية الأسلوب بالنسبة لنجاح دعوة ما .
والأساليب هي الطرق التي يسلكها الداعية للوصول بها إلى إبلاغ المستمع أو المدعو بما يريد إبلاغه من أمور الدعوة وتعاليم الدين ، وتختلف من داعية إلى آخر حسب الأسلوب الذي يراه مناسبا مع المدعو، لكن نستطيع أن نقول إن هناك آداب عامة وقواعد ثابتة في ميزان الدين فليست حسب أهواء المدعوين بحيث يجاوز فيها وإنما فيها سعة لكنها منضبطة بآداب الدين التي لا يسمح بالحيدة عنها بحيث تراعي فيها سائر المصالح للداعي والمدعو وموضوع الدعوة فلا ينتصر أحد علي حساب أحد ولعل الإطار القويم والميزان المستقيم في ذلك ينطلق فيه الدعية من خلال قول الله تعالي:-
(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(1)

تعريف الأسلوب :

ويعرف علماء **اللغة** الأسلوب بأنه : هو الطريق والوجه والمذهب والفن : يقال اخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه,وسلكت أسلوب فلان أي طريقته وكلامه على أساليب حسنة ." (2)
واصطلاحا : "قد عرف العلماء الأسلوب بأنه الألفاظ المختارة المركبة في صيغ مؤلفة للتعبير عن المعاني المراد إيصالها إلى الغير قصد الإيضاح والتأثير ." (3)
وهي الألفاظ التي توصل المعني إلى المستمع والتي بها يعبر الداعي عما يدور في خاطره ، وهي التي تترجم معاني الدعوة من الداعي إلي المدعو ، وهي حلقة الاتصال التي تربط الداعي والمدعو بالدعوة ، فهي علي قدر بالغ الأهمية ، لذا فقد اعتنى بها العلماء ورصدوا لها الكثير من الجهد للوصول إلى أفضل الأساليب التي تعطي أفضل النتائج،والتي تعود علي الدعوة الإسلامية بالخير والنفع والمصلحة .
يقول الجاحظ في هذا الشأن :(إن المعاني القائمة في صدور العباد المتصلة بخواطرهم الحادثة عن فكرهم ,مستورة خفية مكنونة معدومة عن الغير لا تعرف إلا ببيان يظهرها وأسلوب يوضحها , وكلما كانت دلالة الألفاظ أوضح ,وإشارة الكلمات أفصح كان المعنى انجح وأفصح) (4)
وقالوا أيضا : **الأسلوب** هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو :المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانية ومقاصده من كلامه " (5)
وقيل إن الأسلوب :هو عرض ما يراد عرضة من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم , وما يجب لكل مقام مقال . (6)
"والأسلوب المعبر عن المعنى يتركب من كلمات أو من إشارات أو من أحوال ,والكلمات تكون مكتوبة أو منطوقة ,والإشارات تكون من لفظ أو بدونه والأحوال تكون بسيطة أو مركبة" (7)

---

1) سورة النحل الآية 125

2) أساس البلاغة ص217 تحقيق محمود عبد الرحيم دار المعرفة بيروت 1402هجرية)

3 - (الدعوة الإسلامية د/احمد غلوش ص50)

4 - (البيان والتبيان ج1 ص75 ,باب البيان ط هيئة العامة)

5 - (مناهل العرفان /ش:محمد عبد العظيم الزرقانى ص 20 دار إحياء الكتب العلمية)

6 - (المرأة المسلمة المعاصرة د/احمد بن محمد بايطين ص523 ط دار عالم الكتب الرياض 1412هجرية)

7 - (الدعوة الإسلامية د/احمد غلوش ص51)

هذه التعريفات والتعليقات وغيرها كلها تهدف إلى أن الأسلوب هو الطريقة الموصلة للدعوة إلى المدعو.
وكلما كان الأسلوب جيدا راقيا مناسبا لحال المدعوين ووفق المراد كان أقوي في التأثير علي المدعوين فله أثر بالغ في نجاح الدعوة وتحديد العلاقة بين الطرفين الدعي والمدعو ومن ثم عوامل نجاح الدعوة ، فكم من أسلوب جيد كان سببا في قرب الناس من الله وسرعة استجابتهم للدين، وكم من أسلوب منفر كان سببا في بعد الناس وصدهم عن سبيل الله كثيرا ، ومثل الداعي في ذلك مثل الطبيب الذي يرح المريض بالدواء ويرغبه فيه حتى يصل به إلى الشفاء فإما أن يكون الطبيب حاذقا فاهما لنفسية المريض وعالما بالدواء المناسب فيتم المراد علي خير، وإما أن لا يكون علي ذلك فربما لا يتقدم بالمريض وربما ساءت حالته، وربما كان سببا في موته،وقتله وقربه من الموت ، وكم من منفرين وكم من مرغبين وكم من دعاة إلى الخير وكم من دعاة إلى الشر وكم من دعاة إلى الجنة وكم من دعاة إلى النار، فهناك أئمة للكفر قال الله تعالي في القرآن الكريم(**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ**)(1)
وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه "حذيفة بن اليمان ، يقول : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم ، وفيه دخن (2) » قلت : وما دخنه ؟ قال : « قوم يهدون بغير هديي يعرف منهم وينكر » قلت : وهل بعد ذلك الخير من شر ؟ ، قال : « نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليه قذفوه فيها » قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا ، قال : « هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » قلت : فما تأمرني إن أدركت ذلك ؟ قال : « تلزم جماعة المسلمين وإمامهم » قلت : فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال : « فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك »(3)
فكل واحد من الفريقين يدعو إلى ما يريد وبالطريقة التي تناسبه فكلاهما دعوة تهدف إلى غاية **"والأسلوب الحسن** هو أحد العوامل الحساسة التي توفر على الداعية الوقت والجهد وتوصله إلى الغاية المطلوبة بأقل التكاليف وأيسرها" (4)
وللدعوة في كتاب الله وسنة رسول "صلى الله علية وسلم"أساليب شتى ,استخدمها النبي "ρ "يطرق بها القلوب ويلفت بها الأنظار وينبه بها الغافلين ويأخذ بها بأيدي الشاردين عن الحق والصراط المستقيم الذي يدعو إليه الدين الحنيف .
هذا و إذا كان الأسلوب من خلال ما سلف بيانة يعني: عرض ما يراد عرضه من معان و أفكار و مباديء و أحكام في عبارات و صيغ ذات شروط معينة منها: ما يتعلق بحسن العبارة و وضوح الفكرة و مراعاة مقتضي الحال, و الأسلوب طريقة الداعية في دعوته أو كيفية تنفيذه لمناهج دعوته أو

---

1) سورة التوبة الآية 12

2 --الدخان : الفساد والاختلاف تشبيها بدُخان الحطب الرطب لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصَّلاح الظاهر .النهاية 2/ 109

3 - المستدرك للحاكم ك / الفتن والملاحم 346/5 ح 8501 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى التلخيص .

4 - (الدعوة الإسلامية الأساليب والوسائل /محمد خير رمضان ص67 مطابع الفرز دق التجارية الرياض الطبعة الأولى سنة1407هجرية ,مشكلة الدعوة والدعاة /فتحي يكن ص120 , 118)

طريقة تقديم قضايا و سبل دعوته في عبارات و صيغ مناسبة لأحوال المدعوين, و إذا فالأسلوب يتنوع فمنه :
أولا :" **الأسلوب العلمي** : و هو احد الأساليب ألموصله لغاية الداعية الي المدعوين ،و أكثرها احتياجا في مسيرته العلمية و العملية شريطة أن يكون مدعما بالمنطق السليم و الفكر المستقيم , مبتعدا عن الخيال لأنه يخاطب العقل , و يناجي الفكر , و يشرح مناهج الدعوة بطريقة أكاديمية واضحة لا غموض فيها و لا ارتياب , كما لابد في هذا الأسلوب مراعاة أثر القوة و الجمال , قوته في سطوع بيانه و رصانة حججه , و جماله في سهولة العبارة و سلامة الذوق و حسن تقديره المعني في الإفهام من اقرب وجوه الكلام .

ثانيا: **الأسلوب الأدبي** : - الذي يعتمد علي الجمال فهو من ابرز صفاته و اظهر مميزاته, و منشأ جماله لما له فيه من خيال رائع و تصوير دقيق, و تلمس لوجود الشبه البعيد بين الأشياء و اليأس المعنوي منه المحسوس, و إظهار المحسوس في صورة المعنوي احيانا .
ثالثا: و إلي جانب هذين الأسلوبين يبرز أسلوب يعد من أهم الأساليب في ميدان العمل الدعوي (الأسلوب الخطابي) و من اظهر مميزات هذا الأسلوب: التكرار و استعمال المرادفات و ضرب الأمثال و اختيار الكلمات الجزلة ذات الرنين, و يحسن فيه أن تتعاقب ضروب التعبير من أخبار إلي استفهام إلي تعجب إلي استنكار و أن تكون مواطن الوقف فيه قوية شافية للنفس و من ثم تبرز هنا قوة المعاني و الألفاظ و الحجة و البرهان,و العقل الخصب , و تبدو فيه شخصية الداعية إلي إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم و استنهاض هممهم , كما يبرز شخصية و مكانه الخطيب في نفوس مدعويه و مستمعيه و إيمانه بدعوته , و سطوع حجته ونبرات صوته و حسن إلقائه و إشاراته "(1) !!!!
و بالنظر في السنة النبوية و ما ورد فيها من أحاديث فأنها قد استخدمت في عرض الدعوة أساليب كثيرة لملائمة تنوع المدعوين و استيعابهم و ذلك لان المخاطبين بالدعوة ثلاث طبقات أو فئات كل فئه منها تحتاج لأسلوب معين في إقناعها و استمالتها: فمنهم الأذكياء و هؤلاء يخاطبون بالحجة و البرهان, و منهم العوام و هؤلاء يخاطبون بالمشافهة لأنهم لا يفقهون البرهان, و منهم المعاندون في الاعتقاد و هؤلاء يخاطبون بالجدل بالتي هي أحسن لان الموعظة لا تنفع معهم, و علي ذلك فاختلاف الناس في طبائعهم و أفكارهم يستلزم بالضرورة اختلاف الأساليب, فالذي يصلح لهذا لا يصلح لذاك ,و الأسلوب الذي يقنع نوعية من الناس قد لا يقنع الاخرين , و من ثم تنوع الأسلوب النبوي في الدعوة إلي الله تعالي، حتى يؤمن الجاحد و يطمئن المرتاب , و يسكت الخصم المعاند و يزداد الذين امنوا إيمانا .

الحكمة من تعدد الأساليب في الدعوة إلى الله:-

إن الله سبحانه وتعالى خلق الناس متفاوتين في العقول والإدراك والتفكير فالناس ليسوا بضاعة صممت بصورة متماثلة كآلاف البضائع فى المصانع المختلفة بل هم بشر لهم أفكار وأحاسيس ومعتقدات وهذه العقائد المختلفة تدعى بصور مختلفة فكما يختلف البشر ويتفاوتون وتختلف أساليب دعوتهم وتتمايز .
" إن الدعوة كما تكون للكافرين للدخول في دين الله , تكون للمسلمين لزيادة الدين ، والثبات علي الصراط المستقيم ، للوصول إلى جنات نعيم ، والفوز برضي الله رب العالمين ,فإذا كان الكفرة المدعوين أصنافا وأنواعا ,فان المدعوين أيضا من المسلمين أصنافا وأنواعا ,وقد أشار القران إلى

1- لمزيد من الاستفادة في هذا الصدد أنظر (جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع) السيد أحمد الاشمي ص 35. 36 بتصرف يسير, دار الكتب العلمية بيروت لبنان <بدون

تصنيف ثلاثي للمسلمين فقال سبحانه :" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ " (1) ومن المعروف بداهة في الإسلام أن الإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فكل الناس محتاجين للدعوة أشد الحاجة، وقد خاطب الله تعالي البشر ووجه العقول والقلوب بأدلة مختلفة وبراهين متنوعة ، كل بما يناسبه في الجانب الفكري أو العقدي أو الخلقي ، فتنوعت الأدلة حسب تنوع المدعوين .

وهذا ما يدعونا لبيان تنوع هذه الأساليب الدعوية في الأحاديث النبوية كما وردت في أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري وذلك علي النحو التالي :-

الفصل الأول

الحكمة و أثرها في الدعوة إلي الله تعالي في العصر الحديث

1 - سورة فاطر الآية 32

من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول:-

تعريف الحكمة التي يدعي الناس بها

المبحث الثاني :-

معالم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية

الفصل الأول

((الدعوة بالحكمة))

المبحث الأول :تعريف الحكمة :

إن الحكمة من أعظم أساليب الدعوة إلى الله تعالي ، وتعد من أفضل الأساليب النافعة التي ترشد الناس إلى دين الله والتي تكسب المدعو الراحة والإقناع بما يدعي إليه ، حيث تصف له الطريق الموصل إلى الخير بما يناسبه ويرح عقله وقلبه ،وتوفر عليه الجهد الكثير والحيرة والتفكير ، لهذا أمر الله بها نبيه صلي الله عليه وسلم وجعلها في مقدمة ما أمر به من الأساليب الدعوية في الترتيب الأول وقبل كل شيء فما من أمر إلا ويحتاج لحكمة حتى ما بعدها يحتاج إليها فالموعظة بدون حكمة لاشيء والجدال بالتي هي أحسن أيضا غير مستغن عن الحكمة فهي أيضا ميزان الدعوة في الأساليب كلها ،وفي قوله تعالى : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (1) بل إن الحكمة أصل وما بعدها مما ورد

---

1 - (سورة النحل الآية 125)

في الآية من أساليب فرع أو كما يقول علماء الأصول " من ذكر الخاص بعد العام " مثل قوله تعالى : " { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } (1)
وهذا ما يؤيده قول الإمام ابن القيم في تفسيره المجموع له بقوله : " جعل الله سبحانه وتعالى مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق : فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه : يدعى بطريق الحكمة والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر : يدعى بالموعظة الحسنة ، وهي الأمر والنهي ، المقرون بالترغيب والترهيب والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن ، ويزيد ذلك بيانا ووضوحاً لمن عقل عن الله ورسوله صلي الله عليه وسلم . ما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو الذي أعطاه ربه من الحكمة ما لم يعط أحداً ، وقد كان يضع السيف في موضعه ، والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها ، فاستعمال الغلظة والشدة والسيف في مواضعها
من أحكم الحكمة قول الله تعالى لنبيه **"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ "**(2)
من الحقائق التي لا جدال فيها أن المدعوين أمام الدعوة ليسوا علي طبيعة واحدة كما سلف بيانه, فمنهم من يستمع للدعوة و لا يتردد في التسليم لها, و منهم من هو دون ذلك, و منهم المتحامل و المجادل الذي طمس الله تعالي علي سمعه و بصره و قلبه. و من ثم كان و لابد من تنوع الأساليب التي ترغب الناس في الدعوة إلي الله تعالي
(و في هذا يقول الإمام ابن تيمية: (فالقلوب التي لها فهم و قصد تدعي بالحكمة فيبين لها الحق علما و عملا فتقبله و تعمل به, و آخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة علي الترغيب في الحق و الترهيب من الباطل, و الدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق.. و من لم يقبلة فأنه يجادل بالتي هي أحسن) (3)
ثم يوضح الشيخ إبراهيم الدسوقي هذا بقوله:
"الناس قد فطروا علي ذلك:

و هم أنواع:
الأول:- نوع يميل بفطرته إلي الحق فلا يلبث أن يستجيب له و لا يتردد في العمل لنصرته و الجهاد في سبيله كشأن الرعيل الأول من الصحابة و من تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.
الثاني:- قوم لم يبلغوا حد الكمال الذي وصل إليه الأولون و لم ينزلوا إلي حضيض النقصان الذي غرق فيه الكافرون و من علي شاكلتهم – فهم علي فطرة سليمة و لكنهم لا زال الباطل الذي شبوا عليه يشغلهم فهؤلاء يحتاجون إلي الموعظة الحسنة و الأسلوب الذي يستثيرهم و يشد انتباههم إلي دعوة الحق تارة بالترغيب و أخري بالترهيب و هكذا حتى يتضح لهم الطريق فينخرطوا في صفوف المؤمنين.
الثالث:- الجدال بالتي هي أحسن و ذلك هو الطريق لدعوة الذين ملكت قلوبهم حمية الجاهلية الأولي و أخذتهم العزة بالإثم فأصروا علي الباطل ووقفوا من دعوة الحق موقف المعاند الجاحد استكبار, و

---

1 - (سورة الفاتحة الآية 5)

2 - (التفسير القيم نقلاً عن مفتاح دار السعادة جـ 1 / 193) والآية من سورة التوبة (73)

1 - مجموعة الرسائل ألكبري: الرسالة الثانية: معارج الوصول ص 182 الطبعة الثانية. دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان 1972 م

هؤلاء لا تجدي منهم بلاغة القرآن الكريم و لا تنفعهم الموعظة الحسنة بل لابد من مجادلتهم بالتي هي أحسن مع الترفق بهم و اللين معهم لان الغلظة و القسوة لا تزيدهم إلا نفورا و استكبار" . (1)
وسأتناول هذا المبحث بعدة مطالب حول توضيح معني الحكمة والمراد منها ومدي حاجة الدعوة إليها.

المطلب الأول :- معنى الحكمة لغة وشرعاً :

الحكمة لغة – من الحكمة بفتح الكاف والميم وهو ما يوضع للدابة كي يذللها راكبها فيمنع جماحها ومنه اشتقت الحكمة قالوا : لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال " (2) فهي هنا بمعني التحكم في الشيء بمنعي توجيهه والسيطرة عليه بما يضعه في المسار الصحيح .
ويأتي أيضا بمعني الاستحكام وضبط الأمر ليكون بعيدا عن الفساد فأحكم الأمر " أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد(3)
وقالوا : هي إصابة الحق بالعلم والعقل والحكيم المتقن للأمور يقال للرجل إذا كان حكيماً " قد أحكمته التجارب ." (4)

والحكمة منحة ربانية يهبها الله لمن يشاء من عباده وأصفيائه كما أخبر جل شأنه في كتابه العزيز عن ذلك بقوله :
(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (5)
وفي الحديث : لا حسد إلا في اثنتين رجلاً آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها(6)
اصطلاحاً : اختلف العلماء في تعريف الحكمة شرعاً على أقوال كثيرة منها : القرآن والفقه به ومنها : الإصابة في القول والفعل وقيل : السنة وقيل : العلم والعمل به ، وقيل : وضع كل شيء في موضعه "(7)
وهي شيء لا يستغني عنه الدعاة ولا المدعوين في دعوتهم إلى الله تعالي " إنها اسم جامع لكل كلام أو علم يراعي فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغير " (8)

الحكمة في ضوء القران الكريم و السنة النبوية:

ووردت كلمة الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة في اثني عشرة سورة و هي: (البقرة و آل عمران و النساء و المائدة و النحل و الإسراء و لقمان و الأحزاب و ص و الزخرف و القمر و الجمعة) و قد وردت مقرونة بالكتاب في عشر مواضع و ذهب كثير من العلماء إلي أن الحكمة

---

2 - الدعوة الإسلامية علما و عملا ص 23 , 24 باختصار .

2 - (المصباح المنير ص 56)

3 - (لسان العرب جـ 12 / 143 ، مختار الصحاح للرازي ص 62)

4 - (لسان العرب جـ12 / 143 ، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص 127)

5 - سورة البقرة الآية 269 .

6 - البخاري ك / العلم ب / باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة 323/1

7 - (الطبري جامع البيان جـ 1 / 436

8 - (التحرير والتنوير جـ3 / 60 : 63)

المقرونة بالكتاب يراد بها السنة النبوية المطهرة و ذهب البعض إلي غير ذلك ,و لكن تفسيرها بالسنة أعم و أشهر ([1])

كما وردت مقرونة بالكتاب و يراد بها معان مختلفة يمكن الرجوع إليها في مواضعها.

و للحكمة معان عدة لدي المفسرين جمعوها في: القرآن الحكيم, و الفقة, و النبوة و الرسالة و ما يمنع من الفساد من آيات ربك المرغبة و المرهبة و الكتاب و السنة كما يعني بها الحنكة و التجربة كما في قول القائل: لا حكيم الا ذو عثرة و لا حكيم الا ذو تجربة ([2])

ووردها بهذه الكثرة يؤكد أهميتها و ضرورة تحقيقها في الأقوال و الأعمال و لاسيما في الدعوة إلي الله تعالي .

يقول الدكتور رءوف شلبي : الحكمة كأسلوب ووصف للكلمة التي تنقل الدعوة هي: أسلوب يؤدي به الداعية إلي الله تعالي رسالته دون فضل يتحدث به أو شهوة في شهرة يعرف بها و ليس له منة علي الدعوة بل الله تعالي يمن عليه إن هداه إلي الإيمان) ([3])

فمن ثم بدلا من الحماس المتزايد, و الاندفاع الملتهب الذي يتجاوز حدود الحكمة فيضر بالدعوة و الداعية علي سواء, تبرز أهمية هذا الأسلوب في ميدان العمل الدعوي و تكمن أهميته بضرورة مراعاة ظروف و أحوال المخاطبين بالدعوة, فالحكمة دواء لكل داء, مقام لكل مقال, و لكل نوعية من المخاطبين ما يناسبه من أسلوب ، فالعالم لايستوي بالجاهل, و الكبير لا يستوي بالصغير, بل لابد من تقدير الأمور حق قدرها, فلا يزهد الداعية في الدنيا و الناس بحاجة للكد و النشاط و العمل ،و لا يدعو للرهبنة و المسلمون بحاجة إلي الدفاع عن عقيدتهم و أوطانهم و أعراضهم و كرامتهم و تأكيد لأهميتها اتخذها أنبياء الله تعالي و رسله في موكب دعوتهم أسلوبا من أهم أساليبهم في الدعوة إلي الله تعالي.

ففي شأن يوسف قال تعالي:

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) ([4])

و كذا في شأن سيدنا موسي عليه السلام, و كذا في شأن سيدنا داود و سليمان و عيسي عليهم و علي نبينا أفضل الصلاة و السلام و في شأن النبي الخاتم قال تعالي: **(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ)**([5]) و يفهم من هذا كله أن الحكمة أداة من أدوات الرسل في تبليغ دعوة الحق و علي ورثتهم من الدعاة في شتي العصور أن يتخذوها وسيلة اقتداء بأنبياء الله تعالي و رسلة فهم خير أسوة يحتذي بها و يقتدي بها في سلوكهم و مواقفهم و أقوالهم و أعمالهم و تقريراتهم, فالدعاة أولي الناس حرصا علي طلبها و اكتسابها لتتوافر لديهم القدرة علي توصيل حكم الله تعالي ووحيه للمدعوين بما يناسب أحوالهم و طبيعتهم, و هذا الأسلوب في الدعوة إلي الله تعالي يحتاج من الدعاة إلي جهد جهيد في طلبه و اكتسابه.

---

1 - التفسير القيم لابن القيم ص 227 دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1978 م و مدارج الساكين لابن القيم ج 2 ص 478 .

2 - راجع المعجم الفهرس الألفاظ الحديث النبوي اب و نسنك ص491/3 مكتبة بريل ليدن 1936 م

3 - الدعوة في عهدها المكي. مطبعة الفجر الجديد 1985 م

4 - سورة يوسف الآية 22 .

5 - سورة آل عمران الآية :164)

و هذا ما سنجليه من خلال عرضنا للمطلب التالي :

المطلب الثاني : الصفات الباعثة للحكمة :-

لكي يتحصل الداعي على الحكمة فلابد له من التحلي بالأخلاق الفاضلة والتخلي عن الأخلاق الرذيلة ، ومطالعة العلوم الشرعية التي تقرب من الله تعالي وتبصر الداعي بمواطن الأمور ومعرفة الحرام والحلال وترشده إلى الخير وتؤهله إلى إرشاد غيره من الناس مع ملازمة العلماء العاملين، والاستقامة على منهج الله علماً وعملاً ، ومدارسة سير الصحابة والتابعين ،

ويمكن حصر هذه الصفات في الآتي :

أولا :- الإخلاص في الدعوة إلي الله تعالي :

إن الإخلاص واتخاذ أسباب الفقه في الدين ، والاستناد علي المصدر الأساسي للدعوة إلي الله تعالي في حكمة الوحي الإلهي (القرآن والسنة) حفظا وفهما وقولا وعملا ، وتوسيع دائرة العلم والمعرفة والقدرة والتزام السلوك الحكيم وفضائل الخلاق ، وضرورة فقه الدعوة (موضوعها وأركانها ، والداعي ، والمدعو ،وكذا معرفة وسائلها وأساليبها ،وغايتها وأهدافها)

وهذا ما يدفعنا إلي توضيح هذه الصفات كنماذج لأهم **البواعث الدافعة للحكمة** .

أولها : الإخلاص في الدعوة إلي الله تعالي قولا وعملا وظاهرا وباطنا .

وأشد الناس حاجة إلى الإخلاص هم الدعاة إلى الله الذين يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن الشر والذين يمسكون بالكتاب ويصلحون الناس ويتكلمون بالدين " وهذا باب عظيم معلوم نظرياً ولكن تحقيقه عملياً من الصعوبة بمكان ويحتاج ومن الإنسان إلى جهد ومصابرة ،ومن حقق هذه الصفة لم يلتفت إلى نظر الناس ولا إلى أشيائهم أو تلمس ما يرضيهم وما اصدق قول القائل : أن بعض الناس يدعوا إلى الله وهو إنما يدعوا إلى نفسه " (1)، والتهاون في الأمر يفوت علي الدعوة الخير الكثير وينزع البركة من العمل ، ومن ثم فلن يجد القبول عند الناس فهو منزوع البركة.

يقول الإمام الغزالي : " إن الداعي قد يري حين الدعوة والقيام بها عز نفسه بالعلم والدين وذل غيره بالجهل والتقصير .

فربما قصد بالدعوة إظهار التميز على غيره ، وإذلال المدعو بإشعاره ولو من طرف خفي بالجهل وخسة أهل الجهل والتقصير وسوء حال المقصرين وهذه مذلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يطوق به كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة ... وهناك محك ومعيار ينبغي أن يمتحن الداعي به نفسه وهو أن يكون قيام غيره بالدعوة وإصلاح الناس واستجابتهم لغيره أحب إليه من استجابتهم له ، فإن كان يود أن يكفيه غيره فهو على خير ، وإن كان لا يحب ذلك لغيره من أهل العلم والدعوة فما هو إلا متبع لهوى نفسه ، متوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة دعوته ، فليتق الله تعالى فيه وليدع أولاً نفسه " (2)

وفى أحاديث المستدرك نلمح أسلوب الحكمة في فعل الرسول ρ وقوله وتصرفه بل في شؤونه كلها .

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

---

1 - مفهوم الحكمة في الدعوة ص 14)

2 - (إحياء علوم الدين جـ 2 / 329 بتصريف وحذف يسير)

ما رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن كعب بن مالك: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من ابتغى العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يقبل إفادة الناس إليه فإلى النار " (1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

أهمية الإخلاص في التمكين للدعوة والدعاة فبه يتحقق النجاح ، وتأتي معه معونة الله تعالي لدعاته ، كما بين الحديث وحذر من خطورة الرياء على الدعوة والداعي موضحا العقوبة المشددة التي توعدهم الله تعالي بها ، محذرا كذلك من الرياء ،مبينا أنه يحبط العمل، و لا حظ لصاحبه له في الآخرة عند الله تعالي وفيه بيان أهمية العلم لا سيما الشرعي منه والتصريح بدخول المفرط فيه إلى النار وذلك لخطورة تضيع حق العلم ،وأهمية توجه النية في العمل والأجر والثواب،مع البشارة بتمكين المؤمنين في الدنيا وعظم الثواب لهم في الآخرة وفيه التحذير للعلماء خاصة وأنهم علي خطر عظيم ، فهم قادة الدعوة ومرشدوا الناس إلي الخير والتأكيد علي ضرورة تخليص القلب عما سوي الله تعالي وأداء أمانة التبليغ ابتغاء مرضاة الله.

ثانيها : العلم :-

إن العلم هو النور الذي تسير فيه الدعوة وتسير ولولا العلم لكانت الدعوة خبط عشواء وحطب بليل لا يفرق صاحبه بين عود من حطب يستدفئ به هو وبنوه وبين ثعبان أقرع يهلكه ويبيده عند لمسه

إن العلم سلاح الداعي وزاده علي الطريق والوسيلة التي تربط بينه وبين المدعون واللغة التي يفهما القاص والدان والتي لا تحتاج إلى ترجمان ، وعلي قدر العلم تكون الحكمة ومن ثم الدعوة، وبفقده تفتقد الدعوة وتكون الفجوة بين الداعي والمدعو، بل هو الينبوع الذي يمد جذور الدعوة وشجرتها بما تحتاج إليه وبفقده تذبل الدعوة وتموت ولا يجد المدعوين الظل الذي يقيهم من الحر والبأس ، وهو أعظم أركان الحكمة وألزم الصفات للداعية ولهذا أمر الله به وأوجبه قبل القول والعمل فقال سبحانه وتعالى :

" فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (2)

وقد ذكر أن معاني الحكمة العلم، فالبصيرة تجمع العلم والحكمة وهذه الخصلة لا تحتاج إلى مزيد بسط فهي معلومة ظاهرة ويكفي في هذا التنبيه إلى ترجمة البخاري رحمه الله في صحيحة حين قال: باب العلم قبل القول والعمل. (3)

" وفي مأثور الحكم : من تمسك بغير أصل ذل ومن سلك طريقاً بغير دليل ضل " (4)

ويشمل العلم الفهم الدقيق لما جاء في الكتاب والسنة وسير السلف الصالح ومفهوم أهل العلم والفقه علماً وعملاً،وما يسجد في هذه العلوم الشرعية بما يناسب كل عصر مما هو مستنبط من أصول الشريعة وقواعد الدين وتفصيل الأدلة واجتهاد العلماء أهل الاجتهاد ، ومعرفة الجديد في الأدلة الكونية

---

1 - (المستدرك ك / العلم 1/ 186 وقال الذهبى : لم يخرجا لإسحاق بن يحى شيئا وإنما جعلته شاهدا لما قدمت من شرطهما وإسحاق بن يحى من أشراف قريش ووافقه الذهبى فى التلخيص .

2 - سورة محمد الآية 19 .

3 - (البخاري كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل 1/ 37)

4 - (مفهوم الحكمة في الدعوة ص 18)

والأدلة الإنسانية التي تقوي إيمان المدعوين وتثبت في قلوبهم الدين وتقربهم من اليقين والخضوع لرب العالمين ، ولا بأس أن ينال الداعية القدر الوافر من العلوم الدنيوية التي تخدم البشر وتنفع الناس فالإسلام لا يفصل ابد بين الدين والدنيا فهما لله تعالي وكل علم ينفع الناس هو من الدين ومما أوصى به الإسلام .

ولا يزال الرسول صلى الله عليه وسلم في توجيهه يشير إلى أهمية العلم وفضله ولا يزال يوصى ويهتف به وكذلك صحابته الأكرمون من بعده والتابعون لهم بإحسان .

مما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن عبيد الله بن أبي يزيده قال : كان ابن عباس إذا سئل عن شيء فكان في كتاب الله قال به ، فإن لم يكن في كتاب الله وكان من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء قال بما قال به أبو بكر فإن لم يكن لأبي بكر وعمر فيه شيء قال رأيه " (1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

التأكيد علي أن كتاب الله تعالي هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي وبيان أدب الصحابة مع كتاب الله تعالي ،وبيان مكانة ابن عباس بين الصحابة والرجوع إليه في مسائل العلم ،و ضرورة الرجوع إلى العلماء في الفتوى والرجوع إلى السنة النبوية بعد كتاب الله تعالي وفي الحديث بيان مكانة السنة والرد علي من ينكرها، ولا يقر إلا القرآن أو من يسمون أنفسهم بالقرآنيين وفي حقيقة الأمر هم ليسوا قرآنيين أو سنيين وإنما هم بدعيين معتدين علي مقام خاتم النبيين،وفيه احترام رأي كبار الصحبة ، وما نقل عنهم في مسألة من المسائل يعد سندا شرعيا إذا لم يوجد في كتاب الله أو سنة النبي صلي الله عليه وسلم، مع مراعاة مكانة كل صحابي ومعرفة رتبته وقربه من النبي وإعطاء كل ذي حق حقه، فأولهم أبو بكر رضي الله عنه ومن بعده عمر بن الخطاب ،ولو احترام الدعاة بعضهم بعضا لكان حال الإسلام غيرما هو عليه الآن ، أما نجده من البعض اليوم من محاربة العلماء بعضهم البعض ، ومحاولة تخطيء كل للآخر وتشكيك بعضهم لبعض، ومحاولة صعود البعض علي حساب البعض وغير ذلك كثير مما يعد من اخطر الأمور علي الدعوة والمدعوين، وأنه لا اجتهاد إلا في حالة فقد الدليل من مصادره علي الترتيب الشرعي ولا مجال للرأي إلا بعد فقد الدليل من مصادره الشرعية السابقة، واحترام الآخرين وعدم الغرور في الدين، وبيان أن القائل برأيه في الدين قبل الكتاب والسنة والصحابة .... يجعل من نفسه مشرعا من دون الله تعالي لاينبغي اتباعه .

ثالثها - التقوى:-

إنه لا يصح أبدا أن يداوى العليل عليلا مثله لو نجح مع نفسه لنفع ، غيره ولا يستمع الناس بل لا يعطوا آذانا صاغية إلى من يروا فيه المثل والتقى والهدى والرشاد ولا يزال الناس يحسنون الظن في علمائهم ودعاتهم إلى يوم الدين ومن أجل الصفات التي تؤتى ثمارا جمة للدعوة إذا اتصف بها الداعية التقوى .

ويقصد بها كل معانيها من فعل المأمورات وترك المنهيات والتحلي بصفات أهل الإيمان فتقوى الله بشمولها إذا رزق بها العبد فإنها تنير القلب وتفتح المدارك ويستنصر بها مواطن الحق ويهتدي بها إلى الوسائل والأساليب الصحيحة الملائمة للظروف والأحوال والأشخاص.

فصاحب التقوى في معية الله تعالي " قال تعالى : **"(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)** "(1) :

---

1 - (المستدرك ك / العلم 1/ 229 ح 446 وقال : صحيح على شرط الشيخين وفيه توقيف ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى التلخيص على شرطهما .

والحديث عن التقوى مبثوث في أرجاء السنة النبوية المطهرة وكذلك في أحاديث المستدرك.
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: « التقوى وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: « الأجوفان: الفم والفرج »(2)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

التقوى من أهم الأسباب المقربة من الله تعالي وهي طريق الجنة وفيه عناية الصحابة بالسؤال عن الجنة وما يقرب منها ، وعن النار وما يباعد عنها ، والرجوع إلى النبي عليه الصلاة والسلام في أمور الفتوى ، مع وجود أسباب شرعية للرحمة والعذاب ، وضرورة الفقه في الدين لكي ينال الإنسان رضي الله تعالي في الدنيا والأخر، ويعلم ما يضره وما ينفعه وما يصلحه وما يهلكه .
خطورة الفم والفرج ، وفي التعبير بهما بلاغة وفصاحة من الرسول صلي الله عليه وسلم ، فبداية نلاحظ الكناية عن أكل الحرام والزنا ، وفي التعبير بالفم أيضا ، يحتمل أن يراد به آكل الحرام ، وشهوة البطن كلها طريقها الفم ، ويحتمل الغيبة والنميمة ، وشهادة الزور وكل أعمال اللسان فهي كثيرة جدا قد ينجو الإنسان من بعدها ويقع في الأخرى ، لكن النبي صلي الله عليه وسلم عبر في إيجاز بالفم الفرج .

رابعها : التواضع :-

إن الدعاة هو أحوج الناس للين الجانب وإبداء التواضع للناس ذلك لأنه لشدة حرص الدعاة على هداية الخلق يتواضعون على من هم أدنى شأنا وأقل مكانة وهم يقصدون بذلك استمالة القلوب إليهم وترغيب الناس في الدعوة.
وقد جبلت النفس البشرية علي حب من يحسن إليها ويترفق بها ويتواضع في التعامل معها،ولو كان هو من كان فالناس لا يقبلون من يستطيل عليهم أو يبدو منه احتقارهم واستصغارهم ولو كان ما يقوله حقاً وصدقاً ، بلى إن الاستعلاء سبب ظاهر في كره الحق ورفضه وعدم قبول دعوته ولو كان فيها الخير فأي خير بمذلة وتعال لا تقبله النفس ولو كان معروفا تحتاج النفس إليه .
وفي الحديث : " إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد ... "(3)
وفي الحديث : " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم " (4)
فالفضل من الله ومن تحدث إلى الناس فليتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه والعلم نعمة ومنة من الله تعالي شكره يكون بحمد المنعم سبحانه ، والتواضع في توصيل العلم إلى الناس وإبلاغهم بدعوة الله تعالي في أدب وتواضع .

---

1 - (سورة النحل الآية 128)

2 _ المستدرك ج18/ 294 باب أكثر ما يدخل الناس الجنة وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه

3 - المستدرك للحاكم ك/ الإيمان 104/1 ح 18 وقال : قد احتج مسلم بصالح بن أبى صالح السمان ووافقه الذهبى .

4 - المستدرك للحاكم ك/ الإيمان 150/1 ح 166 ولم يعقب عليه وأورده الذهبى فى التلخيص سندا ومتنا وسكت عنه .

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
مـا رواه الحـاكم بسنده عن عبد الله بـن أبـي إمامـة عن أبيـه قـال : قـال رسـول الله صـلـى الله عليـه وسلم:(1)البذاذة من الإيمان البذاذة من الإيمان) (2)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

محاسبة الإنسان علي الظاهر والباطن وفق ما جاء في الدين مع بيان مكانـة التواضـع وأنـه عبـادة لله تعالي وأن تواضع المسلم في مظهره رفعة في إيمانه ، وتأكيد النبي علي أمر التواضع لأهميته الدينيـة .

خامسها- الحلم والأناة:

إن طريق الدعوة طريق لاشك يحتاج ممن يمارسه إلى سعة صدر وسعة أفق وتصبر على ما يجرى من المدعوين والداعية أحق الناس بالصفح وعدم التعجل والأناة .

والحلم هو كظم الغيظ وسعة الصدر وانشراحه والصبر على إيذاء الناس وجهلهم ، وتحمل من يجهل من الناس وعدم رد السيئة بالسيئة وبذل ما في الوسع من الصبر .

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه بسنده عن أسـامة بن شريك رضـي الله عنـه قـال : شـهدت رسول الله صـلـى الله عليـه وسلم والأعراب يسألونه قالوا : يا رسول الله علينا حرج في كذا الأشياء ليس بها بـأس ؟ فقال: عبـاد الله إن الله وضع الحرج إلا من اقتراف من عرض امرئ مسلم ظلماً فذلك الذي حرج وهلك فقالوا ؟ نتداوى يا رسول الله ؟ قال: نعم تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داء إلا لـه دواء غير داء واحد قـالوا يـا رسول الله ما هو ؟ قال : الهرم .... " الحديث(3)

وقد تميز النبي صلي الله عليه وسلم بحلمه وعفوه حتى في أصعب الموقف التي تعرض فيها للخطر ،عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : قال : قاتل رسول الله صلى الله عليه و سلم محارب خصفة بنخل فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه و سلم بالسيف فقال : من يمنعك مني قال : الله قال : فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال : من يمنعك قال : كن خير آخذ قال : تشهد أن لا إله إلا الله و أني رسول الله قال : أعاهدك على أن لا أقاتلك و لا أكون مع قوم يقاتلونك قال : فخلى رسول الله

1- البذاذة : رثاثة الهيئة والثياب . والمعني: التواضع في اللباس والمظهر وترك التبجح به ، وقالوا : هيئة بذة صاحبها فقير الحال لسان العرب 477/3

2-رواه الحاكم ك/ الطب 1/ 104 ح 18 وقال : صحيح الإسناد فقد رواه عشرة من أئمة المسلمين وثقاتهم ووافقه الذهبى فى التلخيص .

3 - (الحاكم في المستدرك كتاب الطب - 441/4 برقم 8373 وقال صحيح وأورده الذهبي وقال صحيح رواه عشرة من أئمة المسلمين عن زياد.

صلى الله عليه و سلم سبيله فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس .....الحديث "([1])

من فقه الدعوة في الحديثين الشريفين :-

* حلم النبي صلي الله عليه وسلم في الرد علي السائل أين كان هو، وأين كان سؤاله، و أولى بالدعاة أن يلتزموا الخلق الحسن والحلم مع الناس للوصول إلى الثمرة المرجوة من الدعوة، فخلقه صلي الله عليه منهج للدعاة من بعده كي يحققوا الخير في دعوتهم مع المدعوين كما كان في زمن النبي صلي الله عليه

* وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم يحلم علي من يجهل عليه من الناس مسلمين وغير مسلمين ، حتى كان بعض الناس يتجاوزون في تعاملهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي يستحي من دفع الأمر عن نفسه، وكان الله تعالي هو الذي يدفع الأمر عن النبي بما ينزل في القرآن الكريم من آداب وتعاليم تأمر المسلمين بالتزام سلوك معين مع الرسول صلي الله عليه وسلم، والأمثلة كثيرة منها ما جاء في سورة الحجرات، في قضية رفع الصوت في حضرة النبي صلي الله عليه وسلم ،و أدب الحديث مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وما جاء في سورة الأحزاب حول قضية الضيافة في بيت النبي صلي الله عليه وسلم، وإطالة الجلوس وانتظار الطعام إلى غير ذلك والأمثلة علي ذلك كثيرة في القرآن الكريم ،وإذا تجاهل الداعي والمدعو فما الفرق بين الاثنين وما الخير الذي يبتغي من وراء الجهالة , فالحلم والأناة مع الجاهل تجعله يفكر في إصلاح حال نفسه، والتزام سلوك الصالحين ولو بعد حين ،ولولا حلم الداعي الأول صلي الله عليه وسلم ما كان الناس وما وكان الإسلام ، والمواقف في ذلك أكثر من أن تحصي .

---

1 - المستدرك للحاكم كتاب المعزي والسرايا ج31/2 برقم 4322هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ط- دار الكتب العلمية الطبعة الأولي 1411--- 1990تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

المبحث الثاني
معالم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية

للحكمة في الدعوة معالم لا تخطؤها العين ،وإشارات تدل عليها، وعلامات يستدل بها،في بيان أن هذا الأسلوب حكيم أم لا فإن ظهرت هذه المعالم فهذا الأسلوب حكيم وإن غابت أو افتقدت فقد تاهت الحكمة من الدعوة وضلت طريقها إلى المدعو، ويقصد بالأساليب، ما يستخدمه الداعية من صيغ وطرق يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دين الله إلى الناس وتبصيرهم بما ينفعهم وما يضرهم في الدنيا والآخرة .

إن الشأن في الداعية انه كالوالد لوالده ، يترفق به ويحنو عليه ، ويرشده الي الخير

وفي سبيل تحقيق ذلك يجب على الداعية مراعاة سبلا مؤهلة لذلك منها :

المعلم الأول: الكلم الطيب :

إن الداعية تاجر يسوق بضاعته بالترغيب فيها والدعوة إليها والنداء لها والتاجر يغرى المشتري ويجلبه بحسن العرض إلى تجارته ،بأفضل أسلوب، وأولى الشواهد حسن العرض هو بطيب الكلمة وجمال الدعوة .

والكلمة الطيبة باعثة علي الخير دائما، وكثيرا ما تجد قبولا في نفس المدعو وسرعة استجابة ،علاوة علي ما يتبع ذلك من خير ونفع للدعوة وليس هناك أدق من تعبير القرآن عن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة التي ينعم الناس بظلها وثمارها، وقد امرنا الله تعالي بالقوال الحسن للناس فهذا الخلق من الإسلام قال الله تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي

الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ } (1)
" قال عطاء في تفسيرها ، فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحقيقي ، وقال عبد الله ابن عباس لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه خيراً وفي رواية عنه " لو قال لي فرعون بارك الله فيك لقلت له وفيك " وقال القرطبي : هذا حض على مكارم الأخلاق فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليناً ، ووجهه منبسطاً طلقاً مع الفاجر والقريب الغريب من غير مراهنة " (2)
وكيف لا يترفق الناس ببعضهم ويحنو بعضهم علي بعض ، وقد أمر الله تعالي نبيه الكريم موسى عليه السلام بالرفق واللين مع الطاغية الظالم المجترئ علي الله تعالي ، والذي تعدي علي مقام الألوهية ورغم ذلك قال الله تعالى لنبيه موسى وهارون عليهما السلام : "
(فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (3)
وتأمل كيف كان كل نبي يقول لقومه " يا قوم " يتألفهم بذلك وتذكيراً بأواصر القربى ومواطن الحب والشفقة ، كما قال تعالى عن نبي الله إبراهيم وهو يدعو أباه " **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً**)(4) " يترفق مع أبيه بعد أعراض أبيه عنه وشدته في الرد وغلظته في التعامل مع ولده إبراهيم عليه السلام .
"فحق الأبوة يفرض عليه ألا يناديه باسمه مجرداً ثم لا يناديه : يا أبي ... ولكن يا أبتي وما في زيادة المبني من زيادة البر والمودة ثم يكررها في كل نداء ... ولعله عليه الصلاة والسلام بهذا التودد أن يخفق من حدة والده ثم ليفرض عليه قدراً من الإحراج يمنعه من مبادرته بالعنف ... إن لفظ الأب ليثني بالوقار والاحترام ثم الشفقة والرحمة أن يكون من الضالين "" (5)
وانظر لقول رسول الله ρ لقومه وهو يدعوهم : "إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتم ولو غررت الناس ما غرتكم " (6)

المعلم الثاني : التلميح والتعريض :
ليس للداعية سلطان قسر أو ضغط أو سلطة على المدعو من هنا فيجب أن يمسك الداعية زمام الدعوة بيديه ، فهو متحكم بزمام حبل الدعوة، يرخي ويشد كلما احتاج الأمر فهو يعرض من باب قوله : إياك أعنى واسمعي يا جارة أو من باب قوله " ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، فإذا تعدى ذلك بذكر الأسماء وحدد الأشخاص فقد أفلت الزمام وذهب الداعية إلى طريق من الصعب أن يعود منه .
والداعية الفطن هو الذي يجنح إلى استعمال التعريض والتلميح دون التصريح الباعث علي الإحراج والتجريح .
" فالتصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم والتبجح بالمخالفة ويهيج على الإصرار والعناد ، أما التعريض فيستميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية والبصائر اللماحة قيل لإبراهيم بن

---

1 – سورة البقرة الآية 83 .
2 - (القرطبي جـ 2 / 16 ،)
3 – سورة طه الآية 44
4 – سورة مريم الآية 42
5 - (أصول الدعوة من قصة إبراهيم عليه السلام ص 36 د / محمود عمارة)
6 - (سبل الرشاد جـ2 / 322)

أدهم : الرجل يرى من الرجل الشيء أو يبلغه عنه أيقوله له : قال هذا تبكيت ولكن يعرض "(1) فر فع الحرج عن الناس والستر عليهم ومعالجة الخطأ بأقرب طريق موصل إلى الصواب من آداب الإسلام ، وأقرب إلى بقاء الود والصلة بين الداعي والمدعو و احتمال رد الفعل فيها ضعيف في حين أن التصريح والتجريح قد يدفع إلى استخدام المدعو إلى أحد الردود التي يراها مناسبة من وجهة نظره، وربما كانت بداية النهاية بين الداعي والمدعو، لذا فإن مراعاة الجانب النفسي والشعوري عند المدعو منهج إسلامي ينبغي إتباعه .

وكل ذلك من أجل رفع الحرج عن النفوس استثارة داعي الخير فيها كيف والتعريض سنة محفوظة عن النبي ρ في مخاطبة أصحابه عند الخطأ : ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا " (2)

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن سمرة بن جندب رضي الله عنه في حديث الكسوف إن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : أما بعد فإن رجالاً يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء ومن أهل الأرض وأنهم كذبوا ولكن آيات من آيات الله يفتن بها عباده ... " (الحديث) (3)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف : -

استخدام أسلوب التلميح منهج نبوي وقد استخدام كلمة رجالا غير المعرفة حتى تتسع دائرة الاحتمال و تنصرف الموعظة إلى واحد معين أو جماعة بعينها.

القضية التي يعالجها صلي الله عليه وسلم قضية اعتقاد ومن اخطر القضايا ومع ذلك فالمنهج النبوي الكريم يترفق مع المدعوين .

والتعبير بكلمة يزعمون ألطف من كلمة يعتقدون رغم أن الأمر متعلق بالاعتقاد، ولو قال يعتقدون لكن محقا لكن وقع الكلمة اشد وتهمة العقيدة وقعها قوي، وقد استخدم في معالجة الأمر وتصحيح الاعتقاد بإسناد الأمر كله لله تعالي .

المعلم الثالث : النصيحة لا الفضيحة:

إن الداعية الفطن لا يفضح المدعو ولا يدعوه جهارا ولا يدعوه بما يكره ولا يدعوه بالتصريح بعيبه أو جرمه أو التشهير بل يكون نصحه خالصا لوجه الله تعالى لا يقصد به شهرة نفسه ولا التشهير بغيره

وأصل النصح في اللغة : الخلوص،يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع(4)

والنصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها والنصيحة هي المقصود الأعظم من الدعوة وإن لم تكن الدعوة كلها : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن الدين النصيحة .ثلاثاً، ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ ، قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (5)

---

1 - (مفهوم الحكمة ص 36)

2 - البخاري ك أبواب المساجد باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد 159/1

3 - (المستدرك ك / الكسوف 1 /441 ح 1260 وقال على شرطهما ووافقه الذهبي .

4 - (معالم السنن جـ4 / 117 دار الكتب العلمية بيروت)

5 - (مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة 74/1

قال النووي هذا حديث عظيم الشأن كذلك النصيحة لا تؤتي ثمارها إلا إذا كانت سراً قال الشافعي : " من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه " (1)
" ولا يكاد يفرق بين النصيحة والتعيير إلا النية والباعث والحرص على الستر يقول الفضيل : " المؤمن من يستر وينصح والمنافق يهتك ويفضح ، قالوا : " من أمر أخاه على رؤوس الملأ فقد عيره " (2)
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن النبي صلي الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة : إذا توضأت ثم دخلت المسجد فلا تشبكن بين أصابعك " (3)

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

توجيه النصح في حينه وعدم السكوت علي الخطأ ونلحظ التعبير النبوي الدقيق باستخدام ألفاظ غير مباشرة أثرها أيسر علي النفس كقوله إذا توضأت ولم يقل له أنت متوضئ تفعل كذا أو كذا وهو خطأ ،وإنما عبر بطريقة مقبولة ،كأن الخطأ غير واقع وصاحبه غير متلبس به ، فكان أيسر في قبوله .

المعلم الرابع : أدب التعامل :

كان الكلام سابقاً على الحكمة في القول والمخاطبة وفي هذا المعلم ينتظم الحديث في بعض ما ينبغي من آداب التعامل مع المدعوين وخاصة إذا ظهر عليهم ما يستحق التنبيه ويستوجب الملاحظة والتغيير.
ولكن بالرفق واللين وتجنب الشدة والتنفير واستخدام أسلوب الترغيب والترهيب .
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس : " أن رجلين من أهل العراق أتياه فسألاه عن الغسل يوم الجمعة أواجب ؟ فقال ابن عباس لهما : من اغتسل فهو أحسن وأطهر وسأخبركما لما بعد الغسل كان الناس في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم محتاجين يلبسون الصوف يسقون النخل على ظهورهم وكان المسجد ضيقاً مقارب السقف فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الجمعة في يوم صحائف شديد الحر ومنبره قصير إنما هو ثلاث درجات فخطبي الناس فعرق الناس في الصوف فثارت في أبدانهم ريح العرق والصوف حتى كاد يؤذي بعضهم بعضاً حتى بلغت أرواحهم صلي الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال : أيها الناس إذا كان هذا اليوم فاغتسلوا وليمسن أحدكم أطيب ما يجد من طيب أو دهنه "(4)

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :

التعريض بالكلام العام وعدم ذكر الشخص أرفق في قبول النصيحة واستحباب التطهر والتطيب يوم الجمعة والنهي عن كل ما يؤذي المسلم والحرص علي إقالة العثرات للمدعوين وتلمس المعاذير و التلطف في النصيحة خاصة إذا كانت في الشأن العام وخلط الرغبة بالرهبة حتى تقبل النصيحة

---

1 - (المنهاج للنووي جـ 2 / 24)

2 - (مفهوم الحكمة في الدعوة ص 39)

3 - (المستدرك ك / الصلاة ب / مواقيت الصلاة 314/1 ح 769

4 - (المستدرك برقم 1066 وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي)

وتسهل في نفس المدعو وفي هذا يقول الإمام أحمد : "كان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون مهلاً **رحمكم الله " (1)**

المعلم الخامس : المداراة :

" والمداراة صورة من صور التعامل الدال على الحكمة والموصل إلى المقصود مع حفظ ما للداعي والمدعو من كرامة ومروءة "(2)

قال ابن بطال : " المداراة من أخلاق المؤمنين وهي خفض الجناح للناس وليس الكلام وترك الإغلاظ وذلك من أقوى أسباب الألفة ، قال : وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة والفرق أم المداهنة من الدهان : وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه وفسرها بعض العلماء بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو عليه من غير إنكار عليه " (3)

فالمداراة هي تضحية من أجل الدين بعيدة عن النفاق و الكذب قد تكون بنوع التعبيرات التي تحمل المدعو إلى الخير وتدخل السرور علي نفسه وتقرب بينه وبين المدعو وترفع الحواجز بينهما .

قال ابن حجر : المداراة هو بذل الدنيا لصلاح الدنيا والدين وهي مباحة مستحسنة في بعض الأحوال ، خلاف المداهنة المذمومة المحرمة وهي بذل الدين لصلاح الدنيا – ذكره عند القاضي عياض "(4)

" قال الحسن رحمه الله : كانوا يقولون : المداراة نصف العقل وأنا أقول هي كل العقل " (5)

فالمداراة يقصد بها جمع الناس على الرضا والتآلف في حدود ما فرض الله" أن يكون وهي لا تمنع قضاء بالعدل ولا تحجب نصيحة بالرفق ، وينبغي أن يعلم أن لذكاء الرجل وحكمته مدخلاً أيضاً في فقه المداراة وحسن استخدامها وطريقة الإفادة منها وقد يكون للتنوع في طبقات الناس تنوع في مداراتهم فمداراة المنحرف عن الحق لسوء الفهم أو خطأ في ظن ، أكبر من مداراة من يحارب الحق والفضيلة ... ، ومداراة من يرجى رشده وصلاحه أكبر من مداراة من شب متمادياً في الانحراف ولؤم الطبع حتى يوشك أن ينقطع أملك في إصلاحه واستقامة أمره " (6)

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن أبي ثعلبة الخشنى رحمه الله أنه أتى النبي صلي الله عليه وسلم فقال : قلت يا رسول الله إنا بأرض أرضنا أهل كتاب يشربون الخمور ويأكلون الخنازير فما ترى في آنيتهم وقدورهم ، فقال : دعوهم ما وجدتم عنها بدا ، فإذا لم تجدوا عنها بدا فاغسلوها بالماء أو قال أنضحوها بالماء ثم قال : اطبخوا فيها وكلوا "(7)

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف:-

التيسير لا التعسير والتبشير لا التنفير هو مبدأ الداعي مع المدعو وهو شعار دعوة الإسلام وفيه شاهد لقاعدة " إذا ضاق الأمر اتسع "وفيه شاهد لقاعدة " الضرر يزال ولا يزال بضرر مثله ".

---

1 - (مفهوم الحكمة في الدعوة ص 42)

2 - (مفهوم الحكمة في الدعوة ص 43)

3 - (فتح الباري جـ1 / 445 ط دار الريان سنة 1407 هـ)

4 - (المصدر السابق جـ10 / 469)

5 - (مفهوم الحكمة ص 45)

6 - (مفهوم الحكمة ص 47)

7 - (المستدرك برقم 514 وفيه قال : قال حماد وأحسبه قال : واشربوا وأورده الذهبي في التلخيص سنداً أو متناً وسكت عنه .)

الإذن بسلوك المدارة لإنشاء قاعدة اجتماعية عريضة بين أفراد المجتمع وتجنب الصدام مع الآخرين ،وتيسير حركة الحياة في حدود ما سمح به الشرع في التعامل مع الناس .،سلوك المداراة مأذون فيه لأن الإنسان للاجتماع لا للعزلة ، وللتعارف لا التنكر ،والإسلام يدعو الناس الي الاجتماع والتعاون والتقارب ، لذا فالمدارة تفتح بين الناس بابا من التعاون والتسامح وتجنب النزاع والشقاق,والنفاق .
جوازا استعمال آنية الكفار ولو كانت مما يستخدم في المحرم مع تطهيرها تيسرا في قاعدة التعامل معهم.
فالمدارة لا تمنع من النصيحة والتوجيه ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ علي يد المعتدي ، ودعوة الناس إلى دين الله تعالي فهي لا تعطل شيئا من هذا، وإنما تراعي ظروف وأوقات وأحوال المدعوين،وتوصي بالرحمة بهم في تعليمهم أمور الدين .
وخلاصة القول أن : " المداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك " (1)

المعلم السادس : إقالة العثرات والغض عن الأخطاء :
إن أكثر المدعوين بل كلهم أصحاب أخطاء وذنوب بل وخطايا وكذلك المدعوين، فما من مجتمع إلا وتكثر أخطاؤه فالمجتمعات المثالية لا وجود لها في عالم الواقع .
وإن غض الطرف عن أخطاء المقصرين من الحكمة ما دام يقود إلى إصلاحهم ، وإقالة عثرات العاثرين إذا كانوا كراماً ذوى هيئات وإن كان ذلك سبيلاً إلى دفنها وتقليلها ،
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن جبير بن نفير : أن عياض بن غنم الأشري وقع على صاحب داراً حين فتحت فأتاه هشام ابن حكيم فأغلظ له القول ومكث هشام ليالي فأتاه معتذراً فقال لعياض : ألم تعلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة اشد الناس عذابا للناس في الدنيا فقال له عياض : يا هشام إنا قد سمعنا الذي قد سمعت ورأينا الذي رأيت وصحبنا من صحبت ، ألم تسمع يا هشام رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده وليخل به فإن قبلها وإلا كان قد أدى الذي عليه والذي له " (2)
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن عكرمة بن أبي جهل لما انتهى إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد أعطاه الأمان ، "قال: لما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قلت : يا محمد إن هذه أخبرتني أنك أمنتني فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أنت آمن فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنت عبد الله و رسوله و أنت أبر الناس و أصدق الناس و أوفى الناس قال عكرمة : أقول ذلك و إني لمطأطئ رأسي استحياء منه ثم قلت : يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكها أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو موكب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك قلت يا رسول الله مرني بخير ما تعلم فأعلمه قال : قل أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و تجاهد في سبيله ثم قال عكرمة : أما و الله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله و لا قاتلت قتالا في الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله ثم اجتهد

---

1 - (فتح الباري جـ1 /445 من كلام ابن بطال رحمه الله)

2 - (المستدرك برقم 5347 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد مر في الدعوة الفردية)

في القتال حتى قتل يوم أجنادين شهيدا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه و قد كان رسول الله ρ ا ستعمله عام حجته على هوازن يصدقها فتوفي رسول الله صلى الله عليه و سلم و عكرمة يومئذ بتبالة . "(1)

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

رحمة الإسلام في التعامل مع الخطاءين الراجعين إلى الدين والصبر علي المدعوين قد يأتي بالفرج والنصر للدين ولو بعد حين وعدم اليأس من المذنب ومحاولة علاجه مهما بلغ ذنبه، وإعطائه الأمان قبل الإيمان فدخول المدعو في الإيمان وهو آمان غير خائف و لا مكره علي اعتناق الدين يكون له أعظم فائدة ونفع للدين ويبعد معه الردة، بخلاف ما لو اكره الإنسان علي شيء تحت وطأة ظرف معين ، سرعان ما ينقلب عنه بعد زوال الخوف عنه .

ثمرات الرحمة ودروس الكرم في مدرسة النبي صلي الله عليه وسلم لا تنهي ، فقد أورثت المدعوين الحياء والخجل والطاعة وطلب الهداية و المغفرة للمدعو قد يفتح قلبه للإيمان والصدق مع الله تعالي ،مع بيان فضل الإقرار بكلمة التوحيد، والجهاد في سبيل الله تعالي فالشهادة نطق باللسان، والجهاد خير برهان علي صدق الإيمان ، وهل هناك برهان بعد بذل النفس والمال، وكان من نتيجة ذلك صدق عكرمة في الوفاء بالعهد الذي قطعه علي نفسه مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ،والذي قام به إلى أن لقاء الله تعالي .

وعلي المسلم أن يذل ويجاهد بالقول والعمل لنصرة دين الله إلى نهاية الحياة .

فهذا هو عكرمة الذي لما دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم مكة أهدر دمه فلما دخل مسلماً غفر له كل الزلات والعثرات بل في رواية عن غير الحاكم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال للصحابة : " يأتيكم عكرمة أبن أبي جهل مؤمناً مهاجراً ، فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذى الحي ولا يبلغ الميت " (2) ولعل هذا من دلائل النبوة وإعجاز الرسول صلي الله عليه وسلم الذي أخبر بإيمان عكرمة قبل وقوعه .

فالأسلوب الدعوى الحكيم هو الأسلوب الذي يضع الشيء في مواضعه أو الذي يوصل إلي الصواب في القول والعمل، وهو الذي بعث الله تعالى به الرسل من أجل بيانه وتعليمه.قال تعالى: **" هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** (3)

كما أن الداعية لا يكون حكيماً في دعوته إلا بفهمه لأصول دعوته وفهمه لترتيب الأولويات وتقديم الأهم على المهم في الدعوة إلى الله ، كأن يقدم أمور العقائد على غيرها من أمور العبادات والأخلاق وأن يقدم الدعوة إلى الفروض والواجبات على الدعوة إلى النوافل والمندوبات ، وأن يدعوا إلى اجتناب المحرمات قبل المكروهات وأن يقدم المصالح العامة على الخاصة عند التعارض وأن يهتم بالضروريات قبل الحاجيات ... وهكذا ، والتدرج بالمدعو عند تطبيق تلك الأولويات ، مع مناسبة المنهج والوسيلة والأسلوب للأحوال والأعمار والمستويات بذلك يكون الداعي في مأمن من الخطأ والعثار بإذن الله .

نماذج من الحكمة في دعوة النبي: ρ :

---

1 - (المستدرك ك /معرفة الصحابة ب / ذكر مناقب عكرمة 3/ 1508 ح 5131 ذكره ولم يعلق عليه .

2 - (كنز العمال جـ7 / 75)

3 – سورة الجمعة الآية 2

تمثليء سيرة النبي الخاتم بمواقف عده تظهر حكمته في الدعوة إلي الله تعالي:
كما في بدء الدعوة إلي الله تعالي بصورة فردية, و طريقة عرضه للدعوة علي جبل الصفا, و كذا موقفة صلي الله عليه و سلم من مبعوث قريش – عتبة بن ربيعة – زعيم بني أمية ليعرض علي رسول الله أمورا لعله يقبلها و يعرض عن الدعوة التي يدعو الناس بها فاستقبله النبي صلي الله عليه و سلم بمنتهي الحكمة قائلا له: يا أبا الوليد اسمع فأخذ عتبة يعرض المال و الشرف و الملك و الطب و رسول الله صلي الله عليه و سلم يسمع له دون أن يقطع حديثة, فلما انتهي قال له النبي صلي الله عليه و سلم: أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم , قال : فأسمع مني , و اخذ يقرأ قوله تعالي : (حم* تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (فصلت:3)
إلي أن انتهي من السجدة فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت و ذلك. و كذا حكمته صلي الله علية و سلم في الدعوة إلي الله تعالي مع المخطئين من المدعوين: كموقفة مع الأعرابي الذي تطاول عليه ([1]), و موقفه مع الأعرابي الذي أراد قتله ([2]) و كذا الأعرابي الذي بال في المسجد ([3]) و موقفه مع الشاب الذي استأذنه في الزنا ([4])
و هذه المواقف العملية في الدعوة اتخذ فيها الرسول صلي الله علية و سلم أسلوب الحكمة و معالجة الأخطاء بالرفق و اللين مع الجاهل و تعليمه ما يلزمه حين يرتكب المنكر من غير غلظة و لا فحش و لا تعنيف و لا سب و لا إيذاء و لا تشديد, فهناك مواقف أخري اتخذ فيها أسلوب الحكمة المصحوبة بالحزم و الشدة حين يصل الأمر إلي الاعتداء علي حق من حقوق الله تعالي أو علي حق من حقوق العباد, كما في قصة المخزومية التي سرقت فقطع يدها, و موقفة من التعريض بالآخرين, و موقفة من الإساءة للخادم و ارهاقه بالعمل, و موقفه مع من شق علي الناس في إمامته .
و من خلال هذه المواقف الدعوية و التربية في ميدان العمل الدعوي أقرت السنة النبوية أسلوب الحكمة كأداة من أدوات الدعاة في مسيرتهم العملية للدعوة إلي الله تعالي و الأحاديث النبوية لا تقر العنف و لا الغلظة و لا الشدة و لا الغلو في فهم الدين و تطبيقه ،وان الدعوة إلي الله تعالي لم تدع لسفك الدماء و استحلال الأعراض و الأموال و لم تعترف بالاعتداء علي الأبرياء و ترويع الآمين فالعنف لا يأتي بخير ،بل يؤثر سلبا علي الدعوة و الدعاة اكثر من العنف , أما إذا كان من اجل إقرار حق من حقوق الله تعالي أو العباد فهو أمر مشروع كما وضح من المواقف السالفة الذكر.
و الداعية الحكيم الذي تصدر من فمه الحكمة تكون حسب مواقف المدعوين من الدعوة, فإذا كان المخاطب من المعاندين الصادين المستكبرين فمن الحكمة أن توصف الكلمة بالقسوة و القوة يقول الله تعالي لنبيه صلي الله عليه و سلم: و لسائر من يدعو إلي الله تعالي: (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)([5])...
و إذا كان المخاطب من المستيقنين فمن الحكمة أن توصف الكلمة بما يشرح الصدر و يريح النفس فالتنوع من شدة أولين أو بشارة أو نذير أو ترغيب أو ترهيب حسب مقتضيات الأحوال.
أذن فلابد من الداعية الحكيم في تبليغ دعوته من الالتزام بما يلي :
أولا :- مراعاة أحوال المدعوين و طبيعة نفوسهم

---

2 - صحيح البخاري 189/7.

1 – المستدرك علي الصحيحين للحاكم النيسابوري ك المغازي والسيرايا 31/3 ، ح 4322 ، حديث غورث بن الحارث عندما اراد قتل النبي صلي الله عليه وسلم . ط –دار العلم بيروت لبنان .

2 - فتح الباري 325/1, صحيح مسلم 191/3. 192

3- مسند الإمام احمد 226/5

5 – سورة الفرقان من الآية 52

ثانيا:- مراعاة قدرات المدعوين و مخاطبتهم علي قدر عقولهم

كما في الحديث: (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله و رسوله)[1] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله : ρ (ما أنت محدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة)[2] ، وفي المستدرك للحاكم (كفى به إثما أن يحدث بكل ما سمع)[3] وفي المستدرك ايضا نهي صلي الله عليه ان يحدث بكل ما سمع (كفى بالمرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع)[4]

ثالثا : - مراعاة مقتضي الحال بأن يناسب كلامه و قضاياه المطروحة مقتضي الحال و أن يكون ملائما لما تدعوا إليه حاجة المدعوين و أن يتخير الوقت المناسب للدعوة

رابعا :- عدم الخوض فيما لا إثم و لا ضرر في تركه اتقاء الفتنة

خامسا :- عدم التسرع بالفتوى و إبداء الرأي حتى يقف علي دليله و برهانه.

سادسا :- ضرورة استغلال الأحداث و المناسبات فرصة مواتية لمعالجة قضايا و طرح موضوعات قد لا تتاح للداعية بدونها كبعض السنن الكونية (كالزلازل و البراكين و الأعاصير أو الخسوف و الكسوف و نحو ذلك بضرورة ربط هذه السنن بأنها ظاهرة كونية و التذكير بالله تعالي.

سابعا :- سعة الصدر لكافة الآراء المعروضة ايجابية و سلبية – فان ذلك يكسب الداعية الثقة و التقدير بجميع المدعوين و يضمن له أن يستمع له خصمه و يتسع صدره لوجهه نظره كما انه درس في احترام الخصم و تقديره و هذه نقطة انطلاق لإجبار الخصم علي احترام الداعية و الانصات له .

---

1 - رواه الإمام علي ابن أبي طالب (صحيح البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا) 44/1. هامش

2 - أورده ابن عبد البر في جامع بيان العلم و فضلة 134/1

3 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك العلم 195/1 ح 381 . ط دار العلم . تعليق الذهبي قي التلخيص : ذكره مسلم في خطبة صحيحة

4 - المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك البيوع 25/2 ح 2196 ط دار العلم تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح وآباء هلال ثقات .

الفصل الثاني

الموعظة الحسنة و أثرها في الدعوة إلي الله تعالي
من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من أربع مطالب:

المطلب الأول :

معني الموعظة وأثرها في خدمة الدعوة الإسلامية

المطلب الثاني :-

الموعظة في القرآن الكريم

المطلب الثالث :-

السنة النبوية المطهرة

المطلب الرابع

أهم سمات الموعظة الحسنة

الفصل الثاني

(الموعظة الحسنة)

ومن أهم الأساليب الدعوية التي اتخذها أنبياء الله تعالي ورسوله صلي الله عليه وسلم كأداة فعالة لتبليغ رسالته وزيوع دعوتهم ، أسلوب الموعظة الحسنة وهذا ما يدفعنا لبيان المطالب التالية :-

المطلب الأول: معني الموعظة:-

إن الشارع الحكيم نوع في أسلوب الدعوة إلي الله تعالي ،على حسب تنوع الناس واختلاف مشاربهم ،فمن الناس من تؤتى معه الحكمة نجاحها،ومن الناس من لا تثمر معه إلا الموعظة ترغيبا وتحبيبا وتخويفا وترهيبا ،و من هنا كان أسلوب الموعظة الحسنة هو الأسلوب الثاني الذي أمرنا الحق جل شأنه بالعمل به في دعوتنا بعد أسلوب الحكمة .

قال تعالي : " **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** "(1) " ووصف الموعظة هنا بالحسنة ، دليل على أن الموعظة كما تكون حسنة ، فقد تكون سيئة ، وذلك بحسب ما يعظ الإنسان به ويأمر به من جهة ، وبحسب أسلوبه في وعظه من جهة أخرى (2) فكل التوجيهات والإرشادات موعظة،وربما كانت هادفة يراد بها الخير ،ربما ساء استخدامها فعادت بالسلب علي صاحبها ، و الإسلام لا يدعو إلا بالحسنى أما المواعظ الأخرى بكل معانيها فلا حاجة للإسلام فيها ، فضرها أكثر من نفعها، وجهلها أكثر من حلمها، وشر أكثر من نفعها .

والموعظة لغة: علي وزن مفعلة من الاتعاظ والانزجار،والوعظ هو: النصح والتذكير بالعواقب يقال السعيد من اتعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره.(3)، وقيل: هي : الوصية والأمر والموعظة اسم منها (المصباح المنير مادة وعظ)، وقيل: التخويف والزجر والتذكير بالخير وما يرق له القلب ويلينه.(4)، وقيل هي من الوعظ أي النصح والتذكير بالعواقب ، تقول : وعظته وعظا وعظة فاتعظ أي قبل الموعظة (5)، وقال الراغب : الوعظ زجر مقترن بتخويف (6) ، "وكلمة الموعظة ليست للتأنيث لأنه غير حقيقي ويدور معناه حول النصح والتذكير بالعواقب ، وهي إلي التحذير اقرب الي النصح "(7).

---

1 - سورة النحل الآية 125 .

2 - (بصائر دعوية ص 72 د / محمد أبو الفتح البيانو ني)

3 - (مختار الصحاح مادة وعظ جـ3 / 1181)

4 - (الأزهري تهذيب اللغة جـ3 / 149 والقاموس المحيط جـ2 / 415)

5 - راجع الصحاح 1181/3

6 - تاج العروس 266/5 .

7 - مناهج الدعوة وأساليبها د- علي جريشة ص 155 .

و الحسنة: "الحسن نقيض القبح, والحسنة خلاف السيئة, و الحسني خلاف السوء" ([1])و" في المعجم الوسيط: الحسنة ضد السيئة من قول أو فعل" ([2])و قال الراغب: "الحسن عبارة عن كل منهج مرغوب فيه و ذلك ثلاثة أضرب:
مستحسن من جهة العقل, و مستحسن من جهة الهوي, و مستحسن من جهة الحسن ، و الحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسة و بدنه و أحواله، و السيئة تضادها و هما من الألفاظ المشتركة" ([3])
و قال الشيخ علي محفوظ: "الموعظة الحسنة تطلق علي القول الحق الذي يلين القلوب و يؤثر في النفوس و يكبح جماح النفوس المتمردة و يزيد النفوس المهذبة إيمانا و هداية" ([4])
ووصف الموعظة الحسنة يعني: "مراعاة الأسلوب و الوقت و الأداة و الوسيلة المناسبة لحال المخاطب.
فالموعظة قد لا تؤثر و لا تحقق هدفها لكونها بغير الأسلوب المناسب أو بغير وصف الحسن و قد تؤدي في بعض الأحيان إلي عكس الهدف منها, فقد ينذر الداعي من يحتاج إلي التبشير, و قد يعد من يحتاج إلي وعيد, و قد يرغب في حالة تستوجب الترهيب و قد يأمر و هو لابد أن ينهي إلي غير ذلك من مخالفات تبعد الموعظة عن صفة الحسن في الأسلوب "([5]) و لكي تتحقق صفة الحسن للموعظة فلابد من توافر:
أولا :- أن تكون صادرة عن إخلاص :
ثانيا :- أن يصحبها إقناع المدعو بأن الباعث علي تقديمها الإيخاء و حب الخير له قبل كل شيء والمصلحة الشرعية والحرص عليه .
ثالثا :- أن تكون مطابقة لحال المدعو بحيث تكون علاجا لمرض أو وقاية من خطر محدق أو توجيها إلي خير يتحلى به
رابعا :- أن تلتزم بالسرية إذا كانت لفرد أو التلميح بدلا من التصريح إذا كانت في جماعة كي لا يثير بعظته من الشر اكثر مما يريد من الخير.
خامسا:- أن تكون القدوة في الداعية أحد عناصرها فأن العظة بالقدوة من أنجح أساليب الوعظ و رب حال ابلغ من مقال .
وفي **الإصلاح** :- لها تعار يف كثيرة يقصد به التوجيه والتوعية من خلال عبر أو عظة أو خطبة آو توجيه مما يراد به الخير للمدعوين انتقيت منها تعريفين :
الأول : " هي مجموعة العبر النافعة والخطابات المقنعة والإرشادات المخوفة ، على وجه لا يخفي على المدعوين أن الداعي يناصحهم بها ، ويقصد بتوجيهها ما ينفعهم وهي في كل أشكالها أمارات ظنية ودلائل إقناعية "(6)

5- الصحاح 2099/5, و تاج العروس 175/9, و لسان العرب 877/2.

6- المرجع المذكور 174/1.

7 - المفردات للراغب ص 118

8 - هداية المرشدين ص 71

9 - فقه الدعوة و الإعلام د.عمارة نجيب ص46

6 - (تفسير ألنسفي جـ1 / 233)

الثاني : هي الدواء الشافي الذي يداوي الجروح وتخفف الآلام ويشفي النفوس : " إن خرجت قلت : أنين من فؤاد مقروح وإن راعت بالحكمة قلت صورة بشرية من الروح فمن منزع يلين فيتنفر بالدموع ويشتد فينزو بالدماء "(1)
وهكذا فالموعظة استعمال الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى كل في موضعه وأمكانه وكل هذا يبتغى به هداية المستمع إلى الطريق القويم والصراط المستقيم.

العلاقة بين الحكمة و الموعظة الحسنة :-
(الحكمة يخاطب بها الداعية عقول المدعوين, أما أسلوب الموعظة الحسنة فأن الداعية يخاطب بها قلوب المدعوين و المخاطبين, و لن تؤثر الدعوة أن وجهت للعقل وحده دون القلب, أو للقلب دون العقل, و إنمايتحقق التأثير في المخاطبين إن وجهت الموعظة الحسنة للقلب و العقل معا, ليقنع العقل, و يتحقق التأثير في القلب و يتحرك الوجدان ،و لهذا فإنه لا غني عن الحكمة و الموعظة الحسنة، و العلاقة وثيقة ووطيدة بينهما و لا انفصال لأحدهما عن الأخر، و هما معا الوسيلة لتقبل النفوس و إذعانها و هي السبيل إلي الوصول للقلوب و إخضاعها فالكلمة الطيبة تعمل في النفوس عمل السحر و الموعظة الحسنة تتخلل القلوب و تؤثر فيها, فتلين الجمود, وتخشع القلوب و تطمئن النفوس). ([2])
وكما أبرزنا أهمية الحكمة في الدعوة إلي الله تعالي, فإن للموعظة الحسنة كأسلوب من أساليب الدعوة أهمية في ميدان العمل الدعوي و عن هذا الأثر يقول ا. د. رءوف شلبي:(طبيعة الكلمة العاطفية الوجدانية هي التي تدخل إلي القلوب برفق و أناة و هدوء فتلطف من حرارة الصدر, و تعمق المشاعر بلطف, و تنعش الوجدان في تؤدة و تدفع إلي استشعار روحانية الدعوة فهي ترطيب لفكر الثائر, و حل عقد التقاليد الصعبة, و إنقاذه من حيرة لا شعورية موهومة, و طمأنينة تسكن ثورة الجموح, و كثيرا ما هديت القلوب الشاردة بالموعظة الحسنة, وإنها مع الطبائع الخيرة أفضل من الزجر و التأنيب و التوبيخ و التجريح) ([3])
و من هنا لا استغناء للداعية عن الموعظة الحسنة لاشتمالها علي الكلمة الطيبة, و الأسلوب الحاني الذي يترك أعظم الأثر في القلوب, و اسمي الآثار في الصدور, فهي تخاطب الوجدان, و تحاكي الشعور, و ترقق القلوب, و تجلي الفؤاد, فتملك علي الجوارح لبها, و تهيئ لها رشادها, فلا تبصر العين, و لا تسمع الأذن, و لا تعمل اليد, و لا تتحرك الرجل الا في طاعة الله و رسوله صلي الله علية و سلم
و ما أحوج دعاة العصر إلي الإقتداء بموكب الأنبياء و الرسل عليهم السلام و اتخاذهم الحكمة و الموعظة الحسنة كأسلوب من أهم الأساليب الدعوية في مسيرتهم العملية لمخاطبة المدعوين ([4])
المطلب الثاني : الموعظة في القرآن الكريم :-
وخير ما يتعلم المسلم منه ويعلم غيره ، في كل المجالات الدينية والدنيوية أفضل المواعظ وأبلغها هو القرآن الكريم ، وذلك لأنه يحوي العبر والعظات كما اخبر بذلك ربنا جل وعلا بقوله :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ**

---

1 - (البلاغة النبوية – للرافعي رحمه الله ص 311)

3 - أسس الدعوة و آداب الدعاة محمد الوكيل ص 65 .

1 - الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ص 284

2- هداية الدعاة د. محمد جمعة ص 189

قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ " (1)، قال المراغي رحمه الله : " القرآن كتاب جامع لكل ما يحتاج إليه الناس من المواعظ الحسنة التي تصلح الأخلاق والأعمال وهو شفاء للأمراض الباطنة وهداية واضحة ورحمة خاصة للمؤمنين من رب العالمين والخلاصة أن موعظة القرآن وشفاءه لما في الصدور من أمراض الكفر والنفاق وجميع الرذائل وهداية إلى الحق والفضائل موجهة إلى أمة الدعوة (وهم جميع الناس) والمؤمنين قد اختصوا بما تثمره هذه الصفات الثلاث من الرحمة لأنهم هم الذين ينتفعون بها "(2)، ولذلك لا عجب أن نرى النبي صلي الله عليه وسلم كان دائماً يكثر من تلاوة سورة ق على المنبر يوم الجمعة بل ربما قرأ بها واكتفى بذلك !! أليس فيها " **(فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)**(3)

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابنة حارثة بن النعمان قالت ما حفظت (ق) إلا من في رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرأ بها في كل يوم جمعة "(4)، وانظر إلى اثر القرآن على القلب والنفس لنري فضل ومكانة الموعظة من خلال كتاب الله تعالي ، فقد ذكر الله تعالي أثر القرآن الكريم علي النفس والجسد لمجرد سماعه من ذلك قوله تعالي : **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** (5)

قال في التفسير : " هذا مدح من الله تعالى لكتابة القرآن العظيم المنزل على الرسول الكريم ... " تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم...الآية أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيالغفار، ، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف " ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله " لما يرجون من رحمة الله ولطفه " (6)

قال ابن القيم : " إذا ردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله قال تعالى :" **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** (7)

إن القرآن الكريم عظاته أحكم المواعظ وأشرفها لأنها جاءت شاملة وأساليبها متنوعة ، تعليمية أحياناً وتأديبية أحياناً عن طريق الوصايا والقصص أو التذكير بالنعم ، ومعرفة خبايا النفوس ، ولو حسن الداعي عرض تلك الأمور بأسلوب بليغ لنفع نفسه وانتفع به غيره من المدعوين أيما انتفاع :

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

---

1 - سورة يونس الآية: (57)

2 - (تفسير المراغي جـ11 / 122 ، 123 بتصريف يسير دار الفكر)

3 - (سورة ق الآية - 45)

4 - (المستدرك ك / الجمعة 1/ 393 ح 1078 وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى فى التلخيص .

5 - سورة الزمر الآية 23

6 - (تفسير القرآن العظيم جـ7 / 60 م 4)

7 - (الفوائد ص 7 "ق 37 ")

ما رواه الحاكم بسنده عن شقيق قال: خطب ابن عباس وهو على الموسم فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر فجعلت أقوال: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله لو سمعته فارس والروم لأسلمت " ((1

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

أولا - ضرورة العناية بكتاب الله تعالي وإرشاد الناس وتوجيهم من خلال مواعظه وأوامره ونواهيه .
ثانيا - التزام الصحابة وتنفيذهم لهذا المنهج النبوي في العمل من خلال كتاب الله تعالي .
ثالثا - شهادة الصحابة بعلو القرآن فوق كل شيء وجعلهم منهج القرآن هو الأساس في الدعوة.
رابعا - اشتمال القرآن الكريم علي وسائل الدعوة والإقناع .
خامسا - إمكانية إسلام بعض المدعوين لمجرد سماع القرآن الكريم ، قبل الشرح والتحليل .
والمتأمل في آيات القرآن الكريم عيل نحو ما سقنا بعضا منها يجد الموعظة الحسنة ليست علي شكل واحد **وإنما هي علي نوعين** : موعظة تعلمية وهي تتعلق ببيان العقيدة والأحكام الشرعية الخمسة (الواجب والحرام والمسنون والمكروه والمباح) مع مراعاة ما يناسبها والحث عيل التمسك بها والتحذير من التهاون فيها .
قال الله تعالي :0 (وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (2)
فهذه الآيات تتضمن بعضا من الأحكام المتعلقة بالأسرة المسلمة كالنهي عن زواج المسلم بالمشركة و المشرك من مسلمة, و إتيان النساء في المحيض, و الأمر بأتيانهن في موضع الحرث, و أحكام الايلاء و الطلاق و ما يتعلق به. و الأسلوب الغالب في بيان هذه الأحكام هو الأسلوب الوعظي الذي يخاطب العقل و القلب معا,و يذكر بالوعد و الوعيد ,و يحرك مشاعر الخوف و الحذر ليبعث في النفس ضرورة الالتزام بهذه الأحكام و المحافظة عليها .
و الداعية الحكيم مطالب بأن يقدم مثل هذه الآيات التشريعية و العقائدية أن يسلك مسلك القران الكريم في عرضه لهذه المواعظ كي يجذب الأسماع و يأخذ بمجامع القلوب و يلينها و الاقتداء بهذه الآيات في التطبيق برغبة و اشتياق
و أما النوع الثاني : المواعظ القرآنية الكريمة فأنة يتجلي بمواعظ التأديب و هذا يكون بتحديد القيم الأخلاقية و أثرها في تربية و تزكية النفوس و القلوب (كالحلم و الأناة و الشجاعة و الوفاء و الصبر و الكرم و الصدق و غيرها)
كما أن في آيات القران الكريم صور متعددة من المواعظ كالترغيب و الترهيب, و الإنذار و التبشير, و الوعد و الوعيد, و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و غيرها و هذه الصور لو أحسن الداعية الحكيم عرضها للناس في ميدان عملة الدعوي لاستمال النفوس و اقنع العقول, و لكي تحقق الموعظة هدفها و تقع موقعها في نفس المدعو **فعلي الداعية مراعاة الأمور التالية** :
أولا :- معرفة الداء قبل وصف الدواء.
ثانيا :- أن يؤديه بؤدية و لطف و رفق.
ثالثا :- أن يختار لها الأسلوب الأحسن .

---

1 - (المستدرك ك / معرفة الصحابة ذكر عبد الله بن عباس 4/ 1825 ح 6400 ذكره ولم يعلق عليه وأورده الذهبى فى التلخيص وسكت عنه .

2 - سورة البقرة الآية 221

رابعا :- أن يتخير الأوقات و ألأماكن المناسبة لإلقاء الموعظة .
خامسا :- وأن يراعي استعداد السامعين و تهيئتهم لسماع الموعظة.
سادسا :- أن يعمل بما يعظ الناس به لان تأثير العمل في النفوس اقوي من التأثير بالقول.و لذا حثت كلمة الوحي الإلهي علي تطابق الظاهر مع الباطن, و القول مع العمل.
سابعا :- ضرورة استغلال الأوقات و الأحداث المؤثرة كالجنائز أو النوازل الكونية ففي مثل هذه المواقف تكون الموعظة اشد تأثيرا لتهيئة المخاطبين لها نفسيا نتيجة تأثرهم و انفعالهم بالحدث الذي وقع أو المصيبة التي نزلت ([1])
وهكذا فمن حوى القرآن بين جنبيه فقد حوى أجمل المواعظ وأكملها وجمع أرفع السبل وأحسنها وملك قلوب المدعوين وناصية تفكيرهم بين يديه يوجههم إلى الخير والهدى والصلاح .

المطلب الثالث : الموعظة في السنة النبوية المطهرة :
إن ما ينطبق على القرآن الكريم وما فيه من أسلوب الوعظ وما يتضمنه من أسلوب إرشاد ينطبق كذلك على السنة النبوية المطهرة ذلك لأنهما جناحا الدعوة الإسلامية بهما تطير حتى تهبط في أرض قبول المدعو ونيل رضاه وإرشاده إلى الطريق المستقيم .
والسنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن وهي غنية بالمواعظ كلها علي اختلاف أشكالها ولقد كانت مواعظه صلي الله عليه وسلم في الذروة من البلاغة والفصاحة وكيف لا وقد أوتى جوامع الكلم مع الذروة والكمال في التقوى وشفافية الروح والنفس والتي تتأثر الموعظة بها ، ولذا كان إذا وعظ أخذ بمجامع القلوب واستحوذ عليها حتى كأنهم يرون ما يرى من النعيم المقيم أو العذاب الأليم ، وهذا الدرجة من اليقين في قلوبهم هي التي أوصلتهم إلى التضحية والبذل بكل ما يملكون من نفس ومال ، من أول لحظة في نهاية أيامهم في هذه الحياة .

منهج النبيρ في الموعظة :
لقد انتهجρ اساليب متوعة للوصول بالمدعوين الي الطريق المستقيم ، متبعا الخطوات التالية :-
أولا :- انتهاج أسلوب القصة: كما في قصة الأبرص و الأقرع و الاعمي ([2])
و المتأمل في سرد هذه الموعظة في شكلها القصصي فيه إيحاء بغرس ثمارها في النفوس عدة أمور لعل من أهمها:
- مراقبة الله تعالي في جميع الأحوال

---

1 - لمزيد من الاستفادة انظر (الذريعة الي مكارم الشريعة) للراغب الاصفهاني ص254, 255, و (الحكمة في الدعوة) ص 483 و ما بعدها, (من ادب الدعوة) الشيخ عطية صقر ص 23 مجمع البحوث الإسلامية سلسلة مفاهيم إسلامية 1981 .

1 - صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب حديث أبرص اعمي اقرع في بني إسرائيل 208/4

- إن الإنسان معرض للابتلاء و الاختبار تارة بالعطاء و أخري بالمنع و علية أن يشكر الله تعالي علي العطاء و يصبر عند المنع و الحرمان
- أن الشكر يؤدي لزيادة النعمة و الجحود سبب لزوالها

و كما في قصه الثلاثة الذين أطبق عليهم فم الغار ([1]) و في هذه الموعظة يلفت النبي صلي الله علية و سلم أنظار المدعوين الي عدة أمور أهمها :

- الإخلاص لله تعالي فهو سر قبول الأعمال و سبب لنجاة المرء مما يتعرض من محن و شدائد
- مراقبة الله تعالي و أثرها في حماية الفرد من ارتكاب المعاصي و الوقوع فيما حرمة الله تعالي
- أن الأعمال الصالحة تنجي صاحبها في الدنيا و الآخرة

ثانيا :- انتهاج أسلوب الحوار و الاستجواب و ذلك بطرح الأسئلة لإثارة الانتباه و تحريك المدارك العقلية , و قدح فطنتهم , و سقيهم المواعظ المؤثرة في قالب الإقناع و المحاجاة .

والأمثلة علي ذلك كثيرة في المستدرك فمنها ، قوله صلي الله عليه وسلم لصحابة عندما سألهم عن الشفاعة قائلا :(أتدرون ما خيرني به ربي الليلة ؟ فقلنا : الله و رسوله أعلم قال : فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة و بين الشفاعة فاخترت الشفاعة قلنا : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها قال : هي لكل مسلم) ([2])

، ومن ذلك ايضا ما ورد في طريقة النبي صلي الله عليه وسلم في السؤال عن اليوم الذي يري الناس فيها الساعة وأهوالها فقد جاء في ذلك ما رواه عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في مسير و قد تفاوت بعض أصحابه في السير فرفع بهاتين الآيتين صوته : { يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد } فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي و عرفوا أنه عنده قول يقوله فقال : أتدرون أي يوم ذاكم ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم قال : يوم ينادي آدم ربه فيقول : يا آدم أبعث بعث النار قال : يا رب و ما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسع مائة و تسعة و تسعون في النار و واحد في الجنة .([3]) وفي رواية عن أنس رضي الله عنه قال : لما نزلت : { يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم } على النبي صلى الله عليه و سلم و هو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه فقال : أتدرون أي يوم يقول الله لآدم يا آدم قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة و تسعة و تسعين فكبر ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه و سلم : سددوا و قاربوا و ابشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في

---

2 - اخرجة البخاري في كتاب البيوع باب إذا اشتري لغيرة بغير آذنة فرض 104/3 , و في الإجارة 119/3 , و في الحرث و المزارعة 138/3

2 - المستدرك للحاكم النيسابوري ك الإيمان 60/1 ح 36 . هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه و رواته كلهم ثقات على شرطهما جميعا و ليس له علة و ليس في سائر أخبار الشفاعة و هي لكل مسلم تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرطهما ط- دار العلم بيروت .

3 - المستدرك للحاكم النيسابوري ك قراءات النبي 254/2 ح 2917 .

الأمم إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذارع الدابة فإن معكم لخليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه يأجوج و مأجوج و من هلك من كفرة الجن و الإنس (1)
ومن ذلك أيضا سؤال النبي صلي الله عليه وسلم للصحابة عن الساعة واخبارها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية { يومئذ تحدث أخبارها } قال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد و أمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل عمل كذا في يوم كذا فهذه أخبارها(2).
وفي طريقته صلي الله عليه وسلم للصحابة لبيان افضل الناس وانهن اربعا فضليات ، بين صلي الله عليه وسلم ذلك بطريقة بسيطة مفهومة لدي الجميع ،فعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خط رسول الله صلى الله عليه و سلم أربع خطوط ثم قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم قال : إن أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم إمراة فرعون مع ما قص الله علينا من خبرها في القرآن { قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة و نجني من فرعون و عمله و نجني من القوم الظالمين } (3)
تلكم أهم الأساليب التي كان يتبعها الرسول صلي الله عليه و سلم في إلقاء الموعظة و هي طرائق متنوعة, و سبل مختلفة, إذ كان صلي الله عليه و سلم لا يختص بأسلوب واحد في إرشاد الناس و هدايتهم, و إصلاحهم و توجيههم, و إنما كان ينتقل بهم من القصة الي الحوار و الاستجواب و من التأثير الخاشع الي المداعبة اللطيفة, و من ضرب الامثال الي التوضيح بالرسم و التمثيل باليد, و من الموعظة بالكلمة الي الاقتداء بالفعل, و من التذكير بالقرآن الكريم الي استجلاء العبرة بأنتهاز المناسبة, و من السؤال المهم الي الأهم, و من النهي بالقول الي النهي بالمشاهدة, و لا يخفي ما في هذا التنوع في ألقاء الموعظة من اثر كبير في ترسيخ المعلومات, و إثارة الفهم و تحريك المدارك و المشاعر لقبول الموعظة و قدح الفطنة و الانتباة لدي المخاطب (4)

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن العرباض بن سارية قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة الصبح ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب و ذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله و السمع و الطاعة و إن أمر عليكم عبد حبشي

---

1 - المستدرك ك الأهوال 610/4 ، ح 8692- هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

2 - المستدرك للحاكم ك قراءات النبي 281/2، ح 3012- هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه

تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

3 - المستدرك – ك تفسير سورة التحريم 539/2- ح3836 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذا اللفظ إنما اتفقا على الحديث الذي : تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح–

4 - انظر لمزيد من الاستفادة (تربية الأولاد في الإسلام) عبد الله ناصح علوان ج2ص 669 -886 بتصرف دار السلام الطبعة السابعة 1984 م

فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة "(1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

أولا :- حاجة المدعوين إلى المواعظ إذ هي تحي موات القلوب ، فتسيل العيون مدراراً من خشية الله إذا صدقت الموعظة .

ثانيا :- حسن عرض الموعظة من الداعي وبلاغته له أثره في استجابة المدعو وانفعاله له بها

ثالثا :- ما خرج من القلب وصل إلى القلب وما خرج من اللسان فلا يتجاوز الآذان : " وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة "

رابعا :- من أثار الموعظة الحسنة وجل القلوب ودمع العيون .

خامسا :- الموعظة طريق لعمل المدعو للسير على ما أمر الله به ، فهي مطلوبة لغيرها قبل أن تكون مطلوبة لذاتها، فهدفها طاعة الله تعالي والقرب منه .

سادسا :- تمكن موعظة البني من قلوب الصحابة الكرم وبيان آثارها عليهم .

سابعا :- استحباب البكاء من خشية الله تعالي .

ثامنا :- ضرورة الالتزام بسنة النبي صلي الله عليه و سلم والخلفاء الراشدين.

تاسعا :- السنة هي المنجية والبدع ومحدثات الأمور هي المهلكة .

عاشرا :- ضرورة اهتمام الداعية بتوجيه الموعظة والوصية للمدعوين وضرورة الاستماع إليها من المدعوين .

وأحاديثه صلي الله عليه وسلم كلها عبر وعظات ومن ثم وجب على الدعاة أن تكون لديهم حصيلة كبيرة من أحاديثه صلي الله عليه وسلم ما لم يقله .

المطلب الرابع: أهم سمات الموعظة الحسنة:

كما كان للحكمة سمات وعلامات ودلائل تدل عليها ويعرف بها أسلوب عن غيره ويميز بها عن سواه فإن للموعظة الحسنة كذلك:

السمة الأولى : - **اختيار الوقت المناسب مع الرفق والتلطف في الموعظة مع عدم الإطالة:-**

من طباع النفس البشرية أن تزهد وتنفر ممن يثقل عليها، ولو كان في الخير والنفع، وتضيق ذرعا بمن يفرض عليها القيود أو يحبسها ولو برهة من الوقت، فقد تشعر بثقل الصلاة عليها لبضع دقائق، وترغب في اللهو ولو لبضع ساعات

وقد كان من منهج النبي صلي الله عليه وسلم التلطف واليسر في الموعظة ومراعاة مدي قبول النفس واستعدادها لسماعها واقبلها علي الداعي.

فقد كان صلي الله عليه وسلم حتى في يوم الجمعة الذي ربما قطع البعض فيه ساعات، كان رحيما بالناس غير مثقل عليهم، متجنبا للإطالة ميسرا عليهم ما أمكن.

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هن كلمات يسيرات" (1)

---

1 - (المستدرك ك / العلم / وقال حديث صحيح ليس له علة وقد احتج اتلبخارى بعبد الرحمن بن عمرو وثور بن يزيد .

ولم يكن ذلك اليسر والتخفيف في الموعظة فحسب بل في كل أفعاله مع المسلمين، في خطبه وصلاته وإمامته بالجماعة، وقد كانت أفعال النبي صلي الله عليه وسلم قصدا، وتخفيفا علي الناس وتيسرا في عرض الدين علي المدعوين.

"وأيضا ما روى عن جابر بن سمرة السوائي قال : من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يخطب جالسا على المنبر فكذبه فأنا شهدته كان يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى قال : قلت كيف كانت خطبته ؟ قال : كلام يعظ به الناس و يقرأ آيات من كتاب الله ثم ينزل و كانت قصدا يعني خطبته و كانت صلاته قصدا بنحو : الشمس و ضحاها و السماء و الطارق إلا صلاة الغداة و صلاة الظهر كان يؤذن بلال حيث تدحض الشمس فإذا جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم أقام و إلا سكت حتى يخرج و العصر نحوا مما تصلون و المغرب نحوا مما تصلون و العشاء الآخرة يؤخرها عن صلاتكم قليل" (2)

والسنة النبوية غنية بهذا المنهج النبوي في مراعاة حال المدعوين في كل أحوالهم وشؤونهم ، وبلغت مراعاة النبي لهذا الخلق الكريم في التيسير علي الناس أنه صلي الله عليه وسلم كان يراعي التخفيف علي المأمومين وهو في صلاته ، فلم يشغله الوقوف بين يدي الله في صلاته ومراعاة حرمتها وقداستها عن مراعاة الجانب الفطري والشعوري عند المأمومين بما يمكن أن يشغلهم ويصرفهم عن صلاتهم ، فكان يراعي بكاء الطفل وأمه في الصلاة خلف رسول الله والصلاة لبضع دقائق لكن رغم ذلك فالنبي لا يفوته أن يرحم الطفل البكاء وأمه التي لا تطيق صبرا علي بكاء ولدها وربما فارقت الصلاة بقلبها وعقلها فكان صلي الله عليه وسلم يتجاوز ويخفف في الصلاة ،حتى لا تكون الصلاة مدعاة للقلق والاضطراب الذهني والشعوري بين المدعوين فلا يحمل النفس فوق طاقتها .

ففي الحديث الذي رواه انس بن مالك أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ" (3)

وقد كان صلي الله عليه وسلم يخف في موعظته علي الناس ربما انذر هم بكلمة أو كلمتين مع بلوغ الغاية المرجوة من الموعظة في برهة من الوقت بضع دقائق أو ثوان ، فربما خوف من النار وأهوالها بقوله (أنذرتكم النار) "عن سماك بن حرب قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطب يقول : أنذرتكم النار أنذرتكم النار حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا حتى وقعت خميصه كانت على عاتقه عند رجليه" (4) "

---

1 - المستدرك ك / الجمعة 1/ 398 ح 1095 ذكره ولم يعلق عليه ووافقه الذهبى فى التلخيص وشاهده صحيح .

2 - رواه الحاكم ك / الجمعة 1/ 395 ح 1085 وقال ذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه بهذه السياقة إنما خرج لفظتين مختصرتين من حديث أبي الأحوص عن سماك : كان يخطب خطبتين بينهما جلسة . ووافقه الذهبى فى التلخيص .

3 - صحيح البخاري ج3/ص 123 - باب من أخف الصلاة عند بكاء الطفل.

4 - رواه الحاكم ك / الجمعة 1 / 395 ح 1086 وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وافقه الذهبي في التلخيص

ومنه ما روى أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يأمر صلي الله عليه وسلم بإقصار الخطب وينهي عن الإطالة وإرهاق الناس عن عمار بن ياسر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم بإقصار الخطب" (1)

من فقه الدعوة في الأحاديث الشريفة :-

الرحمة والتخفيف علي الناس من مبادئ الإسلام ، مع مراعاة تطبيق جانب الرفق والتخفيف علي الناس وقت العبادة وفي غيرها من باب أولي وضوح منهج النبي في قصر الخطبة والموعظة والصلاة، حتى عبر عنها الصحابة بأنهن كلمات يسيرات .

الأصل الاقتصاد في الطاعة .

وجواز التخفيف في الصلاة لأمر شرعي طارئ سواء كان منها أو خارج عنها مثل بكاء الطفل وغيره ، مع مراعاة الإسلام للعلاقة بين للجوانب الفطرية والشعورية مثل جانب الأمومة وغيرها ، فالحقوق في الإسلام لا تتعلق بصغير أو كبير وإنما تؤدي لذاتها مجردة عن الأشخاص ،فكثيرا ما يصلي النبي بقصار الصور بقصد التخفيف .

وقد أمر النبي الدعاة بإقصار الخطب ومراعاة أحوال الناس والمتعدي عن ذلك مخالف لسنة النبي ، وعلي الإمام أن يراعي ما يستجد من أمور وتداعيات تخص المأمومين ، وعلي الداعية أن يرغب ويرهب حتى لا يمل الناس حديثه.

السمة الثانية :- **أن تحتوي على الترغيب والترهيب والدعوة إلى العمل** :-

فالترغيب والترهيب جناحا الدعوة كما سبق ثم ينضم إلى هذين الجناحين الدعوة إلى تعمير الدنيا بالعمل والاجتهاد

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عمران بن الحصين: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال وهو في بعض أسفاره وقد قارب بين أصحابه السير فرفع بهاتين الآيتين صوته " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ () يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)

فلما سمع أصحابه ذلك حثوا ألمطي (أسرعوا إليه) وعرفوا أنه عند قول يقوله فلما تأشبوا عنده (اجتمعوا) قال : هل تدرون أي يوم ذاكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذاك يوم ينادي آدم فيناديه ربه فيقول : يا آدم ابعث بعث النار فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول : من كل أف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار وواحد في الجنة ، قال : فأبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة فلما رأى رسول الله صلي الله عليه وسلم ذاك قال : اعملوا وأبشروا فو الذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير "(3)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

---

1 - رواه الحاكم ك / الجمعة 1/ 397 ح 1094 وقال هذا حيث صحيح ولم يخرجاه . وافقه الذهبي في التلخيص.

2 - سورة الحج الآيتان 1– 2 .

3 - (المستدرك برقم 78 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه بطوله ووافقه الذهبي في التلخيص وقال سمع الحسن من عمران)

تذكير المدعوين بقراءة آيات من القرآن الكريم تخص موضعا معينا يرغب الداعية في تبليغه إليهم، فالقرآن خير ما يستدل به، وهو الحجة القاطعة وفيه وجوب مسارعة المدعوين إلى نصيحة الداعي وتوجيهه لا سيما فيما يتعلق بالدار الآخرة .
وعلي الداعية جذب انتباه المدعو بما يراه مناسبا لذلك من عناصر التشويق،مثل طرح سؤال أو استخدام نبرة معينة ، مع وضح أن ذكر النار وما فيه يورث الخشوع والخوف من عذاب الله تعالي وبيان سعة رحمة الله تعالي بأمة الإسلام خاصة وأن المسلمين بكثرتهم وعددهم الفائق قلة يوم القيامة قياسا بعدد الأمم الأخرى مع مراعاة الداعي للبشارة وطمأنة المدعو ولا يتركه خائفا فزعا وضرورة حض المدعوين علي الجد والكفاح والعمل للوصول إلى الفوز برضي الله تعالي في الآخرة.

السمة الثالثة:- **تنوع أشكالها وكثرتها** :-
فيتمكن الداعية من اختيار الشكل المناسب للموقف المناسب دون صعوبة أو مشقة وهنا نقول قد يظن كثير من الناس أن الموعظة تجنح دائماً إلى جانب اللين لا الشدة على المخالف وهذا خطأ كيف وقد قال الله لنبيه في شأن المنافقين: " أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (1)
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يؤتي بالوالي الذي كان يطاع في معصية الله عز وجل فيؤمر به إلى النار فيقذف فيها فتندلق به أقتابه – يعني أمعائه – فيستدير فيها كما يستدير الحمار في الرحا فيأتي عليه أهل طاعته من الناس فيقولن له : أي فلان (كلمة توبيخ) أين ما كنت تأمرنا ؟ يقول كنت أمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره "(2)
من فقه الدعوة في الحديث الشريف :
أولا - محاسبة الله تعالي للجميع حكاما ومحكومين يوم القيامة .
ثانيا - ينال كل واحد من الناس جزاء ما قدم ان خير فخير وان شرا فشر .
ثالثا - خطورة مخالفة القول للعمل .
رابعا - شدة عذاب الله تعالي لمن كان يأمر الناس ولا يأتمر وينهي الناس ولا ينتهي .
خامسا - رؤية الأتباع للمتبوع في هوله وعذابه يوم القيامة، وذلك تحقيرا له وزيادة في عذابه جزاء ما فعل في الدنيا.
السمة الرابعة :- **اشتمالها على التذكير بأيام الله ونعمه وقصص السابقين** :-
تشجيع المتعلم:
إن التعلم قد يكون ثقيلا على النفس شديدا عليها وهكذا النفس تتأبى على من يلزمها أو ترفض من يضغط عليها ويكلفها من هنا كان لا بد لتشجيع كلا الطرفين العالم حتى يجد في تعليمه والمتعلم حتى يجتهد في تعلمه .
ومما ورد في هذا الشأن من أحاديث المستدرك ما يأتى :
ما رواه الحاكم بسنده عن : ابن أبي ملكية : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلا هذه الآية {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} إلى هاهنا

---
1 – سورة النساء الآية 63 .
2 - **(المستدرك ك / الإيمان 9/ 78 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص)**

{ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ }(1) فسأل عنها القوم و قال : فيما ترون أنزلت {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ } ؟ فقالوا : الله و رسوله أعلم فغضب عمر و قال : قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس : في نفسي شيء منها يا أمير المؤمنين قال يا ابن أخي : قل و لا تحقر نفسك قال ابن عباس : ضربت مثلا لعمل فقال عمر : رجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان يعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها و كانت له جنة فاحترقت عند أحوج ما كان إليها حين كثر الولد و بلغ هو الكبر قال : أيبغي أحدكم أن يوافي يوم القيامة عبد أفقر ما كان إلى عمله فلا يوافي له شيء . " (2)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

أولا - ضرب المثل للرعية بما جاء في كتاب الله تعالي حتى ينتبهوا.

ثانيا - طرح السؤال ينبه المستمع للبحث عن الإجابة، واستدراك ما فات من قبل.

ثالثا - علي الإمام الراعي للأمة الحرص علي شأن الرعية فيما يصلح أمرها .

رابعا - ضرورة الحفاظ علي نعم الله تعالي كي لا تزول ويندم صاحبها عليه .

خامسا - علي الإنسان أن يدخر من الخير للمستقبل حتى لا يندم حيث لا ينفع الندم .

سادسا - إتباع الفاروق لمنهج النبي صلي الله عليه وسلم في توجيه الدعوة وتعليم الصاحبة .

سابعا - فطنة بن عباس رضي الله عنه ونبوغه وفهمه لما غاب عن الآخرين .

ثامنا - العلم والذكاء غير مقيدين بسن أو شخص وإنما هو فضل الله يؤتيه منه يشاء .

تاسعا - تشجيع طالب العلم وإعطائه الفرصة طالما وجد فيه استعداده لذلك حتى لا تقتل المواهب وتضيع الفائدة.

عاشرا - ضرب المثل منهج قرآني ونبوي علي الداعية العمل به فله من الفائدة ما ليس لغيره

الحادي - وجوب الحفاظ علي العمل الصالح إلى آخر الحياة كي ينفع صاحبه عند الله تعالي يوم لا عمل

الثاني عشر - العبرة في العمل بحسن الخاتمة وما تنتهي عليه حياة الإنسان .

السمة الخامسة : أن تفتح للناس أبواب الأمل والرجاء:-

إن كثيرا من الدعاة من يغلق أبواب الأمل في نفوس الناس ويغلق عليهم باب الرجاء فيسود الدنيا أمام أعينهم ويظلمها في وجوههم فيرى المستقبل كئيبا والحياة لا فائدة منها وهذا يفتح باب اليأس الذي هو من الكبائر في الدين ويغلق باب الأمل والرجاء الذي هو عنوان هذا الدين وعلامته . وذلك يشمل أمور الدنيا والآخرة من التمكين لهذا الدين والعيش الطيب الهنيء والعمل ابتغاء وجه رب العالمين حتى مع مر الواقع الذي تحياه الدعوة والدعاة، فالأنفس قد جبلت علي حب الخير والفرح والسرور بما يرح خاطرها ويهدأ من روعها ، ولا يغلق باب الخير في وجهها ، وتسر بمن يحمل إليها الأخبار السارة ، ومن منهج الإسلام الدعوة بالبشارة و في قوله صلي الله عليه وسلم (بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا)(3) .

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

---

1) سورة البقرة من الآية 266 .

2 - (المستدرك ك / الأحكام 5/ 19 ح 7162 ، وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي في الأول وسقط الثاني من التلخيص)

3 - المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / ذكر وفاة عبد الله بن عباس 4/ 263 ح 6417 وقال : هذا1 صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد سقط هذا الحديث من التلخيص

ما رواه الحاكم بسنده عن تميم الداري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول:ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر قال تميم : قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من اسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان كافراً الذل والصغار والجزية " (1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

أولا - بشارة النبي صلي الله عليه وسلم ببلوغ هذا الدين إلى الناس كافة.
ثانيا - عالمية الدعوة الإسلامية.
ثالثا - واجب الدعاة في تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة .
رابعا - معونة الله تعالي للمسلمين من أجل نصرة الدين والدعوة .
خامسا - أن العز في الإسلام باتباع الدين ، وأن الذل والصغار في الكفر والبعد عن الدين .
سادسا - إعجاز النبي صلي الله عليه وسلم وإخباره بما سيحدث مستقبلا للمسلمين ودعوتهم.
سابعا - تحقق ما أخبر به رسول الله صلي الله عليه وسلم .
ثامنا - شهادة الصحابة بصدق نبؤة رسول الله صلي الله عليه وسلم .
تاسعا - الإسلام يجلب العز والبركة في المال وحصول الشرف للمنتسبين إليه وضرب الذلة والصغار علي من خالف وأعرض .

فالداعية الحكيم والبصير هو الذي اتخذ من أسلوب الرسول قدوة وأسوة والله اسأل أن يجعلنا من عباده المهتدين بهدية ، والقائمين حق القيام بدعوته ، المتبعين لسنة نبيه صلي الله عليه وسلم والأنبياء والمرسلين من قبله " أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (2)

وبعد بيان هذا الأسلوب الدعوى الذي شرعه صلي الله عليه وسلم في الميدان العملي للدعوة وقد بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم الرسالة وأدي الأمانة حتى دخل الناس في دين الله تعالي أفواجا يمكننا القول :-

أولا :- أن أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة من أهم الأساليب الدعوية الناجحة في ميدان الدعوة إلي الله تعالي ، وكم كان لهما الأثر الأكبر الفعال في ذيوع دعوة الحق وانتشارها في شتي الأقطار وسائر الأمصار .

ثانيا :- علي دعاة العصر الحاضر الاقتداء بهذا الأسلوب الدعوى لما له من آثار طيبة علي الدعاة والدعوة .

ثالثا :- من دلائل نجاح الداعية في دعوته اتباعه لهذا الأسلوب مع من يؤيده ويعارضه ، فالحكمة وحسن اختيار الأسلوب في ميدان العمل الدعوى لمن أهم العوامل التي توفر علي الداعية الوقت والجهد ن وتعينه علي إصابة الهدف وتحقيق الغاية من أقصر الطرق .

رابعا :- إن من أعظم ثمرات هذا الأسلوب أن يؤلف القلوب حول الداعية, و يحرك المشاعر و المدارك للمدعوين و يوقظ هممهم و يثير انتباههم , بل و يدفعهم إلي تحقيق مصالح العباد و البلاد كي يفوزوا بالحسنيين سعادة الدنيا و الآخرة

---

1 - **المستدرك : / الفتن والملاحم 5 / 345 ح 8497 وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص**

2 - سورة الأنعام الآية 90

خامسا:- ضرورة إتباع تنوع أسلوب المواعظ و انتهاز الفرصة المواتية و المناسبة لإلقاء الموعظة كراهية الملل و خوفا من سآمة المخاطبين, فضلا عن انتهاج منهج النبي صلي الله عليه و سلم في إلقاء الموعظة و عرضها بالتقوى و السمع و الطاعة, و بالتوبة و المبادرة بالأعمال الصالحة, و الحرص علي الكسب الطيب, و مراعاة أصحاب ذوي العلل و الحاجات في إلقاء الموعظة, كما يقدمها للأطفال و الشباب و الكهول و النساء, وكذا مراعاة الاقتداء بالرسول الخاتم و معرفة سبل مواعظه للتقاضي بين المتخاصمين, و الحث علي النصح و الموعظة بالصدقة و لو بشق ثمرة أو بكلمة طيبة أو بالبشاشة أو بالرفق و اللين في وجوه المخاطبين و المدعوين, و كذا الاقتداء بالرسول في موعظته عند القبر و جلوس الصحابة حوله, أو ببيان أهوال يوم الحشر, فإن انتهاج تنوع هذه المواعظ له اكبر الأثر في إيقاظ العقول و المدارك و تحريكها للسلوك الفعال, و إثارة النفوس للعمل الصالح و اجتناب الطالح.

الفصل الثالث

الحوار والجدل وأثرهما في الدعوة

من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول:-

الحوار والجدل وكيفية الاستفادة منهما في ميدان الدعوة الإسلامية.

المبحث الثاني :-

الجدل بالتي هي أحسن كما تصوره أحايث المستدرك للحاكم النيسابوري

الفصل الثالث

(الحوار والجدال بالتي هي أحسن)

المبحث الأول :- الحوار والجدل وكيفية الاستفادة منهما في ميدان الدعوة الإسلامية :-

المطلب الأول:

: تعريف الحوار و صوره :-

مما لا ريب فيه أن للحوار الهادف و المخاطبة العقلية دور هام في الإقناع و الاستمالة و سبيل للوصول الي الرأي الراجح و الأصوب, و طريق لوضوح الرؤية لدي المتحاورين, كما انه (يساهم في تهيئة الأجواء النفسية للروح الموضوعية البعيدة عن التفاعلات الجامحة, و في تقبل الفكرة المخالفة و المضادة بطريقة عقلانية واقعية, توجيه أفكار الآخرين الذهنية التي تري لهم الحق في أن يكون لهم فكر مخالف, و طريقة معينة في التفكير, كما تري لهم الحق في أن يرفضوا ما لم يقتنعوا به أو يطلبوا ألحجه القاطعة و الدافعة فيما يراد لهم الاقتناع به, بعيدا عن التعصب البغيض, و العنف الجارح, أو الضغط و الإكراه) ([1])

و هذا ما يدفعنا لبيان مدلول الحوار في ضوء المعاجم اللغوية و الاصطلاحية

أما في اللغة فان الحوار جاء في اللغة: حاوره حوارا و محاورة: مراجعة النطق بالكلام في المخاطبة و حاوره تحاورا: تراجعوا الكلام بينهم, و هم يتحاورون: يتراجعون الكلام فيما بينهم

و أحار الرجل الجواب: رده, و يقال: كلمته فيما أحار الي الجواب, و ما رجع الي حوارا: أي ما رد جوابا, و من هذه الدلالات يمكننا تحديد مدلول الحوار بأنه: حديث يجري بين شخصين أو أكثر أو هو مراجعة الكلام و تبادل الآراء للوصول الي الحقيقة المرجوة. ([2])

و الحوار كالمخاطبة في أنهما أداة أو وسيلة لتوجيه الكلام و مراجعته بين طرفين متحاورين بقصد الإفهام و الوصول الي الحقيقة و لا تناقض بينهما

و للحوار أشكال متنوعة يتحقق بها منها: ألمناقشة, المناظرة و غيرهما, و لكي يتحول الحوار لطريقة عملية لابد من توافر: شخصية المحاور الذي يدير عملية الحوار, و شخصية الطرف الآخر, و خلق الجو الهادي للتفكير في المستقبل, و معرفة المتحاورين للفكرة المطروحة للحوار, و كذا معرفة موضوع الحوار و أسلوبه و غايته

الحوار في ضوء القرآن الكريم و السنة النبوية: للحوار أهمية بالغة في ذيوع دعوة الحق و شيوعها بين الناس في كافه الأقطار و شتي الأمصار, لذا كان سبيلا موصلا لغاية الأنبياء و الرسل في مسيرتهم الدعوية, فقد استخدموه كأسلوب علمي و عملي من أساليبهم الدعوية في إقناع المدعوين و دحض ما رموه به أعداء الإسلام بأنه دين عنف أو سيف أو إرهاب, و الحق الذي لا مرية فيه أن الإسلام هو دين الحوار العاقل البناء الذي يطلق للفكر العنان في أن يفكر في كل شيء ليتحدث عن ما يريد علي أساس من الحجة و البرهان, و لم يدع الإسلام في وقت من الأوقات لإهمال العقل أو جمود الفكر , كما لم تقم دعوته علي الإكراه و الإرغام دون نقاش أو اقتناع بصحة ما يعرض علي الناس أو يطلب منهم ([3])

أو كما يقال لهم في بعض الديانات المزعومة: (اعتقد و أنت اعمي) بل سلك الإسلام سبيلا يدعو لاحترام العقل, و يقدر المنطق, و الفكر القويم و التفكير الحر المجرد من كل المؤثرات, و من ثم الزم الإسلام العقل بعد بيانه لمنزلته و أهميته كجوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط, و المحسوسات بالمشاهدة و باعتباره أداة الفكر و العلم و المعرفة, و الإدراك و الاستنباط. كما وضح الإسلام للعقل

---

1 - الحوار في القران محمد حسين فضل الله ص 212ب ط الثالثة المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع سنة 1985 م

2 - القاموس المحيط 15/2, تاج العروس 162/3, الصحاح 640/2, المضحاح 205 و المعجم 205/1

3 - الحوار في القرآن محمد حسين فضل الله ص 35. 54 لمزيد من الاستفادة

مجاله الذي يعمل فيه فإن تعداه اعتدي و ضل السبيل, و قد أجمل علماؤنا مجال العقل بقضية الإيمان فيما يلي :

أولا : له أن يعارض مفهوما عقليا بشريا للنص بمفهوم عقلي بشري أخر له و لا حرج في هذا ما دام هناك من الأصول الصحيحة مجال للتأويل و الافهام المتعددة.

ثانيا : أن يتدبر دلائل الهدي و موجبات الإيمان في الأنفس و الأفاق.

ثالثا : محاولة فهم النصوص و الاقتناع بها ليسلم تسليما كاملا و يخضع لكلمة الوحي الإلهي و قد فصل بعض العلماء الدوائر التي للعقل أن يتدخل فيها و التي ليس له حق التدخل فيها فجعل للشرع دوائر خاصة و مجالات اختص بها كالغيبيات و حق التحليل و التحريم..... الخ,. فهذه مجالات لا يفتي فيها العقل و إنما يفهمها و يفسرها في ضوء التشريع الإلهي, و للعقل دوائر خاصة لم يتدخل فيها النظر الشرعي مثل كثير من أمور الدنيا و الكون و الحياة و التي تخضع للملاحظة و التجربة و الاستقراء فيستنبط منها قوانين علمية في الكيمياء و الفيزياء و النبات تساعد علي كثير من المخترعات و الاكتشافات العلمية. و هناك دوائر للشرع و العقل يشترك فيها كل من الشرع و العقل و هي مجالات قطعية لا مجال فيها للتأويل و التردد كالإيمان بالله تعالي ور سله و اليوم الآخر..... ([1])و من ثم يمكننا إجمال أهم وظائف العقل و أعماله: الفهم, التصور, و إدراك الوازع الديني و الأخلاقي, و إدراك سائر الأمور المحيطة بالإنسان, و التأمل فيما يدركه و الرشد و الهدي و الصلاح و عدم إتباع ألهوي و التخمين و الظن و التفكير الأعمي للغير.

<u>أشكال وصور الحوار :-</u> و بالنظر في كلمة الوحي الإلهي نجد إشكالا و صورا للحوار متنوعة :-

و من أبرزها: الحوار بين الله عز و جل و أنبيائه و رسله و ملائكته و عباده و كذا الحوار بين جبريل و أنبياء الله و رسله كالحوار بين ملك من الملائكة و بعض الناس و كذا الحوار بين الخلق و الأنبياء كحديث الشفاعة و كالحوار بين الناس بعضهم البعض و كالحوار بين النبي صلي الله عليه و سلم و قومه ([2])

و هذا ما يدفعنا إلي القول بأن الحوار سبيل من أهم أساليب الدعوة إلي الله تعالي استخدمه أنبياء الله و رسله من لدن ادم علية السلام إلي خاتمهم النبي محمد صلي الله علية و سلم, و قد كان حوارهم مع من امن و من لا يؤمن , كما لم يكن حوار النبي صلي الله عليه و سلم لجنس دون أخر أو لطائفة دون أخري بل لشتي و كافة الناس مؤمنهم و كافرهم و مشركهم و ذكورا و إناثا و للصغار و للكبار و كيف لا و رسالته عامة للناس جميعا ([3])

و قد تعددت أساليب الحوار في كلمة الوحي الإلهي, فقد جاء تارة في أسلوب خطابي أو استفهامي, و تارة في أسلوب إخباري, و تارة في أسلوب توضيحي أو تنبيهي, و تارة في أسلوب قصصي, و تارة في أسلوب تمثيلي, و تارة في أسلوب قسم علي نحو ما يلي:

أولا : <u>الحوار الخطابي</u>: و هو ما كان في صورة خطاب من النبي صلي الله عليه و سلم للمؤمنين أو احدهم

ثانيا : <u>الحوار الاستفهامي</u>:و هو إما أن يرد سؤال أو استفهام من النبي علي أمر ما و يليه جواب عليه بقصد لفت الأنظار و إثارة الانتباه لأمر هام.

---

1 - لمزيد من الاستفادة في هذا الصدد راجع (التربية العقلية) د. علي عبد الحليم محمود

2 - لمزيد من الاستفادة (الحوار في القرآن) و (أصول التربية الإسلامية و أساليبها) عبد الرحمن النحلاوي دار الفكر الطبعة الأولي 1979 م

3 - ارجع إلي نماذج من حواره صلي الله عليه و سلم لمزيد من الاستفادة في هذا الفصل

ثالثا : الحوار الإخباري: كأن يخبر النبي صلي الله عليه و سلم عن حوار وقع بين الله تعالي و بين ملائكته أو جبريل و بعض أنبياءه أو بين ملك من الملائكة و بعض الناس
رابعا : الحوار التوضيحي أو التنبيهي
خامسا : الحوار القصصي : كقصة الأبرص و الأقرع و الاعمي أو الثلاثة الذين طبق عليهم الغار
سادسا: الحوار الإرشادي أو التمثيلي : و يقوم علي تأثير المعني المراد في الحوار بالتمثيل أو الإشارة باليد بهدف الإقناع و الاستمالة
سابعا : الحوار بالقسم : و يهدف إلي تنبيه السامع و لفت نظرة إلي أهمية المقسم به لفعله أو اجتنابه
ثامنا : الحوار بضرب الأمثال: بهدف تقريب المعني المراد في الحوار يشهده الناس و يقع تحت حواسهم ليكون حجه دافعة لإقناعهم و استمالتهم
تاسعا : الحوار بالجدل و الحجة: و هو حوار يتم فيه نقاش أو جدال غايته إثبات الحجة علي الخصم للاعتراف بالحقيقة و التسليم لها
و هذه أساليب متنوعة و مجمله في بيان أهميه الحوار و ضرورة اتخاذه أسلوبا من أساليب الدعوة الي الله تعالي و لا يخفي ما في هذا التنويع من اثر كبير في ترسيخ المعلومات و إثارة الفهم و تحريك المدارك و إيقاظها و انتباهها لدي المدعوين ليكون مدعاة لإقناعهم و جذبهم وجهة دعوة الحق

أهم المجالات أو الأصول المتبعة في أسلوب الحوار:

لأسلوب الحوار في ضوء كلمة الوحي الإلهي مجالات متعددة, و أصول متنوعة و هي: أما أن تقع مرتبة أو عفوية, فالعفوية هي التي تقع للداعية فجأة بدون تحضير مسبق, وأما المرتبة فهي التي تقع في المحاضرات العامة و الندوات و المناظرات و غيرها, و في كلتا الحالتين السالفتين لابد للداعية من إتباع **أصول الحوار و أهمها:**

أولا : التهيؤ و الاستعداد النفسي و الذهني للموقف الذي يتعرض له, فإذا لم يكن مستعدا للمفاجآت من قبل خصمه وقع في الأغلب في ارتباك و حرج بل ربما أصيب بصدمة نفسية تسبب له عقدة اليأس و روح الانهزام فيقعد مع اليائسين المنهزمين مما يكون له اكبر الأثر في تراجع دعوته و ما يدعوا إليه فيكون معوقا من أهم معوقات ذيوع الدعوة و انتشارها
ثانيا: و علي الداعية الإيجاز دون ملل أو كأنه فيما يعرض عليه من أسئلة بشكل يحقق الغرض دون زيادة أو نقص.
ثالثا : ضرورة مراعاة الحذر مع نفسه و خصمه علي حد سواء حتى لا يقع فيما هو مخالف لأصول الحوار, و ما هو محظور مع قواعد المناقشة, فلا يستسلم إلي العاطفة فيتحول إلي خطيب عاطفي في موقف المحاورة و المناظرة و المناقشة فيؤثر تأثير بالغ بالسلب في طريق الدعوة لأن من أهم الأصول: الانتباه و الحوار الهادىء و العقلانية و الاعتماد علي المنطق بالحجة الدافعة, ولا يقطع من يحاوره حتى يدلي بحجته و يفرغ من كلامه و هذا من آداب التحدث و أصول الحوار و عليه أن يحذر استدراج الخصم إلي ما يفقده السيطرة علي أعصابة و مداركه فينقلب الحوار الهادىء إلي ثورة غضبية و مهاترة كلامية قد تجر إلي خصومة عدائية لا تحمد عقباها فيؤثر بالسلب عائقا من عقبات الدعوة و الداعية
رابعا : ضرورة التسليم للخصم فيما يعرض من حق و هذا لا يتأتى للداعية الذي يستحوذ علي مشاعر خصمه و يملك عليه عواطفه و قلبه إلا أن يستسلم له فيما يعرض من حق ثابت لا يتنافى مع مباديء الإسلام و تشريعاته و أحكامه
خامسا : مراعاة الملاطفة و المجاملة و التأدب مع الخصم في معرض النقاش أو الجدال أو الحوار علي أن يعطي لخصمه القدوة الحسنة في رقة الملاطفة و كريم المجاملة و حسن الخلق, كأن يخاطب خصمه بأحب الأسماء إليه و منادته بلطف و رقة و لين

سادسا : ضرورة البعد عن السبيل الذي يؤدي للمراء و الجدال
سابعا : ضرورة ثقة الداعية بنفسه و ما يدعوا إليه ([1])
و إلي جانب هذه الأصول المتبعة للحوار فلابد للداعية من التحلي بالآداب العامة التي تجلت في آيات كلمة الوحي الإلهي الممثلة في (القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة)
الملطب الثاني :- أهمية الحوار والجدال.
إن الناس طالما كانوا مختلفي المشارب والأهواء متنوعي الأمزجة والفكر كان لا بد من وجود نوع من لحوار مع من يستطيع الحوار منهم ونوع من الجدال مع من تقنعه الحجة منهم فللفكر ناس وللوعظ ناس وللحكمة ناس ،وقد أذن الله تعالي بالجدل بين العباد ،علي اختلاف مناهجهم وأهوائهم واتجاهاتهم ، فقد يكون بين أصحاب دين واحد ،وقد يختلف المتجادلين ، فلا يتوقف الجدال باتفاق أو باختلاف بين المتجادلين ، ولكن وضع الإسلام للجدل الضوابط والضمانات التي توصل إلى الحق وتهدي إلى الغاية المرجوة منه ، وألزم بها كلا الطرفين دون إنصاف أحد علي أحد إلا بالحق ، وعندما أذن لنا الإسلام بمجادلة أهل الكتاب الذين هم مغايرين لنا في الدين أوصي الإسلام بهم خير في مجادلهم وأمر أن يكون الجدال حسنا معهم فقال الله تعالي (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (2) .
التجرد في الحوار :
تمهيد :
الحوار : من المصطلحات التي تتردد كثيراً في هذا الوقت ، وترددها أطراف متعددة ، والمرددون لهذا المصطلح قد اختلفت مشاربهم ، وتباينت أفكارهم وتنوعت أهدافهم ، فأراد منه بعضهم أعظم الحق ، وأراد منه آخرون أعظم الباطل ، والأصل في ذلك هو منهج الرجل وطريقته وسيرته العلمية والعملية ،والمحاورة أو المجادلة بالتي هي أحسن وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق ،والهدف منها الوصول إلى الحقيقة ، وهي في إطار الحركة الإسلامية أداة التصحيح والبناء والتقويم الذاتي ، فالحوار أداة وعي مشتركة تتحدد فيها الآراء وتُستعرضُ فيها المسائل ويستخلص منها ما دل عليه الدليل الشرعي أو النظري وهو وسيلة من وسائل الشورى والتناصح والتعاون على البر والتقوى ، وهذا هو طريق النضج وسبيل الكمال ، ولن يتم تصحيح الأخطاء وتدارك النقص وتقويم المسيرة الشرعية والدعوية إلا إذا اتسعت صدورنا معشر الدعاة إلى الحق للحوار ، وروضنا أنفسنا على قبول النقد والمراجعة وعندها تكون حواراتنا حوارات تربوية منهجية ، تثري الساحة الإسلامية بالدراسات الشرعية والطروحات العلمية .
ومنهج الله أبقى وأغلى من كل أحد ، وليس عيباً أن ننتقد عالماً أو نخطئ تجربة ،
ولكن العيب الكبير أن نخادع أنفسنا والأجيال التي وثقت بنا ،والطريف أن لدينا إقداماً عنترياً على ذكر معايب الناس ، وشجاعةً على نقدا لآخرين ، لكننا أمام أنفسنا ربما لا نكون بنفس الجرأة ،إن الذي يريد إظهار الحق يُعدّ عند بعضهم مشاغباً ، يشغل نفسه في تفا هات ثانوية ، ويريد أن يجر غيره إليها ، ولازالت بعض الاتجاهات الإسلامية تعتمد على مناهج حركية وقوالب فكرية ، فبغياب الحوار والمراجعة ظهر في العمل الإسلامي أكثر من هوة ، وأكثر من شرخ ، أضعف من صلابته وتماسكه.

---

1 - لمزيد من الاستفادة ارجع إلي (مواقف الداعية التعبيرية) عبد الله ناصح علوان و (كيف ندعو الناس) عبد البديع صقر.

2 - سورة العنكبوت الآية (46)

التجرد في طلب الحق :

إذا كان التأصيل العلمي والمنهجي في الحوار ذا أهمية كبيرة ، فإن الجانب السلوكي والتربوي له أثر كبير جداً في هذا الباب ، إذ إن الممارسة الناضجة والتخلق الكريم بأخلاق القرآن العظيم ، هما الترجمان الحقيقي والأثر الحي الصادق للعلم الصحيح ، فليست المشكلة في قضية الحوار علمية فحسب وإن كان لها أثر كبير وإنما هي تربوية ونفسية كذلك ،والتجرد في طلب الحق يُعين في الوصول إليه ، والهوى داء خطير يعمي بصيرة الإنسان ، فلا يرى حقاً إلا ما وافق هواه ، والعلم وحده لا يكفي في ساحة الحوار ، بل لابد معه من الإخلاص والتجرد ، فقد يضل المرء على علم والعياذ بالله كما قال تعالى : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)(1) .

وعلى المحاور الصادق أن يقصد بمحاورته وجه الله تعالى وحده لا شريك له ، فلا يرجو الغلبة والانتصار ، كما لا يرجو ثناء الناس أو حمدهم ، فما عندهم ينفد وما عند الله باق ، قال الله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)2 .

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في ذكر آداب الجدل والمناظرة :

« ويخلص النية في جداله بأن يبتغي به وجه الله تعالى ... وليكن قصده في مناظرته إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم » .(3)

فصاحب الهوى ليست له قواعد مطردة ، أو موازين منضبطة ، يعتمد عليها في البحث عن الحق ، بل تراه يدور مع هواه حيث دار ، وحينما يتصف المحاور بهذه الصفة فلا يمكن أن يصل المتحاوران إلى النتيجة المرجوة بحال .

ومن مقتضيات التجرد في طلب الحق :

أ - أن يدخل المرء ساحة الحوار باحثاً عن الحق ، حتى لو كان عند خصمه ،ولا يتردد أبداً في أن يتراجع عن رأيه إذا تبين له صحة رأي غيره ، قال الله تعالى :

(وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)(4) .

وينبغي أن يكون المحاور كما قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى :

« كناشد ضالة لا يُفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ، ويشكره إذا عرفه الخطأ أو أظهر له الحق » .(5)

ولهذا كان الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يقول : « ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطئ »(6) ، وقال أيضا : « ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ، وما كلمت أحداً قط إلا ولم أبال بَيّنَ الله الحق على لساني أو لسانه » .(1)

---

1 - سورة الجاثية – الآية 23 .

2 - سورة الكهف من الآية – 110

3 - الفقه والمتفقه 5/2 . دار العلم ط 1408 .

4 - سورة سبأ من الآية 24 .

5 - إحياء علوم الدين 57/1 .

6 - مناقب الشافي للرازي ص 36 والفقه والمتفقه 26/2 .

" ولا شك أن محاولة الداعي اللجوء إلى طريق الحوار أو المجادلة مع المدعو وبذل الجهد في سبيل ذلك لا تكون أبداً عند حسن الاستجابة وسلامة الفطرة وإصاغة السمع ، وإنما تكون عندما يقسو القلب وتعوج الفطرة ويشتد اللجاج(2)
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قاتل رسول الله صلي الله عليه وسلم محارب خصفة بنحل فرأوا من المسلمين عزة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلي الله عليه وسلم بالسيف فقال : من يمنعك مني قال : الله قال: فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال من يمنعك ، قال كن خير آخذ ، قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله قال : (لا ، ولكن) أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، قال : فخلى رسول الله صلي الله عليه وسلم سبيله فجاء إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس " (3)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-
تربص الأعداء بالرسول صلي الله عليه وسلم وبساطة الحياة التي كان يعشها رسول الله وانخراطه في المجتمع وعدم تميزه علي الناس ومن ثم سهولة وصلوا الأعداء إليه ويقين البني صلي الله عليه وسلم وحسن ظنه بالله تعالي مهما كانت الشدة و أثرالتوكل علي الله تعالي في ضعف قوة الأعداء وهزيمتهم النفسية ورعبهم من الله تعالي ومن ثبات الرسول صلي الله عليه وسلم ، و استجابة النبي صلي الله علي وسلم لاستعطاف الرجل والنزول علي رغبته وتخلية سبيله ، و ضرورة عرض الدعوة علي الأعداء في كل الظروف والأحوال وتعرفهم بالإسلام وطلب دخولهم في الدين ،واختيار الوقت المناسب .. بيان أن الإسلام لا يكره أحد علي الدخول فيه ويحترم غيره الأديان وإنما علينا البلاغ ، و يكفي أن يحصل الإنسان من عدوه علي تعهد منه بعدم معارضة الدين أو محاربة المسلمين ولو لم يعتنق الإسلام وفيه تصديق النبي لمقولة الرجل والعفو عنه وفيه شهادة الرجل بإحسان النبي إليه وبيان مقام الإحسان في نفوس المدعوين ..وفيه بيان دعوة الرجل قومه ونشاطه وتحمسه لذلك، و أثر اليسر والمعاملة الطيبة والعفو من الداعي في سلوك المدعوين ، و في الحديث أعظم دلالة علي حرية الأديان واحترام الآخرين وعدم الإكراه علي الاعتقاد و صدق الرجل في عهده مع رسول الله رغم عدم إسلامه وأولي بالمسلمين حفظ عهودهم مع الله ورسوله
ويمكن أن نجمل أهمية الحوار والجدال بالتي هي أحسن في أن قضية الحوار والجدل من القضايا الهامة التي يحتاج إليها الإنسان في جوانب كثيرة من حياته في الجانب الديني والجانب الدنيوي ، فكثير ما تختلف وجهات النظر وكثير ما تتعدد الاتجاهات والمذاهب والمدارس والأفكار حتى في داخل المؤسسة الواحدة ، وبين أصحاب العمل الواحد وبين الدعاة والمفكرين وأصحاب المذاهب من علماء الدين وغيرهم , وكثير ما عقدت مناظرات بين العلماء ، والي الآن يعقد الكثير منها ، لكنها كانت مجردة من الأهواء وخالصة لله تعالي وهدفها الوصول إلى الحق ، وبيان حجة الله تعالي علي العباد ، وإرشاد الناس إلى الخير ، وتوضيح الصورة أمامهم كي يرونها ، وهذا ما ينبغ أن تكون عليه

---

1 نفس المصدران السابقان - بنفس الرقم .

2 - (الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً ص 250)

3 - (المستدرك ك / المغازى والسير 4/ 251 ح 4375 وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي)

الآن بعيدا عن التعصب الأعمى ، أو الانتقام الشخصي وحب الذات , أو الهمجية والغوغاء ، أو التعالي علي الخصم ، أو الغرور بالعلم ، أو تغيير وجهة الحوار عن أن يكون لله تعالي ، خالصا من الرياء .
ويمكن أن نجمل أهمية الحوار والجدال بالتي هي أحسن في نقاط ثلاث:-
أ..اختلاف أحوال الناس في توجهاتهم وميولهم وآرائهم وتلك سنة كونية أوجدها رب العزة جل وعلا في نفوس البشر قال تعالى " (وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ))
" أي ولا يزال الخلاف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم وقال عكرمة مختلفين في الهدي " (1)
ب- الظروف الملحة في هذا العصر الذي يعد عصر تعدد الجماعات الإسلامية والفرقة الموجودة بينهم ، وذلك لأن الإلمام بآداب الحوار والاختلاف يساعد في تقارب القلوب وتفهم الأفكار مما يكون له الأثر في تضييق هوة الخلاف والتماس العذر للعاملين في الدعوة الإسلامية وهذا يؤدي إلى الوحدة المنشودة بين المسلمين.
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة "(2)
من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-
- الاختلاف سنة كونية وهو دائم إلى ما شاء الله تعالي .
- وأن الأمم من اليهود والنصارى اختلفوا قبل الإسلام، وان المسلمين يقع بينهم الخلاف والفرقة ، وبيان الأمة الناجية والتي هي علي منهج الإسلام بعيدا وعن الضلال والانحراف وفيه بيان استحقاق كل فريق للثواب والعقاب و ضرورة العمل علي وحدة الأمة ونبذ الخلاف والفرقة بين المسلمين ، ولا ينبغي أن يفهم أن في الأمر إباحة الافتراق بين المؤمنين ، وبيان الاختلاف المشروع والتفرق المذموم من وجهة نظر الشارع الحكيم ، ووضوح المنهج الذي يجب أن يكون عليه المسلمون .
- وفيه بيان أن أدب الحوار والجدال تفيد في تفهم وجهات النظر المختلفة ومعالجة الأخطاء التي تكون بين أفراد المجموعة الواحدة بل أفراد العائلة الواحدة لأن فقد الأدب يضخم المشاكل .

المطلب الثاني: الفرق بين كل من الحوار والجدل.
أولاً: الحوار والجدل يتفقان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين ولكنهما يختلفان في المعنى .
فالحوار والمحاورة : هو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا في جو يسوده الهدوء دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل على وجود خصومة ، وأما المحاورة فقد وردت مادتها في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ويمكن أن نفهم على أنها مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين "(3)
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

---

1 - (تفسير القرآن العظيم جـ4 ص 155) من الآية – 118 من سورة هود .

2 – المستدرك ك / الإيمان 1/ 102 وقال : هذا حديث كثر فى الأصول وقد روى عن سعد بن أبى وقاص وابن عمرو وعوف بن مالك وقال الذهبى : ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفردا بل بانضمامه لغيره .

3 - (أسلوب المحاورة في القرآن الكريم ص 12 د / عبد الحليم حفني)

ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال " بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو في المسجد جالس فأناخ بعيره على باب المسجد فعقله ثم دخل على رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: أنا ابن عبد المطلب ، فقال محمد ؟ قال : نعم قال : يا محمد إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدن على نفسك ، فإني لا أجد في نفسي ، قال : سل عما بدا لك ، قال : أنشدك بالله إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك ، الله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهم نعم قال : أنشدك بالله إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأوثان والأنداد التي كان آباؤنا يعبدون : فقال صلي الله عليه وسلم: (اللهم نعم) ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة الصلاة والزكاة والحج والصيام وفرائض الإسلام ، كلها ينشده في كل فريضة كما انشده في التي كانت قبلها حتى إذا فرغ قال : فإني اشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه لا أزيد ولا أنقص ، ثم انصرف راجعاً إلى بعيره فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم حين ولى إن يصدق ذا العقيصتين يدخل الجنة ، وكان ضمام رجلاً جلداً اشعر ذا غديرتين ، ثم أتى بعيره فأطلق عقاله حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به وهو يسب اللات والعزى فقالوا : مه يا ضمام اتق البرص والجذام والجنون فقال : ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه وأني اشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه ، فو الله ما أمسي ذلك اليوم من حاضرته رجلاً ولا امرأة إلا مسلماً ، قال ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة(1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

- توجه الرسل والسائلين إلى النبي صلي الله عليه وسلم والسماح بالجلوس في المساجد لعقد الاجتماعات ومناقشات القضايا الدعوية ,ولقاء أصحاب الحاجات والمصالح و التساؤلات الإسلامية وفيه بيان لسهولة الدخول علي رسول الله وطرح السؤال عليه ومناقشته في الأمور التي يحتاج إليها السائل وإن كثرت وبيان تواضعه صلي الله عليه وسلم وحسن منطقه ورده وعلي الداعية أن يلتزم الأدب مع المدعوين حتى لا ينفرون منه وينفضوا من حوله ..

- وجواز نسبة الرجل في الأبوة إلي جده مباشرة دون ذكر أبيه ، وربما كان ذلك عادة عند العرب ، وأقرها رسول الله ، وقد فطن صلي الله عليه وسلم وأجاب السائل مباشرة ولم يراجعه في نسبه إلى جده عبد المطلب وقبول النبي صلي الله عله وسلم لغلظة الرجل والسماح له بالإفصاح عن كل ما يريد ، وعلي الداعية أن يكون رحب الصدر ، يسمع من المدعو حتى النهاية مع ضرورة صبر الداعي علي المدعو وإن بدا منه شيء.

- وكذلك من حق السائل أن يسأل عن صدق الداعي وحقيقة ما جاء به ، ومن واجب الداعي الإجابة ولو بدا له عدم أهمية السؤال من وجهة نظره ، ومهما كان صيته وشهرته ، فعليه أن يقدر أول لقاء مع المدعو ويلتمس له العذر.

- وضرورة فطنة السائل في الحديث وترتيبه مواد أسئلته من المهم إلى الأهم من أول البعثة إلى السؤال عن فراض الإسلام ، وإقرار الرسول وإجابته رغم تعدد الأسئلة المفيدة المختصرة بطريقة تقنع السائل وتشفي ما في صدره، وسرعة استجابة السائل واقتناعه في التو, ونطقه بالشهادة فور معرفته ، وإقراره بأن يؤدي أركان الإسلام التي تعلمها من رسول الله ، وكلما توافر الإخلاص

---

1 - (المستدرك ك / المغازى والسير 3/ 271 ح 4435 وقال صحيح وقد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة ولم يسق واحد منهما الحديث بطوله ووافقه الذهبي)

والصدق من الداعي كلما كان النتائج طيبة عند المدعوين ، وعلي الدعاة أن يمتثلوا بالرسول صلي الله عليه وسلم في رحابة الصدر للمدعوين ، وفتح المجال لهم في الحديث ليعبروا عما في أنفسهم .
مع بيان أهمية الفرائض في الإسلام وبيان ضروريتها في المقام الأول وما بعدها تابع لها، وأنها أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالي ، وفيه درس لمن يتقاتلون من أجل سنة من السنن في حين أنهم يقصرون في عشرات الفرائض ويرتكبون بعض الكبائر ، فربما ناظروا وناقشوا غطاء الرأس وهم في حقيقة الأمر عاقين لآبائهم وأمهاتهم ، وربما تكلموا عن أهمية السواك وهم لا يحفظون الضروري من القرآن ، فأولي لهم أن يبدؤوا بكبار العلم قبل صغاره وبالفرائض قبل السنن .
- بيان أن الطاعة بهذه الفرائض والصدق في أدائها توصل إلي الجنة وأن المسلم إذا صدق في عهده مع الله تعالي ليس له طريق إلا الجنة.
- ذكر النبي للنتيجة والثواب عند الله أمام الصحابة حتى يحفز ويعلم غيرهم ، فالبشارة بالخير والبشارة للمدعو تدفعه إلى فعل الخير والطاعة وتقربه من الله تعالي وتفتح أمامه طريق التشوق للعبادة وثوابها .
- أن المدعو إذا اقتنع بما عليه من تعاليم ازدادت رغبته في هداية الآخرين لاسيما قومه وأصحابه .
- وجوب تبليغ الدعوة إلى من لم تبلغهم وضرورة العمل لدين الله تعالي .
- سرعة الاستجابة مع منهج الإسلام الحق إذا حمله دعاة صادقين .
- ضرورة إنكار المنكر وبيان حقيقة الاعتقاد الفاسد وبيان دعوة الحق .
- الجهل يظلل علي العقول ويعمي الأبصار عن النور ويدفع بالناس إلى الانحراف .
- تحول المدعو بعد معرفة الإسلام الي داعية ،وإنكاره عبادة الأصنام وأنها حجارة لاتنفع ولا تضر ولا تعقل.
- بعد نقل المدعوين من العبادة الباطلة يجب توجيههم إلى عبادة الله وبيان ما جاء به الإسلام من حقائق وتشريعات .
- الدعوة تحتاج إلى جرأة في الحق وثبات وتضحية .
- الخير لا يأتي إلا بخير والإقناع يولد إقناعا فما لبث الناس أن أعلنوا ولائهم لدين الله وكفرهم بما هم عليه من الباطل في لحظات متقاربة بفضل صاحب الدعوة وصدقه ووفائه بعهده .

الجدل : -

وأما الجدل فهو في الأغلب اللدد في الخصومة في إطار التخاصم بالكلام وهو أسلوب تربوي لغير المسلمين والجدل والجدال والمجادلة كل ذلك ينحى منحى الخصومة ولو بمعنى العناد والتمسك بالرأي والتعصب له .
وتختلف المجادلة عن المناظرة أيضا وتختلف عن المكابرة " فالمناظرة هي توجه المتخاصمين في النسبة بينا الشيئين إظهاراً للصواب حيث يحاول كل طرف إثبات صحة رأيه ، وإبطال الرأي الآخر بالدليل .
والمجادلة هي المنازعة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم والمكابرة هي المنازعة لا لإظهار الخصم ولكن لمجرد الرد وإثبات الذات "(1)
وإذا كان الأمر كذلك فإن الصواب أن يأمر القرآن بالمناظرة لا بالمجادلة لأنها الأولى بالاعتبار على تلك التعريفات ، لذلك وجب السؤال : لماذا يأمر الله بالجدال في قوله تعالى { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ

---

1 - (الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وخصائصها د / أحمد غلو ش ص 667)

إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (1)
ولا يأمر بالمناظرة ؟بداية يجب العلم أن الله حكيم في شرعه " ومحال أن يأمر الله بغير طريق الصواب أو يجعل رسله يسلكون غيره " (2)
وقد أجاب صاحب المصباح المنير بذكر الصواب في ذلك ويبين أن الشارع جاء بمعنى واسع غير المعنى المتبادل من قبل بالنسبة للجدال . فيقول " جادل مجادلة وجدالاً إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، هذا أصله ، ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهو محمود إن كان الوقوف على الحق وإلا فمذموم . (3)
وقال الفخر الرازي : " الجدل المذموم في القرآن محمول على الجدل في تقرير الباطل وطلب المال والجاه والجدل الممدوح محمول على الجدل في تقرير الحق ودعوة الخلق إلى سبيل الله والذب عن دين الله تعالى " (4)
إذاً يتضح منها أهمية لفظه " بالتي هي أحسن " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (5)
في استخدامها مع الجدل وتقيده بها ليميزه عن الجدال المذموم ، ليعلم الداعي أن هدفه ليس الغلبة ولكن الإقناع والوصول إلى الحق " ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته كريمة وأنه عزيز الجانب وأن الداعي لا يقصد من مجادلته إلا كشف الحقيقة في ذاتها والوصول إليها من أجل الدين ، وليس نصرة لذاته وهزيمة الرأي الآخر " (6)
" لا يجرى الجدل القرآني على النظام المنطقي الذي يأتي بمقدماته قبل نتيجته إلا أنه مع ذلك يصنع النفس ، ويملأها باليقين ويرضي العامة والخاصة بحلاوة أسلوبه ودقة معناه وتركيزه على الهدف الذي سبق له ، كما ينبغي علي المجادل البعد عن سيئ القول ، ورداءة النقاش وسمو دائماً بالحوار إلى آفاق القيم النبيلة والسلوك القويم (7)

آداب الحوار في الإسلام :

"إذا كان المقصود من الحوار الوصول إلى الحق فإنه ينبغي على الداعية إلى الله تعالى قبل أن يقدم على الحوار أن يراجع نفسه ويصحح نيته ويخلص عمله لله وحده ، وأن يكون حواره ومناقشته من أجل الوصول إلى الحق والصواب ، وعليه أن يتفقد كلماته فلا يكون سبباً في إيقاظ فتنة نائمة أو فتح باب خلاف وشر بين المسلمين وعليه أن يلتزم بآداب الحوار التي وضعتها الشريعة للوصل إلى الحق والخير ومنفعة الناس في حدود ما أحله الله تعالى ". (8)

ومن هذه الآداب :

---

1 - (سورة العنكبوت الآية 46)

2 - (المصدر السابق ص 667)

3 - (المصباح المنير جـ1 ص 44 مادة (جدل)

4 - (مفاتيح الغيب جـ 2 / 252)

5 - (سورة النحل الآية 125)

6 - (في ظلال القرآن جـ4 /202دار الشروق جـ الآخرة)

7 - (الدعوة الإسلامية د / أحمد غلوش ص 668)

8 - وقفات تربوية في ضوء القرآن ص 26 : 30

الاستعداد والتهيؤ للمحاورة :

إن من احترام الداعية لنفسه أن يكون ملما بجوانب المواضع الذى يتحاور فيه جامعا به ممسكا بأطرافه جامعا فيه كل ما يستطيع أن يجمعه فيه من علم وفهم لجوانبه .

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن رجاء بن مرجي الحافظ قال : اجتمعنا في المسجد الحنيف أنا وأحمد بن حنبل وعلى بن المدني ويحي بن معين فتناظروا في مس الذكر فقال يحي بن معين : يتوضأ منه وقال علي بن المدني : يقول للكوفيين وتقلد قولهم واحتج بن معين بحديث بسرة بنت صفوان واحتج على بن المدني بحديث قيس بن طلق عن أبيه وقال ليحي كيف تتقلد إسناد بسرة ومروان إنما أرسل شريطياً حتى يرد جوابها إليه ؟ فقال يحي : ولقد أكثر الناس في قيس بن طلق وأنه لا يحتج بحديثه فقال أحمد بن حنبل رحمه الله : كلا الأمرين على ما قلتما فقال يحي مالك عن نافع عن ابن عمر : أنه توضأ من مس الذكر فقال علي : كان ابن مسعود يقول : لا يتوضأ منه وإنما هو بضعة من جسدك فقال يحي : عن من ؟ فقال علي : عن سفيان عن أبي قيس عن هزيل عن عبد الله وإذا اجتمع أحمد : نعم ولكن أبو قيس الأودي لا يحتج بحديثه فقال علي : حدثني أبو نعيم ثنا مسعد عن عمير بن سعيد عن عما ر بن ياسر قال : ما أبالي مسته أو أنقي فقال أحمد : عمار وابن عمر استويا فمن شاء أخذ بهذا ومن شاء أخذ بهذا ... " (1)

ومن فقه الدعوة في الحديث الشريف :

إن خير ما يتسلح به الداعية في حواره العلمي الجمع بين أطراف الموضوع جميعها ، وتصور جميع احتمالاته ووجوهه وأن يطلع على ما كتب في الموضوع من مؤيدين ومعارضين و أن يكون ذا نظر ثاقب ، دقيقاً في كلامه مع المدعو والاتفاق يساعد الداعي في أداء مهمته و الرجوع إلى أقوال الصحابة وأفعالهم لحسم الخلاف وعلي الداعية أن يكون هدفه إنصاف الحق لاإنصاف نفسه وان يكبر للعلم متي وجده وعند من وجده ، فالتعصب للرأي قد يضيع علي الإنسان خيرا كثيرا , وقد يتمسك الإنسان بالباطل والشر الذي يضره أحيانا ويترك ما ينفعه وأهمية المسجد في عقد اللقاءات العلمية والمحاورات الشرعية، والتعامل برفق وسماحة وموضوعية لاسيما في المسائل التي يسعنا فيها الخلاف ، مع ضرورة النزول للقول الحق حجة علي الجميع ينبغي أن نكبر له واحترام الخصم ولو كان أقل شهرة ففي هذا الموطن العلم يحدث عن نفسه لا عن صاحبه .

2- التزام الصدق والموضوعية :-

إن التزام الصدق للمحاور أساس المحاورة والالتزام بالآداب وتقاليد الحوار من أول ما يجب على الداعية التزامه فالداعية الذى يكذب فى سبيل تحقيق دعواه أو إثباتها ومن يبدأ حواره وهو واضع فى ذهنه خدمة هدف معين أو فكرة معينة هو مفتقد للموضوعية الواجب توافرها فى المحاور .

فالحوار البناء هو الذي يقوم على الصدق والوضوح والصراحة والذي يقصد به الوصول إلى الحق والعدل ومكارم الأخلاق .

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن عتبة بن مالك وكان من رهطه قال : بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم سرية فأغاروا على قوم فنشذ رجل من القوم فاتبعه رجل من السرية معه سيف شاهر فقال الشاذ من القوم : إني مسلم فلم ينظر فيها فضربه فقتله ، فنمى ذلك إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال قولاً شديداً ، فبلغ القاتل فبينما رسول الله صلي الله عليه وسلم يخطب إذ قال القاتل يا رسول الله والله ما قال الذي قال إلا تعوذاً من القتل فأعرض عنه رسول الله صلي الله عليه وسلم وعن من قبله من الناس

---

1 - (المستدرك ك / الطهارة 243/1 ح 493 وأورده الذهبي في التلخيص بإيجاز

وأخذ في خطبته ... (كل ذلك يعيد القول على رسول الله) حتى قال له رسول الله في الثالثة تعرف المساءة في وجه : إن الله عز وجل أبى على من قتل مؤمناً قالها ثلاث – "(1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

التزام الموضوعية وعدم الخروج عن الموضوع الذي هو محل الحوار بين الداعي والمدعو فتتشعب المسائل وتتداخل الخواطر والأفكار فيضيع الوقت والجهد مما يجعل المناقشة عقيمة وسطحية والتركيز من الداعي على موضوع المناقشة وأن يقصد إلى نتيجة واضحة محددة ، ضرورة الوضوح في الحوار وعدم التأثر بأهواء المدعو ، و أن الإقرار باللسان يكفي للاعتبار الإسلام ،وعلينا الحكم بالظاهر وترك السرائر علي الله تعالي ، و محاسبة المخطئ علي ما اقترف وتعليم الآخرين حتى يتجنبوا ، بيان أن القتل من أفظع الجرائم ومحاسبة الله تعالي عليه شديدة ، وأن المقتول ظلما في ذمة الله تعالي ، أن الحقوق ستوفي يوم القيامة ، وأن الفرد من وقت الشهادة تجري عليه أحكام الإسلام ، وضرورة تجنب العواطف والتفاعل بجدية وحزم مع القضية ، ومحاسبة المخطئ ولو كان مسلما وإنصاف صاحب الحق ولو لم يكن مسلما ، ولا مانع من معالجة القضايا الكبرى التي تهم عامة الناس في جمع من الناس حتى يتعلم الجميع ، مع التزام بأدب الحديث ، وبيان فضل كلمة لا إله إلا الله في الدنيا والآخرة .

3 - القصد في الإجابة وحسن الاستماع :

إن قلة الكلام سمة العلماء وكثرة الكلام دليل على قلة العلم والاستماع الجيد مفتاح الفهم الجيد والاستماع المنقصوص مؤد إلى فهم منقوص ومبتور مما يؤدى إلى الإجابة الخاطئة و"يجب على الداعية أن يكون مستمعاً جيداً ولا يتأثر بالكلام دون محاورة فيمل المتكلم حتى يقضي حديثه والإقبال عليه بوجهه وسمعه وبصره وعقله ، واعياً لما يقول محاوره " (2)

في المستدرك بسنده عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته " اللهم حاسبني حساباً يسيراً " فلما انصرف قالت : يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال : ينظر في كتابه ويتجاوز عنه إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك " (3)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :-

رحمة الله تعالي بعباده وتجاوره عنهم ، وحاجة العباد إلى معونة الله تعالي ، وبيان أهمية الدعاء في الصلاة .

وإكثار النبي صلي الله عليه وسلم من الدعاء والتضرع لله تعالي رغم مغفرة الله له ورغبة عائشة رضي الله عنها في معرفة مفهوم دعائه صلي الله عليه وسلم وحسن إجابة النبي لها وتجاوز الله تعالي عن كثير من أفعال العباد رغم إحاطته بكل شيء .

في الحديث استعمال النبي صلي الله عليه وسلم لأسلوب الترغيب مما يفتح باب الأمل في نفوس المدعوين ،وعلي العباد ألا يتكلوا ويهملوا العبادة أو الدعاء والتوسل إلى الله تعالي ، وإذا كان صلي الله عليه وسلم يجتهد في ذلك فأولي بالناس أن يجتهدوا .

4- حسن البيان وجودة العرض :-

---

1 - المستدرك ك / الإيمان /113 ح 479 وقال هذا حديث مخرج مثله فى المسند الصحيح لمسلم ووافقه الذهبى فى التلخيص.

2 - كيف ندعو الناس ص 73

3 - المستدرك ك / الإيمان 156/1 ح 189 وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ ووافقه الذهبي .

من الأمور الهامة في الدعوة والتي لها أثر عميق في نفوس المدعوين قوة البيان وحسن العرض ، فالمدعوين ينبهرون بالأسلوب الحسن ويعجبون بالألفاظ الجذابة التي تشد السمع وتجذب الانتباه ، وقوة البيان وحسن الأسلوب يعطي الداعي قوة وثقة لدي المدعوين وعلي النقيض، ضعفه في اللغة يقلل من تقدير الناس واستجابتهم له ، علاوة علي انصراف أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم عن دعوته ، ومن رحمة الله تعالي أن أنزل القرآن
بأفصح اللهجات وأحسن اللغات ، واختار الله تعالي نبيا عربيا فصيحا وآتاه الله الحكمة وفصل الخطاب وجوامع الكلم وكم من موضوع هام أضعفه قلة البيان وكم من موضوع بسيط زاده البيان حلاوة واهتماما .
" إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان والعرض من العوامل الهامة في إيضاح الفكرة وأدلتها ... من هنا يجب تجنب الألفاظ الغريبة صعبة الفهم أو الألفاظ المجملة التي تتحمل عدة معان من غير توضيح للمعنى المراد منها " (1)
وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس يعني لبيانهما . فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن من البيان لسحراً " أو " إن بعض البيان لسحر "(2)
5- احترام الطرف الآخر والتأدب معه :
ومن أجل نجاح الحوار والوصول به إلى النتائج المرجوة ينبغي علي الطرفان أن يتبادلا الاحترام والأخلاق الطيبة والسلوك الحسن كي لا يضيع الحق وتذهب فائدة العلم ، أو ينفض الحوار قبل التوصل إلى غايته المرجوة .
" فعلى الداعي أن يناديه بأحب الأسماء إليه ، بل يكنيه إن كان له ولد أو يناديه بلقبه إن كان له لقب ، ويجامله في الحق مع الاحتراز من الوقوع في النفاق والكذب في إضفاء صفات لا يستحقها المخاطب (3)
ففي الحديث :" لا تقالوا للمنافق سيدُ فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل " (4)
وعليه أن ينزل الناس منازلهم فقد أمر الإسلام بذلك .
عن عائشة رضي الله عنها أنه مر بها سائل فأعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل ، فقيل لها في ذلك . فقالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : أنزلوا الناس منازلهم (5)
ويتأكد الأمر إذا كان الطرف الآخر ممن كان له فضل سابقة في الدعوة إلى الله تعالى وحسن بلاء في دين الله وتعليم الناس الخير ، فلا يجوز جحود فضله وخيره أو الطعن فيه وتجريحه وذمه وذلك بسبب ذلة له أو فتور أو تكاسل أو تفريط وضعف ونحو ذلك فإن ماضيه المشرف يشفع له وهذا ما حدث مع حاطب بن أبي بلتعة .

---

1 - وقفات تربوية في ضوء القرآن ص 33

2 - البخاري كتاب الطب 5767 باب إن من البيان لسحراً جـ 10 / 286

3 - أدب الحوار في الإسلام ص 25 ، 27

4 - صحيح الجامع برقم 7405 وقال رواه أبو داو ود وهو في السلسلة الصحيحة برقم 370 للألباني

5 - رواه مسلم في المقدمة ص 201 وقال النووي ، والحديث صححه الحاكم في معرفة علوم الحديث وقال حديث عائشة رواه البراز في مسنده ، انظر النووي المنهاج شرح صحيح جـ1 / 141

كما مر في فضل الحكمة وعليه أن يتجنب ضمائر المخاطب (أنت) والمتكلم (أنا) مما يعد أحيانا لدي البعض من قبيل عد العناية بالمخاطب .

6- احترام الرأي الصائب :-

علي المحاور أن يلتزم الحياد والموضوعية والتجرد عن الأهواء التي تدع به إلى العجب والانصراف عن الحق ، أو الانتصار لنفسه ، أو محاولة ستر الحق وصرفه عن الناس أو صرف الناس عنه ، فالهدف ينبغي أن يكون لله تعالي وعند ظهور الحق ينبغي النزول عليه والتسليم له دونما أدني مكابرة .

"وهذا من الإنصاف أن يبدي المحاور إعجابه وثناؤه على الأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة وحسن الاستدلال والمعلومات الجديدة التي يوردها الطرف الآخر وعليه أن يسلم بخطئه دون أدنى غضاضة ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن أبي روثه رضي الله عنه: أن رجلاً صلى مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان في الصف المقدم أبا بكر وعمر ، فسلم النبي صلي الله عليه وسلم ثم انتقل من صلاته – فقام الرجل الذي أدرك معه التكبيرة الأولى من الصلاة يشفع (يتنقل) فوثب إليه عمر فأخذ بمنكبه فهزه ثم قال : اجلس فإنه لم يهلك أهل الكتاب إلا أنه لم يكن بين صلاتهم فصل ، فرفع النبي صلي الله عليه وسلم بصره : فقال أصاب الله بك يا ابن الخطاب"(1)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :-

تفاوت المدعوين في علمهم بالدين وتفاضل بعضهم علي بعض ، ووجوب توجيه النصيحة للآخرين وإرشادهم إلى الوجهة الصحيحة للعبادة ،ضرورة إنكار المنكر وان صغر من آحاد الأمة إذا كان المنكر له علي علم ومعرفة ، فقد أنكرا بن الخطاب رضي الله عنه رغم وجود النبي صلي الله عليه وسلم ولم ينكر عليه الرسول ذلك لكنه اقر ما فعل عمر ، و احترام كل من الداعي والمدعو لبعضهم البعض ، دون اعتراض أو مكابرة ، وفقه أمير المؤمنين بن الخطاب وغيرته علي الدين وشدته في الحق .

تغير الأمر وتصحيح الخطأ في مثل هذه الحالة فرض كفاية ، فقد قام به ابن الخطاب وحده ولم يتدخل أحد غيره لكفايته في هذا الأمر ،وبيان أن التقصير في أمور الدين وفهم الشريعة مهلكة ولو استهان بها البعض .

" ولا يفوتنا هنا أن نذكر بما ورد عن عمر لما أراد تحديد المهور فقاطعته امرأة وقالت كيف تنهانا وقد قال الله تعالى " وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (2)

فما كان من عمر τ حين سمع الآية إلا أن رجع عن قوله وقال كلمته العظيمة : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، كل الناس أفقه من عمر "(3) فهذا هو أمير المؤمنين ابن الخطاب القوي الذي يهابه الناس يسمع الحق علي لسان امرأة فينصت ويسمع ويستجيب لها نزولا علي للحق ،ويعترف بأنها في الأمر هذا أصوب منه، علي مرأى ومسمع من الأمة ، ويسجل التاريخ هذا الحدث ليكون للأمة منهجا

---

1 - المستدرك ك / الصلاة ب / التأمين 378/1 ح 1024 وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأورده الذهبي وقال الحديث منكر .

2 – سورة النساء الآية 20

3 - الخلفاء الراشدون ص 114 حسن أيوب ، في أصول الحوار ص 73 ، 74

تسير عليه في أخلاق الحوار والسماع للرأي الأخر واعتبار المنهج الحق ، فليت الناس يقبلون ما قبله عمرا لفقيه فاروق الأمة صاحب الخشية من الله تعالي .

وهناك بعض آداب أخرى نذكرها مجملة خشية الإطالة :

7- النهي عن نبرة التحدي والإفحام حتى ولو كان بالحجة والدليل :-

قال الله تعالى لنبيه :(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً)(1)

8- النهي عن رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع :-

وذلك لأن رفع الصوت لا يقوى حجة صاحبه بل هو رعونة وإيذاء للسامعين فعليه بالتوسط والاعتدال فإنه أنفذ للنفوس وأحفظ لجلال المتكلم ولا يظن أنى أدعو إلى التماوت في الحديث حتى يجلب النوم للمستمعين ولكن القصد أعني وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت :"كان كلام رسول الله صلي الله عليه وسلم فصلاً يفهمه كل من سمعه " (2) فيتكلم بصوت أديب وكلام رتيب وعبارات واضحة غير جارحة ، فالحوار ينبغي ألا يتحول إلى معركة كلامية أو مشاجرة تبدأ باللسان وتنتهي بالسنان ، فتلك حجة المفلس ، وسلاح الضعيف ، وأسلوب البليد الذي لا يجد له مخرجا غير الضجيج والتشويش ليخرج نفسه من مأزق الحوار ، أو هو طريق من يريد الانتصار لرأيه ومنهجه لا يبتغي الحق ولا يرغب في الصواب ، فيغطي علي فشله وخيبته بالغوغاء والمعارك الكلامية، والصواب أن يراعي كل من الطرفين أدب الحوار ويسمع محاوره مراده بصوت يناسب المقام الذي هم عليه دون أي إساءة .

الأمانة في العرض والنقل وعزو كل قول إلى قائله فإن ذلك من بركة العلم:-

مراعاة الأمانة واجب ديني ، وأدب أخلاقي ضروري في كل جوانب الحياة دينية مالية واجتماعية وإنسانية وعلمية ، والإلزام به في الحوار لا يقل شأنا عن أي جانب من الجوانب الأخر، والحوار دعوة وهداية للناس ، فالتزييف فيه يهدي الناس إلى ضلال وانحراف ويبعدهم عن الخير ويقع عبء ذلك كله علي من تسبب فيه ، وإذا زيف المحاور فقد ضيع الحق ، وخان العلم وخان الناس ، ولو سار الناس علي الخطأ ما وصلوا إلى الصواب ويظل الداعي لهم يجني ثمار ما عليه ، ونسبة الرأي إلى قائلة أمر هام وهو من باب أداء الأمانة إلى أهلها ، وأولي بكل إنسان أن ينال جزاء عمله ، ونسبة الرأي إلى قائله تبرؤ ساحة الإنسان فإن كان خير فهو لصاحبه وإن كان شرا فهو كذلك ، ويكفي عن الإنسان ولو لم يضف جديدا أن يظهر للناس الحق ، ويبلغه عن الآخرين ، وأن يكشف للناس الغائب عنهم ، فيكفيه أجر وثواب التبليغ .

الحذر من الكذب والغموض والمراوغة عند الإحساس بضعف الحجة :

وعليه فيجب على الداعي أن يكل العلم إلى الله فيما لا يدري ، كيف وقد قال سيد الخلق لا أدري وقال جبريل لا أدري .

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمر قال : جاء إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي البقاع شر ، قال لا أدري ، فأتاه جبريل ... " الحديث (3) ولا عيب أن يقول الداعي لا أدري فذلك خير له من أن يضل الناس بالجواب الخاطئ في أمور ربما كان الخطأ فيها مهلك له

---

1 – سورة الإسراء الآية 53

2 - مصنف ابن أبى شيبة ما يستحب من الكلام 300/5

3 - رواه الحاكم في المستدرك ك / البيوع 2/ 141 ح 2194 وقال الذهبي له شاهد فى الصحيح

وللآخرين ، وقد كانت المسألة تعرض علي الكثير من الصحابة كل منهم يحيلها إلى الأخر حتى تعود إلى الأول

المبحث الثاني

الجدل بالتي هي أحسن كما تصوره أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

إن الجدال هو أسلوب دعوة العالمين الموافقين منهم والمخالفين وهو أسلوب ثقيل شديد ينبغي أن يساق بالحسنى وأن يغلف ليس بالحسني وفقط ولكن بالتى هي أحسن .
وللجدل في اللغة تعريفات عدة تدور كلها في فلك واحد حول معان متقاربة في إطار إقناع المجادل للطرف الأخر في موضوع ما ، وبحيث يتم ذلك في نطاق الإقناع بالحجج الدامغة والأدلة الواضحة والبراهين القاطعة ، وبعيدا عن التشاحن أو التباغض أو الانتقام للذات ، أو محاولة إحراج الخصم .

أولاً : تعريف الجدال لغة :

اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، يقال : جدل الرجل يجدل : اشتدت خصومته فهو جدل ، وجادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته (1) الجدل : مصدر جدلت الحبل أجدله ، أجدله جدلاً إذا فتلته فتلاً محكماً ، فالجدل شدة الفتل والأصل منه : جدل ، والمتجادلان يفتل كل منهما صاحبه عن رأيه وجادلت الرجل مجادلة وجدالاً إذا خاصمته ، وجادلت الرجل فجادلته جدالاً إذا خاصمته ، وجادلت الرجل فجادلته جدلاً إذا غلبته ، يقال إنه رجل جدل إذا كان شديد الخصام ، ورجل جدل إذا كان ألوى وأقوي في الخصام والجدل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة(2)كما يطلق الجدل ويراد به : مقابلة الحجة بالحجة والمناظرة والمخاصمة ،وقال ابن فراس : الجدل من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه ، وانتداد الخصومة ومراجعة الكلام (3)
" وقال الراغب : الجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة " (4)

---

1 - تاج العروس 254/7 ،والافصاح في اللغة 205/1 .

2 - لسان العرب لابن منظور جـ11 / 103 . والقاموس المحيط 336/3 .

3 - معجم مقاييس اللغة 433/1 ، وراجع الصحاح 1653/4 .

4 - المفردات في غريب القرآن / 89 ، 90 دار المعرفة بيروت .

ويحاول كل طرف من المتجادلين إثبات صحة دعواه وإلزام الخصم بها ولو لم تكن هي الصحيحة من وجهة نظر الآخرين فهي من وجهة صاحبها هي الأصح والأولي وإلا لما دافع عنها وخاصم الناس من أجل إثباتها وتوضيحها .

اصطلاحاً : " الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاة وإثبات دعوى المتكلم ومنه حسن وقبيح "" (1) فتدور التعريفات حول المناقشات التي تقع بين طرفين كل منهما يحاول الوصول إلى هدف أو قضية معينة قد يكون معه الحق أو عليه ، وربما كانت القضية كلها صالحة للحوار أو غير صالحة حسبما يتفق الطرفان في تحديد موضوع الجدل ، فقد يكون في حق وقد يكون في باطل من أحدهم أو كلاهما

و اختلاف الغاية و الوسيلة جعله ينقسم الي:

أولا: جدل قبيح و مذموم و هو الجدال الباطل الذي يقصد منه الانتصار للنفس و الأهواء, و تحقيق شهوة الاستعلاء و التغلب علي الخصم, و هذا النوع قد نهينا عنه شرعا لأنه يتحول الي مسألة فردية شخصية بحتة , و يكون الغرض منه إثبات الذات أكثر من إثبات الحقيقة , و من هنا فهو يؤدي الي زيادة العناد , و إتباع ألهوي و جحد الحق .

و عن أبي امامة قال: قال رسول الله صلي الله عليه و سلم: ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلي الله علية و سلم قوله تعالي:

(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (2)

ثانيا: جدل حسن و ممدوح: و هو الجدال الذي يقوم علي الحجة و المنطق و يقصد منه: إظهار الحق ووضوح الصواب و الإقناع به , و هذا النوع امرنا به شرعا لقوله تعالي :

(وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (3)

أي بالطريقة التي تتصف باللين و الملاطفة و الرفق من غير فظاظة و لا تعنيف, و هذا النوع هو المحمود في مجال العمل الدعوي بل هو أحسن أساليبها عند الحاجة إليها – و قد أوجبه ابن حزم لمن يكون قادرا علية إحقاق للحق و إقامة للحجة الإسلامية (4)

وعد الإمام ابن تميمة عدم استخدامه مع القدرة عليه من التقصير في حق الإسلام إذ يقول (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد و البدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطي الإسلام حقه, و لا وفي بموجب العلم و الإيمان , و لا حصل بكلامه شفاء الصدور , وطمأنينة النفوس , و لا افاد كلامه العلم و اليقين) (5)

ثانياً : أنواع الجدل :-

و ينقسم الجدل إلى ممدوح ومذموم لأنه إما أن يراد به الحق أو يراد به الباطل ، وإما أن يلتزم طرفيه بالمنهج العلمي والقواعد الأخلاقية الموضوعة له والضوابط التي تحكم الحوار وإما أن تغاير كل

---

1 - المصباح المنير جـ 1 / 102 .

6 –سورة الزخرف من الآية 58

7 – سورة النحل من الآية 125

8 - ابن حزم حياته و عصره للإمام محمد أبو زهرة ص 202 دار الفكر العربي 1954 م

ذلك ويجتهد كل طرف فيه بإثبات ما يناسبه بما يناسبه ، فربما كانت الغاية عند البعض فوق الحق وربما بررت الغاية في الغلبة الوسيلة الكريمة في الحوار .

1- فالجدال المذموم :

ما كان بمعنى العناد والمكابرة واللدد في الخصومة والانتصار للنفس والهوى وليس لطلب الحق بل ربما يقصد به ضياع الحق وانهزامه ، وهو الذي يقوم كذلك علي غير علم ومعرفة ، وقد ذم الله تعالي ذلك النوع من الجدل ، ففي القرآن الكريم يقول **"" الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ "**(1)

وهذا النوع فساد وظلم ولو بالكلمة والله تعالي محاسب عليه اشد الحساب في الآخرة قال تعالى : " **وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ"** (2).

2- النوع الثاني : وهو الجدل بالتي هي أحسن:-

والهدف منه كما بينا آنفاً المناقشة لإظهار الحق وهذا النوع هو ما ذكره القرآن الكريم وسمح به وجعله من أساليب الدعوة التي سمح بها شرعا ، فقال تعالي :-

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (3).

وأورد الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : تلاحى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال الآخر : هو مسجد قباء فتساوقا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألاه عن ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجدي هذا. (4)

فالحوار البناء هو ما كان هدفه الوصول إلي الصواب ، والتحقق من أمر خير في مسألة معينة ، وأفضل ما يكون في المسائل الشرعية ،وقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم ، لكن في علم نافع ، وبحسن الخلق والتزام الأدب الشرعي والسلوك الديني ، ثم الالتجاء إلي حكم الله تعالي ورسوله والتسليم في النهاية لما يحكم به الشرع بعيدا عن الهوى والضلال .

فكثيرا ما يحتاج المصلحين بل " يحتاج الرسل والدعاة إلى معرفة الجدل ليؤثروا في معارضتهم لأن تغيير العقائد ليس أمراً سهلاً ، وقد أعطى الله رسله بالبيان وأرسلهم بلغة أقوامهم ومنحهم القدرة على المخاصمة لكي يردوا جدل المعارض ويقنعوا السائل ومنحهم القدرة على المخاصمة لكي يردوا جدل المعارض ويقنعوا السائل ويأخذوا بيد الجميع عن طريق المناقشة الحرة العاقلة " (5)

فلدعوة أعداء يتربصون لا يكلون ولا يملون من النيل منها والطعن فيها والتشكيك في ثوابتها ورموزها ، ولا بد من التصدي لهذا العدوان الزاحف ، وأفضل علاج له هو دحض شبه وأرائه عن طريق الحجة والبرهان ، فلم يشرع الجدل من أجل عناد الناس أو تسفيه أحلامهم أو الغلبة علي

---

1 – سورة غافر من الآية 35

2 – سورة غافر من الآية 5

3 – سورة النحل الآية 125

4 - 478/2 ، برقم 3286 -هذا حديث صحيح الإسناد تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح ط دار الكتب العلمية

5 - الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها د / أحمد غلو ش ص 670

الحق ،وإنما شرع الجدل للوصول إلى الحق . لذا فقد فرض الإسلام أخلاقا وآداب في الجدال لا بد من اتباعها ، وبين أصنافا معينة من الناس لا نجادلهم ولا نقحم أنفسنا في خلافا معهم ، فبغيتهم وهدفهم غير الحق، ففي المستدرك ((عن عكرمة عن الحارث بن عميرة قال : قدمت من الشام إلى المدينة في طلب العلم فسمعت معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم .....و إياكم و زلة العالم و جدال المنافق .....)) (1) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : سيأتي على أمتي زمان تكثر فيه القراء و تقل الفقهاء و يقبض العلم و يكثر الهرج قالوا : و ما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل بينكم ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المنافق الكافر المشرك بالله المؤمن بمثل ما يقول (2) فالجدل الذي هدفه السفسطة ومضيعة الوقت والعبث به أمر لا يقره دين ولا يرتضيه الإسلام ، إنما الذي أمر به الإسلام جدل في الحق ، يوصل إلي الخير والنفع ، يستثمر فيه المتجادلون أوقاتهم لكن يخرجون منه بفائدة ، لهم ولمن معهم ، وهذا ما يجب أن يلتزم به الداعية في سلوكه وجداله مع الناس إن دعي إليه ، ، وقد بين الحديث الشريف تجنب أهل النفاق ، الذين يجعلون من الجدل غلبة وسيطرة للهوي علي الحق ، فهدفهم منه الباطل ، لذا فغير مسموح في الإسلام ، بالعبث والدخول في مغامرات مع هؤلاء ، فأوقاتهم هينة عليهم ليسوا فيها كالمسلمين.

و هذا ما يدفعنا إلي بيان:

<u>الغرض من الجدل</u>: من خلال ما سجلنا من تعريفات و مدلولات لكنه الجدل و المجادلة أتضح لنا الهدف منه و هو دفع الخصم عن رأيه الباطل و الخاطيء و فكره الفاسد و تصحيحه بالحق والصواب.

أو هو كما قال الزبيدي: و الغرض منه: إلزام الخصم و إفهام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ([3])

<u>وقد وضح علماؤنا قواعد و آداب يجب مراعاتها عند الجدال و أهمها:</u>

أولا:- أن يكون المناظر و المجادل عالما أو صاحب رأي, لديه القدرة علي معرفة الدليل و النظر في الأدلة المختلفة و استنباط وجه الحق منها

ثانيا: - أن لا يكون الجدل لهوي في النفس و إنما لدفع الحق و بيانه

ثالثا :- أن لا يكون إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا

رابعا : - أن تكون المناظرة و الجدال بعيدتين عن أوجه المؤيدين أو المعارضين فإن الخلوة اجمع للفهم و احري بصفاء الذهن و الفكر و درك الحق .

---

1 - المستدرك كتاب الفتن والملاحم 466/4، والحديث برقم 8296 - قال الذهبي هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه المستدرك دار الكتب العلمية الطبعة الأولي 1411--- 1990. من حديث طويل اقتصرت فيه عيل موضع الاستشهاد.

2 - المستدرك 4/ 504 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه دار الكتب العلمية الطبعة الأولي تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح ، والحديث برقم 8412 - دار الكتب العلمية الطبعة الأولي 1411--- 1990.

1 - منهج الدعوة إلي الله تعالي كما تصوره سورة النحل ص 263, 258

خامسا :- أن يكون كلا المتحاورين أو المتناظرين – كلاهما – في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة علي يده أو علي يد من يعاونه لان المسلم جندي للحق و ليس عبدا للهوي
سادسا :- أن يتخلى كل منهما عن التعصب لوجهة نظره و يعلن استعداده التام للبحث عن الحق بالدليل و الحجة الدافعة و الأخذ به عند ظهور الحجة و لو كانت هي وجهة نظر خصمه, و الجدال علي هذا النحو اقرب الي لمس القلوب المستكبرة المعاندة التي تأبي التخلي عن التطاول بالجاه و العزة بالإثم, واقرب و أجدر بأن يذيب الجليد المتراكم علي الأفئدة فتجنح إلي الاقتناع و المنطق
سابعا : - تقييد كل من المتناظرين بالقول الحسن, و السلوك المهذب البعيد عن التجريح و التشنيع بالغير و السخرية و الاستهزاء البعيد عن الاحتقار أو الازدراء لوجهة النظر التي يعرضها مناظرة و محاورة
ثامنا : - ضرورة الالتزام بالطرق المنطقية السليمة في حسن المناظرة و المجادلة و التي تعتمد علي الحجة القوية و المنطق و الدليل القويم الصحيح
تاسعا : - أن لا يكون المناظر مخالفا في عمله أو سيرته أو مواقفه لدعواه التي يحاول أن يثبتها
عاشرا :- الا يكون كلامه أو دعواه تعارضه, فإن كان كذلك كانت حجته ساقطة و دعواه متهافتة بداهة.
الحادي عشر:- عدم الطعن في أدلة المناظر إلا ضمن الأصول المنطقية و القواعد المسلم بها لدي الفريقين
الثاني عشر: - قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القطعية أو الراجحة و الا كانت من العبث الذي لا يجدي شيئا[1]
و إلي جانب هذه الأصول المتبعة بين الطرفين المتجادلين هناك مجموعة من الآداب ينبغي مراعاتها و من أهمها إجمالا:
أولا :- أن لا يكون المناظر في حالة قلق نفسي أو اضطراب أو في حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري و النفسي
ثانيا :- الا يظن المناظر خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن فيتهاون في إعداد الحجة فيكون هذا سببا في تغلب خصمه عليه
ثالثا :- الا يظن خصمه اقوي منه بكثير فينعقد لسانه و يلجم في بيان حجته و دعوته
رابعا :- أن يتجنب المجادل مجادلة ذي هيبة أو سلطان إن كان يخاف علي نفسه خوف الضعف و التسليم بغير حجة أو خوف ضغط الخصوم و تشويش العامة
خامسا : - أن لا يكون متسرعا متعجلا فذلك يفسد عليه رويته و تفكيره و ربما ينسيه قواعد و أصول المجادلة و المناظرة فيفقده اتزانه في الوصول إلي الحق
سادسا :- أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه أو الإفادة له, و لا يتخذ بعض الضعفاء سندا بغية إظهار الباطل و ترويجه أو بغية إظهار العلم و المعرفة و القدرة
سابعا : - أن يقصد كل من المتجادلين المساهمة في إظهار الحق و لو علي يد خصمه
ثامنا : - أن يتجنب كل منهما التهكم و السخرية من الآخر.
تاسعا : - أن يتجنب كل منهما الاختصار المخل و الطول الممل و أن يراعي مقتضي الحال
عاشرا :- أن يتجنب التكلف و التشدق بالألفاظ الغريبة و الاصطلاحات الأعجمية غير المعلومة و المفهومة لدي خصمه.

---

1 - راجع لمزيد من الاستفادة (الدعوة إلي الله) د. توفيق الواعي ص 300 – 309 بتصرف يسير

الحادي عشر:- ضرورة التسلح بالذكاء و الفطنة و العلم و قوة البيان و سلامة الفكر و نبل الهدف حتى يؤدي هذا إلي الإقناع و إظهار اشراقة الحق و نور الهداية (1)

ثالثاً: أركان المجادلة

للمجادلة ركنان أساسيان هما :

"موضوع المجادلة أو القضية التي تجري حولها المجادلة

متحاوران أو متناظران ، أو فريقان يتحاوران حول موضوع المجادلة أحدهما مدعٍ أو ناقل خبر والآخر معترض عليه أو ناقض لحجته ."(2)

" والمجادلة : مفاعلة من الجانبين بمعنى أن كل واحد من الداعية والمدعو مرسل ومستقبل في آن واحد ، ولذلك وصفت الموعظة الحسنة ويكون المقابل لها هو السيئة ، وأما المجادلة فقد وصفت : بالأحسن " ويمكن أن يكون المقابل لها هو الحسن ، بمعنى إذا ما كان كلام المجادل حسناً ، كان كلام الداعي في مخاطبته والإجابة له بما هو أحسن منه ، وقد يكون المقابل للصفة هنا هو الضد بمعنى الأسوأ أو السوء فيكون المقابل له من الداعية ما هو الأحسن له في هدايته وإرشاده ودلالته على الطريق "(3) فالمجادلة في الإسلام هادفة موصلة إلى الحق والصواب، مفصحة عن الخير الذي يهدي الناس إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم ، أما الإسراف ومضيعة الوقت ومضايقة الآخرين فذلك إسراف يحاسب عليه الإسلام وينهي الناس عنه ، ولا خير فيمن قصد العبث من خلال الجدل فهو عليه لا له،وهو من قبل الضلال والكذب وقلب الحقائق ومضيعة الوقت التي يحاسب عليها الإسلام .

رابعاً : شروط المجادلة :-

للمجادلة شروط لا بد من توافرها والالتزام بها حتى لا تخرج عن إطارها المطلوب أو تكون لغو أو مضيعة للوقت وهذه الشروط هي :

"أن يكون موضوع المجادلة مما يجوز أن تجرى فيه المجادلة ضمن قواعد هذا الفن وضوابطه فالبديهات الجلية مثلاً لا يجري فيها المجادلة إلى غير ذلك.

أن يكون المتجادل على معرفة بما يحتاج إليه من قوانين المجادلة وقواعدها خاصة حول الموضوع المراد المجادلة فيه .

علم المتجادلين بالموضوع محل الجدال حتى يمكنها استحضار الأدلة والبراهين والحجج المتصلة بالموضوع

أن يتفق المتجادلان على عرف ونسق تجري على أساسه المجادلة كأن يتفقوا على عرف النحاة أو الفقهاء أو المحدثين أو الفلاسفة فإذا اتفقا على ذلك فليس لأحد منهما أن يخرج على العرف الذي اتفقا عليه (4) فما اجتمعا إلا لبيان الحق والوصول إليه ، في إطار أخلاقي مجرد من الهوى والعبث

خامساً: آداب الجدال:

---

1 - المرجع السابق ص 310 و ما بعدها بتصرف يسير

2 - ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ص 374 لحبنكة ، ط / دار القلم ، الدعوة إلى الله / توفيق الواعي ص 311 دار اليقين بالمنصورة

3 - الدعوة إلي الله فقهاً ومنهجاً / محمد ذكي الدين قاسم ج 249/1

4 - أدب الحوار والمناظرة ص 66 دار الوفاء سنة 1410

ولا تختلف الآداب في الحوار عن الآداب في الجدال كثيراً ، إلا أنه لما كانت الغلبة ظاهرة وقوية في المجادلة كان لزاماً من التنبيه على كلا الطرفين الداعي والمدعو من مراعاة تلك الآداب عند المجادلة ونذكرها على سبيل الإجمال :

1- أن تكون الغاية والمقصد هو إظهار الحق ولو على يد خصمه:

الغاية فى الجدال ينبغى أن تكون نبيلة ويرجع نبلها إلى تخليص النية فيها والنية التى يجب أن تكون مشتركة بين الطرفين هى الوصول إلى الغاية المثلى والهدف الأعظم وهو الحق ولا شيء غير الحق .

"وقد رأى الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ولده حماداً يناظر في الكلام فنهاه فقالوا : رأيناك تناظر فيه وتنهانا عنه ؟ فقال : كنا نناظر وكان على رؤوسنا الطير مخافة أن يزل صاحبنا وأنتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم (1) ..... فكثير من المتناظرين اليوم قد حول الجدال إلى معركة كلامية لا طائل من ورائها ، وربما تطرق السب والشتم إلى طاولة المتجادلين في إطار لا يتناسب مع حرمة العلم ،وربما كانت القضية محل الجدل فارغة لا طائل من ورائها ، ومثل هذا النوع جدل باطل يسقطه الإسلام من نظمه وحساباته وينئي بالمسلمين عنه ، لذا نجد الله تعالي في كثير من العبادات ينهي العباد عن الجدل لاسيما وقت التلبس بالعبادة ففي الصيام ينهي الصائمين عن الجدل وفي الحج ينهي الحجيج عن الجدل ، ولا ينكر عاقل أن النهي ما جاء إلا لخطورة الجدل وإفساده للعبادة أو التقليل من ثوابها..... .

2- تجنب مجادلة ذي هيبة أو سلطان يخشاه ، إلا على سبيل المناصحة

أن يتجنب كلاً من المتجادلين نبرة السخرية والاستهزاء بصاحبه أو كل ما يشير إلى ذلك .

"أن يحترز من الاختصار المخل أو التطويل الممل ، وتجنب الألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معان من غير ترجيح أحدها المراد ،وألا يخرج كلا المتجادلين عن موضوع المجادلة ، ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر قبل أن يفهم مراده تماماً مع الاعتدال في تقييم الخصم فلا يعظم أمره ولا يحقر شأنه ، وأن يتوخى كلا المتجادلين اللين والرفق في مجادلتهما من غير شدة خلق ولا قسوة قلب ، وأن يستعمل من الأدلة أظهرها وأجلاها حجة وأعدلها مسلكاً ، وأن يجتهد كلاً من الطرفين في كشف الشبه وتفنيدها بالطرق الصحيحة والبراهين العقلية، مع التزام قبول النتائج التي توصل إليها الحجج القاطعة والبراهين الساطعة وإلا كانت المجادلة ضرباً من العبث الذي لا يليق بالعقلاء ، وفوق ذلك كله مراعاة أدب الحديث : مثل أن يتحدث بالعربية الفصحى ، التمهل بالكلام أثناء الحديث وعدم التكلف في الفصاحة والتنطع في الكلام والإصغاء التام إلى المتحدث وعدم مقاطعته مراعاة حال المخاطب" (2)

سادساً : نماذج من الجدل بالتي هي أحسن في السنة المطهرة :

إن الجدال بالتي هي أحسن سلاح ودرع للحق وليست قضية الجدل مستحدثة أو بدعة من القول أو وليدة اليوم وإنما هو علم عرف في كلام العرب قبل الإسلام، وظهر أيضا في كلام الأنبياء ومواقفهم في دعوة أقوامهم ، ومن ثم فقد جاء الإسلام فلم يحرم الجدل ولم يمنعه وإنما وضع له الشروط والضوابط التي يسير فيها وينطلق منها ، وأوصي بأن يكون الجدال حسنا يبتغي به وجه الله

---

1 - الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً ص 257

2 - انظر في ذلك كله : المناهج في ترتيب الحجاج / لأبي الوليد الباجي ص 9 ، 10 الكافية في الجل للجو يني إمام الحرم ص 529 ، 541 ط / الحلبي سنة 1399بتصرف يسير هـ ، ضوابط المعرفة لعبد الرحمن حسن حبنكة ص 372 ، 373

تعالي ، في إطار أخلاقي بعيد عن التعدي والانحراف والبعد عن الصواب . ومن شواهد ظهوره قديماً في العرب " ما ورد عن المستشرق دوزي : أن النصارى ناقشوا العرب وحاولوا إدخالهم في النصرانية وقد جعلت الدولة الحميدية الأولى والثانية منطلق الأحباش من اليمن لتنصير أهل مكة وبعدها يتنصر العرب كلهم ومن ذلك أن المنذر الثالث ملك الحيرة أراد الأساقفة أن ينصروه فكلمه أحدهم وهو صامت حتى دخل عليه أحد قواده ، واسر له بشيء فظهرت على المنذر أمارات الحزن العميق فسأله الأسقف عما أصابه ؟

فأجابه المنذر : واحسرتاه لقد علمت أن رئيس الملائكة قد مات فقال القسيس : هذا محال ، وقد غشك من أخبرك فإن الملائكة خالدون يستحيل عليهم الفناء .

فأجابه المنذر على الفور : أحق ما تقول وتريد أن تقنعني بأن الله ذاته يموت ؟؟!!" فبهت الذي كفر " (1) فمن فطنة المنذر أن اغتنم الفرصة واستغل الوقت للدين والدعوة وإقامة الحجة، فالنصارى يذكرون أن المسيح هو الله تعالي ويعتقدون بأن المسيح عليه السلام مات مصلوبا ،ويقيمون الحجة والبرهان الباطل علي ذلك، وهذا أصل اعتقادهم ، لذا فقد اغتنم المنذر الفرصة ورد الأمر عليهم علي الفور ،إذ كيف ينكرون موت الملائكة ويثبتون الموت لله ، ويقنعون أنفسهم بذلك ، ومثل هذه الموقف كثير ويحتاج من المسلم المجادل إلى فطنة وسرعة بديهة وسعة علم وإطلاع ومعرفة بثقافة الآخرين حتى يتمكن من رد شبهاتهم واثبات باطلهم .

وقد استخدم النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان من الأئمة والعلماء والفقهاء الجدل بالتي هي أحسن لإظهار الحق وتبليغه للناس .

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي قال : قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي فسأله عن هذه الآية : " ولقد أتينا موسى تسع آيات بينات " فقال : لا تقولوا له نبي فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين قال : فسألاه فقال صلي الله عليه وسلم: لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرئ إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة وأنتم يا يهود عليكم خاصة ألا تعدوا في السبت فقبلا يده ورجله وقالا : نشهد أنك نبي فقال : ما منعكما أن تسلما ؟ قالا : إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي وإنا نخشى أن تقتلنا يهود (2)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

كلما كان المدعو متجرداً كان أقرب للوصول إلى الحق ، وفيه إجابة الداعي للمدعو عند المجادلة يجب أن تكون قصداً ، وعدم تفريع المدعو لقضية الدعوة وموضوع المجادلة خاصة ، والتسليم للخصم عند المجادلة ما دام ما جاء به حقاً ، ومعرفة أهل الكتاب بدعوة الإسلام ورسوله ، وفيه ذهاب اليهود إلى النبي صلي الله عليه وسلم للتحقق من نبوته وحسن معاملة النبي لهم، وعلي الداعية أن يوضح للناس صدق ما يدعو إليه ولا ينكر عليهم رغبتهم في ذلك ، وعلي الداعية أن يكون ذا صدر رحب يسع كل الناس علي اختلاف مذاهبهم وأفكارهم ومعتقداتهم ، وإثبات الداعية لصدق ما جاء به وعرضه الدعوة بأسلوب حسن دون ضغط أو إكراه علي اعتناق الدين ، وقبول الداعية للحوار مع الخصم مهما كان معتقده وأفكاره ، واحترام الداعية لرغبة المدعو في الإسرار بالاعتقاد إن خشي علي نفسه الضرر .

---

1 - تاريخ الجدل ص 23

2 - المستدرك ك / الإيمان 104/1 ح 20 وقال صحيح ولا نعرف له عمله بوجه من الوجوه ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص

وفي المستدرك بسنده أيضا عن عوف بن مالك الأشجعي قال : انطلق النبي صلي الله عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود فقال : يا معشر اليهود أروني اثنا عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم قال : فأسكتوا ما أجابه أحد منهم ثم رد عليهم فلم يجبه منهم أحد، فقال : أبيتم فو الله لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى آمنتم أو كذبتم ثم انصرف وأنا معه حتى كدنا نخرج فإذا رجل من خلفنا يقول : كما أنت يا محمد فقال ذلك الرجل : أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود ؟
قالوا : والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك قال : فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة فقالوا : كذبت ثم ردوا عليه قوله وقالوا فيه شراً ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :كذبتم لن يقبل قولكم أما آنفاً فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم وأما إذا آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم فلن يقبل قولكم ، قال فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله صلي الله عليه وسلم أنا وعبد الله بن سلام وأنزل الله تعالى : " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ((1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف ::

حرص الداعي ورحمته وشفقته على المدعو وإن كان مجادلاً ، وضرورة المثابرة في المجادلة مع الخصم وإن كان ممن ينكرون الحجة ويجحدونها ، وعدم الحط من قدرة الخصم عند المجادلة، وان غاية الداعي هو إظهار الحق والدعوة لدين الله ، و البدء مع المجادل الذي لا يريد الحق بالبديهيات والمسلمات التي لاختلاف عليها والتي تقرب وجهات النظر بين الطرفين ، وضرورة استخدام أساليب الاستفهام ليقيم الخصم (المدعو) الحجة على نفسه بنفسه ، وفضل عبد الله بن سلام τوتمسكه بالحق وتحمله لافتراء القوم ،وعناد اليهود وتمسكهم بالباطل رغم معرفتهم للحق ، وتحمل الدعاة لأذى المدعوين وتحولهم عن الحق ، وأن الداعي قد يحتاج عند المجادلة مع من يرى كمال عقله ويظن به الخير والفقه إلى الشدة في القول أحياناً ، وتوضيح الصواب في المسألة فلا حياء في توضيح العلم .
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن أبي الدر داء قال : كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : " هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء قال : فقال زياد بن لبيد الأنصاري : يا رسول الله وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فو الله لنقرأنه ولنقرأنه نساءنا وأبنائنا فقال : ثكلتك أمك يا زياد ، إني كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة ، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغنى عنهم ؟(2)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

كشف الله تعالي بعض أمور الغيب للنبي صلي الله عليه وسلم وبيان النبي لها .
وأن العلم سيرفع من صدور العلماء ، وسماح النبي صلي الله عليه وسلم للصحابة بالمناقشة والحوار ، وأن الحوار العلمي بين الداعي والمدعو يقرب إلى الصواب ويوصل إلى الحق .
وأن حامل القرآن والعلم علي خطر عظيم ، وعلية تقدير الأمانة التي تحملها والحفاظ عليها .

---

1 - (المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / ذكر مناقب عبد الله بن سلام 130/4 ح 5850 وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي) والآية 10 من سورة الأحقاف .

2 - المستدرك ك / العلم 200/1 ح 341 وقال : إسناده صحيح من حديث البصريين وفيه شاهد رابع على صحة الحديث وهو عبادة بن الصامت ووافقه الذهبي

و سنذكر بعضا من هذه المجادلات كنماذج اجمالا و هاك بعضا منها :
اولا : من مجادلات الصحابة رضوان الله عليهم مع النبي صلي الله عليه و سلم
أ) مجادلة خوله بنت ثعلبة بعد ان ظاهر منها زوجها
ب) ما حدث في غزوة الاحزاب
ثانيا : من مجادلات النبي صلي الله عليه و سلم مع الكفار و المشركين
أ) مجادلة عتبة ابن ربيعة لرسول الله صلي الله علية و سلم حين جاء يساومه للتخلي عن دعوته ، وعرض الكثير من المغريات ، والتي لم تجدي معه صلي الله عليه وسلم ،و كان هدفها الباطل والصد عن دعوة الله تعالي , فلم يقصد عتبة من ورائها الوصول الي الحقيقة و الا لسلم بها عندما عرضها علي رسول الله صلي الله عليه و سلم , و لكنه بالرغم ما عبر به عن القرآن الكريم علي نحو رواية ابن اسحاق الا انه لم يستطع ان يعلن اسلامة و تأييدة لما يدعوا اليه رسول الله صلي الله عليه و سلم(1)
ب) وقد كان هدف زعماء قريش كذلك هدفهم صد النبي عن دعوته وابعاده عنها لكن أني لهم ذلك (2)
و الملاحظ انه صلي الله عليه و سلم كان يقابل مجادلاتهم بالحسني و بالتي هي احسن , مع تأكيد انه جاء بدعوة الحق , و انه لم يبعث من اجل جمع المال او تحقيق جاة و سلطان و انما بعثه الله تعالي بشيرا و نذيرا و داعيا الي الله تعالي بإذنه و مبلغا و ناصحا و لانهم جادلوا بالباطل لم يهتدو الي الحقيقة و لم يراجعوا موقفهم من رسول الله صلي الله عليه و سلم و من دعوته و انما توعدوه و اصروا علي كفرهم و شركهم .
ج) مجادلة وفد نصاري نجران و قد قدم هذا الوفد علي رسول الله بالمدينة و كان قوامة ستون رجلا منهم أربعة و عشرون من الاشراف فيهم ثلاثة كانت اليهم زعامة اهل نجران (3)
فهذه نماذج مجملة علي المجادلات التي تمت بين النبي صلي الله عليه و سلم و بني قومه تظهر اثر المجادلة المذمومة و التي تثير العداوات و بين المجادلات التي تبغي وجه الحق و نصرته , و علي دعاة العصر الاقتداء بالرسول الخاتم في مسيرته الدعوية لمواجهة ما يقابلة في العصر الحاضر من محن و عقبات تعرقل دعوته , بل عليه أن يراعي هذه الأسوة الحسنة في مواجهة أعداء الله تعالي و ألدائه, و ان يتحلي بالاصول المتبعة في المناظرة و المجادلة مع مراعاة الآداب التي تراعي في مثل هذه الميادين الكلامية التي يتعرض لها الداعية كي يكون لدعوته أثرا في المدعوين و كافة المخاطبين

---

1 - سيرة ابن هشام 292/1 و ما بعدها لمزيد من الاستفادة

2 - المرجع السابق 294/1 و ما بعدها لمزيد من الاستفادة بتصرف .

1 - لمزيد من الاستفادة راجع البداية و النهاية لابن كثير 52/5 و ما بعدها , سيرة ابن هشام 151/2 , و الرحيق المختوم ص 506 .507 , صحيح البخاري كتاب المغازي باب قصة اهل نجران 217/5

الفصل الرابع

القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة إلي الله تعالي

من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

وتحدثت فيه عن النقاط التالية

الأولي:-

القدوة وأثرها في الدعوة إلي الله تعالي

الثانية:-

القدوة فريضة شرعي

الثالثة:-

عقبات في طريق القدوة

(الفصل الرابع)

(القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري)

أولاً : - أهمية القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى :

لا شك أن تأثير القدوة في الدعوة إلى الله تعالى تأثير فعال وأمضى من ألف مقال فالتأثير يكون أشد وأقوى إذا كان بالفعال " إن الدعاة إلى الله هم رواد المجتمع وأئمة الناس ، يأخذونهم إلى الخير ويخرجونهم من الظلمات إلى النور وينشرون فيهم دين الله تعالى وحتى يتمكنوا من رسالتهم لا بد لهم من الإنصاف بأخلاق الرواد والمصلحين ليصيروا محل الحب والتقدير .(1)

"إن الأسوة الحسنة طريق عظيم من طرق الدعوة والإرشاد فهي الكتاب المفتوح للناس يقرءون فيه معاني الإسلام السامية فيقبلون عليها وينجذبون إليها لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأعظم من التأثير بالأقوال دون الأعمال."(2)

فتطبيق الداعية لسلوكه له أعظم الآثار النفسية و والسلوكية عند المدعو ، فإذا كان الداعية مطبقا لما يقول كانت سرعة الاستجابة من المدعوين وإذا كان غير مطبق لما يقول أو داع بلسانه فقط فلن ينال حظ من دعوته للناس وستكون الاستجابة قليلة أو معدومة إن لم توجه إليه هو الدعوة للالتزام بدين الله تعالي قولا وعملا ، وكم من أناس انصرفوا عن الدعوة بسبب سلوك بعض الدعاة ومغايرة القول للفعل ،وكم من دعاة كانوا فتنة للذين امنوا وسبب في انصراف الناس عن الحق .

وفي شأن المخالفين لأقوالهم بأفعالهم ممن تبوءوا شرف الخدمة لدين الله ودعوة الناس إلى رب الناس . قال ابن القيم : " جلس علماء السوء على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالت أقوالهم للناس : هلموا ، قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين إليه ، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق .(3)

ولذلك حذر ربنا اشد التحذير في كتابه من مخالفة القول للفعل خاصة ممن تبوءوا تلك المنزلة ألا هو تبليغ دين الله جل وعلا :قال تعالي: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ () كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (4)**

ولذلك كان صحابة النبي صلي الله عليه وسلم اشد الناس حرصاً على مطابقة القول بالفعل وأن يكونوا كما كان صلي الله عليه وسلم قرآناً يمشي على الأرض ولفظه " كان خلقه القرآن "(5)

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا ليأتي الإيمان قبل أن يأتي القرآن وتنزل السورة على محمد صلي الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن ، ثم قال : لقد رأيت رجالاً يؤتي

---

1 - الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها ص 513

2 - أضواء على الدعوة الإسلامية ص 153

3 - الفوائد 76

4 – سورة الصف الآيتان 1– 2 .

5 - مسند احمد مسند عائشة 24645 91/6

أحدهم القرآن (قبل أن يأتي الإيمان) فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوفق عنده منه ينثره نثر الدقل (رديء التمر)(1)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :

.

" ومن السوابق القديمة في أهمية السير الحسنة للداعي وأثرها في تصديقه والإيمان بما يدعوا إليه أن أمنا خديجة رضي الله عنها عندما اخبرها رسول الله صلي الله عليه وسلم بما حدث له في غار حراء قالت له : أبشر والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر "(2)

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن عكرمة بن أبي جهل في قصة إسلامه لما علم بأن رسول الله صلي الله عليه وسلم أمنه جاءه فقال له : " اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنت عبد الله ورسوله وأنت أبر الناس واصدق الناس وأوفى الناس قال عكرمة : أقول ذلك وإني لمطأطئ الرأس استحياءً منه ثم قلت : يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكما أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم " اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو موكب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك(3)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

حاجتنا إلى التأسي برسول الله صلي الله عليه وسلم ، وما منحه الله تعالي من خصال طيبة أكثر من أن تحصي غاب عنها الكثير من الناس اليوم ، وأن أخلاق الداعي وسلوكه أول ما يلفت نظر الناس إليه ويجذبهم إلى دعوته ، وتأثر المدعوين كبير بخلفيات الداعي ، وأن عفو الداعي عن المدعو يكسب الدعوة التقدم والنجاح ، فعلي الداعي قبول من جاء معتذرا ، والداعي يجمع ولا يفرق ، وفيه حرص الداعي علي مصلحة المدعوين وطلب المغفرة لهم من الله تعالي ، مما يفتح باب الأمل أمام المستقبل ، مع طي صفحة الماضي الأليم والخلفية المشينة للمدعوين وعدم نكت جراحهم ، وضرورة العمل بقاعدة الدين الأساسية الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما قبلها .

وفي المستدرك عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت عجوز إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو عندي فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم: كيف أنتم ، كيف حالكم ، كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ فقال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان " (4). فقد حفظ الرسول لها كرامتها وعرف لها فضلها ، ومعروفها ، وذكره صلي الله عليه وسلم لأنه الحق الذي يجب أن يلتزم به الآخرون ، وإن كان أحيانا لا يعب بعض الناس ، لكن ذلك لن يثني الداعية عن الجهر بالحق ونسبة الفضل إلي أهله .

---

1 - المستدرك ك / الإيمان 131/1 برقم 101 وقال صحيح على شرطهما ولا اعرف له علة ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في التلخيص

2 - متفق عليه وانظر إمتاع الأسماع ص 3 : 14

3 - المستدرك برقم 5131 وقد مر

4 - المستدرك ك / الإيمان برقم 40 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي وقال ليس له علة

" إن السر في انتشار الإسلام في كثير من بلاد الدنيا خاصة بلاد شرق آسيا بالسيرة الطيبة للمسلمين من تجار ودعاة وهي التي تلفت أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام "(1)
" فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام وإنه من عند الله لا سيما إذا كان سليم الفطرة سليم العقل "(2)
والواجب على الدعاة أن يعوا هذا الدرس جيداً فقد دعا صلي الله عليه وسلم الكفار والمشركين بأخلاقه وصفاته الطيبة وسيرته الحسنة قبل أن يدعوهم بكلامه كما أخبر، ونجحت الدعوة أفضل نجاح في فترة قريبة بفضل ما من أخلاقه صلي الله عليه وسلم مع الناس كلهم علي اختلاف أشكالهم ، سلوك دفع القريب والبعيد والمسلم والمشرك علي الاعتراف بحسنه والسير في طريقه وان عانده البعض لمجرد العناد مع الشهادة له بالنبوغ والتفوق والتفرد فبما هو عليه ، وعجز الكثيرين عن السير في ركابه وعدم القدر علي اللحاق به .

ثانياً : تعريف القدوة :-

القدوة هي محاولة محاكاة الآخرين في فعل أو سلوك معين، أو السعي للتشبه بما هم عليه.يقول صاحب مختار الصحاح عن القدوة:"لغة: اقتدى به: فعل مثل فعله تشبهاً به، القدوة: المثال الذي يتشبه به غيره فيعمل مثل ما يعمل، يقال: فلان قدوة أي أسوة، الأسوة ما يتأسى به في جميع احواله وأفعاله" (3)
واصطلاحاً : فالقدوة الحسنة : هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالاً حسياً مشاهداً ملموساً يقتدي به ، وقد يكون مثالاً حاضراً في الذهن بأخبار و سير وصور مرتسمة في النفس بما اثر عنه من سير وقصص وأنباء وأقوال وأفعال "(4)

ثالثاً : أصول القدوة الحسنة:-

تقوم القدوة الحسنة على أصلين عظيمين لا تتحقق إلا بهما جميعاً فإذا تخلق بهما الداعية كان قدوة صالحة لغيره وكانت سيرته الطيبة ودعوته دعوة صامتة للإسلام تجذب الناس إليها وتأخذ بأيديهم إلى الخير والصلاح.

أحدهما : حسن الخلق:-

وهو الاتصاف بكل خلق رضى، والبعد عن كل خلق دنى، أوهو التحلي بالصفات الكريمة والأخلاق الحسنة ، فلا شيء يعدل حسن الخلق ، وصاحب الخلق الكريم محبوب إلى نفوس الناس، قريب من قلوبهم ، فحسن الخلق من أهم مقومات الداعية، بل هو في ذاته دعوة للناس تقربهم إلى الدين وترشدهم إلى الصواب ،وإذا ساءت خلق الداعية انصرف الناس عنه وابتعدوا عن كل ما يدعوهم إليه، فلو كان صادقا في دعوته لالتزم بها قبل دعوة الناس إليها ، والمدعوون يركزون كثيرا علي هذا الجانب من الداعية ،سلوكه وأخلاقياته والتزامه بدعوته في بيته وعمله وسيره وقعوده ، فكيف يدعوهم لعمل وهو منصرف عنه وكثير ما انصرف الناس عن الحق والصواب للانصراف الداعية عنه ، علاوة علي استهانة الناس بشخص الداعي كذلك فالضرر يأتيه في دعوته وشخصه وحاله . فالمسؤولية جد كبيرة علي الداعية أن يكون علي قدرها ،كما يجب على الداعية أن يتجنب الأخلاق المذمومة وكل ما يسيئه أو يحط من قدره ، فصغيرة العالم (الداعية) في أعين الناس كبيرة وزلته زلة أمة .

---

1 - الدعوة إلى الإسلام أ / أحمد عز البيانوني ص 123 بتصرف

2 - أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان 485

3 - مختار الصحاح ص 525 للرازي ، المعجم الوجيز سنة 494

4 - الأخلاق الإسلامية ص 1 / 214

وكان يقال احذروا فتنة العالم الفاجر ، فتنة العابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون فهذا بعلمه يدعوا إلى الفجور، وهذا بجهله يصد عن العلم "(1)

ثانياً : مطابقة عمله قوله :

إن الداعية عليه أن يجعل حياته وسيرته تطبيقاً عملياً لدعوته وأن يكون باطنه كظاهرة ، فإن أمر بأمر كان ألزم الناس به وإن نهى عن شيء كان أبعد الناس عنه واتركهم له ، وفي قوله تعالى"

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(2)

فالناس تنظر للداعية نظرة متأنية متفحصة

"" وروى الحاكم أن نساء اجتمعن عند عائشة فقالت امرأة منهن: والله لا يعذبني الله أبداً إنما بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا أشرك بالله شيئاً ولا أسرق ولا أزني ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتانٍ بين يدي، ورجلي، ولا أعصينّه في معروفٍ، وقد وفيت. فأتيت في منامها فقيل لها: أنت المتألية على الله فكيف بقولك ما لا يعنيك ومنعك ما لا يُغنيك؟.""[3]

هل سيتبع القول العمل أم لا وهل سيطابق القول الفعل أم لا .

قال الفضيل بن عياض رحمه الله : " بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبده الأوثان وقال الشعبي : يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم : ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ؟ فيقولون : إنما كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهي عن الشر ونفعله " وقال عمر بن الخطاب τ : إذا زل العالم زل بزلته خلق من العالم ، وقال معاذ بن جبل τ احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته " (4)" فليحرص الداعية على أن يكون داعية بعمله وسلوكه قبل أن يكون داعية بقوله ولسانه وليحذر كل الحذر من أن يخالف قوله عمله "(5)

رابعاً : ركائز القدوة الحسنة :

إن دعوة الإسلام دعوة واعية عادلة تخاطب العقل وتوقظ الوجدان ، والأسوة من الأساليب الدعوية الهادفة لا بدلها من أسس تيسر على الداعي الوصول إلى المدعوين عن طريق القدوة الحسنة ليصير الداعية محل الحب والاحترام والتقدير ،

وأساس هذه الصفات :

أ – المشاركة الوجدانية للناس (الذين هم رأس مال الداعية) فيجب عليه أن يعيش حياتهم يشعر بشعورهم وينفعل مع آرائهم وحياتهم ويتداخل في تقاليدهم وكافة شئونهم بصدق وفهم وتحليل وتوجيه .

" ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده شكلاً عاماً بمعنى تواجدها تلقائياً مع الجميع لا تفرقه بين غني وفقير أو رئيس ومرؤوس أو رفيع أو وضيع لكي يصل بالدعوة للجميع ... خالية من الزيف والتصنع "(6) حتى لا ينقسم الناس إلى طوائف عدة ،أو يصنع من المدعوين جبهات وانقسامات داخل الصف

---

1 - **الفوائد ص 130**

2 – **سورة البقرة الآية 44** .

3 : **في السلوك الإسلامي القويم - (ج 1 / ص 9)**

4 - **إحياء علوم الدين ص 64163 جـ1 / ط المكتبة التجارية**

5 - **بصائر دعوية ص 77**

6 - **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها ص 514**

الواحد ، وإلا عاد ذلك كله بالخسارة علي الدعوة أضعافا مضاعفة ،فالداعية حبيب يتمنى الخير للجميع كما يتمناه لنفسه ، فيصل الرحم ويكرم الجار ويقري الضيف ويخلص للجميع ولا يترك أمراً فيه مصلحتهم إلا ويحثهم عليه ويبعدهم عن سواه ، ابتغاء مرضات الله تعالي فجزاء الداعية عند الله ، وقيمة عمله وثوابه علي الله ، وليس له شيء منه عند الناس.
ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان غلام يهودي يخدم النبي صلي الله عليه وسلم ، فمرض فعاده وقال : قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فنظر الغلام إلى أبيه ، فقال الأب : قل ما يقول لك محمد ، قال : فلما مات قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : صلوا على أخيكم "(1)
من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-
تواضع الداعي ورفقه بالمدعوين أمر ضروري لنجاح الدعوة وكسب المدعوين، مع ضرورة تفقد الداعية لحال المدعوين والوقف علي أخبارهم والذهاب إليهم ،وعدم تمييز الداعية بين الناس في المعاملة بالحسنى ولو كانت لخادم ، وزيارة الداعية للمدعو في بيته بعيد عن مصالح الدنيا تأتي بالخير وتزيل كثيرا من العقبات في طريق الدعوة ،وأهمية حرص الداعية علي عيادة المريض في بيته.
ب - العزة والشجاعة :
إن الداعية إلى الله تعالى يستمد قوته من قوة رب العالمين ويستمد شجاعته من سير على درب المرسلين ويستمد ثقته من رسل الله عليهم السلام ، والداعية إلى الله تعالي في مقام كريم ، ويخاطب الناس بدعوة برب العالمين ، ويقف في الناس موقف المبلغين عن النبيين ، لذا فوسائل العزة وأسبابها كثيرة لديه وكيف لا وهو يقف مكان النبيين ويقوم بعمل المرسلين وكيف لا والله تعالي يجعل له الحظ الوافر من العزة قال تعالي " وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ(2)، وكيف لا وهو في أفضل عمل وأشرف مهنة يشهد الله تعالي لها في القرآن الكريم قال تعالي " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين " لذا فإن الداعية عليه أن يكون علي قدر المسؤولية ، عزيز في الناس في غير افتخار ولا تعال عليهم ولا كبرياء ، فالعزة غير ذلك فهي تصون الكرامة وتحفظه من الدنايا ،وتكسبه الثقة العزة في دين الله ، بعيدا عن الخوف والجين ، وتعرفه بمسؤولياته ونعم الله عليه والمتمثلة في :
تشريف الله تعالي له بهذا العمل الدعوى الكريم .
القوة والثقة التي تكسبه اليقين وحسن التوكل علي الله تعالي وأن الأمور كلها بمقادير الخالق تبارك وتعالي ، ليس لأحد دخل فيها وأنها بين أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، وأن النافع والضار هو الله تعالى ، وأن الناس لاحول لهم ولاقوة دون تقليل من شأنهم أو احتقارهم ، كل ذلك يورث الداعية القوة والشجاعة التي تعود بما نفع علي الدعوة بعيدا عن الجهل أو لاندفع أو التخبط قال تعالى : "
وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ " (3)
من أهم الأمور التي تشغل بال الإنسان وتؤرق عليه مضجعه وتشغل باله وفؤاده، الأجل والرزق والقضيتان محسومتان بيد الله تعالي ضمنهما للإنسان قبل أن يخلق الإنسان وحفظهما للإنسان بعد أن

---

1 - المستدرك ك / الجنائز برقم 1373 1/ 437 وقال :صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

2 – سورة المنافقون من الآية 8 .

3 – سورة الأنعام الآية 59 .

خلق الإنسان لكن تبقي الثقة من الإنسان فيما عند الله تعالي مع أنهما ، وكثير ما يضيع الإنسان الواجب أو يفعل الحرام ويقع في المحذور سعيا وراء هذا المضمون فلا يجلب لنفسه إلا الضرر محددان فلا يأتي بهما حرص حريص ولا يردهما كره كاره قال تعالى"

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1)

وانظر إلى الصديق في أول حديثه للناس بعد توليه لخلافة المسلمين : " إن استقمت فأعينوني وإن اعوججت فقوموني القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ... "(2)

ومن هنا نجد القرآن الكريم يعلم المؤمنين قول الحق ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وألا يبخسوا صاحب حق حقه مهما كان قربه أو بعده من الدين .قال تعالى : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** (3)

يقول الزمخشري : " إن المعنى أن تجتهدوا في إقامة العدل حتى بإقامتها ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو آبائكم أو أقاربكم ولا تمنع الشهادة بسبب فقر أو غنى "(4)

جـ - الكرم والسخاء :-

الكرم صفة من أهم صفات الداعية لأنها تقرب القلوب النافرة ولآن اليد العليا خير من اليد السفلي والكريم قريب من الله قريب من الناس .

فعلى الداعية أن يكون سخياً عفيف النفس عما في أيدي الناس جواداً ،وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعطي عطاء من لايخشي الفقر ،فكم من طعام تجهز به الرسول صلي الله عليه وسلم فأطعمهم ودعاهم إلى الله تعالي ، وكم من مرات كان عطاؤه سببا في إسلام المدعوين ، ولعل من حكم الإسلام أن جعل الله تعالي سهم في الزكاة لهذا الغرض فسماهم الله تعالي بالمؤلفة قلوبهم ، فسماهم الله تعالي بهذا الاسم وجعل لهم نصيبا معلوما حتى تتألف قلوب وتشعر بعظمة الإسلام ،وكم من أناس هداهم الله تعالي بالإحسان إليهم وما عرفوا الدين إلا من هذا الباب وكم كان ذلك من انجح الأساليب في الدعوة وكم كان سببا في كسب قلوب المدعوين ، وكم زاد صاحبه تقديرا ورفعة في صدور الناس ، ودائما وأبدا نجد الإحسان من أهم الأساليب التي تؤهل المسلم لقبول هذا الدين والاقتناع به ، ثم سرعان ما ينقلب المعاند إلى داعية يلح علي الناس بقبول هذا الدين .

وصدق الله تعالي القائل : " **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (5)

---

1 – سورة فاطر الآية 2 .

2 - الكامل في التاريخ جـ 1 / 361 .

3 – سورة النساء الآية 135.

4 - الكشاف جـ 1 ص 570

5 – سورة الحشر الآية 9

ومن المعروف أن الإنسان أسير الإحسان ، ولذلك جاء في الأثر أن رجلاً آتى النبي صلي الله عليه وسلم وسأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه مسلماً وهو يقول لهم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة " فالرجل لم يسلم هو فحسب وإنما اسلم معه خلق كثير وتحول من مدعو إلى الإسلام إلى داعية له في التو واللحظة بل وينادي ليس علي واحد أو اثنين وإنما علي كل الناس يا قوم اسلموا ما هو السبب عطاء محمد صلي الله عليه وسلم .
ومما ورد في هذا الشأنمن أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى بعير من المغنم فلما سلك أخذ وبرة من جنب البعير فقال : إنه لا يحل لي من هذا المغنم مثل هذه إلا الخمس ، الخمس مردود عليكم . (1)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف : -
* التزام الداعي بحدود الله تعالي .
* عدم التعدي علي الحقوق التي فرضها الله تعالي .
* علي الداعية أن يكون كريما يساعد الدعوة بما جاد الله به عليه ، ولا ينتظر أن يأكل هو من مال الدعوة * أو أن يكون ثروة ويغتني ،فيكون عبئا عليها هو الأخر .
* الحرام حرام وان قل ، والحلال حلال وإن كثر فهو حق صاحبه دون إفراط أو تفريط .
* ضرب المثل أوقع في نفوس المدعوين ليدركوا أهمية الأمر وخطورته .
وقد أدرك المبشرون تأثير العطاء للمحتاج إليه فأخذوا في العمل به ، إذ نراهم يمدون المحتاجين بمختلف المعونات المادية ويعملون على مشاركتهم في حياتهم بمختلف المعونات المادية ومن خلال تلك العطايا يقولون للناس إن هذا من بركات السيد المسيح ليؤمن الناس بصاحب الكرم " (2)
إن الداعية إذا جمع الصفات السابقة فإنه يكون قد وضع نفسه في الطريق المستقيم لدعوته وحصن نفسه بأخلاق الألفة والريادة والقدوة الحسنة .

خامساً : عقبات في طريق القدوة :
لما كانت القدوة الحسنة أسلوب عملي قبل أن يكون كلامي وهي دعوة بالحال قبل أن تكون دعوة بالمقال ، فهي تجعل الداعي صورة حية لما يدعوا إليه حيث ينجذب المدعو إلى من يقتدي به ويتبعه بشغف وحب طامعا في الوصول إلى محاولة التشبه به والسير علي طريقته
وقد يشوب هذا الأسلوب بعض المحاذير مما يفقده أثره فلذا لزم التنبيه ، فمن ذلك:
1- غرور الداعي :
إن الغرور داء عضال يهوى بالداعية إلى أسفل الدركات ويحبط علمه وعمله إذ أنه من الكبائر التي توجب غضب الله وعذابه ، فعلى الداعية أن ينزه نفسه عن هذا الداء الفتاك ، فإنه إن دخل القلب لم يكن للإخلاص فيه مسلكا، والداعية لو تمثل الكبر والغرور انفصل بكبره وغروره عن المدعوين وأصبح وكأنه من عالم أخر يصعب التعامل معه والقرب منه ، والنفس لا تقبل علي من يعلو عليها أو يفتخر بنفسه دونها وتحب من ينزل من عليائه إليها ويخفض لها الجناح ويعلو بها ولا يعلو فوقها ، وألزم الناس بهذا التواضع هم الدعاة المبلغين ، وكيف لا وهذا أمر الله تعالي للعباد ووصيته للأنبياء

---
1 - المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / ذكر جابر بن سمرة 4 / 342 برقم 6704 وسقط الحديث من التلخيص
2 - الدعوة الإسلامية - / احمد غلوش ص 523

وكان النبي صلي الله عليه وسلم بين أصحابه كأحدهم لا يتميز عليهم ولا يضع حاجز من الكبر بينه وبينهم ، فكان تواضعه من عوامل نجاح الدعوة .
عن عياض τ قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد "(1)
2- ربط الناس بالأشخاص لا بالمنهج والمبادئ :-
إنه ليس في ديننا تقديس للأشخاص فالعصمة قد انتهت بوفاة الرسول صلي الله عليه وسلم وليس لآحاد من الناس عصمة أو قداسة وإنما هناك الاحترام والتقدير المتبادل بين أفراد الأمة دون تمييز لأحد علي أحد مع التزام السلوكيات الأخلاقية التي فرضها الإسلام للصغير والكبير والعلماء والولاة ، فالكل يجرى عليه الخطأ والصواب مهما بلغ من شأنه (وليس معنى ذلك أن نحقر الرجال أو نهتك معهم ستر التوقير والاحترام خاصة إذا ما كانوا من الفضلاء الكرام ممن شهد لهم الناس بالعلم والتقوى والورع والبذل لهذا الدين فهذا شأن وما نتحدث عنه شيء آخر .
والذي يدعو إلى شخص بعينه أو يتعصب لمبدأ أو منهج أو مذهب بعينه في خطأه وصوابه يضيع خيرا كثيرا قد يكون عند الآخرين وهو يعرض عنه ، و المسلم يبحث عن الحق أينما وجد وعلي لسان من وجد ، ومما ضيع فرصا كثيرة للتقابل وفرق بين جموع المسلمين وغرس العداوة والبغضاء بينهم وجعلهم شيعا وأحزابا وجماعات متفرقة كل حزب بما لديهم فرحون، بل ومتناحرة أحيانا انشغلت بأنفسها وتركت عدوها الحقيقي.
" فالواجب على الداعية ألا يربط الناس بشخص بل يربط الناس بالخلق والقيم والمبادئ وإن أراد نموذجاً فتاريخ الإسلام مليء بالقمم والشوامخ الذين حملوا مشاعل الهداية إلى ربوع الدنيا وأقاموا حضارة سادوا بها أمم الأرض وقادوا البشرية إلى شاطئ الأمان " (2)
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " من كان مستناً فليستن بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً واقلها تكلفاً ، اختارهم الله لصحبه نبيه ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على أثرهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " (3) فالصحابة رضوان الله عليهم هم أولي الناس أن نقتدي بهم بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، لتلقيهم عن رسول الله مباشرة ، ثم لثنائه عليهم صلي الله عليه وسلم ، وتوصيته الأمة أن تسمع لهم وتأخذ عنهم ، ونهيه عن التطاول عليهم أو الإساءة لهم ، بل ولثناء الله تعالي عليهم في القرآن الكريم ، مما يجعل لهم مقاما يصعب الوصول إليه أو التعدي عليه ، ويؤهلهم لأن يكونوا في المقام بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم .
وكيف لا وقد أمرنا نبينا صلي الله عليه وسلم بالأخذ بما كانوا عليه عند اشتداد الفتن وتألب المحن وكثرة الخلاف .
ففي الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي هريرة τ أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك ،

---

1 - رواه مسلم 64 الجنة وصفة نعيمها جـ 4 / 2198

2 - فقه الدعوة إلى الله جـ 1 / 236 د / علي عبد الحليم محمود ، التغيير على منهاج النبوة ص 419 أ / جمعة أمين عبد العزيز ط / دار الدعوة الإسكندرية

3 - حلية لأولياء لأبي نعيم جـ 1 / 57

وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة " وفي زيادة عند غير الحاكم : " كلها في النار إلا واحدة قلنا من يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي اليوم "(1)
قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى : " إن الذين ضاقوا بالانحرافات المعاصرة في العالم الإسلامي فكروا في العودة إلى الأمس القريب أو إلي بعض قرون مضت فقلت لهم : مثلنا الأعلى في القرن الأول وحده "(2) فقد قدموا نماذج للبشر ينبغي أن يحتذي به إلى قيام الساعة ، فوحدة الأمة هي سبيل النجاح ، وهي الطريق إلى العزة ومن ثم القوة التي ستعيد مجد هذه الأمة ا،وتحقق للمسلمين اليوم ما حققه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ،وبغيره فالأمة متناثرة مفككة كلما جاع أعداؤها أكلوا منها حتى شبعوا ، فهي اللقمة السائغة للكلاب النافقة .

مغايرة الظاهر للباطن:

علي الداعية أن يتجنب التلون والظهور بما لا يطابق داخله وسرائره ، فذلك قد يجنبه الإخلاص ، وربما يصل الأمر به إلى النفاق وفقد الثقة به وتجنب دعوته وإياه وخشوع النفاق وهو أن يرى البدن خاشع والقلب غير خاشع
إن هذا أمر جلل إياك أن تكون في عين الناس كبيراً وعند الله صغيراً ، فاتقى الله في خلواتك قبل جلواتك وليكن سرك ومخبرك أحلى من علانيتك ومظهرك ،ومن أسوء الأمور اتخاذ الدين ستارا ووقاية إضلال الناس وتلبيس الأمر عليهم
إن مسئولية الدعاة تجاه المجتمع وإصلاحه ، يجب ألا تصرفهم عن مسئوليتهم تجاه أنفسهم وإصلاحها ، " لأن من نصب نفسه للناس إماماً لدعوة الناس وإرشادهم ونصيحتهم فيجب عليه أن يكون أبعد الناس عن التصنيع والمراءاة وأحرصهم على الكمال وأن يكون ظاهرة كباطنه " (3)
قال ابن السماك : " كم من مذكر بالله ناس لله ، وكم من مخوف بالله جرئ على الله وكم من مقرب إلى الله بعيد عن الله وكم من داع إلى الله فار من الله وكم من تالٍ لآيات الله منسلخ عن آيات الله " (4)
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " يا أبا ذر اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن "(5)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

الأمر بتقوى الله في السر والعلن بالليل والنهار وهذا حق لله تعالى، وأن الحسنات يذهبن السيئات وهذا طريق الاستدلال ما فات من تقصير وزلل وهذا حق النفس، وإظهار الداعي لمحاسن الخلق مع الناس لأنه القدوة والأسوة وهذا حق الغير لا يقوم بالحق الأخير من لم يقم بالحق الأول وهو تقوى الله ثم

---

1 - المستدرك ك / الإيمان 10 / 102 ح 10 وقال : هذا حديث كثر فى الأصول وقد روى عن سعد بن أبى وقاص وابن عمرو وعوف بن مالك وقد احتج مسلم بمحمد بن عمرو وقال الذهبى : ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفردا بل بانضمامه إلى غيره .

2 - هموم داعية فضيلة الشيخ / محمد الغزالي ص 135 ، 138

3 - الدعوة قواعد وأصول ص 116 ، 117

4 - إحياء علوم الدين جـ1 / 63

5 - المستدرك ك / الإيمان 1 / 153 برقم 177 وقال صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي .

حق النفس من تزكيتها وتخليها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل ، أن هناك تلازماً بين الثلاثة فصلاح السر يتبعه صلاح العلانية وتقديم حق الله يؤدي إلى حفظ حقوق الخلق .

سادساً : الأشكال التربوية للقدوة

ينتقل تأثير القدوة من الداعي إلى المدعو على أشكالها منها :

1- التأثير العفوي – غير المقصود " أن يكون تأثير القدوة على مدى اتصاف الداعي بالصفات الحميدة الطيبة والأخلاق العادية التي تدفع المدعو إلى الإعجاب والتأثر به وتقليده وفي هذه الحالة يكون تأثير القدوة غير مقصود " (1)

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم قال : رأيت رسول الله صلي الله عليه وسلم أمر الناس في سفره بالفطر عام الفتح وقال : تقووا لعدوكم ، وصام رسول الله صلي الله عليه وسلم. (2)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

* حرص الداعي علي المدعو ومراعاة مصلحته .
* أن القوة مطلوبة لمواجهة الأعداء .
* تكليف الدين للعباد بما يستطيعون .
* مشاركة الداعي للمدعوين في الجهاد والحرب وتحمله أكثر منهم .
* بيان منزلة الرسول صلي الله عليه وسلم وتميز بشريته عن غيره من البشر .
* وجوب الطاعة الكاملة لله تعالي ولرسوله صلي الله عليه وسلم ، واحترام المدعو للداعي في غير معصية
* جواز استخدام الرخص في حالة الاحتياج إليها .
* سعة أحكام الدين وسعة رحمة الله بالعباد .
* أن الداعية لو ميز نفسه بشيء عن المدعوين فليكن في طاعة الله وليس في مصلحة نفسه حتى لايتهم بالتقصير أو التفريط في المصلحة .

2- التأثر المقصود :-

ويستخدم كثيراً في تعلم كثيراً من أمور الدين وهذا يستوجب من الداعي أن يطلب من المدعوين أن يقتدوا به في هذا الشأن الذي أعد له مسبقاً ، كأن يعلمهم الوضوء أو الصلاة أو مناسك الحج والعمرة ... إلى غير ذلك من الأمور كبعض الآداب والسلوكيات الحميدة .

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن جابر قال : " أن النبي صلي الله عليه وسلم سافر في رمضان فاشتد الصوم على رجل من أصحابه فجعلت راحلته تهيم به تحت الشجرة فأخبرني النبي صلي الله عليه وسلم بأمره ، فأمر أن يفطر ، ثم دعا النبي صلي الله عليه وسلم بإناء فوضعه على يده ثم شرب والناس ينظرون (3)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :-

* مشاركة الداعي في الأعمال والسفر والارتحال ولو كان صائما.

---

1 - أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص 261 أ / عبد الرحمن النحلاوي

2 - المستدرك ك / الصوم 1/ 540 ح 1611 وسكت عنه الحاكم وأورده الذهبى فى التلخيص وسكت عنه .

3 - المستدرك ك / الصوم برقم 1614 وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

*أن الصوم يقرب من الله تعالي ويبعث علي الإخلاص في العبادة .
* أن رخصة الفطر لا تتوقف علي صوم الفرض أو النافلة ، وإنما هي مطلقة .
* مراعاة الإسلام لصحة الأبدان قبل الأديان .
* سرعة الاستجابة للدعوة العملية .
* أثر الدعوة بالحال في نفوس المدعوين أقوي من الدعوة بالمقال .
* المشاهدة البصرية أثر فعال في نفوس الناس خاصة مشاهدة المدعو لفعل الداعي فهي أقوي من الوصف أو الخبر المنقول .
* تطبيق الداعي للحكم الشرعي باعث علي زيادة الثقة واليقين لدي المدعوين .
* مسارعة الداعي إلى تطبيق ما يقول وليته يكون قبل تبليغه .
" فما لم تكن أقوال الداعية وأفعاله صادرة من محيطه الروحاني ، منبعثة من حياته التي يحياها وراء المادة ، كانت أقوالاً غير مغموسة بالنور ، ولا تمس القلوب بشيء من أسرار الشفاء نعم قد ينمق المتكلم كلامه ، ويوشي عباراته ، فينثر العواطف ويحظى بالاستحسان ولكنه استحسان الزيف والتهريج " (1)
" إذن فصلاح النفس هو السبيل إلى إصلاح الآخرين ، وعندئذ تكتسب المبادئ جاذبية تحتوى الناس ، فإذا هم على الطريق سائرون " (2) أما بقاء الداعي خارج نطاق ما يأمر به هو الطامة الكبرى علي الداعي ودعوته ، حيث يدور بذهن الناس ليل نهار إذا كان ما يأمر به خيرا فلم لم يتبعه فلو كان خيرا لكان سابقا إليه ، أما مبادرة الداعي إلى التطبيق تحفز النفوس الضعيفة وتزيل الريبة والشك من نفوس الآخرين، وتخرس ألسنة المنافقين والمشككين ، وتهون علي النفس سبل التضحية والفداء لاسيما في الأحداث الجسام .

الفصل الخامس

1 - تذكرة الدعاة د / البهي الخولي ص 213

2 - نحو أسلوب أمثل للدعوة الإسلامية ص 48

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في الدعوة إلي الله تعالي

من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول :-

مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الثاني :-

مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام

المبحث الثالث:-

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الرابع

مراتب تغيير المنكر

(الفصل الخامس)

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

تمهيد :

خلق الله تعالي في هذه الحياة الدنيا الخير والشر والحق والباطل والظلمة والنور والمعروف والمنكر ، وبين للإنسان طريق الخير وأرسل له الرسل وأنزل معهم الكتب ليبينوا للناس ما اختلفوا فيه وما نزل إليهم ، وأمر بالنصيحة والتوجيه إلى ما فيه الخير للناس ، وسك الإسلام لذلك عدة طرق منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يبقي التوازن في الحياة بين الحق والباطل وتظل مسيرة الحياة قائمة إلى ما شاء الله تعالي ،قال الله تعالي "**.....وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** " (1).

---

1 سورة البقرة من الآية 251 .

"وقد يقع الخطأ من المسلم عن عمدا وقصد ، أو عن غفلة وجهل فقد يبقي المسلم جاهلاً شرع الله إما لأن تبليغ العلماء لم يصله أو أنه قصر في تعلم ما يجب عليه تعلمه ، كما لم يستفت أهل العلم فيما يهمه من أمور ، فيقع في المعصية ومخالفة الشرع بسبب جهلة وقد يعلم المسلم حدود ما أنزل الله ومع هذا يقع في المعصية ومخالفة الشرع إتباعا لهواه ، والمعصية في الحالتين منكراً ارتكب أو معروف هجر ، والمنكر إذا وقع وجبت إزالته والمعروف إذا هجر وجب الأمر به ، وإزالة المنكر إذا ظهر فعله والأمر بالمعروف إذا ظهر تركه هو أساس وملاك ما يعرف في الشريعة الإسلامية بنظام الحسبة " (1)

لقد شاء الله تعالى : أن تجمع هذه الأمة الخير من أقطاره كلها ، فكتابها معجزة باقية إلى يوم الدين ورسولها خاتم الأنبياء وصفوة المرسلين ، وهي مع هذا كله خير أمة أخرجت للناس .

" وقد ذكر الله عز وجل أن مناط الخيرية في هذه الأمة موصول العرى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من منطلق الإيمان بالله تعالى :

فقال سبحانه : **" كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** (2)

قال ابن كثير رحمه الله : " فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا المدح ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله : **" كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (3)**

ولهذا لما مدح الله هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال " ولو آمن أهل الكتاب " أي بما أنزل على محمد صلي الله عليه وسلم " لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون " أي قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليهم وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان " (4)

وقد كان من النبود الأساسية التي بايع الصحابة عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم والتي تبرهن علي صدق ولائهم لله تعالي قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،فهو من أساسيات الدين وليس بالشيء الهين فهو جنب إلى جنب مع الصلاة وأركان الإسلام ،فليس قضية ثانوية

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري : أن النبي صلى الله عليه و سلم قال ..... فقلنا : يا رسول الله على ما نبايعك ؟ قال : تبايعوني على السمع و الطاعة في النشاط و الكسل و على النفقة في العسر و اليسر و على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و على أن تقولوا في الله لا تأخذكم لومة لائم و على أن تنصروني إذا قدمت عليكم و تمنعوني مما تمنعون عنه أنفسكم و أزواجكم و أبناءكم و لكم الجنة فقمنا نبايعه و أخذ بيده أسعد بن زرارة و هو أصغر السبعين إلا أنه قال : رويدا يا أهل يثرب إنا لم نضرب إليه أكباد المطي إلا و نحن نعلم أنه رسول الله ....." (5)

---

1 - أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان ص 173 –بتصرف يسير.

2 – سورة آل عمران 110 من مقدمة محقق كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيميه ، د / محمد سعيد رسلان ص 7 ، 8 ط / مكتبة البلاغ

3 - سورة المائدة الآية 79 .

4 - عمدة التفسير جـ 3 / 23 اختصار وتحقيق الشيخ / أحمد شاكر ط دار المعارف

5 ---المستدرك ك / الهجرة الأولى إلى الحبشة 3/ 224 برقم 4304ووافقه الذهبي في التلخيص

وأساليب القرآن الكريم في ذلك كثيرة بين تصريح بالقول وبين تعريض ببعض الأمم التي فرطت فيه فحل عليهم غضب الله ولعنته ، وبيان أن من يقتضي بهم يحل عليه ما حل بهم ، كل ذلك في أسلوب من التشويق إلى الالتزام بأمر الله تعالي في هذين الأمرين ،ولا عجب أن يعد بعض أهل العلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان بالله تعالي

إن معلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفترق عنده الجادة إلى سبيلين اثنين : فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فعلى جادة أهل الإيمان يسير ، ومن أمر بالمنكر ونهى عن المعروف فعلى سبيل نفاق تفضي إلى النار وبئس المصير .

وقد عد الله تعالي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم صفات المؤمنين الصادقين، فقال الله تعالى : **" وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (1)**

وعلي النقيض عد الله تعالي التفريط في ذلك من أوضح صفات المنافقين الذين لا يمتون إلى الدين بصلة, فقال في المنافقين : **" الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (2) وقد ذكر الله تعالي أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أول الأمور التي هلك بها أهل الكتاب وضيعت أعمالهم وكانت سببا في لعنهم وهلاكهم في قوله تعالي "وترى كثيرا منهم) يعني من اليهود.

" يسارعون في الإثم والعدوان " أي يسابقون في المعاصي والظلم " وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون " قوله تعالى: (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار (لولا) بمعنى أفلا.

(ينهاهم) يزجرهم.(الربانيون) علماء النصارى.(والاحبار) علماء اليهود قاله الحسن.

وقيل الكل في اليهود، لان هذه الآيات فيهم.

ثم وبخ علماءهم في تركهم نهيهم فقال: (لبئس ما كانوا يصنعون) يعملون " ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخ للعلماء في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي صحيح الترمذي: (إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله بعقاب من عنده.." (3)

"قوله تعالى: كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (79) قوله تعالى: (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه).

وفي الوقت الحاضر أصبح للمنكر والشر والفسق دول ومؤسسات تشرف عليه وتروجه وتقوم على تسويقه وتصديره إلى المسلمين لتذهب عنهم الخلق والفضيلة التي هي من أصول هذا الدين ومن قواعده المرتكز عليها فأصابوا أحيانا وبطل عملهم أحيانا ، فواجب الأمة جميعاً والدعاة إلى الله خاصة أن يتكاتفوا ويتعاونوا لنشر الخير ودحر الشر والمنكر ومواجهة الفساد الموجه من قبل أعداء الله .

وسنتناول بعون من الله وتوفيقه في هذا الفصل :

- بيان مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلته بالحسبة
- مكانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام
- حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- أركان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الأول :-

---

1 – سورة التوبة الآية 71 .

2 – سورة التوبة الآية 67 .

3 - تفسير القرطبي ج6 / 227

مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلته بالحسبة :-

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قضيتا إصلاح لحال الإنسان ووسيلتا توازن في الحياة الدنيا ، بهما يرتقي الناس ، ويوضع الأمر في نصابه ، ويقوم الخطأ وينال صاحبه عقابه ، وبهما ينصف المظلوم ، ويقتص من الظالم ، ويأمن الناس علي الأموال والأنفس والأعراض ، وبدونهما يصبح الناس في فوضي شاملة وحدث عن التبعات والمضار ولا حرج ، لذا فالقيام بهما من كمال الدين ، والعمل بشرع الله المتين ، و وبتطبيقهما يحول العصاة إلى مهتدين .

" معنى **الأمر** لغة : الأمر ضد النهي ، وهو طلب الفعل ."(1)

فالنفس مجبولة علي الخير ترتاح معه وتهتدي به وتسكن إليه، فقد فطرها الله عليه وهداه إليه ، وعرفها به ، وسهل لها سبل الوصول إليه، والمعروف سهل ميسور للعقلاء يعرفونه ويألفونه والمنكر مستغرب منبوذ تبغضه النفس وتنفر منه وتضطرب معه .

فالناس تفعل المعروف بألف ومحبة ويلتقون معهم ويلتقي معهم، فهو يعش بينهم وهم يعيشون معه يعرف بعضهم بعضا دون أدني وحشة أو غرابة ، ذلك لأن النفس تهدأ مع الدين الذي ناسب الفطرة ، فالفطرة فطرة الله ، والإنسان خلق الله ، والدين دين الله تعالي **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)(2)**

وقال الجرجاني العرف : " هو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً (3) فالعرف لا يناقض الشرع ولا يحل حراما ولا يحرم حلالا كل عرف مقبول إلا عرفا أحل حراما أو حرم حلالا، وإذا تناقض العرف مع الشرع قدم الشرع وبطل العرف وإذا توافق كان أولي وإذا لم يتوافق ولم يتعارض فالشرع لا يمنعه، ولقد أضحي أصحاب الفواحش يسبغون جرائمهم بصبغة العرف حتى يكسبونها صفة الصدق والخيرية ويسهلون جذب الناس إليها فقالوا عن بعض صور الفحش والعلاقات الجنسية الفاسدة التي لم تستوفي شروطها زواجا عرفيا ، وهي في الحقيقة لاعرفية ولا شرعية وإنما ربما كانت شيطانية غربية دخيلة علي الأمة الإسلامية ، مستهدفة حياتها الأخلاقية ، وآدابها الإجماعية ، وسلوكياتها الربانية

والنهي عن المنكر لغة :

النهي " هو الكف والمنع والزجر والترك" (4) ويقصد به كف الفاعل للحرام عن فعله وإبعاده علي قدر الاستطاعة بما يناسب الجرم المرتكب ، ووفق قواعد الدين وضوابط الشرع ، وآداب التغيير .

المنكر " ضد المعروف وهو ما عرف قبحه نقلاً وعقلاً ، وهو كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو تتوقف في استقباحه فتحكم بقبحه الشريعة " (5) فالعقل الصحيح ينكره ويبغضه، والشرع يأتي مع العقل فيؤيده ، فالعقل الصحيح يميز بين الصحيح والفاسد ولو لم يعلمه من الشرع ، وقد كان من العقلاء قبل الإسلام مواقف وأفعال أقرها الإسلام وشهد بفضلها وأيدهم فيها وشرعت للناس من بعدهم ، فمنهم من حرم الحرام وأنكره قبل أن ينزل الشرع وابتعد عنه فترك بعضهم الزنا و أنكره ،وكذلك والخمر والسرقة والبغي والظلم والأذى للناس والتعدي علي الحقوق ، والتعدي علي الغير ، وأخذ المال إلا بالحق رغم سهولة الوصول إلى المعصية واقرار المجتمع لها وتشجيعها عليها

---

1 - لسان العرب جـ 1 /125

2) سورة الروم الآية 30

3 - التعريفات ص 331 -- علي محمد بن علي الجرجاني – دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولي 1405

4 - لسان العرب جـ 13 / 550

5 - بصائر ذوى التمييز جـ 5 / 120 .

واعتبارها من كمال الرجولة ، إلى غير ذلك .... .ولا يفهم أننا ننصف العقل علي الشرع بل نرغب في بيان توافق الشرع مع العقل وعدم التناقض بينهما، ومنهم من ترك الخمر وأنكر شربها ومنهم من بعد عن الظلم والفحش ، فلو لم يكن الدين دينا لكان في خلق الناس حسننا ، فالحق لا يختلف عليه عاقلان حكيمان .

وشرعاً : "كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر ، فكل اعتقاد أو عمل أو قول أنكره الشارع الحكيم ونهى عنه فهو منكر" . (1) والإسلام في ذلك منهج متكامل ونظام فريد في توضيح كل الجوانب التي يجب القيام بها أو الاحتراز منها ، لتأهيل الناس إلى الطريق الذي يرتضيه الله للعباد ، ذلك مع وجود سعة في الحلال وتيسر طرقا تؤدي إليه ، والنهي عن الحرام وما تقرب منه حتى لا تشعر النفس بالحرمان والضيق ولو تأملنا لوجدنا أبواب الخير أكثر من أبواب الشر ، والحل في الإسلام قبل الحرمة لكن ربما لعلة في النفس طمعت في الحرام وتلذذت به ، وتركت الحلال أحيانا وزهدت فيه

.أما الحسبة :- معناها لغة : تدل على العد والحساب ، ويقال : احتسب بكذا إذا اكتفى به (2)

وشرعاً : أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله (3)

" فهي إذن من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل إن الفقهاء يسمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، احتساباً وحسبة ما دام القائم يفعله ابتغاء مرضاة الله وما عنده من ثواب " (4)

وتدخل النصيحة في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنها بصورة أبسط ووجه أسرع وربما كانت أكثر قبولا إذا روعي فيها أدب الإسلام "ومن خلال ما سبق يتضح لنا ، أن النصيحة هي بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي بمعناه ولكنها أخص منه لأنها مقيدة ببعض الأمور دون بعض ، والمراد بالأمر هنا أعم من أن يكون للوجوب والإلزام بل يدخل فيه المندوب ومثل هذا يقال في النهي "" (5)

المبحث الثاني : مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام:-

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما قاعدة الأساس لهذا الدين ، وسبيل النجاة في الدنيا والآخرة ,ولهما يبذل الإنسان الجهد العظيم فهما عماد الصلاح والخير في هذه الدنيا ،يوصي رسول الله صلي الله عليه وسلم بها لو كلفا حياة الإنسان كلها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين ، فإن رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء (أمر ونهي) ، فالإخبار عن نفسه وعن خلقه ، مثل التوحيد والقصص الذي يتدرج فيه الوعد والوعيد والإنشاء . الأمر والنهي والإباحة (6) .. ".

فعن قتادة قال : " بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس دعة فقرأ هذه الآية **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ**

---

1 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 17 د / عبد القادر محمد أبو فارس

2 - لسان العرب جـ 1 / 630 مختار الصحاح جـ 1 / 110 القاموس المحيط جـ 1 / 95

3 - الأحكام السلطانية للما وردي ص 315

4 - أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان ص 174

5 - الفروق – للقرافي جـ 4 / 257

6 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 15 ، 16

أَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } ثم قال : من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤدي شرط الله فيها "(1)انتساب المسلم لهذا الدين وأمة المسلمين قائم علي أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتركهما قدح في الإيمان .

وقال السدي : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو شاء الله تعالى لقال : أنتم فكنا كلنا ، ولكن قال كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن صنع مثل صنيعهم ، كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقال مجاهد في قوله تعالى " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ " على هذا الشرط أن تأمر بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله (2)

وقد بين نبينا صلي الله عليه وسلم خطر التقاعس عن هذا الواجب وعدم القيام به من حملة الشرع المطهر وهم الخاصة القائمون على حدود الله ، من فساد يرجع على الدين والعباد والبلاء وخسارة الدنيا والآخرة .

وقد بين الرسول صلي الله عليه أنه من أركان الإسلام وعماده التي يقوم عليها الدين،ومن تركه فقد أدار للدين ظهره .

ففي المستدرك ،عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئا و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و تسليمك على أهلك فمن انتقص شيئا منهن فهو سهم من الإسلام يدعه و من تركهن فقد ولى الإسلام ظهره .(3)

وحجم الضرر الذي يقع ليس علي فاعله فحسب وإنما الأمر فيه جد خطير حيث ينتشر ويتعداها إلى غير من أفراد المجتمع وربما أصاب الناس جميعهم ما ترك منهم واحدا إلا أهلكه ، وهذا ما ضرب به الرسول صلي الله عليه وسلم المثل في حدثيه الذي وضح خطورة الضرر المترتب علي وقوع المنكر فعن" النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ استفهموا سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا مَا لَكَ قَالَ تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ " " (4) .

---

1 - جامع البيان – ابن جرير الطبري – جـ 4 / 29 دار الحديث

2 - جامع البيان جـ 4 / 29

3 - المستدرك للحاكم كتاب الإيمان 70/1 – برقم 53 .تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص دار الكتب العلمية .

4 - البخاري مع الفتح الباري ، باب القرعة في المشكلات جـ 8 / 213 .

المبحث الثالث :
حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إذا كان الإسلام دين الكافة من الناس ، فالناس جميعاً مطالبون باعتناقه ووسيلة ذلك إنما هي الدعوة إليه فمما لا شك فيه أن هذه الدعوة أمر واجب الأداء على كل المسلمين بدونها لا يكون ثوابا ولا عقابا . قال تعالى :{ **مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**} (1)

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرع عن تبليغ الدين لكافة الناس فإنه من حيث العموم تكون فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على جميع الأمة وبعبارة أخرى فرض عليهم جميعاً فإن قام به البعض سقط عن الكل ، وذلك لقوله تعالى : " **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** " (2) فالمطلوب زواله والأخذ علي يد فاعله حتى لا يعم خطئه ويكثر فحشه ويهلك الآخرين وحيثما حدث التغير وعلي يد من تغير ، فقد تحقق المطلوب شرعا ، مع مراعاة حدوده وآدابه وشروطه فهناك نظام ودرجات يجب الحفاظ حتى لا تعم الفوضى في المجتمع الإسلامي .وقد فصل الشيخ محمد عبده رحمه الله تلك المسألة فقال : " للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي **يتضمن الدعوة إلى الإسلام ثلاث مراتب :**

المرتبة الأولى : دعوة هذه الأمة سائر الأمم إلى الخير ليشاركوهم فيما هم عليه من النور والهدى وقد أوجب الله ذلك على المؤمنين فقال تعالى : " **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ** (3)

المرتبة الثانية : دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير وتأمرهم فيما ذلك على أحوال الأمم وضرب الأمثلة العارفون بأسرار الأحكام وحكمة الدين وفقهه ، وهم المشار إليهم بقوله تعالى : **{وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}** (4)

المرتبة الثالثة : تكون بين آحاد الأمة بالتواصي على الحق والتناهي عن المنكر كل بما يعرفه فإذا رأى أحد من المسلمين أحداً يتردى في بوتقة (منكر أو مهلكة) هو يعلمها ، ولو لم يكن من الخاصة لنصحه وأرشده وبين ما أمره به الدين وما ينهاه عنه في هذا المقام " (5)

---

1 – سورة الإسراء الآية 15 .

2 – سورة آل عمران الآية 104.

3 – سورة الحج الآية 41

4 – سورة التوبة الآية 122

5 - تفسير المنار جـ 4 / 23

يقول الدكتور / محمود محمد عمارة :" من حق كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يجاهر بهما حتى الحاكم في عليائه ، ولذا فرضت عالمية الدعوة أن يكون لها جهاز متخصص خبير بأصولها قادر على التصدي لمكر الأعداء بالليل والنهار ، فإن ذلك لا ينفي مسئولية كل مسلم في حدود إمكاناته مهما كان موقعة متى توفر له ما يلي :
أ- العلم بالمأمور به والمنهي عنه .
ب - قدر من اللين يستميل به القلوب.
جـ - صبر يعينه على الوصول بالموعظة إلى قرارها.
د - حكمة تمكنه من وضع الأمور في مواضعها . " (1)
وفي ذلك يمكن فهم النصوص الواردة في الدعوة في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة للمسلمين خاصتهم وعامتهم وكذلك فهم الاختلاف الحاصل بين العلماء في تلك المسألة .
وتعد مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المسائل الواجبة لا مجال في الخلاف عليها أو التقاعس عنها .
قال الإمام النووي : " تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والكتاب والسنة وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين ، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين : لا يكترث بخلافهم في هذا فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة " (2)
كما نقل الإجماع الكثير من العلماء كابن عطية ، وأبي حامد الغزالي وابن تيميه وابن مفلح المقدس وابن رجب الحنبلي وابن حجر الهيثمي والسفا ريني .. "(3)
من خلال ما سبق يتبين : أن أصل هذا العمل واجب قطعاً ، ولكن هذا الوجوب لا يكون لازماً في كل مطلوب شرعي ولا على كل فرد في كل حال . هذا قول جمهور العلماء فله ضوابط يجب العلم بها العمل من خلال وفهم مقصو دها ومرادها :
<u>وينبغي هنا التنبيه على أمور:-</u>
الأول : أن الإنكار بالقلب لا ينفك عن أحد أبداً، فهذا أقل القليل الذي يستطيع كل فرد أن يقدمه دون أدني مشكلة أو خلاف ، فهو سر بين العبد وربه ولا إطلاع لأحد عليه الا الله الذي يعلم ما في القلب أما البشر فلن يدركوا شيئا ، وهذا من رحمة الله تعالي حيث جعل هذه الدرجة للناس يثابون عليها وينالون أجرها ،و لعل الفائدة أن الإنسان وإن غير بقلبه يكون قد حاصر المنكر في محيط صاحبه ولم يساعده علي الانتشار والخروج إلي العالم الخارجي، ولم يشجع عليه صاحبه فله فائدة كبر وان خفيت علي البعض الذين يعدون أمر التغيير بالقلب من قبيل السلبية في المجتمع والسكوت علي الباطل وكتم الحق ،لكن أرى له من الثواب ما لغير في حالة عجز الإنسان عن الدرجتين الأخريين ،فالرسول صلي الله عليه وسلم لم يقل هذا الكلام من قبيل العبث وإنما له حكمته الوجيه التي تعالج وبنفس الدرجة والتي تراعي مصالح أخري علي نفس الدرجة من الأهمية .
الثاني : أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يكون متعيناً على الأشخاص وذلك إذا كان لا يتمكن من القيام به إلا ذلك الشخص بعينه (كالأمير في سلطانه ، الوالي في رعيته ، الأب في أسرته

---

1 - من الذي يغير المنكر وكيف د / محمود محمد عمارة ص 23 ط / دار المنار سنة 1412 هـ

2 - المنهاج شرح صحيح مسلم جـ 1 / 559

3 - إحياء علوم الدين جـ 2 / 306

) فيكون حينئذ فرض عين عليه ، وذلك إذا لم يعلم به غيره فإنه في حقه فرض عين " (1) فالله تعالي يفرضه علي المستطيع للقيام به فهناك درجات عامة يشترك فيها سائر الناس ينكرون في أنفسهم وقلوبهم وتتغير وجوههم وتقشر أبدانهم لانتهاك حرمة من حرمات الله تعالي أو ارتكب فحش أو أمر حرمه الله تعالي وهذا غاية ما يملكون وأكبر ما يستطيعون ، فهم بعجزهم معذرون وغير مؤاخذون وبقلوبهم مغيرون ولا يستون مع غيرهم القادرين .
قال العلامة ابن كثير رحمه الله في التعليق على قول الله تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير .... الآية
" قال الضحاك : هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء ... والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه " (2) حتى لاتكون فتنة في المجتمع ، ويتحول الأمر إلى فوضي يعصب السيطرة عليها من الصغير والكبير والعالم والجاهل لذا خص الله تعالي أمة يدعون ويأمرون وليس كل الناس حتى ينتظم الأمر بين أفراد المجتمع ويتغير المنكر وفق ما أراد الله طبق قواعد الإسلام.
الثالث : إذا كان جمهور أهل السنة من العلماء والفقهاء والمحدثين قد ذهبوا إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي وهو لا يكون إلا على القادرين المؤهلين عليه ممن تقع عليهم مسئولية التغيير بالقوة أو باللسان ، فإنه لا يجب أن يفهم من ذلك سقوط ذلك على غيرهم فلا يقوموا بهذا الواجب ، فإن هذا الواجب لا يسقط بتحميله البعض دون البعض إنما يسقط بالأداء كما أنه ليس مقصوراً على طائفة العلماء وحدهم اللهم إلا في الأمور التي تحتاج إلى الاجتهاد وإعمال النظر واستنباط الأحكام ، أما المسائل الواضحة الجلية كإتيان المحرمات وفعل الكبائر وترك ما أمر الله به كالصلاة والصيام والزكاة وبر الوالدين وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة حرمة وحلاً ، فهذا الأمر ليس مقصوراً على طائفة العلماء وحدهم
بل يجب على عوام المسلمين في مثل هذه الأمور البينة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(3)".
ورغم ذلك لابد من التنظيم والترتيب حتى لاتعم الفوضى ويجعل كل واحد من نفسه قيما علي الناس أو حاكما لأمر المسلمين ، أو يندفع عن جهل أعمي قد يضيع المغير والمغير عنه
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك ما يلى :
ما رواه الحاكم بسنده عن عامر بن سعد البجلي قال : دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود وزيد بن ثابت فإذا عندهم جوار يغنين فقلت لهم : أتفعلون هذا وأنتم أصحاب محمد صلي الله عليه وسلم فقالوا : " إن كنت تسمع وإلا فامضي فإن رسول الله صلي الله عليه وسلم رخص لنا في اللهو في العرس وفي البكاء عند الميت " (4)
من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :
* جواز الغناء المباح الذي لا يشتمل على منكر من الأقوال أو الأفعال في العرس وجواز كونه من الجارية الصغيرة واستماع الرجال له .
* جواز الإنكار من المفضول على الفاضل إن تعين عليه ذلك .

---

1 - أحكام القرآن جـ 1 / 292 دار المعرفة

2 - تفسير القرآن العظيم جـ 1 / 368

3 - أصول الدعوة ص 314 ، 315 د / محمد عبد الله الخطيب ، منهج الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 22 وزارة الأوقاف .

4 - المستدرك ك / العلم 1/ 203 برقم 351 ، وسكت عنه الحاكم والذهبى .

* إنكار المنكر يجب أن يكون بأسلوب غير منكر.
* التلطف في العبارة ما استطاع الداعي إلى ذلك سبيلاً .
* حاجة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بالعلم بما يأمر به وبما ينهي عنه.
* سعة صدر صحابة النبي صلي الله عليه وسلم في قبول النصيحة ممن هو دونهم في السبق والفضل .
* أن الغاية من إنكار المنكر هو زواله وأنه يجوز لآحاد الناس الإنكار ممن التزم بالحكمة والموعظة الحسنة والعلم بما يتكلم فيه وبما ينكره.
* احتجاج الصحابة بسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم .
* أدب الصحابة في القول والسماع والرد وفق منهج الإسلام العلمي والخلقي والتزام الصمت عند سمع قول النبي
* يسر التشريع الإسلامي مع عدم تجاوز الحد المسموح به .
* ضرورة العلم بالمعروف والمنكر قبل الشروع في تغييره حتى لاختلط الأمور أو يرتكب المحظور ، أو يوضع الشيء في غير موضعه ، أو يتكلم بغير أساس ,أو يسير علي غير هدي فيق في الحرج .
* صرف التعلم إذا لم يسمع لحجة المعلم .

أركان الحسبة وشروطها :-

قد مر أن الحسبة : هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله ، بل إن الفقهاء يسمون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر احتساباً وحسبة ما دام القائم به يفعله ابتغاء مرضاة الله .(1)

من هنا كان علينا تعريف أركان الحسبة وشروطها :

للحسبة أربعة أركان هي :

الركن الأول : المحتسب :

" هو من يقوم بالاحتساب أي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن شاع عند الفقهاء إطلاق هذا الاسم على من يعينه ولي الأمر للقيام بالحسبة ، وأطلقوا عليه أيضا اسم والي الحسبة ، أما من يقوم بها من دون تعيين من ولى الأمر فقد أطلقوا عليه اسم " المتطوع " (2)

<u>ومن الشروط الواجب توافرها في المحتسب هي :</u>

1- التكليف : أما غير المكلف (يعني ولي الأمر) فلا يلزمه أمر ولا نهي ، بل يكون مندوباً في حقه .

2- الإسلام: وذلك لأن الحسبة هي نصرة للدين ورفع له فلا يرجى أن يكون ناصره من هو جاحد لأصله ، وكذلك الحسبة ولاية ولا ولاية لكافر على مسلم قال الله تعالى :"

"..... وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا " (3)

3- العلم : وذلك حتى يستطيع أن يعرف المعروف فيما يأمر به وينهى عنه حسب القواعد الشرعية ، ويدخل في حد العلم المطلوب علم المحتسب بمواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقف عند حدود الشرع

---

1 - أصول الدعوة ص 174 ، الأحكام السلطانية للما وردي ص 315

2 - أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان 177

3 – سورة النساء من الآية 141 .

قال سفيان الثوري : " لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث : رفيق فيما يأمر به ، رفيق فيما ينهى عنه عدل بما يأمر به ، عدل بما ينهى عنه ، عالم بما يأمر به ، عالم بما ينهى عنه " (1)

4- القدرة : فمن كان بوسعه القيام بالأمر والنهي لزمه ، وإلا فلا وكلما كان الإنسان أقدر كلما كان يتعين ذلك عليه أكد وأوجب .

" فإن عجز عن القيام به بيده تعين اللسان ، فإن عجز عنه تعين القلب ، ولا يسقط وجوب الحسبة على العجز الحسي بل يلحق به ما يخاف من المكروه الذي ينزل به ولا يطيقه "(2)

فائدة هامة في أمر القدرة على تغير المنكر وعدمها :

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : وهنا يغلط فريقان من الناس فريق يترك ما يجب عليه من الأمر والنهي تأويلاً لهذه الآية **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** " (3)

كما قال أبو بكر الصديق τ في خطبته : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية " عليكم بأنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : " إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده " (4)

والفريق الثاني : من يريد أن يأمر وينهي ، إما بلسانه وإما بيده مطلقاً من غير فقه ولا حلم ولا صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك ومالا يصلح ، وما يقدر عليه ومالا يقدر ، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني (في تفسيره لأية المائدة) : سألت عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال" : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهو متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت أمراً لا يدان لك به ، فعليك نفسك ودع عنك أمر العوام فإن وراءكم أيام الصبر،والصبر فيهن مثل قبض على الجمر " (5)

"فيأتي الآمر بالمعروف والناهي معتقداً أنه مطيع لله ولرسوله ، وهو معتد في حدوده كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي والجهاد على ذلك وكان فساده أعظم من صلاحه " (6)

فائدة هامة في أمر القدرة على تغير المنكر وعدمها :

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : وهنا يغلط فريقان من الناس فريق يترك ما يجب عليه من الأمر والنهي تأويلاً لهذه الآية " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** " (7)

كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية " عليكم بأنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " وإنكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله

---

1 - **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص 46 ، جامع العلوم والحكم لابن رجب ص 395.**

2 - **إحياء علوم الدين جـ 2 / 312 ، أحكام القرآن لابن العربي المالكي جـ 1 / 266 ، 267 ، أصول الدعوة ص 184**

3 – سورة المائدة الآية 105 .

4 - **الترمذي في كتاب الفتن ب / باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر4/467**

5 - **رواه الترمذي في سننه ك / الفتن 4/ 526**

6 - **رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيميه ص 30**

7 – سورة المائدة الآية 105 .

صلي الله عليه وسلم يقول : " إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده (1) والفريق الثاني : من يريد أن يأمر وينهي ، إما بلسانه وإما بيده مطلقاً من غير فقه ولا حلم ولا صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك ومالا يصلح ، وما يقدر عليه ومالا يقدر ، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني (في تفسيره لأية المائدة) : سألت عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال" : بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهو متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت أمراً لا يدان لك به ، فعليك نفسك ودع عنك أمر العوام فإن وراءكم أيام الصبر ، والصبر فيهن مثل قبض على الجمر(2)

"فيأتي الآمر بالمعروف والناهي معتقداً أنه مطيع لله ولرسوله ، وهو معتد في حدوده كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي والجهاد على ذلك وكان فساده أعظم من صلاحه " (3)

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم كيف أنت إذا بقيت في حثالة من الناس ؟ قال : قلت يا رسول الله كيف ذلك ؟ قال : يصف ذلك قال : قلت : ما اصنع عند ذلك يا رسول الله ؟ قال : اتق الله عز وجل وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليك بخاصتك وإياك وعوامهم "(4)

من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :

* استخدام أسلوب الاستفهام في الدعوة بين الداعي والمدعو انجح في فهم المعني المراد الوصول إليه ، وضرورة نشر العلم بين المدعوين دون تمييز بين الصغير والكبير، وضرورة عناية الداعية بالشباب فهم الذين يحملون مستقبل الإسلام ، و الحرص علي الدعوة الفردية والمقابلات الشخصية والتعليم الدعوى بكل أشكاله حسب الحاجة ، نظرة الإسلام إلى المستقبل وما سيأتي فيه من أحداث حتى لا يفاجأ المدعوين بأمور لا يعرفونها ، وحرص الداعي علي رسم خطة عمل للمدعوين في المستقبل بما يضمن لهم نجاح دعوتهم والنهوض بها ، فقد يختلط الحابل بالنابل والصالح بالطالح فعلي المسلم التقي أن يحافظ علي هويته الإسلامية ولا ينساق للباطل فيهلك ، و علي المدعو أن يذعن بالأدب والخضوع للداعية المعلم ويراعي له حقه ويطلب منه المعرفة والإيضاح لما يجهله ، فتقوي الله تعالي هي السبيل الأمثل في الوصول إلى النجاح ورضي الله تعالي . العمل بالمعروف وترك المنكر هو الذي ينجي صاحبه وقت الشدة .

* علي الإنسان أن يلتزم أمر نفسه وقت الصعاب ولا ينساق وراء الجهالة وعالمة الناس الذين لا يفقهون شيئا في دين الله تعالي وربما ضيعوا غيرهم بجهلهم.

وهذه الشروط الأربعة هي محل اتفاق بين العلماء ولكن توجد بعض الشروط مختلف فيها بينهم وهي محل نظر منها :

أ- العدالة : فقد ذهب قوم من العلماء على اشتراطها مستدلين بقوله تعالى :

---

1 - الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر

2 - رواه الترمذي في سننه جـ 11 / 181 وابن ماجة برقم 4014 وابوداوود في كتاب الملاحم جـ 14 / 348 برقم 4175 وصححه شعيب الأرناؤوط في شرح السنة جـ 4 / 348 والألباني في السلسلة الصحيحة برقم 494

3 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيميه ص 30

4 - المستدرك برقم 525 جـ 4 / 435 ووافقه الذهبي 1849 الشاملة.

" أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "(1)

وقد أجاب من لم يشترط ذلك الشرط وذلك الشرط على هذا بقوله " قد اجتمع في هذا الموضع (يقصد الآية السابقة) على المكلف واجبان :

الأول : الامتثال لأمر الله .

الثاني : حث الناس على الامتثال وأمرهم به وتحذيرهم ونهيهم عما خالفه .

فإذا قصر في أحد هذين فإن ذلك لا يعني سقوط الآخر عنه فإن ترك الأمر والنهي بقى عليه الامتثال ، وإن ترك الامتثال بقى عليه الأمر والنهي " (2)قال ابن العربي : " وليس من شرطه – الآمر والناهي – أن يكون عدلاً عند أهل السنة "(3)ولا يتوقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون الآمر عدلا في نفسه وإنما يأمر وينهي ولو كان من العصاة، ولعل الفائدة من وراء ذلك أن غيره ربما يكون أفضل منه وما عجز هو عنه من الطاعة ربما التزم به الآخرون، فإذا تعطل هو فينبغي أن لا يعطل غيره فيكون بذلك قد ارتكب إثمين ،تقصيره عن الطاعة في نفسه ، وتقصيره في حق غيره فيحمل وزرين ، مع العلم بأنه لو كان مؤتمرا في نفسه ملتزما بما يقول كان وقع ذلك أفضل وانجح للدين والدعوة لكن هذا لا يمنع من الفعل الواجب علي كل حال .

وفي الأثر أن الحسن قال لمطرق بن عبد الله : " عظ أصحابك فقال : إني أخاف أن أقول مالا افعل ، قال : يرحمك الله : وأينا يفعل ما يقول : يود الشيطان أنه قد ظفر بهذا ، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد لمعروف ولا نهى عن منكر(4)

ب- الإذن من ولي الأمر أو نائبه :

والجمهور على عدمه وذلك لبطلان هذا الشرط لأنه ليس له دليل من كتاب ولا سنة بل الأدلة على رفضه ورده .

وكيف يكون ذلك والمسلم مطالب بتغير المنكر ولو كان الواقع فيه من السلطان والحكام ، فمن الذي يغير المنكر عند الحاكم أم أن الحاكم مرفوع عنه الحرج؟ فلا يؤمر بمعروف ولا ينهي عن منكر ، وكيف ذلك وقد قبل الصحابة الكرام مثل أبي بكر وعمر مثل ما وقع من أراء تخالف ما هم عليه وربما كانت من عامة الناس .

قال القرطبي : " أجمع المسلمون فيما نقل ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه ، إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدى إلى الأذى " (5)

"نعم لو نصب السلطان رجالاً يقومون على الحسبة وتعاون معهم غيرهم كان ذلك اقوي وأمضى في إزالة كثير من المنكرات وأجدى في طريق الإصلاح ... لكنه ليس بشرط إلا أن أحسن أحوال الحسبة

---

1 -سورة البقرة الآية 44

2 - مفاتيح الغيب جـ 1 / 67 ، 68 الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ 1 / 408

3 - أحكام القرآن لابن العربي المالكي جـ 1 / 266

4 - الجامع لأحكام القرآن جـ 1 / 408 .

5 - الجامع لأحكام القرآن جـ 1 / 411 ، إحياء علوم الدين جـ 2 / 315 ، أصول الدعوة ص 181

وأقواها هي الحسبة التي يجتمع فيها قوة السلطان وهيبته ودعمه مع جهود المخلصين الغيورين من رعيته "(1)
ومن المعلوم من الدين أن الإسلام لم يمنع آحاد الأمة من إنكار المنكر علي الحاكم بل إن الإسلام يسمح بتذكر مرتكب المنكر ، بل إن الإسلام اعتبر ذلك من افضل أنواع الجهاد في سبيل الله حتى ولو نال الإنسان الأذى بسبب ذلك فهو في سبيل الله وربما عده الرسول من أفضل الجهاد لتحمل صاحبه الشدائد في سبيله وربما لحقه أيضا الأذى والموت والشهادة في سبيل الله تعالي ، فقد يمتلك السلطان قتل الإنسان وربما تحكم البعض في رقاب العباد فظنوا انهم يهبون الحياة للناس أو ربما ظنوا انهم يعجلون منيتهم ، وكذبوا إن اعتقدوا ذلك فالأمر لله تعالى لا ينازعه فيه أحد ، ولم يمكن منه احد ولو كانوا يفعلون ذلك لمنحوا أنفسهم تأخيرا أو تعجيلا . "..... ألا وإن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر..... " (2) من أقوى الأدلة التي توضح ذلك:
ما رواه مسلم وأبو داو ود بسندهما عن أبى سعيد الخدري عن أبي سعيد الخدري قال : " أخرج مروان المنبر في يوم عيد فبدأ بالخطبة قبل الصلاة فقام رجل فقال يا مروان خالفت السنة ، أخرجت المنبر في يوم عيد ولم يكن يخرج فيه وبدأت بالخطبة قبل الصلاة فقال أبو سعيد الخدري :من هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان ، فقال : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان "(3)

آداب المحتسب :
قد ذكر الفقهاء جملة من الآداب التي يجب على المحتسب أن يتحلى بها لكي يؤتي عمله ثماره المرجوة ومن جملة هذه الآداب :-
أ) الإخلاص :
" فإن على المحتسب أن يقصد باحتسابه وجه الله تعالى وطلب رضاه ولا يقصد بحسبته الرياء والسمعة والجاه والمنزلة عند الناس .(4)
إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها
" ولما كان العمل لابد له من شيئين : النية والحركة
و النية المحمودة التي يقبلها الله ويثيب عليها ، هي أن يراد الله وحده بذلك العمل والعمل المحمود هو الصالح وهو المأمور به ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه : " اللهم اجعل

---

1 - أصول الدعوة ص 181 عبد الرحمن الدروسي ، صفوة الآثار والمفاهيم جـ 4 / 270 ، 271 دار الأرقم – الكويت ط الأولى سنة 1402

2 --- المستدرك علي الصحيحين للحاكم ك / الفتن والملاحم ... من حديث طويل 5 / 410 ح 8720 وقال : هذا حديث تفرد بهذه السياقة على زيد بن جدعان القرشي ، عن أبي نضرة . والشيخان رضي الله عنهما لم يحتجا بعلي بن زيد وقال الذهبى : ابن جدعان صالح الحديث .

3 - مسلم ك / الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان 1/ 69

4 - أصول الدعوة ص 184

عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً ، وإذا كان هذا عمل صالح ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون كذلك ، هذا في حق الأمر الناهي (1)
عن أمر الإخلاص في عمل المحتسب ليس الأمر البسيط الذي يمر مرور الكرام وإنما ذلك موقعه خطير ، حتى لا يتسرب للمحتسب داء الكبر والعجب خاصة عندما يجد نفسه آمراً للناس بالمعروف ناهياً لهم عن المنكر وهو ما يعرف " بكبر العابدين "
يقول الدكتور محمود عمارة : " إذا كان الكبر منازعة للحق تعالى في صفة اختص بها سبحانه وتعالى ، وإذا كان يحمل المتصف به من الناس على أن يحتقر من دونه ... إلى جانب رفضه للحق وعدم الانصياع له ... فإن كبر العابدين يأخذ سمتاً آخر يجعله أسوأ أنواع الكبر على الإطلاق ... لماذا ؟
وترتب على ذلك كما قال الفاقهون العارفون بطبائع البشر :
أن يحتقر غيره كما قلنا أن يخرج من ذل العبودية إلى مقام الوصي على العباد والبلاد فيحبط عمله من حيث لا يشعر .، وهكذا تكون النهاية التي أشارت إليها البداية : فقد يحس الداعية يوماً بالعزة والأنفة ، حين يرى نفسه المرشد المربي الذي يأخذ بيد الغير إلى الخير وقد توسوس له نفسه بما له من حقوق على هؤلاء الذين يكمل ناقصهم ويقيم معوجهم ثم هم لا يطيعونه ولا يدينون له بالولاء بينما هو طبيبهم وحاديهم على الطريق ، وإنها لفرصة سائحة إلى الكبر .(2)
إن حاجة المسلم للإخلاص تشتد وتعظم كلما كان عمله ظاهراً أو متعلقاً بالآخرين وإذا كنا ننبه إلى ضرورة الإخلاص للمحتسب .
فإننا نحذر أيضا من مدخل آخر للشيطان وهو الابتعاد عن أمر الحسبة ظناً من الشخص المؤهل لذلك أنه غير مخلص .
" وقد يتسرب الوسواس إلى بعض الأتقياء فيتركون الحسبة بحجة عدم خلوص النية ، ونقول لهؤلاء الطيبين الورعين : إن عليهم أن يقوموا بالحسبة ويدفعوا هواجس الرياء ولا يتعمقوا في ذلك أو يسترسلوا في الخوف والرياء لأن الشيطان قد يفتح عليهم باباً من الوسواس لا ينتهي "(3)
ب- الرفق واللين :
يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "(4)
وفي الحديث أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " لا يكون الرفق في شيء قط إلا زانه ولا ينزع من شيء قط إلا شانه " (5)
فإن الرفق واللين يفتحان مغاليق القلوب ويوقفان نزيف العداوة والبغضاء من الصدور قال تعالى : " **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)** (6)وقال تعالى لنبيه :
" **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** " (7)
وقد كانت من علامات النبوة التي قراها أهل الكتاب من اليهود عن النبي الرفق واللين، وقد كان

---

1 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 38 ، 39

2 - من الذي يغير المنكر ؟ وكيف ؟ ص 232 ، 233

3 - أصول الدعوة ص 185 د / عبد الكريم زيدان

4 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 24

5 - مسلم برقم 78 البر والصلة جـ 4 / 2004

6 – سورة فصلت من الآية :34 .

7 – سورة آل عمران من الآية: 159.

بعضهم يذهب ليطلع عليها أو يري علامات صدق الرسول وتحقيق ما جاء من صفات في الكتاب المقدس عن نبي آخر الزمان ،والعلامات أكثر من أن تحصي والقرآن الكريم يثبت ذلك ويؤكد عليه ويفضح حقد أهل الكتاب وكتمان ما عرفوه عن النبي محمد صلي الله عليه وسلم لكن من أهمها الرفق واللين ، حتى بعضهم أحيانا كان يعمد أن يغضب رسول الله والنبي عليه الصلاة والسلام لا يغضب ، ومن أبز ما جاء في ذلك الجانب ما رواه الحاكم :

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك :

ما رواه الحاكم بسنده عن زيد بن سعنة وكان حبراً من أحبار اليهود قال : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد صلي الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه وهما : يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل إلا حلماً(1)

وانظر إلى حلمه صلي الله عليه وسلم ورفقه عند إنكار المنكر .

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك مايلى :

ما رواه الحاكم بسنده عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال عمر : لا وأبي : فقال صلي الله عليه وسلم: (لا تحلفوا بآبائكم من حلف بشيء دون الله فقد أشرك) (2)وفي رواية له أيضاً : " إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم " (3)

من فقه الدعوة فى الأحاديث الشريفة :-

* زيادة اليقين عند المؤمنين في صدق إيمانهم بنبوة الرسول صلي الله عليه وسلم بعدما تأكدت نبوته لدي علماء اليهود .
* ذكرت علامات النبوة المحمدية في الكتب السابقة .
* علي الراغبين في الحق البحث عنه حتى يصلوا إليه .
* علامات البنوة كانت واضحة جلية علي وجه الرسول صلي الله عليه وسلم يعرفها القاص والدان .
* لا تزال علامات الصدق واضحة تزيد الناس إيمانا فيما اخبر به رسول الله صلي الله عليه وسلم من خلال أقواله وأفعاله وان طال الزمان .
* علي الداعية أن يلتزم العلامات التي تدل على صدقه وتثبت حسن خلقه من خلال إيمانه بدعوته واجتهاده في تبليغها وتواضعه مع الناس وإقتدائه بسنة النبي صلي الله عليه وسلم فإيمان الداعي بدعوته يتبعه إيمان المدعوين.
* إمكانية دخول الناس علي النبي صلي الله عليه وسلم ، وعلي الداعية أن لا يضع حاجز بينه وبين المدعوين يمنع وصول الناس إليه فهذا يعطل الدعوة ويصد كثيرا من الطالبين للخير ويفصل بين الداعية والمدعوين كل منهما يكون في شاطئ لا يلتقيان .
* الرفق من سنن المرسلين ومن شيم الصالحين ومن أخلاق الدعاة العاملين ، فالحرص عليه عامل هام لنحاج دعوة رب العالمين .
* تواجه الداعية صعوبات ومتاعب وجهالة من بعض المدعوين وكل ذلك يعالج بالرفق واللين وحسن الخلق ، فالجهل لا يعالج بالجهل والشدة لا تعالج بالشدة و النار لا تعالج بالنار **(وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)** .(1)

---

1 -المستدرك للحاكم ك/ معرفة الصحابة باب ذكر إسلام سعد بن مولي رسول الله 328/4 ح 6665 . وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهو من غرر الحديث

2 - رواه الحاكم في المستدرك ك / الإيمان 1/ 150 ح 166 وأورده الذهبى وسكت عنه الذهبى

3 - رواه الحاكم في المستدرك ك / الإيمان 1/ 151 ح 167 وأورده الذهبى وسكت عنه الذهبى

وهنا أمر هام يجب أن يفقهه كل محتسب وكل داع إلى الله أننا لا نعني بالرفق واللين ، التهاون في بيان الحق أو المداهنة فيه وإنما هذا شيء وما ذكرناه شيء آخر فإنا نقصد أن لا يكون المحتسب أو الداعي فظاً غليظ القلب في عرض أحكام دين الله جل وعلا ، وإنما عليه بالرفق واللين مع صلابة الدين ولذلك قبل : " ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ، ونهيك عن المنكر بغير منكر " (2)

جـ - الصبر والحلم :

إن الله سبحانه وتعالى جعل الصبر جواداً لا يكبو ، وجنداً غالباً لا يهزم ، وحصناً حصيناً لا يهدم ، وقد مدح الله عز وجل في كتابه الصابرين وأخبر أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب ، وأخبر أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين فقال تعالى : **"وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ "** (3)وقد جعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين قال تعالى

" وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" (4)

إن الصبر والحلم على تحمل مشاق الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي جنة الداعي.

فإن وقوع الأذى محتمل إن لم يكن مؤكدا ولابد ، فإن لم يحلم ويصبر ويحتسب عند الله تعالي ، فإن خطؤه أكثر من صوابه وضره أكثر من نفعه ، وإفساده أكثر من إصلاحه كما قال لقمان لابنه **" يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** (5)

ولهذا أمر الله الرسل وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصبر ....

قال تعالى :**" يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ () قُمْ فَأَنْذِرْ () وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ () وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ () وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ () وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ () وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (6)فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالمعروف ونهيُ عن المنكر فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر "(7)**

د- التدرج والتأني في الأوامر والنواهي حسب ما تقتضيه المصلحة

" ينبغي على المحتسب أن يعلم الأولويات فيقدم الأهم على المهم والمصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وإذا اجتمع واجبان لا يمكن الجمع بينهما قدم أعظمهما نفعاً،وإن اجتمع منكران قدم في التغيير والإنكار أكبرهما جرماً وضرراً(8)

وهذا من فقه النفس بالنسبة للداعي ، وانظر إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يوضح لنا هذا المبدأ وهو التأني والتدرج في الدعوة والأمر والنهي .

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك :

---

1 – سورة فصلت الآية 34 .

2 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية ص 24

3 – سورة الآنفال من الآية 46 .

4 – تربية النفوس وتزكيتها ص 81 د / أحمد فريد / ط مكتبة التوعية الإسلامية والأية من سورة السجدة:24)

5 – سورة لقمان الآية 17

6 – سورة المدثر الآيات من 1الي 7 .

7 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 41

8 - مجموع الفتاوى جـ 21 / 58 – 61 شيخ الإسلام ابن تيمية

ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة صلي الله عليه وسلم قال : قام رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال : " يا أهل المدينة إن الله يعرض على الخمر تعريضاً لا أدري لعله ينزل فيه أمراً ، ثم قام فقال : يا أهل المدينة إن الله قد أنزل تحريم الخمر فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء ، فلا يشربها ولا يبيعها " قال : " فسكبوها في طرق المدينة " (1)

عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب قال : قال عمر رضي الله عنه :(اللهم بين لنا في الخمر فنزلت : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ{ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ " (2) إلى آخر الآية فدعا النبي صلى الله عليه و سلم عمر فتلاها عليه فكأنها لم توافق من عمر الذي أراد فقال : اللهم بين لنا في الخمر فنزلت : { {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ }(3)

فدعا النبي صلى الله عليه و سلم عمر فتلاها عليه فكأنها لم توافق من عمر الذي أراد فقال : اللهم بين لنا في الخمر فنزلت : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ (4)حتى انتهى إلى قوله : {فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ}(5)فدعا النبي صلى الله عليه و سلم عمر فتلاها عليه فقال عمر : انتهينا يا رب) . (6)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :-

* التأني في إصدار الأحكام .، وأن التدرج في التشريع كان لحكمة جليلة وغاية نبيلة حتى تألفه النفوس ،و حرمة الخمر وحرمة تناولها وحرمة بيعها ، وسرعة استجابة الصحابة والانتهاء عما ألفوه دليل على صدق الإيمان وصدق اتباعهم وطاعتهم لله وللرسول ، و تنبؤ الرسول صلي الله عليه وسلم بما سينزل به الوحي مع توكيل الأمر الي الله تعالي واعترافه بأن الأمر لله تعالي وقوله صلي الله عليه وسلم (لا أدري) مما يزيد المدعزين ثقة وثباتا عيل الدين ، و تحريم الخمر فلا تشرب ولا تباع ، وتنفيذ أمر النبي صلي الله عليه وسلم وعدم ادخار شيء من الخمر أو الانتفاع بها بأي شكل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته ، لم يكن مما أمر الله به ، وإن كان قد ترك واجبا وفعل محرما ، إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله ، وليس عليه هداهم " (7)

هـ - الإسرار بالنصيحة:-

إن هذا الأدب العظيم يلين عريكة الإنسان ، ويأخذ بقلبه وعقله ويجعله ينقاد للحق دون تعصب أو كبر لأن النفوس تأبى أن يبين خطؤها أمام الناس خاصة إذا كان هذا المخالف أكبر سناً من المحتسب

---

1 - المستدرك ك / التفسير ب / من سورة البقرة 2/ 359 ح 3152 وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأورده الذهبي في التلخيص وسكت عنه سنداً ومتناً.

2)سورة النساء الآية : 43 .

3) سورة البقرة الآية 219 .

4) سورة المائدة الآية 90

5) سورة المائدة الآية 90

6 - المستدرك ك / الأشربة 5/ 70 ح 7382 برقم 7382 وافقة الذهبي قي التلخيص : :هذا صحيح.

7 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 24

أو أعلى مكانة في العلم والجاه ونحو ذلك وقد مر قبل ما قاله عياض بن غنم لهشام بن حكيم رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية ... " (1).
فلا مانع من تقديم نصيحة لذي هيبة أو سلطان فهذا حق الله تعالي مع ضرورة مراعاة أدب الإسلام في التحدث معه وتقديم النصيحة ،فلا يعامل كعامة الناس، وإنما علي الناصح أن يحفظ له حقه ومكانته من الناس، حتى لا تؤدي النصيحة لضياع هيبته أو الإنقاص من شأنه فتكون النصيحة قد أضرت به اكثر مما نفعت .
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك :
ما رواه الحاكم بسنده عن العرباض بن سارية قال : صل لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة الصبح ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب و ذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله و السمع و الطاعة و إن أمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي و سنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ و إياكم و محدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة (2)
وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم إذا نصح على ملأ قال : " ما بال أقوام " (3)
من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :-
أهمية الوصية من الداعي إلى الدعاة لا سيما عند ما يظن قرب اجله ، واغتنام الأوقات المناسبة للوصية ومن أفضل هذه الأوقات تجمعات المسلمين لا سيما في الأوقات المباركة بعد الصلاة، فبعد الصلاة فوائد منها:
عدم المعانة أو الانشغال بجمع الناس ، فهذا الوقت فهم لحالهم مجتمعين قد وفروا علي الداعي الحرج والمشقة .
وإخبار النبي صلي الله عليه وسلم بما يقع في المستقبل من خلاف بين الأمة وعلي الداعية توجيه المدعوين إلى عوامل نبذ هذا الخلاف بين المسلمين وغرس كل المقاومات التي تعمل علي الوحدة بينهم ، وعلي الدعية أن لا يطرح المشكلة ويترك المدعوين في حيرة من أمرهم لا يعلمون حلا لها وإنما عليه أن يجتهد في إيجاد الحل
مع التمسك بالدين وسنة الرسول صلي الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعهده هو سفينة النجاة في بحر الخلاف الذي يغرق المختلفين المفترقين .
وعلي الداعية أن يؤصل دعوته ويتبع ولا يبتدع ، فقد كمل الدين ويسره لنا رب العالمين ووضحه خاتم المرسلين ، فإذا غير الداعي وأحدث في الدين ما ليس منه فقد جعل من نفسه مشرعا وربما جعل من نفسه معبود فيكون قد ضل وأضل .
قال الإمام النووي رحمه الله : " فمن الرفق ترك التشهير والإعلان بالإنكار على المعين أمام الناس إن كان الأمر لا يتطلب ذلك فينبغي أن يسر بالنصيحة إليه ليتحقق القبول .

---

1 - المستدرك ك / معرفة الصحابة ب / ذكر عياض بن غنم 4/ 6 ح 5347 وقال هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى

2 المستدرك علي الصحيحين المستدرك ك / العلم ح 332 وقال حديث صحيح ليس له علة وقد احتج البخارى بعبد الرحمن بن عمرو وثور بن يزيد .

3 - كما في الحديث الذي رواه سمرة في خطبته ρ في الكسوف وقد مر في المستدرك برقم 1260 في باب الخطابة من الدعوة الجماعية .

قال الشافعي : من وعظ أخاه سراً نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه " 1

الركن الثاني :- المحتسب عليه ا لتعريف به :

هو المرتكب للذنب الواقع في المعصية المتلبس بها ، وأيا كان وضعه فالإسلام يراعي أن نأخذ علي يده رحمة به ومراعاة لحرمة الله تعالي ورعاية للمجتمع ، فضرر المعصية لا يتعلق به وحده وإنما يتداخل فيه الكثير من الحقوق المتعلقة به التي ينبغي أن تراعي وتحترم .

"المحتسب عليه هو : كل إنسان يباشر أي فعل يجوز أو يجب فيه الاحتساب ويسمي المحتسب عليه أو المحتسب معه ويشترط فيه : أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع في حقه منكراً وإن لم يكن معصية يحاسب عليها.

وعلى هذا فلا يشترط فيه بلوغ ولا عقل أو جهل أو عدم نسيان فالمجنون والجاهل إن زنيا وجب الاحتساب عليهما والصبي إن شرب خمراً وجب منعه والحيلولة بينه وبين شربها وإن كان فعل هذا الصبي لا يعتبر معصية يحاسب عليها "(2)

وذلك لأن الحسبة عبارة عن : المنع عن المنكر لحق الله تعالى صيانة للمنوع عن مفارقة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله، وكذا منع الصبي عن شرب الخمر. والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين، أحدهما: حق الله تعالى فإن فعله معصية، والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين. ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم؛ إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه، بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات، ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظاً للمال، لما نشير إليه في الباب الثالث. " (3)

فليس من الحق ان يراعي حق علي حساب حق وإنما الواجب والعدل ان يعطي كل ذي حق حقه .

أنواع المحتسب عليهم أولاً : الأقارب :-

الأقارب هم أولى الناس بالداعية ولهم حق فرضه الله تعالي واجب العمل به في توجيه النصح والموعظة والأوامر والنواهي التي تقرب من الله تعالي ومعرفة أحكام الدين والتزام قواعد التشريع ، ولعل ذلك من باب المصلحة ،فهم أولى الناس بالداعية ولهم من الحق ما ليس لغيرهم بنفس القيمة ، ولعل ذلك لقربهم وسرعة والوصول إليهم فهم مع الداعي لليل نهار فيراهم ويرونه كثيرا ، ولعل ذلك أيضا لمصلحة الدين فالصلة القوية بينهم وبين الداعي تبعث علي الاقتناع بما يقول دون الكثير من الجهد الذي يحتاجه الآخرون وإذا صلح حالهم كانوا سندا للداعية في دعوته بكل ما في ذلك من معاني .

ويعد هذا من مناهج القرآن الكريم في توجيه الخطاب الدعوى إلى المدعوين قال الله تعالى لنبيه صلي الله عليه وسلم : **" وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** (4)قال ابن كثير رحمه الله : قال الله تعالى آمراً لرسوله صلي الله عليه وسلم أن ينذر عشيرته الأقربين مبينا أنه لن يخلص أحداً منهم إلا إيمانه بربه عز وجل

---

1 - المنهاج شرح صحي مسلم بن الحجاج جـ 1 / 562

2 - أصول الدعوة د / عبد الكريم زيدان ص 186

3 - إحياء علوم الدين جـ 2 / 327

4 – سورة الشعراء الآية 214 .

"(1)وفي الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه قال : " لما أنزل الله عز وجل " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " آتى النبي صلي الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى " يا صباحاه " فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث برسوله ، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم:" يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤي ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا نعم ، فقال : " إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ... " (2)
وفي الحديث أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : " لما نزلت : " **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** " قام رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد ، يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم " (3)
ولا يستثني الشرع أحد من الحسبة فكل الناس أمام الله سواء ومجاملة الأقارب لاتكون بالتغافل عن الحق والسكوت علي الباطل وإنما هم أولى الناس أن يؤخذ علي أيدهم ويمنعون من الفساد ويوجهون إلى الحق بأدب الإسلام ومراعاة حدوده فالسكوت علي الباطل لا يعود عليهم الابالضرر،علاوة علي ما يجلبه من ضرر للساكت عليه ." فالحسبة تجرى على الأقارب والآباء على حد سواء ولكن ينبغي على المحتسب أن يراعي عند احتسابه على والديه زيادة الرفق بهما وألا يتعدى النصيحة والموعظة الحسنة وبيان الحكم الشرعي ولا يتعدى مقام الأبوة والأمومة دون تفريط بواجب الاحتساب(4)

ثانياً : أصحاب الولايات :-

والاحتساب يجري على السلطان ونوابه وولاته ووزرائه وغيرهم من أصحاب الولاية كما يجري على آحاد الناس
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وكل بشر على وجه الأرض ، فلابد له من أمر ونهي ولا بد أن يؤتمر وينهى ، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها : إما بمعروف وإما بمنكر كما قال تعالى : " "وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيم " (5)
وبنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض ، وإذا اجتمع اثنان فصاعداً فلا بد أن يكون بينهما إئتمار بأمر وتناه عن أمر .... وأولوا الأمر : أصحاب الأمر وذووه ، وهم الذين يأمرون الناس وينهونهم وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام ، فلهذا كان أولوا الأمر صنفين : العلماء والأمراء ، فإذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس .... ويدخل فيهم الملوك والمشايخ وأهل الديوان وكل من كان متبوعاً فهو من أولى الأمر . (6)وقد وضع لنا نبينا صلي الله عليه وسلم قاعدة النصح والإرشاد والأمر والنهي في حديثه الذي قال فيه : " الدين النصيحة ، قلنا : لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (7)
وهذا الأدب لم يغب في لحظة من الزمان عند الصالحين السابقين من أبناء هذه الأمة مهما علت مكانتهم وارتفعت درجتهم في دين أو دنيا ، فكانوا هم الذين يوجهون الخطاب إلى الرعية كي يلتفتوا

---

1 - تفسير ابن كثير م 3 ص 332

2 - رواه البخاري ك / المناقب ب / باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية 1011/3

3 - مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة 74/1

4 - الآداب الشرعية لابن مفلح جـ 1 / 449 ، 450 ، الفروق للقرافي جـ 4 / 256

5 – سورة يوسف الآية 53 .

6 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 83

7 - مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة 74/1

نحوهم بالنصيحة والحسبة وأمرهم ونهيهم حتى لا يضلوا فيفلتوا من عقاب الدنيا ومحاسبة الخلق إلى محاسبة الخالق الذي لا يفلت أحد من حسابه ، فلم تحجبهم ولايتهم من سماع دعوة الحق من الآخرين وتقديم النصح من المخلصين ففلحوا في الدين والدنيا وسعدوا واسعدوا الناس وبلغوا الدعوة إلى سائر الخلق -" أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال : وحدثني بعض
أهل المدينة ، قال : خطبنا أبو بكر قال : يا أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن ضعفت فقوموني ، وإن أحسنت فأعينوني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، الضعيف فيكم القوي عندي حتى أزيح (2) عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر ، ولا ظهرت - أو قال : شاعت - الفاحشة في قوم إلا عمهم البلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله." (1)
فهذا الصديق خليفة رسول الله ثاني اثنين إذ هما في الغار ،يوصي الناس طالبا منهم النصح والتوجيه ومنعه من الظلم إن فعله ، والحاكم الصالح المتقي الله تعالي لا يخش من نقد الرعية فلا يخش من الرعية ويضرب علي أيد الناس وألسنتهم الا من نال من حقوقهم .
ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك :
ما رواه الحاكم بسنده عن : عبادة بن الصامت ، أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « فلا طاعة لمن عصى الله » » (2)
من فقه الدعوة فى الحديث الشريف :-
* ذكر النبي صلي الله عليه وسلم لما سيؤل إليه أمر بعض الولاة من بعده .
* علي المسلم أن لا ينقاد وراء أصحاب الشهوات والمنكرات .
* ترك التقرب من الظالمين والاعتصام بحبل الله تعالي .
* قد يعلو الباطل وحزبه لوقت ما فلا يحملن ذلك المؤمنين علي اليأس من رحمة الله تعالي .
* آهل المنكر يعرف بعضهم بعضا ويعلوا بعضهم ببعض فلا يغرن ذلك المؤمنين .
* تقديم طاعة الله تعالي فوق كل طاعة .
وإذا كان الهدهد الأعجمي قد احتسب على نبي الله سليمان وقال مرشداً له كما ذكر رب العزة جل وعلا : " **أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** "(3)ولكن مع ملاحظة المحتسب منزلة السلطان ومكانته حيث ينبغي الرفق به والتلطف معه دون تشهير به على المنبر وفي المجامع العامة لما في ذلك من إثارة الفتن .
" ومن هنا قال الفقهاء يكون الاحتساب عليه بتعريف الحكم الشرعي والوعظ لا بالقوة والقهر " (4)
فمراعاة آداب الإسلام في وعظ الحاكم وتوجيهه ،والتزام الرفق واللين والتلطف في الدعوة معه ،فلا يعامل بما يعامل به غيره وإنما اعتبار منزلته ومكانته أمر معتبر شرعا ، ولنأخذ العبرة والعظة من دعوة موسى عليه السلام لفرعون الطاغية الذي ادعي الألوهية وتجبر ومع ذلك فالله تعالي يقول

---

1 - مصنف عبد الرزاق ج11/ 336.

2 - المستدرك علي الصحيحين ذكر مناقب عبادة بن الصامت 71/4 ح 5613 « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه وقد رواه زهير بن معاوية ، ومسلم بن خالد الزنجي .ا

3 – سورة النمل الآية 22 .

4 - أصول الدعوة ص 187

(فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (1)

قال ابن القيم رحمه الله : " ومن دقيق الفطنة أنك لا ترد على المطاع خطأه بين الملأ ، فتحمله رتبته على نصره الخطأ ، وذلك خطأ ثان ، ولكن تلطف في إعلامه بحيث لا يشعر به غيره " (2)

وبما أن القضاء ولاية تجرى فيها الحسبة أيضاً : فقد قال الفقهاء : " وينبغي للمحتسب أن يتردد على مجالس القضاء والحكام ويمنعهم من الجلوس في الجامع والمسجد للحكم بين الناس وأنه متى رأى المحتسب القاضي قد استشاط على رجل غضباً أو شتمه أو احتد عليه في كلامه ردعه عن ذلك ووعظه وخوفه بالله عز وجل فإن القاضي لا يجوز أن يحكم وهو غضبان ولا يقول هجراً ولا يكون فظاً غليظاً "(3)

ثالثا: الجمعيات والمؤسسات والهيئات والأندية والأحزاب ونحو ذلك :-

تجرى الحسبة على تلك التجمعات خاصة إذا كانت مندرجة تحت لواء الدعوة إلى الإسلام ، فينبغي النظر إلى حجم المخالفات التي يحملها هؤلاء " وليس من كانت مخالفته في الأساليب كمن كانت مخالفته في الأصول والعقائد ، ولكن ينبغي اجتناب التشهير ما أمكن وعدم تراشق التهم ما أمكن بين العاملين للإسلام مع مناصحة القائمين على هذه الجماعات والهيئات بأسلوب طيب دون الانتقاص والتحقير "(4)

وينبغي أن تكون دعوتهم بالحق ومناقشتهم في مزاعمهم وآرائهم ، وتحذير الناس من شرهم وأفكارهم في غير سخرية أو تجريح ، فدعوة الحق تحمل معها عوامل بنائها ونجاها، ودعوة الباطل تحمل معها معول هدمها وموتها فالحق واضح لا يحتاج إلى عنف ومكابر وضجيج، لكن في حكمة وروية يصل الحق إلى أذهان الناس وكم من دعوات للباطل ومؤسسات تملك معها ما تحتاجه من وسائل وإمكانات ومنذ آن جاء الإسلام لكن كل ذلك ما اغني عنها شيء ولم تتمكن من رغبتها الدنيئة في دين الله تعالي وان ارتفع صوته في وقت ما من الأوقات لكن سرعان ما يذبل ويموت ويبقي الحق .

رابعاً : غير المسلمين :-

وتجرى الحسبة على غير المسلمين بأنواعها المختلفة :-

فالحربي : ليس له إلا السيف لقوله تعالى : " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ "(5)

لقوله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا من دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله " (6)

وأما المستأمنون والمعاهدون وأهل الذمة : فالواجب أن يدعوا جميعاً إلى الإسلام ،

---

1 – سورة طه الآية 44 .

2 - مفتاح دار السعادة جـ 3 / 312

3 - أصول الدعوة ص 187

4 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د / خالد بن عثمان السبت / 318 ، 319

5 – سورة البقرة الآية 193

6 - المستدرك ك / الزكاة 1/ 496 ح 1459 وسكت عنه الحاكم والذهبى

لقوله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ) " (1)
" كما يجب أن يمنعوا من الإخلال بما أبرمت معهم من عهود ومواثيق لأننا وإن أمرنا بتركهم وما يدينون إلا أن هذا الترك لا يعني تركهم ينقضون نظام الإسلام ويخلوا به ، وإنما يعني إعطائهم حرية الاعتقاد والعبادة في بيوتهم ومعابدهم شريطة ألا يعلنوا ما يناقض الإسلام كأن يسبوا الإسلام ويكذبوا النبي صلي الله عليه وسلم وأن يشربوا الخمر علانية أو يظهروا الفواحش والعرى ، وغير ذلك مما ينقض العهد فيجب أن يحتسب عليهم ويأمرون وينهون" (2) وذلك ليس تدخل في شؤونهم أو تعدي علي حريتهم ،وإنما هو من باب التصدي لخطرهم الذي بدأ يهاجم المسلمين في عقر دارهم والذي قد يشككهم في دينهم فهل تعطي لهم الحرية في اعتقا دهم ونحاصر نحن فبي اعتقادنا وأفكارنا ، فهؤلاء يحتسب عليهم ويوضح لهم الخطأ والصواب ولو وصل الأمر إلى الجهاد والتدخل بالقتال **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ)** (3)

الركن الثالث : المحتسب فيه :-
المنكر هو موضوع الحسبة ، الحسبة كما سبق وذكرنا أنها أمر بمعروف إذا ظهر فعله
" فيكون المنكر بهذا الاعتبار ذا وجهين :
الأول : إيجابي يتمثل بإيجاد الفعل المحظور شرعاً
والثاني : سلبي يتحقق بترك الفعل المطلوب شرعاً أي المعروف ويكون الاحتساب في الوجهين بالنهي عنهما أي بالنهي عن إيجاد الفعل المحظور حتى لا يوجد أو الإنفكاك عنه بعد وجوده وبالنهي عن ترك الفعل المشروع حتى يوجد(4)، وضابط ذلك :هو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوماً كونه منكراً بغير اجتهاد
شروطه :ولكي يكون منكراً تجب فيه الحسبة لا بد وأن يتوافر فيه أربعة شروط
الأول : كونه منكراً : وهو كل ما حذر عنه الشرع من الوقوع فيه واقترافه والمنكر يطلق غالباً على المعصية سواء أكانت صغيرة أم كبيرة ، وسواء ورد بها نص خاص أو عرف حكمها من قواعد الشرع وأصوله العامة ، فالمنكر أعم من المعصية ومعناه أوسع لأنه يطلق على كل فعل فيه مفسدة أو نهت الشريعة عنه حتى وإن لم يكن معصية في حق فاعله كصغر سنه أو لعدم تكليفه كالمجنون .
الثاني : أن يكون موجوداً في الحال : ومعنى هذا أن يكون المنكر قائماً لقوله صلي الله عليه وسلم " من رأى منكم منكراً فليغيره (5) فإن كان فعل في الزمن الماضي فلا احتساب فيه على فاعله بل لولي الأمر معاقبته إذا ثبت ذلك عليه ، ولكن ينبغي وعظه ونصيحته بعدم العودة إليه .

---

1 – سورة التوبة الآية 6

2 - غذاء اللالباب للسفا ريني / 337 مطبعة الحكومة بمكة ، اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص 120 – 140

3 – سورة البقرة الآية (193) .

4 - أصول الدعوة ص 188 د / عبد الكريم زيدان

5 - أخرجه أحمد 49/3، والترمذي "2172" في الفتن: باب ما جاء في تغيير المنكر باليد، والنسائي 111/8 في الإيمان: باب تفاضل أهل الإيمان، عن محمد بن بشار، كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، به.

الثالث : أن يكون ظاهراً للمحتسب من غير تجسس :

والمراد بالظهور الانكشاف إما بالسمع أو البصر أو النقل الموثوق الذي يقوم مقامهما ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية بما يردعه عن ذلك من هجر أو غيره " (1)وبذلك يفسر ما فعله رسول الله صلي الله عليه وسلم مع الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهما وفي ذلك بوب الإمام البخاري بقوله : " باب ترك السلام على أهل المعاصي والريب " ثم ذكر الحديث(2)وعلى هذا فلا يجوز للمحتسب أن يتجسس على الناس فيتطلع في دور الناس أو يتسور عليهم بيوتهم قال ابن الجوزي رحمه الله : " من تستر بالمعصية في داره وأغلق عليه بابه لم يجز أن يتجسس عليه إلا أن يظهر ما يعرفه كأصوات المزامير والعيدان ، فلمن سمع ذلك أن يدخل ويكسر الملاهي وإن فاحت رائحة الخمر فالأظهر جواز الإنكار " (3) وذلك لأن القاعدة التي في الإسلام (لا ضرر ولا ضرار) فبذلك يكون الخطر قد خرج من الضرر لصاحبه إلى ضرر للمجتمع بأسره أو بعضه وهنا يتدخل الإسلام لرفع الضرر عن الناس التي ربما تمتد المعصية إليهم وتقع الفتنة عليهم فمن أولى الأولويات أن يكون هنا التدخل لهذا الخطر الذي بدأ يحيق بهم والذي قد تحرق ناره مجتمعا بأسره ، وأصبح الأمر من قبيل المجاهرة بالمعصية .

الرابع : أن يكون منكراً معلوماً بغير اجتهاد :

فكل ما كان محل خلاف بين الأئمة المجتهدين فلا حسبة فيه بل يشترط في المنكر أن يكون مما اتفق عليه الأئمة المجتهدون على اعتباره منكراً .مع مراعاة أنه لا قيمة للخلاف الشاذ أو الباطل ولا اعتداد به وهو ما خالف صريح القرآن أو السنة المتواترة أو المشهورة أو إجماع الأمة أو ما علم من الدين بالضرورة ، فمثل هذا الخلاف لا قيمة له ولا وزن كما قال القائل :

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلاف له حظ من النظر

" وعليه فإذا وجد النص أو الإجماع فلا قيمة له ولا عبرة بخلاف المخالف " (4)

---

1 - مجموع الفتاوى جـ 28 / 215 ط الملك فهد

2 - البخاري حديث رقم 6684 جـ 22 / 174 ، وباب من لم يسلم على من اقترف ذنبا ولم يرد سلامه جـ 19 / 288

3 - غذاء اللالباب جـ 1 / 260

4 - الأحكام السلطانية لأبي يعلي القراء ص 297 ، الآداب الشرعية جـ 1 / 258 – 270

المبحث الرابع :-

مراتب تغيير المنكر :-

"الغرض من الاحتساب إزالة المنكر من الأرض وإيجاد المعروف فعلاً وإذا كان هذا هو الغرض من الاحتساب فيجب الوصول إليه بأيسر الطرق واقصرها ، بشرط أن يكون مشروعاً وأن ينظر إلى ما يؤول إليه احتسابه من جهة ما يترتب عليه من زوال مفسدة المنكر وحلول مصلحته المعروف مكانة ". (1)

فلا بد للداعية قبل أن يقدم على فعل ، أو يتخذ قراراً في موقف دعوى من ملاحظة هذه الموازنة (المصالح والمفاسد) بشكل دقيق ، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ولأن الشريعة الإسلامية بوجه عام إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد في هذه الحياة في الدنيا والآخرة وتحقيق المصالح إنما يتأتى بأمرين اثنين هما : درء المفسدة وجلب المصلحة(2)

ومن هنا تقررت عند العلماء قواعد فقهية عديدة تؤكد هذه الحقيقة وذلك من استقراء نصوص الشريعة العامة وهو أيضاً من فقه النفس لدى العلماء الأجلاء المتقدمين ومن هنا نفهم إصرار الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه على إنفاذ بعث أسامة رضي الله عنه على الرغم من مخالفة عمر وكثير من الصحابة له . (3)

---

1 - أصول الدعوة ص 196

2 - بصائر دعوية ص 116

3 - عيون الأثر ج 2 / 353 ، سبيل الهدى والرشاد ج6 / 249 الرود الأنف ج 4 / 434

وبه نفهم إصرار عمر رضي الله عنه على عدم تقسيم سواد العراق بين الغانمين على الرغم من مخالفة الكثير له(1)
كما نفهم به أبعاد مقولة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لوالده عبد الملك الذي استبطأ موقف أبيه من بعض الأمور بعد خلافته فقال له : يا أبت مالك لا تنفذ الأمور ؟ فو الله لا أبالي أن تغلي القدور بي أو بك في الحق !
فقال له : لا تعجل ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ثم حرمها في الثالثة ، وإني أخشى أن آخذ الناس بالحق جملة ، فيدعوه جملة ، فيكون من ذا فتنة "(2)
ومن هنا أيضاً يفهم قول رسول الله صلي الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " لولا أن قومك حديث عهد بكفر لهدمت الكعبة وأعدت بناءها على قواعد إبراهيم ... " الحديث (3)وكذلك عدم قتله المنافقين " حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " (4)
قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات ، فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة ، إذا بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد ، بل كل ما أمر الله به فهو الصلاح ، وقد اثني الله على الصلاح والمصلحين ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم الفساد والمفسدين في غير موضع فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته ، لم يكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجباً وفعل محرم, إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله وليس عليه هداهم "(5)
وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من قواعد الدين العظيمة في الأمر والنهي والاحتساب والدعوة ، وقد ذكرها تلميذه ابن القيم رحمه الله بشيء من البسط والتفصيل فقال رحمه الله : " شرع النبي صلي الله عليه وسلم لأمته إيجاب إنكار المنكر بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله ، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنه إلى آخر الدهر ، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه .
وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه بعدم احتمال قريش لذلك ، ولقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه .

درجات الانكار :-

فإنكار المنكر أربع درجات .
الأولى : أن يزول ويخلفه ضره

---

1 - تاريخ بغداد ص 4 ، 6

2 - ابن عساكر تاريخ دمشق جـ 37 / 45 باب عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، المعرفة

3 - البخاري ك / الحج ب / باب نقض الكعبة وبنائها 2/ 574

4 - البخاري ك / التفسير ب / باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين 1861/4

5 - رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 24

الثانية : أن يقل وإن لم يزل بالجملة
الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله
الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه
فالدرجتان الأوليان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة
فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج ، كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة ، إلا إذا نقلتهم منها إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله ، كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك ، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب وسماع (غناء) فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد ، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك ، فكان ما هم فيه شاغل لهم عن ذلك ، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً يكتب المجون ونحوها ، وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى ، وهذا باب واسع .
وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم " (1)
ولهذا قيل ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر بغير منكر .
ولا شك أن ما سبق وبيناه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والظروف وعلى الداعي أن يتبصر فيها ويزن مقادير المعروف والمنكر التي تنتج عند احتسابه ثم يقدم بعد ذلك عن الأمر والنهي أو يحجم عنه .
وبناء على هذه القاعدة نستطيع أن نفهم لماذا قال العلماء : لا يجوز الخروج على السلطان بالقوة وحمل السلاح وإن ظهر منه شيء من الفسوق لأن الغالب في هذا الخروج حصول مفاسد أعظم من مفسدة فسقه ، كما أن الإمام مع فسقه لا يزال في دائرة الإسلام ولم يخرج منه بفسقه فيبقي له حق الطاعة على الرعية ما لم يأمر بمعصية والاقتتال بين المسلمين . (2)
قال الطيبي : " وأما الخروج عليهم وتنازعهم وهكذا فتحرم بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين وأجمع أهل السنة على أن السلطان لا ينعزل بالفسق لتهيج الفتن في عزله وإراقة الدماء وتفرق ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه "(3)
وقال ابن المنذر : " كل من يحفظ عن علماء الحديث كالمجمعين على استثناء السلطان للأثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره وترك القيام عليه "(4) ، ومن أظهر الأدلة على ذلك ما رواه مسلم بسنده عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنوكم ، قيل يا رسول الله : أفلا ننابذهم بالسيف فقال : لا ما أقاموا الصلاة ، لا ما أقاموا الصلاة وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة "(5) ، ولذلك لما سل الخوارج السيف على الأمة وكفروا المسلمين وعلى رأسهم خليفة المؤمنين يومئذ على بن أبي طالب رضي الله عنه ، كانت قاصمة الظهر لهم وسبب ضلالهم أنهم لم يكن فيهم أحد من العلماء

---

1 - إعلام الموقعين م 3 / ص 4

2 - أصول الدعوة ص 197

3 - الكشف عن حقائق السنن جـ 7 / 181 – 182 ط باكستان

4 - سبل السلام للأمير الصنعاني م 3 / 262

5 - مسلم ك / الإمارة ب / باب خيار الأئمة وشرارهم 1481/3

الربانين لا من صحابة النبي الأمين صلي الله عليه وسلم فقط ن بل ولا من التابعين ممن يشهد لهم بالثقة والفقه والعلم والإمامة فيه ، ولذلك قال الإمام مالك عنهم : " إن أقواماً ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم فخرجوا على أمة محمد صلي الله عليه وسلم بأساميهم ولو طلبوا العلم لحجزهم عن ذلك "(1)

ومما ورد فى هذا الشأن فى أحاديث المستدرك :

ما رواه الحاكم بسنده عن أبو الطفيل عامر بن واثلة قال : سمعت علياً رضي الله عنه قام فقال : سلوني قبل أن تفقدوني ولن تسألوا بعدي مثلي ، فقام ابن الكواء فقال : " من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ؟ قال : منافقوا قريش قال : فمن الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ؟ قال منهم أهل حروراء يعني الخوارج وهم أول من خرجوا .(2)وبعد فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شعائر الإسلام وبه قوام الدين .

ومما ورد في هذا الشأن في أحاديث المستدرك :

ما رواه الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : "الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت .والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسليمك على أهلك ، فمن انتقض شيئاً منهن سهم من الإسلام يدعه ومن تركهن كلهن فقد ولى الإسلام ظهره (3)

من فقه الدعوة في الحديث الشريف :

أ- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنزلته في الإسلام

ب- فيه شاهد لمن ذ كر من العلماء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن من أركان الإسلام حتى عدوه سادساً كما مر.

ج - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسلوب من أساليب نشر الدعوة ومعرفة أحكام الدين

د - وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم وسعه وطاقته ولكن بشروطه التي ذكرناها وآدابه التي ذكرناها .

وكلمة أخيرة ليعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد من اشرف الأعمال والقائمين به هم صفوة الأمة وأصحاب الغربة الكاملة ، كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد ضرورة لا بد منها لإصلاح الأمة واستقامتها

---

1 - مفتاح دار السعادة جـ 1 / 119

2 - المستدرك برقم 3299 2/ باب تفسير سورة إبراهيم وقال صحيح عال الإسناد ولم يخرجاه . الشاملة

3 - المستدرك برقم 52- ج1 /57 باب – معمر وقال صحيح على شرط البخاري وسماع خالد بن معدان

الباب الخامس
الأثر العلمي للأحاديث النبوية
ومنها أحاديث المستدرك في كافة مناحي الحياة المعاصرة

الباب الخامس

الأثر العلمي للأحاديث النبوية ومنها أحاديث المستدرك

في كافة مناحي الحياة المعاصرة

ويتكون من اربعة فصول:

الفصل الأول :-

الأثر العلمي لأحاديث المستدرك في الحياة الاجتماعية المعاصرة

الفصل الثاني :-

الأثر العلمي لأحاديث المستدرك في الحياة السياسية المعاصرة

الفصل الثالث :-

الأثر العلمي لأحاديث المستدرك في الحياة الاقتصادية المعاصرة

الفصل الرابع :-

الأثر العلمي لأحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري في الحياة الثقافية والإعلامية المعاصرة

الباب الخامس

الأثر العملى للأحاديث النبوية كما جاء فى كتاب المستدرك للحاكم النيسابورى فى كافة مناحى الحياة المعاصرة .

تمهيد

بالتأمل للواقع المعاصر وبنظرة فاحصة على أحوال العالم الإسلامي فى شتى الأقطار والأمصار لوجدنا ذيوع وانتشار الفساد الذي استشرى فى كل منحى من مناحي الحياة بسبب بعد الأمة الإسلامية عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن أبرز مظاهر هذا الفساد: ذيوع والتحلل والإباحية، وانتشار المذاهب والفرق والتيارات الفكرية الضالة والمضلة فضلا عن انتشار السحر والكهانة والشعوذة والتنجيم، حق إلى جانب ما هو شائع بين المسلمين من أخطار تقارير وتناقض أساس العقيدة الإسلامية كالاستعاذة بأصحاب الأضرحة والأولياء وبالجن فى قضاء الحاجات أو فى جلب ودفع الضرر والطواف بالقبور وبناء المساجد عليها والصلاة إليها والحلف بغير الله والنذر والذبح لغيره سبحانه جل شأنه، والغلو في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والصالحين وكلها بلا ريب أخطاء مناقضة ومهلكة وانحرافات خطيرة تناقض العقيدة الإسلامية الحقة.

ففى الناحية التشريعية نجد الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، وإهمال منهجه الذي فيه صلاح حال البشرية، ولو كان ذلك عند غير المسلمين لهان الأمر ولكنه واقع فى البيئة الإسلامية، فتم إقصاء القرآن الكريم والسنة النبوية عن منصة الحكم، واستبدلت شريعة الله تعالى بدساتير وقوانين بشرية تخالف الوحي الإلهي وتناقضه.

*وفي الناحية السياسية والإدارية: نلمس من أهم مظاهر الفساد فى هذه الناحية ما نلمسه فى المجتمع الإنساني من كثرة النظم والقوانين العلمانية التي تفصل بين الدين والدولة أو تدعو لذلك.

وكذا التبعية والتقليد الأعمى والإمعة للأقوى.

وكذا استبداد الحكام وطغيانهم لشعوبهم وإذلالهم لرعاياهم إلا من معهم الله تعالى فحكموا بكلمة الوحي الإلهي.

وكذا استغلال واستعباد الشعوب الضعيفة والمقهورة.

وكذا استعمال السلطة فى القضاء على المعارضين.

وكذا التعدد الحزبي الباعث للتنافس والصراع على الحكم والسلطة وكذا ما نراه من شتى أنواع المكر والحيل فى الميدان السياسي بهدف فيه،والنفوذ على العالم كما هو واقع فى حياتنا السياسية المعاصرة.

*وفى الناحية الأخلاقية نرى تفشى سوء الأخلاق بين السواد من الناس، واستبدلت القيم الأخلاقية الإسلامية الفاضلة بالأخلاق مذمومة فغاب فى حياة الناس قيم [الصدق والوفاء والحياء وحب الآخر والعدل وشهادة الحق وضياع الأمانة، والأخوة والتراحم التناصح وصلة الأرحام....] وغيرها، وقل بين الناس صاحب الخلق رفيع، وذو اللسان العفيف، وكثر اللغو والخوض فى الباطل، وشاع السواد من الناس وخاصة الشباب السب بالدين وبوالدين، كما شاع بين الشباب والفتيات والتحلل والإباحية وأعمال منافية للآداب لذوق العام ومناقضة لأحكام الشريعة الغراء.

الفصل الأول

الأثر العلمي لأحاديث المستدرك

في الحياة الاجتماعية المعاصرة

وتحدثت فيه عن:

أولا:-

في الناحية الاجتماعية

ثانيا:-

في الناحية الاقتصادية

ثالثا:-

تكوين الأسرة الصالحة كما جاء في المستدرك

(الفصل الأول)

الأثر العلمي للأحاديث النبوية ومنها أحاديث المستدرك في الحياة الاجتماعية

فى الناحية الاجتماعية:

برزت فيها متغيرات مسمومة أفسدت علي الناس معيشتهتم ، واوجدت الانحراف الأخلاقي الذي غير كيان الأمة واضعف شأنها . ولعل أبرزها:

أولا: خلع ثياب العفة والحياء عن المرأة واستخدامها أداة إفساد وإثارة، ووسيلة إغراء وفتنة، وسلاح ضد الإسلام والمسلمين، وذلك تحت شعار "تحرير المرأة"[1]. وفي المستدرك للحاكم قال صلي الله

---

1 - تحرير المرأة: منذ أن وطئت أقدام المستعمرين أرض مصر والعالم الإسلامى وهم يفكرون ويخططون لإفساد جوانب المجتمع، وقد استخدموا لذلك وسائل متعددة، ورفعوا له شعارات متنوعة، منها هذا الشعار المخادع "تحرير المرأة" ليسقط المجتمع فى حماة الرذيلة ويقضى بنفسه على نفسه.. وكان أول من أثار هذه القضية ونادى بها "رفاعة الطهطاوى" بعد عو د ته من البعثة التعليمية بفرنسا، ثم أتى من بعده "قاسم أمين" فوهب نفسه لهذه القضية، وألف كتابه "تحرير المرأة" سنة 1899م، وبعد عام واحد أصدر كتابه الثانى "المرأة الجديدة"، ثم كان لحزب الأمة دور فى هذه القضية، ومن بعده الحركة النسائية وثورة 1919م، ومن أبرز النساء مشاركة فى هذه القضية "هدى شعراوى، وصفية زغلول" وغيرهما.

وللمزيد فى ذلك راجع: المؤامرة على المرأة المسلمة تاريخ ووثائق د/السيد أحمد فرج. دار الوفاء بالمنصورة. الطبعة الأولى 1405هـ - 1985م. الإسلام فى الأدب العربى المعاصر. د/إبراهيم عوضين. مطبعة السعادة. الطبعة الأولى 1987م.

(قلت) وكان من آثار هذا التحرر ومفاسده ما يأتى:

أولا: أن المرأة بعد أن كانت فى حصن حصين يحميها ويصون عرضها، ويحفظ عليها حياءها وعفافها، خرجت من بيتها – متأثرة بدعوى التحرر والتقدم – وهى سافرة متبرجة تكشف عن شعرها وصدرها وذراعيها وساقيها وتفننت فى إبداء زينتها، وتعمدت جذبت انتباه الرجال إما بكثرة الأصباغ والمساحيق التى تلون بها الخدين والشفتين والأظافر، وإما باستعمال الطيب والعطور ذات الروائح الفائحة التى تفنن كل من فى قلبه مرض. وإما برنين مشيتها وميوعة حديثها أو نحو ذلك..

ثانيا: أن المرأة المسلمة – التى تأثرت بهذه الدعوى الخبيثة – قلدت – دون وعى – المرأة الغربية، فهناك الكثيرات ممن بهرتهن المدنية الغربية الحديثة فقلدوها تقليدا أعمى، فتخلين عن الاحتشام والتستر فى لباسهن وزينتهن، وارتدين من الثياب ما يحدد أجزاء الجسم ويبرز مفاتنه حتى أصبحن "كاسيات عاريات".

هذا إلى جانب أن عددا منهن ليس بالقليل تشبهن بالرجال فى الزى فلبسن السراويل الضيقة التى تبين حجم كل شئ بيانا كاملا [السروال: لباس يغطى السرة والركبتين وما بينهما أ. هـ المعجم الوسيط: 428/1].

عليه وسلم " ألا لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما من سرته حسنته و ساءته سيئته فهو مؤمن " ([1])

ثانيا- التقليد الأعمى لغير المسلمين فى كثير من العادات والتقاليد، والذي وصل إلى حد التقليد فى المعتقد، حيث ظهر طائفة من الشباب والفتيات تقلد بعض أندية الغرب فى عبادتهم للشيطان – والعياذ

ثالثا: إباحة الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم – لضرورة ولغير ضرورة – دون حياء أو خجل من ذلك، وليس ذلك من قبيل الافتراء على المرأة، بل هو واقع مشاهد فى الأسواق والطرقات، والمدارس والجامعات، وفى مركبات النقل والأماكن العامة، وفى مواقع العمل المختلفة.. هذا فضلا عن دور السينما والمسارح والملاهى والشواطئ والمنتزهات ونحو ذلك، ولا اعتبار – فيما أرى – لمن يقول: بأن الاختلاط ليس داعيا إلى الفساد.. فمفاسده كثيرة ومرئية لمن له عين تبصر، ومسموعة لمن له أذن تسمع، وعقل يعى ويفكر.

رابعا: ضياع القيم وقلب المفاهيم الصحيحة وتغييرها: حيث أباحت المرأة – المتحررة – لنفسها أن تمازح أحد الرجال وتضاحكه، وتسهر وتسافر معه بلا محرم – وكثيرا ما يحدث ذلك داخل الجامعات أثناء الرحلات أو المعسكرات التى قد تمتد أكثر من يوم أو يومين – وتتحدث معه بأسلوب قد لا يكون – مثله – من امرأة مع زوجها، وربما رقصت معه على أنغام الموسيقى وارتمت فى أحضانه.. كل ذلك وأسوأ منه تحت مسمى الحرية، والتطور، وما هو فى الحقيقة إلا تحلل وإباحية، وتدهور، وقلب للمفاهيم الصحيحة.

وكثيرا ما يطلق على مثل هذه الصلات والعلاقات بأنه صداقة بريئة، فأين هى البراءة حين ينتهك العرض، ويدنث الحياء، وتضيع العفة، وتندفن الغيرة، وو؟

خامسا: استخدام المرأة أسوأ استخدام، حيث استخدمت – بأنوثتها ومفاتنها – كوسيلة دعاية وإعلان لجذب الناس إلى بعض السلع، أو بعض الأماكن السياحية والترفيهية.. فضلا عن استخدامها السئ فيما يسمى بالفن – من غناء وتمثيل ورقص وعرض أزياء ونحو ذلك.

إلى غير ذلك من الآثار التى تعانى منها أمتنا الإسلامية، وهى بلا شك من أعظم ألوان الفساد والإفساد. ولذلك "فيجب ألا تخدعنا الأسماء البراقة فنسلم بكل ما تقول، لأن فيما تقوله زيفا كثيرا وحقا قليلا، ويجب ألا نخاف عبارات الرجعية والجمود والتخلف، فإنها كلمات فقدت معناها، وهى تطلق دائما على أهل الأصالة والحق، علينا ألا تخدعنا الأسماء البراقة لأنها ليست أصلية، ولا نصد عن الأسماء الزائفة لأن الدعوى المدعاة لها ليست صحيحة" أ.هـ. ومن ورائها – كما قالت الأستاذة نعمت صدقى -: لابد طامة كبرى ستحيق بهذا المجتمع، لن ينجو منها إلا الذين ينهون عن السوء ويصرخون فى أولئك الهاوين الغافلين لعلهم يفيقون ويرجعون أ.هـ.

راجع على الترتيب: تحديات فى وجه المجتمع الإسلامى: أنور الجندى صـ 14. دار الاعتصام 1980. سلسلة فى دائرة الضوء(30). التبرج: نعمت صدقى: صـ 5. دار الاعتصام 1975. سلسلة المرأة المسلمة (1).

1 - المستدرك للحاكم النيسابوري ك العلم 199/1 ح 390 . تعليق الذهبي قي التلخيص : وهذا صحيح

بالله – ففى شهر رمضان (من عام 1417هـ) فاجعتنا الصحف بالقبض على عدد من الشباب والفتيات يطلقون على أنفسهم "عبد الشيطان"[1].

---

1 - عبدة الشيطان: هم طائفة من البشر خالفوا الفطرة، وارتضوا لأنفسهم أن يجعلوا من الشيطان إلها لهم من دون الله عز وجل، ومارسوا كل فعل مخالف للعقل والفطرة، وللقيم والأخلاق. "والله أعلم".

ونظرا لأن هذا الفكر جديد على مجتمعنا أستأذن القارئ الكريم فى إعطاء هذه النبذة الموجزة عنه، وهى مستفادة بكاملها – مع تصرف كثير فى العبارات والعناوين والترتيب – من كتاب: عبدة الشيطان فى مصر لمؤلفيه: أبو إسلام أحمد عبد الله، عبد السلام البسيونى، يوسف البنعلى، بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولى 1417هـ - 1997م، وللحقيقة هو أول كتاب يقع تحت يدى فى تناول هذه القضية الخطيرة، فجزى الله عز وجل مؤلفيه خير الجزاء.

***جذور فكرة "عبدة الشيطان": قد يتصور البعض أن هذا الفكر ناشئ وليد.. ولكن لهذا الفكر الهدام جذوره التى تمتد إلى القرن الأول من دعوة المسيح عليه السلام حيث ظهرت فرقة "الغنوصيون" التى كانت تعتقد أن الشيطان الذى صارع الله عز وجل – وهذا كما فى زعمهم – لا يجب أن يكون مقامه أقل من مقام الله عز وجل فى القوة والسلطان.. ثم أتت من بعدها فرقة أخرى تنتسب إلى رجل يدعى بولص – وهو غير الرسول عند النصارى – فأعلنوا اعتقادهم بأن الشيطان هو خالق هذا العالم، فكان أحق بالعبادة من الله عز وجل، وأنه – أى الشيطان – قد خلق لهم العالم لينعموا فيه بملذاته وشهواته، ولذا انغمسوا فى ممارسة الزنا والفاحشة. وقد قضى عليهم مع نهاية القرن الثالث النصرانى.**

***تجدد ظهور هذا الفكر فى العصر الحديث: وقد تجدد ظهور هذا الفكر مع بداية القرن الثانى عشر كأثر من آثار الماسونية، ونتيجة لبروز نشاطها فى الغرب وسيطرته على الكنيسة، حيث ظهرت جماعات تعبد الشيطان كواحدة من أشهر الجماعات الماسونية.**

ج-أنه بمرور الأيام كانت تتكشف الأسرار ويعلن عن شياطين جدد وكنائس جديدة فى أماكن متفرقة من العالم، إلى أن ابتلينا فى بلدنا مصر المسلمة بتلك المجموعة الضالة من الشباب والفتيات الذين وقعوا – عن قصد أو عن غير قصد – فريسة لهذا الفكر الضال. وقلدوه دون وعى أو فكر.

ومن منطلق حرصى على سلامة شباب مصر وأهلها من أى انحراف أرى أن لا يقف تحليلنا لما حدث على أنه مجرد ظاهرة، أو مجرد هلوسة واستهتار من هؤلاء الشباب، أو سوء تربية وعدم حسن متابعة من البيت أو المدرسة، ونحو ذلك، بل ينظر فيما حدث نظرة أبعد من ذلك وأهم، خاصة وأن ما حدث يتعارض مع أخلاق الإسلام، ويتنافى مع عقيدته وفطرته، ولا يتفق مع صحيح الدين.. وسواء كانت قضية هؤلاء عقدية أو أخلاقية فإنهم يحتاجون إلى علاج، هم فى حاجة إلى تصحيح عقيدتهم إن كانوا يعتقدون هذا المعتقد الفاسد، أو إلى تهذيب أخلاقهم إن كان ما حدث منهم لا يخرج عن أنه مجرد استهتار وسوء أدب وتربية.

ومن ثم فواجب على العلماء أولا، ثم أجهزة الدولة الأمنية والإعلامية والتعليمية اليقظة التامة لهذا الفكر، وتتبع حامليه والداعين إليه، وذلك لمعالجته والقضاء عليه، واقتلاعه من جذوره قبل أن نفاجئ ببركان من الفسق والفجور يفجره عبدة الشيطان. خصوصا وأنهم – كما أشار أحدهم – منتشرون فى كل كليات القاهرة

وكان بعض هؤلاء الشباب قد أطال شعره إلى كتفه، وبعضهم قد حلق رأسه تماما مع ترك جزء من اللحية بمنطقة الذقن فقط، وكانوا يرقصون فى حلقات مع فتيات يرتدين آتى– شيرتات سوداء قصيرة تكشف عن منطقة الوسط والبطن على موسيقى "الميلاك ميتال"، وأثناء الرقص كانوا يتعاطون المخدرات.. ويلوحون بأيديهم رمزا للشيطان.
ومن مشاهد الإباحية[1] التى فى الحفل وجود فتاة واقفة بين شابين من الأمام والخلف مثل "الساندوتش" وأحضان وتشابك بالأيدى وغير ذلك.
وقد تجرؤا على الله عز وجل – بما لم يكن مثله من مشركى مكة – حيث قالوا افتراء وبهتانا على الله عز وجل إن الله عز وجل قد ظلم الشيطان ولم يعطه فرصة الدفاع عن نفسه[2]. تعالى الله عما

والإسكندرية، وتوجد عدة محلات فى الزمالك ومصر الجديدة تبيع لهم لوازمهم وملابسهم الخاصة، والنجمة الخماسية، والصليب المقلوب، ونحو ذلك. وقد أشار مؤلفى كتاب "عبدة الشيطان فى مصر" إلى ما يزيد عن ثلاثين وكرا من أوكارهم.

ولا يغيب عن العلماء والمسئولين بأجهزة الدولة المختلفة أن لهذا الفكر جذور قديمة، ومن ورائه أياد ماسونية تحركه وتعمل على نشره.

ومن إنذارات الخطر أن هؤلاء الشباب والفتيات عندما أفرح عنهم لم يعلنوا الندم والتوبة والعودة إلى الدين الصحيح، بل عادوا إلى أحد أوكارهم يحتفون فيه على طريقتهم الخاصة بقرار الإفراج عنهم.

ففى أثناء كتابة هذه السطور قرأت ما نشر بجريدة الأسبوع – العدد الرابع – السنة الأولى – الصادر فى يوم الإثنين 10 من مارس 1997م، غرة ذى القعدة 1417هـ - بالصفحة الأولى تحت عنوان: المتهمون بعبادة الشيطان يحتفلون بقرار الإفراج عنهم "احتفل المتهمون السابقون فى قضية عبادة الشيطان بقرار الإفراج عنهم مساء الخميس الماضى فى أحد فنادق الهرم قبل وبعد الاحتفال بموتوسيكلاتهم السوداء من نوع هارلى التى تتميز بجارونها العالى وسرعتها الفائقة. يذكر أن أمن الدولة العليا كانت قد أصدرت قرارا بالإفراج عن هؤلاء الأسبوع الماضى، وقال المستشار هشام سرايا المحامى العام لنيابة أمن الدولة: إن ما حدث ليس عبادة للشيطان لكنه استهتار يكشف عن سوء التربية.. التحقيقات لم تنته بعد لكن المتهمين أفرج عنهم لعدم توافر أركان الجريمة" أ.هـ.

أسأل الله عز وجل الستر والسلامة.

1 - الإباحية التحلل من قيود القوانين والأخلاق أ.هـ راجع: المعجم الوسيط: 76/1.

2 - نشر ذلك بصحف يوم الخميس 14 من شهر رمضان عام 1417هـ - 23 يناير عام 1997م. وقد سبق ذلك أن نشرت مجلة روز اليوسف بعددها الصادر فى 1996/11/11 رقم (3570) تحقيقا صحفيا للصحفى عبد الله كمال كشف فيه عن جماعة من شباب مصر تعبد الشيطان من دون الله عز وجل، ثم تابع ما نشره بالعدد الصادر في 11/25/ 1996 رقم (3572) وتبعه آخرون فى فضح هذه الجماعة الشاذة. حتى أذن الله عز وجل أن تصدر وزارة الداخلية بيانها والمتضمن القبض على (80) شخصا ينتمون إلى جماعة (عبدة الشيطان) وقد ارتفع عددهم بعد ذلك حتى بلغ (400) متهما وقد تم الإفراج عنهم لعدم توافر أركان الجريمة – كما نشر.

يقولون علوا كبيرا . إلى غير ذلك مما تناقلته الأخبار ورددته الصحف.. أسأل الله عز وجل أن يحفظ الشباب المسلمين وأن يردهم إلى دينه مرداً جميلاً..

ثالثا- انتشار الآفات الاجتماعية كالغيبة والنميمة، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والإساءة إلى الزوجة وعدم حسن الجوار، وعدم رعاية الأبناء والإحسان إليهم، وإهمال الفقير المتعفف، وأكل مال اليتيم وسوء الظن، والتجسس، وعدم رعاية الحقوق الإنسانية، وانتشار روح الكراهية والانتقام والعدوان، وتعمد الأذى للآخرين، والكسب غير المشروع، والغش، وإطفاف الكيل والميزان وغير ذلك..

رابعا- كما أن من الفساد الإجتماعى تيسير أماكن اللهو والعبث والفجور وتنشيطها وتشجيع القائمين عليها حتى ظهر من احترف التمثيل والغناء والرقص والموسيقى. وأيضا انتشار وتشجيع بعض الألعاب الرياضية التى تعرى معظم جسد المرأة. ناهيك عما يقدم باسم الفن والسياحة..

خامسا - المخالفات الشائعة التى تقع داخل البيوت دون مراعاة للحلال والحرام، كخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه، وكالسماح بدخول الأجنبى على الزوجة – أو أحد نساء الأسرة – فى حالة غياب الزوج أو الابن أو الأخ، أو السماح له أثناء وجود هؤلاء بالاختلاط مع نساء الأسرة، إلى حد أن يقابلنه – مثلا – وهن متبرجات، ويتحدثن معه وكأنه أحد أفراد الأسرة، وقد يخرجن معه إلى المنتزهات والملاهى، وقد يصل الأمر إلى أبعد من ذلك كالسهر والرقص معه باعتباره صديق العائلة[1].

وقد نشرت جريدة (آفاق عربية) فى العدد رقم (297) بتاريخ 21 رمضان 1417هـ مقالا بعنوان (عبدة الشيطان – حصاد التطبيع مع إسرائيل) موضحة أن هؤلاء الكفرة المرتدون (على رأى المفتى) قاموا بعد أشياء علامة على طاعة الشيطان وهى: 1-أنهم قاموا بذبح القطط واحتساء دمها. 2-قاموا بوضع ألوان معينة على وجوههم مثل الألوان الحمراء وغير ذلك، وهذا بالضبط مطابق للآيات من (115 – 1120) من سورة النساء. فهى تبين بالتفصيل ما فعله هؤلاء الأقذار حيث قال تعالى حاكيا عن الشيطان: {لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا} [سورة النساء] وقد فعل، حتى أنهم بقبحهم يسمون أنفسهم حزب أو عبدة الشيطان {ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون} [سورة المجادلة]. وقال أيضا: {ولأضلنهم ولأمنينهم} وقد فعل. فهو لم يضلهم فحسب، بل بال فى عقولهم حتى اتبعوه. وقال أيضا: {ولأمرنهم فليبتكن ءاذان الأنعام} وفعلوا ذلك أيضا فقتلوا القطط وشربوا دمها "مع قذارتها" دون تورع عن قبيح. وقال أيضا: {ولأمرنهم فليغيرن خلق الله} وقد فعلوا الأغبياء قبحهم الله حيث وضعوا فى وجوههم (كما ذكرت الصحيفة) الألوان الحمراء والزرقاء وغيرها، فيالهم من بلهاء حمقى. وصدق الله حقا حيث قال: {ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (119) يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا} [سورة النساء].

1 - ولا يخفى – على القارئ الكريم – كم من جرائم اغتصاب وسرقة ارتكبها هذا الذى يطلق عليه صديق العائلة، وكم من أسرار كشف عنها، وكم من أعراض انتهكها صديق الزوج، أو صديق الابن – وللأسف الشديد – أو صديق البنت، ولذا حرم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه – سواء لها قرابة بصديق له أولا – وفى هذا قال رسول الله ρ: "من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان". جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند 339/3 عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه. وعن

وكذلك خلوة المرأة بأحمائها – أى أقارب زوجها[1] – أو خروجها عليهم متبرجة تجالسهم وتضاحكهم وغير ذلك مما هو مشاهد فى واقع حياتنا الاجتماعية..
ومن ذلك أيضا أقارب الزوجة من غير محارمها كابن عمها وابن خالها وابن خالتها[2]..
وأيضا إطالة النظر من الرجل إلى المرأة والعكس، وإبداء المرأة زينتها أمام الرجال الأجانب عنها، والسماح للخاطب – مثلا – أن ينفرد بخطيبته أو أن يخرج معها بدون أحد محارمها، أو أن يراها ويجلس معها بغير الزى الشرعى الذى يستر عوراتها، ونحو ذلك من الأخطاء والمخالفات الجسيمة التي تحقق الفساد وتؤكد انهيار الأخلاق.

وفى الناحية الاقتصادية:

ويتمثل فساد وانحراف الناحية الاقتصادية فى:
أ- أن العالم اليوم بتخبط بين أنظمة اقتصادية وضعية كالرأسمالية التي تقوم على أساس إطلاق الحرية الشخصية فى جمع المال، وهى بذلك لا تبالي بالحرمات، فللإنسان أن يجمع المال بكل وسيلة وبكل طريق، حتى ولو كانت حراما، أو كان فيها إضرار بالمجتمع.
والنظام الإقتصادى الشيوعي الذي يقوم أساسا على إلغاء الملكية الفردية بإلغاء تاما، وهو بذلك يحرم الإنسان من حق تملك المال ويجعله أجيرا للدولة، مستذلا بلقمة العيش، وكسرة الخبز، وهذا النظام يعد على عكس سابقه تماما[3]، وكلاهما لا يتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس علها، ولا يحقق السعادة والطمأنينة للإنسان لا فى دنياه ولا فى أخراه.

ابن عباس عن النبى ρ: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم..". سبق تخريجه صـ.

1 - اتفق أهل اللغة على أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم. والأختان أقارب زوجة الرجل، والأصهار يقع على النوعين. والمقصود بالنهى كما قال الإمام النووى عليه رحمة الله:

أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها.. وإنما المراد الأخ وابن الأخ، والعم ابن العم، وابن الأخت ونحوهم مما يحل لها تزوجه لو لم تكن متزوجة أ.هـ. راجع: صحيح مسلم بشرح النووي 154/14.

2 - وكثيرا ما يحدث من تساهل فى هذه المسألة رغم ما فيها من خطورة قد تجر إلى عواقب وخيمة "لأن الخلوة بالقريب – كما يقول الدكتور القرضاوى -: أشد خطرا من غيره، والفتنة به أمتن، لتمكنه من الدخول إلى المرأة من غير نكير عليه بخلاف الأجنبى" أ.هـ. راجع له: الحلال والحرام فى الإسلام: صـ 147.

وقد حذرت السنة النبوية من ذلك فقال ρ: "إياكم والدخول على النساء" فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: "والحمو الموت". سبق تخريجه ص 603.

3 - وقد علق الشيخ عبد العزيز بن باز على النظامين بقوله: "فالغرب عظموا المال وغلو فى حبه وفى جمعه حتى جمعوه بكل وسيلة، وسلكوا فيه ما حرم الله عز وجل، والشرق من الملحدين من السوفيت ومن سلك سبيلهم لم يحترموا أموال العباد بل أخذوها واستحلوها ولم يبالوا بما فعلوا فى ذلك.." أ.هـ. راجع له: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة: صـ 29. مطابع ابن تيمية بالقاهرة "بدون".

والنظام الإقتصادى الإشتراكى، ويقصد به الاشتراكية الحديثة التي أخذت مبادئها فى الظهور فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر على يد "روبرت أوين الإنجليزي، وسان سيمون الفرنسي[1]".
وهو فى النهاية يهدف إلى الشيوعية، فالشيوعية والاشتراكية يقومان على أساس الجماعية، وطمس معالم الفردية، ويستتبع هذا إلغاء الملكية الفردية والحافز الفردي، والإرث، والحط من قيمة الفرد والتقليل من حقوقه، والإكثار من واجباته، واعتبار المجتمع هو الغاية وهو الأصل[2].
ب- تسرب هذه الأنظمة إلى العالم الإسلامي، والاقتناع بها من كثير من المسلمين والدعوة إليها، وهو ما يحتاج إلى تصحيح.
ج- ما نتج عن هذه الأنظمة من شيوع التعامل بالربا، وانتشار الاحتكار والغش والرشوة.. إلى جانب أكل مال اليتيم، وأكل أموال الناس بالباطل.. وذلك لطغيان المادة وسيطرتها على كل شئ فى الحياة حتى وصل الصراع على جمع المال إلى حد عدم التفكير فى مصادر كسبه.. ولذا شاعت الجريمة – حتى بين الأهل والأصدقاء – وكثرت عصابات الخطف والنهب والسرقة، وانتشرت تجارة الخمور والمخدرات - بأنواعها[3] – من أجل المال..

وفى الناحية الفكرية والتعليمية:

ومن مظاهر الفساد المتعلقة بالناحية الفكرية بصورة عامة: وجود العديد من الحركات والتيارات الفكرية المعاصرة التى تحمل عقائد فاسدة، وتدعو إلى أفكار منحرفة[4].. ويعد وجودها وإتاحة الفرصة لها وتشجيع أفكارها وتبنى كبار القوم مبادئها من شر المفاسد. "ومن المؤسف أن الكثرة الكثيرة من أبناء الحوزة العلمية الدينية لا يعرفون شيئاً عن هذه التيارات، والبعض منهم لم يسمع بها

---

1 - للمزيد حول هذه النظم الوضعية وموقف الإسلام منها راجع: الإنسان والمال فى الإسلام: د/عبد المنعم حسنين صـ 127 -. والإسلام والمذاهب الإقتصادية المعاصرة: يوسف كمال: صـ 13 – 113. بحث بعنوان "نظرية الملكية بين الإسلام والنظم المعاصرة د/حسن عبد الحميد حسن. بداخل: حولية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية العدد السادس. الجزء الثانى صـ 21 – 52. دار الطباعة المحمدية – القاهرة 1406هـ - 1986م.

2 - راجع: الإنسان والمال فى الإسلام صـ 146 – 149. بتصرف يسير.

3 - للمزيد حول أنواع المخدرات وأثر كل منها على الإنسان، وحكم تناولها راجع: المخدرات من القلق إلى الاستبعاد.

د/محمد محمود الهراوى، كتاب الأمة (15) الطبعة الأولى شوال 1407.ا لمخدرات الخطر الداهم (1) الأفيون ومشتقاته: د/محمد على البار. دار القلم دمشق – دائرة العلوم بيروت الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م.

أسطورة المخدرات والجنس: د/مدحت عزيز شوقى. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985. حكم تناول المخدرات والمفترات وتداولها فى التشريع الإسلامى والقانون: إعداد عادل رسلان – رسالة الإمام العدد السادس ربيع الأول 1406ه – ديسمبر 1985. تصدرها وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطبعة نهضة مصر.

4 - وذلك كالبهائية، والقديانية، والعلمانية، والبابية، والروتارى، والليونز، وغير ذلك.

على الإطلاق، وأهمها من حيث التأثير فى الفكر المعاصر أربع فلسفات: الوجودية[1]، والماركسية[2]، والبراجماتية[3]، والوضعية المنطقية[4]، ولكل منها أساس تبنى عليه وتنطلق منه،

---

1 - الوجودية: هى عبارة عن تيار فلسفى أو اتجاه فكرى يعلى من قيمة الإنسان إلى حد يجعله صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه.. ومؤسس المدرسة الوجودية هو "سورين كيركجوزد" (1813 – 1855م) وأشهر الزعماء المعاصرين: "جان بول سارتر" الفيلسوف الفرنسى المولود سنة 1905م والمتوفى 1980م.

والوجودية اليوم تمثل واجهة من واجهات الصهيونية الكثيرة التى تعمل من خلالها. واتباع الوجودية يكفرون بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر وبكل الغيبيات أ.هـ. للمزيد راجع: الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامى صـ 543 – 545 (55) الرياض 1392 – 1972. وبيان للناس: 49/2 وتاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم صـ 455. دار المعارف بمصر 1966م الطبعة الرابعة. سلسلة مكتبة الدراسات الفلسفية. ومناهج البحث فى العلوم الإنسانية: صـ 324. وأفيون الشعوب: العقاد 375/13 من المجموعة الكاملة لمؤلفاته. دار الكتاب اللبنانى "بدون".

2 - الماركسية: هى عبارة عن مذهب أو نظرية تقوم أساسا على المادة، فالمادة هى كل شئ، وترجع هذه النظرية أو هذا المذهب إلى كارل ماركس – ولد عام 1818م وتوفى عام 1887 – من أبوين يهوديين، وكان مهملا فى دراسته، كثير السهر فى الملاهى، عاشقا لشرب الخمر، قليل الأصدقاء، سيئ الخلق مع أصدقائه، انتسب إلى الماسونية مع رفيقه أنكلتر وبلغا الدرجة الحاديثة والثلاثين فى المحفل الماسونى الانكليزى أ. هـ. للمزيد حول الماركسية ونظريتها راجع: التضليل الماركسى دراسة مقارنة للسخيمة الشيوعية: د/رؤوف شلبى الناشر مكتبة الأزهر، الطبعة الأولى 1976. والمذاهب والأفكار المعاصرة فى التصور الإسلامى: محمد الحسن صـ 185.

224 فوق أطلاق الماركسية والإلحاد: محمد عبد الله الخطيب. دار المنار الحديثة. الطبعة الأولى 1409هـ - 1989م.

3 - البراجماتية: هى عبارة عن مذهب فلسفى يضع العمل مبدأ مطلقا.. ويطلق عليها كذلك البراغماتية: وهى اسم مشتق من اللفظ اليونانى براغما ومعناه العمل، وهى مذهب فلسفى يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، ومؤسس هذا المذهب وهو تشارس ساندربيريس (1839 – 1914م) ومن أشهر فلاسفتها وليم جيمس (1842 – 1914م) ا.هـ وللمزيد حولها راجع: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم صـ 417. ومناهج البحث فى العلوم الإنسانية د/ مصطفى حلمى صـ 342. دار الدعوة للطبع والنشر الطبعة الثانية 1412هـ - 1991م.

والمعجم الفلسفى: د/ جميل صليبا 203/1 وما بعدها.

4 - الوضعية المنطقية: هى حركة أو مذهب من المذاهب الفلسفية التى نشأت فى العشرينات من القرن الحالى، ومنذ أواخر الثلاثينات ومعقلها فى الولايات المتحدة الأمريكية، ويطلق عليها الآن التجريبية المنطقية ا. هـ

وهى على ما بينها من تفاوت تتفق على أنه لا واقع ولا أصل ثابت للأخلاق والقيم، لقد أعلنت هذه الفلسفات أو النزعات الحرب على الدين والأخلاق، وكل ما يمت إلى الروح السبب[1].."
وأما من حيث الفساد والانحراف المتعلق بالناحية التعليمية – وبخاصة فى بلاد المسلمين – فإنه * - فيما أرى والله أعلم-: فى التحول والتطور الذى أصاب التعليم منذ أن صوبت إليه سهام الغزو الفكرى، فبعد أن كان التعليم فى بلاد المسلمين يجمع بين الدين والدنيا تحول إلى تعليم علمانى يهدف إلى عزل المتعلم عن دينه ولغته وتاريخه.. ويشهد بذلك واقع المناهج الدراسية التى تخلوا شيئا فشيئا من الوعى الدينى الصحيح[2]، والإبقاء على بعض الكتب التى تحيى الأفكار الماركسية والبراجماتية، والوجودية والكتب التى تحمل الأضاليل والأفكار الخاطئة والشبهات حول الإسلام *. وعلى سبيل المثال: كتابى الفلسفة والمنطق – وغيرهما – للشهادة الثانوية العامة والأزهرية وهما من تأليف د/زكى نجيب محمود[3]. وكتاب "حول الخلافة الإسلامية" لمؤلفه محمد سعيد العشماوى، وهو مقرر على المرحلة الثانوية بتونس، وكتاب "الإسلام السياسى" لعشماوى أيضا، وهو مقرر على الجامعات التونسية[4].
وفى **الناحية الإعلامية**: ومن أبرز الفساد[5] فى هذه الناحية: ما يقدم من خلال أجهزة الإعلام ووسائله – المقروءة أو المسموعة أو المرئية – من أعمال تتنافى مع القيم والأخلاق. كالذى يعرض من أفلام ومسلسلات ومسرحيات تثير الشهوة، أو تغرس حب السيطرة والانتقام، أو تسخر من الدين فى

وللمزيد حولها راجع: الموسعة الفلسفية: وضع لجنة من العلماء صـ 584 دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت. الطبعة الثانية 1980، والمعجم الفلسفى د/مراد وهبه صـ 473 الطبعة الثالثة 1979، والمعجم الفلسفى: مجمع اللغة العربية صـ 214 (1114) "تقدم". وانظر مقدمة: المنطق الوضعى د/زكى نجيب محمود. الطبعة السادسة 1981. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.

1 - راجع: فلسفة الأخلاق فى الإسلام: محمد جواد مغنية صـ 26. دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى 1977.

2 - وقد أدى ذلك إلى الفراغ الدينى عند الشباب، وتأثرهم بالأفكار المنحرفة، وظهور أجيال أخذت قيمها وأخلاقها عن مسرحيات وأفلام التليفزيون..

3 - وقد فند ما فى الكتابين من أفكار الأستاذ على لبن فى كتابه: "الغزو الفكرى فى المناهج الدراسية" دار الوفاء للطباعة والنشر.

4 - راجع فى ذلك هامش صـ 5 من كتاب: "أسس نظام الحكم الإسلامى وخصائصه" د/فرج محمد الوصيف. مطابع إياك كوبى سنتر، المنصورة. الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م. عن مجلة المجتمع الكويتية العدد (1077) صـ 45.

5 - لا أستطيع – ولا أى منصف – أن يحكم بأن كل ما يقدم من خلال هذه الوسائل يؤدى إلى الفساد، والأمل كبير فى أن تخلو هذه الأجهزة من ألوان الفساد التى أشرت إليها، ولا تقدم إلا كل خير يوجه الأمة إلى ما يصلحها فى أمور دينها ودنياها، وهذا أمل كل غيور على دينه وعرضه، أسأل الله عز وجل أن يحققه.

صورة الملتزمين به، أو تدعو إلى الحرية المطلقة بين الشباب والفتيات، أو تشيع بعض العلم والأفكار الخاطئة التى تتعارض مع الإسلام وتعاليمه[1] أو نحو ذلك.
وأيضا كالإعلانات الخليعة، أو الصور العارية فى الصحف والمجلات والطرقات، وكالرقص بصورة وأشكاله المتنوعة والمتجددة، وكالموسيقى والغناء الماجن، وكروايات الجنس والاغتصاب القتل ونحو ذلك.. ولا يمكن القول بأن مثل هذه الأعمال تؤدى إلى نفع وتهذيب الشباب، ولارتفاع بأخلاقهم... بل هى مفاسد تؤدى إلى تدميرهم، وهبوط أخلاقهم وانهيارها.
وفى رأيى – والله أعلم – أن ما يعرض من مثل هذه الأعمال فى يوم يكفى لفساد الفرد أياما، وما يعرض فى عام – بل فى شهر وأقل – يكفى لفساد أمة أعواما متعددة، ويؤخرها عن الأمم مراحل ومراحل.. وكم من جريمة اغتصاب أو سرقة أو قتل نفذها البعض كالتى رآها أو قرأها فى أحد وسائل وأجهزة الإعلام المنتشرة فى كل مكان. وكم من أعراض انتهكت على نحو ما شهد المنتهك أو قرأ سمع.. وكم، وكم.... ولذا كان اهتمام اليهود بالسيطرة على وكالات الأنباء العالمية.
وعن أثر هذه الوسائل فى إفساد المجتمعات يقول الأستاذ أنور الجندى: "وعن طريق أدوات الحضارة الحديثة أمكن إفساد المجتمعات بدفعها إلى طريق الشهوات والأهواء وإعلاء الغرائز والخروج عن دائرة المحرمات والضوابط.
وفى الناحية الدولية:
ومن أبرز الفساد فى هذه الناحية:
1- إشاعة النزعات القبلية والقومية.
2- تمزيق الروابط والعلاقات بين الدول – وخاصة الإسلامية – بسبب الهوى وحب السلطة والزعامة.
3- كثرة الدسائس والفتن للوقيعة بين الدول – والإسلامية بخاصة – وذلك لصالح اليهود.
4- تسلط الدول القوية ومحاولة سيطرتها على الدول الضعيفة وقهر شعوبها وتبديد أموالها.
5- وجود تكتلات[2] ومنظمات دولية تؤثر إيجابا وسلبا على استقرار الدول الأخرى وتحديد مصيرها، وذلك كالتكتل القائم بين أمريكا وكثير من الدول التى أطلق عليها فى وقت من الأوقات "دول التحالف"، والتكتل القائم بين الدول الأوروبية والمعروف بـ "الاتحاد الأوروبى"، ومجلس الأمم المتحدة وما عده من المنظمات الدولية..
ومن خطورة هذه التكتلات أنها لا تتعامل مع مستجدات الأمور معاملة واحدة، ولكنها تكيل بمكيالين تجاه قضايا بعض الدول، وبعض الشعوب.. وهذا واقع يشهد به الجميع من خلال بعض المواقف والقضايا ومن أبرز ذلك مشكلة العراق والكويت، وماذا كان من المنظمات والتكتلات الدولية، وفى المقابل المشكلة الكبرى والقضية الحية "قضية القدس" وما يحدث من النظام اليهودى مع الفلسطينيين، وأيضا ما وقع من الصرب مع المسلمين فى البوسنة والهرسك، ثم مع المسلمين فى كوسوفو.
إلى غير ذلك من ألوان الفساد. وصدق الله حيث يقول {ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون}[3].

---

1 - كالذى عرض فى وقت من الأوقات عن إتمام الزواج العرفى بين شباب وفتيات الجامعة أثناء رحلة من الرحلات وقد قدم ذلك بصورة تدعو إلى تيسيره أمام كل من يريد إشباع رغبته الجنسية، وأمام كل من يتعلق بفتاة وأمام كل من لا تقتنع بوجهة نظر أسرتها فيمن يتقدم لزواجها ونحو ذلك..

2 - يقال: تكتل الناس صاروا كتلة أى جماعة متفقة على رأى واحد، المعجم الوسيط 776/2.

3 - سورة الروم الآية 41.

ومن خلال ما سبق يتبين الفساد المنتشر فى نواحى الحياة المختلفة، فى الحكم والتشريع، وفى السياسة والاقتصاد، وفى التربية والثقافة، وفى الأخلاق، وفى الجانب الإجتماعى، والعلاقات الدولية ومع كل الفساد المنتشر فى المجتمعات الإسلامية، فإن لديها الفرصة من التخلص منه، وإعادة بناء نفسها من جديد، وذلك بالعودة إلى الكتاب والسنة، والعمل بالمنهج الذى جاءا به، والاستفادة بالأثر الذى تركاه.
والتزاما بطبيعة هذه الدراسة سوف أتناول أثر السنة النبوية فى كل جانب من جوانب الحياة.
وهذا ما يدفعنا لتوضيح ما سلف من خلال عرضنا للفصول الآتية فأقول وبالله التوفيق.

(الفصل الأول)
الأثر العملى للأحاديث ومنها أحاديث المستدرك للحاكم فى الحياة الاجتماعية المعاصرة.

المبحث الأول: التكافل الإجتماعى فى الإسلام كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

المبحث الثانى: تكوين الأسرة المؤمنة فى الإسلام كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية فى الإسلام كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

المبحث الأول

التكافل الإجتماعى فى الإسلام كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى

تعد الناحية الاجتماعية من أهم وأعظم مناحى الحياة المتنوعة، إذ بها يتفاعل الإنسان ويتعامل مع غيره، وهى التى تعبر عن صلاح واستقامة الأفراد والمجتمعات من عدمه، ومن ثم كان لابد لها من دعائم متينة تنطلق منها، ومن أسس وضوابط تسير عليها وترسم خطاها[1].

"لأن الأفراد لا يمكنهم العيش بحرية مطلقة داخل المجتمع وإلا كان فى ذلك هلاكهم أو اضطراب حياتهم وانقلاب مجتمعهم إلى مجتمع حيوانات كالذى نشاهده فى الغابات. ولهذا كان لابد من نظام للمجتمع يتضمن الحدود التى يجب أن يقف عندها الجميع، والضوابط العامة التى يجب أن يلتزموا بها فى سلوكهم حتى يستطيعوا العيش بأمان واستقرار[2].

والمتأمل فى أحاديث السنة النبوية يجد أن لها أثرًا هاما فى شتى المناحى الحياتية ومنها فى الناحية الاجتماعية حيث تناولت الأسس التى تتكون أو تتركب منها، وأعطت الصورة المثلى لما ينبغى أن تكون عليه هذه الناحية، بما يؤدى إلى مجتمع قوى البنيان، وحياة طيبة مستقرة لأفراده.

وهذا ما يدفعنا إلى بيان.

أثر أحاديث السنة النبوية فى الجانب الاجتماعي : ويمكن توضيح هذا الأثر من خلال ما يأتى::

أولا: القضاء على النزعات العصبية وتأكيد مبدأ المساواة:

فقد بعث النبى ρ وكانت الحالة الاجتماعية عند العرب يشيع فيها الكثير من المفاسد والعادات والتقاليد الجاهلية كشيوع العصبية القبلية بين أفرادها، ونشوب القتال بين القبائل لأتفه الأسباب، وغير ذلك من المفاسد.

فلما جاء النبى ρ وتشريعاته الاجتماعية وأراد تأسيس المجتمع الجديد كان لابد من تغيير هذه القيم والمفاهيم المتوارثة عند العرب فى الجاهلية، فأزال هذه المفاسد، وتصدى بقوة ووضوح لكل ما يدعو إلى العصبية أو النزعات القومية، والنعرات الجنسية. "وقد طبق الرسول ρ ذلك منذ دخل المدينة المنورة، فأرسى دعائم البناء الإجتماعى بأن أعلن أول دستور سياسى إجتماعى، بل يمكن القول: إنه أعلن أول دستور أخلاقى مثلته الصحيفة التى نظمت فى تناسق وتكامل المجتمع الجديد فى المدينة ليكون أصلا للمجتمع الإسلامى الكبير: لم ينظر الإسلام إلى العناصر البشرية فى المدينة نظرة عنصرية... بل الفيصل فيها هو العقيدة انطلاقا من المعنى العام الذى تتضمنه الآية الكريمة(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[3].

وأقر الرسول ρ مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى المدينة المنورة، لتقوم الأمة الإسلامية فى أروع اتحاد وتناسق يمكن أن يوجده نظام إجتماعى، حلت فيه الإخوة مكان العصبية، وتلاشت الأنساب والصلات جميعا إلا صلة واحدة هى صلة الدين الواحد، والعقيدة الواحدة.

---

1 - وقد أشار الدكتور صادق أمين إلى بعض مظاهر الفساد وذلك فى كتابه: الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية صـ 17، دار التوزيع والنشر الإسلامية "بدون" والدكتور عبد الله ناصح علوان فى كتابه: بين العمل الفردى والعمل الجماعى صـ 58 وما بعدها. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م سلسلة مدرسة الدعاة (12).

2 - أصول الدعوة صـ 96.

3 - سورة الحجرات من الآية (10).

وازدادت الأخوة الإسلامية فى المدينة قوة وصلابة حتى كان المسلم يرث أخاه المسلم إلى أن نسخ القرآن الكريم ذلك. بل إن الأنصار – رحمهم الله – كانوا يفضلون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم..
(وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [1].
والمتتبع لأحاديث السنة النبوية يجد أن تأكيد مبدأ المساواة وإزالة الفوارق الطبقية قد قام على هذه القواعد:
الأولى : اعتبار الرابطة الإيمانية أعظم الروابط: وفى ذلك قال ρ: " - عن عقبة بن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : المسلم أخو المسلم و لا يحل لمسلم إن باع من أخيه بيعا فيه عيب أن لا يبينه له ،([2])
وعن عبد الأعلى عن جدته عن أبيها سويد بن حنظلة قال : خرجنا نريد رسول الله صلى الله عليه و سلم و معنا وائل بن حجر فأخذه عدو له فتحرج القوم أن يحلفوا و حلف أنه أخي فخلى سبيله فأتينا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته أن القوم تحرجوا و حلفت أنا أنه أخي فقال : صدقت المسلم أخو المسلم ([3])
الثانية: نبذ العصبية القبلية بجميع أشكالها: ففى السنة النبوية ما يبين أن النبى ρ قد نبذ العصبية القبلية وأنكرها، وأخبر أن الدعوة إلى العصبية والقتال من أجلها والموت عليها ابتعاد عن الإسلام وخروج عن جماعة المسلمين. وقال عنها: "دعوها فإنها منتنة"[4].
"ودم العصبية فى الإسلام لا يقف عند حد العصبية القائمة على أساس المشاركة فى القبلية. أو الجنس، وإنما يتعدها إلى كل عصبية قائمة على سبب آخر مادام جوهر العصبية موجودا.. وعلى هذا فانتصار أصحاب الإقليم الواحد، أو الحرفة الواحدة، أو المذهب الواحد بعضهم لبعض فى الباطل هو من العصبية المقيتة المذمومة[5].
الثالثة: تقوى الله عز وجل هى ميزان التفاضل بين الناس: أما اللون والجنس والقبيلة، والغنى والفقر والقوة والضعف، والنسب والجاه والسلطان، وغير ذلك من هذه المعانى فليس لها حساب فى ميزان الله عز وجل.

---

1 – سورة الحشر من الآية (9).

2 - المستدرك على الصحيحين - الحاكم النيسابوري كتاب البيوع ج 10/2برقم 2152 الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1990تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا عدد الأجزاء : 4مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

3 - المستدرك على الصحيحين - الحاكم النيسابوري كتاب الإيمان والنذور ، 4/ 333 برقم 7821 – هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1990تحقيق : مصطفى عبد القادر عطاعدد الأجزاء : 4مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص .

4 - جزء من حديث أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب التفسير (قوله: إذا جاءك المنافقون) 192/6.

5 - أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان، صـ 99.

"وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر فى الميزان[1]".
الرابعة: الإلتقاء تحت راية واحدة... راية الإسلام: لا راية الجنس، ولا راية القومية أو الوطنية فكلها رايات زائفة، وهى من دعوى الجاهلية التى يجب على المسلم التخلص من رواسبها بهذه القواعد قضت السنة النبوية – بجانب ما جاء فى القرآن الكريم – على نظام الطبقات الذى أفسد المجتمعات البشرية السابقة، وأكدت مبدأ المساواة فى المجتمع الإسلامى.

ثانيا: تحقيق مبدأ التكافل الإجتماعى:

وهو أحد المبادئ القوية والدعامات الأساسية للمجتمع القوى المترابط، الذى تتجسد فيه الأخوة بكل معانيها. وهو ما حرص الإسلام على تحقيقه فى المجتمع الذى أقامه، حيث أسسه على الإخاء والحب والتآلف وغرس فى نفوس أبنائه روح التعاون والتضامن والتكافل، والشعور بأنهم كالجسد الواحد إن تألم منه عضو تألمت لألمه سائر الأعضاء.
وقد ألإسلام علي أمور وخطوات لتحقيق هذا الهدف وتلك الغاية منها :-
-نبذ ما يؤدى إلى التباغض واختلاف القلوب: وذلك كالمراء والجدال، فقال ρ: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله ρ هذه الآية (وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ)([2])

وقد وضح صلي الله عليه وسلم صفات المسلم التي تعطيه الحق أن يكون في المجتمع ضمن جماعة المسلمين ، منها ما ورد المستدرك ،عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و المؤمنون من أمنه الناس على دمائهم و أموالهم .([3])
وقد ورد في المستدرك أيضا عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في حجة الوداع : ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أنفسهم و أموالهم و المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و المجاهد من جاهد نفسه في طاعة و المهاجر من هجر الخطايا و الذنوب .([4])ومما ورد في شأن الجاره والمحافظة عليه مع التعهد باعطاء الأمان للمجتمع بأثره والمسلمين خاصة ما ورد في المستدرك عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : المؤمن من أمنه الناس

---

1 - فى ظلال القرآن: سيد قطب 3348/6. "تقدم".

2 – سورة الزخرف الآية 58 .

3 - المستدرك للحاكم -كتاب الإيمان 54/1 ، برقم 22قد اتفقا على إخراج طرف حديث : المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و لم يخرجا هذه الزيادة و هي صحيحة على شرط مسلم و في هذا الحديث زيادة أخرى على شرطه مما لم يخرجاها تعليق الذهبي قي التلخيص : لم يخرج مسلم نصفه الثاني—

4 - المستدرك للحاكم - كتاب الإيمان 54/1 ، برقم 24-و زيادة أخرى على شرط مسلم و لم يخرجاها تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص. الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1990تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا عدد الأجزاء : 4مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم.

و المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و المهاجر من هجر السوء و الذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه .([1])
إلى غير ذلك مما يفسد العلاقة بين الناس ويؤدى إلى تنافر القلوب. وجميعها مظاهر اهتمت بها أحاديث السنة النبوية لتحقيق مبدأ التكافل المعنوى.
كما أكد علي مبدأ : التكافل المادى: وهو الذى يتمثل فى المشاركة المادية أو التعاون المادى بين أفراد المجتمع وخاصة الضعفاء والمحتاجين منهم كالفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، والمرضى وذوى العاهات، والمرأة العجوز والشيخ الهرم، وغيرهم ممن لا يملكون المال، ولا يقدرون على اكتسابه

ويتحقق هذا النوع بصورتين:
الأولى : التكافل فى نطاق الأسرة والأقارب: "ويشمل نفقة الرجل على نفسه وعلى زوجته وأولاده وآبائه المحتاجين وعلى أقاربه العجزة"[2]. ا. هـ.
وعن طارق المحاربى قال: قدمت المدينة فإذا رسول الله ρ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول: "يد المعطى العليا، وابدأ بمن تعول. أمك وأباك، فأختك وأخاك، ثم أدناك أدناك".
وهكذا تجعل الأحاديث النبوية ذوى القربى متضامنين متكافلين، يشد بعضهم أزر بعض، ويحمل قويهم ضعيفهم، ويكفل غنيهم فقيرهم، وينهض قادرهم بعاجزهم. وعن هذه الصورة من التكافل يقول الدكتور يوسف القرضاوى: "لقد شرع الإسلام – بإيجاد النفقة للقريب الفقير على قريبه الغنى – اللبنة الأولى فى بناء التكافل الإجتماعى، ولم يكن ذلك أمرا مستحبا، بل هو حق أمر الله عز وجل بإتيانه[3].
*ويضاف إلى النفقة على أفراد الأسرة والأقارب الميراث فهو أداة من أدوات التكافل الإجتماعى التى شرعها الإسلام لحفظ كيان الأسرة، وضمان إعالة الذرية الضعفاء حين وفاة عائلهم[4].
الثانية: التكافل فى نطاق المجتمع: فالناس فى المجتمع ليسوا على درجة واحدة فى الأعباء.
أو الغنى والفقر، أو القوة والضعف، بل إنهم يتفاوتون فى ذلك، ونتيجة لهذه القاعدة الطبيعية فإن المجتمع لا يخلو من طبقة فقيرة ضعيفة تحتاج لغيرها لمواجهة متطلبات الحياة.
وهذا فى نظر الإسلام لا يعيبهم ولا ينتقص من قدرهم، كما لا يعنى نبذهم وتركهم للفقر القاهر، والحاجة القاسية تفترسهم افتراسا، وليس هناك من يخفف عنهم، ويعطف عليهم، ويمد يد العون والمساعدة إليه. ومن أجل هذا دعا الإسلام إلى مساعدة الفقير والمحتاج، والتعاون والتكافل معهم.
وهذا التكافل أو تلك المساعدة لها عدة وسائل منها:
الزكاة : وهى ركن من أركان الإسلام، وفريضة ثابتة، فرضها الله عز وجل على الأغنياء تزكية لنفوسهم وأموالهم وتطهيرا لها من رذيلة الشح والبخل، والطمع والأنانية، كما أنها حل لمشكلة الفقر،

---

1 - المستدرك للحاكم - كتاب الإيمان 55/1 ، برقم 25 ،و زيادة أخرى صحيحة سليمة من رواية المجروحين في متن هذا الحديث و لم يخرجاها، تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص بيروت الطبعة الأولى ، 1411 -1990

2 - خصائص الدعوة الإسلامية: محمد أمين حسن صـ 269 مكتبة المنار، الأردن. الزرقاء: الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م. بتصرف يسير.

3 - د. يوسف القرضاوى: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: صـ 63.

4 - الإسلام والمذاهب الإقتصادية المعاصرة: صـ 213.

وحد لتضخيم الأموال عند الأغنياء، وحماية للفقراء من الوقوع فى الجريمة تحت ضغط الحاجة، وتحقيق لمبدأ التكافل الإجتماعى، فهى تشكل العمود للتكافل المادى فى المجتمع الإسلامى.
"والفقراء والمساكين هو أول من تصرف لهم الزكاة، حتى إن النبى ρ لم يذكر فى بعض المواقف إلا هذا المصرف، لأنه المقصود أولا. كأمره لمعاذ – وقد بعثه إلى اليمن أن يأخذها من أغنيائهم ويردها فى فقرائهم"[1].
وفي المستدرك عن عبيد بن عمير عن أبيه أنه حدثه و كانت له صحبة : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال في حجة الوداع : ألا أن أولياء الله المصلون من يقيم الصلاة الخمس التي كتبن عليه و يصوم رمضان يحتسب صومه يرى أنه عليه حق و يعطي زكاة ماله يحتسبها و يجتنب الكبائر التي نهى الله عنها ثم أن رجلا سأله فقال : يا رسول الله ما الكبائر ؟ فقال : هي تسع الشرك بالله و قتل نفس المؤمن بغير حق و فرار يوم الزحف و أكل مال اليتيم و أكل الربا و قذف المحصنة و عقوق الوالدين المسلمين و استحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء و أمواتا ثم قال : لا يموت رجل لم يعمل هذه الكبائر و يقيم الصلاة و يؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى الله عليه و سلم في دار أبوابها مصاريع من ذهب ([2])
فالزكاة هى التزام المسلم بأداء قدر محدود من ماله لمصلحة الطبقات الفقيرة والمحرومة فى المجتمع وهى فريضة إلزامية على كل من اجتمع لديه نصاب الزكاة"[3]. ا. هـ.
"وفى الزكاة تمرين عملى على الاندماج فى الحياة الاجتماعية وعدم السلبية والانعزالية، وفيها حب متبادل من الغنى والفقير، وكل ذلك يساعد على استقرار الحياة والتمتع الأمن بنعم الله عز وجل.."[4].
وقد رفضت السنة النبوية أن تعيش طبقة فى مستوى الطرف والبذخ، وتعيش أخرى فى مستوى الفاقة والحرمان فقال ρ: "ما أمن بى من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم به"[5].
وهكذا يتضح أن للزكاة أثر كبير فى تحقيق التكافل بين أفراد المجتمع.
صدقة الفطر: وهى فريضة سنوية تفرض على "الرؤوس" لا على الأموال. فرضها النبى ρ على كل مسلم، حر أو عبد، ذكر أو أنثى، كبير أو صغير، غنى أو فقير، مادام هذا الفقير يملك مقدارها فاضلا عن قوت يوم العيد وليلته، له ولعياله، وهى رغم وجوبها إلا أنها تحقق أعظم معانى التكافل بين المسلمين وبخاصة فى يوم العيد حيث تسد حاجة الفقير، وتجعله كغيره يشعر بالفرح والسرور، وتصون وجهه عن مذلة السؤال فى مثل هذا اليوم. وقد جاء فى الحديث أن رسول الله ρ قال وهى من أشكال التكافل لما شرع فيها من نصيب الفقراء والمحتاجين.

---

1 - مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: د/القرضاوى صـ 65.

2 - المستدرك للحاكم كتاب التوبة والإنابة 288/4 ، برقم 7666 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

3 - التنمية والعدالة والتكافل الاجتماعى: الشيخ عبد المنصف محمود، هدية مجلة الأزهر ربيع الآخر 1404هـ، صـ 60.

4 - الزكاة: عطية صقر (رسالة الإمام): صـ 17. العدد الثالث رمضان 1405هـ - يونيه 1985م. تصدرها وزارة الأوقاف. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. مطبعة نهضة مصر.

5 - أورده الهيثمى فى المجمع 167/8 وقال: رواه الطبرانى والبزار وإسناد البزار حسن. عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

الصدقة الجارية: وهي التي تنفع الإنسان بعد موته ، فما زال النفع دائما لصاحبه بعد مفارقة الحياة ،وفي المستدرك ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول اللهρ:: الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و العاجز من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله عز و جل (1).

"وقد فتح الإسلام بحال الإنفاق أمام الإنسان، وبين له أبواب الخير، ولم يحددها، وإنما ترك ذلك للإنسان ومن هذه الأبواب نظام الأوقاف التى شرعها الإسلام لسد حاجات المعوزين، وقد قام المسلمون بذلك فما تركوا وجها من وجوه الحاجة ولا بابا من أبواب الخير إلا وقد وقفوا عليه، فبعضها وضع فى خدمة طلاب العلم والعلماء حتى لا يحتاجون إلى أحد، وبعضها وضع فى خدمة الفقراء والمحتاجين والمرضى والمقعدين والأيتام والأرامل.. إلخ. ولو أن هذه الأوقاف سلمت من أيدى المعتدين، لحققت أهدافها ووصلت إلى غايتها، ولكن معاول الهدم قامت بإتلاف هذه الثروة وتبديدها وصرفها فى غير مصارفها والاستيلاء عليها.

ويضاف لما سبق: **الأضاحى، والهدى، ووليمة النكاح،** فكل منها يحقق نوعا من التكافل ويقوى الروابط والصلات بين الناس.

وهكذا شرعت أحاديث السنة النبوية النظرة التكافلية التى ينبغى أن تكون داخل المسلم. وبها يتميز هذا المجتمع بأنه مجتمع الرحمة والمحبة والتضامن والتعاون والتكافل، ويتأكد بأن أفراد هذا المجتمع كالبنيان يشد بعضه بعضا. "ولقد انعكست هذه التعاليم النبوية على حياة المسلمين، فتجد الترابط والتعاون والاحترام المتبادل فلا يهجر المسلم أخاه فوق ثلاث ليال، ويعطف الآباء على الأبناء، ويحرص الناس على عيادة المرضى والدعاء له، ويتبادل الناس الهدايا، ويكرم بعضهم بعضا، ويفسح الفرد لأخيه فى المجلس، ويلاقى أخاه بوجه طلق،ويفشى السلام، ويدعو له فى ظهره، ويواسى الغنى منهم الفقير، ويحافظ كل فرد منهم على سمعة أخيه ويستر عليه عيوبه، وينصحه فى الله، ويصون عرضه ويحافظ على أمواله، ويعلم العالم منهم الجاهل. كما كان لعلاقات المصاهرة أثر كبير فى زيادة تلك الروابط، حتى غدا المجتمع الإسلامى كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"[2].

مزايا التكافل الإسلامى :

وعن مزايا التكافل الإسلامى يقول الدكتور القرضاوى: "ويمتاز هذا التكافل أو الضمان الإجتماعى فى الإسلام بشموله لكل أصناف المحتاجين، سواء أكانت حاجتهم حاجة دائمة بسبب عجز بدنى أو عقلى، أم حاجة طارئة بسبب ظروف عارضة كالسفر والأزمات. ومن الأصناف الذين يدخلون فى هذا الضمان: 1- الفقراء. 2- المساكين... والصنفان يعنيان: أهل العوز والحاجة.
3-الغارمون (المثقلون بالديون). 4- أصحاب الكوارث، فمنهم جزء من الغارمين.
5- ابن السبيل، ويشمل اللاجئين والمشردين، كما يشمل المنقطعين فى السفر. 6- اليتامى والمقصود: من ليس له مال منهم. 7- الأرامل: أى من لا مورد له ولا عائل منهن. 8- اللقطاء فمنهم من أبناء السبيل أيضا. وبهذا يتميز الضمان الإجتماعى فى الإسلام عن الضمان الإجتماعى فى الغرب الحديث والمعاصر بعدة أمور:
1- بسبقه الزمنى، فقد مضى عليه أربعة عشر قرنا أو تزيد.
2- بشموله لكل أصناف المحتاجين (الفقراء، والمساكين، والغارمين، وابن السبيل، (اللقطاء)، والأرامل، واليتامى)... الخ.
3- بشموله لكل حاجاتهم المادية والنفسية. 4- بدرجة الإلزام به.

---

1 - رواه الحاكم في المستدرك باب التوبة والإنابة 4/ 280برقم 7639تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

2 - خصائص الدعوة: صـ 272.

5- بمدى المسئولية عنه، على مستوى الفرد.. والأسرة، والوحدة الاجتماعية الصغيرة (الجيران) المجتمع كله.
6- بشموله الزمانى والمكانى، فهو يشمل الأجيال المختلفة، كما يشمل الأقطار المختلفة"[1]..

1 - دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى، د: يوسف القرضاوى: صـ 399 وما بعدها مكتبة وهبة. الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م.

المبحث الثانى:

تكوين الأسرة الصالحة كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى:

ومن أهم أهداف الدعوة الإسلامية تكوين الفرد والأسرة والمجتمع الصالح، لتكوين الأمة التى تحمل الإسلام، وتسعى بدعوته لإخراج البشرية من ظلمات الشرك والجهل والضلال، إلى نور التوحيد والهدى والرشد. والأسرة هى اللبنة الأساسية فى بناء المجتمع، ثم الأمة، وبمقدار ما تكون عليه من صلاح وقيم، وقوة وترابط، بمقدار ما يتوفر للمجتمع من ذلك. والعكس كذلك، فإذا فسد الأساس وضعف فسد البناء وتعرض للانهيار. فالأسرة إذا لها أثرها فى المجتمع فهو يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها. ولما كانت الأسرة ضرورة اجتماعية وأساس للحياة الصحيحة كان للسنة النبوية – وهى المصدر الثانى – دورها الواضح فيما يتعلق بها، وبما يناسب أهميتها فى كيان المجتمع، وأثرها فى حياة الأمة ومستقبلها. حيث فصلت فى كل ما يتصل بها بما يكفل سلامتها ويوفر لها الحماية كى تؤدى رسالتها فى هدوء واستقرار.

والأسرة مجتمع صغير، وهى – فى الوقت ذاته – الخلية الأولى للمجمع الكبير، ولا وجود للمجتمع الكبير بدونها.... فعلى قدر التماسك بين أفراد الأسرة – مثلا – يكون التماسك بين أفراد المجتمع، وعلى قدر تفككها، يكون تفكك هذا المجتمع، وعلى قدر ما يشيع بين أفراد الأسرة من حب أو تباغض، ومن تعاون أو تنافر، ومن تسلط واستسلام، نجد ذلك كله ينتقل من البيت المغلق إلى المجتمع المفتوح، فيكون أسلوبا اجتماعيا عاما، لا سياسة أسرية محدودة.
وكم من دعوات إجتماعية كريمة تحطمت على عتبات الأسرة، وكم من محاولات للهدم والتدمير، تصدت لها الأسرة، ومن تلك القيم التى تنتقل من الأسرة إلى المجتمع علاقة الكبير بالصغير، والصغير بالكبير، سواء كان هذا الكبير أبا، أو جدا، أو أخا كبيرا.. أو رئيسا فى العمل، أو رئيس دولة... ثم تنتقل هذه العلاقة – فى الأسرتين – من مكانها المغلق الذى نشأت فيه إلى المجتمع الواسع الكبير متمثلة فى علاقات العمل، بين الرئيس والمرءوس مثلا[1].. والحق أن للسنة النبوية أثرها الواضح فى تكوين الأسرة الصالحة التى لها كل مقومات النجاح والتآلف والترابط يريد ويبدو ذلك من خلال المنهج الذى رسمته لتكوين الأسرة الصالحة.

منهج السنة فى تكوين الأسرة الصالحة:

ويتمثل هذا المنهج فيما يأتى:
أولا: حسن الاختيار: بأن يحسن كل من يريد الزواج اختيار رفيقه فى تكوين الأسرة فيحسن الرجل اختيار من يريدها زوجة له، بأن يختار الصالحة ذات الدين التى تعينه على طاعة الله عز وجل وتحفظه فى عرضه وماله. وهذا ما أوصت به السنة النبوية حيث قال ρ عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته قالت : حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى

1 - الأسرة المسلمة والأسرة المعاصرة: د/عبد الغنى عبود صـ 62 وما بعدها. دار الفكر العربى، الطبعة الأولى 1979.

الله عليه و سلم : تنكح المرأة على إحدى خصال ثلاث : تنكح المرأة على جمالها و تنكح المرأة على دينها و خلقها فعليك بذات الدين تربت يمينك"(1).
ولا يمنع هذا أن ينضم إلى دينها الحسن والجمال، أو الحسب والمال، وما أحسن الدين والدينا لو اجتمعا معا.
وقد جعلت السنة النبوية الزوجة الصالحة للرجل أفضل ثروة يكتنزها من دنياه –بعد الإيمان بالله وتقواه – وعدتها أحد أسباب السعادة. فقد جاء فى المستدرك أنه ρ: قال لعمر ": ألا أخبرك بخير ما يكنز؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته و إذا أمرها أطاعته و إذا غاب عنها حفظته "(2).
و قد ذكر رسول الله ρ أن الزوجة قد تكون من أسباب السعادة لزوجها أحيانا وقد تكون أحيانا على العكس تماما ، ففي المستدرك للحاكم النيسابوري -: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : سعادة لابن آدم ثلاثة و شقاوة لابن آدم ثلاثة فمن سعادة ابن آدم المرأة الصالحة و المسكن الصالح و المركب الصالح و من شقاوة ابن آدم المسكن الضيق و المرأة السوء و المركب السوء (3)
وعلى هذا المطلب، وبنفس هذا الضابط يجب أن تختار المرأة، بأن تختار صاحب الدين والخلق وهذا ما أوصت به السنة النبوية المطهرة ،فإن تحقق الاختيار على ذلك تحققت السعادة وكانت الأسرة صالحة.
فالمرأة الصالحة التى وقع الإختيار عليها ستكون إذا شاء الله لها أماً، من ثديها يرتضع أولاد وبأخلاقها يقتدون، وهى التى ستلقنهم الدروس، وتقص عليهم القصص، ومن ثم فهى إذا علمتهم ستعلمهم القرآن والسنة رسول الله ρ، وتغرس فى نفوسهم مكارم الأخلاق، وتؤديهم بأدب الإسلام وتنمى فيهم منذ الصغر الشعور بالحلال والحرام، والثواب والعقاب، والجنة والنار. وإذا خرجت بها فلن تخرج إلى أماكن اللهو والفساد، وإذا زارت بهم فلن تزور أهل منكر وضلال، وإذا جلست بهم فلن تجلس إلا مع أمثالها من أهل الخير والصلاح.. وهذا كله له نفعه وأثره الطيب على الأولاد. هذا إلى جانب أن صلاحها يدفعها إلى طاعتها لزوجها، وأمانتها معه، ووفائها له..
كما أن صاحب الدين والخلق التى حرصت الفتاة على اختياره سيكون إذا شاء الله له أبا لأبنائها يوجههم ويعلمهم وينفق عليهم، وبه يتأثرون، وبأخلاقه يقتدون. فهو إن وجههم وعلمهم فإنما يوجههم ويعلمهم الخير، ولا ينفق عليهم إلا من حلال، ويدفعه دينه وخلقه إلى حسن معاشرتها، وصيانتها، وحفظ حقوقها. وهذا كله من شأنه أن يحقق السعادة للأسر، ويجعلها نموذجا صالحا داخل المجتمع الإسلامى.
ثانيا: حسن العشرة بين الزوجين: ولهذا دور لا يغفل فى تكوين الأسرة الصالحة. إذ ليست العلاقة بين الزوجين علاقة التلذذ فقط، وهذا وحده لا يحقق إستقراراً. وإنما هي المودة والمحبة والرحمة بين الزوجين، وينمى ذلك دوام حسن المعاشرة بينهما.

---

1 - رواه الحاكم في المستدرك ،ك النكاح 174/2- برقم 2680 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه الزيادة تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح.

2 - رواه الحاكم في المستدرك ك الزكاة 567/1 برقم 1487 ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

3 - المستدرك – ك الفيء 175/2 – برقم 2640 ، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

ولذا أكدت السنة النبوية على أهمية هذا الأمر فحثت الأزواج على تحقيقه فعن " ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ρقال : خيركم خيركم للنساء "[1]. وقال:
ومما يديم حسن العشرة النفقة على الزوجة وكسوتها واحترامها وعدم إيذائها إلى غير ذلك من حقوق الزوجة التى توسعت السنة النبوية فى بيانها.
كما حثت السنة النبوية الزوجات على تحقيق حسن العشرة حتى تستقر الأسرة، ويدوم فيها الود والرحمة. ومن ذلك قوله: " ....لو كان ينبغي لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها "[2].
وفى قصة أسماء بنت يزيد الأنصارية وافدة النساء إلى النبى ρ قال لها النبى: "... إنصرفى أيتها المرأة وأعلمى من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، وإتباعها موافقته يعدل ذلك كله..." [3].
ومما يظهر حسن عشرتها لزوجها بجانب الحرص على طاعته أن تكون أمينة قانعة حريصة على مال زوجها، فقد قال ρ: "لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه"[4].
وإن تحسن مخاطبته، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولو كان الخروج للصلاة فى المسجد فقد قال ρ: "إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها"[5]. وهذا يفيد أنها لا تخرج – ولو لهذا الغرض – من بيت زوجها إلا بإذنه، حيث اشترط لذلك الاستئذان والإذن بالخروج، هذا إلى جانب حسن استقباله عند عودته إلى البيت، بطلاقة الوجه، والتزين والتطيب، واستقباله بالأخبار السارة والأحداث السعيدة. وسرعة التلبية إذا دعاها للفراش إلى غير ذلك من الحقوق الواجبة عليها.
وهكذا نجد السنة النبوية تؤكد على حسن العشرة بين الزوجين لما لذلك من أثر واضح لدوام استقرار الأسرة واستقرار أفرادها، الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى استقرار المجتمع.
ثالثاً: حسن رعاية الأبناء وتربيتهم: لاشك أن إنجاب الذرية ثمرة طبيعية للزواج، ولن تكون الأسرة صالحة حقا إلا بصلاح جميع أفرادها، أو على الأقل معظمهم.. ولذا اهتم الإسلام بهذه الذرية وجعل لهم من الحقوق ما يكفل صلاحهم.
وقد ساهمت السنة النبوية فى هذا الاهتمام، وقدمت للأسرة المسلمة الصورة المثلى لرعاية هذه الذرية من قبل ولادتها إلى نهاية حياتها.

---

1 - رواه الحاكم – المستدرك- ك –البر والصلة 191/4 برقم 7327 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص: صحيح

2 – المستدرك ك النكاح 206/2برقم 2768- هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

3 - أخرجه ابن عساكر (7/363). وأخرجه أيضًا: البيهقى فى شعب الإيمان (420/6 ، رقم 8743) .

4 - أخرجه الحاكم فى المستدرك 190/2 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى.

5 - أخرجه البخارى فىالصحيح، كتاب الأذان، باب استئذان المرأة زوجها بالخروج إلى المسجد، وباب صلاة النساء خلف الرجال 220/1. وفى النكاح، باب استئذان المرأة زوجها فى الخروج إلى المسجد وغيره.

***رعاية السنة النبوية للطفل قبل الولادة:**

وهى تتلخص فى:

أولاً: حسن اختيار الأب والأم: فحسن الاختيار له أكبر الأثر.

ثانياً: تحصين الطفل قبل مجيئه: وذلك بإتباع ما ورد عن رسول الله ρ في ذلك.

كالدعاء بالوارد عن رسول الله ρ عند الدخول بالزوجة: "اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه"[1]. والتسمية والدعاء عند الجماع لقوله ρ: "عن ابن عباس قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يعجز أحدكم إذا أتى أهله أن يقول بسم الله اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنى فإن قضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا. "[2].

ثالثا: أن يكون ماء طاهر ومن طريق مشروع: فلا يكون من زنا وما شابهه من نكاح المتعة أو الشغار، أو المحلل، أو الإستبضاع، ونحو ذلك مما هو غير مشروع، حرصا على الولد وتكريما للعلاقة الزوجية. "وبذلك أحاطت السنة النبوية مصدر الميلاد بسياج من الطهر والعفاف والنقاء، فماذا عساهم يشعرون لو كان الطريق فوضويا كلاء مباحا؟ ماذا تكون نفسية ولد يدرك أنه ما جاء من طريق غير محترم لا فى نظره هو ولا فى نظر المجتمع ولا فى نظر الشرع؟ ماذا يحدث لو عرف لقيط من اللقطاء أن تلك المرأة هى أمه، وأنها جاءت به خطأ فى لحظة إنحراف مزاجى غاب فيها الخلق والشرف والعفاف والإيمان؟ لهذا حرم الله عز وجل كل طريق تبعث عن القلق النفسى فى الذرية، وصانها من كل أسلوب يورثها ضررا. وحرصت السنة المطهرة على أن يكون السبيل الذى سينجم عنه الولد مشروعا وحلالا وطيبا، لأنه لا بركة ولا خير ولا قبول إلا للحلال الطيب[3]...." ا. هـ.

رابعا - المحافظة على صحته وسلامته فى بطن أمه: حيث اهتمت السنة النبوية بصحة الأجنة وسلامتهم فى بطون أمهاتهم، ويبدو ذلك فى الرخصة للحامل والمرضع بالفطر فى رمضان، إذا خافت إحداهن على نفسها أو على ولدها، أو عليهما، وأيضا فى وقف تنفيذ الحد على الأم حتى تضع حملها، وهذا واضح فى حديث المرأة التى جاء إلى رسول الله ρ وهى حبلى من الزنا وتطلب من رسول الله ρ أن يقيم عليها الحد. فدعا رسول الله ρ وليها فقال: "أحسن إليها فإذا وضعت فأتنى بها" ففعل فأمر بها نبى الله ρ فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت[4]. ومن هنا تظهر رعاية السنة النبوية للطف قبل ولادته.

***رعاية السنة النبوية للطفل من لحظة ولادته:**

---

1 - سنن أبي داود، باب في جامع النكاح – 214/2.

2 - (البزار) [كنز العمال 45883] أخرجه أيضًا : أحمد (243/1 ، رقم 2178) ، والبخارى (1196/3 ، رقم 3109) ، وعبد بن حميد (ص 230 ، رقم 689) ، وعبد الرزاق (194/6 ، رقم 10466

3 - منهج السنة النبوية فى تربية الإنسان: د/بدير محمد صب 38. سلسلة الدلائل الإنسانية فى السنة النبوية (1) مكتبة الدعوة الإسلامية بالمنصورة. الطبعة الثالثة 1413هـ.

4 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا 1324/4 (1696) وغيره عن عمران ابن حسين رضى الله عنه.

فإذا ولد الطفل فإن السنة النبوية قد وجهت الأسرة إلى بعض الأحكام والإرشادات. من أهمها – كما سبق
حسن التسمية، فلا يسمى باسم قبيح يضايقه أو يعبر به، أو يكون مدعاة للاستهزاء به،وأوصت بإسماعه بعض الشعائر الدينية منها الآذان والإقامة، وإطعامه من طيب الطعام فأمرت بتحنيكه والدعاء له بالبركة وغير ذلك مما ورد عن رسول الله ρ. وألزمت الأب بالنفقة عليه والاهتمام به، وألزمت الأم بحضانته ورضاعته ونظافته.
كما أكدت السنة النبوية على تدريب الطفل على الطاعات وتلقينه الأخلاق الفاضلة والشمائل الكريمة كالصدق والأمانة، والوفاء، والشجاعة الأدبية، ونحو ذلك. وفى ذلك روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ρ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع"[1]..
وفى هذا تعليم للآباء والأمهات أن ينشئوا أولادهم على الطاعة والفضيلة.
إلى غير ذلك مما ورد فى سنة رسول الله ρ.
ومع هذه الرعاية المصحوبة بالمحبة والرحمة، والرفق والمساواة، فإن السنة النبوية لا تمنع من تأديبهم وعقوبتهم عند الخطأ. والمعنى ما أعطى والد ولدا من عطية وهبة أفضل من تعليمه وتأديبه أدبا حسنا بنحو توبيخ وتهديد وضرب، فإن حسن الأدب يرفع العبد المملوك إلى رتبة الملوك[2]. ا.هـ.

رعاية السنة النبوية للمراهق:

فإذا بلغ الولد مرحلة المراهقة فإن السنة النبوية توجه الأسرة المسلمة إلى ما يتناسب مع هذه المرحلة، لإيجاد شباب صالح. وقد ركزت السنة النبوية فى هذه المرحلة على:
أ- تعميق التربية الإيمانية: بغرس روح العبودية والتقوى والمراقبة لله عز وجل. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال:
"كنت خلف النبى ρفقال غلام ألا أعلمك كلمات لعل الله أن ينفعك بهن احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة فإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن فلو اجتمع الناس على أن ينفعوك بشىء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه أو يضروك بشىء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه فإن استطعت أن تعمل لله بالرضى فى اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن الصبر على ما تكره خير كثير واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا"[3]. وفى رواية: "احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا"[4].
إلى غير ذلك من الأحاديث التى تهدف لتحقيق الغاية. التى تحفظ الشباب فى عقيدتهم وعبادتهم وحين يتربى الشاب على التربية الإيمانية الصحيحة، والعقيدة الراسخة، ويتربى على أن الله عز وجل مطلع

---

1 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة 334/1 (495).

2 - منهج السنة النبوية فى تربية الإنسان: صـ 86.

3 - (هناد ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، وأبو نعيم فى الحلية) [كنز العمال 8661]

أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (27/2 ، رقم 1074) ، وهناد فى الزهد (304/1 ، رقم 536) ، وأبو نعيم فى الحلية (314/1) .

4 - من رواية الإمام أحمد فى المسند 307/1.

عليه ويراه، وأن الأمور كلها بيد الله عز وجل، وأنه لن يصيب العبد من خير أو شر إلا ما قدره الله عز وجل له ... فإنه سيفرد الله عز وجل بالعبودية والطاعة، وسيخلص الله عز وجل فى كل أقواله وأعماله وفى ذلك حماية له من التأثر بالعقائد الباطلة أو الأفكار الضالة المنحرفة.

ب- تعميق التربية الخلفية: وقد وضعت السنة النبوية للأسرة المنهج العلمى فى تربية الولد على الخلق القويم، **ومن أهم مبادئ هذا المنهج**:

الأولى: التحذير من التشبه والتقليد الأعمى:

فقال ρ: "ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى"[1]. وفى رواية: "من تشبه بقوم فهو منهم"[2]. وقال أيضا: "لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم"[3]. والنهى هنا عن التشبه والتقليد فى السلوك، والأخلاق، والعادات والتقاليد التى لا تتفق مع أخلاق الإسلام.

الثانى: تربيتهم على الجدية والرجولة:

فلا تستغرق الأسرة فى الترف والنعيم، وتعيش فى تنعم دائم، فذلك لا يصنع رجالاً يشعرون بالمسئولية، أو يتحملون صعاب الحياة، أو يصمدون أمام عدو إغتصب أو إنتهك عرضاً، "ولا يخفى ما فى هذه الظاهرة من إخلاد للراحة، وتقاعس عن واجب الدعوة والجهاد، وإنزلاق فى متاهات الميوعة والانحلال، وسبب لتفشى الأسقام والأمراض"[4]. ا. هـ.

الثالث: وقايتهم من المثيرات الجنسية:

فهى تفسد الأخلاق وتؤدى إلى الانحراف، ولذلك نهت السنة النبوية عن الاستماع إلى الموسيقى والغناء الخليع الذى يحرك الشهوة ويثير الغريزة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : - { و من الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله } قال : هو و الله الغناء([5])

كما أكدت الأحاديث النبوية عن التبرج وإظهار محاسن المرأة منعا للفتنة وإثارة الشهوة، فقال ρ: "صنفان من أهل النار لم أراهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن

---

1 - المعجم الأوسط- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني238/7

الناشر : دار الحرمين - القاهرة ، 1415 تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ,عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني عدد الأجزاء : 10

2 - أخرجه أبو داود (44/4 ، رقم 4031) . وأخرجه أيضًا : ابن أبى شيبة (212/4 ، رقم 19401) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (75/2 ، رقم 1199) .

3 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب اللباس، باب فى لبس الشهرة 314/4 (4031) عن ابن عمر رضى الله عنهما.

4 - تربية الأولاد فى الإسلام: 193/1.

5 - المستدرك - باب تفسير سورة لقمان – 445/2 , برقم ، 3542 حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام"[1]. وفي المستدرك عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : سيكون في آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب مساجدهم نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجاف العنوهن فإنهن ملعونات ....([2])

كما حثت على غض البصر، وعدم الاختلاط بالأجنبيات، وغير ذلك مما يحفظ الشهوة والغريزة.

الرابع : مراقبة أخلاقهم وتعهدها بالعلاج:

فقد يطرأ بعض الخلل على أخلاقهم، أو تبدو بعض الظواهر فى سلوكهم كالكذب أو السرقة. أو عدم حفظ الأمانة، أو خلف الوعد، أو السباب أو الشتائم وغير ذلك من الظواهر القبيحة.. وواجب الأسرة حينئذ تقويم ذلك، وردهم إلى ما أتى به الإسلام، وحثت عليه السنة النبوية، من الصدق والأمانة، والوفاء بالعهد، وتهذيب اللسان، ونحو ذلك من الصفات الحميدة.

ج- العناية بالتربية الجسمية:

بأن تهتم الأسرة بتنشئة أبنائها على خير ما ينشئون عليه من قوة الجسم، وسلامة البدن، وقد أسهمت السنة النبوية بما يساعد على تقوية البناء الجسدى للشباب، ومن ذلك:

*تعويدهم على ممارسة الرياضة:

عن أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : { و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة } ألا إن القوة الرمي ([3])

إلى غير ذلك من الأحاديث.

*التحذير من التقصير فى النفقة عليهم:

*تعويدهم إتباع القواعد الصحية فى المأكل والنوم، ومعالجتهم حين يمرضون. إلى ذلك من التوجيهات النبوية التى تحافظ على الصحة، وتنمى الجسد بما يكسب الشباب درجة عالية من الحيوية والطاقة والتحمل.

د- العناية بالتربية العقلية:

وعلى الأسرة أيضا أن لا يقف اهتمامها عند حد البناء والنمو الجسمى، بل عليها أن تهتم كذلك بتنمية عقل وتكوين فكر الشاب بما هو نافع ومفيد، والبعد به عن الهوى والإتباع الأعمى. وطريق ذلك هو التعليم والتثقيف والتوعية، وحماية العقل مما يضره.

وقد دعت السنة النبوية إلى التعلم والتعليم، : قال رسول الله ρ: "من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة"[4].

---

1 - أخرجه أحمد (355/2 ، رقم 8650) ، ومسلم (1680/3 ، رقم 2128) . وأخرجه أيضًا : أبو يعلى (46/12 ، رقم 6690) ، وابن حبان (500/16 ، رقم 7461) . ومن غريب الحديث : "البخت" : الإبل الخراسانية

2 المستدرك باب الفتن والملاحم – 483/4 ، برقم 8346 فقلت لأبي : و ما المياثر ؟ قال : سروجا عظاما هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

3 - المستدرك للحاكم - تفسير سورة الأنفال 2/ 358. برقم 3267 دار الكتب العلمية – بيرو ت . هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجه البخاري لأن صالح بن كيسان أوقفه تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط البخاري ومسلم

4 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب العلم، باب كراهية منع 67/4 (3658).

وقد نبهت السنة النبوية على أن تركز الأسرة – ثم من بعدهم المربى والمعلم – على تعليم الأولاد وهم فى هذه المرحلة تلاوة القرآن الكريم، وحفظ الأحاديث النبوية، ودراسة السيرة النبوية، وذلك فى قوله ρ: "أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه"[1]. وعن أبى هريرة يبلغ به النبى ρ قال: "ما من رجل يعلم ولده القرآن فى الدنيا إلا توج أبوه يوم القيامة بتاج فى الجنة يعرف أهل الجنة بتعليمه ولده القرآن فى الدنيا"[2].

ومن هذه الخصال الثلاث يتمدد تعليمه أحكام العبادات، ومبادئ الأخلاق، ومسائل الحلال والحرام وهذا من شأنه أن يربط الشاب بدينه ومنهجه ودعوته، ويجعله يقف على التاريخ الإسلامى المملوء بالعزة والمجد، والقوة والحضارة. وفى ذات الوقت يحميه من الفكر المعادى للإسلام ودعوته.

وكذلك اهتمت السنة النبوية بالحفاظ على العقل من كل ما يغيبه ويضره، فأكدت حرمة تناول المسكرات بشتى أشكالها وأنواعها، ودعت إلى اجتنابها، واجتناب التعرض للمثيرات الجنسية وغير ذلك مما له ضرر على العقل.

هـ- العناية بالتربية النفسية:

وذلك يغرس من الفضائل النفسية فى نفوسهم، وذلك كالجرأة والشجاعة وضبط النفس عند الغضب ونحو ذلك حتى تكتمل شخصيتهم بالعقل الناضج والتفكير السليم، والتصرف المتزن، وفى السنة النبوية العديد من النصوص التى توجه الأسرة إلى الإهتمام بهذا الجانب، ومعالجة كل ما يؤثر على نفسية الشباب فيجعله خجولاً، أو جباناً، أو خائفاً، أو يكره الخير للآخرين، أو لا يملك نفسه عند الغضب، ونحو ذلك من الظواهر السيئة التى تعبر عن إنحراف نفسى لدى الشاب. ولعل فى موقف عمر بن الخطاب مع ابنه عبد الله وتمنيه أن يكون قد أجاب على سؤال النبى ρ بما وقع فى نفسه من أنها "النخلة" وقد سبق بيانه ،لعل فى ذلك ما يوضح الحرص على غرس الجرأة فى الشباب ومعالجة ظاهرة الخجل من نفوسهم.

و- العناية بالتربية الجنسية:

والمشكلة الجنسية من أخطر المشكلات التى قد يتعرض لها الأبناء فى مرحلة الشباب، وتلك حقيقة لم تتجاهلها السنة النبوية، بل قال ρ: "ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء"[3].

وحماية للشباب من هذه الشهوة وجهت الأسرة إلى:

أ- التأكيد على آداب الاستعفاف إذا لم يكن للشباب قدرة على الزواج.

ب- تزويجهم عند استطاعة الزواج وأعباءه، فمثلا قال ρ: "النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه الله عز وجل إيمانا يجد حلاوته فى قلبه"[4].

وفى هذا دعوة واضحة إلى تربية شبابنا وفتياتنا على غض البصر لما فيه من العفة وأمن الفتنة.

ونحو ذلك النهى عن الخلو بالأجنبية، والدخول على النساء، والتفريق بين الأبناء والبنات فى المضاجع تجنبا للإثارة الجنسية، وحتى ينشوا على العفة والصلاح، ويتربوا على الفضيلة والخلق.

---

1 - أورده السيوطى فى: الفتح الكبير 59/1.

2 - أخرجه الطبرانى فى الأوسط 36/1 (96).

3 - السنن الصغري للبيهقي باب لا يخلو رجل بامرأة أجنبية 242/5.

4 - أخرجه الحاكم فى المستدرك 314/4 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبى: اسحاق واه، وعبد الرحمن هو الواسطى ضعفوه ا. هـ عن حذيفة رضى الله عنه.

ومن الأمور الهامة المتعلقة بالتربية الجنسية أن على الأسرة تعليم الصبى إذا بلغ سن المراهقة[1]وأنه أصبح بالغا ومكلفا شرعا، يجب عليه ما يجب على الكبار من مسئوليات وتكاليف. وأن يفهموا الفتاة أنها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق واحتلمت فى نومها إذا بلغت السن المذكور ورأت دم الحيض، فقد أصبحت بذلك بالغة ومكلفة شرعا يجب عليها ما يجب على النساء الكبار من مسئوليات وتكاليف.
وهذا واجب الأسرة نحو أبنائها حتى يكونوا على وعى وفهم لما يتصل بحياتهم الجنسية خصوصا وأن الأمر يتعلق فى النهاية بطهارة وعبادة، فقد يصلى الولد أو البنت وهما فى حال جنابة ويظنان أنهما يؤديان حق الله فى العبادة والطاعة، وما ذلك إلا لجهلهم ما يترتب على الجنابة والحيض من أحكام. فإذا لم تقم الأسرة بتوعية الأبناء والبنات بهذه المسائل فمن يقوم بها؟
أما عند إستطاعتهم الزواج وأعبائه فواجب الأسرة تزوجيهم لإشباع غريزتهم وتصريف شهوتهم بالطريق المشروع. وذلك لقوله ρ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه الصوم فإنه له وجاء"[2]. فالزواج عفة وإحصان.
وعند ذلك لا تغفل الأسرة عن تعليمهم أصول المعاشرة الزوجية، وكيفية إتمام العملية الجنسية بما رضى الله تعالى ورسوله ρ.
وقد نبهت الأحاديث النبوية إلى ذلك فأتت بالعديد من الآداب التى على المتزوج أن يسير عليها إذا أراد الجماع بدءا من ليلة الزفاف ودخول الزوج بزوجه إلى أن تتم العملية الجنسية. **كما نبهت إلى محظورات يحرم على الزوجين الوقوع فيها مثل:**
أ- التحدث إلى الناس بما مارسا من جماع: وهو أمر مخالف للمروءة ولا حاجة إليه إلا إذا دعت الضرورة وإلا فهو حرام لما رواه أبو سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبى ρ أنه قال: "شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها"[3].
وقد شبه النبى ρ من فعل ذلك بمثل شيطان وشيطانة لقى أحدهم صاحبه بالطريق فقضى حاجته منها والناس ينظرون[4]. ولو لم يوجه الشباب لذلك وخطورته – إشارة كلاما – لتحدث الزوج عما يقع بينه وبين زوجته إثباتا لرجولته، وتحدثت الزوجة عن ذلك إثباتا لأنوثتها وفتنتها وغير ذلك.
ب- إتيان المرأة فى الدبر: وهو أمر تنفر منه الطبيعة ويحرمه الشرع. وعن ذلك يقول ρ: "لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها"[5]. ولعن من فعل ذلك فقال ρ: "ملعون من أتى امرأته فى دبرها"[6]. عن مجاهد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه على كل آية أسأله فيما نزلت و كيف كانت فأتيت على قوله : { نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم } الآية قال :

---

1 - وهو السن الذى يتراوح ما بين 12 إلى 15 سنة راجع: تربية الأولاد فى الإسلام عبد الله نصح علوان 550/2.

2 - مسلم في صحيحه ج2/ص1019 ح1400.

3 -. البيهقي في سننه الكبرى ج7/ص194 ح13875

4 -.مسند أحمد الجزء السادس – 16/ 574 .

5 - أخرجه الترمذى فى السنن، أبواب الرضاع، باب ما جاء فى كراهية إتيان النساء فى أدبارهن 112/5 [شرح الإمام ابن العربى المالكى] وقال الترمذى: حديث حسن غريب.

6 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب النكاح، باب فى جامع النكاح 618/2 (2162) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

كان هذا الحي من المهاجرين يشرحون النساء شرحا منكرا حيث ما لقوهن مقبلات و مدبرات فلما قدموا المدينة تزوجوا النساء من الأنصار فأرادوهن على ما كانوا يفعلون بالمهاجرات فأنكرن ذلك فشكين ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله عز و جل { نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم } يقول : مقبلات و مدبرات من دبرها بعد أن يكون للفرج قال ابن عباس : و إنما كانت من قبل دبرها في قبلها (1)

ج- إتيان المرأة أيام الحيض والنفاس: وفيه قال النبى ρ: "من أتى حائضا أو امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد ρ"(2). عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمرنا في فور حيضتنا أن نتزر ثم يباشرنا و أيكم يملك أربه كما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يملك أربه (3)

وللأسف الشديد من الأزواج من يأتى زوجته فى دبرها، وفى أيام حيضها ونفاسها لجهله بحرمة ذلك، ويرجع ذلك لغياب دور الأسرة وتجاهلها مثل هذه المسائل إما استحياء وإما للجهل بها.

وهذا يجعل المسئولية أثقل على الدعاة فمن واجبهم دوام التوعية بمثل هذه المسائل، حتى لا يقع أحد فى دائرة الخطأ الشرعى بجانب الأضرار الصحية المترتبة على إتيان المرأة فى مدة الحيض والنفاس، أو يحبس طاقته وغريزته فيضر نفسه بذلك لجهله أنه يجوز للزوج أن يستمتع من المرأة بما فوق الإزار بين السرة والركبة فى حالتى الحيض والنفاس. لما رواه حرم بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله ρ ما يحل لى من إمرأتى وهى حائض؟ فقال: "لك ما فوق الإزار"(4).

رابعا: مراعاة حقوق الوالدين والأرحام: وهذا معلم من معالم الأسرة الصالحة، لأن الإسلام لم يقصر اهتمامه على الزوجين والأبناء فحسب، بل امتد لجميع الأفراد المرتبطين بالأسرة ارتباطا وثيقا كالوالدين والأقارب، وذلك خروجا من المفهوم الضيق للأسرة إلى المفهوم الواسع لها، بما يجعل الأسرة – بدائرتها المحدودة – حلقة ربط المجتمع بأسره، وكأنهم فى النهاية بتتبع الأنساب أسرة واحدة تربط بينهم صلة من صلات القرابة.

1- حقوق الوالدين: وهى لازمة على كل من الزوجين لوالديهما، وعلى الأبناء لوالديهم فالأبوان سبب وجود الولد، وتحملا العبئ الكبير والشئ الكثير فى سبيل تربيته، الأمر الذى يستوجب من الأبناء بر الآباء والقيام بحقوقهم خير قيام. وهذه الحقوق تتمثل فى برهما والإحسان إليهما، والقيام بحقوقهما، وطاعتهما فى المعروف، وفعل ما يرضيهما، واجتناب إساءتهما.

وهذه الحقوق ثابتة بالقرآن الكريم والسنة النبوية. ففى القرآن الكريم يقول الله عز وجل: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا}(5).

---

1 - المستدرك للحاكم – باب من سورة البيقرة 307/2 برقم 3105 تعليق الذهبي قي التلخيص: على شرط مسلم

2 - أخرجه الترمذى فى أبواب الطهارة، باب ما جاء فى كراهية إتيان الحائض 217/1 [شرح الإمام ابن العربى المالكى] وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه. وضعفه الترمذى من قبل إسناده. والإمام أحمد فى المسند 408/2.

3 - المستدرك للحاكم – ك الطهارة 279/1 .برقم - 614 - تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرطهما

4 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الطهارة، باب فى المذى 145/1 (212) وغيره بنحو وبلفظ متقارب.

5 - سورة الإسراء من الآية (23).

وفى السنة النبوية نصوص كثيرة تشير إلى أن بر الوالدين من العمل الذى يحبه الله عز وجل ويرضاه، وأنه يساوى ثواب الجهاد فى سبيل الله، بل مقدم عليه، وأنه يساوى ثواب الحاج والمعتمر، وأنه يوصل إلى نعيم الجنة، وأنه سبب لتفريج الكربات، وزوال الهموم.

ومن هذه الأحاديث ما رواه الحاكم
عن عبد الله بن يسار الأعرج : أنه سمع سالما يحدث عن أبيه : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : عاق والديه و مدمن الخمر و منان بما أعطى (1)
وقد أوضحت السنة النبوية أن الأم مقدمة على البر على الأب لكثرة تعبها فى الحمل والوضع والتربية فقال ρ لمن جاء يسأله يا رسول الله من أحق بحسن صحابتى؟ قال: "أمك. ثم من؟ قال: أمك.

قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك"(2).
وقد اعتبرت السنة النبوية عقوق الوالدين سواء كان بالخروج على طاعتهما، أو إهمال حقهما، أو فعل ما لا يرضيهما، أو إيذائهما ولو بكلمة "أف" أو نظرة تحقير لهما – من أكبر الكبائر.
وبينت أن الله عز وجل يعجل عقوبة العاق فى الدنيا قبل الآخرة فقال ρ: "كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله تعالى يجعله لصاحبه فى الحياة قبل الممات"(3).
2- **حقوق الأرحام** : وهم كل من يرتبط بهم الإنسان بصلة القرابة والنسب. وهذه الحقوق تتمثل فى التواصل والتراحم بين القريب وقريبة. وصلة الأرحام بجانب أنها أمر شرعى فهى أيضا "ضرورة اجتماعية تتطلبها الحياة على هذه الأرض، فإن أعباء الدنيا تثاقل، والإنسان وحده لا قدرة له على مواجهتها، فلا غنى للمرء عن رحمه وذوى قرباه، يكونون معه على الشدائد والملمات"(4). ا.هـ.
وأشارت إلى أن صلة الرحم بركة فى الرزق والعمر، ففي المستدرك عن عطاء بن أبي رباح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : "من سره أن ينسأ له في أجله و يوسع عليه في رزقه فليصل رحمه(5) "
عن ابن عباس رضي الله عنهما : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : مكتوب في التوراة من سره أن تطول حياته و يزاد في رزقه فليصل رحمه (1)

---

1 - المنستدرك للحاكم - ك – الأشربة – 4/ 163 ، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص : صحيح برقم - 7235 .

2 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة 2/8.

3 - أخرجه الحاكم فى المستدرك 156/4 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى. والبيهقى فى الشعب 197/6 (7890) عن أبى بكرة رضى الله عنه.

4 - انظر: الوعى الإسلامى العدد (146) 1397 – 1977م. ص 16 مقال بعنوان "صلة الأرحام للشيخ أحمد عبد الواحد البسيونى.

5 - المستدرك للحاكم – كتاب البر والصلة ، 177/4 . برقم 7281 تعليق الذهبي في التلخيص : موقوف .

والصلة تشمل إمدادهم بالخيرات ودفع الآفات بقدر الإمكان، وزيارتهم، ومساعدة المحتاج منهم بالمال أو السعى فى قضاء مصالحه، وعيادة مريضهم، وشهود جنائزهم، وإفشاء السلام، والتبسم فى وجوههم، وكف الأذى عنهم إلى غير ذلك مما له أثر على تقوية الرابطة بينهم.

المبحث الثالث

العلاقات الإجتماعية كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى

لم يقف دور السنة النبوية عند حد الاهتمام بالعلاقات داخل الأسرة الصغيرة، بل اهتمت كذلك بالعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ليكون المجتمع الإسلامى مجتمعا متآلفا مترابطا، وليزداد – بعد بناء الأسر القوية المترابطة – صلابة ومتانة، حتى يستطيع أبناؤه تحمل المسئولية والأعباء التى تتطلبها الدعوة، ويكونوا فى ترابطهم كالبنيان المرصوص، وفى تعاطفهم كالجسد الواحد، يرحم كبيرهم صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم، ويأخذ غنيهم بيد فقيرهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.
وقد جاء اهتمام السنة النبوية شاملا للعلاقات التى بين الناس جميعا سواء علاقة المسلم بأخيه المسلم، أم علاقته بغيره.
أولا: علاقة المسلم بأخيه المسلم: حددت السنة النبوية ملامح هذه العلاقة بما يعمق الرابطة بينهم، وبما يولد فى النفس أصدق العواطف النبيلة، وأخلص الأحاسيس الصادقة فى اتخاذ مواقف إيجابية:
من التعاون والإيثار والرحمة والعفو والتنفيس وقت الشدة، والتكافل عند العجز.
وفى اتخاذ مواقف سلبية: من الابتعاد عن كل ما يضر بالناس فى أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وكرامتهم الإنسانية[2].

---

1 - المستدرك – ك – البر والصلة – 177/4 . برقم - 7279 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث يونس عن الزهري عن أنس تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

2 - الأخوة الإسلامية: عبد الله ناصح علوان صـ 5.

علاقة المسلم بأخيه المسلم تشمل:

1- **العلاقة العامة بالمسلمين**: ومن الأحاديث التى تحدد العلاقة ما جاء عن أبي مسعود الأنصاري : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : للمسلم على المسلم أربع خلال يجيبه إذا دعاه و يعوده إذا مرض و يشمته إذا عطس و يشيعه إذا مات (1)

إلى غير ذلك من الأحاديث التى تصور العلاقة العامة بين المسلمين جميعا، وقد تناولت أحاديث كثيرة : إفشاء السلام ورده، وإجابة الدعوة، وتقديم النصيحة بصدق وإخلاص، وتشميت العاطس، وعيادة المريض، وإتباع الجنائز، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم والوقوف بجانبه، والتنفيس عن المكروب، والتيسير على المعسر، وستر العيوب، وحفظ الأعراض، وصون الحرمات والابتعاد عن الأذى كالحسد والتباغض والظلم والتحقير، والابتعاد عن سوء الظن.

هذا إلى جانب ما ينبغى أن تتسم به هذه العلاقة من الوفاء والأمانة، والتواضع وخفض الجناح، والإيثار والتعاون، وسلامة الصدر، وضبط النفس، وإصلاح ذات البين، والسعى فى قضاء الحاجات وغير ذلك مما له الأثر فى تقوية العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم.

2- **العلاقة بالجيران**: وقد حددت السنة النبوية ملامح العلاقة بين الجار وجاره، حيث أكدت على إكرامه والإحسان إليه والترهيب من إيذائه، ومن الأحاديث فى ذلك:ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه ثنا أن رجلا قال : يا رسول الله إني ذو مال كثير و ذو أهل و ولد فكيف يجب لي أن أصنع أو أنفق ؟ قال : أد الزكاة المفروضة طهرة تطهرك و آت صلة الرحم و اعرف حق السائل و الجار و المسكين و ابن السبيل قال : يا رسول الله أقلل : فآت ذا القربى حقه و المسكين وابن السبيل و لا تبذر تبذيرا قال : يا رسول الله إذا أديت الزكاة إلى رسول رسول الله فقد أديتها إلى الله و إلى رسوله ؟ قال : نعم إذا أديتها إلى رسوله فقد أديتها و لك أجرها و على من بدلها إثمها (2)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم جاره ، .....) (3)

إلى غير ذلك من الأحاديث التى تتعلق بذلك.

3- **العلاقة بالضعفاء**: كاليتامى، والفقراء والمساكين، والأرامل، والمرضى. ونحوهم.

وكما جاء في المستدرك للحاكم فلم تغفل السنة النبوية العلاقة بهؤلاء الضعفاء، بل أوصت بالإحسان إليهم والاهتمام بهم وشئونهم، حتى لا يشعرون بنقص وإذلال، وحتى لا يضيعوا داخل المجتمع.

*ومما ورد فى شأن اليتامى والمحافظة علي حقوقه والنهي عن الطمع فيها ما جاء : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إني أحرج عليكم حق الضعيفين : اليتيم و المرأة (4)

وفي التشديد علي حق اليتم وبيان العقوبة الكبيرة في الأخرة لمن يعتدي علي حقه ، ما جاء ايضا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة و لا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر و آكل الربا و آكل مال اليتيم بغير حق و العاق لوالديه (1)

---

1 - المستدرك - ك الجنائز 1/ 500 برقم 1292 ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بهذا اللفظ إنما أخرجاه من حديث الأوزاعي عن الزهري- دا ر الكتب العلمية – بيروت .

2 - المستدرك – 2/ 392 برقم 3374 . تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

3 - المستدرك – كتاب البر والصلة - 182/4 – برقم – 7297 - دا ر الكتب العلمية – بيروت .

4 - المستدرك – ك – الإيمان -131/1 برقم -211 تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم.

*وفى شأن الأرملة والمسكين: كان يحيى بن عقيل يقول : سمعت عبد الله بن أبي أوفى يقول : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر الذكر و يقل اللغو و يطيل الصلاة و يقصر الخطبة و لا يستنكف أن يمشي مع العبد و الأرملة حتى يفرغ لهم من حاجتهم ([2])

*وفى شأن المملوك: عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ρ قال: "للمملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف إلا ما يطبق، فإن كلفتموهم فأعينوهم، ولا تعذبوا عباد الله خلقا أمثالكم"[3]. وفي المستدرك وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعود المريض و يتبع الجنائز و يجيب دعوة المملوك و يركب ...."([4])

وكان ρ يحب مخالطة المساكين ويتمني أن يحشر معهم ، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ρ يقول : اللهم احيني مسكينا و توفني مسكينا و احشرني في زمرة المساكين و إن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا و عذاب الآخرة ([5])

وكان يتقرب الي الله تعالي بحبهم وويرجو الله أن يرزق اياه ، فعن عبد الرحمن بن عايش الحضرمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول و ذكر الرب تبارك و تعالى فقال : قل اللهم إني أسألك الطيبات و ترك المنكرات و حب المساكين و أن تتوب علي و تغفر لي و ترحمني و إذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فعلموهن فوالذي نفسي بيده إنهن الحق ([6])

*وفى شأن المريض: فقد كان من خلقه ρ عيادة المريض ،عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعود المريض و يتبع الجنائز و يجيب دعوة المملوك و يركب الحمار ....."([7])

وقد علم الصحابة آداب وأخلاق الإسلام في الزيارة وحثهم علي الدعاء بالشفاء والخير للمريض ،عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا حضرتم الميت أو المريض فقولوا خيرا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون فلما توفي أبو سلمة أتيت النبي صلى الله عليه و سلم

---

1 - المستدرك – ك – البيوع 43/2 برقم - 2260 تعليق الذهبي قي التلخيص : إبراهيم بن خثيم بن عراك بن مالك قال النسائي متروك

2 - المستدرك – ك- من آيات رسول الله برقم 4225 - 671/2 . تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

3 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 247/2، 342.

4 - المستدرك – ك- تفسير سورة ق – 2/ 506 برقم - 3734 --الذهبي قي التلخيص : صحيح -

5 -المستدرك -، كتاب الرقاق – 358/4 -7911 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

6 - المستدرك كتاب الدعاء والتكبير 702/1 برقم 1912 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و قد روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم مثله .

7 - المستدرك ك- تفسير سورة ق – 506/2 ، برقم 3734 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح -

فقلت : كيف أقول ؟ قال : قولي اللهم اغفر لنا و له و أعقبني منه عقبى صالحه فقلتها فأعقبني الله محمدا صلى الله عليه و سلم"([1])
وكان من دعائه ρ ،أن يسأل الله تعالي الشفاء للمريض ،عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه ذلك ([2])
وفى شأن ضعفاء المسلمين عامة: عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ρ يقول: "ابغونى الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم"[(3)].
وفي الوقت الذي ينفر فيه الكثيرون من السلمين بالبعد والصد عن الضعفاء والمساكين ، يحثنا صلي الله عليه توسلم علي النقض من ذلك ، فقد كان سلوكه كله قرب ومودة ، يعودهم ويتودد اليهم ليكون ذلك سوكا متخذا ومنتهجا في امته من بعده عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنف عن أبيه رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يأتي ضعفاء المسلمين و يزورهم و يعود مرضاهم و يشهد جنائزهم ([4])
وهكذا تجعل السنة النبوية العلاقة بالضعفاء أساسها الإحسان إليهم، والرحمة بهم والشفقة عليهم، وملاطفتهم، والتواضع معهم. وفى هذا – بلا شك – أعظم الأثر على تقوية العلاقة والرابطة بين أفراد المجتمع.
وبجانب تحديد علاقة المسلم بأخيه المسلم فهناك آداب اجتماعية مرتبطة كل الارتباط بالعلاقات الاجتماعية، فالتعامل الإجتماعى بين المسلمين ينبغى أن يتسم بالذوق والأدب الرفيع.. وهذا ما حرصت السنة النبوية من خلال أحاديث المستدرك على تأكيده. وفيما يلى إشارة لبعض هذه الآداب.

الآداب الاجتماعية العامة:

ويمكن إجمال هذه الآداب فى:

أولا: آداب السلام والتحية:

التحية فى المجتمع علاقة من العلاقات، وقد أوضحت السنة النبوية أن الإسلام قد جاء بتحيته الخاصة التى تميز المجتمع المسلم. وهى "السلام عليكم" أو "السلام عليكم ورحمة الله" أو "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته". عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبى ρ فقال: السلام عليكم، فرد عليه، ثم جلس فقال النبى ρ: "عشر".
ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، ثم جلس فقال: "عشرون" ثم جاء آخر فقال "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" فرد عليه فجلس فقال: "ثلاثون"[(5)]. عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه : قال : لما ورد رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة انجفل الناس إليه انجفل الناس إليه و قيل قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : فجئت في الناس لأنظر فلما تبينت وجهه عرفت أن

---

1 - المستدرك - ك- ذكر ام المؤمنين أم سلمة 17/4- 6758 -تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم إن لم يكونا أخرجاه .

2 - المستدرك – ك كتاب الطب 4/ 236 - 7487 - الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم.

3 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الجهاد، باب فى الانتصار برذل الخيل والضعفة 73/3 (2594).

4 - المستدرك - ك- تفسير سورة ق 506/2 برقم 3735 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح دار الكتب العلمية بيروت

5 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب كيف السلام 379/5 (5195).

وجهه ليس بوجه كذاب و كان أول شيء سمعته يتكلم أن قال : يا أيها الناس أفشوا السلام و أطعموا و صلوا الأرحام و صلوا و الناس نيام تدخلوا الجنة بسلام([1])

ولأنه وسيلة من وسائل نشر الألفة والمحبة فى المجتمع أوصت به السنة النبوية " عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لن تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه قالوا : بلى يا رسول الله قال : أفشوا السلام بينكم تحابوا ..... "([2])

ونهت عن التشبه بالأجانب فى السلام فقال ρ: وفى هذا تمييز لخصائص الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم الأخرى فى آدابها الاجتماعية ومزاياها السلوكية والأخلاقية[3].

ومن آداب السلام ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ρ أنه قال: "يسلم الراكب على الماشى، الماشى على القاعد، والقليل على الكثير"[4]. وفى رواية: "يسلم الصغير على الكبير"[5] ويقرأ السلام عرف من عرف ومن يعرف

ثانيا آداب الاستئذان:

دخول البيوت ترجمة للعلاقات بين الناس، وللبيوت حرمتها التى يجب أن تراعى حتى لا تفسد العلاقة بين الزائر والمزور. ومن آداب الاستئذان التى وجهت إليها السنة النبوية.

أ-أن يسلم ثم يستأذن: لما رواه منصور بن ربعى قال: أخبرنا رجل من بنى عامر أنه إستئذن على النبى ρ وهو فى بيت، فقال: أألج، فقال رسول الله ρ لخادمه: "أخرج إلى هذا فعلمه الإستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم. أدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ قال فأذن له النبى ρ فدخل"[6].

ب-أن يعلن عن اسمه أو صفته أو كنيته: لما رواه جابر رضى الله عنه قال: أتيت النبى ρ فى دين كان على أبى فدفعت الباب فقال: من هذا ؟ فقلت: أنا، فقال ρ: أنا أنا؟ كأنه كرهها"[7].

قال علماؤنا: إنما كره النبى ρ ذلك لأن قوله: أنا، لا يحصل بها تعريف، وإنما الحكم فى ذلك أن يذكر اسمه كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وأبو موسى[8] رضى الله عنهما، لأن فى ذكر الاسم

---

1 - المستدرك ك- الهجرة 14/3 – برقم 4283 -تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

2 -المستدرك - ك البر والصلة 185/4-- برقم - 7310 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح -

3 - تربية الأولاد فى الإسلام عبد الله ناصح علوان 428/1.

4 - أخرجه البخارى فى الاستئذان، باب تسليم الراكب على الماشى، وباب تسليم الماشى على القاعد 64/8.

5 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الاستئذان، باب تسليم القليل على الكثير، وباب تسليم الصغير على الكبير 64/8. وغيره.

6 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان 369/5 (5177).

7 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الاستئذان، باب إذا قال من ذا، فقال أنا 68/8.

8 - عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى قال: جاء أبو موسى إلى عمر بن الخطاب فقال: السلام عليكم، هذا عبد الله ابن قيس، فلم يأذن له، فقال السلام عليكم، هذا أبو موسى. السلام عليكم. هذا الأشعرى، ثم انصرف. فقال: ردوا على..." الحديث أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الآداب، باب الاستئذان 1696/3 (2154).

إسقاط كلفة السؤال والجواب[1]" ا.هـ. وقال ابن كثير: وإنما كره ذلك لأن هذه الفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه المقصود من الاستئذان الذى هو الاستئناس المأمور به"[2] ا.هـ.

ج-أن يستأذن ثلاث مرات: لما جاء عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ρ الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع"[3].

هـ-أن يتحول عن الباب عند الاستئذان: فعن عبد الله بن بسر رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ρ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم[4]. وعنه أيضا قال: سمعت رسول الله ρ يقول: "لا تأتوا البيوت من أبوابها ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا. فإن أذن لكم فادخلوا وإلا فارجعوا"[5].

وهذا الأدب مظنة وقوف امرأة أجنبية أثناء فتح الباب، والاستئذان من أجل النظر[6] وهذا ما أكده النبى ρ لأصحابه حين قال: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"[7].

و-أن يرجع إذا قال له رب المنزل إرجع: لقوله تعالى: { وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى) وقوله ρ: "... فإن أذن لكم فادخلوا وإلا فارجعوا"[8].

تلك أهم الآداب التى أكدتها السنة النبوية فى الإستئذان حتى يعتادها المدعون فى حياتهم الإجتماعية حتى لا يهجمون هجوماً على البيوت كما كان الناس يفعلون فى الجاهلية، فيدخل الزائر منهم البيت. يقول: لقد دخلت. وفى هذا بلا شك إيذاء وجرح للبيوت، فقد تكون عورة مكشوفة من رجل أو امرأة فتقع العين على ما يثير فيؤدى ذلك إلى الفتنة.

آداب المجلس: وهى (أ) أن يصافح من يلتقى بهم فى المجلس: لقوله ρ: "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا"[9].

ب- أن يجلس فى محاذاة الناس لا فى وسطهم: لما رواه حذيفة رضى الله عنه أن رسول الله ρ لعن من جلس وسط الحلقة"[10]. وهذا محمول إن كان فى المجلس سعة، وإما أن كان فى المجلس ضيق فلا إثم ولا حرج"[1]. ا.هـ.

---

1 - انظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى 227/12.

2 - راجع: تفسيره 279/3.

3 - راجع: تفسيره 279/3.

4 - أخرجه البزار فى كشف الأستار" 421/2 (008).

5 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل فى الاستئذان 374/5 (5186).

6 - أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد 44/8 وقال: رواه الطبرانى من طرق ورجال هذا رجال صحيح غير محمد بن عبد الرحمن بن عرق وهو ثقة أ.هـ.

7 - جزء من حديث أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل النصر 66/8.

8 - سورة النور: الآية (28). والحديث أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (44/8) ، وقال الهيثمى : رواه الطبرانى من طرق ورجال هذا رجال الصحيح غير محمد بن عبد الرحمن بن عرق وهو ثقة . وأخرجه أيضًا : البزار (429/8 ، رقم 3499) .

9 - فى ظلال القرآن سيد قطب: 2507/4. بتصرف.

10 - أخرجه الطبرانى فى الأوسط 333/6 (6555) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

ج- أن لا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما: لقوله ρ: "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا [2]. وفى رواية: "لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما"[3].
هـ- أن يجلس حيث ينتهى به المجلس: فعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال: "كنا إذا أتينا النبى ρ جلس أحدنا حيث ينتهى"[4].
*إلى جانب ألا يتكلم اثنان سرا فى حضرة ثالث[5]، ومن ترك مجلسه لحاجة ثم رجع فهو أحق[6]،.
رابعا: آداب الطريق: وهو من الآداب الاجتماعية الهامة التى يجب بها المدعوون وهى:
أ-إبعاد الأذى عن المارين: ويشمل تنحية الأذى عن الطريق، وأيضا عدم إلقائه.
ب- عدم قضاء الحاجة فى موضع يمر به الناس: عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد و قارعة الطريق و الظل للخرأة (7)
كما حث لإسلام علي احترام المارة وعدم السخرية منهم باللسان أو النظر ، وقد عده رسول الله صلي الله عليه وسلم من المنكرات ،عن أم هانئ رضي الله عنها : سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم قالت : قلت يا رسول الله أرأيت قول الله تبارك و تعالى { و تأتون في ناديكم المنكر } ما كان ذلك المنكر الذي كانوا يأتونه ؟ قال : كانوا يسخرون بأهل الطريق و يخذفونهم (8)
ج-الحرص على غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ρ قال: "إياكم والجلوس فى الطرقات" قالوا يا رسول الله: ما لنا بد من مجالسنا، نتحدث فيها، قال رسول الله ρ: "فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه". قالوا: وما حقه؟ قال: "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"[9].

---

1 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب فى الجلوس وسط الحلقة 164/5 (4826).

2 - تربية الأولاد فى الإسلام عبد الله ناصح علوان 435/1.

3 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب فى الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما 175/5 (4845).

4 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب فى الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما 175/5 (4844).

5 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب فى التحلق 164/5 (4825).

6 - عن عبد الله رضى الله عنه قال النبى ρ: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر..." أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة والمناجاة 80/8.

7 - المستدرك - ك – الطهارة 273/1 برقم 594 ، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه إنما تفرد مسلم بحديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة : اتقوا اللا عنين قالوا : و ما اللاعنان ؟ قال : الذي يتخلى في الطريق تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

8 - المستدرك - ك - الأدب 316/4 ، برقم 7761 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

9 - شعب الإيمان للبيهقي – السابع والثلاثون من شعب – 364/4

وباستعراض الأحاديث نجد غير ذلك من الآداب الاجتماعية كآداب الحديث، والمزاح والتهنئة، وعيادة المريض، والتعزية، والطعام والشراب، والعطاس والتثاؤب، وهذه الآداب فى مجموعها تدل على أن الإسلام حبرًا على ورق، أو كتابًا على الرف[1]. إنها وإن تك فى صورة آداب اجتماعية فإنها فى جوهرها تشريع وقائى يهدف إلى تحصين هزة المجتمع الإسلامى وبقائه قويا قادرا على حمل أمانة الدعوة إلى الله عز وجل فى داخله ترسيخا وتطهيرا، وفى خارجه إيجادا وانتشارا[2].

ثانياً: علاقة المسلم بغيره: وبشأن علاقة المسلم بغيره فقد أكدت الأحاديث النبوية ما نص عليه القرآن الكريم من أن "علاقة المسلمين بغيرهم، علاقة تعارف، وتعاون، ويسر وعدل... ومن مقتضيات هذه العلاقة: تبادل المصالح، واطراد المنافع، وتقوية العلاقات الإنسانية، والإخاء العالمى"[3]. ا.هـ.

فأقرت الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلون المسلمين ولا يعاونون على إيذائهم ومحاربتهم،عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قدمت قتيلة بنت العزى بنت أسعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما و كان أبو بكر طلقها في الجاهلية فقدمت على ابنتها بهدايا ضبابا و سمنا و إقطا فأبت أسماء أن تأخذ منها و تقبل منها و تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها و تدخلها منزلها فأنزل الله عز و جل { ا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم } ([4])

ومما سلف يتضح لنا أهم الأسس التى قام عليها البناء الإجتماعى فى الإسلام وكيف أجلت كلمة الوحى الإلهى فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية أهم ملامحه التكافل الإسلامى، وتكوين الأسرة ومراعاة الحقوق الزوجية فضلا عن حقوق الآباء على الأبناء والأبناء على الآباء، ومراعاة المراحل العمرية التى يمر بها الإنسان بل قبل ولادته وكيف رعى الإسلام واهتم بالإنسان وهو نطقه فى رحم أمه وبعد ولادته وفى أثناء طفولته وشبابه وأثناء مرحلة المراهقة فالشيخوخة والكهولة وقد شرع الإسلام لكل مرحلة من هذه المراحل من التشريعات ما بقى الإنسان من أى فساد أو انحراف، كما أجلى الإسلام فى كلمة الوحى الإلهى أهم العلاقات الاجتماعية (علاقة الإنسان بوالديه) وعلاقته بأقاربه، وعلاقته بجيرانه، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقة الدول بعضها ببعض وقته من التشريعات ما يؤكد روح التعاون والترابط والتضامن والتكافل والتمسك بالقيم والمفاهيم الإسلامية بقدر تمسكنا والتزامنا بهذه القيم والمبادئ الإسلامية بقدر ما نحس بالأثر العملى داخل نفوسنا وبيوتنا ومجتمعنا وكذا أثره على أفراد الإنسانية جمعاء.

---

1 - للمزيد عن هذه الآداب راجع: تربية الأولاد فى الإسلام عبد الله ناصح علوان 437/1 - 464.

2 - مجتمع المدينة المنورة فى عهد رسول الله ρ: 358 "تقدم".

3 - عناصر القوة فى الإسلام: السيد سابق. صـ 208 دار الكتاب العربى. بيروت. لبنان 1406هـ - 1986م.

4 - المستدرك – ك- تفسير سورة الممتحنة 2/ 527 برقم - 3804 -. هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

الفصل الثاني

الأثر العملي لأحاديث المستدرك

في الحياة السياسية المعاصرة

وتحدثت فيه عن:

أولا:-

اثر أحاديث المستدرك في الناحية السياسية

ثانيا:-

مناصرة ولاة الأمر

ثالثا:-

إقامة الحكم علي مبدأ الشورى

رابعا:-

احترام الحقوق وصيانة العرض

(الفصل الثانى)

الأثر العملى للأحاديث النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم

فى الحياة السياسية المعاصرة

تمهيد

السياسة الداخلية للدولة فى الإسلام كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى

المبحث الأول: أثر أحاديث المستدرك فى السياسة الداخلية.

المبحث الثانى:-

السياسة الخارجية للدولة فى الإسلام كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.

تمهيد:

لقد شاعت فى الآونة الأخيرة بعض الافتراءات فى البيئة الإسلامية كتلك التى يردد البعض: (لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة) ظناً منهم أن هذه المقولة المدعاة حق، وقد تأثر البعض بها واهما بأن الدين شئ والسياسة شئ آخر ينفصل عنه، ولا علاقة بين الدين والسياسة.

ومفدى الأمر أن الدين شامل لكافة المناحى الحياتية والسياسة جزء عن الدين، وفرع من فروع الشريعة الإسلامية.

وفى هذا الصدد يحدثنا الإمام الغزالى مؤكدا: أن السياسة فى الإسلام أصل من أشرف الأصول التى لا قوام للعالم إلا بها، لأنها تستهدف استصلاح البشر دون تمييز، تحقيقا لإنسانية الإنسان، وعمارة الدنيا وإقامتها على أساس من الحق والعدل المطلق، والفضائل والوحدة الإنسانية ومصلحتها العليا وما يستلزم ذلك من تحقيق التكافل الإنسانى الملزم فى مجالات الحياة كلها، والتعاون المثمر على الصعيد الدولى بشتى الوسائل الممكنة على الرغم من اختلاف الدين[1].

ولما كانت السياسة جزءً من الشريعة، فإننا نجد أن الحكومة النبوية لم تكن حكومة دينية فحسب، بل كانت حكومة سياسية أيضا، فهو الذى كان يقود الجيوش ويفصل فى الخصومات، وقد جمعت بين السلطتين الدينية والدنيوية معا[2].

"وقد كان ρ سياسيا يدير شئون الأمة الداخلية والخارجية على أحسن وجه، وأروع صورة، وهل هى سيرته ρ تشهد على أنه كان يبرم العهود والمواثيق بين المسلمين والمشركين حينا، كما حدث فى صلح الحديبية، وبين المسلمين واليهود حينا آخر كما حدث قبيل موقعة الخندق وتجمع الأحزاب[3]."

فالإسلام إذن دين ودولة، عقيدة وشريعة، إيمان وحكم، عبادة وقيادة، مصحف وسيف، ولا اعتبار أو التفاوت لمن يزعم غير ذلك فيدعى بأن الإسلام لا شأن له بالسياسة، بل هو شعائر تعبدية كصلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك مما لا علاقة له بشئون الحكم والدولة، فهذا يسيره الحكام تبعا لما يروا بعيدا عن ارتباط ذلك بدين الله عز وجل. ومثلهم خاطئون فى فهمهم، ويجهلون حقيقة الإسلام وشموله، وبأن أحكام الإسلام لا تقبل التجزئة والانفصال، وكأنهم لم يقرءوا أو يسمعوا قول الله عز وجل:

(أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) [1].

---

1 - خصائص التشريع الإسلامى فى السياسة والحكم د. فتحى الدرينى 332 مؤسسة الرسالة بيروت ط (1) 1982م.

2 - (خصائص الدعوة الإسلامية) محمد أحمد حسن ص237، وانظر أيضا (النظم الإسلامية) د. حسن إبراهيم حسن ص 152 مكتبة النهضة المصرية بيروت تاريخ.

3 - الدين والدولة: د/البهى صـ 198. مكتبة وهبة. الطبعة الثانية 1400هـ - 1980م.

ولكى تستقيم هذه الناحية فى حياة الناس شرع القرآن الكريم والسنة النبوية من المبادئ والأسس التى تضبط علاقة الراعى بالرعية، وتحدد مسئولية كل منهما تجاه الآخر، وقد كان للسنة النبوية دور هام وأثر واضح فى هذه الناحية، حيث أتت بمجموعة من القواعد والأحكام التى تتعلق بالحاكم والمحكوم، وتحدد علاقة الدول المسلمة بغيرها من الدول الأخرى. وفيها الكثير من الأحاديث المتعلقة بشئون الحكم، وأمر الخلافة، وبيان مسئوليها، وكيفية القيام بحقوقها وواجباتها، وغير ذلك مما حوته السنة النبوية من بيان المبادئ العامة للنظام السياسى الإسلامى. ولأهمية هذا الجانب أفرد الإمام البخارى فى صحيحه كتاباً جمع فيه الأحاديث الصحيحة التى وردت عن النبى ρ متعلقة بالخلافة وشئون الحكم أسماه "كتاب الأحكام"[2]. كما خصص الإمام مسلم فى صحيحه أيضاً كتاباً أسماه "كتاب الإمارة"[3].
وكذلك الإمام الحاكم في المستدرك خصص كتابا سماه " الأحكام " كما أن كتب السنة الصحيحة مليئة بالأحاديث الموضحة لهذا الأمر.
وقد قسم الإمام ابن القيم رحمه الله السياسة إلى نوعين:
أ- سياسة ظالمة وهذه تحرمها الشريعة.
ب - سياسة عادلة وهذه من الشريعة[4].
أما الأولى فلا شأن لى بها ولا حديث لى عنها، إذ أنها ليست من الشريعة فى شئ بل إنها تحرمها، ولها آثار سلبية على المجتمع، وأما الثانية التى تفرق بين الحق والباطل، وتدير شئون الرعية بما يحقق لهم الخير والنفع، وتحفظ لكل فرد حريته وكرامته فتلك هى التى نتعرف على معالمها وعلى أثر السنة النبوية فيها. ولعل من المفيد قبل التعرف على ذلك أن أشير بإيجاز إلى السياسة التى كانت تسود المجتمع العربى قبل بعثة النبى ρ، ثم القواعد التى قام عليها النظام السياسى فى الإسلام.
*السياسة التى كانت تسود المجتمع المدنى قبل مجئ الرسول ρ: كان النظام القبلى هو النظام السائد فى المجتمع العربى قبل الإسلام، إذ كان شيخ القبيلة هو الحاكم الأعلى وصاحب السلطة وأوامره مستمدة من العرف القائم ولاسيما الذى يحقق مصالح قبيلته، وكل قبيلة تحاول أن تبسط سيطرتها ونفوذها على غيرها من القبائل، لهذا سادت روح العداوة بين القبائل المختلفة، وثارت الحروب بينهم لأوهى الأسباب، وكانت السياسة الداخلية لكل قبيلة هى قولهم المأثور: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما". أما سياسة اليهود بالمدينة فكانت تقوم على إشعال روح العداوة وإيقاظ الفتنة بين الأوس والخزرج وتأجيج نار الحرب بينهم، وقامت سياستهم مع غيرهم دائما على المراهنات وتعطى الربا والفساد التى اتصفوا بها عبر العصور. وأمام هذا الوضع المتردى من سياسة عربية قبلية، وسياسة يهودية خبيثة وجه رسول الله ρ عنايته واهتمامه لوضع قواعد أساسية للنظام السياسى فى المجتمع الإسلامى، مهتديا بكتاب الله عز وجل[5].".
*قواعد النظام السياسى فى الإسلام: وتتلخص هذه القواعد فى:

---

1 - سورة البقرة: الآية (85).

2 - صحيح البخارى9/77 - 102.

3 - صحيح مسلم 3/1451 - 1528.

4 - الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية: صـ 5.

5 - مجتمعنا المعاصر أسباب ضعفه ووسائل علاجه د/عبد الله سليمان المشوخى صـ 99.

1- الحاكمية لله عز وجل. فالحكم والتشريع لله عز وجل، وهذه القاعدة التى جاء بها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فكانت دعواتهم دائما قائمة على أساس {... إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[1].
2- الشورى. 3- الطاعة. 4- العدل والمساواة[2].
وفيما يلى تفصيل الأثر العملى للأحاديث النبوية فى هذه الناحية. سواء فيما يتعلق بالشئون الداخلية للدولة أو الشئون الخارجية لها.

أولا:-أثر السنة النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم فى الناحية السياسية

أولاً: أثرها فى السياسة الداخلية: ويبدو هذا الأثر فيما يأتى:
أولا: تنظيم العلاقة بين الراعى والرعية:
فقد نظمت السنة النبوية هذه العلاقة بما يعطى لكل منهما حقه، وبما يكشف عن الحقوق والواجبات التى تلزم كل منهما.
أ- أما ما يتعلق بالراعى (الحاكم) وواجباته نحو الأمة: فقد حددت الأحاديث النبوية ما يتعلق بالحاكم ومهمته، ومن ذلك على سبيل المثال:
*أسلوب اختياره: حيث ركزت السنة النبوية على ضرورة اختيار يرضى أفراد الرعية، إذ الإمامة أو الخلافة عقد بين الخليفة والرعية يلزم له الرضا.
وقد حرص النبى ρ على غرس هذا الأصل فى المجال السياسى بما فعله ببيعة العقبة الأولى والثانية، مع أنه رسول الله ρ وما كان بحاجة إلى رضا الناس، لكنه حرص حين مهد لإقامة الدولة أن تكون إمامته ورئاسته لهذه الدولة برضا من المسلمين. ثم ما فعله حين ترك تعيين خليفة من بعده ليتم اختياره برضا المسلمين، الأمر الذى حرص عليه الخلفاء الراشدون من بعده[3].
ومن ثم فالأمة هى صاحبة الحق فى اختيار من تراه أهلا لمنصب الخلافة[4].
قال ابن قدامة: "من اتفق المسلمون على إمامته وبيعته ثبتت إمامته ووجب معونته"[5].
وإذا كانت الأمة هى التى تختار الخليفة فكيف تماس هذا الاختيار، هل تقوم به مباشرة، بأن يقوم جميع أفرادها بإبداء رأيهم بمن يرضونه لهذا المنصب، أم يقوم به طائفة منها نيابة عنها؟.
الواقع أن كلاهما متروك للأمة، فهى التى تختار طريقة اختيارها للإمام، وإن كانت الثانية لها سندا عمليا فى عصر الخلفاء الراشدين، فقد تم انتخابهم من قبل طائفة من المسلمين، هم الذين يسميهم

---

1 - سورة يوسف: الآية (40).

2 - مجتمعنا المعاصر صـ 102 وما بعدها بتصرف يسير.

3 - دين ودولة د/ على جريشة صـ 82 وما بعدها. دار البحوث العلمية بالكويت الطبعة الأولى 1399هـ - 1979م.

4 - راجع: أصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان صـ 197.

5 - المغنى لابن قدامة 107/8.

الفقهاء بأهل الحل والعقد[1]، ثم تبعه المسلمون فبايعوا من اختاروه خليفة، ولم ينقل لنا اعتراض على هذه الطريقة، لا من الخلفاء الراشدين ولا من غيرهم[2].
*ألا يطلب الإمارة حبا للزعامة: فالحكم مسئولية عظيمة وعبء ثقيل، والرياسة فى حقيقتها تكليف وليست تشريف حتى يطلبها المرء أو يحرص عليها، ولذلك جاءت السنة النبوية بالنهى عن طلب الإمارة والحرص عليها، فهى أمانة يجب أداؤها. وهذا ما بينه صلي الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه عندما سأله شيئا من الإمارة ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول أمرني قال : الإمارة أمانة و هي يوم القيامة خزي و ندامة إلا من أمر بحق و أدى بالحق عليه فيه[3].
وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لى رسول الله ρ: "يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة، أكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها"[4]. وفى قوله ρ: "لا تسأل الإمارة" قال القرطبى: هو نهى وظاهره التحريم ... وسببه أن سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا أو شك أن تغلب عليه نفسه فيهلك، وهذا معنى قوله: "وكل إليها". ومن أباها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير فى حقوقها، وفرّ منها، ثم إن ابتلى بها فيرجى له ألا تغلب عليه نفسه للخوف الغالب عليه، فيتخلص من آفاتها، وهذا معنى قوله: "أعين عليها". وهذا كله محمول على ما إذا كان هنالك جماعة ممن يقوم بها ويصلح لها، فأما لو لم يكن هنالك ممن يصلح لها إلا واحدة لتعين ذلك عليه ووجب أن يتولاها، ويسأل ذلك، ويخبر بصفاته التى يستحقها بها من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) }[5].
، ولعل النهي عنها محمول علي من كان عنده ضعف عن القيام بواجباتها وتحمل مسئولياتها ، ويتضح ذلك جليا من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن الحارث بن زيد الحضرمي : أن أبا ذر رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم : أمرني فقال : إنك ضعيف و أنها أمانة و أنها يوم القيامة خزي و ندامة "[6]. أى ضعيف عن القيام بما يتعين على الأمير من مراعاة مصالح رعيته الدنيوية والدينية فكان النهي عنها له علته ، وعن يزيد بن شريك : أن الضحاك بن قيس بعث معه بكسوة إلى مروان بن الحكم فقال مروان للبواب : أنظر من بالباب ؟ قال : أبو هريرة فأذن له فقال : يا أبا هريرة حدثنا شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : سمعت رسول الله صلى الله

---

1 - أى العلماء الذين يمكنهم استنباط الأحكام من الكتاب والسنة. قال الرازى عند تفسير قوله تعالى: {وأولى الأمر منكم} [سورة النساء: الآية (59)]. العلماء الذين يمكنهم استنباط أحكام الله عز وجل من نصوص الكتاب والسنة، وهؤلاء هم المسلمون بأهل الحل والعقد فى كتب أصول الفقه ا.هـ راجع تفسيره 150/10.

2 - د. عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة: ص 198. باختصار وتصرف.

3 - المستدرك ك- الأحكام 103/4 - 7020 - ،

4 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإمارة، باب النهى عن طلب الإمارة والحرص عليها 456/3 (1652). "أكلت" قال القاضى: هو فى أكثر النسخ بالهمز. والصواب بالواو أى أسلمت إلى مسألتك ورغبتك ولم تعن. بخلاف ما إذا جاءت من غير مسألة ا. هـ راجع: إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضى عياض 222/6.

5 - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم 16/4 والآية (55) من سورة يوسف.

6 -المستدرك كتاب الأحكام 4/ 103 برقم - 7019 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

عليه و سلم يقول : ليوشك رجل أن يتمنى أنه خر من الثريا و لم يل من أمر الناس شيئا .([1]) ، فمن تحمل الإمارة فقد تحمل أمانة عظيمة ، تستوجب جهدا ومصابرة ، واستحضارا للمسألة في اليوم الأخر .

ووجه ضعف أبى ذر رضى الله عنه عن ذلك: أن الغالب عليه كان الزهد.. ومن كان هذا حاله لم يعتن بمصالح الدنيا.. فلما علم النبى ρ منه هذه الحالة نصحه، ونهاه عن الإمارة[2].. ا.هـ. قال النووى: هذا الحديث أصل عظيم فى اجتناب الولايات، لاسيما لمن كان أهلا ولم يعدل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية، وعدل فيها، فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة[3].

وقال ابن تيمية: "يجب أن يعرف أن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بنى آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس .. فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله ... فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها"[4]. ا.هـ.

*تولية الأصلح فى كل منصب: فالحاكم مسئول أمام الله عز وجل وأمام الناس عن ولاته، ولذا فعليه أن يتقن اختياره فيمن يوليهم على شئون الناس وأن يكون اختيارهم وفق رأى الإسلام لا وفق رغبة وهواه. "فإن عدل عن الأحق والأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما... أو صداقة أو موافقة فى بلد، أو مذهب، أو طريقة، أو جنس كالعربية والفارسية والتركية والرومية، أو لرشوة يأخذها منه من مال أو منفعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضغن فى قلبه على الأحق، أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"[5].

ولذلك وكما جاء في أحاديث المستدرك فقد حذرت السنة النبوية من التهاون فى الاختيار، وترك الأصلح، فقال ρ: " فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من استعمل رجلا من عصابة و في تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله و خان رسوله و خان المؤمنين "[6].

وهذا يوجب على الحاكم أن يسند الأمور إلى من هو أهل لها، ولا يحابى أحدا لقرابته، وأن يبحث عن المستحقين للولايات وغيرها من المهام المالية والعسكرية والإدارية والتعليمية وغير ذلك، فيستعمل فيها أصلح من يجده، وإلا كان حسابه عند الله شديداً. قال ابن تيمية: "وينبغى أن يعرف الأصلح فى المنصب، فإن الولاية لها ركنان: القوة، والأمانة. والقوة فى كل ولاية بحسبها.... والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشترى بآياته ثمناً قليلاً، وترك خشية الناس... فالواجب فى كل ولاية الأصلح

---

1 - المستدرك ك الأحكام 102/4 – برقم 7015 - تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

2 - راجع: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم 21/4.

3 - راجع: صحيح مسلم بشرح النووى 210/2.

4 - السياسة الشرعية لابن تيمية صـ 81 وما بعدها. المطبعة السلفية – ومكتبتها. الطبعة الثانية 1399.

5 - خصائص التشريع الإسلامى: الدرينى صـ 6.

6 - المستدرك ك الأحكام 104/4 برقم – 7023 ، ط – دار الكتب العلمية – بيروت 1411 -1990 ط الأولي تعليق الذهبي قي التلخيص : حذفه الذهبي من التلخيص .

بحسبها"[1]. ا.هـ. ولقد بين القلقشندى لزوم هذا الواجب فقال: "إن على الولاة اختيار الأمناء والأكفاء وتقليد الولايات للثقافات النصحاء لتنضبط الأعمال بالكفاءة وتحفظ الأموال بالأمناء"[2].

*أن يكون متقيا لله عز وجل مقدرا لرعيته: عن أبى أمامة رضى الله عنه أن الرسول ρ قال:

"أوصى الخليفة من بعدى بتقوى الله، وأوصيه بجماعة المسلمين أن يعظم كبيرهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر عالمهم، وألا يضربهم فيذلهم، ولا يوحشهم فيكفرهم، وألا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم"[3]. إن هذه الوصية من رسول الله ρ للخليفة من بعده "تضم العناصر السبعة الأساسية التى ينبغى أن يلتزم بها الحاكم مجتمعة، وألا يخل واحد منها، فالخليفة أو الرئيس الذى لا يلتزم بتقوى الله – عز وجل – يكون صدى حكمه مختلا، بل تكون إمارته فاسدة. وإن حاكما – خليفة كان أو ملكا أو رئيسا – لا يعظم الكبير ولا يرحم الصغير، ولا يوقر العلماء يكون حاكما فاسدا. وإن حاكماً يضرب جماعة المسلمين ويوقع الرعب فى قلوبهم ويغلق بابه دونهم يكون مدمرا لدولته فالوحشة هى المجافة، وإغلاق أبواب الحاكم فى وجه الناس إهدار لمصالحهم، فيكفرون به خليفة وراعيا، وتتسع دائرة القطيعة والكراهية بينهم وبينه، فتضعف مكانته كخليفة، وتضطرب أمورهم كرعايا، ويسود الظلم، ويفتقد الأمن والأمان. ولو أن حكام المسلمين التزموا بوصية رسول الله ρ لهم طبقا لما ورد فيها لكان حال المسلمين اليوم غير ما هو عليه الآن من ذل وفقر وجهل وهوان[4]." ا.هـ.

*أن يقيم حدود الله عز وجل دون تفريق: فلا يفرق الحاكم بين قوى وضعيف، أو بين غنى وفقير، أو بين شريف ووضيع، ولا يمنعه من معاقبة ارتكب جريمة قرابة أو صداقة أو نحو ذلك.

ولا يعطل حدود الله عز وجل لشفاعة أو هدية ونحو ذلك، فمن عطل حد الله عز وجل وهو قادر على إقامته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولذا نهت السنة النبوية عن الشفاعة فى الحدود، وطالبت بتنفيذها على الكل دون تفريق.

عن محمد بن طلحة بن شداد بن ركانة عن أمه عائشة بنت مسعود بن الأسود عن أبيها مسعود قال : لما سرقت تلك المرأة القطيفة من بيت رسول الله صلى الله عليه و سلم أعظمنا ذلك و كانت امرأة من قريش فجئنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فكلمناه فقلنا يا رسول الله نحن نفديها بأربعين أوقية قال : تطهر خيرا لها فلما سمعنا من قول رسول الله صلى الله عليه و سلم أتينا أسامة بن زيد فقلنا : اشفع لنا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في شأن هذه المرأة نحن نفديها بأربعين أوقية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم جد الناس في ذلك قام خطيبا فقال : يا أيها الناس ما إكثاركم في حد من حدود الله وقع على أمة من إماء الله و الذي نفس محمد بيده لو كانت فاطمة بنت محمد نزلت بالذي به هذه

---

1 - السياسة الشرعية لابن تيمية: صـ 9.

2 - مآثر الإنافة فى معالم الخلافة القلقشندى 60/1 عالم الكتب بيروت. الطبعة الأولى 1964. تحقيق عبد الستار فراج.

"القلقشندى": هو أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال أبى اليمن الغزارى القلقشندى ثم القاهرى الشافعى. ولد سنة (756هـ) وتوفى سنة (821هـ) وله خمس وستون سنة ا.هـ. من مصادر ترجمته: معجم المؤلفين 317/1، الضوء اللامع 8/2 (25)، شذرات الذهب 149/7.

3 - أخرجه البيهقي فى السنن الكبرى 161/8.

4 - البيان المحمدى: د/الشكعة صـ 415. الناشر الدار المصرية اللبنانية "بدون".

المرأة لقطع محمد يدها قال : فأيس الناس و قطع رسول الله صلى الله عليه و سلم يدها [1]قال ابن تيمية: "ففى هذه القصة عبرة، فإن أشرف بيت كان فى قريش بطنان: بنو مخزوم، وبنو عبد مناف، فلما وجب على هذه القطع بسرقتها.. وكانت من أكبر القبائل وأشرف البيوت، وشفع فيها حب رسول الله ρ أسامة، غضب رسول الله ρ فأنكر عليه دخوله فيما حرمه الله عز وجل وهو الشفاعة فى الحدود، ثم ضرب المثل بسيدة نساء العالمين، وقد برأها الله – عز وجل – من ذلك فقال: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". وقد روى أن هذه المرأة التى قطعت يدها تابت وكانت تدخل بعد ذلك على النبى ρ فيقضى حاجتها"[2]. هـ.

*أن يكون عادلاً فى حكمه: وللعدل صورتان: الأولى: سلبية، يمنع الظلم وإزالته عن المظلوم، أى بمنع انتهاك حقوق الناس المتعلقة بأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وإزالة آثار التعدى الذى يقع عليهم، وإعادة حقوقهم إليهم، ومعاقبة المعتدى عليها فيما يستوجب العقوبة، وهذا يتجلى فى أحكام كثيرة تتعلق بالمعاملات المالية، والحقوقية بوجه أعم، وبالجنايات – وكلها مفصلة فى كتب الفقه الإسلامى – بالاستناد إلى أصولها ومصادرها فى الكتاب والسنة.

الثانية: إيجابية، وتتعلق أكثر ما تتعلق بالدولة: من إسناد الأعمال إلى أهلها دون محاباة القرابة أو صداقة، ومن القيام بحق أفراد الشعب فى كفالة حرياتهم وحياتهم المعاشية، حتى لا يكون فيهم عاجز متروك، ولا ضعيف مهمل، ولا فقير بائس، ولا خائف مهدد، وهذه الأمور كلها من واجبات الحاكم فى الإسلام. ولا شك أن تحقيق العدل بصورتيه هاتين له آثاره الطيبة على النظام وعلى الرعية معا"[3] ا.هـ.

ولذلك أمرت السنة النبوية بالعدل فى الحكم مؤكدة على ما جاء به القرآن الكريم فى ذلك. ومن الأحاديث قوله ρ: "إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر"[4]. ولما التزم الحكام من سلف الأمة بهذا الأساس سعدت بهم الحياة والأحياء.

*أن يكون أمينا لا يخون ولا يغدر: فقد أوضحت السنة النبوية جزاء من غش الأمة أو خدعها بأن الجنة محرمة عليه. فقال ρ "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة"[5]. وقال ρ: "لكل غادر لواء يوم القيامة يدفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة"[6].

*أن يكون رفيقا برعيته: كما حثت السنة النبوية على الرفق بالرعية ونهت عن إدخال المشقة عليهم، وورد فيها أن النبى ρ قد دعاء لمن نيته الرفق بالأمانة بأن يرفق الله به، وعلى من نيته المشقة عليهم بأن يشفق الله عليه، فيقول ρ: "اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى

---

1 - المستدرك للحاكم – ك الحدود – 421/4 – برقم – 8147 . تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

2 - السياسة الشرعية لابن تيمية: صـ 33.

3 - أسس نظام الحكم الإسلامى د/فرج الوصيف ص 167. وأيضا خصائص الدعوة: ص 238.

4 - الإمام أ؛مد فى المسند 22/3، 55. وابن الأثير فى جامع الأصول 447/4 (2035) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

5 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح 80/9.

6 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الجهاد، باب تحريم الغدر 1361/3 (1737) عن أبى سعيد رضى الله عنه، أى من غدر صاحب الولاية العامة، لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير.

من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به"[1]. وفى حديث آخر: "من ولى أمرا من أمر الناس، ثم أغلق بابه دون المسكين والمظلوم أو ذى الحاجة أغلق الله تبارك وتعالى دونه أبواب رحمته عند حاجته وفقره[2]..."."وعن عمرو بن عثمان بن عفان قال : قال لي أبي : يا بني إن وليت من أمر الناس شيئا فأكرم قريشا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول من أهان قريشا أهانه الله عز و جل([3])

عن أبي مريم صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : من ولي من أمر المسلمين شيئا فاحتجب دون خلتهم و حاجتهم و فقرهم و فاقتهم احتجب الله عز و جل يوم القيامة دون خلته و فاقته و حاجته و فقره ([4]) .

*أن يتسم بالعفة والورع: فلا يأخذ من مال المسلمين بغير حق، ولا يقبل الهدايا بسبب العمل فرئاسة الدولة فى المجتمع المسلم لا تمنح صاحبها حقا غير عادى فوق حقوق أى فرد من جمهور المواطنين.. وإنما تجعله واحدا منهم غير أنه أثقلهم حملاً[5].

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول . ([6])

إلى غير ذلك مما أتت به السنة النبوية خاصاً الحكم وتوضيح مسئوليته.

ب-أما يتعلق بالرعية وما عليهم نحو الراعى (الحاكم): فكما كان للسنة النبوية دور فى تحديد مسئولية الحاكم نحو رعيته، كان لها دور أيضا مع الرعية نحو حكامهم، حتى تستقيم الأمور، وتستقر شئون الدولة. ومما أوضحته السنة النبوية فى هذا الشأن:

*الطاعة ما لم يكن فى معصية: فطاعة الحاكم لازمة ما لم يأمر بمعصية، وقد دل على هذا القرآن الكريم والسنة النبوية. ومن آيات القرآن الكريم الدالة على ذلك قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [7]

. وهذا أمر بطاعة الله عز وجل أولا، ثم بطاعة رسوله ρ ثانيا فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة أولى

---

1 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل 1458/3 (1828) عن عائشة رضى الله عنها.

2 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 441/3. عن أبى الشماخ الأزدى عن ابن عم له من أصحاب النبى ρ.

3 - المستدرك للحاكم ك- ذكر فضل قريش 83/4- 6955 – تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص

4 - - المستدرك - ك الأحكام 105/4 برقم 7027 - تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و إسناده شامي صحيح و له شاهد بإسناد البصريين صحيح عن عمرو بن مرة الجهني عن رسول الله صلى الله عليه و سلم .

5 - خصائص الدعوة الإسلامية: صـ243.

6 المستدرك – ك - الزكاة 563/1 برقم – 1472 ، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه

7 - سورة النساء: الآية (59).

الأمر ثالثا، والظاهر والله أعلم – كما قال ابن كثير – أنها عامة فى كل أولى الأمر من الأمراء والعلماء[1].

ويبدو واضحا من الآية أن طاعتهم مشروطة فى المعروف، وفى ذلك يقول الطحاوى رحمه الله: فتأمل كيف قال الله تعالى: {وأطيعوا الرسول} ولم يقل: وأطيعوا أولى الأمر منكم؟ لأن أولى الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأن من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم فى ذلك، وأما ولى الأمر فقد يأمر بغير طاعة، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله[2].

وقد أكدت السنة النبوية هذا الحق وذلك فى أحاديث كثيرة أذكر منها: في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : من أطاعني فقد أطاع الله و من عصاني فقد عصي الله و من أطاع عليا فقد أطاعني و من عصي عليا فقد عصاني ([3])

وفي رواية في المستدرك أيضا ،قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : من أطاعني فقد أطاع الله و من عصاني فقد عصى الله و من أطاعك فقد أطاعني و من عصاك فقد عصاني ([4])

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال: "إن خليلى أوصانى أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف"[5]. وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ρ: "أمركم بخمس: السمع، والطاعة، والجماعة، والهجرة، والجهاد"[6].

هذا مما جاء بالسنة النبوية فى أمر الولاة وهى كما يبدو منها: تأمر بطاعة الأمير أو الحاكم فى حالة طاعته لله ورسوله، وتنفيذه لحكم الله عز وجل، وسيره على هدى النبى ρ. وهذه الطاعة مستمدة من طاعة الله ورسوله، لأن ولى الأمر لا يطاع لذاته، وإنما لخضوعه لسلطان الله عز وجل، وتمسكه بشرع الله عز وجل، واعترافه له بالحاكمية، فإذا حاد عن الطريق سقطت طاعته. إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق. وقد ورد فى ذلك قوله ρ: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره. إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[7]. وعن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل قال يا رسول الله: أرأيت إن كان علينا أمراء لا يستنون بسنتك ولا يأخذون بأمرك، فما تأمرنا فى أمرهم؟

---

1 - راجع تفسيره 518/1.

2 - شرح العقيدة الطحاوية: جماعة من العلماء صـ 269 وما بعدها. دار الفكر العربى. "بدون".

3 - المستدرك – ك – ذكر اسلام امير المؤمنين علي 130/3 . برقم4617 ،تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

4 - المستدرك – ك – ذكر اسلام امير المؤمنين 139/3 برقم - 4641 - تعليق الذهبي قي التلخيص : حذفه الذهبي من التلخيص لضعفه.

5 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب المساجد، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار 448/1 (648)، وفى الإمارة وجوب طاعة الأمراء فى غير معصية 1467/3 (1837).

6 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 344/5.

7 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية 78/9.

فقال رسول الله ρ: "لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل"[1]."..... لا طاعة في معصية الله..... "[2]

فقد تأكد من خلال ما ورد من أحاديث رسول ρ ، أن الطاعة للمخلوق مرتبطة ارتباط ا كليا بطاعته لله تعالي ،فقد أكدت على أن السمع والطاعة للحاكم واجب على الرعية فى كل الأحوال فى غير معصية الله عز وجل. ولهذه الطاعة آثار عظيمة يجنيها الحكام والمحكومين.

آثار الطاعة فى المعروف: ومن أهمها:

*أنها امتثال لأمر الله عز وجل.... ولاشك أن هذا الامتثال من أعظم الأدلة على عبودية الإنسان لله عز وجل، وخضوعه له، وإيمانه به ربا وإلها ومعبودا.

*إن فى ذلك ترويضا للرعية، وتربية لها على الطاعة، والانقياد لمن شرع الله – عز وجل – طاعته من ولاة الأمور والوالدين والأزواج ونحوهم. وإذا تربت الأمة على ذلك أصبحت تصرفاتها وفق إرادة الشارع، وبذلك تنوب أهواؤها وأنانيتها كما تتهذب غرائزها وطباعها.

*وبالطاعة لأولى الأمر تتلاحم الأمة وتتماسك، وتقوى الصلة بينهم جميعًا، وساء بين الراعى ورعيته، أم بين الرعية بعضهم بعضا، وبهذا تتحقق وحدة الأمة وقوتها.

*انتظام أمور الدولة وأحوالها دينا ودنيا، إذ أن تطبيق الشريعة بأصولها وفروعها لا يتحقق وإلا بطاعة الراعى المسلم، بل لا تتحقق مصالح العباد فى العاجلة والآجلة إلا بها.

*إشاعة الأمن والاستقرار فى ربوع ديار الإسلام، وهذا أمر ظاهر، فالطاعة لأولى الأمر تعنى سيطرة الشرع والعقل والقلب على كل التصرفات، والتغلب على الهوى والنفس اللذين يجران إلى الجريمة والتمرد والعصيان. وهذا كفيل بتحقيق الأمن والاستقرار والطمأنينة فى النفس والمجتمع والبلاد.

*ظهور الأمة المسلمة بمظهر الهيبة والرهبة أمام الأعداء، تلك بعض آثار طاعة ولى الأمر المسلم المنفذ لشرع الله تعالى[3].

آثار المعصية فى المعروف:

وهناك آثار ضارة بالفرد والمجتمع تترتب على معصية الرعية لولى الأمر المسلم المنفذ لشرع الله عز وجل ومن أهمها:

*أن هذا العصيان هو عصيان لله ورسوله.

*وهو يجرئ الرعية على التمرد والمخالفة لأوهى الأسباب.

*وهو يفرق شمل الأمة ويباعد بينها.

*وهو وسيلة للفوضى، وتعميق للصدع، وتوسيع له.

*وهو سبب الخوف والذل والهرج والمرج.

*وهو عنوان ضعف الأمة وذهاب ريحها، وهزيمتها لما يحدث بسبب العصيان من تنازع وتفرق[4].

*تقديم النصيحة لولاة الأمر: وهذا حق للرعية أكدته السنة المطهرة فى العديد من النصوص، كحديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ρ قال:

---

1 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 213/3.

2 - المستدرك – ك ذكر مناقب الحكم بن عمرو 500/3 برقم 5870 -هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح.

3 - أسس نظام الحكم الإسلامى وخصائصه: صـ 176، 177، باختصار وتصرف يسير.

4 - المصدر السابق: صـ 177.

عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قام رسول الله صلى الله عليه و سلم بالخيف من منى فقال : نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له و رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن : إخلاص العمل لله و النصيحة لأولي الأمر و لزوم الجماعة ....."([1])

ومن ثم فواجب على الرعية أن تتفهم دورها ولا تتقاعس عن إبداء النصيحة لولاة الأمور، من منطلق حبهم لهم، وتذكيرهم بالحق، لا من منطلق التجرؤ عليهم، والخروج عنهم. يقول ابن رجب رحمه الله: "والنصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتذكيرهم وتنبيههم فى رفق ولطف، ومجانبة الوثوب عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك"[(2)].

واجب على الحكام أن لا يستبدوا بآرائهم، وأن يفسحوا صدورهم لما يقدم إليهم من نصح، بل يطلبوه من الرعية إقتداء بالصالحين من خلفاء المسلمين.

ففى أول خطبة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه بعد توليته الخلافة قال: فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى"[(3)]. وقال عمر رضى الله عنه فى خطبة له: "أيها الناس إن لنا عليكم حق النصيحة بالغيب والمعونة على الخير"[(4)]. وقال أيضا: "إن أحب الناس إلى من أهدى إلى عيوبى"[(5)].

"ومن توفيق الله عز وجل ونعمته على الإمام المسلم أن يهئ له بطانة صالحة، تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وترشده إلى الصواب، وإذا لم يتهيأ له ذلك، فذلك من خذلان الله له وبغضه إياه"[(6)].

ا.هـ " عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ρقال : إن الله تعالى لم يبعث نبيا و لا خليفة إلا و له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف و تنهاه عن المنكر و بطانة لا تألوه خبالا من يوق بطانة السوء فقد وقي....." [(7)].

ضوابط المناصحة: وهناك ضوابط لمناصحة أولى الأمر، وعنها يقول الأستاذ الدكتور/ فرج محمد الوصيف: "وحق الأفراد فى إبداء النصح لأولياء أمور المسلمين له حدود وضوابط ينبغى مراعاتها حتى لا تنقلب النصيحة فضحية لأولياء الأمور، أو وبالا على أصحابها، منها:

الأولى :- أن يكون قصد الناصح الخالص لولى الأمر ولمعاونيه، فلا يجوز أن يقصد من وراء نصحه التشهير بالحكام المسلمين، أو تكبير سيئاتهم، أو انتقاصهم، أو تجريئ الناس عليهم، أو نحو

---

1 - المستدرك للحاكم ك- العلم – 162/1 برقم 295

2 - جامع العلوم والحكم لابن رجب صـ 70.

3 - أورده ابن هشام فى سيرته 242/4، وابن كثير فى البداية والنهاية 340/6 وقال: هذا إسناد صحيح.

4 - أورده ابن الجوزى فى: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب صـ 117، وأبى يوسف فى: الخراج صـ 47 دار الإصلاح للطبع والنشر 1981. تحقيق د/محمد إبراهيم البنا.

5 - أورده ابن سعد فى: الطبقات 293/3، وابن الجوزى فى المناقب صـ 152.

6 - الحكم والتحاكم فى خطاب الوحى: عبد العزيز مصطفى كامل 530/2. دار طيبة للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م.

7 - المستدرك – ك- الأطعمة 145/4 برقم - 7178 - هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

ذلك من المقاصد الباطلة التى لا يراد بها وجه الله عز وجل، ولا الخير للمنصوح، ولا المصلحة العامة[1].

الثانية :- الرفق والحلم واللين فى النصح، فإذا كان هذا لازما للناس، فهو مع الأئمة ألزم، وإذا كان المولى عز وجل قد أمر موسى وأخاه هارون عليهما السلام باللين مع فرعون والترفق به فى الخطاب فقال: {اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى}[2]. فأولى بذلك من فرعون الطاغية الإمام المسلم.

الثالثة :- أن يكون نصح المسلم مبنيا على أساس من العلم والفقه، فلا يجوز أن ينكر عليهم أو ينتقصهم فى الأمور الاجتهادية، لأن رأيه ليس أولى من رأيهم ما دام الأمر اجتهاديا.

الرابعة :- أن لا يحدث برأيه فتنة تضر بالأمة، فإن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[3]. ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فإن الأمر والنهى وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر فى المعارض له، فإن كان الذى يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به، بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته"[4].

ثانيا:- مناصرة ولاة الأمر

وهو واجب على الرعية ولو كان للحاكم فى خاصة نفسه تجاوزت ومخالفات لا تصل إلى حد القدح فى شرعية ولايته، فنصرة الإمام الصالح الحاكم بما أنزل الله هى هى نصر للدين، وإعانته إعانة نشر دين الله عز وجل، والتعاون معه هو تعاون على البر والتقوى.

ويذكر القلقشندى هذا الواجب على الرعية نحو أئمتها فيقول: "الثانى: المعاضدة والمناصرة فى أمور الدين وجهاد العدو. قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)[5] ولا أعلى من معاونة الإمام على إقامة الدين ونصرته"[6].

فعلى الرعية الصالحة أن تنصر ولاة أمرها حتى تقوى شوكتهم، ويظهروا كوحدة واحدة متماسكة ومترابطة أمام أعدائهم، ولذا أمرت السنة النبوية الرعية بمناصرة ولى الأمر، والوقوف معه فى وجه من يريد أن يفرق جمعهم أو يقصد شرا للبلاء والعباد. فقال ρ: " عن عرفجة بن شريح الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنها ستكون بعدي هنات و هنات و رفع يديه فمن رأيتموه يريد أن يفرق أمر أمة محمد صلى الله عليه و سلم و هم جميع فاقتلوه كائنا من كان من الناس""[7].

---

1 - ويؤيد ذلك قوله ρ: "من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذى عليه له...." أخرجه الإمام أحمد فى المسند 404/3، وقال الهيثمى فى المجمع 229/5 رواه أحمد ورجاله ثقات.... ا.هـ.

2 - سورة طه: الآيتان (43، 44).

3 - أسس نظام الحكم: صـ 147 وما بعدها. وانظر أصول الدعوة: صـ 215.

4 - مجموع الفتاوى: 129/28.

5 - سورة المائدة من الآية (2).

6 - راجع له: مآثر الإنافة 63/1.

7 - المستدرك ك- قتال أهل البغي 169/2 برقم 2665 تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

كما قال ρ: "ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"[1]. وفى هذا توجيه للرعية إلى نصرة إمامها لو خرجت عليه خارجة وفاء بالبيعة له[2].

هل يجوز الخروج على الحاكم – وإن عصى – وجواب ذلك مما ورد فى السنة النبوية:

يبدو واضحا فيما سبق أن السنة النبوية قد أكدت على وجوب طاعة ولاة الأمر ما لم يكن فى الأمر معصية لله عز وجل حينئذ يخالفه فى هذا الأمر وحده دون غيره.

فإن قيل: إن أحكام زماننا يستبدون ويظلمون، ويرتكبون من المعاصى ما ظهر منها وما بطن، ولا يقبلون نصحا، بل ربما تعرض ناصحهم للأذى والاعتقال، والأعظم من ذلك أنهم لا يحكمون شرع الله عز وجل فى كل جوانب الحياة، وبكل ما جاء به...فهل لهم رغم ذلك كله حق الطاعة أم يجوز الخروج عليهم وقتالهم لتخليص البلاد والعباد منهم؟ هل تظل الرعية على صبرها ومناصرتها لهم رغبة ظلمهم وإستبدادهم، وتشجيعهم المنكرات، وإرتكابهم المعاصى، أم لهم حق الخروج عليهم للتخلص من ظلمهم واستبدادهم؟

والحق أن هذه القضية من أعظم وأخطر القضايا التى تحتاج فى التعرض لها إلى حذر شديد، وإلى هدوء وروية، وضبط أعصاب، وأخذ الأمر بالنظرة الإسلامية الواقعية والعملية، وليست بالنظرة الحماسية والاندفاعية التى لا تتمكن فى الغالب من تقدير المواقف ووضع الأمور فى نصابها الصحيح.

ولا أستطيع ابتداء أن أقول: بأن سياسة حكام اليوم سواء الداخلية أو الخارجية تسير كلها على منهج الله ورسوله، أو أنهم مع رعيتهم – بل مع الله عز وجل – على نحو ما أراد الله ورسوله.

بل الواقع يشهد بغير ذلك - إلا من رحم الله – وعلى الرغم من ظلم الحكام واستبدادهم، وما يصدر منهم من معاصى ومنكرات إلا أنى لا أميل إلى من يرى جواز الخروج عليهم.

والذى أعتقده، واطمئن له، وأدعو إليه الأمة إلى قيام الساعة هو عدم الخروج على الولاة ما لم يظهر منهم الكفر الصريح. والتزام طاعتهم ما لم يكن فى معصية الله عز وجل، فإن كان فى معصية وجبت مخالفتهم فى هذا الأمر واستمرار طاعتهم فيما سواء طالما فى طاعة الله عز وجل. والدعاء لهم بالصلاح والرشاد، والإنكار بالقلب للمنكر الذى يرتكبونه أو يشجعونه، والإنكار باللسان عن طريق النصيحة الهادئة والهادفة، والتى يراعى فيها آداب النصيحة. والصبر عليهم، وعلى ظلمهم وأذاهم، وإن وصل إلى حد الضرب والاعتقال وأخذ المال وما شابه ذلك.

فإن قيل: باب هذا يعنى حرمان الرعية من تقويم ولاة الأمر. وتقوم سياستهم؟ قلت وبالله التوفيق: بأن من حق الأمة بل يجب عليها تقوم اعوجاج ولاة الأمر ولكن عن طريق ما رسمه الإسلام للرعية وهو النصيحة، وليس بالمواجهة القتالية.

فإن قيل: بأن هذا دليل الجبن والخوف والتقاعس عن مواجهة السلطان الجائر؟. قلت والله المستعان: بل هو التزام بمنهج الإسلام، وتمسك بما عليه سلف الأمة وأخذ به أهل السنة والجماعة، وحرص على سلامة الأمة من التفرق والشتات، وتكاثر الصراعات الخارجية وحل الأزمات الداخلية ، وقد رأينا ما حدث في بلاد شتي من تفرق وضياع وخراب لا يعلم مداه ومنتهاه الا الله تعالي ، فالصبر أولي لا سيما في أيامنا هذه التي مالبث العدو فيها يتربص بنا من حولنا ، فيغذي فيها النعرات الكاذبة

---

1 - جزء من حديث أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، الأول فالأول 1473/3 (1844) وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما.

2 - مستفاد من: الحكم والتحاكم 528/2.

ويربي الفئات المارقة ، فيهيء لهم مستقبلا مشرقا (يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً)[1]لا سيما البلاد العربية والإسلامية .
وإذا كان من أصول أهل السنة والجماعة عدم الخروج على أئمة الجور، فليس من أصولهم السكوت عن المنكرات، ولهذا يقول ρ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[2].
ولو أننا دققنا النظر فيما ورد من أحاديث صحيحة لوجدنا أنها تؤكد على ضرورة طاعة أولى الأمر وعدم الخروج عليهم وإن ظلموا وعصوا عز وجل، إلا فى حالة أن يصدر منهم كفرا بواحد، وأن يثبت ذلك بالدليل لا بالظن والشك والاتهام. ومن الأحاديث التى توضح ذلك: عن عوف بن مالك الأشجعى أن رسول الله ρ قال: "ألا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره الذى يأتى من معصية الله ولا ينزع يدا من طاعته"[3]. وهذا يفيد أن صدور المعصية من الحاكم لا يعطى الحق لأحد أن يخرج عليه أو أن يدعو للخروج عليه، فإثم معصيته على نفسه وليست على الرعية (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى [4].
وهناك جانب آخر وهو أن على الرعية أن يكرهوا ما يأتى من معصية ولا يشجعونه عليها، وإلا شاركوه فى الإثم. عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ρ قال: ": يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلة و يبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم و أماناتهم و اختلفوا و كانوا هكذا و شبك بين أصابعه قالوا : فكيف تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : تأخذون ما تعرفون و تدعون ما تنكرون و تقبلون على أمر خاصتكم و تدعون أمر عامتكم"[5]
. عن عبادة بن الصامت رسول الله صلى الله عليه و سلم محمدا أبا القاسم يقول : سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون و ينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لمن عصى الله ....." ([6]
وقد قال النووى في توضيح مثل هذا الأمر :
"من كره ذلك المنكر فقد برئ عن إثمه وعقوبته وهذا فى من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه فليكرهه بقلبه ويبرأ. وقوله:" ولكن من رضى وتابع" معناه: ولكن الإثم والعقوبة على من رضى وتابع. وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت، بل إنما يأثم بالرضا به أو بأن لا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه[7]..."ا.هـ.

---

1 – (سورة النور: من الآية 39)

2 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهى 514/4 (4344) وغيره أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه.

3 - جزء من حديث أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم 1482/3.

4 – سورة فاطر من الآية (18).

5 - ،،، المستدرك ك الفتن والملاحم 481/4 ،برقم 8340قال سعيد بن منصور : حثالة الناس : رداءتهم و معنى قوله : مرجت عهودهم إذ لم يفوا بها هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

6 - المستدرك ك- ذكر مناقب عبادة بن الصامت 402/3 برقم 5530تعليق الذهبي في التلخيص : سكت عنه الذهبي .

7 - صحيح مسلم بشرح النووى: 243/12.

فمجرد الظلم لا يجيز الخروج على الحاكم ما دام لم يغير شيئا من قواعد الإسلام. وبالتأمل فى الحديث نجده يخبر عن نوعية من الولاة لا تتقى الله عز وجل فى نفسها ولا فى رعيتها، فتخرج فى سلوكها وحكمها عن هدى رسول الله ρ، والسير على طريقته، وتبلغ قسوة قلوبهم على الرعية كقلوب الشياطين فى جثمان إنس، أى فى جسم بشر – أعاذنا الله من هذه النوعية – ورغم ذلك لم يجعله النبى ρ مبررا للخروج عليهم، بل أمر بالسمع والطاعة حتى لا تتفرق الأمة.
وعن علقمة بن وائل الحضرمى، عن أبيه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله ρ فقال: يا نبى الله: أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه ... وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم[1]". وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: دعانا رسول الله ρ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا، وأثره علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان"[2].
وأرى والله أعلم أن فى هذا الحديث حسم قاطع لهذه القضية، ووضع حد لهذه المعادلة الصعبة حيث لا يجوز الخروج على الحاكم، ونقض بيعته إلا فى تلك الحالة التى أشار إليها الحديث الشريف.
وبهذا تكون الأحاديث النبوية قد حققت التوازن فى علاقة المحكومين بالحاكم. وقد علل سلف الأمة وخلفهم عدم الخروج فيما يأتى:
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فى معرض كلامه عن ذلك: "ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج عن الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبى ρ، لأن الفساد فى القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم دون قتال ولا فتنة، فلا يدفع أعظم الفسدين بالتزام أدناهما ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذى سلطان إلا وكان فى خروجها من الفساد ما هو أعظم الفساد الذى أزالته"[3]. ا. هـ.
وقد جاء فى العقيدة الطحاوية: "وكلام أهل العلم من السلف والخلف فى طاعة الأئمة وإن جاءوا، إنما هو جرى على أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو أننا "لا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة"[4] ا. هـ.
وفى موضع آخر: "وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل فى الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الإجتهاد فى الإستغفار والتوبة وإصلاح العمل. قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [5] ا.هـ. وقد سئل الشيخ ابن باز – رحمه الله – عن من يرى أن اقتراف بعض الحكام للمعاصى والكبائر موجب للخروج عليهم ومحاولة التغيير وإن ترتب عليه ضرر للمسلمين.

---

1 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإمارة، باب فى طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق 1474/3 (1846).

2 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الفتن، باب قول النبى ρ: سترون بعدى أمورا تذكرونها 59/9، وفى الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، غير معصية 1470/3 (1709).

3 - منهاج السنة النبوية لابن تيمية: 390/3. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان "بدون".

4 - راجع: شرح العقدية الطحاوية: صـ 368.

5 - المصدر السابق: صـ 270، والآية (30) من سورة الشورى.

فأجاب بما يؤكد[1]. طاعتهم بالمعروف، فإذا أمروا بالمعصية فلا يطاعون فى المعصية، لكن لا يجوز الخروج عليهم بأسبابها – واستدل ببعض الأحاديث السابقة – ثم قال: "فهذا يدل على أنهم لا يجوز لهم منازعة ولاة الأمور ولا الخروج عليهم إلا أن يروا كفراً بواحاً عندهم من الله فيه برهان، وما ذاك إلا لأن الخروج على ولاة الأمر يسبب فسادا كبيرا وشرا عظيما، فيختل به الأمن وتضيع الحقوق ولا يتيسر ردع الظالم ولا نصر المظلوم، وتختل السبل ولا تؤمن، فيترتب على الخروج على ولاة الأمر فساد عظيم وكبير إلا إذا رأى المسلمون كفراً بواحاً من الله فيه برهان فلا بأس أن يخرجوا على هذا السلطان لإزالته إذا كان عندهم قدرة.

أما إذا لم يكن عندهم قدرة فلا يخرجوا، أو كان الخروج بسبب شراً أكثر.... ويترتب عليه فساد كبير وإختلال الأمن وظلم الناس وإغتيال من لا يستحق الإغتيال إلى غير هذا من الفساد العظيم.

فهذا لا يجوز بل يجب الصبر والسمع والطاعة فى المعروف ومناصحة ولاة الأمور والدعوة لهم بالخير، والاجتهاد فى تخفيف الشر وتقليله وتكثير الخير. هذا هو الطريق السوى الذى يجب أن يسلك لأن فى ذلك مصالح للمسلمين عامة، ولأن فى ذلك تقليل الشر وتكثير الخير، ولأن فى ذلك حفظ الأمن وسلامة المسلمين من شر"[2].

وقد صور الشيخ أبو الحسن الندوى تلك العلاقة الجديدة الشاذة، والحالة الغريب النافرة فى أغلب بلاد المسلمين فقال: "إن العالم الإسلامى اليوم حائر بين شعوب مسلمة بسيطة فى عقليتها ودينها، وحكومات لم تنشرح صدور رجالها لهذا الدين، ولم تطاوعهم نفوسهم على العمل به، ولكنهم يصرون على أن يحكموا هذه الشعوب التى تؤمن بهذا الدين، ولا يرون حياتهم وشرفهم إلا فى البقاء فى الحكومة، ولا يرون لهم محلا فى الحياة إلا الزعامة والحكومة، فالشعوب فى تعب منها وهم منها فى بلاء وعناء، إن العالم الإسلامى حائر بين فطرته التى تنزعه إلى الدين، وتاريخه الذى يدفعه إلى الإيمان والجهاد، وبين التربية العصرية التى تزين له المادية، والزعامة التى تفرض عليه الاتكال على الغير والاعتماد على العدو والفرار من الزحف... إن العالم الإسلامى حائر بين شباب ثائر، ودم فاتر، وذهن متوقد وأزهار تريد أن تتفتح، وبين قادة شائخة شائهة قد أفلست فى العقلية والحياة"[3]. وهكذا تتهدد معالم الصلاح لدى كل رعية تقع تحت هذه الظروف، وتكاد بالتالى تفتقد الأمة الوسط كل مناخ مناسب ومعين على تأدية رسالتها ووظيفتها"[4]. ا.هـ.

* * *

ثالثا:- إقامة الحكم على مبدأ الشورى

فمبدأ الشورى من أهم معالم نظام الحكم فى الإسلام، فهو لا يقوم على الاستبداد فى الرأى، بل يقوم على أساس الشورى. لقوله تعالى (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) [5]. "فالأمر القرآنى لرسول الله ρ هذا فى

---

1 - . وجوب طاعة السلطان فى غير معصية الرحمن بدليل السنة والقرآن: محمد بن ناصر العرينى صـ 34 – 38، مطبعة سفير الرياض الطبعة الثانية 1415هـ.

2 - وجوب طاعة السلطان فى غير معصية الرحمن بدليل السنة والقرآن: محمد بن ناصر العرينى صـ 34 – 38، مطبعة سفير الرياض الطبعة الثانية 1415هـ. مختصرا.

3 - الحكم والتحاكم فى خطاب الوحى: عبد العزيز مصطفى كامل 534/2 عن الإسلام والحكم للشيخ أبو الحسن الندوى صـ 7.

4 - راجع: الحكم والتحاكم فى خطاب الوحى: 533/2، وما بعدها.

5 – سورة آل عمران الآية (159).

الأمور العامة التى هى سياسة الأمة فى السلم والحرب، والخوف والأمن، وأما أمر الدين فإن مداره الوحى دون الرأى"[1]. ا.هـ.
وقد كان النبى ρ شديد الحرص على استشارة أصحابه للاستفادة برأيهم، وكان لا يبرم أمراً إلا بعد بحثه وتمحيصه واستشاره الصحابة فيه، ومما أثر عنه ρ فى ذلك استشارته لأصحابه يوم بدر فى التوجه إلى قتال المشركين، وأخذ بمشورة الخباب بن المنذر بتغيير مكان نزول الجيش إلى أدنى ماء بدر حيث قال له النبى ρ: "لقد أشرت بالرأى".
وكذلك استشارته فى يوم أحد عندما سمع بخروج قريش ونزولهم مقابل المدينة، أيبقى فى المدينة أم يخرج إلى العدو، واستقر الأمر على أن يخرج لقتالهم بعد أن أخذ برأى الشباب الذين لم يحضروا بدرا. وكذلك يوم الخندق وأخذه بمشورة السعدين: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة بعدم مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة مقابل انصرافهم عنها، وأخذه أيضا فيها برأى سلمان الفارسى بحفر الخندق والشواهد على ذلك كثيرة. وقد جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه "ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ρ"[2]." عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول اللهρ" لو كنت مستخلفا أحدا من غير مشورة لاستخلفت عليهم ابن أم عبد"([3]) فهذا منهج النبيρ" وسلوكه في الأمر ، ومن بعده صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين فعن معقل بن يسار : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاور الهرمزان في أصبهان و فارس و آذربيجان فقال : يا أمير المؤمنين أصبهان الرأس و فارس و آذربيجان الجناحان..... ([4]) "

فوائد الشورى:
للشورى فى الإسلام فوائد وآثار عظيمة تعود على النظام الحاكم والأمة معه، من هذه الفوائد والآثار.
الأولى-أن الشورى سبيل معرفة الرأى الصواب، لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهه هذا الرأى، ومدى فائدته، ويعرض هذه الآراء ومقارنتها ومناقشتها يظهر الصواب غالبا، عن الحسن قال: "ما تشاور قوم قط بينهم إلا هدوا لأرشد أمورهم"[5].
الثانية: بالشورى استفادة بلا جهد من خبرات الآخرين وتجاربهم التى اكتسبوها فى أعوام طويلة، وبجهود وتضحيات.
الثالثة: والشورى عصمة لولى الأمر من الإقدام على أمور تضر الأمة ولا يشعر هو بضررها، ولا سبيل إلى إصلاح الضرر بعد وقوعه، ولا يرفعه كونه حسن النية، وفى الأثر "ما ندم من استشار،

---

1 - راجع: خصائص الدعوة الإسلامية: صـ 241.

2 - أخرجه الترمذى فى السنن، أبواب الجهاد، باب فى المشورة 210/7 [بشرح الإمام ابن العربى المالكى] وقال الترمذى: وفى الباب عن عمر، وأبى أبوب، وأنس، وعبد الله بن مسعود وقال عنه حديث حسن. وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه ا.هـ. والبيهقى فى السنن 45/7.

3 - المستدرك ـك ذكر مناقب عبد بن مسعود 359/2 ، برقم 5389 -، تعليق الذهبي قي التلخيص : عاصم بن ضمرة ضعيف .

4 - المستدرك ك مناقب النعمان بن مقرن 332/3 برقم 5279 -.

5 - أورده القرطبى فى تفسيره 36/16، والسيوطى فى: الدر المنثور 10/6 دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان "بدون".

ولا خاب من استخار"[1]. وقال على رضى الله عنه: "الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه"[2].

الرابعة: وفى الشورى تذكير للأمة بأنها صاحبة السلطان، وتذكير لولى الأمر بأنه وكيل عنها فى مباشرة السلطان، وفى هذا وذاك عصمة من الطغيان الذى هو من صفات الإنسان.

الخامسة: اطمئنانا لرعية لسلامة السير. فمتى عرفت أن أمورها تقضى بالشورى، استراحت واطمأنت لسلامة السير، وشاركت فى التنفيذ براحة وثقة، وإلا كان القلق والاضطراب وفقدان الثقة التى بدونها لا تفلح أمة ولا ينتج حكم.

السادسة: بالشورى تستمنح الرحمة والبركة للنظام والمجتمع على السواء[3]. قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: "المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضل معهما رأى، ولا يفقد معها حزم"[4]. وعن ذلك يقول الدكتور البهى: "والشورى على أية حال اجتهاد فى الرأى تحتمل الصواب والخطأ، ولكنها أقرب إلى الأمان وأبعد عن الانقسام والهزات بين صفوف المؤمنين فى أمتهم"[5].

مجال الشورى: ولا يخفى أن مجال الشورى يكون فى الأمور المباحة التى لم يرد بشأنها نص فى القرآن الكريم أو فى السنة النبوية، أما ما ورد فيه نص قاطع فلا مجال فيه للشورى، بل صار ملزماً، ويجب فيه الإتباع. يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "والمشاورة مع الأمة تجرى فى شئون الدولة المختلفة، وفى الأمور الشرعية الاجتهادية التى لا نص فيها، أى أن رئيس الدولة يستشير فى أمور الدين والدنيا كما يقول الفقهاء فقد جاء فى تفسير الجصاص: "الاستشارة تكون فى أمور الدنيا وفى أمور الدين التى لا وحى فيها...". والمشاورة فى أمور الدنيا أى فى شئون الدولة المهمة منها مثل تسيير الجيوش، وإعلان الحرب، وعقد المعاهدات وإسناد المناصب المهمة فى الدولة إلى مستحقيها ونحو ذلك"[6].

من هم أهل الشورى: بالرجوع إلى سنة رسول الله ρ وسيرته نجد أنه ρ كان يشاور جمهور المسلمين فى الأمور التى تهمهم مباشرة كما حدث فى مسألة الحديبية فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : مَاذَا تَقُولُونَ ؟ مَاذَا تَأْمُرونَ ؟ أَشِيرُوا عَلَيَّ ، قَدْ جَاءَكُمْ خَبَرُ قُرَيْشٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَمَا صَنَعَتْ ، فَهَذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ .....)([7]).

---

1 - أخرجه الطبرانى فى الأوسط 365/6 (6627) عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

2 - نقله أ.د/فرج الوصيف فى كتابه: أسس نظام الحكم صـ 120 "تقدم" عن فصول فى الإمرة والأمير: سعيد حوى صـ 121 مكتبة الرسالة الحديثة بعمان. الأولى 1402هـ - 1982م.

3 - راجع هذه الفوائد فى: أسس نظام الحكم صـ 120 وما بعدها.

4 - المصدر السابق: صـ 121 عن فصول فى الإمرة والأمير صـ 121.

5 - الدين والدولة د. محمد البهى صـ307.

6 - راجع له: أصول الدعوة: صـ 209. وانظر أحكام القرآن للجصاص 40/2 وما بعدها. دار الكتاب العربى بيروت – لبنان 1406هـ - 1986م.

7 - مصنف ابن ابي شيبة 30غزوة الحديبية 14/ 444

أما أهل الإيمان فيتشاورون فى الوسائل التى تعين على تمكين الحق وإظهار الصواب، ونشر الصلاح، فالصلاح هو موضوع الشورى فى الإسلام، الصلحاء هم موضع المشورة فيه"[1].

* * *

إعداد القوة التى تحمى الأمة من أعدائها:

وهذا معلم من معالم الناحية السياسية فى الإسلام، وهو فى غاية الأهمية سواء فى حال السلم أو الحرب، وذلك لأن الإسلام مستهدفا دائما من أعدائه، والصراع دائم بينهما، والواقع يؤكد بأن أعداء الإسلام – فى كل زمان – لا يكفون عن الكيد والتآمر على الإسلام وأتباعه. الأمر الذى يتطلب من المجتمع المسلم حكاما ومحكومين أن يكونوا من اليقظة والتأهب والاستعداد ما يمكنهم من مواجهة الأعداء ومقاومتهم والتصدى لهم، حتى يدركوا أن المسلم يقظ لا ينام ولا يستهان به فلا يتجرؤا عليه وعلى منهجه ومقدساته، ولا يطمعوا فى دياره وأوطانه.

ولذا أمر القرآن الكريم، وكذا السنة النبوية بإعداد العدة، وتكوين القوة لمواجهة أعداء الله عز وجل فى كل زمان ومكان، وإرهابهم، وكسر شوكتهم، حتى لا تسول لهم أنفسهم بالاعتداء على المسلمين فقال عز وجل: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ..) [2]. ومما يدخل فى ذلك قوله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً) [3].

وفى السنة النبوية يقول ρ: (و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ألا إن القوة الرمي[4]

ويقول أيضا: "من علم ثم تركه فليس منا، أو قد عصى"[5]. وفى هذا ما يشير إلى ضرورة إعداد القوة وملازمة ذلك لسلامة الأمة وحمايتها من الأعداء. ومن ثم فينبغى أن يكون شعار الأمة الدائم "خذوا حذركم"، "وأعدوا". ولهذا الإعداد أشكال وصور متنوعة منها:

الأولى: الإعداد المعنوى: وهذا الشكل من الإعداد لازم فى كل الظروف والأحوال، لا يقف عند حد مرحلة المواجهة مع الأعداء فحسب، بل ينبغى أن يكون الإعداد المعنوى ملازم لأفراد الأمة حكاما ومحكومين فى سائر أوقاتهم، وأشد ملازمة عند لقاء العدو. فيه تستطيع الأمة أن تتغلب على كثير من العقبات والأزمات الداخلية، وفى ذات الوقت لا يؤثر فيها، وفى عزمها على حماية دين الله عز وجل ما يتردد من قوة العدو وكثرة عدته.

وشتان بين أمة ترتفع معنويات أفرادها، وأخرى تعانى من إحباط وضعف الروح المعنوية لديهم فالأولى تبدو قوية متماسكة، تؤثر ولا تتأثر، تملى ولا يملى عليها، تأمر ولا تأمر، أما الأخرى فتبدو ضعيفة مهلهلة، ولذا يسهل اختراقها والسيطرة عليها.

---

1 - راجع: الحكم والتحاكم 549/2.

2 - سورة الأنفال من الآية (60).

3 - سورة النساء من الآية (71).

4 - المستدرك ك- تفسير سورة الأنفال 2/ 258برقم 3267 تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم وبعضهم أوقفه

5 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل الرمى والحث عليه 1523/3 (1919) وغيره عن عقبة بن عامر رضى الله عنه.

ومن أهم وسائل الإعداد المعنوى: (أ) قوة الإيمان بالله عز وجل. (ب) وإحياء مظاهر الوحدة بين أفراد الأمة. فالإيمان القوى يحصن الأمة من مخططات ومؤامرات الأعداء، ويحصنها كذلك من أفكارهم المضللة وشبهاتهم المغرضة. وكلما قوى الإيمان بالله عز وجل وتعمق فى نفوس الأمة كلما ارتفعت الروح المعنوية عندهم، لثقتهم بالله عز وجل وبنصره وتأييده، وليقينهم بأن الأمور بيد الله عز وجل، والملك بما فيه ملك له، وهو عز وجل قادر على تسخيره وتذليله للفئة المؤمنة. وجعل ما فيه من آيات قدرته عز وجل أداة هلاك وتدمير لأعداء الجماعة المسلمة. الأمر الذى يجعل معنوياتهم ترتفع إلى عنان السماء، ولا تبالى ما يتباهى به الأعداء من التقدم التكنولوجى لأسلحتهم ومعداتهم العسكرية.

وكم كان النبى ρ حريصا على رفح الروح المعنوية خاصة إذا اشتد الأمر عند لقاء العدو. ففى غزوة بدر مثلاً ورغم التفوق العددى الواضح للأعداء إلا أنه ρ كان حريصاً على هذا العنصر، فبعد أن عبأ جيشه مشىρ:يساوي بين الصفوف عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : عن النبي صلى الله عليه و سلم : أنه كان يأتي ناحية الصف إلى الناحية القصوى يسوي من صدور القوم و مناكبهم و يقول : لا تختلفوا فتختلف قلوبكم إن الله و ملائكته يصلون على الصفوف الأول.....) ([1])
إلى جانب دعائه وتبشيره لأبى بكر الصديق رضى الله عنه[2]. كان لهذه المواقف أثرها الواضح فى رفع الروح المعنوية لدى المجاهدين معه ρ.

وكان يكثر من الدعاء والتقرب الي الله تعالي ليرفع الجانب الإيماني لدي الجند ويزيدهم ثقة في نصر الله تعالي والتوكل عليه ، والزود عن دينه ، و يدعي لهم كذلك أن يفتح الله عليه بالغنيمة لحاجتهم اليه ، فالنفس البشرية مع ايمانها بالله تعالي ،تحتاج الي الي المال والكسب لقضاء الحاجات والضروريات ، لذا وافق الرسول بين الدين والدنيا وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج يوم بدر في ثلاث مائة و خمسة عشر فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم إنهم حفاة فاحملهم اللهم إنهم عراة فاكسهم اللهم إنهم جياع فاشبعهم ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا و ما فيهم رجل إلا و قد رجع بجمل أو جملين فاكتسوا و شبعوا ([3])

كما أن إحياء مظاهر الوحدة بين أفراد الأمة له أكبر الأثر فى الإعداد المعنوى، حيث يشعر المجتمع المسلم نتيجة وحدته وتجمعه بالقوة والعزة وينزع الوهن من قلوبهم. أما فى حالة فقده لوحدته وتجمعه، واستبدال ذلك بالفرقة والخلافات والمنازعات، فإنهم يشعرون بالضعف والذلة، نتيجة ضعف الإرتباط القلبى والعاطفى بين الأفراد. ومن ثم يدب فى قلوبهم الوهن مما يؤدى مع ضعف الروح المعنوية – إلى غلبة الأعداء وسيادتهم وسيطرتهم.

ولذا جاءت الأحاديث النبوية بكل ما يقوى العلاقة بين المسلمين ويحقق الوحدة بينهم فدعت إلى الترابط والتآلف والتعاون، ودعت إلى الأخوة والحب فى الله عز وجل، إلى غير ذلك مما يؤدى إلى

---

1 - المستدرك – باب فضائل سور واي متفرقة 765/1 برقم 2112 -

2 - الحديث فى ذلك أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر 1383/3 (1763) وغيره عن عمر بن الخطاب قال: "لما كان يوم بدر نظر رسول الله ρ إلى المشركين وهم ألف...".

3 - المستدرك ك قسم الفيء 144/2برقم - 2596 - هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه و قد اتفق الشيخان على الاحتجاج بأبي عبد الرحمن المذحجي مولى سليمان بن عبد الملك ، تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

وحدة الصف، وحذرت من كل ما يؤدى إلى تفتيت روح الإخوة، ويؤدى إلى الخروج عن وحدة الصف.

الثانية: الإعداد البدنى:

ومما ورد فى ذلك أن رسول الله ρ قال: "من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً فى أهله بخير فقد غزا"[1]. وهو يفيد أن من مد غازيا بالمال والزاد وأعطاه الذخيرة وعدة الحرب، وسهل له الجهاد، وساعد أهله وراعى أعمالهم، وقضى حاجاتهم، فهو مشارك له فى الأجر. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ρ: " من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله و تصديق موعود الله كان شبعه و ريه و روثه و بوله حسنات في ميزانه يوم القيامة "[2].

وقد أكد النبي ρ:علي أهمية تعلم الرمي والفروسية وثواب ذلك للمعلم والمتعلم ومن يساعدهم ، وبين أن ثواب ذلك هو الجنة ، ونبه علي ذلك مرار بصيغة الأمر

، ،ففي المستدرك عن خالد بن زيد قال : كنت راميا أرامي عقبة بن عامر فمر بي ذات يوم فقال : يا خالد اخرج بنا نرمي فأبطأت عليه فقال : يا خالد تعال أحدثك ما حدثني رسول الله صلى الله عليه و سلم و أقول لك كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه الذي احتسب في صنعته الخير و متنبله و الرامي ارموا و اركبوا و إن ترموا أحب إلي من أن تركبوا و ليس من اللهو إلا ثلاثة تأديب الرجل فرسه و ملاعبته زوجته و رميه بنبله عن قومه و من علم الرمي ثم تركه فهي نعمة كفرها "[3].

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : انتضلوا و اركبوا و إن تنتضلوا أحب إلي إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة صانعه يحتسب فيه الخير و المتنبل و الرامي به ([4])ا.هـ.

وواجب الأمة اليوم أن تجدد الإهتمام بهذا الشكل من الإعداد، وتحيى فى النفوس روح التبرع بالمال للتسلح وللمعاونة فى تمويل المجاهدين، وتوفير الموارد الكافية لهم بجانب مساندتهم معنويا لتكون للإسلام قوة تحميه من طمع الطامعين وغدر الغادرين .

إعداد النفس المجاهدة: ويعد ذلك من أهم عناصر أو أشكال القوة التى تعد لحماية الأمة من أعدائها. فإذا فقدت الأمة روح الجندية والجهاد فلن يجدى فى حمايتها الإعداد البدنى، والمادى، وستفقد بلا شك الإعداد المعنوى، الأمر الذى يضعفها ويطمع فيها أعداؤها.

ولذا حرصت السنة النبوية من خلال مدارسة أحاديث المستدرك على بث روح الجهاد والجندية فى أفراد الأمة حكاما ومحكومين، وإعداد النفس التى تدرك غايتها وتدرك مسئوليتها، وتشعر بأنها صاحبة هدف ورسالة تتطلب أن تظل فى رباط دائم.

وعلى الأمة اليوم أن تدرك ضرورة بث روح الجهاد والجندية فى النفوس، وذلك لردع أولئك الذين يتحرشون بالإسلام وأتباعه نتيجة فقد هذه الروح.

---

1 - السنن الكبري للنسائي 256/2.

2 - المستدرك ك- الجهاد 101/2برقم 2456 ،هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

3 - المستدرك ك- الجهاد 104/2 برقم 2467، هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، و له شاهد على هذا الإختصار الصحيح على شرط مسلم تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

4 - المستدرك – ك- الجهاد 104/2 برقم تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلما -2468

فعز المسلمين وشرفهم فى الجهاد فى سبيل الله عز وجل، وأن يكونوا دائما على النية فى الغزو، "وأن يظلوا فى حياتهم على تعبئة فى أهبة الدفاع يسدون الثغور، ويرابطون فى مواقع الخطر، ولا يغفلون عن أمتعتهم وأسلحتهم لحظة واحدة، وأن يكونوا واضعى اليد على الزناد، متخذين أساليب العصر فى الحرب وفى العتاد، لا يعتدون ولكن يحفظون أنفسهم من العدوان[1]" ا.هـ.
والحق "أن المتأمل فى أحوالنا اليوم وطريقة تفكيرنا ومعيشتنا وتعاملاتنا ليرى عدم المصداقية الكافية عندنا فى إعداد النفس للجهاد، وتحديث النفس بالغزو على جميع المستويات إلا من رحم الله تعالى، فمجرد نظرة سريعة إلى اهتماماتنا، وما يشغل قلوبنا نرى أنها ليست اهتمامات مجاهدين.
وأسلوب معيشتنا مما يشتمل عليه من الترف والترهل وحب الدعة والراحة والركون إلى الدنيا وكراهية الموت، كل هذا لا يتفق مع حقيقة تحديث النفس بالغزو وإعدادها للجهاد"[2].ا.هـ.
* حماية غير المسلمين في المجتمع المسلم :
هناك أعداد قليلة أحيانا غير مسلمة تعيش فى المجتمع بين المسلمين وهى إن ظلمت أو اعتدى عليها بغير حق تحولت إلى ثغرة أمنية داخل المجتمع، بما تختزنه من حقد عليه فتعمل على تخريبه من داخله، وتؤلب عليه آخرين من خارجه. فمن أجل تحقيق الأمن العام للجميع تجب مراعاة حقوقهم.
"وقد حرص الإسلام على رعاية المستوطنين من الأقليات بحفظ أمنهم وحريتهم فى عقيدتهم وعبادتهم وثقافتهم وحرماتهم فى النفس والمال.... ما لم يخرجوا على المجتمع، ولم يهددوا مصالحه وأمنه"[3].هـ. ومن الأحاديث التى بينت العلاقة مع الذميين وحرمت الاعتداء عليهمما رواه الحاكم في المستدرك " عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي ρقال : ألامن قتل معاهدا له ذمة الله و ذمة رسوله فقد خفر ذمة الله و لا يرح ريح الجنة و أن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا "[4].
* الحرص علي وحدة المجتمع المسلم وترك الفرقة والخلاف : فعلى الأمة إذا أرادت تحقيق الأمن أن تجمع شملها وأن توحدا بين أفراد الأمة حتى يتحقق التآخى والتضامن والترابط والتعاون فيما بينهم. وبذلك تصير الأمة كما فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما : عن النبي صلى الله عليه و سلم : يقول : لا تختلفوا فتختلف قلوبكم "[5]. ولا يخفى أن النبى ρ قد طبق ذلك عمليا ووحد بين المسلمين فى أول أساس من أسس الدولة الإسلامية. فكان من أهم ركائز تحقيق الأمن والاستقرار بين أفرادها.
* الحرص والتأكيد علي إقامة الحق ونشر العدل : فيتخلي المتجمع عن الظلم ويعمل علي نشر الحق واقامة العدل ، ونشر الصدق والخير والمحبة بين أفراد المجتمع ،ويعين كل واحد أخاه فيما يحتاج اليه ، عندئذ يشيع الأمن بين أفراد المجتمع المسلم.

---

1 - عالمية الإسلام: أنور الجندى صـ 53 دار المعارف 1977م. سلسلة اقرأ (426) بتصرف يسير.

2 - متى نصر الله: عبد العزيز بن ناصر صـ 101. دار طيبة للنشر والتوزيع. دار المروة للتوزيع. الطبعة الثانية 1415 – 1994م.

3 - انظر: الأمن والمخابرات: صـ 35.

4- المستدرك ك- الجهاد 138/2 برقم 2581 ، تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم

5 - . المستدرك 756/1 برقم 2112 .

. ولذلك جعلت السنة النبوية الأمان من أهم سمات المؤمن، حيث قال ρ: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و المؤمنون من أمنه الناس على دمائهم و أموالهم " (1)

وقال: ρ:" من اقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذبة كانت نكتة سوداء في قلبه لا يغيرها شيء إلى يوم القيامة "(2).

وقال ρ:من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار ليبلغ شاهدكم غائبكم مرتين أو ثلاثا (3)

وقال ρ:من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة و أدخله النار قالوا : يا رسول الله و إن كان شيئا يسيرا ؟ قال : و إن كان سواكا و إن كان سواكا (4)

فقد تنوعت العقوبة والجزاء كما بينت ذلك أحاديث رسول الله ، التي نهت عن الظلم عامة وظلم المسلم للمسلم خاصة ، والتي بينت غضب الله تعالي علي المعتدي ، وكيف حرم الله تعالي عليه الجنة ، وجعل له مقعدا في النار .

: وقال ρ:من اقتطع شبرا من الأرض طوقه الله تعالى يوم القيامة من سبع أرضين و من اقتطع مالا بيمينه فلا بورك له فيه و من تولى قوما بغير إذنهم فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين (5)

ومن أهم ألأمور الضرورية والتي يجب التركيز عليها لاستقرار الأوضاع الداخلية :

اولا:- وضع الخصمين في منزلة واحدة دون تمييز أو تفرقة : فينبغي أن يتساوين في الحقوق جميعها دون أدني تمييز في صغير أو كبير فلا يميز بين أحدهما فى المجلس أو السماع أو النظر ونحو ذلك بما يسوى بينهما فى قربهما أو بعدهما من مجلسه، وفى المجلس الذى يجلسونه، وأيضاً فى السماع من حيث الاهتمام وإتاحة الفرصة للكلام، والوقت المتاح لذلك، وهكذا، وأيضا فى النظر فلا ينظر بتقدير لأحدهما وبازدراء أو إهمال للآخر، وهكذا فى كل شئ، فهو ليس خصما وإنما للفصل بين المتخاصمين. ومما يشير لذلك ما ورد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه : أن أبا عبد الله بن الزبير كانت بينه و بين أخيه عمرو بن الزبير خصومة فدخل عبد الله بن الزبير على سعيد بن العاص و عمرو بن

---

1 - المستدرك ك- الأيمان 54/1 برقم 22 ،قد اتفقا على إخراج طرف حديث : المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و لم يخرجا هذه الزيادة و هي صحيحة على شرط مسلم و في هذا الحديث زيادة أخرى على شرطه مما لم يخرجاها تعليق الذهبي قي التلخيص : لم يخرج مسلم نصفه الثاني .

2 -: المستدرك ك الأيمان والنذور ، 327/4 برقم 7800 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة إنما اتفقا على حديث الأعمش و منصور عن أبي وائل عن عبد الله بلفظه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

3 - المستدرك ك الأيمان والنذور 328/4 برقم 7803 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

4 - المستدرك ك الأيمان والنذور 328/4 برقم 7804 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح ،

5 - المستدرك الأيمان والنذور 329/4 برقم 7807 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

الزبير معه على السرير فقال سعيد لعبد الله : ها هنا قال لا قضاء رسول الله صلى الله عليه و سلم و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الخصمين بين يدي الحاكم"[1].
ولا ريب أن للمساواة أعظم الأثر على نفس المتخاصمين، إذ يشعران بأنهما سواء أمام القاضى وهذا يؤدى إلى شعور المظلوم بالطمأنينة وردّ حقه إليه.
ثانيا- جمع المعلومات في القضية المتنازع عليها قبل الفصل فيها وسماع أقوال المتخاصمين فلا يتعجل القاضي في اصدار حكمه ، أو بالفصل في القضية قبل معرفة جوانبها وحدودها ، ليكون في حكمه علي بينة وأساس .

ويوضح ذلك ماورد عن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول اللهρ إلى اليمن فقالت : تبعثني إلى قوم ذوي أسنان و أنا حدث السن قال : إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول قال علي : فما زلت قاضيا "[2].
قال الشوكانى: "فيه دليل على أنه يحرم على الحاكم أن يحكم قبل سماع حجة كل واحد من الخصمين وإستفصال ما لديه والإحاطة بجميعه. والنهى يدل على قبح المنهى عنه، والقبح يستلزم الفساد فإذا قضى قبل السماع من أحد الخصمين كان حكمه باطلا فلا يلزم قبوله بل يتوجه عليه نقضه ويعيده على وجه الصحة أو يعيده حاكم آخر"[3].
وقد نقل الرازى عن الشافعى قوله: "ينبغى للقاضى أن يسوى بين الخصمين فى خمسة أشياء:
1- فى الدخول عليه. 2- والجلوس بين يديه.
3- والإقبال عليهما. 4- والاستماع لهما. 5- الحكم عليهما[4]" ا.هـ.
ثالثا- أن يتجنب الغضب وقت القضاء وعند اصدار حكمه : فالغضب يفقد صاحبه الصواب ويوقعه فى الزلل. وفى هذا النهى عن القضاء حالة الغضب لما يحصل بسببه من التغير الذى يختل به النظر فلا يحصل استيفاء الحكم على الوجه الذى ينبغى أن يكون. ويلحق به كل ما يحصل به تغير الفكر، وكل حال يخرج الحاكم فيها عن سداد النظر واستقامة الحال. كالجوع والعطش المفرطين، والشبع المفرط، وغلبة النعاس، والهم والفرح البالغ، ومدافعة الحدث وتعلق القلب بأمر، ونحو ذلك، فكل هذه الأحوال يكره القضاء فيها خوفا من الغلط، فإن قضى فيها صح قضاؤه إن وافق الحق والصواب[5].
جاء فى أدب القاضى: "لا ينبغى للقاضى أن يجلس للقضاء وهو غضبان ولا ضجر ولا جائع، ولا عطيط من الطعام أى مملى، ويكون جلوسه عند اعتدال أمره، ويجعل سمعه وفهمه، وقلبه إلى الخصوم، لأن الضجر والجوع والامتلاء من الطعام، مما يشغل الخاطر والفهم عن القضاء.

---

1 - المستدرك ك الأحكام 106/4 - 7029 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

2- المستدرك ك الأحكام 105/4 برقم 7025 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح.

3 - نيل الأوطار للإمام الشوكانى 276/8 "تقدم".

4 - فقه السنة سيد سابق 319/3، عناصر القوة فى الإسلام صـ 155.

5 - نيل الأوطار للشوكانى 273/8.

ولا ينبغى للقضاء أن يقضى بين اثنين وخاطره مشغول بغيرهما، لأنه لا يأمن عليه العدول عن الحق[1]" ا.هـ.

رابعا-اعتبارالحكم بالبينة والشاهد ويمين المدعى عليه: فمهمة القاضى الأساسية إقرار الحق والعدل بين المتخاصمين، وإنصاف المظلوم، ومعاقبة الظالم المعتدى على حقوق الآخر، ولكى يحقق ذلك دون محاباة أو مجاملة لى الطرفين فلابد من التبين والتأكد قبل إصدار حكمه، ولأجل أن يكون الحكم سليما مقنعا لجميع الأطراف فلابد للقاضى من البينة التى يبنى عليها، أو شاهد يكشف له عن حقيقة الأمر، أو يمين المدعى عليه. وهذا ما أرشد إليه المنهج النبوى فى القضاء صيانة لحقوق المتنازعين فى أمر ما. عن بلال بن الحارث المزني أن النبي صلى الله عليه و سلم قضى باليمين مع الشاهد [2]. وعنه أيضا أن النبى ρ قضى باليمين على المدعى عليه[3]. وفى رواية: أن النبى ρ قال: "لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدعى عليه"[4].

وقد جاءت السنة النبوية بما يحذر من استخدام اليمين فى اقتطاع الحق وإن كان شيئا يسيرا لا قيمة له.

خامسا : القسمة أو الاقتراع على اليمين عند تعارض البينتين والدعوتين: فقد أوضحت السنة النبوية فى منهجها كيفية تصرف القاضى عند تعارض البينتين والدعوتين التى يفصل فيهما وذلك بقسمة المتنازع عليه، أو الاقتراع على اليمين بين المتخاصمين.

فقد قضي بذلك رسول الله في امر البيع ففي المستدرك عنهρ قال "إذا اختلف البيعان و ليس بينهما بينة فهو ما يقول رب السلعة أو يتتاركا "([5]) ،وكذلك قضي رسول الله بين رجلين ليس لديهما بينة وقد اختصما اليه في بعير فعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أبي موسى : أن رجلين ادعيا بعيرا أو دابة إلى النبي صلى الله عليه و سلم و ليس لواحد منهما بينه فجعله النبي صلى الله عليه و سلم بينهما ([6]) ،

وقد جعل الرسول اليمن أمرا معتبرا شرعا له مكانته وقداسته ، ويحب الرجوع اليه عند الحاجة اليه ،فعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلا ادعى عند رجل حقا فاختصما إلى النبي صلى الله عليه و سلم فسأله البينة فقال : ما عندي بينه فقال للآخر : أحلف فحلف فقال : و الله ماله عندي شيء فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بل هو عندك أدفع إليه حقه ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : شهادتك بأن لا إله إلا الله كفارة ليمينك ([7])

---

1 - أدب القاضى للجصاص صـ 42.

2 - اخرجه الحاكم في المستدرك ك- ذكر بلال بن الحارث المزني 593/3 برقم 6201 -..

3 - اخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه 1336/3 (1711).

4 - اخرجه مسلم فى الصحيح، الموضع السابق.

5 - المستدرك ك البيوع 52/2 ، ح 2293 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

6 - المستدرك ك الأحكام – 106/4 ح 7031 هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه وقد خالف همام بن يحيى بن سعيد بن أبي عروبة في متن هذا الحديث تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

7 - المستدرك ك 107/4 ح 7035 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

سادسا قسمة المتنازع عليه المجهول مع إبراء ذمة كل من الطرفين للآخر: وقد يتعرض القاضى للفصل فى شئ مجهول المعالم والحدود، ولكى يفصل بين أطراف النزاع بما يرضى الله عز وجل أوضحت له السنة النبوية كيفية الفصل فى ذلك. " ففي مسألة المواريث ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : أتى رجلان النبي صلى الله عليه و سلم يبتدران في مواريث بينهما ليس لهما بينة فأمرهما النبي صلى الله عليه و سلم أن يقتسما و يتوخيا ثم يستهما و ليحلل كل واحد منهما صاحبه"([1])

سابعا- **النهى عن الرشوة فى الحكم والقضاء** : فقد حرص المنهج النبوى على نزاهة القاضى وبعده عن الشبهات أو الوقوع فى الحرام. ولذا كان النهى عن الرشوة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم الراشي و المرتشي ([2]) فقد ذكر الحديث الشريف القضية عامة لم يحددها بشيء بعينه وانما الرشوة في كل الأمور حتي يحذرها الناس ويتقون شرها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم الراشي و المرتشي في الحكم ([3]) فقد خص هذا الحديث الأمر في الحكم ذاته لأن قضية الحكم او التحكيم من اخطر القضايا التي يتعرض الناس فيه لأمر الرشوة ، فتضيع بها حقوقا كثيرة ، فلربما أهلكت اناس وضيعتهم ،ربما في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فالقاضي أو الحكم الذي يفصل في الحقوق بين الناس فلو انحاذ لواحد من الطرفين، أضاع الأخر ،لذا فقد أكد ρ علي ذكر الحكم بعينه .

عن ثوبان رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : لعن الله الراشي و المرتشي و الرائش الذي يمشي بينهما([4]) وقد أكد ρعلي أركان القضية جميعها ، فلربما تكون الرشوة من طرفين مباشرة ، وربما احتاجا الي طرف ثالث واسطة بينهما ، لذا فقد أغلق الإسلام في وجه ذلك الفاعل كل الحيل كي يستقيم الأمر ، وتتصلح أحوال المسلمين ،بوضع الشيء المناسب في المكان المناسب، عن طريق حكم عادل يساوي بين اطراف المجتمع ، ويعطي كل ذا حق حقه ، أما دفع الرشوة أي كان نوعها فقط فليس هو الحل لكل مشكلة وانما هو شراء لحكم مزيف ليس لصاحبه حق فيه ، فكل شيء معه يصر في غير مواضعه فهو اقرب ما يكون بقبلة موقته ، او مرض فتاك لم يحن موعد فناء صاحبه .

ومما سبق يتضح أن السنة النبوية قد نظمت بمنهجها القويم شئون القضاء ليتحقق العدل ويعلو الحق، وتحفظ الحقوق، وتصان الدماء والأعراض والأموال، وتشيع الطمأنينة وينتشر الأمن، وتقوى الثقة بين الحاكم والمحكوم ، وتعم المحبة والإيخاء بين أفراد المجتمع .

---

1 - المستدرك كتاب الأحكام 107/4 ح 7033 -- صحيح الإسناد و لم يخرجاه و مولى أم سلمة هو عبيد الله بن أبي رافع المخرج له في الصحيحين تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

2 - المستدرك ك 155/4 ،ح 7066 – هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و: أما حديث أبو هريرة : شاهده الحديث المشهور عن أبي هريرة و حديث ثوبان تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

3 - المستدرك ك 4/ 155 – ح 7067 و أما حديث ثوبان : تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص

4 - . المستدرك ك 155/4 – ح 7068تعليق الذهبي قي التلخيص : ذكر عمر وليث في الشواهد

الفصل الثالث

الأثر العملي لأحاديث المستدرك

في الحياة الاقتصادية المعاصرة

وتحدثت فيه عن:

أولا:-

خصائص الاقتصاد الإسلامي

ثانيا :-

أهم ملامح النظام الاقتصاد في الإسلام

ثالثا :-

الوسائل التي حرمها الإسلام

رابعا :-

الضوابط الشرعية التي تجلب البركة و في الرزق

الفصل الثالث

الأثر العملى للسنة النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم فى الحياة الإقتصادية المعاصرة

تمهيد:

تمثل الناحية الإقتصادية ضرورة هامة وأساسية فى حياة المدعوين، لا يمكن الاستغناء عنها، وذلك لتعلقها بالأموال والملكيات والمعاملات، وكلها أمور هامة وضرورية. حتى لا يكون اكتساب المال وتملكه بلا ضابط.. وحتى لا يكون التعامل بين الناس بحرية مطلقة تطغى فيها المادة والأنانية والمصلحة الذاتية، على الأخلاق والقيم ومراعاة المصلحة العامة. كان لابد من قواعد وأحكام تنظم جوانب النشاط الإقتصادى بما يحقق الخير والنفع للفرد والمجتمع.

وهذا ما فعله الإسلام، حيث وضع من الأحكام الإيمانية، والقواعد الأخلاقية ما يضبط الناحية الإقتصادية، وينظم سيرها، ويجعل الاقتصاد الإسلامى مميزا عن غيره، حيث وافق نظامه الطبائع الإنسانية، وجاء مقرراً لمصالح كل من الفرد والمجتمع "فالنظام الإقتصادى هو جزء من كل. وفرع من أصل والقيم التى يتضمنها الإسلام، وهو الحل الأمثل والعلاج الأوفى والأشمل لما تعارف علماء الاقتصاد على تسميته المشكلة الإقتصادية. وما يرتبط بها من تنظيم للإنتاج والتوزيع وما يدخل فى إطار هذا التوزيع من نظم فرعية وسياسات وتطبيقات"[1]. ا.هـ.

وجدير بالذكر بأن الأصول والمبادئ الإقتصادية التى وضعها الإسلام صالحة لكل زمان ومكان، وأنها غير قابلة للتغيير أو التبديل "وأنه بناء على هذه الأصول والمبادئ الإقتصادية الإلهية المتفق عليها نستخلص منها على المستوى النظرى أو الفكرى "نظرية أو نظريات إقتصادية" معينة، وعلى المستوى العملى أو التطبيقى "نظاماً أو نظماً اقتصادية" معينة. وهذه النظريات أو النظم اجتهادية،

---

1 - (مبادئ النظام الإقتصادى الإسلامى وبعض تطبيقاته): الدكتورة سعاد إبراهيم صالح صـ7، دار الضياء الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م.

ومن ثم فهى متعددة وتختلف باختلاف الزمان والمكان، ولا تعتبر إسلامية إلا بقدر تعبيرها عن الأصول والمبادئ الإقتصادية التى وردت بنصوص القرآن والسنة ولا تتجاوزها[1].
"فالإسلام فى إقتصادياته – كما هو فى سائر تشريعاته – يضع الإطار العام ويترك لنا الجزئيات نضعها بما يناسب كل زمان وكل بيئة وما جرى عليه العرف فى كل عصر، لكن بحيث لا تخرج عن هذا الإطار العام الذى رسمه المولى عز وجل، لأننا إذا خرجنا عن هذه الحدود ضللنا الطريق وسرنا فى تيه من التجارب البشرية، ولم نجن من وراء ذلك إلا مزيدا من الضياع والشقاء، وبعدنا عن السلام والطمأنينة والعدالة التى يسعى الإسلام إلى إقامة المجتمع على أسس منها"[2].
وقد كان للسنة النبوية دورها مع القرآن الكريم فى وضع الأصول والمبادئ الإقتصادية، والمتتبع للنصوص النبوية يجد فى كتب السنة آلاف الأحاديث المتعلقة بالمعاملات المالية والعقود وغير ذلك مما هو من جزيئات الاقتصاد. ولعل من المفيد قبل ذكر أثر السنة النبوية فى هذه الناحية أن أشير إلى معنى الاقتصاد، ثم خصائص الاقتصاد الإسلامى.
معنى الاقتصاد :- لفظ الاقتصاد مشتق لغويا من مادة قصد، والقصد للطريق المستقيم، وفى المر التوسط، وفى الحكم العادل، وفى النفقة التوسط والاعتدال بين السرف والتقتير. ويقال: اقتصد فى أمره فى أى توسط فلم يفرط ولم يفرط. واقتصد فى النفقة أى لم يسرف ولم يقتر (أو يقتر) وهذا التعريف قد اختاره مجمع اللغة العربية بالقاهرة[3].

المبحث الأول : خصائص الاقتصاد الإسلامى :-
إن الاقتصاد الإسلامى ليس علماً وضعياً بمعناه المنبثق من العلمانية، فهو وإن كان له قوانينه شأنه شأن بقية العلوم الطبيعية إلا أنه يفترق عنها فى أنه لا يقف عنه حدود الوصف، وإنما يهتم بما يجب أن يكون، فهو من هذه الزاوية علم هادف، **هذا أولا.**
وثانيا : لأنه مرتبط ببقية القوانين التى تنظم الحياة ارتباط الكل بأجزائه فيتعذر فصله عن القواعد الأخلاقية والإيمانية والعقيدية.
ثالثا :- لأنه مرتبط بالشريعة الإسلامية التى تنظم كل قوانين الحياة فإنه ملتزم بقواعد الحلال والحرام فى الكسب والإنفاق من كتاب الله – عز وجل – وسنة رسوله - ρ -، والتقيد بمصطلحات القرآن والسنة أمر على جانب كبير من الأهمية[4].
ومن خصائص النظام الإقتصادى الإسلامى:
1 :- أنه إقتصاد إلهى وجزء من نظام الإسلام الشامل:-
فالله عز وجل هو المشرع لأسس وقواعد هذا النظام ، على عكس غيره من النظم الوضعية المنتشرة فى العالم اليوم من رأسمالية وشيوعية وإشتراكية، فهى بشرية من وضع الإنسان، وهو خطأ بطبعه ويتأثر بالميول والأهواء.

---

1 - (المذهب الإقتصادى فى الإسلام) دكتور محمد شوقى الفنجرى صـ 18، الهيئة المصرية العصرية الكتاب 1986.

2 - (مقومات الاقتصاد الإسلامى) عبد السميع المصرى صـ 5، مكتبة وهبة: الطبعة الأولى 1395 هـ 1975م.

3 - (المعجم الوسيط) 738، (مبادئ النظام الإقتصادى الإسلامى) صـ 11.

4 - أضواء على الفكر الإقتصادى الإسلامى المعاصر: جامعة المنصورة: اتحاد طلاب كلية التجارة ص 17 "بدون".

أما النظام الإقتصادى الإسلامى فهو نظام إلهى منزل عند الله عز وجل خالق الإنسان العليم باحتياجاته. وبما يصلح له، ويسعده فى دنياه وأخراه. فالله عز وجل هو الذى أنزل الأحكام التى تتعلق بجمع المال وإنفاقه، وهو الذى بين الأعمال المباحة والمحرمة، والمال والعمل هما الركيزتان اللتان يقوم عليهما الاقتصاد الإسلامى.

وعلى ذلك فمصدر هذا النظام هو الله عز وجل بما جاء فى كتابه، أو فى سنة رسوله ρ، أو ما أجمع عليه علماء المسلمين. وهذا معناه أن الاقتصاد الإسلامى لا ينفصل عن الدين كغيره من الاقتصاد الوضعى – بل يرتبط بدين الإسلام عقيدة وشريعة مما يجعل للنشاط الإقتصادى فى الإسلام طابعاً تعبدياً، وهدفا ساميا ويجعل الرقابة على ممارسة هذا النشاط رقابة ذاتية. فالنشاط الإقتصادى الذى يقوم به المسلم يمكن أن يتحول من عمل مادى عادى إلى عبادة يثاب عليها أى توافر فيه شرطان: أولهما: أن يكون ذلك النشاط حلالاً مشروعاً. ثانيهما: أن يراعى فيه الله تعالى مبتغياً به وجهه ورضاه[1].

ويشير لذلك رده ρ على قول بعض الصحابة على الشاب الذى يسرع إلى عمله: "لو كان هذا فى سبيل الله"، فرد عليهم النبى ρ بقوله: "لا تقولوا هذا، فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله. وإن كان يسعى على نفسه فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان"[2].

كما أنه لا يسعى إلى النفع المادى وحده – كالأنظمة الوضعية من رأسمالية واشتراكية – ولا يهدف إلى المنافسة والإحتكار والسيطرة والإستئثار بخيرات الدنيا ومنعها عن الآخرين... وإنما الهدف هو العمل على تحقيق الخير والرفاهية والنفع العام للمجتمع كله. ولإرتباطه الوثيق بالدين فإن الرقابة فى ممارسته هى رقابة ذاتية فى المقام الأول، وهى أشد وأكثر فاعلية، لأنها تتبع من ضمير يراقب الله عز وجل، وهذا فى حد ذاته أكبر ضمان لعدم إنحراف النشاط الإقتصادى[3].

ولذا حرصت السنة النبوية على تربية المسلم على مراقبة الله عز وجل

2:- إنه اقتصاد إنسانى يراعى الفطرة الإنسانية :

---

1 - دين دولة: صـ 51، والمذهب الإقتصادى فى الإسلام. صـ 96 "تقدم"، والنظام الإقتصادى فى الإسلام مبادئه وأهدافه د/أحمد العسال ود/فتحى عبد الكريم صـ 18. مكتبة وهبة الطبعة الثالثة 1400هـ - 1980م – ودور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى: دكتور يوسف القرضاوى صـ 29 وما بعدها مكتبة وهبة، الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م بتصرف.

2 - أخرجه الطبرانى فى الكبير 129/19 (282).

3 - النظام الإقتصادى فى الإسلام: صـ 26 "تقدم" بتصرف".

غايته وهدفه تحقيق الحياة الانسيانية الكريمة بكل مقوماته وعناصره ، بل راعى هذه الفطرة فأقر حق الملكية الخاصة، وأحاطها بمختلف الضمانات التى تصونها وتحميها من أى إعتداء أو عدوان. إلا أنه قد قيد هذه الملكية بأن تكون عن طريق ما شرعه الله عز وجل من وسائل. كالعمل التجارى أو الزراعى أو الصناعى، وكالميراث، والزكاة، ونحو ذلك مما شرعه الله عز وجل[1].

3- انتفاء الندرة :-

مشكلة المشاكل فى النظم الإقتصادية المعاصرة وهو ما يتناولونه تحت عنوان الندرة ويقصدون به قلة الموارد بالنظر إلى تزايد الناس، أو ما يصطلحون عليه بالإنفجار السكانى، وهذه المشكلة لا وزن لها بل لا وجود لها فى النظام الإسلامى. لأن عقيدة أصحابه تقوم على أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأنه هو المالك الحقيقى لكافة موارد الأرض والسماء، ومن ثم فلا يمكن أن يأتى وقت أن يوجد مكان تتحقق فيه الندرة، اللهم إلا أن يكون الأمر عقابا من عند الله عز وجل.

ومن جانب آخر فإن واقع الأمة الإسلامية يؤكد أنها إن عادت أمة واحدة، وعادت إلى ربها فلا يمكن أن تتحقق فيها ندرة أبدا.. فالمنطقة الإسلامية أخصب بقاع الأرض زراعيا... وأغنى بلاد الأرض بالمواد الأولية كالذهب واليورانيوم والبترول. وهى أوسط بلاد العالم موقعا .... تجاريا واستراتيجيا... ومن ثم فإن صح أن توجد الندرة فى الشرق أو فى الغرب.... فإنه لا يصح بالنسبة للأمة الإسلامية إذا عادت مرة أخرى أمة الإسلام[2].

4- أنه إقتصاد أخلاقى يراعى معانى الأخلاق الفاضلة :-

فهو ليس كغيره من الأنظمة الوضعية التى تهدر القيم والأخلاق فى كل جانب من جوانب نشاطها الإقتصادى، ولذا إنتشر فيها الكذب والغش والغدر والخداع، وشاع بين المتعاملين بها الحقد والحسد، والضغينة والبغضاء، ولا حرج عندهم أن ينمى المال أو ينفق فى الفحش والرذيلة، بل إن الاقتصاد فى الإسلام يراعى معانى الأخلاق فى كسب المال وتنميته وإنفاقه. وهذه المراعاة لمعانى الأخلاق منها ما هو متروك لإيمان الإنسان ووجدانه كالالتزام بالصدق والوفاء، ومنها ما تتدخل الدولة فى إلزام الأفراد به وإجبارهم عليه مثل مذهبهم من الربا، وفتح محلات الفحش والخمور[3]. "وهذا الاقتران بين الاقتصاد والأخلاق يتجلى فى كل الحالات الإقتصادية: فى الإنتاج والتوزيع والتداول والاستهلاك. والمسلم – فرداً أو مجتمعاً – فى هذه المجالات ليس سائباً طليق العنان يفعل ما يحلو له أو ما يعود عليه بالربح فحسب... كلا إن المسلم مقيد بالإيمان والأخلاق فى كل نشاط إقتصادى يقوم به فى كسبه إذا إكتسب المال، وفى تنميته إذا نماه، وفى إنفاقه إذا أنفقه. والمجتمع المسلم ليس حرا طليق العنان فى إنتاجه لأنواع الثروة أو توزيعها أو تداولها أو إسهتلاكها، أنه مقيد بقيود العقيدة والمثل الأخلاقية العليا، بجوار تقيده بقانون الإسلام وأحكامه التشريعية[4]."ا.هـ.

5- أنه اقتصاد يحقق التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة :-

---

1 - انظر: أصول الدعوة صـ 232 بتصرف. وللمزيد من الاستفادة فى ذلك راجع: دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى ص 63 وما بعدها.

2 - انظر: دين دولة صـ 52 وما بعدها. بتصرف وانظر فى ذلك أيضا: مقومات الاقتصاد الإسلامى عبد السميع المصرى صـ 11.

3 - أصول الدعوة صـ 234 بتصرف.

4 - دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى صـ 57.

فهو ليس كالنظام الإقتصادى الرأسمالى الذى يقدم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، ولا كالنظام الإقتصادى الإشتراكى الذى يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، بل إنه يعترف بكل من مصلحة الفرد الجماعة طالما لم يكن هناك تعارض بينهما، أو كان التوفيق بينهما ممكنا، وفى حالة التعارض بين مصلحة الفرد والجماعة وتعذر التوازن أو التوفيق بينهما فإن الإسلام يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، ومن الأمثلة الدالة على ذلك النهى عن الإحتكار، وعن بيع الحاضر للبادى، فإن فى ذلك تقديماً للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة[1]. كما أن الاقتصاد الإسلامى يقوم على التوازن والإعتدال فى الإنفاق دون إسراف أو تقدير، أو بين النفقات والإيرادات. كما فى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) ([2].

وفى السنة النبوية عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ρ قال: "رحم الله امرأ اكتسب طيبا، وأنفق قصدا، وقدم فضلا ليوم فقره وحاجته"[3]. فالتوازن والاعتدال من خصائص الاقتصاد الإسلامى، لأن فى الإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير يؤدى إلى حبس المال وتجميده.

والترف يؤدى إلى ضرر إقتصادى، فإنه إذا شاع أدى إلى زيادة الإستهلاك على الإنتاج، وأدى ذلك إلى التضخم... وما يترتب على ذلك من إختلال التوازن الإقتصادى، وحدوث الأزمات الإقتصادية، وذلك كله فوق الأضرار الاجتماعية والسياسية التى يؤدى إليها[4].

---

1 - النظام الإقتصادى فى الإسلام: صـ 27، وانظر دين ودولة، صـ 56، والمذهب الإقتصادى فى الإسلام: صـ 97. ودور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى: صـ 81 وما بعدها.

2 - سورة الفرقان: الآية (67).

3 - أورده السيوطى فى: الفتح الكبير.

4 - هذه الخصائص مستفادة من: دين ودولة: د/على جريشة صـ 51 وما بعدها، أصول الدعوة: صـ 232 وما بعدها، الإنسان والمال فى الإسلام: صـ 149 بتصرف كثير.

المبحث الثانى

أهم ملامح النظام الإقتصادى فى الإسلام

بالتأمل يتضح أن هناك عناصر أو أركاناً أساسية تتكون بها الناحية الإقتصادية فى الإسلام وتتصل إتصالاً مباشراً بأى نشاط إقتصادى يتم فى حياة المدعوين. وهى تتمثل فى: (1) الملكية. (2)العمل. (3)الديون. (4)الزكاة.
(5)الميراث[1].

ومن خلالها تتحدد ملامح النظام الإقتصادى فى الإسلام. وإلتزاماً بمنهج البحث ومضمونه سأكتفى هنا بإبراز أثر السنة النبوية ودورها فى كل عنصر من هذه العناصر.

أولاً:- الملكية:-

وهى كلمة تفيد معنى الإحتواء والقدرة على الإستبداد بالشئ، ويراد بها حق الفرد فى إحتواء شئ ما وتمكينه من الإنتفاع به بكل الطرق الجائزة شرعا، بحيث لا يجوز للغير الانتفاع بهذا الشئ إلا بموافقة المالك الأصلى، وفقا لصورة من صور التعامل الجائز[2]. ا.هـ. وللفقهاء تعريفات عديدة تضمنت جميعها معنى الاختصاص والاستئثار[3].

وكما هو معلوم أن ملكية المال هى محور النشاط الإقتصادى فى كل مجتمع على إمتداد العصور[4] ولأن الإقتصاد الإسلامى لا ينفصل عن الدين، والدين الإسلامى دين الفطرة، ويتسم بالشمول والكمال أقر هذا المبدأ ونظر للمال على أنه ضرورة للحياة البشرية، ولذا لم يمنع الإنسان من *** لما فيه من تنشيط العملية الإقتصادية وبدونه – بلا شك – يركن النشاط الإقتصادى إلى الركود، ويضعف الإنتاج، ويتهدد المجتمع بالبطالة والمجاعة.

---

1 - (عالمية الدعوة الإسلامية) صـ 302 وما بعدها.

2 - (أبحاث فى الاقتصاد الإسلامى) د/محمد فاروق النبهان صـ 42. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى 1406هـ - 1986م.

3 - (الملكية فى الإسلام) د/عيسىعبده، أحمد إسماعيل يحيى صـ 135: دارالمعارف بدون.

والحرية الإقتصادية فى الإسلام وأثرها فى التنمية. د/سعيد أبو الفتوح بسيونى صـ 49. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م.

4 - (المال وطرق استثماره فى الإسلام): د/شوقى عبده الساهى ص 40، دار المطبوعات الدولية. الطبعة الأولى 1401هـ - 1981م.

ويتميز الاقتصاد الإسلامى فى موقفه من الملكية أنه أقر الملكية الفردية والجماعية، وهو بذلك يعلو ويرتفع عن موقف كل من الإقتصاديين الرأسمالى الذى يقوم أساساً على الملكية *** الفردية والإشتراكى الذى يقوم أساس على الملكية العامة – التى تمثلها الدولة -. والجدير بالذكر أن الملكية فى الاقتصاد الإسلامى سواء أكانت خاصة أو عامة ليست مطلقة بل هى مقيدة بقيود ترجع إلى تحقيق مصلحة الجماعة وإلى منع الضرر[1]. وفيما يلى بيان لذلك من خلال ما ورد فى الأحادية النبوية.

أ- **الملكية الخاصة:-** سبق أن الإسلام لم يمنع من الملكية، بل إعترف بها بما فيها الخاصة والعامة، وبشأن الملكية الخاصة فقد حماها الإسلام إلى أقصى الحدود، وقد كان للسنة النبوية الدور الواضح فى ذلك. ويبدو ذلك من خلال هذه العناصر التى تمثل نظرة الإسلام إلى الملكية الخاصة.

الأول:- طبيعة الملكية: الذى يتبع لنصوص القرآن والسنة يجد أن المالك الأصلى المطلق لكل ما يملكه الناس وينتفعون به هو الله عز وجل، فالله وحده الذى له ملكوت السماوات والأرض، وهو الخالق للأعيان والمالك لها. وحتى لا تكون ملكية المال غاية لذاتها. أكدت السنة النبوية حقيقة أن المال مال الله عز وجل، وهو المالك الحقيقى له، أما الإنسان فهو مستخلف فى قدر من مال الله عز وجل،

وأن ملكية الإنسان للمال ملكية مؤقتة تنتهى بانتهاء أجله. ومما ورد فى ذلك " عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير : أن أباه حدثه قال : انتهيت إلى رسول الله ρ:و هو يقرأ { ألهاكم التكاثر } و هو يقول : يقول ابن آدم مالي مالي و هل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت (2) فالمال لله تعالي والانسان مستخلف فيه ، وكلاهما مفرق الآخر ، وصاحب المال غير منتفع الا بما أنفق من ماله في سبيل .

وهذا يوافق – بلا شك قوله تعالي : (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) [3].

وقد فطن الصحابة رضوان الله عليهم ووعوا ذلك جيدا فتنافسوا لبذل المال في سبيل الله تعالي ، ونصرة لدينه ، ومعونة للمسلمين ، فما ضعفت نفسهوهم ولا طغت الدنيا علي قلوبهم ،وليس الأمر لواحد منهم أو اثنين ، وانما نماذجهم أكثر من أن تحصي ،عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : أمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما أبقيت لأهلك ؟ فقلت مثله و أتى أبو بكر بكل ما عنده فقال : يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله و رسوله فقلت : لا أسابقك إلى شيء أبدا (4) ، وما ترددت أحوال المة ودب الضعف فيها الا من جراء حب الدنيا والسعي ورائها ، ومنع الناس حق الله تعالي في اموالهم ، ونسو معونة إخوانهم ، وصلت الحال من الهون والصعف إلي ما هي عليه اليوم . عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إياكم و الفحش و التفحش فإن الله لا يحب الفاحش

---

1 - النظام الإقتصادى فى الإسلام: ص 39 وما بعدها. بتصرف كثير.

2 - المستدرك ك تفسير الهاكم التكاثر 582/2 ح 3969تعليق الذهبي في التلخيص : أخرجه مسلم مختصرا

3 - سورة الحديد: الآية (7).

4 - المستدرك ك كتاب الزكاة 574/1 ح 1510،هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه

المتفحش و إياكم و الظلم فإنه هو الظلمات يوم القيامة و إياكم و الشح فإنه دعا من قبلكم فسفكوا دماءهم و دعا من قبلكم فقطعوا أرحامهم و دعا من قبلكم فاستحلوا حرماتهم (1) ، وقد انفق عثمان رضي الله عنه مالا كثير في سبيل ، ونفع المسلمين بالكثير من ماله ، في غير من ولا أذي محستبا أجره علي الله تعالي ، وكان ممن فعله أن اشتري بئرا للمسليمن يشربون منه ، فحل أذمة كبيرة مستحكمة ، وقضي تحكم اليهود واستغلالهم حاجة المسلمين وضعفهم ، والأمة في أشد الحاجة اليوم ، الي من يروي ظمئها ، ويطعم جياعها ، ويكس عاريها ولو أسهم كل من المستطيعن من أفراد الأمة الأغنياء ، كل واحد منهم في حل أزمة لأهله أو حيه او بلدته، ماكان لديهم مشكلة باتقية ،عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : لما حضر عثمان بن عفان رضي الله عنه أشرف عليهم من فوق داره ثم قال : اذكركم الله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها من مالي فجعلتها للغني و الفقير و ابن السبيل قالوا : نعم (2)

فالمال نعمة من الله تعالي وهبة منه للإنسان وهو مطلوب لا لذاته ، وانما لكونه سببا من أسباب الحياة الكريمة احيانا ،إذا طلب بشروطه وأنفق في طرقه الشرعية التي وضحها الدين ، وتحكم فيه صاحبه ،وكان من دعائه ρ عن عبادة بن مسلم الفزاري قال : حدثني جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول : لم يكن رسول الله صلى الله عليه و سلم يدع هؤلاء الكلمات حين يصبح و حين يمسي : اللهم إني أسألك العفو و العافية في ديني و دنياي و أهلي و مالي اللهم استر عوراتي و أمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فوقي و أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي يعني الخسف(3)

ومن ثم فملكية الناس للمال ملكية مجازية مؤسسة على ملكية الله عز وجل، ويقصد بها ملكية الانتفاع بالمال بكل ما يقتضيه هذا الانتفاع من حق التصرف، وحق الاستهلاك، وحق الاستثمار(4). ومن ذلك فالقاعدة الأولى – بل أصل الأصول – فى الإقتصاد الإسلامى أن الأرض لله سبحانه – أى ملك له.. ثم هى من الله – عز وجل – للناس لعمارتها وإقامة أحكامه فيها(5).

الثانى :- إقرار الملكية وحمايتها :- فقد وردت نصوص فى القرآن والسنة فى احترام هذه الملكية وعدم الاعتداء عليها، طالما جاءت من طريق مشروع، ونمت بالطرق المشروعة.

ومن أحاديث المستدرك التى وردت فى ذلك قوله ρ فى خطبة الوداع: " هذا يوم الحج الأكبر فدماؤكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم قال : ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم فطفق رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : اللهم اشهد ثم ودع الناس (6)..".

وقد بلغ حرص النبى ρ على صيانة الملكية وحمايتها أن نهى الرجل أن يأخذ متاع أخيه ولو على سبيل المزاح فقال ρ: "لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا ولا جادا، ومن أخذ عصا أخيه فليردها"(7).

والإسلام يعتبر الأمن من أعظم نعم الله على الإنسان لهذا اهتم بالمحافظة عليه غاية الاهتمام فنهى

---

1 - المستدرك ك الإيمان 56/1 ح 28 تعليق الذهبي قي التلخيص : رواه الليث والنبيل عنه

2 - المستدرك ك الزكاة 580/1 ح 1529هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه

3 - المستدرك ك الدعاء والتكبير 698/1 ح 1902هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه

4 - الملكية فى الإسلام: ص 138، والمال وطرق استثماره صـ 41 وما بعدها.

5 - الثروة فى ظل الإسلام: البهى الخولى صـ 61. دار الاعتصام الطبعة الثالثة 1398هـ - 1978م بتصرف.

6 - المستدرك ك تفسير سورة التوبة 361/2 ح 3276 ، تعليق الذهبي صحيح .

7 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشئ على المزاح 273/5 (5003).

عن كل ما يخل بالأمن مهما كان أمرا صغيرا فقدρ نهى المسلم أن يروع أخاه المسلم فقال ρلا يحل لمسلم أن يروع مسلماً وقال لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالأمن مراعاته لأحوال الناس في حالة فقدان الأمن أو في حالة اختلاله وخوف الإنسان والناس مما قد يحدث لهم

وبالإضافة لذلك أوضحت الأحاديث النبوية أن الغاصب ملعون ومحروم من رحمة الله عز وجل، وفى هذا يقول النبى ρ: "من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار ليبلغ شاهدكم غائبكم مرتين أو ثلاثا" [1].

ويقول ρ: "من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع ارضين"[2]. إلى غير ذلك من النصوص التى تصور حماية الإسلام للملكية الخاصة، وفيها أبلغ الدلالة على تقرير الإسلام للملكية الفردية، ووجوب حمايتها من كل اعتداء، لأنها تمثل حقا ثابتا من حقوق الأفراد.

الثالث :- وسائل كسب الملكية: بالنظر إجمالا فى وسائل كسب الملكية نجد أنها لا تخرج عن طريقين: أحدهما طريق حلال مشروع، والآخر طريق حرام.

أما وسائل التملك المشروعة: فمن أهمها[3].

فالزارع فى صدقة مستمرة إن سعى سعيه وهو مؤمن طيبة نفسه، وكان زرعه طيبا مما هو حلال لا خبث فيه. وفى إحياء الأرض الموات يقول النبى ρ: "من أحيا أرضا ميتة فهى له"[4]. وفى هذا حث على إحياء الأرض التى تعذر زرعها، بإزالة السبب الذى جعلها غير صالحة. وهو سبب للملكية ويلحق بإحياء موات الأرض الإقطاع وهو أن يقطع الحاكم العادل بعض الأفراد من الأرض الميتة والمعادن والمياه لمن يعمرها فإذا أحياها صارت ملكا له، وأصل مشروعيته فعله ρ إذ كان يقطع من يرى فيه الكفاية للإصلاح أرضا من الموات لا مالك لها... ليحييها فإذا أحياها صارت ملكا له.

ومن ذلك ما ورد عن علقمة بن وائل عن أبيه وائل بن حجر: "أن رسول الله ρ [قطعة أرضا بحضر موت"[5]. وإنما يقطع الحاكم من أجل المصلحة، فإذا لم تتحقق بأن لم يعمرها من أقطع له ولم يستثمرها فإنها تنزع منه[6].عن الحارث بن بلال بن الحارث عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أخذ في المعادن القبلية الصدقة و أنه قطع لبلال بن الحارث العقيق أجمع فلما كان عمر رضي الله عنه قال لبلال : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يقطعك لتحتجزه عن الناس لم يقطعك إلا ليعمل قال : فأقطع عمر بن الخطاب للناس العقيق .([7]) ، وذلك حتي لا تعطل المصالح بين الناس ، ولا يتوقف المال عن الهدف الذي خلقه الله من أجله ، ولا يحتكر احد من الناس ملا يعطله عن المجتمع .

---

1 -المستدرك ك الأيمان والنذور 328/4 7803 .

2 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض 171/3. وفى بدء الخلق، وباب ما جاء فى سبع ارضين 130/4.

3 - صـ 155 وما بعدها، النظام الإقتصادى فى الإسلام د/أحمد العمال صـ 48 وما بعدها.

4 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الخراج، باب فى إحياء التراث 454/3 (3073).

5 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الخراج والإمارة، باب فى إقطاع الأرضين 443/3 (4058).

6 - فقه السنة 196/3، والثروة فى ظل الإسلام ص 81 وما بعدها.

7 - المستدرك ك الزكاة ا/561 ح 1467.

الثالثة - الميراث: وهو مصدر من مصادر إكتساب الملكية، حيث لم يعتبر الإسلام الملكية الخاصة أو الحقوق مقصورة على مالكها بل إنها تنتقل، ويخلف المتوفى من تكون حياته امتدادا لحياته، أو من يكون مرتبطا معه بحقوق وواجبات وهم الأقارب والأزواج[1]. يقول ρ: "من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلا فإلينا"[2]. وقد بينت السنة النبوية ما أجمله القرآن الكريم فى هذا الشأن.
الرابعة-التجارة والهجرة: فهما من أسباب كسب ملكية المال، ولذا حث النبى ρ على السعى فى التجارة فقال ρ: "الجالب مرزوق"[3]. والجالب هو الذى يعمل فى التجارة الخارجية فينقل البضائع من إقليم ينتجها بأرضه أو صناعته إلى إقليم لا ينتجها ويحتاج إليها[4].
الخامسة والسادسة – الوصية والهبة: وبهما ينتقل الشئ من مالكه إلى الموصى له، والموهوب له، إلا أن الوصية لا تكون لوارث لقوله ρ: "إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث"[5].
أما الهبة فللواهب أن يهب ماله كله أو بعضه لوارث أو غير وارث[6] مع مراعاة التسوية فى ذلك مع الأبناء لقوله [7]: "سوا بين أولادكم فى العطية، ولو كنت مفصلا أحدا لفضلت النساء".
تلك أهم وسائل تملك الإنسان تملكاً تاماً، وقد يكون هناك ملكاً موقوتاً كالذى يجئ عن طرق القرض الحسن أو العارية.. وكما حثت السنة النبوية على طرق أو وسائل اكتساب الملكية بالحلال، منعت عن الوسائل المحرمة، ومنعت أن تكون هذه الوسائل هى طريق إكتساب المال أو إستثماره.

الكسب المشروع والغير مشروع و الوسائل التى حرمها الإسلام:-

الأولى:- السرقة

فقد حرمها الله تعالي أشد تحريم وبين ذلك الرسول ρ ففى أحاديث المستدرك للحاكم ما يؤكد قطع يد السارق، حتى لا تكون السرقة طريقا لاكتساب المال، وأوضح دليل لذلك رفضه ρ شفاعة أسامة بن زيد فى المرأة المخزومية التى سرقت[8].

الثانية : - الغصب

فلا يحل لإنسان أن يكتسب مالا عن طريق الغصب والظلم، وهو ما أشارت إليه أحاديث المستدرك فى قوله ρ: " من اقتطع مالا عن طريق الغصب والظلم، وهو ما أشارت إليه السنة النبوية فى قوله ρ: " من ظلم من الأرض شيئا طوقه الله من سبع أرضين"[1].:

---

1 - انظر: (الملكية فى الإسلام) صـ 166 "تقدم".

2 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الاستقراض، باب الصلاة على من ترك دينا 155/3.

3 - أخرجه ابن ماجه فى السنن، كتاب التجارات، باب الحركة والجلب 728/2 (2153) عن عمر بن الخطاب ضعفه الألبانى فى: سنن ابن ماجه صـ 166 (4711).

4 - المبادئ الإقتصادية فى الإسلام د/على عبد الرسول صـ 9. دار الفكر العربى الطبعة الثانية 1980 م.

5 - مسند الربيع للإمام الربيع بن حبيب البصري – الناشر دار الحكمة 1415 – باب الوصية1/ 264، ح 676 .

6 - المال وطرق استثماره فى الإسلام: صـ 63 "تقدم".

7 - أخريجه البيهقى فى السنن 177/6، والطبرانى فى الكبير 354/11 (11997).

8 - المستدرك ك الحدود 421/4 ح 1845 .

الثالثة - الربا:

فقد أكدت السنة النبوية حرمة الربا أخذا أو عطاء، ولشدة النهى عن اكتساب المال عن طريق الربا قال ρ: "لعن رسول الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه"[2].

"ويرجع تحريم الربا إلى ما يسببه من مضار اقتصادية واجتماعية: فهو يؤدى إلى تقليل السعى والجهد البشرى الإنتاجى، لأنه كسب مادى لا يقابله إنتاج يعود على المجتمع بفائدة، فلا يضيف إلى الناتج القومى شيئاً، وهو يدعو إلى الكسل والبطالة. وهذا مناف لقيم الإسلام التى تحض على العمل، وتجعل منه عبادة... كما أن الربا يؤدى إلى اضطراب المعاملات بسبب التلاعب فى سعر الفائدة زيادة أو نقصاً، فيؤدى هذا إلى حدوث حالات التضخم، أو حالات الركود الإقتصادى وكلاهما ضار بمصالح الأفراد والمجتمع، فضلا عن أنه يخل بالتوازن الإقتصادى.. فتحريم الربا أصل من أصول النظام الإقتصادى الإسلامى، كما أنه أصل من أصوله الاجتماعية"[3].ا.هـ.

الرابعة :- استغلال النفوذ للحصول على المال:

(الرشوة): فقد حرم التعامل بهذه الطريقة ، وحرم أي نفع يعود للإنسان من خلالها فقد أخذ النبى ρ على يد من يستغل نفوذه أو منصبه للحصول على المال، أو يحصل عليه بسبب توليه أمرا من أمور المسلمين. فقال ρ:كما جاء في المستدرك " لعن الله الراشى والمرتشى والرائش بينهما"[4].

الخامسة :- الاحتكار

وهو التحكم في وضع سلعة تجارية معينة يقصد من خلاله السيطرة علي ثمنها ، وقد حرمه الله تعالي لما فيه من الضرر للأخرين ، ومنع الخير وحبسه عن الناس فهو من وسائل الكسب الحرام وهو ما يعرف فى الاقتصاد الحديث بالسيطرة على عرض أو طلب السلعة بقصد تحقيق أقصى قدر من الربح ا.هـ فقد حذرت السنة النبوية من أن يكون النشاط الإقتصادى، أو كسب المال عن طريق الاستغلال بحبس السلعة التى يحتاج إليها الناس، واحتكار ضرورياتهم فيقل عرضها ويزيد الطلب عليها فترتفع أسعارها. ومن ذلك قوله ρ:كما جاء في المستدرك . من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برىء من الله و برىء الله منه و أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله[5] .

---

1 - المستدرك ك الأيمان والنذور 329/4 ح 7807 ، تعليق الذهبي – صحيح .

2 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب المساقاة، باب لعن أكل الربا وموكله 1219/3 (1598) وغيره عن جابر رضى الله عنه.

3 - الأزهر. الجزء السادس. السنة التاسعة والخمسون. فبراير 1987م، جمادى الآخرة 1407هـ، صـ 767 مقال بعنوان: الدولة الإسلامية اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا (40) الحريات الإقتصادية (أ) للدكتور فوزى محمد طايل.

4 - المستدرك ك 155/4 ،ح 7066 – هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه و: أما حديث أبو هريرة : شاهده الحديث المشهور عن أبي هريرة و حديث ثوبان تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح.

5 - المستدرك ك البيع – 2/ 214، ح 2165تعليق الذهبي قي التلخيص : عمرو بن الحصين العقيلي تركوه وأصبغ بن زيد الجهني فيه لين

"من احتكر على المسلمين طعامهم ضربة الله بالإفلاس والجذام"[1].
وفى شأن التحكم فى أسعار السلع يقول ρ: " من دخل فى شئ من أسعار المسلمين عليهم فإن حقا على الله – تبارك وتعالى – أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة"[2]. وفى هذا دلالة على عدم جواز الاحتكار، أو حبس السلع عن الملسمن ، او استغلال أحوالهم .

السادسة :- التطفيف فى الكيل والميزان :-

لقد أمر الاسلام باعطاء كل ذي حق حقه ، وأوصي بادآء الحقوق الي اصحابها ، وحرم التفيف في الكليل والميزان ، وأمر أن بأن يكون الأمر قسطا وعدلا وصورة الاحتكار قد رفضها الإسلام منذ أن قدم النبى ρ المدينة ففى الحديث "لما قدم النبى ρ المدينة كانوا من أبخث الناس كيلاً – فانزل الله تعالى: (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ(2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) فأحسنوا الكيل بعد ذلك"[3]. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ρ لأصحاب المكيال والميزان: "إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيه الأمم السابقة قبلكم"[4].

السابعة :- <u>القمار وما شابهه</u>[5]: إحدي طرق أكل أموال الناس بالباطل ، وفيه الضرر بالانسان وماله وكم من مصائب ومفاسد أصابت الناس من وراء هذا الطريق اللعين، فهو وسيلة غير مشروعة للحصول على المال أو لتنفيذ عملية إقتصادية وفيه قول النبى ρ: "من قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق"[6]. يعنى أن مجرد الدعوة إلى المقامرة ذنب يوجب الكفارة بالتصدق. وهو الميسر الذى قرنه القرآن الكريم والأنصاب والأزلام[7]. ا.هـ.

الثامنة التجارة فى المحرم:كاالمخدرات والخنزير و الخمور وما شابهها من الأشياء المفسدة للعقل، والمتلفة للجسم، والمضيعة للمال، وقد ورد النهى عن ذلك فى قوله ρ: " اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر"[8].

وقد لعن النبى ρ من اشترك فيها فقال ρ: "لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها"[9]. وكبيع الكلب والخنزير. وقد نهى

---

1 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 23/3 عن ابن عمر رضى الله عنهما.

2 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 27/5 عن معقل بن يسار رضى الله عنه.

3 - المستدرك ك البيوع 38/2 ح 2240، والآيات (1 – 3) من سورة المطففين.

4 - الحاكم فى المستدرك 31/2.

5 - مثل اليانصيب.

6 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب التفسير (والنجم) 176/6. وفى الأدب، باب من لم * من قال ذلك متأولا أو جاهلا 33/8، وفى الاستئذان، باب كل لهو باطل.. 82/8، وفى الأيمان والنذو * لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت 165/8. ومسلم فى الصحيح، كتاب الأيمان، باب من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله 1268/3 (1647) وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه.

7 - الحلال والحرام فى الإسلام: صـ 287.

8 - أخرجه الحاكم فى المستدرك 145/4 وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى.

9 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأشربة، باب العنب يعصر للخمر 82/3 (3674).

النبى ρ عن ثمن الكلب إلا كلب الصيد[1]. ومن صور التجارة فى المحرم أيضاً: البغاء "ولقد بلغ فى الجاهلية أن حب الناس للمال كان يغريهم بدفع بناتهم للبغاء لقاء أجر فكان الواحد منهم ديوثاً ينطبق عليه قول الرسول ρ: "ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذى يقر فى أهله الخبث"[2].

عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول : كانت مسكينة لبعض الأنصار فقالت : إن سيدي يكرهني على البغاء فنزلت : { و لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا }[3]

فكيف بمن يدفعهن دفعا للبغاء، فيبيع العرض بالعرض ومن البلايا أن هذه الجريمة العظيمة والخطيئة الكبرى تنتشر الآن وتشيع فى كثير من بلاد المسلمين بعد أن إبتلاهم بها الغرب الصليبى، والشرق الشيوعى. فسقطوا فى ظلمات التقليد، وما يبالون من أى مصدر يكسبون... وصدر التراخيص للملاهى والفنادق السياحية وصالات * وبارات الخمور بحجة الدخل السياحى... وصارت الوزارات تنشأ لذلك وتقام .. وباتت زيادة الدخل هذه المصادر مما يهتم له الحكام فى بعض بلاد المسلمين، ويسهرون على إنمائه ومضاعفته وتناسوا أنهم ميتون وأنهم يوم القيامة أمام ربهم محاسبون"[4].ا.هـ.

التاسعة- الغش فى المعاملة: فقد نهت السنة النبوية عن اكتساب المال عن طريق الغش والخداع المعاملة، أو استغلال جهل المشترى بحال السوق والأسعار. وفى النهى عن تلك الوسيلة يقول ρ: " - : من غشنا فليس منا "[5]

وقد ورد النهى عن جميع البيوع التى تحتوى على غرر أو غبن يؤدى إلىالاستغلال والظلم.

تلك بعض الوسائل المشروعة وغير المشروعة التى أرشدت إليها الأحاديث النبوية ليقبل المدعوون الوسائل المشروعة فى إكتساب وإستثمار أموالهم، ويجتنبوا ما نهى عنه النبى ρ.

الرابع: <u>الملكية وضوراتها</u> :-

هناك بعض الآداب والتكاليف والواجبات تنطلق من الشرع الحكيم يجب الالتزام بها ، والوقوف عليها والعمل من خلالها ذلك لأن المال والأرض والملك أيا كان نوعه، هو ملك لله تعالي استخلف فيه الانسان ، وهو سائله ومحاسبه عليه من أين اكتسبه وفيما انفقه لذا فله ضوابط شرعية يجب العمل بها منها :

أ-قضاء حاجاته وأهله من ملكه الشرعي :-

فقد حثنا الشرع الكريم علي ضرورة مراقبة الله تعالي والتحري في انفاق المال ،فى النفقة على الأولاد يقول ρ: " أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله[1]..."..عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل و ابدأ بمن تعول[2]

---

1 - أخرجه الترمذى فى السنن، أبواب البيع 281/5 (بشرح الإمام ابن العربى المالكى).

2 - مسند الإمام أحمد 69/2، 128 عن عبد الله بن عمر.

3 - المستدرك ك الطلاق 229/2 ح 3502 هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم

4 - خصائص الدعوة الإسلامية ص 297 وما بعدها "تقدم".

5 -. المستدرك ك البيوع 12/2 ح 2156 هذا حديث صحيح و عم عمير بن سعيد هو الحارث بن سويد النخعي تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

يد المعطي العليا و ابدأ بمن تعول أمك و أباك و أختك و أخاك و أدناك و أدناك و ثم رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلانا في الجاهلية فخذ لنا بثأرنا فرفع رسول الله صلى الله عليه و سلم يديه حتى رأيت بياض إبطيه فقال : لا تجني أم على ولد لا تجني أم على ولد (3)

وهذا الإنفاق هو ضرب من التكافل الإجتماعى فى نطاق الأسرة.

ب- الزكاة :- وهى فريضة لازمة فى مال الأغنياء للفقراء، بها يلتزم المسلم بأداء نصيب من ماله لمصلحة الطبقات الفقيرة والمحرومة فى المجتمع. وقد حذرت السنة النبوية من منعها وتوعد تاركها بأقصى العقوبات فقال ρ: " من آتاه الله مالا

ج- الصدقات:- فليست الزكاة كل ما فى مال الأغنياء، ولكن هناك غيرها من الصدقات المؤقتة أو الجارية. فى حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ρ قال: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهرك، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له: قال أبو سعيد: فذكر رسول الله ρ من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى فضل"(4). ومن الأحاديث الواردة فى الحث على الصدقة قوله ρ: " من تصدق بعدل تمرة، من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل"(5). وقوله ρ: " كل امرىء في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس ـ أو قال حتى يحكم بين الناس ـ قال يزيد و كان أبو الخير : لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء و لو كعكة و لو بصلة (6)

قال العلماء : معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا فى هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها. فإن الولد من كسبه. وكذلك العلم الذى خلفه من تعليم أو تصنيف. وكذلك الصدقة الجارية وهى الوقف(7). ا.هـ.

د- **هذا إلى جانب إغاثة الملهوف ، وإعانة المضطر، والمشاركة فى نوازل المجتمع مثل الجهاد بالمال والمعاونة فى تحقيق التكافل بين أفراده(8).**

الخامس:- <u>قيود الملكية</u> :- رغم اعتراف الإسلام بالملكية الخاصة وعدم منعه فى أن يتمسك الناس أن يتملكوا، ما دام ذلك من طريق حلال، وفى غير ما حرم الله عز وجل. إلا أنه قيد حرية التصرف فى الملكية الخاصة بقيود تكفل عدم الإضرار بحقوق الآخرين، وبالصالح العام، ومن أهم هذه القيود.

---

1 - المستدرك ك الفتن والملاحم 496/4 ، ح 8390، تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

2 - المستدرك ك الزكاة 754/1 ح 1509 هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه

3 - المستدرك ك ذكر نبي الله عيسي عليه السلام 668/2 ح 4219 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

4 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال 1354/3 (1728) وغيره.

5 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول 134/2.

6 - المستدرك ك الزكاة 576/1 ح ٥١٥١ -: ذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه .

7 - صحيح مسلم بشرح النووى 85/11.

8 - دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى: صـ 109.

القيد الأول : - إلزام المالك باستثمار ماله وتنميته بالطرق المشروعة. وقد سبق توضيح ذلك فى وسائل كسب الملكية.
القيد الثانى : - الإلتزام بالفرائض المالية الواجبة فى المال: كالزكاة، وصدقة الفطر، والخراج والعشور، والإنفاق فى سبيل الله. ونحو ذلك مما سلف الإستدلال عليه فى واجبات الملكية.
القيد الثالث : - عدم إستخدام الملك فى الإفساد فى الأرض أو الإضرار بالناس. لقوله ρ: ": لا ضرر و لا ضرار من ضار ضاره الله و من شاق شاق الله عليه "[1].
"فإذا اتخذ المالك من ملكه سبيلا للإضرار بالغير، وجب الأخذ على يديه وكفه عن ذلك لأن الأصل فى مشروعية استعمال الحق أن يكون سبيلا إلى تحقيق المصالح وجلبها، وإلى دفع المفاسد وتجنبها، فإذا كان استعمال المالح لحقه ينشأ عنه ضرر بغيره، وجب أن يوازن بين مصلحته المشروعة التى قصدها، والمضرة التى تترتب على استعماله له، فإن رجحت مصلحة المالك قدم حقه، وإن رجحت مضرة غير قيد حقه بما يدفع الضرر"[2].ا.هـ. ومن التطبيقات العملية التى تؤيد النهى عن الإضرار بالغير: ما روى أنه كان لسمرة بن جندب نخل فى حائط رجل من الأنصار، وكان يدخل عليه هو وأهله فيؤذيه، فشكا الأنصارى ذلك إلى رسول الله ρ، فاستدعى سمرة وقال له: بعه نخلك، فأبى، فقال الرسول ρ: فأقلعه، فأبى، قال: فهبه ولك مثله فى الجنة، فأبى، فقال له رسول الله: "أنت مضار". ثم قال لصحاب البستان: "اذهب فاقلع نخله"[3]. ومن هذا يتبين أن الإسلام لم يحترم الملكية المعتدية.
القيد الرابع : - الحد من حرية التصرف فى المال فى حالات معينة: كالترف والبذخ أو الإسراف والتبذير والتقتير. فقد نهى الإسلام أن يكون المالك مسرفا مبذرا، أو شحيحا مقترا، لما يترتب على ذلك من أضرار، منها على سبيل المثال أن الترف يولد الحقد والبغضاء فى الطبقات المحرومة، والإسراف قد يؤدى بصاحبه إلى الإفلاس والعدم، فيصبح عالة على المجتمع، كما أن فى التقتير حرمان للنفس وحبس للمال وتعطيل لوظيفته فى توسيع ميادين الإنتاج.
.فما دامت هناك مصلحة للجار، وهى فى نفس الوقت لا تضر بصاحب الملك، فمن الواجب على المالك ألا يمنع جاره من قضاء هذه المصلحة[4] ا.هـ.
وقال ρ: "الجار أحق بشفعة جاره، ينتظر بها وإن كان غائبا، إذا كان طريقهما واحد"[5]. وفي المستدرك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : من كان له شريك في حائط فلا يبع نصيبه من ذلك حتى يعرضه على شريكه ([6]) ،وهذا يفيد أن المالك لا يستعمل ملكه بطريقة تؤذى جاره، كما لا يتصرف فى ملكه دون الرجوع إلى شريكه أو إلى جاره، إذ لهما الحق أولا فيما أراد التصرف فيه (ببيعه) وذلك بحقه الشفعة.

---

1 - أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب البيوع 66/2 ح 2345، هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم .

2 - الحرية الإقتصادية فى الإسلام صـ 174.

3 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأقضية، أبواب من القضاء 50/4 (3636).

4 - الحرية الإقتصادية فى الإسلام: صـ 187 "تقدم".

5 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب البيوع، باب فى الشفعة 788/3 (3518) وغيره عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

6 - المستدرك المستدرك كتاب البيوع 64/2 ح 2337 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

تلك بعض القيود التى وضعها الإسلام على الملكية الخاصة، بهدف عدم الإضرار، فتتحول الملكية من نعمة إلى نقمة.
ومن خلال ما سبق أؤكد على أن السنة النبوية اعترفت بالملكية الخاصة، وبحق المالك فى الانتفاع بملكه، وحق التصرف فيه طوال حياته وبعد مماته.. إلا أنها لم تترك الحرية للإنسان فى تنمية ماله ونشاطه الإقتصادى بالصورة التى يريدها، بل فى حدود ما شرعه الله عز وجل حتى يكون المال حلالا طيبا، والربح كذلك حلالا طيبا[1]. "وفى هذا يختلف الإسلام عن المذهب الشيوعى الذى لا يعترف بالملكية الخاصة فى مصادر الإنتاج، ويتعارض بهذا القدر مع غريزة الإنسان الفطرية فى حب التملك، ويتجاهل بهذا القدر حافزاً أساسياً فى توجيه النشاط الإقتصادى. كذلك يختلف نظام الملكية فى الإسلام عن نظيره فى الإقتصاد الرأسمالى حيث يكون للمالك السلطان المطلق فيما يملك بغير أى قيد عليه"[2].ا.هـ.

ب الملكية العامة:

ويقصد بها أن يكون المال مخصصاً للمنفعة العامة أى منفعة جماعة المسلمين وذلك فى مقابلة الملكية الخاصة التى ينفرد بالانتفاع بها فرد معين على وجه التخصيص، والتعيين[3].

وقد أقر الإسلام صور للملكية العامة كانت معروفة من قبل لدى الفرس والرومان، ومن قبيل ذلك:

أ - ملكية الأرض التى لا مالك لها(الموات): وذلك لقول الرسول عليه السلام: "عادى الأرض لله ولرسوله ثم هى لكم"[4]. وعادى الأرض هى المهجورة التى لا عمارة فيها.

ب - **ملكية المعادن فى باطن الأرض** (الركاز): فالمعادن وما يلحق بها من نفط وخلافه من الأشياء ذات النفع العام فهى تشبه الأشياء التى ذكر الرسول ρ أنه لا يصح أن يستأثر أحد بملكيتها[5].

جـ - ملكية المرافق الأساسية كالمياه أو الكهرباء وضرورات الحياة كالملح: فإنما تكون ملكية عامة استنادا إلى قول الرسول ρ: "المسلمون شركاء فى ثلاثة: الماء والكلأ والنار"[6]. عن سفيان قال : سمعت أبا المنهال يقول : سمعت إياس بن عبد المزني و رأى رجلا يبيع الماء فقال : لا تبع الماء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم ينهي عن بيع الماء ([7])

وفى حديث أخر: "ما الشئ الذى لا يحل منعه؟ قال: "الماء" قال: يا نبى الله ما الشئ الذى لا يحل منعه؟

---

1 - المزيد من الاستفادة انظر: الإنسان فى الإسلام: صـ 155 وما بعدها، الإسلام والمذاهب الإقتصادية المعاصرة:

صـ 151 وما بعدها. مجلة الزهر، الجزء السادس، فبراير 1987م جمادى الآخرة 1407هـ ص 766 وما بعدها. الملكية فى الإسلام صـ 189 وما بعدها. والنظام الإقتصادى فى الإسلام: صـ 80 وما بعدها.

2 - منبر الإسلام (العدد 5) السنة 42 جمادى الأولى هـ - 1404 فبراير 1984م بحث الملكية الخاصة وحدودها فى الإسلام للدكتور محمد عبد الله العربى، عرض الدكتور منيع عبد الحليم محمود صـ 55.

3 - انظر: النظام الإقتصادى فى الإسلام: صـ 59، والمذهب الإقتصادى فى الإسلام: صـ 159.

4 - أورده: أبى عبيد فى: الأموال صـ 347 (676).

5 - انظر: النظام الإقتصادى فى الإسلام صـ 68.

6 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب البيوع، باب فى منع الماء 751/3 (3477).

7 - المستدرك ك كتاب البيوع 50/2 ح 2286 تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط مسلم

قال: "الملح[1]...". وذكر ما ورد فى هذا الحديث للتمثيل، لا للحصر، وأنه ρ لم يرد أعيانها ذاتها، بل أراد خصائص الملكية العامة فيها. فالكلأ ليس شركة بين الناس لأنه كلأ، بل لأنه يتضمن الخصائص التى ترشحه لوصف الملكية العامة فهو من صنع الله عز وجل لا من صنع أحد من البشر.

وكذلك الماء، والنار[2].

وقد استحدث الإسلام صورا جديدة من الملكية العامة لم تكن معروفة من قبل وهى:

1- **المساجد** :- فهى أموال عامة: ويجوز نزع الملكية من أجل توسيعها، فحينما ضاق المسجد الحرام أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بشراء ما حوله من دور، فرضى البعض وأبى البعض الآخر، فأخذها سيدنا عمر بن الخطاب جبرا من أصحابها ووضع قيمتها بخزانة الكعبة ليأخذها أصحاب الدور وقال لهم: "إنما نزلتم على الكعبة وهذا فناؤها، ولم تنزل الكعبة عليكم"[3].

2- **أرض الحمى**: بمعنى أن يحمى الإمام أرضا لمنفعة عامة للمسلمين، فقد ورد فى المستدرك " عن ابن عباس رضي الله عنهما : عن الصعب بن جثامة : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم حمى البقيع و قال : لا حمى إلا لله و لرسوله "[4]. أى أن جميع أراضى الرعى هى للكافة وفقا لما يحدده ولى الأمر.

3- **الوقف الخيرى**: فقد أصاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرضاً بخيبر، وجاء إلى رسول الله ρ قائلاً: "أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندى منه فما تأمرنى؟ فقال له الرسول ρ: "إن شئت حبست أصلها – أى العين – وتصدقت بثمرتها – أى المنفعة. فأشهد عمر على حبسها لإتباع ولا توهب ولا تورث، ومنفعتها صدقة مؤيدة للسائل والمحروم[5].

4- الأراضي المفتوحة: فقد اتفق بعد نقاش بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه والصحابة وأهل الحل والعقد – بعد فتح الشام والعراق ومصر – حول الأراضي المفتوحة، على أن تكون وقفا على المسلمين جميعا أو ملكا لبيت المال، ولا تأخذ حكم الغنائم ولا توزع على أحد[6].

ثانيا: العمل

وهو أحد عناصر الاقتصاد في ظل الإسلام. ويتلخص دور السنة النبوية في هذا العصر فيما يأتي[7]:

أ- دعت إلى العمل في أي مجال من مجالات الحياة بما يتفق مع ميول الإنسان وخبرته، وبما لا يعود بالضرر المادي أو المعنوي على الشخص أو المجتمع. وأوضحت أن خير ما يأكله الإنسان هو ما

---

1 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الزكاة، باب ما لا يجوز منعه 308/2 (1669) وغيره عن امرأة يقال لها بهيسة، عن أبيها.

2 - المذهب الإقتصادى فى الإسلام: صـ 160 وما بعدها"بتصرف..

3 - الأحكام السلطانية: الماوردى صـ 162، والمذهب الإقتصادى فى الإسلام صـ 163 "تقدم".

4 - المستدرك ك البيوع 70/4 ح 2358.تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

5 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط فى الوقف 260/3، وفى الوصايا، وباب الوقف كيف يكتب 14/4، وفى الأيمان والنذور، باب هل يدخل فى الأيمان والنذور الأرض والغنم والزروع والأمتعة 178/8.

6 - المذهب الإقتصادى صـ 162 وما بعدها.

7 - مستفاد من: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام: صـ 39 وما بعدها، الحلال والحرام فى الإسلام: صـ 121 وما بعدها.

كان من كسب يده. فقال ρ: " ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده، وأن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده"[1]. وعلى ذلك فللمسلم أن يكتسب عن طريق الزراعة أو التجارة أو الصناعة، أو فى أى حرفة من الحرف أو وظيفة من الوظائف، ما دامت لا تقوم على الحرام، أو تعين على حرام، أو تقترن بحرام.

ب-حاربت البطالة وتصدت للأفكار الخاطئة التى تقعد الناس عن العمال ، وذلك مثل: أعراض بعض الناس عن العمل بدعوى التوكل على الله عز وجل لا ينافى العمل وإتخاذ الأسباب فقال النبى ρ للأعراب الذى ترك الناقة سائبة – بحجة التوكل على الله – قال له: "إعقلها وتوكل عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله أرسل راحلتي و أتوكل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بل قيدها و توكل "[2]. وفى الحديث تنبيه على السعى واتخاذ الأسباب. وعالجت الفكر الخاطئ الذى يركن إليه بعض القاعدين من العمل بحجة التبتل لطاعة الله عز وجل والانقطاع الكامل لعبادته سبحانه وتعالى. وذلك بيان أن لا رهبانية فى الإسلام، وأن العمل الدنيوى إذا أتقن وصحت فيه النية، هو عبادة فى نفسه .

فقد خرج رسولρ إلى المصلى بالمدينة فوجد الناس يتبايعون فقال : يا معشر التجار فاستجابوا له ورفعوا أبصارهم و أعناقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى و بر و صدق "[3].

وهكذا إعتبرت الأحاديث في المستدرك العمل، والنشاط الإقتصادى عبادة الله عز وجل.

ح- حاربت التسول وسؤال الناس والاعتماد على الزكاة وغيرها من الصدقات مع القدرة على العمل والكسب. ولهذا قال النبى ρ لمن سألاه أن يعطيهما من الزكاة: " عن الضحاك بن عبد الله بن خالد بن حزام عن جده خالد بن حزام أن حكيم بن حزام : أغار بفرسين يوم خيبر فأصيبا فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : أصيب فرساي يا رسول

الله فأعطاه ثم استزاده فزاده ثم استزاده فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة و من سأل الناس أعطوه و السائل منها كالآكل و لا يشبع "[4].

ومع ذلك فإن النبى ρ يقدر للضرورة والحاجة قدرها، فمن اضطر تحت ضغط الحاجة إلى السؤال وطلب المعونة من الحكومة أو الأفراد فلا جناح عليه. فعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة : الغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهدى المسكين الغني "[5].

---

1 - أخرجه أحمد (132/4 ، رقم 17229) ، والبخارى (730/2 ، رقم 1966) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (84/2 ، رقم 1224) ..

2 . المستدرك للحاكم ك ذكر عمرو بن أمية 722/3 ح 6616 تعليق الذهبي قي التلخيص : سنده جيد

3 -. صحيح المستدرك ك البيوع 8/2 ح 2144هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

4 - هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه المستدرك كتاب البيوع 4/2 ح 2132.

5 - المستدرك كتاب الزكاة 1/ 566 ح 1480، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه لإرسال مالك بن أنس إياه عن زيد بن أسلم .

د- رفعة مكانة العمل أيا كان نوعه فلم تحتقر حرفة من الحرف، ولم تفضل مهنة على أخرى، بل نظرت لجميع المهن والأعمال والصناعات نظرة تقدير طالما تحقق كسبا حلالا طيبا، وتعف صاحبها عن ذل المسألة، وتخرج صاحبها من دائرة الكسالى القاعدين عن العمل.
ولذا نجد فى الأحاديث النبوية نصوصا عديدة تناولت بعض الأعمال التى يكتسب منها الإنسان، ومن ذلك على سبيل المثال: الاكتساب عن طريق الزراعة. وفيه يقول النبى ρ: "ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحد – أى لا ينقصه ويأخذ منه – إلا كان له صدقة"[1].
وقال أيضا: "من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر، كان له فى كل شئ يصاب من ثمرتها صدقة عند الله عز وجل"[2]. وقال فى شأن الاكتساب عن طريق التجارة ما سبق ذكره. وقال فى شأن الاكتساب عن طريق أى حرفة أو صناعة يدوية.
ولم يكتف النبى ρ بهذا البيان النظرى فضرب المثل بنفسه وبالرسل الكرام من قبله فقال ρ: " ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم" فقالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم.. كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"[3]. وقال ρ: "وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده"[4]. عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : كان زكريا نجارا "[5]. ولا عجب أن رأينا فى أئمة الإسلام وأكابر العلماء كثيرين نسبوا إلى حرف وصناعات كانوا يتعيشون منها، هم أو آباؤهم، ولم يشعروا بمهانة لذلك، كما لم يشعرهم المجتمع المسلم بأى إنتقاص أو إستهانة.
هـ-وحرصا على دفع الجميع إلى العمل حثت السنة النبوية على البحث عنه فى أى مكان، وإن اقتضى ذلك الهجرة والانتقال ،ولم يقف الأمر عن هذا الحد بل أوجبت على أفراد المجتمع، وأولوا الأمر خاصة أن يدبروا فرص العمل للقادرين عليه.
ومما سبق يتضح أن العمل فى الإسلام واجب على كل قادر، فلا يحل لمسلم أن يقعد عن العمل والكسب باسم التفرغ للعبادة، والتوكل على الله عز وجل، كما لا يحل له أن يعتمد على إعانة تعطى له وهو قوى قادر على الاكتساب.
حقوق العمال وواجباتهم[6]:
وقد أوضحت نصوص القرآن والسنة بأن للعمال حقوق وعليهم واجبات. فأما عن حقوقهم فإنها تتمثل فى:

---

1 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع 1188/3 (1552) عن جابر رضى الله عنه.

2 - أخرجه الإمام أحمد 61/4، 374/5، عن عبد الله بن وهب عن أبيه رضى الله عنهما.

3 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الإجازة، باب رعى الغنم على قراريط 116/3 عن أبى هريرة.

4 - جزء من حديث " ما أكل أحد طعاما قط..

5 ه المستدرك للحاكم ك ذكر نبي الله 645/2ح4145تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص .

6 - المبادئ الإقتصادية فى الإسلام: صـ 165 وما بعدها بتصرف واختصار. وانظر: الحرية الإقتصادية فى الإسلام: صـ 379. "تقدم".

1- الأجر العادل : فقد دعت السنة النبوية إلى الوفاء بحق العامل، والتعجيل بأداء أجره فقال ρ: " أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه"[1]. وأنذرت الذين يجورون على العاملون أو يظلموهم بخصومة الله عز وجل ولهم وبحربه وفى ذلك ما فيه من تكريم للعامل وإشعار بمكانته والعناية به، والاهتمام بشأنه، بل إن الإسلام ليذهب إلى أكثر من ذلك، فيجعل لكل عامل الحق فى أن تكفل له الدولة حياة كريمة مستقرة.. من مسكن مناسب ... وملبس مناسب .... وطعام مناسب... ورعاية صحية نظيفة، تحفظه سليما، وتعالجه من المرض إذا مرض، وأداة انتقال حسب المناسب والميسر من أدوات الانتقال فى كل عصر، وإذا أراد أن يتزوج كان على الدولة أن تعينه.. هذا هو المستوى الذى يريد الإسلام أن يعيش العامل فى ظله على الأقل كما يتضح من قول الرسول ρ: "من ولى لنا عاملا وليس له منزل فليتخذ منزلا، أو ليست له زوجة فليتزوج، أو ليس له خادم فليتخذ خادما، أو ليست له دابة فليتخذ دابة"[2] [3].

2- العمل حق للجميع دون تفرقة: فلا أفضلية لأحد على غيره فى عمل من الأعمال، بل قرر الإسلام حق كل مسلم فى اختيار العمل الذى يريد أن يباشره بما يتفق مع قدراته، بذلك كفل الإسلام مبدأ تكافؤ الفرص بين الكافة... فالإسلام لا يختص أحدا أو طائفة بوظيفة من الوظائف، أو عملا من الأعمال لا تتولاه طائفة أخرى. وفى تقرير هذا الحق يقول ρ:."من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا حتى يدخله جهنم [4]".

3- تأمين العامل من الإرهاق : فمن حق العامل أن يكون العمل فى وسعه، وعلى قدر طاعته، فلا يكلف بما لا يستطيعه ولا يقدر عليه وفى ذلك يقول ρ: " ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق"[5].

ويقول أيضاً: "أكفلوا من العمل ما تطيقون"[6]. ويفهم من ذلك أن يكون العمل على قدر الطاقة دون إرهاق، ولا يكلف العمال بالاستمرار فى العمل إلى حد الإرهاق، بل يراعى الرفق مع العمال.

4- كفالة العامل عند عجزه وكفالة أولاده من بعده: فالعمال جزء من الأمة، وتعاليم الإسلام تقضى بأن يتكفل المجتمع الإسلامى بالعاجز عن العمل لشيخوخة أو لعامة، وتقضى كذلك بكفالة الأرامل واليتامى[7].

واجبات العمال[8]:

أولا- اختيار العمل المباح الذى أحله الله ورسوله: فالمسلم مطالب بأن يأكل من حلال، وأن ينفق من حلال. ولا يتحقق ذلك إلا باختيار العمل المباح، والإبتعاد عن الأعمال المحرمة. ولذا أكدت الأحايث

---

1 - أخرجه ابن ماجه فى السنن، كتاب الرهون، باب أجر الأجراء 817/2 (2443). عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما.

2 - الإنسان والمال فى الإسلام: ص 165 "تقدم" باختصار.

3 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 229/4.

4 -المستدرك للحاكم ك الأحكام 104/4 ح 7024 .

5 - جزء من حديث أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الأيمان، باب اطعام المملوك مما يأكل 1284/3 (1662) وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه.

6 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل 122/8.

7 - المبادئ الإقتصادية فى الإسلام: صـ 195 وما بعدها بتصرف واختصار.

8 - الحرية الإقتصادية فى الإسلام: صـ 371 وما بعدها بتصرف واختصار.

النبوية على اختيار العمل المشروع وتجنب الأعمال المحرمة، كالسرقة والسحر، وإنتاج الخمر، والغصب، وقطع الطريق، والتعامل بالربا، أو الرشوة، أو التغرير بالناس وخداعهم، وغير ذلك مما فيه أذى المسلم أو استغلال لضعفه.

ثانياً- الإخلاص في العمل واتقانه وفق ما أمر الشرع :

فتأدية العمل على أحسن وجه، وحسن رعايته، والشعور بالمسئولية نحوه من أهم الواجبات على العامل. وقد أكدت أحاديث النبوية في المستدرك على ذلك فقال ρ: " كل راع مسؤول عن رعيته"[1].

وقال:: ρ: ألا أنبئكم بخياركم من شراركم قالوا : بلى قال : خياركم أطولكم أعمارا و أحسنكم عملا "[2]. وفى رواية: "إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن"[3].

ثالثاً- الأمانة في العمل : من واجب العامل أن يكون أميناً فى عمله، مخلصاً فى القيام عليه، مراعياً ماله من حرمة، مؤدياً لكل حقوقه دون إهمال أو تقصير، فأى إهمال أو تقصير من جانب العامل إنما هو خيانة لأمانة العمل الذى أُئتمن عليه، ومن حث السنة النبوية كما جاء في المستدرك على أداء الأمانة قوله ρ: " أد الأمانة إلى من ائتمنك و لا تخن من خانك"[4] وفى هذا الحديث إشارة إلى أن الأمانة فى العمل والإخلاص فيه من أعظم ما يثاب عليه العبد ويؤجر على فعله. ،وفي المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا و لضحكتم قليلا يظهر النفاق و ترفع الأمانة و تقبض الرحمة و يتهم الأمين و يؤتمن غير الأمين أناخ بكم السرف و الحوب قالوا : و ما السرف و الحوب يا رسول الله ؟ قال : الفتن كأمثال الليل المظلم ([5])ففي الحيث الشريف بيان لما يؤل اليه أمر الناس ، وأحوالهم ، وأن الأمور ستختلط عليهم ، ومن كثرة الخيانة والفتن ، وسيصعب علي الناسي تمييز الأمور .

وتأكيدا علي الأمر ذاته وبيان لحال الأمة في تلك الظروف ، جاء تفصيل ذلك في المستدرك فعن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : تأتي على الناس سنوات جدعات يصدق فيها الكاذب و يكذب فيها الصادق و يؤتمن فيها الخائن و يخون فيها الأمين و ينطق فيهم الرويبضة قيل : يا رسول الله و ما الرويبضة ؟ قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة([6])

رابعا- الصدق والوفاء بالعقود: فالعامل مكلف بالصدق فى عمله، واحترام مواعيد العمل، وأداءه فى وقته المحدد، والوفاء بما أبرمه من عقود، وما أخذ على نفسه من التزامات وعهود. وعن ذلك يقول ρ: ": المسلمون على شروطهم و الصلح جائز بين المسلمين "([7])

---

1 - المستدرك ك ذكر مناقب حجر عدي 532/3 ح 5977 .

2 - المستدرك ك الجنائز 489/1 ح 1255هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه و له شاهد صحيح على شرط مسلم.

3 - أورده السيوطى فى الفتح الكبير 356/1، والبيهقى فى الشعب 335/4 (5315) عن كليب.

4 -. المستدرك ك البيوع 53/2 ح 2296 حديث شريك عن أبي حصين صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه

5 - المستدرك ك الأهوال 4/ 622ح 8725 هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

6 - المستدر ك الفتن والملاحم 512/4 ح8439 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح،

7 - المستدرك كتاب البيوع 57/2 ح 2309 تعليق الذهبي قي التلخيص : لم يصححه وكثير ضعفه النسائي ومشاه

وقولهρ "المسلمون على شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما"[1]. ولاشك أن فى نظرة السنة النبوية لهذا العنصر أثره على صيانة الاقتصاد الإسلامى، والحفاظ على حق كل صاحب حق.
وبها يتضح الفرق بين النظام الإقتصادى فى الإسلام، وبين النظام الشيوعى الذى يعنى العامل بأحلام لا وجود لها فى عالم التطبيق[2].

ثالثاً : الديون

وهى من صور التعامل بين الناس، ولا يخلو أى نشاط إقتصادى أياً كان نوعه من وجود ديون بين المتعاملين. حتى لا تستخدم الديون بما يضر الدائن والمدين، وبما يفسد النشاط الإقتصادى القائم بين الطرفين جاء الإسلام بما يضمن الدين، وبما يحفظ مقداره وميقاته. وكان للسنة النبوية دورها فى ذلك حيث وضعت من الضوابط ما يحدد العلاقة بين الدائن والمدين.
العلاقة بين الدائن والمدين: لقد حددت السنة النبوية هذه العلاقة وطالبت كل منهما ضوابط تجعل ما بينهما حلالاً، وطاعة لله عز وجل. فطالبت الدائن بما يأتى:

بعض الضوابط الشرعية التي تجلب البركة في الرزق :

أولا- الحرص على تفريج الكربات: حيث رغبت السنة النبوية صاحب المال القادر على الإقراض وأن لا يمسك ماله عن مساعدة ذوى الحاجة وتفريج كرباتهم، فشدة الحاجة هى التى تدفعهم إلى طلب الدين، وفى ذلك يقول ρ: " من ستر أخاه في الدنيا ستره الله في الدنيا و الآخرة و من نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة و الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه
"[3]. وعن ابن مسعود أن رسول الله ρ قال: "ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقتها مرة"[4].
وعن أنس – رضى الله عنه – أن رسول الله ρ قال: "رأيت ليلة أسرى بى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت يا جبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقر إلا من حاجة"[5].
ثانيا: أن لا يشترط على المدين زيادة عند الرد: فذلك من الربا، والأصل فى القرض أنه وسيلة للتخفيف عن المدين وإعانته على شئون العيش، وليس وسيلة من وسائل الكسب، ولا أسلوبا من أساليب الاستغلال.
ثالثاً: التخفيف عن المدين بإمهاله أو التنازل عن الدين فى حالة إعساره: ومما ورد فى ذلك عن أبى قتادة وجابر بن عبد الله أن النبى ρ قال: "من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة وأن يظله تحت

---

1 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الإجارة، باب أجر السمسرة 120/3 مختصرا.

2 - وللمزيد حول هذا العنصر راجع: مقومات الاقتصاد الإسلامى: صـ 19 وما بعدها.

3 - المستدرك ك الحدود 425/4 ح 8159، تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

4 - أخرجه ابن ماجه فى السنن، كتاب الصدقات، باب القرض 812/2 (2430). حسنه الألبانى فى: صحيح سنن ابن ماجة 56/2 (1972).

5 - أخرجه ابن ماجه فى السنن، الموضع السابق (2431).

عرشه فلينظر معسرا"[1]. وعن أبى اليسر صاحب رسول الله ρ أن رسول الله ρ قال:" من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله"[2]. وحدث أن أبا قتادة طلب غريما له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إنى معسر، فقال: الله؟ قال: الله، قال: فإنى سمعت رسول الله ρ يقول: "من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه"[3]. هذا إلى جانب حسن الطلب. ولا يفهم من ذلك أن السنة النبوية تدعو إلى تبديد الأموال أو تلفها وتركها لآكلى أموال الناس بالباطل. وما ورد فيها من شأن التخفيف عن المدين إنما هو من باب الرحمة بالضعفاء والفقراء الذين أثقلتهم الديون فلم يستطيعوا ردها. وطالبت المدين بما يأتى:

1- حسن النية فى الأداء: فقد قال ρ: "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله"[4].

2- سرعة الأداء وعدم المماطلة: وفى ذلك يقول ρ: " مطل الغنى ظلم"[5]. وعن عمرو بن الشريد عن أبيه عن رسول الله ρ قال: "لى الواجد يحل عرضه وعقوبته"[6].

وقد أوضحت الأحاديث النبوية أن الميت مرتهن بدينه، فقد جاء رجل إلى رسول الله ρ يسأله عن أخيه مات وعليه دين، فقال: "إن أخاك محبوس بدينه فاقض عنه" فقال يا رسول الله: قد أدبت عنه غلا دينارين ادعتهما امرأة وليس لها بينة، فقال: "أعطها فإنها محقة"[7]. وقال ρ: " يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين "[8]. إلى غير ذلك من الأحاديث التى تدعو إلى التعجيل بقضاء الدين قبل الموت، وهو يأتى بغتة.

*كتابة الدين: وهو توجيه قرآنى، ولم أقف فيه على نص نبوى إلا أن السنة النبوية – بلا شك لا تتعارض مع قول الله عز وجل: {يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه}[9].

*تجنب الدين قدر المستطاع: فهو هم ثقيل، ولذلك كان النبى ρ كثيراً ما يستعيذ منه فيقول: "اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال"[1].

---

1 - أخرجه الطبرانى فى الأوسط 32/5 (4592) وقال الهيثمى فى المجمع 134/4 ورجاله رجال الصحيح ا.هـ.

2 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل.

3 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر 1196/3 (1563).

4 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها 152/3 وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه.

5 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الحولات، باب الحوالة 123/3.

6 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأقضية، باب فى الحبس فى الدين وغيره 45/4 (3628) وغيره.

7 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 136/4، 7/5 عن سعد بن الأطول رضى الله عنه.

8 - المستدرك ك الجهاد 129/2 ح 2554 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

9 - سورة البقرة الآية (282).

ويقول: "اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم" فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم فقال: "إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف"[2]. وعن عقبة بن عامر أن النبى ρ لأصحابه: "لا تخيفوا أنفسكم، أو قال: الأنفس فقيل يا رسول الله: وبما نخيفه أنفسنا؟
قال: الدين"[3].

رابعاً: الزكاة:

معلوم أن الزكاة عبادة من العبادات، وركن هام من أركان هذا الدين، وهى مع ذلك لا أهمية بالغة فى النظام الإقتصادى، فهى "نظام يعمل على توزيع الثروة، حيث إن صاحب المال يخرج من ماله نسبة معينة تتراوح ما بين 2.5 فى المائة، وقد تصل إلى خمسة أو عشرة فى المائة، فهى لها تأثير سلبى على المال حيث يقتطع قسم منه، ويصرف للفقراء، وهذا يؤدى إلى منع قيام الرأسمالية، ولها تأثير إيجابى فهى تعمل على تحسين أوضاع المستحقين لها، كما تعمل على نيل صاحبها رضاء الله – عز وجل – ومغفرته، وتساعد على نماء المال وزيادته، وكلما زاد المال زادت الزكاة فهى نسبة تصاعدية[4]..." ا.هـ. فالزكاة إذن لها مدلول مزدوج: الأول: أنها تزكية وتطهير للروح، وهذا هدف روحى تعبدى، إذ أنها تزكى نفس مؤديها، بما تتيح له من تدريب مستمر على البر بالغير، وشفاء نفسه من سيطرة الشح عليها. والثانى: أنها تزكية وتنمية للمال، وهذا هدف إقتصادى وإجتماعى لأنها تثبت روح التراحم بين طبقات المجتمع، وتنزع غل الطبقات المحرومة للطبقات الموسرة، وتساعد على توزيع الثروة فى طبقات المجتمع، وتحول دون تكدسها فى أيد قليلة، وما يلازم هذا التكدس من مساوئ خطيرة، اقتصادية واجتماعية[5].ا.هـ.

وبدراسة الزكاة من زوايا المال والاقتصاد نجدها أداة بالغة الأحكام "إذ نجد لها آثارا اقتصادية عميقة الأثر فى المجتمع، لأنها تحدث تيارات نقدية تعيد إلى الأسواق نشاطها إذا أصابها الركود وهى تصحح أخطاء (الأجر الإقتصادى)، وتدفع التيارات الخيرة التى تجمع بين حراكية المال وإتصال بعض درجات المجتمع ببعضها الآخر فى تعاون وتكافل وإيثار، وهى تعوض النقص الذى يحدثه الإدخار والإنفاق الرأسمالى فى أرزاق الدرجات الكادحة وهم الذين يعتمدون على الأجر فى تدبير

---

1 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الجهاد، باب منغزا بصبى للخدمة 43/4. وفى الأطعمة، باب الحبس 99/7، وفى الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال 97/8،وباب الاستعاذة من الجبن والكسل 98/8، وغيره عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

2 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام 211/1، وفى الاستقراض، باب من استعاذ من الدين 154/3.

3 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 146/4، 154.

4 - خصائص الدعوة الإسلامية: صـ 317 "تقدم".

5 - الحرية الإقتصادية فى الإسلام: د/سعيد بسيونى صـ 132 وما بعدها.

معاشهم"[1]. ا.هـ. فالزكاة لها وظيفة هامة فى حفظ التوازن الإقتصادى، وتقليل الفوارق بين الطبقات، وإشاعة روح التكافل والإحسان بين المسلمين[2].
وقد فرضت الزكاة على كثير من أنواع الثروة والنشاط الإقتصادى كالذهب والفضة والأنعام وعروض التجارة، وما تنتجه الأرض، وذلك بالشروط والمقادير التى حددها الإسلام. وهى من حق الجماعة فى مال الفرد وعنقه لتكفل لطائفة منها كفايتهم، وبذلك يحقق الإسلام جزءا من مبدئه {كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم}[3] أى لكيلا يتداول المال بين الأغنياء فقط.
فالإسلام يكره للناس الفقر والحاجة، وحتى يحميهم من ذلك جعل للسائل والمحروم حقاً معلوماً فى مال الغنى. كما يكره الإسلام أن تكون الفوارق بين الطبقات بحيث تعيش منها جماعة فى مستوى الترف، وتعيش جماعة أخرى فى مستوى الشظف فضلا عن أن تتجاوز الشظف إلى الجوع والحرمان والعرى[4]. وفى ذلك يقول ρ: " ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعانا و جاره جائع إلى جنبه و منها : "[5].
وفى رواية:قال ρ: "" ليس المؤمن الذي يبيت و جاره إلى جنبه جائع [6].
الآثار الإقتصادية للزكاة: إن الآثار الإقتصادية للزكاة تبدو فى الآتى:
* تأثير الزكاة على الإستثمار. * تأثير الزكاة على إعادة توزيع الدخل.
* تأثير الزكاة على العمل.
أولاً: تأثير الزكاة على الإستثمار: ونفرق فى هذا المجال بين تحصيل الزكاة وبين إنفاقها، فمجرد تحصيل الزكاة من شأنه أن يدفع الناس إلى استثمار أموالهم وإلا أتت عليها الزكاة. ولهذا السبب كان الرسول ρ يقول: "ألا من ولى يتيما له مال فليتجر فيه ولا يتركه حتى تأكله الصدقة"[7]. وقد نهانا الله تعالي عن أكل مال اليتيم بغير حق ، وأمر بمراقبته سبحانه في هذا المال حتي لا يفني ويضيع عن ابن عباس رضي الله عنهما : في قوله تعالى : { و من كان غنيا فليستعفف } فلا يحتاج إلى مال اليتيم { و من كان فقيرا فليأكل بالمعروف } يأكل من ماله مثل أن يقوت حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم ([8])فقد يكون اليتيم صغيرا غير متعقل للأمور وفي ذلك تفاوت كبيرمن الناحية العمرية بين واحد والأخر ،لكن لنري كيف ضمن الإسلام له حقه وأمر وليه بالمحافظة عليه .
فإذا كان الرسول ρ يأمر الأوصياء باستثمار أموال اليتامى وبتنميتها، فمن باب أولى يجب على الإنسان أن ينمى ماله حتى يستطيع أن يدفع الزكاة من ربحه بدلا من أن يدفعها من المال نفسه إذا لم

---

1 - المليكة فى الإسلام: صـ 8.

2 - الحرية الإقتصادية فى الإسلام: صـ 132.

3 - سورة الحشر من الآية (7).

4 - عالمية الدعوة الإسلامية صـ 321، والمبادئ الإقتصادية فى الإسلام: صـ 175، والإنسان والمال فى الإسلام: صـ 167.

5 - المستدرك ك البيوع 15/2 ح 2166.

6 - المستدرك ك البر والصلة 184/4 ح 7307تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح .

7 - أخرجه الترمذى فى السنن، أبواب الزكاة، باب ما جاء فى زكاة مال اليتيم 136/3 (بشرح الإمام أمن العربى المالكى) وقال الترمذى: فى إسناده مقال.

8 - المستدرك ك تفسير سورة النساء 2/ 331 ح 3182 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

يستثمره. كذلك فإن إنفاق حصيلة الزكاة من شأنه دعم الاستثمار من ناحية أخرى، فمن المعلوم أن من بين مصارف الزكاة سداد ديون الغارمين... وفى هذا دعم للائتمان، لأن المقترض سوف يطمئن إلى أنه إذا عجز عن سداد دينه فإن المجتمع ممثلاً فى الدولة سوف يؤدى عنه دينه، وبذلك بتجنب الإفلاس وما يؤدى إليه من حرمانه من المساهمة فى النشاط الإقتصادى. وكذلك المقرض إذا ما اطمأن إلى سداد دينه فإنه لا يحجم عن الإقراض، وبذلك تعمل الزكاة على تيسير الائتمان وتشجيعه، الأمر الذى له الأثر الكبير على تحقيق التنمية الإقتصادية.

ثانياً: تأثير الزكاة على إعادة الثروة: للزكاة دور كبير فى إعادة الثروة داخل المجتمع.. حيث إن نقل مال الغنى عن طريق الزكاة إلى الفقير يسبب كسبا للفقير أكثر من خسارة الغنى، والنتيجة النهائية أن النفع الكلى للمجتمع يزيد بإعادة توزيع الدخل عن طريق الزكاة. ومن أسباب نجاح الزكاة كوسيلة من وسائل إعادة توزيع الثروة أنها تفرض على جميع الأموال النامية وبذلك تتسم بالشمول وباتساع قاعدة تطبيقها. كذلك فكون الزكاة تتكرر سنوياً، فإن ذلك يجعل منها أداة دائمة لإعادة توزيع الثروة.

ثالثا: تأثير الزكاة على العمل: يظن البعض أن الزكاة قد تشجع على البطالة، وهذا ظن خاطئ من ناحية، لأن الزكاة لا تعطى إلا للعاجزين عن الكسب فلا يعطى للقوى القادر على العمل، ومن ثم فإن الزكاة – فى حقيقة أمرها – لا تشجع على البطالة، وإنما على العكس من ذلك تشجع على العمل.

أما كيف تشجع الزكاة على العمل، فمن المعلوم إقتصادياً أن عملية إعادة توزيع الدخل من شأنها أن تقلل من حدة التفاوت فى الدخول، وهذا أمر له تأثيره الكبير فى علاج البطالة[1]...

وفالأحاديث النبوية ما يؤكد على الاستغناء عن طريق العمل، وضرورة أن تهيئى الجماعة فرص العمل لكل فرد فيها حتى لا يتكل على الزكاة. ويبدو ذلك واضحا من تصرفه ρ مع السائل الذى جاء يستجديه فأعطاه النبى ρ درهما وأمره أن يشترى به حبلا ليحتطب به فيعيش من عمل يده. وقال: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه"[2]." عن أبي العالية عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : قال رسول الله : من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا فأتكفل له بالجنة فقال ثوبان : أنا فكان لا يسأل الناس شيئا [3]) "وفى هذا يجمع الإسلام بين الحرص على أن يعمل كل فرد بما فى طاقته وألا يعتمد على الإعانة الاجتماعية فيتعطل، والحرص على أن يعين المحتاج ويرفع عنه وطأة الحاجة وييسر له الحياة الكريمة[4].

خامساً: الميراث:

سبق أن النظام الإقتصادى فى الإسلام هو النظام الوسط الأمثل الذي ينفق مع الفطرة، والعقل السليم، والمنطق المستقيم، لأنه من عند الله عز وجل.

ونظام الإرث فى الإسلام يتفق مع طبيعة النفس البشرية، ومع العقل والمنطق، فالنفس البشرية تحت أن تجنى ذرية الإنسان وذوى قرابته ثمرة جهاده وكده، ولو كان غير ذلك كتسليم الثروة تعد الوفاة مثلا إلى بيت المال، لبعث ذلك الإنسان إلى محاولة القضاء على كل ثروته فى حياته، ما دام لا يعود شئ منها على عقبه من بعده. ولكن شرع الله عز وجل نظام الإرث لتوزيع التركة بين أقرباء الميت، وتلك رغبة طبيعية فطرية عند كل ذى مال، وهو بذلك يتفق مع العقل والمنطق. ولم يترك الحرية

---

1 - النظام الإقتصادى فى الإسلام: صـ 112 وما بعدها. "تقدم" باختصار وتصرف.

2 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده 72/3، وفى المساجد باب بيع الحطب والكلأ 149/3 وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه.

3 - المستدرك كتاب الزكاة 571/1 ح 1500هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

4 - راجع المبادئ الإقتصادية فى الإسلام: صـ 177.

للإنسان أن يتصرف فى ماله كيف يشاء دون ضوابط، لأنه قد يسئ التصرف فيحرم أولاده من ميراثه، ويوصى به إلى من يريد من خادم أو صديق كما يحدث فى ظل النظام الرأسمالى، بل قد يصل الحمق بالإنسان فى ظل هذا النظام إلى أن يوصى بثروته إلى كلب أو قطة.
أما الشيوعية – فى أصولها الأولى – فتنكر مبدأ الإرث، لأن الدولة هى التى لها حق التملك. وقد اضطرت أخيرًا إلى الاستجابة لنوازع الفطرة، فأباحت التملك الفردى فى نطاق محدود كما أباحت إرث هذه الملكية المحدودة[1].
"وقد رتب الإسلام نظام الإرث، ووضع له أنظمة خاصة به، فهو نظام ليس له نظير فى الأنظمة القديمة والحديثة، حيث يظهر أن الإسلام يحرص على عدم انكماش المال فى مكان واحد فهذا القانون يساعد على توزيع الثروة على أكبر عدد ممكن من الذرية"[2].
وقد بينت آيات القرآن الكريم ووضحت مراتبه وما يستحقه كل وارث، ولم يدع للأحاديث النبوية من بيانه إلا القدر القليل، وقد عد النبى ρ الفرائض نصف العلم الإسلامى فقال: "تعلموا الفرائض – أي المواريث -، وعلموها فإنه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أول شئ ينزع من أمتى"[3].
ويلاحظ من آيات المواريث أن الإسلام لا يحصر التركة بين فرد أو فرد، بل يشرك بالإرث عددا كبيرًا من أقرباء الميت فى أكثر الأحيان. وهذا ما يجعل التركة توزع مهما كثرت، وتتحول إلى ملكيات صغيرة، ومن هذا يظهر أن الميراث فى الإسلام ضرب من ضروب النشاط الإقتصادى، وطريق لنقل ملكية المال من ذمة إلى ذمة أخرى[4].
الآثار الإقتصادية للميراث: للميراث آثار اقتصادية بعيدة المدى من أهمها: أنه يؤدى إلى تفتيت الثروة تفتيتًا هادئاً ومستمراً، فيمنع بذلك من تضخم الثروات وتركزيها فى أيدى فئة قليلة من أفراد المجتمع، والتضخم أحد العيوب الأساسية التى يعانى منها النظام الرأسمالى نظرا لما يؤدى إليه من تفاوت فى حيازة الثروات وامتلاكها بين أفراد المجتمع .
هذا إلى جانب أنه يعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات، وذلك بتوزيع الثروة بين عدد من الأفراد وتحويل الملكية الواحدة إلى ملكيات صغيرة متعددة. وبهذا يكون الميراث حافزا على العمل وباعثا على النشاط، ويؤدى دائما إلى دفع عجلة الإنتاج على الأمام[5].
النظام الاقتصادي أسسه وقواعده وضوابطه :
: ويمكن من خلال ما سلف عن الناحية الإقتصادية فى الإسلام تحديد قواعد الاقتصاد الإسلامى ومن أهمها نقاط :
الأولى : أن المال الصالح هو قوم الحياة: وقد امتدحت الأحاديث النبوية المال الصالح وأشادت بالغنى الشاكر الذي يستخدم ماله فى نفع الناس ومرضاة الله عز وجل. فعن عمرو بن العاص رضى الله عنه

---

1 - راجع: الإنسان والمال فى الإسلام: صـ 170 بتصرف.

2 - خصائص الدعوة الإسلامية: ص 318.

3 - أخرجه ابن ماجه فى السنن، كتاب الفرائض، باب الحث على تعليم الفرائض 908/2 (2719). والحاكم فى المستدرك 333/4 وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.. ووافقه الذهبى.

4 - خصائص الدعوة الإسلامية: ص 318 والملكية فى الإسلام: ص 166، والمال وطرق استثماره فى الإسلام ص 56.

5 - النظام الإقتصادى فى الإسلام: ص 55، والحرية الإقتصادية فى الإسلام: ص 296 وما بعدها بتصرف. وللمزيد راجع: دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى: ص 343 وما بعدها.

أن رسول الله ρ قال: "نعم المال الصالح الرجل الصالح"[1]. وقد نهى النبى ρ عن إضاعة المال فى غير وجهه فقال: "إن الله عز وجل حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"[2].

الثانية: العمل على كل قادر: وقد تبين كيف أن السنة النبوية حثت على العمل، واعتبرت الكسب واجب على كل قادر، وكيف حاربت البطالة وأبطلت حجج القادرين عن العمل.

الثالثة: الكشف عن منابع الثروات: ففى الأرض خيرات كثيرة تحتاج إلى اكتشافها والوقوف على أسرارها. وفى الكتاب والسنة لفت النظر إلى ما فى الوجود من منابع الثروة ومصادر الخير، والحث على العناية بها وجوب استغلالها. وأن كل ما فى هذا الكون العجيب مسخر للإنسان ليستفيد منه وينتفع به يقول الله تعالى: {وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون}[3]. ويقول الرسول ρ: "التمسوا الرزق فى خبايا الأرض"[4].

الرابعة: تحريم الكسب الخبيث: وقد سبقت الوسائل التى حرمها الإسلام.

الخامسة: التقريب بين الطبقات والمساواة فى حق العيش: فقد عملت السنة النبوية على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز، ومظاهر الترف على الأغنياء، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء بتقرير حقهم فى المال.

السادسة: التفاوت فى المعيشة: وهذا التفاوت أمر طبيعي اقتضته حكمة الله عز وجل ولكن مع هذا التفاوت لا يقر الإسلام أن يحرم أحد من وسائل المعيشة.

السابعة: حرمة المال واحترام الملكيات: وقد أفاضت السنة النبوية فى هذه القاعدة.

الثامنة: تنظيم المعاملات المالية وإيجاد توازن عادل بين رأس المال والعمل: فقد نظم الإسلام المعاملات المالية فى حدود مصلحة الأفراد والمجتمع واحترام العقود والالتزامات.

وحرم كافة أنواع المعاملات التجارية التى تفتح الباب أمام النظام الإقتصادى الفاسد أو تسد الطريق أمام العمل المباح وتفقد التوازن بين العمل ورأس المال. فحرم الربا والقمار والميسر وجميع صور العقود الفاسدة، وأقر مبدأ العدل والإنصاف أساسا لجميع المعاملات.

التاسعة: مسئولية الدولة: فالدولة فى الإسلام مسئولة عن حماية هذا النظام، وعن حسن التصرف فى المال العام، تأخذه بحقه وتصرفه بحقه، وتعدل فى جبايته.

تلك أهم قواعد الإقتصاد فى الإسلام، ولو إهتدينا بهديها وسرنا على ضوئها لوجدنا فى ذلك الخير الكثير[5]. وهكذا يتبين مما سبق أثر السنة النبوية فى الناحية الإقتصادية.

---

1 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 197/4، 202.

2 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الأقضية، باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة 1341/3 (593) عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه.

3 - سورة الجاثية الآية (13).

4 - أخرجه الطبرانى فى الأوسط 274/1 (895)، 101/8 (8097) عن عائشة رضى الله عنها، وقال الهيثمى فى المجمع 63/4 رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وفيه هشام بن عبد الله بن عكرمة ضعفه ابن حبان.

5 - راجع مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا: رسالة مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى "النظام الإقتصادى" ص 233 وما بعدها، ومبادئ النظام الإقتصادى الإسلامى: صـ 62 وما بعدها بتصرف.

الفصل الرابع

الأثر العلمي لأحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري
في الحياة الثقافية والإعلامية المعاصرة

وتحدثت فيه عن:

أولا:-

العلم الضروري

ثانيا :-

ما يتعلق بطالب العلم

ثالثا :-

الجانب الإعلامي ودوره في خدمة قضايا الدعوة الإسلامية

رابعا :-

من أهداف الإعلام في المجتمع المسلم

الفصل الرابع :-

الأثر العلمى للأحاديث النبوية وفيها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى فى الحياة الثقافية والإعلامية المعاصرة

تمهيد:

المتأمل فى الأحاديث النبوية كما جاء في المستدرك يلمس بجلاء حرص النبى ρ على تكوين أمة لها ملامحها وسماتها المتميزة، لأنها صاحبة غاية ورسالة عالمية تهدى الناس إلى الخير، وترغبهم إلى السبيل الذى إرتضاه الحق تبارك وتعالى لهم.

ومن المسلم أنه أن الأمة التى لم تكن على علم، ولم تزود بالفكر والثقافة، فإنها لن تستطيع أن تقوم بدورها بين الأمم، ولن تستطيع أن تنفع نفسها، فضلا عن إصلاح وتغيير غيرها، وتعبير بجهلها وتأخرها الفكر والثقافى فى مؤخرة الأمم، فالعلم يرفع أصحابه ويجعل لهم الريادة والقيادة، ومن هنا فالأمة التى يتربى أبناؤها على العلم، ويعدون بالعدة الفكرية والثقافية تكون فى مقدمة الأمم ومن أجل هذا كان اهتمام الأحاديث النبوية بالناحية العلمية والثقافية والفكرية، وكان أثرها جليا فى تكوين الأمة علمياً وثقافياً، ونضجها فكرياً وعقلياً، وكانت هى نفسها مصدراً لتعليم أفراد الأمة، ومدهم بكل ما يفيد تكوينهم الثقافى والفكرى. وإذا طالعت الأحاديث النبوية وجدت فى كثير منها كتابا أو أبوابا خاصة بالعلم، تضم قدر كبيرا من الأحاديث، وهناك غيرها الكثير مما له صلة بالعلم فى مواضع أخرى.

"والرسول ρ وجه الصحابة – رضى الله عنهم – والأمة من بعدهم إلى أن يتزودوا بكل المعارف الممكنة فى زمانهم، وبالتالى فإن كل جبل من المسلمين مطالب بأن يسعى إلى تحصيل العلوم واكتسابه المعارف التى وصل إليها كل عصر"[1].

وقبل تفصيل دور السنة النبوية وأثرها فى هذه الناحية، ومنهجها فى التعليم أؤكد حقيقة هامة وهى "أن الإسلام – فى ضوء ما فصلته السنة النبوية – قد وضع مبادئ وأسساً للتعلم والتعليم سبق بها أفضل ما يباهى به عصرنا ومفكروه من قيم فكرية وخلقية تربوية، فى جانب التعلم أو التعليم. مثل مبدأ استمرار التعلم أو طلب العلم من المهد إلى اللحد ... ومبدأ التخصص فى أحد العلوم ... ومبدأ التوقير للمعلم .. والرفق بالمتعلم ... والتدرج فى التعليم .... ومراعاة الفروق ... والإشفاق على المخطئ وتشجيع المحسن .. واستخدام الوسائل المعينة .. وغير ذلك[2].

يمكن تحديد أثر السنة النبوية ودورها فى هذه الناحية من خلال هذه العناصر:

العنصر الأول : أنها حثت على التعلم وجعلته منذ الصغر إلزاميا ومجانيا: فقد دعت السنة النبوية إلى طلب العلم، ومن هذه الأحاديث التى تأمر المسلمين وتحضهم على العلم عن أنس رضى الله عنه أن

---

1 - خصائص المجتمع الإيمانى: د/مروان شاهين صـ 145.

2 - الرسول والعلم: د/يوسف القرضاوى صـ 161 مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة 1406هـ - 1985م.

النبى ρ قال: " ..ما من رجل يخرج في طلب العلم إلا بسطت له الملائكة أجنحتها رضي بما يفعل حتى يرجع "[1]
. وعنه أيضاً –).في الحديث الشريف بيان فضل العلم والحث على طلبه. ومنها ما يدل على أن الإسلام دين يجعل تعلم العلم أو تعليمه واجباً إلزامياً[2].

المبحث الأول : الحياة الثقافية والعلمية :

الأول:- **العلم الضروري الواجب تعلمه :-**

والعلم الواجب طلبه وتعلمه عيناً على المسلم، هو ما لابد له منه فى دينه أو فى دنياه.

أما فى دينه، فلابد له أن يتعلم من علوم الشرع:

أولاً- ما يتوصل به الي معرفة الجانب العقدي معرفة يقينية ثابتة .

ثانياً- ما يمكن من خلاله التوصل الي العبادة الصحيحة ، بأن تكون على الصورة المشروعة، وباطناً بأن تتوافر فيها النية الخالصة لله تعالى.

ثالثاً- ما تصفو به النفس ، ويخشع له القلب، بأن يعرف الفضائل "المنجيات" ليتحراها ويتخلق بها ويعرف الرذائل "المهلكات" ليتجنبها ويتوقاها.

رابعاً- ما يمكن من دون الله اقامة موازنة مع النفس ، أو مع أسرة، أو مع الناس، حكاماً ومحكومين مسلمين وغير مسلمين، فيعرف فى ذلك الحلال من الحرام، والواجب من غير الواجب، واللائق من غير اللائق. وهذا القدر من العلم يجب أن يتعلمه كل مسلم ومسلمة... وهو يمثل الحد الأدنى لمعرفة المسلم بدينه، ثم هو يتسع ويزداد الأحوال الاختصاصات، فكل من كان له اختصاص بشئ – كالطبيب والتاجر وجب عليه أن يتعلم ما يتصل به من أحكام. وأما لابد منه فى دنياه، فيختلف باختلاف البيئات والأزمان[3]..."

وقد حضت الأحاديث النبوية على فضيلة التعلم ورفعت من شأن العلم "لأنه به يميز الإنسان بين الحق والباطل، والخير والشر، الصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح، والنافع والضار فهو للعقل كالنور للعين لا يستغنى عنه بحال. ومن ثم كانت قيمة الإنسان على قدر تحصيله منه، وعلى قدر أخذ الأمم به يكون نهوضها الحضارى ورقيها الصناعى، وازدهارها التجارى، ونموها الزراعى، واتساعها العمرانى، فهو الذى يرقى بالحياة، ويجعلها وارفة الظلال، جديرة بأن ينعم بها الإنسان ويسعد"[4].

أنها حاربت الأمية ولم تقتصر السنة النبوية على توجيه الأمة على العلم وحثها على طلبه وتحصيله بل كافحت الأمية. ويبدو ذلك جليا فى حرصه ρ على محاربة الأمية التى كانت منتشرة بين العرب. "وحينما أُتيحت للرسول ρ فرصة لتعليم بعض المسلمين الكتابة، لم يدعها تفوت دون أن

---

1 - **صحيح المستدرك ك العلم 180/1 ح 340تعليق الذهبي قي التلخيص : إسناده**

2 - **راجع فى ذلك: تربية الأولاد فى الإسلام 262/1.**

3 - **الرسول العلم: صـ 87 وما بعدها. باختصار وتصرف يسير.**

4 - **عناصر القوة فىالإسلام: السيد سابق ص 78.**

يستفيد منها، وذلك فى غزوة بدر، حيث كان بعض أسرى قريش ممن يعرفون الكتابة، فجعل فداء الواحد منه من أسره، أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين الكتابة"[1]. ا.هـ.

روى ابن سعد فى طبقاته عن عامر الشعبى قال: "أسر رسول الله ρ يوم بدر سبعين أسيرا وكان يفادى بهم على قدر أموالهم وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداؤه"[2]. وهذا يعنى أن النبى ρ كان حريصا على محو الأمية تماما، ولا يقف المتعلم عند حد "فك الخط" كما يقولون، بل لابد من درجة "الحذق" والإتقان، حتى لا ينسى ويعود إلى الأمية من جديد، ولكى يتمكن من القيام بدوره الثقافى والتعليمى فى خدمة الأمة. وهذا ما حدث بالفعل، فقد كان من بين المتعلمين على يد أسرى قريش زيد بن ثابت رضى الله عنه، وقد صار أحد كتاب الوحى. ففى الطبقات عن الشعبى أيضاً: "كان فداء أهل بدر أربعين أوقية، فمن لم يكن عنده علم عشرة من المسلمين الكتابة، فكان زيد بن ثابت ممن علم"[3].

وقد خطب النبى ρ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثم قال: "ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة. ثم نزل رسول الله ρ فقال قوم: من ترونه عنى بهؤلاء؟ قالوا: الأشعريون هم قوم فقهاء ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين، فأتوا رسول الله ρ فقالوا يا رسول الله: ذكرت أقواما بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال: "ليعلمن قوم جيرانهم وليفقهنهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون، أو لأعالجنهم العقوبة فى الدنيا، فقالوا يا رسول الله: أنفطن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم، وأعادوا قولهم: أنفطن غيرنا؟ فقالوا ذلك أيضاً، فقالوا: أمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويفطنوهم ثم قرأ رسول الله ρ هذه الآية: {لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (78) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون}[4]. ومن خلاك هذا الحديث الشريف يمكن استنباط ما يلي :-

الثاني : خطوات نبوية جادة للقضاء علي الجهالة :-

الأولى :- أن النبى ρ لم يقر قوما على الجهالة بجانب قوم متعلمين.

الثانية :- أنه ρ اعتبر بقاء الجاهلين على جهلهم وامتناع المتعلمين عن تعليمهم عصيانا لأوامر الله عز وجل وشريعته. كما إعتبره عدواناً ومنكراً يوجب اللعنة والعذاب.

الثالثة :- أنه أعلن الحرب والعقوبة على الفريقين حتى يبادروا إلى التعلم والتعليم. وأعطاهم لذلك مهلة عام واحد للقضاء على آثار الجهالة فيما بينهم.

الرابعة :- أن هذه الحادثة وإن كانت قد وردت بشأن الأشعريين العلماء وجيرانهم الجهلاء فإن الرسول ρ أعلن ذلك المبدأ بصفة عامة، بدليل أن الأشعريين لما جاءوا إلى الرسول ρ يسألونه عن

---

1 - الرسول والعلم: ص 40.

2 - الطبقات 22/2.

3 - المرجع السابق ونفس الصفحة.

4 - أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد 164/1 وقال: رواه الطبرانى فى الكبير وفيه بكير بن معروف، قال البخارى: ارم به، ووثقه أحمد فى رواية وضعفه فى أخرى. وقال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به. ا.هـ. والآيتان (78، 79) من سورة المائدة.

سر تخصيصهم بهذا الإنكار كما فهم الناس لم يقل لهم: أنتم المرادون بذلك، بل أعاد القول العام الذى سلف ثلاث مرات دون أن يخصصه بالأشعريين، إشعارا بأن القضية قضية مبدأ عام غير مخصوص بفئة ولا عصر معين. وبذلك يكون الرسول ρ قد أعلن مكافحة الأمية قبل أن تعلنه الدول المتحضرة فى عصرنا هذا بأربعة عشر قرنا[1]. ا.هـ وتلك هى المرحلة الأولى الهامة التى يجب أن تبدأ بها أى أمة تريد أن تنهض من كبوتها وتستيقظ من غفلتها[2].ا.هـ "ولقد أنتجت تلك السياسة الحكيمة ثمارها، وأتت أكلها، فتكون جيل من الصحابة قد تعلم القراءة والكتابة، وتلك كانت البداية لحركة علمية نشطة ملأت أرجاء العالم الإسلامى كله"[3]. ا.هـ.

الخامسة:- أنها دعت إلى تعلم اللغات عند الحاجة: ولم تتوقف الأحاديث النبوية عند حدود محو الأمية فقط، بل وجهت بعد ذلك إلى دراسة العلوم النافعة فى سائر المجالات، وأيضاً تعلم لغات الآخرين وإتقانها عند الحاجة لذلك، باعتبار ذلك وسيلة لنشر دعوة الإسلام العالمية. يقول زيد بن ثابت رضى الله عنه: " قال زيد بن ثابت : أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم فتعلمت له كتابة اليهود و قال : إني و الله ما آمن يهود على كتابي فتعلمته فلم يمر بي نصف شهر حتى حذقته قال : إني كنت أكتب له إذا كتب و أقرأ له إذا كتبت إليه "[4]

هذا إلى جانب ما كان عنده ρ من أصحابه من يعرف الفارسية والرومية والحبشية، ويكفيه هم الترجمة منها وإليها.

وكان ρ يقتبس كل علم نافع، ويأخذ برأى أصحاب الخبرة وأهل المعرفة، كما فعل وأخذ برأى سلمان الفارسى رضى الله عنه فى حفر الخندق[5].

رابعا :- حذرت من كتمان العلم: فقال ρ: " من سئل عن علم فكتمه جيء به يوم القيامة و قد ألجم بلجام من نار "[6].

السادسة:- إذنها للمرأة أن تتعلم ما ينفعها فى أمر دينها ودنياها: فلم تحرم المرأة من أن تأخذ * من العلم النافع والثقافة المفيدة. وقد ثبت فى السنة النبوية أن النبى ρ كان يخص النساء بأيام يعلمهن فيها تعاليم دينهن، وذلك لما جاءته امرأة فقالت يا رسول الله: ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال ρ: " اجتمعن فى يوم كذا وكذا فى مكان كذا وكذا"، فاجتمعن فأتاهن رسول الله ρ فعلمهن مما علمه الله[7]. ويحفظ التاريخ أسماء من النساء المسلمات وصلن إلى أسمى درجات العلم والثقافة وهذا دليل على ما يمتاز به الإسلام من العناية بالعلم والنبوغ الفكرى.

---

1 - الرسول والعلم صـ 115، ومنار الإسلام العدد الثالث – السنة التاسعة ربيع الأول 1404هـ - ديسمبر 1983م مقال بعنوان أمة الإسلام والعلم – للأستاذ هشام خطاب ص 101 وما بعدها بتصرف يسير.

2 - خصائص المجتمع الإيمانى: ص 146.

3 - المصدر السابق ص 147.

4 - المستدرك ك الإيمان 147/1 ح 252تعليق الذهبي قي التلخيص : هذا صحيح .

5 - الرسول والعلم: صـ 42، وخصائص المجتمع الإيمانى صـ 147. "تقدم".

6 -المستدرك ك العلم 181/1 ح 344 تعليق الذهبي يف التلخيص علي شرطهما.

7 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الاعتصام، باب تعليم النبى ρ أمته من الرجال والنساء 124/9، عن أبى سعيد رضى الله عنه.

وإذا كانت ألأحاديث النبوية قد أذنت للمرأة أن تتعلم ما ينفعها فى أمر دينها ودنياها فقد وضعت لذلك من الضوابط ما يصونها ويحفظ عفتها وكرامتها. حيث منعت الاختلاء والاختلاط فقال ρ: " لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له، فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم"[1]. وأكدت ما نص عليه القرآن الكريم من الأمر بالحجاب وارتداء الجلباب، وغض البصر وعدم إبداء الزينة والمفاتن ونحو ذلك[2].

السابعة:- إقرار مبدأ التجربة فى الأمور الدنيوية الفنية: مثل أمور الزراعة والصناعة والطب وما شاكلها. وفى ذلك – بلا شك – دعوة للعقول أن تفكر وأن تبتكر وفقا للمبادئ العامة والضوابط التى وضعها الإسلام. ومثال ذلك موقفه ρ من قضية تأبير النخل، حيث أخذ الأنصار برأيه ρ وتركوا التأبير ظنا منهم أن ما قاله بعدم التأبير من أمر الوحى، وليس رأيه الشخصى فى هذه المسألة. فلما سد حال التمر وخرج رديئا، وعلم بذلك رسول الله ρ بين لهم أن كلمته لم تكن من باب الوحى الإلهى، بل من باب المشورة الدنيوية حسب ظنه الناشئ عن خبراته البيئية المحدودة، ثم قال لهم فى النهاية: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[3]. فهذه الشئون الدنيوية الفنية المحض متروكة لعقولهم ومعارفهم يديرونها وفقا لمصلحتهم، وليس من شأن الوحى أن يتدخل فيها، فهم بها أدرى وأعلم"[4]. ا.هـ.

الثامنة : - أنها أفسحت المجال لتعلم وتعليم العلوم الدينية والدنيوية المفيدة، وحرمت العلوم الضارة الفاسدة.

حيث رغبت النبى ρ فى العلوم الدينية فقال على سبيل المثال: "من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين"[5].

ورغب كذلك فى تعلم العلوم الدنيوية المفيدة كدراسة الطب والصيدلة حيث قال ρ: "ما أنزل الله من داء إلا وقد أنزل معه شفاء علمه من علمه و جهله من جهله ": "[6].

و أما حديث طارق بن شهاب عن صفوان بن عسال المرادي قال : قال يا رسول الله أنتداوى ؟ قال : تعلمن أن الله تعالى لم ينزل داء إلا و أنزل له دواء غير داء واحد قالوا : و ما هو ؟ قال : الهرم [7] . ويرغب فى علم آخر من العلوم النافعة وهو الزراعة فيقول ρ: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فيفعل"[8].

---

1 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب النكاح باب لا يخلو الرجل بأمرأة إلا ذو محرم 48/7.

2 - راجع: تربية الأولاد فى الإسلام: 275/1 وما بعدها، ومنار الإسلام العدد السابع السنة العاشرة رجب 1405هـ - إبريل 1985 صـ 99 مقال بعنوان "فى ظلال المنهج الإسلامى فى التربية والتعليم للأستاذ عبد السلام البسيونى.

3 - جزء من حديث أخرجه مسلم فى الصحيح كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا 1836/4 (2363) عن أنس رضى الله عنه.

4 - الرسول والعلم: ص 48 "تقدم".

5 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل 27/1.

6- المستدرك ك الطب 218/4 ح 7424 ، تعليق الذهبي قي التلخيص : سكت عنه الذهبي في التلخيص.

7 - المستدرك ك الطب 219/4 -7427 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

8 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإيمان، باب الاستسرار بالإيمان للخائف 131/1 (149) وغيره عن حذيفة رضى الله عنه.

ويستخدم النبى ρ أسلوب الإحصاء. فيقول ρ: "احصوا لى كم يلفظ الإسلام"[1].
وعلى هذا فمجالات العلم فى الإسلام واسعة، فكل ما يضيف إلى الإنسانية شيئا نافعا فهو علم يقره الإسلام ويحترمه. أما ما يضر ويعود على الإنسانية بالخراب والتدمير، أو يؤدى إلى تعطيل العقول واستسلامها للأوهام والخرافات فهو علم يحرمه الإسلام، ويبغض أصحابه، ولذا حذرت السنة النبوية من تعلم وتعليم العلوم الضارة الفاسدة التى لا تعود على المجتمع بنفع أو خير، بل تأتى بالضرر والإيذاء، ومن ذلك على سبيل المثال: علوم السحر والكهانة. والسحر(..... قال ρ: " من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم ""[2].
التاسعة:- أنها ربطت بين العلم والإيمان: فالعلم فى الإسلام ليس ترفا وليس تسلية وسدا للفراغ، وإنما هو عبادة وتقرب، وما دام عبادة فمن الضروري أن يظهر أثره فى سلوك الأمة ومن الأحاديث التى تشير إلى ذلك: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه"[3]. وكان من دعاء النبى ρ قوله: "اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها"[4].
العاشرة:- أنها حددت سمات المتعلم وما ينبغي أن يراعى معه: فطالب العلم فى ميزان الإسلام له صفات وأخلاق عليه أن يتخلق بها، ومن أبرزها:
الإخلاص والتقوى والشعور بالمسئولية أمام الله عز وجل، والتواضع، وطلب العلم النافع... وهذه السمات واضحة غاية الوضوح فى قصة موسى عليه السلام وبين العبد الصالح، ولا شك أن السنة النبوية قد وافقت القرآن الكريم على ما نص عليه فى قصتهما. وقد ورد فى السنة حديث الثلاثة الذين أفسد الرياء أعمالهم، ومن هؤلاء: "رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما علمت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن: قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار[5].
وعن جابر قال: قال رسول الله ρ: " عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو تماروا به السفهاء و لا لتحيزوا به المجلس فمن فعل ذلك فالنار النار "[6].
ومن أخلاق طال بالعلم أيضا الصبر الشديد والجهد المتواصل فى طلبه، ويبدو ذلك مما أشارت إليه ألأحاديث من تناوب الصحابة رضوان الله عليهم فى حضور مجلس الرسولρ.

---

1 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الجهاد، باب كتابة الإمام الناس 87/4 عن حذيفة رضى الله عنه.

2 - المستدرك ك الإيمان 49/1 ح15تعليق الذهبي في التلخيص : على شرطهما

3 - جزء من حديث أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل 2088/4 (2722) عن زيد بن أرقم رضى الله عنه.

4 - أخرجه الحاكم فى المستدرك 510/1 بلفظ "وارزقنى علما تنفعنى به" وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى..

5 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار 1514/3 (1905) وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه.

6 - المستدرك كتاب العلم 161/1 ح 290تعليق الذهبي في التلخيص : رواه ابن وهب فأرسله

وقوله ρ: "ليس من أمتى من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا"[1]. أى يعرف له حقه. وقد ألف علماؤنا الأفاضل كتبا شرحوا فيها آداب العالم والمتعلم، وأدب الإملاء والإستملاء كابن جماعة الكنانى المتوفى (733هـ) فى كتابه "تذكرة السامع والمتكلم فى أدب الإملاء والإستملاء كابن جماعة الكنانى المتوفى (733هـ) فى كتابه "أدب الإملاء والإستملاء" وهما من الكتب النافعة التى أنصح طلاب العلم بقراءتهما[2]. ولم تقف السنة النبوية عند حد بيان سمات المتعلم بل أرشدت إلى ما ينبغى أن يراعى معه حتى يقبل على طلب العلم وهو محب لذلك. وسيتضح ذلك من خلال بيان منهج السنة النبوية فى التعليم.

الثالث منهج السنة النبوية فى التعليم:

وقد احتوت السنة النبوية على منهج متميز فى التعليم يشمل عناصر العملية التعليمية من المعلم والمتعلم والمنهج – أو مادة التعليم – وكيفية وتوصيلها للمتعلم. وفيما يلى توضيح ذلك.

أولاً: الأحاديث النبوية وما يتعلق بالمتعلم :-

أ- العناية بالمعلم والتنويه بقدرة: "فالمعلم هو العنصر الفعال فى عملية التعليم، وعلى قدر ما يحمل فى رأسه من علم وفكر، وما يحمل فى قلبه من إيمان برسالته، ومحبة لتلاميذه، وما أوتى من موهبة وخبرة فى حسن طريقة التعليم، يكون نجاحه وأثره فى أبنائه وطلابه. وكثيراً ما كان المعلم الصالح عوضاً عن ضعف المنهج وضعف الكتاب، وكثيراً ما كان هو المنهج والكتاب معا[3].ا.هـ.

ومن هنا كان اهتمام الأحاديث النبوية بالمعلم، وكفاه شرفا وفضلا أن النبى ρ قد سمع نفسه معلما.

فعن ابن عمر أن رسول الله ρ مر بمجلسين فى مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمون، قال: كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم. وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ويعلمون الجاهل. فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلما ثم جلس فيهم"[4]. ويكفيه فضلا أن له من الأجر بمقدار من ينتفع بعلمه من الناس، وعن ذلك يقول ρ: " من دل على خير فله مثل أجر فاعله"[5].

ب- وجوب توقيره وإكرامه: فقد أوجبت السنة النبوية توقير المعلم، وإعطاؤه ما يستحق من التكريم والإكبار، فإن المعلم لتلميذه بمنزلة الأب لولده، بل ذهب الإمام الغزالى رحمه الله إلى أن حق المعلم أعظم من حق الوالدين[6].

---

1 - أخرجه الإمام أحمد فى المسند 323/5. وقال الهيثمى فى المجمع 127/1، 14/8 رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وإسناده حسن. عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه.

2 - للمزيد راجع: خصائص المجمع الإيمانى: صـ 160 وما بعدها، والرسول والعلم صـ 61 وما بعدها.

3 - الرسول والعلم: صـ 110.

4 - أخرجه ابن ماجه فى السنن، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم 83/1 (229) وقد ضعفه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة 67/1 (11).

5 - أخرجه مسلم فى الصحيح، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله بمركوب وغيره.. 1506/3 (1893) وغيره عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه.

6 - إحياء علوم الدين 55/1.

ثانياً: ما يتعلق بطالب العلم :-

ولقد جعل الاسلام لطالب العلم المكانة العظيمة ، والثواب الجزيل ، فطالب العلم هو أحد العناصر الهامة والأساسية فى العملية التعليمية، ولولاه ما استطاع المعلم أن يخرج ما لديه من علم. وأن يبرز ما لديه من خبرة وموهبة. ومن منهج السنة النبوية فى ذلك:

أولا:- الترحيب بالمتعلم والبشاشة له:فهذا ما كان عليه الرسول ρ دائما يراه الناس في وجه ويعرفونه من خلاله ،فعله وامر المسلمين بفعله ،وذلك حتى تزول عن طالب العلم الوحشة، وتنحل من نفسه عقدة الخوف من المعلم والرهبة من العلم، وهذا ما كان يفعله النبى ρ وأصحابه من بعده. عن زر بن حبيش قال : جاء رجل من مراد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يقال له صفوان بن عسال و هو في المسجد فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما جاء بك ؟ قال : ابتغاء العلم قال : فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع و ذكر الحديث [1]".

ثانياً- الرفق بالمتعلم والحنو عليه: إقتداء بالمعلم الأول رسول الله ρ القائل: "إنما أنا لكم مثل الوالد لولده"[2]. وكان النبى ρ أرفق الناس بالمتعلمين، وأبعدهم عن التشديد والتعسير، والفظاظة والغلظة. "وقد تثار هنا قضية الضرب واستخدام العصا فى التعليم، وخصوصا بالنسبة للصغار، والتربويين فى عصرنا ينكرون الضرب على الإطلاق ،لأنه ينافى الرفق، وقدوتنا فى هذا معلمنا الأول رسول الله ρ[3]." ا.هـ. ولم يشرع الإسلام ضرب الصغار إلا فى موضع واحد جاء به الحديث فى تعويد الأبناء الصلاة قبل البلوغ حتى يشبوا على أدائها ورعايتها قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين و اضربوهم عليها في عشر سنين و فرقوا بينهم في المضاجع [4]. ومن ثم فالرفق بالمتعلم هو الأصل، ولا يكون عكسه من الشدة والقسوة، إلا للضرورة.

ثالثا :- تنبيه المخطئ على خطئه والإشفاق عليه: ولا يعنى الرفق بالمتعلم تركه إذا أخطأ دون تنبيه أو توجيه، فهذا من شأنه أن يشجع على الخطأ ويشيعه، وفى ذات الوقت لا يعنى خطأ المتعلم أن يقابل بالعنف والقهر، فهذا يؤدى إلى الإصرار على الخطأ، والتمادى فى الباطل.

ولذا أرشدت السنة النبوية إلى معالجة الخطأ بصورة تتناسب مع ظروف وأحوال المخطئ، ويبدو ذلك فى موقفه ρ مع الأعرابى الذى بال فى المسجد، حيث تركه دون أن يقطع عليه بولته .

رابعا :- تشجيع المحسن والثناء عليه: فهناك مواقف حسنة من بعض المتعلمين، ومواهب وقدرات فى مجالات متنوعة تحتاج إلى تشجيع وتنمية وحسن متابعة ليزداد من أصاب وأحسن نشاطا وإقبالا على العلم. "ومن طلاب العلم من أوتى الموهبة والذكاء والقدرة على الفهم والتحليل والتحصيل، ولكن تنقصه الثقة بالنفس والأمل فى الغد، فما أحوجه إلى كلمة من أستاذ مرشد تنفعه وترفعه"[5]. ا.هـ. ولذا أرشدت السنة النبوية إلى تشجيع المحسن والثناء عليه ومن ذلك على سبيل المثال: قوله ρ عنعلي بن الحسن بن شقيق ثنا الحسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة قال : سمعت أبي بريدة يقول : كنت في

---

1 -. المستدرك ك العلم 180/1 ح 341 . تعليق الذهبي قي التلخيص : خالفه شيبان

2 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة 18/1 (18) وغيره أبى هريرة رضى الله عنه.

3 -الرسول والعلم: صـ 120 .

4 - " المستدرك ك مواقيت الصلاة 311/1 ح 708 .

5 - الرسول والعلم: صـ 131.

المسجد و أبو موسى الأشعري يقرأ فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا بريدة جعلت لك الفداء يا نبي الله قال : لقد أعطي هذا من مزامير آل داود "[1].
ومن قرأ كتاب المناقب أو الفضائل فى الصحيحين أو غيرهما من كتب الحديث يجد نصوصا تحمل الثناء على واحد، أو جماعة من أصحاب النبى ρ.
خامساً :- النظر الي الفروق الفردية بعين الاعتبار : فهناك بلا شك فروق بين أبناء الصف الواحد من حيث الناحية العقلية والمادية والمعنوية والبيئية وكلها مؤثرات بلا شك على استيعاب المتعلم، والمعلم الموفق هو الذى يعطى كل إنسان من العلم ما يلائمه ويصلح له، وقد راعت السنة النبوية هذه الفروق ويبدو ذلك من:
إختلاف وصاياه ρ بإختلاف الأشخاص، وإختلاف أجوبته وفتاواه عن السؤال الواحد باختلاف أحدا السائلين، واختلاف مواقفه وسلوكه باختلاف من يتعامل منهم، وهكذا[2].

الرابع: ما يتعلق بالمنهج وطريقة توصيله للمتعلم:

تتميز طريقة توصيل المعلومة فى المنهج الإسلامى للتعليم بميزات من أهمها:
أولا- التدرج :- وهو ذو شقين: أحدهما يتعلق بالكم، والآخر بالكيف. فالأول يعنى: أن يعطى المتعلم من العلم المقدار الملائم له، ولا يكثر عليه الأستاذ، ويحمله ما لا يطيق، فينوء به ويضيعه كله، فهو يريد أن يعطيه الكثير دفعة واحدة، فيضيع بذلك الكثير والقليل. والثانى على معنى: أن يبدأ الأستاذ مع طلابه بالجلى من العلم قبل الخفى، والبسيط قبل المركب، وبالخفيف قبل الثقيل، والجزئى قبل الكلى، وبالعملى قبل النظرى. وكذلك ينبغى أن تراعى مراحل العمر، فما يعطى للصبى غير ما يعطى للمراهق، غير ما يعطى للناضج. وهذا ما يحرص عليه رجال التربية اليوم فى وضع المناهج، وفى تأليف الكتب[3]. ومن الأحاديث التى تشير إلى التدرج فى التعليم أن رسول الله ρ لما بعث معارا إلى اليمن قال: "إنك تأتى قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم[4]...".
ثانياً- الإقتصاد والإعتدال في إلقاء المعلومة: فقد كان يقتصد علي المدعوين في خطبه ومواعظه وكلماته ولم يكن يثقل عليهم ،حتى لا يؤدى الإكثار إلى الملل وقد روى فى ذلك عن أبى وائل قال: كان عبد الله – يعنى ابن مسعود – يذكر الناس فى كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن: لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم، وإنى أتخولكم – أى أتعهدكم – بالموعظة كما كان النبى ρ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا[5]. ولهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التى استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوى الحكيم"[6] وأحب داعية الي الناس هو الذي يلتزم منهج النبيρ .

---

1 -، المستدرك ك الأدب 314/4 ح 7757تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم.

2 - الرسول والعلم صـ 134 وما بعدها.

3 - الرسول والعلم صـ 133. بتصرف يسير.

4 - أخرجه : البخاري 130/2 (1395) ، ومسلم 37/1-38 (19) (30)

5 - وأخرجه مسلم 2821 83 في صفات المنافقين: باب الاقتصاد في الموعظة، والنسائي في العلم كما في "التحفة" 55/7 عن إسحاق بن إبراهيم، بهذا الإسناد

6 - أصول التربية النبوية: محمد بن علوى المالكى الحسينى: ص 48.

ثالثا- استغلال المواقف العملية لتوصيل المعلومة: وما أكثر المواقف الواقعية والتصرفات العلمية التى ترتبط بالمنهج المحدد توصيله للمتعلم، فهناك مواقف أخلاقية وسلوكية، وأيضا علمية لو أحسن المعلم استغلالها لتمكن من توضيح معلومة بمنتهى اليسر والسهولة،ولذا لفتت السنة النبوية أنظار المعلمين لهذا المبدأ الذى أخذ به النبى ρ، ومن ذلك على سبيل المثال: موقفه ρ يوم مات ابنه إبراهيم، واتفق أن كسفت الشمس فى نفس ذلك اليوم.. ولو لم يستغل النبى ρ هذا الموقف لتصحيح ما كان شائعاً فى الجاهلية من أن إنكساف الشمس أو القمر يكون لموت عظيم من العظماء، لو لم يحدث ذلك لثبت هذا الفهم الخاطئ عند الناس، ولكنه ρ انتهز هذه الفرصة ليصحح المفاهيم، ويطارد الخرافة، ويقرر الحقيقة العلمية، وقال: " عن ابن عمر : أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه و سلم فظن الناس إنما انكسفت لموته فقام النبي صلى الله عليه و سلم فقال : أيها الناس إنما الشمس و القمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته فإذا رأيتم ذلك فقوموا إلى الصلاة و إلى ذكر الله و ادعوا و تصدقوا "[1].

وبهذا يرتبط العلم بالحياة، ويتصل الدرس بالواقع، ولا يعيش المعلم مع الكتب وحدها بعيدًا عما تمر به الحياة من أحداث.

رابعا- استخدام الوسائل المعينة: فقد كان يشرح لهم الأمور ويعبر عنها بطريقة معينة تستقر في الأذهان لاتنفك عنها بسهولة ، ويشير لذلك ما جاء عن عبد الله قال : خط رسول الله صلى الله عليه و سلم خطا و خط عن يمين ذلك الخط و عن شماله خطا ثم قال : هذا صراط ربك مستقيما و هذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ : { وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }[2].

وهذا يفيد أن السنة النبوية قد وجهت المعلمين إلى استخدام وسائل الإيضاح المعينة – سمعية أو بصرية – على توصيل وتوضيح المعلومة.

خامسا- اختيار افضل الأساليب: والسنة النبوية مليئة بالأساليب التى كان يستخدمها النبى كالتشبيه، وضرب الأمثال، والقصة، وغير ذلك مما يؤثر على النفوس والعقول.

سادساً- لفت النظر وإثارة الإنتباه بالسؤال والحوار: وما أكثر إستخدام الرسول المعلم الطريقة الاستنباطية لاستخراج الحقيقة العلمية المنشودة من أفواه المتعلمين، أو على الأقل تحريك أذهانهم.... وذلك عن طريق طرح السؤال عليهم ليجيبوا عنه إن استطاعوا، أو يسمعوا الإجابة الصحيحة منه ρ.

ومن ذلك ما رواه ابن عمر أن النبى ρ قال: "إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها – أى: لا فى الشتاء ولا فى الصيف – وإنها مثل المسلم، حدثونى ما هى؟ قال: فوقع الناس فى شجر البوادى.

قال عبد الله: فوقع فى نفسى أنها النخلة، ثم قالوا: حدثنا ما هى يا رسول الله؟ قال: هى النخلة"[3].

سابعا- التكرار وتوضيح العبارات: ومما ورد في ذلك:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم : كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتعقل عنه 1)

---

1 - المستدرك ك الكسوف 480/1 1231.

2 - المستدرك ك قراءات النبيρ 261/2 ح 2938والاية (153) من سورة الأنعام. هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرج

3 - إسناده صحيح علي شرط مسلم وأخرجه في صحيحة 63/2811

وبهذا يتضح منهج السنة النبوية فى التعليم كما جاء في المستدرك للحاكم النيسابوري ، ولا أزعم أنني استوعبت كل المنهج، بل السنة النبوية مليئة بما يمكن استنباطه سوى ما أشرت إليه.
ومن خلال ما سق يتبين أن منهج السنة النبوية كما جاء في المستدرك شامل فكل مناحي الحياة الناحية الثقافية والفكرية من شأنه أن يجعل هذه الناحية متميزة ومزدهرة، ومن شأنه كذلك أن يحمى المجتمع المسلم من الضعف والتخلف. فالأمة التى تملك العلم تملك القوى والرقى والحضارة.

المبحث الثاني :-
الجانب الاعلامي ودوره في خدمة قضايا الدعوة الاسلامية

كما جاء فى أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى
إن للناحية الإعلامية أهمية بالغة في حياة المسلمين ، ذلك لأنه لا غني عنها في الدعوة الي الله تعالي ، والاعلام سلاح قوي يملك تغيير الفكر والثقافة لدي الجماهير، وتحرص عليه الأمم في نشر فكرها وسياستها ، وتوجيه كلمتها واقناع الناس بمبادئها ، ولعل اليهود هم أنجح الناس الآن في استخدام هذا الأسلوب وتحريك العالم من خلاله لخدمة قضاياهم واضفاء الشرعية عليها ، والتغطية الإعلامية علي ما يرتكبونه من مجازر وانتهاكات في حق الشعوب البائسة الفقيرة المسلمة ،والشواهد علي ذلك أكثر من أن تحصي ، فالاعلام ضرورة ملحة للدعوة ، وسلاح قوي لها ، ودرع حام لكلمتها ، لم يقف أثر الأحاديث النبوية الواردة في المستدرك، ودورها عند حد الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية والثقافية – على نحو ما سلف بيانه – بل لها الأثر البارز فى الناحية الإعلامية أيضا، فالإعلام – بلا شك – من أخطر مجالات الحياة، وله دوره الهام وأثره الواضح فى حياة المدعوين

---

1 -المستدرك ك الأدب 304/4 ، ح 7716. تعليق الذهبي قي التلخيص : أخرجه البخاري سوى قوله لتعقل عنه

"ويعتبر نظام الإعلام أحد الأنظمة الأساسية فى بناء المجتمعات، ولا تنتظم الحياة الاجتماعية وتزدهر دون نظام إعلامى حيوى فعال يكفل لكافة الناس حرية التواصل، ومن ثم التعارف والتعاون والتفاعل"[1].ا.هـ.

ويذكر الباحثون فى المجال الإعلامى بأن السنة النبوية تعد وسيلة من أكبر وسائل الإعلام منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا يعد القرآن الكريم، وعن ذلك يقول الأستاذ الإعلامى: محمود كرم سليمان أثناء حديثه عن وسائل الإعلام الإسلامى: "ويلى القرآن الكريم فى الأهمية الأحاديث النبوية الشريفة، وهى تعتبر وسيلة إعلامية شديدة الفاعلية، وأكبر شاهد على ذلك أن الشعب الإسلامى لا يسمع حديثاً شريفاً إلا وترك فى نفسه الأثر العميق ما لا تتركه وسيلة أخرى، ولا تزال أعمال الرسول ρ ووسائل وأحاديثه وخطبه أكبر مصدر للعلم والثقافة الإسلامية فى العالم والرسول ρ يعتبر صاحب الرسالة الإعلامية الأولى، وهو النموذج المثالى للمبلغ لها، لذلك فإن سنته الشريفة تتمثل الرسالة الإعلامية المثلى"[2]. ا.هـ.

وقبل بيان أثرالأحاديث النبوية ودورها فى الناحية الإعلامية أشير إلى هذه النقاط:

معني الإعلام فى اللغة: مصدر أعلم وأعلمت، ويقال: استعلم لى خبر فلان وأعلمنيه حتى أعلمه، واستعلمنى الخبر فأعلمته إياه، واعلم الفارس، جعل لنفسه علامة الشجعان، وأعلم الفرس أى علق عليه صوفا أحمر أو أبيض فى الحرب، وأعلم نفسه وسمها بسيما الحرب[3]. ا.هـ.

والإعلام بالمفهوم الإصطلاحى: هو جانب من عملية الإتصال التى يتفاعل بمقتضاها متلقى ومرسل الرسالة فى مضامين اجتماعية معينة، أو معنى مجرد أو واقع معين، فالاتصال يقوم على المشاركة فى المعلومات والصور الذهنية والآراء"[4].

مفهوم الإعلام الإسلامى: هو عملية الاتصال التى تشمل جميع أنشطة الإعلام فى المجتمع الإسلامى وتؤدى جميع وظائفه المثلى الإخبارية والإرشادية والترويحية على المستوى الوطنى والدولي والعالمي، وتلتزم بالإسلام فى كل أهدافها ووسائلها وفيما يصدر عنها من رسائل ومواد إعلامية وثقافية وترويحية، وتعتمد على الإعلاميين الملتزمين بالإسلام قولا وعملا، وتستخدم جميع وسائل وأجهزة الإعلام المتخصصة والعامة[5]. ا.هـ. وقيل: هو تزويد الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة والحقائق الواضحة بوسائل الإعلام المختلفة، وبشتى الأساليب المتفقة مع آداب الإسلام على أن تبين الحق للناس وتزينه.. [6]"ا.هـ.

---

1 - الإعلام الإسلامى الأهداف والوظائف: الدكتور محمد ساداتى الشنقيطى ص 5 دار عالم الكتب للنشر والتوزيع بالرياض. الطبعة الأولى 1411هـ - 1991م. سلسلة دراسات فى الإعلام الإسلامى والرأى العام.

2 - التخطيط الإعلامى فى ضوء الإسلام: صـ 127. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة الطبعة الأولى 1409هـ - 1988م وانظر: الإعلام فى صدر الإسلام: دكتور عبد اللطيف حمزة ص 58 وما بعدها.

3 - لسان العرب مادة "علم" 3082/4 وما بعدها، والتخطيط الإعلامى فى ضوء الإسلام صـ 18.

4 - انظر: المسئولية الإعلامية فى الإسلام: دكتور محمد سيد محمد صـ 24 وما بعدها مكتبة الخانجى بالقاهرة – دار الرفاعى بالرياض، الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م.

5 - التخطيط الإعلامى: صـ 62.

6 - مجلة الأزهر الجزء الخامس. السنة السابعة والخمسون جمادى الأولى 1405هـ - فبراير 1985م.

النظام الإعلامي في الجاهلية وفي صدر الإسلام :

وإذا إستعرضنا تاريخ الإعلام قبل الإسلام نجده قد انتشر عن طريق التجارة، والبعثات اليهودية والنصرانية التى كانت تتغلغل فى جزيرة العرب تدعو إلى دينها ونشر تعاليمها، والشعر وكان فى العصر الجاهلى وسيلة إعلامية مؤثرة، وكاد يكون هو الوسيلة الوحيدة من وسائل الإعلام والدعاية. وكذلك الخطابة، والمناداة من خلال دق الطبول وإشعال النار على قمم التلال، والأعياد التى عرفت فى الجاهلية مثل عيد الشباب. وكذلك الأسواق، ودار الندوة التى كان يلتقى رؤساء القبائل العربية لتبادل الرأى فى المسائل التى تحتاج لذلك.

وعندما أتى الإسلام احتفظ ببعض هذه الوسائل، واستحدث الكثير من الأساليب الجديدة فى ميدان الإعلام والاتصال بالناس منذ عرض عليهم هذا الدين الجديد"[1].

فللإعلام فى العهد النبوي الشريف سماته ووسائله[2] التي يستفيد منها الداعية في ميدان الدعوة الي الله عز وجل : وقد كان ذلك بارزا واضحا في منهج النبى ρ فقد استخدم الإعلام فى دعوته إلى الله عز وجل، ويبدو ذلك من خلال محورين رئيسيين هما :

أ- المحور الداخلى. ب-المحور الخارجى.

أما المحور الداخلى: وفيه كان الإعلام النبوى موجها إلى المحيطين به ρ بشكل فردى أو جماعى بهدف تبليغ دعوة الله عز وجل، وتعليم المدعوين أسس هذا الدين الجديد. وقد اتسم الإعلام النبوى وقتئذ بما يأتى:

أ- الدعوة عبر الاتصال الشخصي المباشر بالمدعوين:من أول لحظة في الدعوة النبوية المطهرة ومنذ نزول الوحى ورسول الله ρ يتصل بالمدعوين اتصالا شخصيا لإعلامهم بالدعوة الإسلامية، فأعلم زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها، وأعلم صاحبه أبا بكر الصديق رضى الله عنه، وأعلم ابن عمه على بن أبى طالب رضى الله عنه، أعلمهم جميعا بأمر هذه الدعوة فصدقوه وآمنوا بدعوته، ثم قام كل منهم بدوره فى الإعلام بالدعوة. ولما ذاع أمر الدعوة وبلغت أنباؤها إلى قريش، وأمر النبى ρ بإظهارها والجهر بها، إزداد النبى ρ إتصالاً بالمدعوين بأشكال وصور مختلفة وهو ما يمكن أن يطلق عليه.

ب- الدعوة عبر الاتصال العلني بالمدعوين : فقد كان ρحريصاعلي ايصال الدعوة الي المدعوين حيث كانوا واينما وجدوا فقد كان النبى ρ ينتقل إلى المدعوين فى مجالسهم وأسواقهم للإعلام بالدعوة، وكان يلتقى بالقبائل التى تتوافد إلى البيت الحرام يتلو عليهم كتاب الله عز وجل، ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل، ويقول: " هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي ؟ قال : فأتاه رجل من بني همدان فقال : أنا فقال و هل عند قومك منعة قال : نعم و سأله من أين هو ؟ فقال

مقال: "الإعلام الإسلامى الأسس والمبادئ" للأستاذ: حسن على العنيسى صـ 735، عن الوظيفة الإعلامية للمسجد: محمد ناجى مسلم. رسالة ماجستير "غير منشورة" 1980 بالمعهد العالمى للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود.

1 - الإعلام فى صدر الإسلام: صـ 22 وما بعدها بتصرف.

2 - مستفاد من: المسئولية الإعلامية: صـ 78 وما بعدها، والدعوة الإسلامية والإعلام الدولى: د/محيى الدين عبد العليم صـ 65 وما بعدها، دار الفكر العربى القاهرة "بدون". والإعلام فى صدر الإسلام: صـ 75 وما بعدها. والتخطيط الإعلامى فى ضوء الإسلام صـ 129 بتصرف كثير.

: من همدان ثم أن الرجل الهمداني خشي أن يخفره قومه فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : آتي قومي فأخبرهم ثم ألقاك من عام قابل قال : نعم فانطلق فجاء وفد الأنصار في رجب "[1].

ج- القوة وحسن العرض في تبليغ دعوته : وقد وضح ذلك في عرضه للدعوة و فى خطبه ρ والتى كان يعتمد عليها النبى ρ إعتماداً كبيراً فى نشر الدعوة، وفى شرح تعاليم الإسلام، وفى الحث على العمل والجهاد فى سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وغير ذلك مما يتعلق بشئون الدنيا والآخرة. فالرسول ρ يستخدم الخطبة فى جمهور من الناس كوسيلة لإعلامهم بالدعوة.

د- توجيه المجتمع وتصحيح أفكاره وارشاده الي ما فيه الخير له : حيث اتجه الإعلام النبوى إلى تصحيح ما فسد من معتقدات وأخلاق ومعاملات المدعوين، حتى يتم بناء المجتمع الإسلامى بناءً صحيحاً فى كل جانب من جوانبه.

هـ- تحريك مشاعر المتلقى نحو الخير وحمايته: حيث كان النبى ρ حريصاً على تحريك مشاعر المؤمنين نحو أعمال الخير، كما فى المستدرك قوله ρ: ": ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا و يزيد في الحسنات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء في المكاره و انتظار الصلاة بعد الصلاة ما منكم من رجل يخرج من بيته فيصلي مع الإمام ثم يجلس ينتظر الصلاة الأخرى إلا و الملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه "[2]. وقوله ρ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إعطاء الذهب و الورق و أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم ؟ قالوا : و ما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله عز و جل و قال معاذ بن جبل : ما عمل آدمي من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز و جل [3]". كما كن ρ حريصا على تحريك مشاعر المؤمنين نحو الدفاع عن دينهم وحماية عقيدتهم، وذلك يبث روح الجهاد فى نفوسهم، ومن ذلك على سبيل المثال قوله ρ: " ألا أخبركم بخير الناس منزلة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله يقتل أو يموت ألا أخبركم بالذي يليه رجل معتزل في شعب يقيم الصلاة و يؤتي الزكاة و يشهد أن لا إله إلا الله"[4].

المحور الخارجى: وفيه كان الإعلام النبوي موجها إلى المدعوين خارج الدولة الإسلامية حتى تصل الدعوة إلى الناس جميعا. وقد اتخذ الإعلام النبوى لتحقيق هذه الغاية وسيلتين:

الأولى : إرسال الرسل والسفراء إلى ملوك وزعماء العالم:

فقد أرسل الي النجاشي ملك الحبشة عن ابن إسحاق قال : كان اسم النجاشي مصحمة و هو بالعربية عطية و إنما النجاشي اسم الملك كقولك كسرى و هرقل قال ابن إسحاق : هذا كتاب من النبي صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الجيش سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة و لا ولدا و أن محمدا عبده و رسوله أدعوك بدعاء الله فإني أنا رسول فأسلم تسلم { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله } الآية فإن أبيت فعليك إثم النصارى ([5])

---

1 -المستدرك –ك الزكاة 544/1 ح 4220 تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم .

2 -. المستدرك باب مواقيت الصلاة 305/1 ح رقم 689 - تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرطهما

3 - المستدرك ك الدعاء والتكبير 673/1 ح رقم 1825 .

4 - المستدرك ك الجهاد 77/2 ح 2379 تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم.

5 - المستدرك كتاب الهجرة الأولي الي الحبشة 679/2 ح 4244

وأرسل برسالة مع عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك الفرس جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله فإنى رسول الله إلى الناس كافة"[1]. كما أرسل حاطب بن أبى بلتعة برسالة إلى المقوقس عظيم القبط[2].
إلى غير ذلك من الرسائل إلى الملوك والأمراء والتى بلغت عدداً كبيراً يزيد على الخمسين[3].
وكان الهدف منها هو نشر الدين خارج الجزيرة العربية بعدما إنتشر فى داخلها، فمحتواها كان الدعوة المباشرة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، والدخول فى الإسلام، والواضح أنها كانت تميل إلى الإختصار والتركيز مع أسلوب الإقناع والإستمالة، وقد أخذ فى الإعتبار ملاءمة حامل الرسالة للرسالة، فدحية الكلبى – مثلا – كان يتميز بحسن المظهر تميزه بحسن الإيمان وحسن الإدراك.
الثانية: استقبال الوفود التى وفدت عليه ρ من العالم: فقد استقبل النبى ρ الوفود التى وفدت عليه من جزيرة العرب، ومن خارجها تريد أن تتعرف على هذا الدين، وقد ذكر ابن سعد فى طبقاته ما يزيد عن السبعين وفدا[4]. وبهاتين الوسيلتين يمكن القول بأن الإعلام النبوى فى هذا المحور بلغ إلى حد يمكن أن يتسم بالدولية أو العالمية، ويمكن أن يطلق عليه الإعلام الدولى.

أهم الوسائل الإعلامية في العهد النبوي:
من أكثر هذه الوسائل زيوعا:
الأولى- الخطبة: وكانت الخطبة من الأهمية بمكان حيث كانت "وسيلة رئيسية للرسول ρ فى شرح أركان الإسلام وقد استغرق ذلك بطبيعة الحال عصر النبوة كاملا"[5]. ا.هـ. وهى تمثل العمود الفقرى لكثير من الوسائل الأخرى كالحوار والمناظرة وما شابه ذلك، وقد برزت منذ وقفته ρ على الصفا وخطب فى الناس قائلا: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى.." [6].
واستمرت فى مراحل الدعوى إلى خطبته ρ فى حجة الوداع.
الثانية - اللقاء أو الندوة أو المحاضرة: وكانت هذه الوسيلة من أهم وأبرز الوسائل التي قام بها الرسولρ من أول عهد الدعوة المكي فقد إستخدم النبى ρ هذه الوسيلة الإعلامية منذ لقائه بالمدعوين سراً فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وكان لها أبرز الأثر في نشر الدعوة الإسلامية واقناع المسلمين بها ، ولا يزال لها أفضل الأثر كذلك وستبقي الي ما شاء الله تعالي فهي التي تنقل لغة الحوار بين الداعي والمدعو .
الثالثة – الدور الإسلامي البارزللمسجد:فقد كان المسجد من أهم الوسائل التي ركز عليها الرسول في الدعوة الي الله تعالي وليس أدل علي ذلك من العناية به كمكان جماع للمسلمين عند هجرته الي المدينة المنورة من أول يوم هاجر فيه النبي ρ ليكون المسجد هو البيت الجامع للمسلمين في عبادتهم لله تعالي

1 - راجع: زاد المعاد 688/3، ونصب الراية 420/4. والحديث فى ذلك أخرجه البخارى – مختصرا – فى الصحيح، كتاب المغازى، باب كتاب النبى ρ إلى كسرى وقيصر 10/6.

2 - أورده ابن القيم فى: زاد المعاد 691/3، والزيلعى فى: نصب الراية 421/4 وما بعدها.

3 - الطبقات الكبرى 258/1.

4 - الطبقات الكبرى 291/1.

5 - المسئولية الإعلامية: صـ 71.

6 - السنن الكبري للنسائي 437/6.

، فكانت تقام فيه مجالس الشوري ولقاءات الوافدين وغير ذلك علاوات علي الصلوات الجامعة التي توثق العلاقة دوما بين صفوف المسلمين . "فالمسجد رسالة إعلامية دنيوية يمكن أن تصبح أكثر تأثيراً من وسائل إعلامية أخرى إذا كانت فعالة نظرا لارتباط المسجد بالإيمان والإسلام، على عكس الوسائل الأخرى"[1].

الرابعة- ارسال من يبلغ العوة الي قوم نيابة عنه لتعليم الناس أمور دينهم ودعوتهم : والأمثلة علي ذلك كثيرة لعل من أشهرها بعثه ρ لمصعب بن عمير إلى المدينة ليعلم الناس الإسلام ويقرئهم القرآن، ويفقههم فى الدين، وبعثه ρ معاذ بن جبل إلى اليمن ليعلم أهلها الإسلام كما فى قوله ρ: " ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم"[2].

الخامسة – فتح الباب امام الوافدين الراغبين في التعرف علي الدعوة الاسلامية ورسالة هذا الدين

فقد كانت هذه الوفود من الاهمية بمكان فقد كانت تقتنع بالدعوة الاسلامية وتنقلها الي أهل بلادها وتعرف بالاسلام وتنشره بينهم ، وكان لها أعظم الأثر، فهم أعرف لطريقة البلاد وأسلوب الدعوة الأمثل بين قومهم ومن هذا على سبيل المثال ما رواه مالك بن الحريث قال: أتينا النبى ρ ونحن شبية متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا وسألنا عمن تركنا فى أهلنا، فأخبرناه وكان رفيقاً رحيماً فقال: "إرجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم وصلوا كما رأيتمونى أصلى، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم"[3]. إلى غير ذلك من الوسائل التى لا يمكن عزلها عن مسيرة الدعوة ذاتها فهى ترتبط ارتباطا عضويا بها، ولا يمنك فهمها إلا من خلال قصة الدعوة ذاتها[4].

وقد ذهب الدكتور عبد اللطيف حمزة إلى أن الوسائل لا تقل عن تسع وسائل، وهي عنده مرتبة حسب أهميتها على الوجه الآتى:

1- القرآن الكريم. 2- الحديث الشريف والسنة النبوية.

3- القدوة الحسنة من جانب الرسول ρ والصحابة أجمعين.

4- الإتصال الشخصى والجمعى وهو أقوى وسائل الإعلام قديماً وحديثاً.

5- أسلوب القصص، وهو وسيلة إعلامية ظهرت أول ما ظهرت فى القرآن الكريم، ثم ظهرت على أيدى نفر ممن دخلوا الدين الجديد أطلق عليهم اسم القصاصين. كان لهذه الوسيلة أعمق الأثر فى تعلق المسلمين بهذا الدين، ثم فى ميدان الجهاد من أجل نشر هذا الدين.

---

1 - راجع: الإعلام الإسلامى الدولى: صـ 35.

2 -. الدارمي في سننه ج1/ص462 ح 1614 .

3 - أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الصلاة – الأذان – باب من قال ليؤذن فى السفر مؤذن واحد، وباب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة 162/1، وباب إذا استووا فى القراءة فليؤمهم أكبرهم 175/1، وفى ال* باب رحمة الناس والبهائم 11/8. وفى الآحاد، باب ما جاء فى إجازة خبر الواحد الصدوق 107/9.

4 - مستفاد من: المسئولية الإعلامية فى الإسلام صـ 71 وما بعدها، وللمزيد راجع: التخطيط الإسلامى فى ضوء الإسلام صـ 125 وما بعدها.

6- مواسم الحج أو مواطن التجمعات الإسلامية على أوسع نطاق. وقد كانت هذه المواسم أشبه شئ بالمؤتمرات الإسلامية الكبرى أو الأسواق العامة. 7-الغزوات التى نظر إليها الباحث على أنها وسيلة إعلامية أوجبها القرآن لنشر الإسلام.
8- العلاقات الإنسانية.9-القصيدة الشعرية[1].ا.هـ.
أثر السنة النبوية فى الناحية الإعلامية: ويتمثل هذا الأثر فيما أرى – والله أعلم – فى وضع أهداف محددة للإعلام الإسلامى وكذلك تحديد السمات الأساسية له وللقائمين به حتى يبدو تميزه وصلاحه عن غيره، هذا إلى جانب ما سبق من ميادينه ووسائله.

من أهداف الإعلام فى المجتمع المسلم

بالرجوع إلى السنة النبوية يمكن استنباط الأهداف التى حددتها للإعلام داخل المجتمع المسلم ومن أهم هذه الأهداف[2].
الأول- إزالة كل الشبة والضلالات التي عاش فيها القوم قبل الاسلام، ثم ترسيخ عقيدة التوحيد فى نفوس المدعوين: وهو الجهد الكبير الذي قام به النبى ρ منذ إعلام الناس بالدعوة وتبليغهم إياها، فقد أعلمهم بأن الله واحد لا شريك له، ودعاهم إلى إفراده عز وجل بالعبودية،متحملا نتيجة ذلك ومخاطره وكان من أول ما قال: "يا أيها الناس قولوا لا إله الله تفلحوا"[3]. وفى السنة النبوية تأكيد لأصول العقيدة وتفصيل لكل جزئياتها. وفى ترسيخها أثر بالغ على ضبط سلوك المدعوين وتوجيههم الوجهة الصحيحة التى تحقق سعادتهم فى الدنيا والآخرة. "ومن هنا كانت أهمية بنائها وترسيخها فى النفوس وتجليتها حتى تسعد الأمة وتتفجر فى أعماقها طاقات الخير والبركة، وحتى يستنشق كل فرد شذى الإيمان وعبيره، وحتى تحسن الأمة الركض إلى الله"[4]. ا.هـ.
ومن ثم فلابد أن يعمل الإعلام فى المجتمع الإسلامى على ترسيخ التوحيد فى نفوس المدعوين، وأن يوضح لهم أصول العقيدة والتى تلخص فى الإيمان بالله وحده، وأنه متصف بكل صفات الكمال، ومنزه عن كل صفات النقص، وأنه وحده الذى يقصد بكل صنوف العبادة. والإيمان بأن لله رسلاً كثيرين أنزل معهم الكتب لتعريف الناس بربهم، وكان آخرهم محمد ρ، وأن الله عز وجل ملائكة مخلوقين من النور، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، ولا يأكلون ولا يشربون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون. وأن الله عز وجل كذلك خلقاً خلقه من النار، وهم الجن، وهم مكلفون بما كلف به الإنسان، والإيمان أيضا بالقضاء والقدر، وأن الله عز وجل فعال لما يريد. والإيمان باليوم الآخر وبالبعث بعد الموت للحساب والجزاء، وبسؤال القبر وعذابه ونعيمه والميزان والصراط والجنة والنار. وغير ذلك مما يصحح العقيدة ويرسخها فى قلوب المدعوين، وينبغى أن يعلم المسئولون عن الإعلام فى المجتمع المسلم "أنه لا يصح بحال من الأحوال أن تقدم وسائل الإعلام أى عمل إعلامى فيه تعارض مع

---

1 - الإعلام فى صدر الإسلام: ص 40 وما بعدها.

2 - مستفاد من: الإعلام الإسلامى الأهداف والوظائف: صـ 7.

3 - المستدرك كتاب الإيمان 61/1 ح 39 .

4 - الإعلام الإسلامى الأهداف والوظائف: ص 8.

المسلم" أنه لا يصح بحال من الأحوال أن تقدم وسائل الإعلام أى عمل إعلامى فيه تعارض مع العقيدة السليمة أو يخدش كمالها مهما كان غيرا، وأياً كان القالب الذى يوضع فيه، وهذا يستلزم بالطبع سلامة عقيدة المنتج وغيره من العاملين فى الحقل.
وما لم تلتزم وسائل الإعلام بهذا فإنها ستكون معاول هدم لأنها عندئذ ستكون مناقضة لتوجه الأمة التى أخلصت وجهها لله بأمر من خالقه. {قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين}[1].[2]. ا.هـ.
فعلى الإعلام باعتباره أحد أنظمة المجتمع أن يتعاون مع غيره من الأنظمة لتحقيق هذا الهدف.

الثانى- التأكيد علي جعل القيادة والسيادة لدين الله تعالي:
فقد أكد النبي ρ:علي أن تكون كلمة الله تعالي هي العليا ، وازالة كل ما سواه من قلوب المدعوين " عن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال : قل ربي الله ثم استقم "[3]. "وطالما أن سعادة الداريين مرتبطة بالاستقامة على منهج الله – عز وجل – فلا أقل من أن تقوم وسائل الإعلام فى المجتمع المسلم بمساعدة الناس على السير فى هذا الطريق بالتركيز على هذه المعانى ومعالجتها بأساليب تتوفر لها عناصر الجاذبية والخيرية والجمال والتنوع"[4].ا.هـ.
ومن ثم فيجب أن يركز الإعلام فى المجتمع المسلم على أن تكون السيادة لشرع الله عز وجل على أى نظام آخر، فالأمة اليوم أشد احتياجا إلى تحقيق هذا الهدف حتى تخرج مما تعانى منه من شدائد وكربات.
الثالثة-تثبيت القيم الأخلاقية للوصول إلى مجتمع الطهر والنقاء: حيث لا قيمة لإيمان بلا خلق، ولا أثر لعبادة بدونه، ولذا ركزت السنة النبوية فى بناء الشخصية الإسلامية المثالية، وبناء المجتمع المسلم المثالى على الفضيلة، والطهر والعفاف، وأوضحت منزلة الأخلاق ومكانة المتخلق بها فقال ρ: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا "([5]). وقوله ρ"من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا و ألطفهم بأهلها "([6])
ومن ثم فلابد أن يركز الإعلام فى المجتمع المسلم على غرس الفضيلة، وإبراز الصفات الأخلاقية التى دعا إليها رسول الله ρ من مثل الصدق والأمانة، والورع والحياء، والحلم والتواضع، والشجاعة، والكرم وغير ذلك من مكارم الأخلاق. كما ينبغى أن ينفر من الخصال الذميمة التى حذر منها رسول الله ρ باعتبارها شروراً إجتماعية تنبغى مكافحتها.

---

1 - راجع: الإعلام الإسلامى الأهداف والوظائف: صـ 9.

2 - سورة الأنعام: الآيتان (162، 163).

3 -المستدرك للحاكم ك الرقاق 349/4 ح 7874.

4 - راجع: الإعلام الإسلامى الأهداف والوظائف، صـ 10.

5 - المستدرك ك الإيمان 43/1 ح 2.

6 - المستدرك ك الإيمان 119/1 ح 173.

أهم السمات التي يجب أن يتسم بها الإعلام الإسلامى والقائمين عليه:

لم تهمل الأحاديث النبوية المباركة كما وردت في المستدرك لم تترك توضيح أفضل واهم السمات التي يجب ان تتوافر في الاعلام الإسلامي والقائمين عليه وأكدت علي أمور منها .

الأولى- العناية والتقدير والاحساس بالمسئولية الإعلامية :

فالدور الذي يقوم به الإعلام الإسلامي جد خطير في مواجهة الحملات المغرضة والأفكار المسموسمة والسهام المارقة ضد هذا الدين "فمن الأهمية بمكان أن يكون القائم بالاتصال فى الإعلام الإسلامى مدركاً لمضمون الرسالة الإسلامية وحججها والدعاية المضادة للإسلام وحججها، بالإضافة إلى الأحداث والظروف الفكرية المعاصرة"[1].ا.هـ.

لهذا نجد السنة النبوية تؤكد على استشعار المسئولية وتحذر من التفريط أو التساهل فيها فيقول ρ: ""و كل راع مسؤول عن رعيته[2].

وقد أشارت الأحاديث النبوية الي أهمية من يقوم بهذا الدور الإعلامي الكبير وأشارت الي منزلة" من يبلغ دعوة الله عز وجل، ومنهم بلا شك، رجل الإعلام[3] الإسلامى ، فيقول ρ: ": نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له و رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث ...."[4].وهداية فرد إلى الإسلام لها أجر عظيم عند الله عز وجل.

2، 3- الصدق والأمانة: وهمن أهم السمات التي يجب أن تتوافر في من يقوم بالعمل الاعلامي الصدق والأمانة فهما سمتان لازمتان في انجح هذا اعمل وكسب ثقة المتتبعين له ، وقد تحققا فى رسول الله ρ واعترف بهما ألد الأعداء حين قال ρ: أرأيتم لوأخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .."([5])

---

1 - راجع: الإعلام الإسلامى الدولى صـ 164.

2 -المستدرك للحاكم ك مناقب حجر بن علي 3/ 532 ح 5977 .

3 - ورجل الإعلام فى الإسلام هو الإعلامى بالمعنى الواسع فالمؤلف والممثل والمترجم والناشر كلهم رجال غعلام والباحث الإعلامى يدخل فى زمرتهم 1.هـ راجع: المسئولية الإعلامية: ص 271.

4 -المستدرك للحاكم النيسابوري ك العلم 162/1 ح 294 تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرطهما .

5 - السنن الكبري للنسائي 437/6 -

وقد عرف بين قومه بالصادق الأمين ، ولم يستطع أحد أنكار ذلك ، او وصفه بنقيضها واذا فقد الداعية تلك الخصال الحميدة فلن يسمع له ممها علاي صوته ولمعت كلمته .
وفى شأن الأمانة وردت أحاديث كثيرة أخص منها ما ورد فى شأن أمانة الكلمة والتحذير من تضليل من تحدثه بالتمويه والكذب عليه. عن سفيان بن أسيد أن النبى ρ قال: "كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب"[1]. والأمين الصادق موضع ثقة الناس واحترامهم، ومن ثم فهما من أهم السمات التى يجب أن تتوفر فى الإعلام الإسلامى والقائمين به.
4- القدوة الحسنة: وهى سمة لازمة للإعلامى الإسلامى حيث يقتدى به الناس ويتأثرون بسلوكه وتصرفاته، ومن ثم فيجب أن تكون أعماله مطابقة لأقواله، فإذا حدث الناس عن صفة من صفات الخير فعليه أن يكون قدوتهم فيها، وإذا حدثهم عن شئ من الرذائل كان قدوتهم فى الابتعاد عنها ونحو ذلك. وهكذا كان سلوكه ρ مع أصحابه، كان لهم – وللمؤمنين من بعدهم – قدوة عملية فى كل شئ ليقينه ρ بأن القدوة العملية تصيب من قلوب المدعوين أكثر مما تصيب الكلمة مهما كانت بليغة ومؤثرة، ونجد أثر القدوة فى الناس واضحا فى أمره ρ لأصحابه بالنحر ثم الحلق فلم يستجب أحد، وكرر عليهم ذلك ثلاث مرات، دون استجابة، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة رضى الله عنها فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنتك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنته ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما"[2]. ولأهمية القدوة "ينبغى للقائم بالإعلام فى المجتمع الإسلامى أن يكون صورة صادقة للالتزام بمبادئ العقيدة"[3]. وصورة صادقة للأخلاق والآداب الإسلامية.
5- الحياء والإمساك عن الأذى: الإعلام فى المجتمع المسلم له رسالته السامية، ولذا كان من أهم سماته والقائمين عليه: الحياء وإمساك الأذى عن المتلقى، وهى لا تقل عن غيرها، فالحياء من أقوى البواعث على تقديم ما هو حسن، واجتناب ما هو قبيح ومنكر. وبالإعراض عنه فلا يكون إلا الاستهتار بالقيم الرفيعة، والاستهانة بالتقاليد والفضائل، واللامبالاة فيما يقدم للمتلقى، فمن الكلمة السيئة إلى مناظر التبرج وعرض مفاتن الجسد، إلى أغان رخيصة مبتذلة، إلى كتب نسبة مثيرة، إلى صور فاضحة تنشر فى الصحف والمجلات، إلى أفلام خليعة تغرى بالفسق والفجور، إلى كثير من هذه الرذائل التى تضر بالمتلقى وتؤذى مشاعره.
وهكذا يفقد الإعلام لهذه السمة يتدرج من سئ إلى أسوأ، ويهبط من رذيلة إلى أرذل. وحتى لا ينحدر الإعلام فى المجتمع المسلم إلى الرذائل بفقده هذه السمة نجد السنة النبوية تدعو إلى التمسك به
وتوضح أنه قرين مع الإيمان بالله تعالي وجزء لا يتجزأ منه ، "قال ρالحياء و الإيمان قرنا جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر"[4] وقد أوصي النبيρ الأمة بالحياء مبينا أنه الخوف من الله تعالي وخشيته ، والبعد عما نهي الله عنه "عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : أن نبي اللهρ قال : استحيوا من الله حق الحياء فقلنا : يا نبي الله إنا لنستحيي قال : ليس ذلك و لكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس و ما حوى و البطن و ما وعى و ليذكر الموت و البلى و من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا و

1 - أخرجه أبو داود فى السنن، كتاب الأدب، باب فى المعاريض 253/5 (497).
2 - جزء من حديث طويل أخرجه البخارى فى الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط فى الجهاد 257/3.
3 - راجع: المسئولية الإعلامية: صـ 270 "تقدم".
4 - المستدرك ك الإيمان 73/1 ح 58 تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرطهم .

من فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء "([1]) فالحياء لا يعود الا بالخير والنفع لصاحبه ، فهي صفة خير علي الأمة تحبب الداعية الي الناس وتحببب الناس اليه .

* * *

فأحاديث النبي ρ: هي الزاد الذي حفظه الله تعالي للإمة بعد كتابه الكريم ،وقد جند الله تعالي لها من يحفظها ويخدمها ويعمل لها ويقوم عليها ليل نهار ، يرتحل من أجلها ، ويجوع ويعطش في سبيل تحصيلها ونيل أجرها وثوبها ، يقطع البيداء والحصاري والقفار صابرا محتسبا ، من أجل تحصيلها ، وقد كان ذلك واضحا فيمن جندهم الله تعالي لخدمة سنة نبيه في القديم والحديث ، فكان هناك أعلام ورجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه حملوا لواء الحق ،ودافعوا عن سنة نبيهم ووصولوا بها الي شاطيء الأمان فنفعوا انفسهم ونفعوا دينهم والأمة من بعدهم ، والسنة النبوية وهي مليئة بالكنوز النافعة والمناهج القويمة التي تعد زادا للدعاة علي طريق دعوتهم الي الله تعالي ، ولو ان الدعاة التزموا منهج نبيهم وسنة حبيبهم لتغير حال المسلمين اليوم ولسادوا الأمم كما سادوا من قبل ، ففيها الخير والنفع والصلاح لحال المدعوين والدعاة هم أولي الناس في حمل هذا الحق الي الأمم ونشره في ربوع العالم ، لا سيما في هذا العصر الذي كشر فيه الأعداء عن أنيابهم ، وبدت فيه البغضاء من أفواهم ،وأعلنوا عن خبث ما في صدورهم تجاه أحاديث رسول اللهρ:. فالدعاة قد نالوا شرف تبلغ الرسالة عن رسول الله ρ: الي المدعوين فقاموا بمهنة الأنبياء والمرسلين قال تعالي {قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن إتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين}[2]. أللهم أجعلنا ممن نالوا هذا الشرف ، وأجعله خالصا لوجهك الكريم يارب العالمين وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

1 - المستدرك ك الرقاق 395/4 ح 7915 تعليق الذهبي قي التلخيص : صحيح

2 - سورة يوسف: الآية (108).

الخاتمة وفهرس البحث

الخاتمة

وتحتوى على أهم النتائج والمقترحات والتوصيات

أولا: أهم نتائج البحث ويمكننا إجمالها على النحو التالى:

حفظ الله تعالي لهذا الدين بحفظ مصادره ، كتاب الله تعالي ، وسنة النبيρ: عن التحريف والتبديل والتغيير ، ليبقي الدين كما جاء من عند الله تعالي مصون الي يوم القيامة .

- وجوب طاعة الرسول بنص القرآن الكريم وجعلها من أسس وأركان هذا الدين ، والحفاظ علي سنته ρ: فهي المصدر الثاني للتشريع الاسلامي .

- أبرزت الرسالة مكانة الأحاديث النبوية في التشريع الإسلامي وبينت وجه الحاجة اليها ، في شتي مناحي الحياة الدينية والاجتماعية والفكرية والسياسية والعسكرية والعلمية والثقافية وغيرها ، وجعلها أساسا في رسم معالم هذه الجوانب جميعها ، كي يسعد الانسان في ظل حياة اجتماعية كريمة ، وحياة انسانية قويمة .

- وضحت الرسالة بجلاء مكانة كتاب المستدرك للإمام الحاكم أبي عبد الله النيسابوري بين كتب السنة النبوية المطهرة ، وأنها أحد الكتب التي يجب العناية بها بالشرح والتوضيح لما له من أهمية كبيرة في الحياة الإسلامية ، حيث احتوي علي الكثير من أحاديث الرسول التي لا غني للإنسان عنها ، لما لها من أثر كبير في خدمة هذا الدين وقضاياه ، وللأسف فهو من الكتب التي لم تنل حقها في العناية بها وتوظيفها لخدمة الدين والدعوة الي الله تعالي ، فإلي وقتنا هذا لم تتوافر له الشروح كغيره من كتب السنة النبوية ، فلا يزال الكتاب بما فيه من كنوز نبوية ، محتاج الي العناية من الباحثين لا سيما في قسم الحديث .

- احتوت أحاديث المستدرك للحاكم علي زادا فكريا وثقافيا وعلميا وروحيا للإنسان لا غني عنه في نفسه وبدنه.

- لأحاديث المستدرك للحاكم منهجها الفريد فى تبليغ دعوة الحق وذيوعها فى دنيا الناس وواقعهم، فهى نسيج فريد فى نشر الدعوة إلى الله تعالى وكيف لا وقد أوتى رسول الله ρ جوامع الكلم، فمنهجها مطابق لما فى آيات القرآن الكريم من عرض الدعوة وتبليغها للناس كي يعملوا بها في حياتهم وينعموا بثوابها في الآخرة عند الله تعالي .

- أبرزت الرسالة من خلال موضوعها " فقه الدعوة الي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم " ما تميز به الاسلام من سمات وخصائص أعجزت البشرية بأسرها عن إتيان ببعضها أو بجزء منها، وأضفت هذه السمات والخصائص على الإسلام وفكره قداسة وصفات (مادية وروحية) ومن أهمها: أنها كلمة إلهية وربانية في وجهتها ومصدرها وغائية، أنها في كافة ما شرعت من أحكام (عقدية وتشريعية وأخلاقية) إنسانية، وأنها تتصف بالوسطية، وأنها جامعة بين الثبات والمرونة حتى

تكون ملائمة لفطرة الإنسان التي فطر الله تعالى الناس عليها ، وأنها شاملة ومتكاملة لم تهمل جانبا من الجوانب الحياتية ، وانها رسالة ربانية كريمة .
- وضحت الرسالة ورسمت الطريق الذي يجب أن ينطلق منه الدعاة في دعوتهم الي الله تعالي ، وما يجب القيام به تجاه أحاديث رسول الله ρ: وكيفية استخلاص المناهج من خلالها .
- أبرزت بوضوح وجلاء العبر والدروس المستفادة والمستمدة من دعوات الأنبياء عليهم السلام مع أقومهم ، فوفرات تجارب كثيرة يستطيع الدعاة الاستعانة بها والصبر من خلالها في مواجهة الصعاب ، وتحمل الشدائد في دعوتهم مع قومهم ، واحتساب الأمر عند الله تعالي والتصرف في المواقف الصعبة ، وحسن اختيار الحلول المناسبة في تلك المواقف والإجابة السديدة التي يحتاج اليها الداعية في دعوته ..
- وضحت الرسالة الأهمية الكبري والفائدة العظمي للأساليب الدعوية وبينت أنها متعددة ومختلفة ومتنوعة ، طبقا لم تقتضيه الظروف الدعوية ، وأحوال الدعوين واختلافاتها .
- كماوضحت الرسالة اهتمام الأحاديث النبوية بعرض أهم الوسائل الدعوية التى تعين الدعاة على تبليغ دعوتهم وذيوعها فى أوساط المدعوين ومن أهمها : الاتصال الفردى (الشخصى) أو ما يسمى بأهمية الدعوة الفردية، والجماعية، والمسجد، والقدوة الحسنة، والجهاد بكافة صوره وألوانه) والخطبة والدرس والقصة والكتاب والرسائل أو ما شاكلها من وسائل واستحدثت كالإنترنت والجوال والتلفاز والحاسوب وكيفية الاستفادة من هذه الوسائل العلمية في العصر الحديث .
- كما أبرزت الرسالة دور المحدثين في الدعوة الي الله تعالي – موضوع هذه الرسالة – وسائر المتخصصين فى مجال العلوم الإنسانية والدينية فى ميدان الدعوة الإسلامية ، وبينت الدورالكبير والجهد العظيم الذي قام به الإمام الحاكم النيسابورى الذى أخرج هذا الكنز من كتب السنة النبوية المطهرة والذي كان له أعظم الأثر في خدمة هذا الدين ودعوته .
أولا- كتاب المستدرك يعد من الكنوز العلمية فى مجال الدراسات النبوية، وكتاباً جامعاً لما إشتمل عليه من جوامع كلمة ρ، ولما إحتوى من سيرة النبى الخاتم العطرة، ولم يصنف أحد مثله قط لا قبله ولا بعده.
ثانيا- لم تحظ مثل هذه الكتب النبوية (كالمصنفات والسنن) من قبل المتخصصين لاستخراج ولو بعضا من كنوز هذه الدراسات النبوية لبيان أنوارها اللغوية والأدبية والدعوية وغيب مفرادتها، وبيان كيفية الاستفادة منها وتوظيفها التوظيف الدعوى، وخوض غمار الكلمة الدعوية فى دنيا الناس وواقعهم الأمر الذى يدفعنى إلى أن أخر لله تعالى ساجداً أن هيأ لى سبل البحث والتمحيص والدراسة لتوظيف هذه المادة النبوية للاستفادة منها وتوظيفها التوظيف الدعوى وفق تخصصى العلمى الدقيق داعيا المولى أن أو كون قد وفقت فى خوض غمار هذا البحث.
ثالثاً- كما أن هذه الدراسة أبرزت دور وإهتمام المتخصصين فى ميدان الدراسات النبوية فى كتب السنة النبوية لإبراز أثر أهل الحديث والمحدثين لإحياء التراث النبوى فى دنيا الناس للاستفادة من هذه الكنوز النبوية، ومعرفة مدى اهتمام أهل العلم فى تأليف هذه الكتب التراثية إحياء للسنة النبوية ومساهمة منهم لإحياء المكتبة الإسلامية بهذه الدرر النبوية ومن ثم وجب على المعنيين فى كافة التخصصات التسجيل فى مثل هذه الموضوعات لإبراز دور هؤلاء العلماء وبيان ما قدموه للإنسانية من علم نافع وباق إلى يوم الدين.
- بينت الرسالة فائدة البيئة الدينية والنشأة الأولي للإنسان ،وبيت العلم والحياة الإيمانية التي نشأ في ظلها وتربي في ربوعها الامام فلقد نشأ الحاكم فى بيت اشتهر بالعلم والإيمان والصلاح، وحرص على مجالسه العلماء بل ومزاحمة الناس فى مجالس العلم، فكان من الحفاظ والثقات والمحدثين الذين عنوا عناية بالغة فى الاستفادة بعلم الديني والحديث النبوي .

ومنها نشر وجمع وتأليف هذا الكتاب ليكون زاداً وإضافة للمكتبة الإسلامية، بل ويعد من كتب التراث النبوى الشريف النبوي .
- وضرورة وعى المتخصصين لدور هذه الكنوز العلمية للإفادة منها فى ميدان العمل الدعوى.
- أبرزت الرسالة منهج الأنبياء والرسل فى الدعوة إلى الله تعالى، والأسس الدعوية التى بنوا عليها دعوتهم لأقوامهم ولعل من أبرزها العقيدة الدينية فهى الأساس والركيزة التى تبنى عليها الدعوة الحقة، وما عداها فهو باطل وواهى وما بُنىّ على باطل فهو باطل.
- أبرزت أثر هذه العقيدة فى بناء الفرد والأسرة بل المجتمع الإنسانى كافة، وعمقت جانب التوحيد فى قلوب ونفوس المدعوين، التوحيد الخالص لله تعالى وإفراده جل شأنه بالعبودية والربوبية والألوهية وتجنب الشرك بشتى ألوانه وأشكاله وصوره وسدت منافذه لتصحح المفهوم الحق للإله الحق الخالق للكون بما فيه ومن فيه، كما أكدت على ثمرة هذه العقيدة فى بناء الدعوة الإلهية وبينت أثرها فى تطهير وتزكية النفوس وتنقية الأفئدة والقلوب وإقناع كافة المدارك الإنسانية.
- كما أبرزت الرسالة دور السنة النبوية فى التشريع الإسلامى وما يتضمنه من عبادات ومعاملات، وأكدت على الأوامر الإلهية فيما يجب، وما يباح، وما يستجيب، وما يكره، وما يحرم ولكل هذه الأوامر آثارها الإيجابية إن التزم الإنسان العمل بهديها ومقتضاها فى مناحى حياته العلمية والعملية، وإلا انعكست حياة الإنسان إلى جحيم وبوار، فإما ينال السعادة الأبدية فى الدنيا والآخرة وذلك بولاء وانتمائه لهذه الأوامر والنواهى، أو الشقاء والهلاك الأبدى فى الدنيا والآخرة إن لم يلتزم الطاعة لله تعالى ورسوله ρ.
- كما أبرزت الرسالة دور السنة النبوية فى كشف القيم والأخلاق ووجه الحاجة إليها، وأهميتها للإنسان فى شتى مجالات الحياة وميادينها، وأظهرت ثمارها بالنسبة للفرد والأسرة والمجتمع الإنسانى إن تمسك بالهدى النبوى فهى لب العقيدة الإسلامية وأساسها فالدين حسن الخلق وما بعث رسول الله ρ إلا ليتمم مكارم الأخلاق.
- كما أبرزت الرسالة دور الأحاديث فى كيفية مخاطبة ودعوة المدعوين بالرسالة الإسلامية وقد تعدت وتنوعت آيات الخطاب الدينى فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة المطهرة فى مخاطبة المجتمع الإنسانى كافة بكافة أقطاره وأمصاره لأن دعوة الإسلام دعوة عالمية وشمولية ومستوعبة لكل الأزمنة ولكافة الأمكنة وهى عامة للناس جميعا، فوجهت الدعوة للناس كافة بما يحفظ عقيدتهم، ويصحح عبادتهم، ويحرك مشاعرهم وعواطفهم نحو ولائهم لدينهم الحق فيدفعهم إلى الألفة والتآلف والإخوة الدينية والتكافل الإنسانى كى يكونوا وحدة متماسكة لمواجهة أعداء الدعوة على إختلاف أشكالهم، ويدفعهم للجهاد فى سبيل الدعوة لتكون كلمة الله تعالى هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى.
- أبرزت الرسالة دور السنة النبوية فى كيفية مخاطبة أصناف المدعوين والمخاطبين بالدعوة إلى الله تعالى فمنهم: المؤمن، ومنهم الكافر والمشرك، ومنهم المنافق، وقد أجلت آيات الوحى الإلهى كافة الوسائل والأساليب الدعوية فى إقناع واستمالة المخاطبين بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن.
- كما أبرزت الرسالة دور الأحاديث النبوية فى ضرورة تسلح الإنسان ولاسيما الدعاة إلى الله تعالى بالعدة العتاد اللازم لمواجهة أعداء الدعوة الذين يثيرون الشبهات المزعومة حول القرآن الكريم وحول السنة النبوية المطهرة (فى إثارة الشبهات حول الرسول ρ نفسه، وإثارة الشبهات حول رواة الحديث بالقدح منهم وإثارة الشبهة حولهم، وعدم حجية السنة النبوية وأنها لم يعول عليها فى التشريع الإسلامى.. الخ) ومواجهة الحج بالحجة، والدليل بالدليل لإقناع هؤلاء واستمالتهم للدعوة إلى الله تعالى.

- كما أبرزت الرسالة دور الأحاديث النبوية في تخلص الأمة الإسلامية منى همومها ومشاكلها وعقدها بالعودة الي كتاب الله تعالي وسنة نبيهρ: .
- كما أجلت الرسالة الأحاديث النبوية الشاملة في جوامع الآداب العامة التي يجب الالتزام بها في كل الجوانب .
- وضحت للدعاة طريقة النبي في الدعوة ومنهجه في الموعظة والخطابة والتعلم ، والافتاء والدروس وغير ذلك .

ثانيا: أهم التوصيات ويمكننا بيانها وإجمالها فيما يلى:

- نظرا للأهمية الكبري لكتاب المستدرك للحاكم وسائر كتب الأحاديث النبوية الشريفة ودورها الكبير في خدمة قضايا الدعوة الإسلامية فإنه من الضروري العناية بدراسة وطباعة هذه الكتب وتزويد المكتبات الكبري بها ،وتوفيرها لتكون في متناول الجميع من طلاب العلم ، ووضع اللجان العلمية التابعة للهيئات الدينية لتنفيذ هذا الأمر والاشراف عليه .
- ضرورة العناية بدراسة سير الصالحين من العلماء والمحدثين والوقوف علي طريقتهم وأحوالهم للإستفادة منها واستنباط الدروس العلمية من خلالها لتكون زادا علي الطريق في الدعوة الي الله تعالي .
- على الداعية أن يقدر العبء الثقيل الذى يقع على عاتقه ،والتيقين من أن طريقه فى عمله الدعوي ليس مفروشا بالورود بل هو محفوف بالمحن والعقبات والمتاعب، وعليه أن يعد العدة والعتاد لمواجهة الابتلاءات التى تواجهه فى مسيرته الدعوية فعليه حمل ثقيل يحتاج منه الي الصبر والتحمل .
- على الداعية ضرورة الاستفادة بالأساليب والوسائل المستحدثة فى تبليغ دعوته، وأن يخاطب الناس على قدر عقولهم وتوجهاتهم ويتجنب المشقة عليهم ، وأن يراعى ظروف المدعوين وأحوالهم ومقتضيات عصرهم، ومتطلبات واقعهم وبيئتهم وثقافتهم ولهجاتهم حتى تؤتى دعوته ثمرها المرجوة منها.
- على الداعية ضرورة التحرى عند استدلاله واستشهاده بأحاديث النبى ρ ومعرفة أصوله ومناهج المحدثين وعلم الدراسة والرواية وطبقات المحدثين، ومعرفة الصحيح والحسن والضعيف والمقبول وأهل الجرح والتعديل،والناسخ والمنسوخ ، وأن لا يتساهل فيما يعرضه من أدلة نبوية، وأن يتحلى بالدقة والأمانة فيما ينقله للمخاطبين، حتى يكون أهلا لثقتهم ومحلا لإقناعهم واستمالتهم وحتي تدركه معونة الله تعالي .
- على الداعية أن يتحرك بدعوته وينتقل بها من مكان الي مكان لتوصيلها الي المدعوين حيث كانوا ولا ينتظر الناس يأتون اليه فيضيع منه الخير الكثير .
- ضرورة وحدة الأمة الإسلامية ونبذ الخلاف والفرقة والتعصب ليواجهوا الخطر الذي يحيط بهم .
- ضرورة وضع العالم في مكانته وتقديره واحترامه ورفعته الي المكانة التي أوصي بها الشرع ، وترك كل مظاهر السخرية والاستهزاء التي ادخلها المنافقون والجهال علي مقام الدين ورجاله ، وعلي الدعاة التحمل وعدم اليأس واحتساب الأمر عند الله تعالي .

وجملة القول:أنني بحمد الله تعالي وعونه وتوفيقة بذلت كل ما في وسعي وكل ما لدي من جهد ووقت ،في سبيل اخراج هذا العمل الذي قصدت به وجه الله تعالي ، وابتغيت به خدمة الدين ، والاعتصام بحبل الله تعالي المتين،ورجوت به شفاعة سيد ولد آدم وامام المرسلين، صاحب المقام المحمود والحوض المورد والشفاعة العظمي ،ولا ادعي بهذا العمل كمالا فالكمال لله تعالي ، ولكنه جهد بشري ،ينتابه القوة والضعف ،والزيادة والنقصان ، فهو جهد المقل ، ولا ازكي فيه نفسي ، واني لأرجو من الله تعالي العون والقبول ، وأن يرزقني رضاه وشفاعة نبيه المصطفي ، وأن ينفعني وطلاب العلم والمسلمين بهذا العمل ، وأن يغفر لي ماكان من سهول أو خطيء أو نسيان ،

أو تقصير ، أو ذلل ، فما قصدت به الا الخير وما ابيغيت من ورائه الا النفع، رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين) سورة الأحقاف الآية (15).

وصل الله وسلم على سيدنا محمد ρ وعلى آله وصحبه والتابعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

كتاب رب العالمين (القرآن الكريم)

أولا: مراجع فى التفسير وعلوم القرآن:

- أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى مكتبة الهلال بيروت 1985م.
- الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير) للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة منشورات مكتبة السنة بالقاهرة الطبعة الرابعة 1408هـ.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) مصطفى صادق الرافعى دار الكتاب العربى بيروت لبنان الطبعة التاسعة 1993م.
- البرهان فى علوم القرآن) لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان بدون تاريخ.
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى المكتبة العلمية بيروت.
- التحرير والتنوير) الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر بدون تاريخ.
- تفسير أبى السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) للإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى الناشر دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان.
- تفسير البحر المحيط) لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى دار الفكر الطبعة الثانية 1992.
- تفسير البيضاوى: المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل الطبعة العثمانية 1305هـ.
- تفسير المنار (القرآن الكريم) للسيد محمد رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973م.
- ا لتفسير القيم للإمام ابن القيم) جمعه محمد أويس الندوى دار الكتب العلمية بيروت 1978م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازى دار الكتب العلمية طهران الطبعة الثانية.
- الجامع لأحكام القرآن) لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى مؤسسة مناهل العرفان بيروت.
- الحوار فى القرآن قواعده – أساليبه – معطياته – محمد حسين فضل الله المؤسسة الجاهلية الطبعة الثالثة 1985م.
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور: للإمام جلال الدين السيوطى، دار المعرفة بيروت لبنان بدون تاريخ.
- روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام من القرآن: محمد على الصابونى الناشر دار الصابونى الطبعة الخامسة 1986م.
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم السبع المثانى: لشهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان بدون تاريخ.
- زاد المسير فى علم التفسير: لابن الجوزى المكتب الإسلامى الطبعة الثالثة 1984م.
- صفوة التفاسير: محمد على الصابونى مكتبة الغزالى دمشق بيروت 1399هـ.

- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن على بن محمد الشوكانى دار المعرفة بيروت لبنان بيروت بدون تاريخ.
- فى ظلال القرآن: سيد قطب دار الشروق القاهرة الطبعة الحادية عشر 1982م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان بدون تاريخ.
- مجمع البيان فى تفسير القرآن: لأبى على الفضل بن الحسن الطبرى دار المعرفة الطبعة الأولى 1986م.
- المفردات فى غريب القرآن: لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى دار المعرفة بيروت بدون تاريخ.
- مناهل العرفان فى علوم القرآن: لمحمد عبد العظيم الزرقانى طبعة عيسى الحلبى 1980م.
- النكت والعيون تفسير الماوردى: لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ.
- الوحى المحمدى: للسيد محمد رشيد رضا مكتبة القاهرة الطبعة السادسة 1960م.

ثانيا: كتب فى السنة النبوية وعلومها:

- الباعث الحثيث لشرح اختصار علوم الحديث: للحافظ ابن كثير أحمد شاكر مكتبة دار التراث الطبعة الثالثة 1979م.
- بذل المجهود فى حل سنن أبى داود: لخليل أحمد السهارنفورى دار للكتب العلمية بيروت لبنان.
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للحافظ أبى العلى محمد عبد الرحمن عبد الرحيم المباركفورى مطبعة المعرفة الطبعة الثانية 1964م.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: للحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى دار إحياء التراث العربى الطبعة الثالثة 1968م.
- التصوير الفنى فى الحديث النبوى: د. محمد لطفى الصباغ المكتب الإسلامى بيروت الطبعة الأولى 1988م.
- التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد: للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى الأندلسى حققه مصطفى بن أحمد العلوى وغيره 1967م.
- تيسير مصطلح الحديث د. محمود الطحان مطبعة المدينة الرياض الطبعة الأولى 1976م.
- جامع العلوم والحكم: لزين الدين أبى الفرج بن رجب الحنبلى دار الدعوة 1962م.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وجمله: لأبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1978م.
- حجية السنة: لعبد الغنى عبد الخالق دار الوفاء المنصورة الطبعة الثانية 1993م.
- الحديث النبوى: د. محمد لطفى الصباغ المكتب الإسلامى الطبعة السادسة 1990م.
- الحديث والمحدثون أو عناية الأمة الإسلامية بالحديث النبوى: لمحمد محمد أبو زهو مطبعة مصر بدون تاريخ.
- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا وردها ردا علميا صحيحا لمحمد بن محمد أبو شهبة ويليه الر على من ينكر حجية السنة للشيخ عبد الغنى عبد الخالق مكتبة السنة الدار السلفية القاهرة الطبعة الأولى 1989م.
- دلائل النبوة: لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى دار الطبع أو النشر بدون تاريخ.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1985م.

- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: للإمام المحدث الحافظ محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الناشر مكتبة التراث الإسلامى حلب سوريا بدون تاريخ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدها: لمحمد ناصر الدين الألبانى المكتب الإسلامى بيروت الطبعة الرابعة 1985م.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السئ للأمة: لمحمد ناصر الدين الألبانى مكتبة المعارف الرياض الطبعة الرابعة 1408هـ.
- السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين د. رؤوف شلبى مطبعة السعادة القاهرة الأولى 1978م.
- السنة الشريفة ومكانتها فى الإسلام: د. عبد الحليم محمود مجمع البحوث الإسلامية 1978م.
- السنة المفترى عليها: سالم البهنساوى دار الوفاء بالمنصورة الطبعة الثالثة 1989م.
- السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: د. مصطفى السباعى المكتب الإسلامى دمشق الطبعة الثانية 1978م.
- سنن ابن ماجه: لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى بدون تاريخ.
- سنن الدارمى: للإمام الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ومعه كتاب معالم السنن للخطابى دار الحديث بيروت لبنان الطبعة الأولى 1969م.
- السنن الكبرى: لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى دائرة المعارف النظامية بالهند الطبعة الأولى بدون تاريخ.
- سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى دار الكتب العلمية بيروت لبنان بدون.
- شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه للإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير طبعة عيسى الحلبى 1967م.
- صحيح البخارى للإمام أبى عيسى محمد بن سورة الترمذى صاحب سنن الترمذى دار الندوة الجديدة بيروت 1985م.
- عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى: للحافظ بن العربى المالكى دار العلم للجميع مكتبة المعارف بدون تاريخ.
- عمدة القارئ شرح صحيح البخارى: لبدر الدين أبو المجد أحمد المعروف بالبدر العينى دار الفكر بيروت بدون تاريخ.
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام أحمد بن حجر العسقلانى قام بإخراجه محب الدين الخطيب 137هـ.
-كيف نتعامل مع السنة النبوية معالم وضوابط د. يوسف القرضاوى دار الوفاء الطبعة الثالثة 1990م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين الهيثمى دار الكتاب العربى بيروت لبنان الطبعة الثالثة 1982م.
- المدخل لدراسة السنة النبوية د. يوسف القرضاوى مكتبة وهبة الطبعة الثانية 1991م.
- المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية: د. شعبان محمد إسماعيل دار الأنصار بالقاهرة 1980م.
- المستدرك على الصحيحين فى الحديث: للإمام الحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابورى وبديله التلخيص للحافظ الذهبى دار الفكر بيروت 1978م.وطبعة دار العلم بيروت لبنان 1411 هجرية .

- مسند أبى داود الطيالسى: للحافظ سليمان بن داود بن الجارود الفارسى الأصل البصرى مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند الطبعة الأولى سنة 1321هـ. دار الكتاب اللبنانى دار التوفيق.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى المكتب الإسلامى بيروت الطبعة الرابعة 1983م.
- مشكاة المصابيح: لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزى المكتب الإسلامى بيروت المطبعة الثانية 1979م.
- منزلة السنة من الكتاب وأثرها فى الفروع الفقهية محمد سعيد منصور مكتبة وهبة الطبعة الأولى 1993م.
- المنهج الإسلامى فى علم مختلف الحديث: لعبد اللطيف سالم دار الدعوة بدون طبعة وتاريخ.
- المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبى داود للإمام الشيخ محمود محمد خطاب السبكى مطبعة الاستقامة ط الأولى 1351هـ.
- موطأ الإمام مالك راوية يحيى بن يحيى الليثى دار النفائس بيروت الطبعة الثامنة 1984م.
- هدى السارى مقدمة فتح البارى بشرح صحيح البخار: للحافظ أحمد بن حجر العسقلانى دار الفكر العربى بدون.
- الوابل الصيب من الكلم الطبعة للإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية مكتبة المتنبى القاهرة 1978م.

ثالثا: كتب فى اللغة والتراجم:

- أبجد العلوم [أبجد العلوم - القنوجي]الكتاب : أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلومالمؤلف : صديق بن حسن القنوجي الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، 1978
- البيان والتبيان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ مكتبة الخانجى القاهرة الطبعة الخامسة 1985م.
- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدى دار مكتبة الحياة بيروت الطبعة الأولى 1306هـ.
- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمى دار الكتب العلمية بيروت بدون.
- دائرة معارف القرن العشرين تأليف محمد فريد وجدى دار المعرفة الطبعة الثالثة 1971م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهرى دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة 1984م.
- القاموس المحيط للفيرو آبادى الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م.
-كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة مكتبة المثنى بغداد بدون.
- لسان العرب لابن منظور دار المعارف بدون.
- مجمل اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس اللغوى مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية 1986م.
- مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى دار الحديث بدون.
- المخصص لابن سيده دار الفكر 1978م.
- المستدرك على معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية تأليف عمر رضا حكالة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى 1985م.
- المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى لأحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المكتبة العلمية بيروت بدون.
- معجم الأعلام بسام عبد الوهاب الجابى مطبعة الجابى للطباعة والنشر الطبعة الأولى 1987.

- معجم البلدان ياقوت الحموى دار صادر 1984م.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى عن الكتب السنة وعن مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل رتبة ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره. د. ا. ى ونستك مكتبة بريل فى مدينة ليدن 1936.
1969م مطبعة – مصطفى البابى الحلبى.
- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية الطبعة الثانية 1972.
- المنجد فى اللغة والأعلام دار المشرق بيروت – الطبعة الخامسة والعشرون.
- النحو الوافى عباس حسن دار المعارف الطبعة الثانية 1995م.

رابعا: كتب فى السيرة والتاريخ والتراجم:

- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقى دار الفكر الطبعة الأولى 1932م.
- التاريخ الإسلامى: محمود شاكر المكتب الإسلامى الطبعة السابعة 1991م.
- تذكرة الحفاظ: للإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبى دار إحياء التراث العربى بيروت بدون.
- تقريب التهذيب: لأحمد بن حجر العسقلانى دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية 1975م.
- تهذيب التهذيب: للإمام أحمد بن حجر العسقلانى دار صادر بيروت.
- الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب لجلال الدين السيوطى دار الكتب الحديثة 1967م.
- الرحيق المختوم لصفى الرحمن المباركفورى دار الوفاء المنصورة بدون.-الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام لعبد الرحمن السهيلى دار الكتب الحديثة الطبعة الأولى 1967م.
- زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم مكتبة المنار الإسلامية الكويت الطبعة الثامنة 1985م.
- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة د. محمد أبو شهبة دار الطباعة المحمدية القاهرة 1970م.
- السيرة النبوية لابن هشام المكتبة التوفيقية للطباعة بالأزهر 1978م.
- السيرة دروس وعبر د. مصطفى السباعى المكتب الإسلامى بيروت دمشق الطبعة الثامنة 1985م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى لأبى الفضل عياض اليحصبى منشورات المكتبة التجارية توزيع دار الفكر بيروت.
- صفة الصفوة لأبى الفرج بن الجوزى دار الوعى بحلب سوريا الطبعة الأولى 1969م.
- عيون الأخبار لابن قتيبة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973.
- فقه السيرة محمد سعيد البوطى الطبعة السابعة 1978م.
- الكامل فى التاريخ لابن الأثير دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الخامسة 1985م.
- المستدرك على معجم المؤلفين عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة بدون.
- معجم الأدباء لياقوت الحموى دار إحياء التراث العربى بيروت بدون.
- مقدمة ابن خلدن كتاب الشعب دار الشعب بدون.
- المنهج التربوى للسيرة النبوية: التربية الجهادية منير القضبان مكتبة المنار الطبعة الأولى 1991م.
- المنهج الحركى للسيرة النبوية: منير القضبان مكتبة المنار الزرقا الأردن الطبعة الثانية 1985م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن خلكان دار صادر بيروت 1978.

خامسا: كتب فى العقيدة والتصوف والأخلاق:

- الاقتصاد فى الاعتقاد لحجة الإسلام الغزالى بدون.
- الإيمان أركانه حقيقته وأركانه ونواقضه د. محمد نعيم ياسين مكتبة السنة الطبعة الأولى 1991.

- الإيمان بالله: أحمد عز الدين البيانونى دار السلام الطبعة الثالثة 1987م.
- الإيمان باليوم الآخر عبد الله بن زيد آل محمود مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية 1984م.
- تاريخ الجدل محمد أبو زهرة دار الفكر العربى الطبعة الثانية 1980م.
- تعريف عام بدين الإسلام على الطنطاوى دار الوفاء 1977م.
- التوحيد أولا: د. ناصر بن سليمان العمر الطبعة الأولى 1413هـ.
- حقيقة التوحيد: د. يوسف القرضاوى مكتبة وهبة الطبعة السابعة 1989م.
- خلق المسلم محمد الغزالى دار الكتب الحديثة الطبعة الثامنة 1974م.
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية مطبعة دار الكتب 1971م.
- الشفاء القياس لابن سينا الهيئة العامة 1964م.
- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية مكتبة المدنى 1987م.
- عقيدة المؤمن أبو بكر جابر الجزائرى دار الكتب السلفية 1985م.
- عقيدة المسلم محمود الغزالى دار الكتب الإسلامية القاهرة 1980م.
- العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع د. محمد بيصار الطبعة الرابعة 1973م.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ تحقيق محمد الفقى مطبعة السنة الطبعة السابعة 1957.
- فلسفة الأخلاق فى الإسلام محمد جواد مغنية دار العلم للملايين ببيروت الطبعة لأولى 1977م.
- القضاء والقدر فى الإسلام: د. فاروق أحمد دسوقى دار الدعوة الإسكندرية 1982.
- مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية
- مدار السلاكين: لابن القيم مطبعة السنة المحمدية 1956م.
- المستخلص فى تزكية الأنفس سعيد حوى دار السلام الطبعة الرابعة 1988م.
- الأم للإمام الشافعى دار الشعب 1968م.
- البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى دار الصفوة 1992.
- البرهان فى أصول الفقه الإمام الحرمين دار الأنصار الطبعة الثانية.
- الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى محمد أبو زهرة دار الفكر العربى بيروت.
- علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف دار القلم الطبعة الثانية عشر 1978م.
- الفقه الإسلامى وأدلة وهبة الزحيلى دار الفكر الطبعة الأولى 1984م.
- مجموع بحوث فقهية د. عبد الكريم زيدان مكتبة القدس ومؤسسة الرسالة 1986.
- مجموعة الفتاوى لابن تيمية والطبعة الثانية 1399هـ.
- المحصول فى علم أصول الفقه فخر الدين الرازى مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1992.
- المحلى لابن حزم دار التراث بدون.
- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية د. عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة 1986م.
- المغنى لابن قدامة مكتبة الكليات الأزهرية بدون.
- الموافقات فى أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبى المكتبة التجارية الكبرى بدون.
- موسوعة الإمام الشافعى الكتاب الأم منشورات دار قتيبة الطبعة الأولى 1996م.
- الوجيز فى أصول التشريع الإسلامى د. محمد هيتو مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1984م.

سادسا: كتب فى الدعوة الإسلام ومناهجها:

- الدعوة الإسلامية علما وعملا إبراهيم الدسوقى رسالة الإمام وزارة الأوقاف 1987م.
- الدعوة الإسلامية فى عهدها المكى د. رؤوف شلبى مطبعة الفجر الجديد 1973م.
- الدعوة الإسلامية ودعاتها: د. محمد طلعت أبو صير المطبعة العربية الحديثة 1986م.

- دعوة الرسل: د. بكر زكى إبراهيم عوض مطبعة أولاد عثمان القاهرة الطبعة الأولى 1993م.
- دعوة الرسل: د. محمد رجب الشتيوى: مؤسسة سعيد للطباعة الطبعة الأولى 1986م.
- الدعوة إلى الإسلام فى ضوء الكتاب والسنة د. محمد أحمد جمعة دار الإسلام 1991م.
- الدعوة إلى الإسلام محمد أبو زهرة دار الفكر العربى بدون.
- الدعوة إلى الله الرسالة والهدف د. توفيق الواعى دار اليقين المنصورة الطبعة الثانية 1995م.
- الدعوة إلى الله تعالى خصائصها مقوماتها مناهجها دراسة مقارنة د. أبو المجد السيد نوفل الطبعة الثانية بدون.
- الدعوة إلى الله تعالى كما تصوره سورة النحل د. محمد عبد السميع شعلان مطبعة الأمانة 1984م.
- الدعوة قواعد وأصول جمعة أمين عبد العزيز دار الدعوة 1988م.
- فقه الدعوة الفردية د. على عبد الحليم محمود دار الوفاء المنصورة الطبعة الأولى 1992م.
- فقه الدعوة إلى الله د. على عبد الحليم محمود دار الوفاء الطبعة الأولى 1990م.
- فقه الدعوى والإعلام د. عمارة نجيب مكتبة سعيد رأفت 1986م.
- عالمية الدعوة الإسلامية د. على عبد الحليم محمود. مكتبات عكاظ الطبعة الثالثة 1984.
- القدوة على طريق الدعوة مصطفى مشهور دار التوزيع القاهرة 1988م.
- المدخل إلى علم الدعوة: محمد أبو الفتح البيانونى مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة 1995م.
- مشكلات الدعوة والداعية فتحى يكن مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة 1980م.
- مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة محمد الغزالى دار الكتب الإسلامية الطبعة الخامسة 1981م.
- معالم عن المنهج النبوى فى الدعوة إلى الله تعالى د. محمد عبد السميع شعلان مطبعة الأمانة 1985م.
- من أدب الدعوة عطية صقر مجمع البحوث الإسلامية 1981م.
- من أساليب الدعوة فى القرآن والسنة د. أبو المجد السيد نوفل مطبعة حسان 1984م.
- من الذين يغير المنكر وكيف د. محمود محمد عمارة رسالة الإمام العدد الثالث عشر المجلس الأعلى 1986م.
- مناهج الدعوة وأساليبها د. على جريشة دار الوفاء المنصورة الطبعة الأولى 1986م.
- من فقه الدعوة مصطفى مشهور دار التوزيع الإسلامية 1995م.
- منهج الدعوة إلى الله تعالى كما تصوره سورة النحل د. محمود عبد السميع شعلان مطبعة الأمانة 984.
- مواقف الداعية التعبيرية عبد الله ناصح علوان دار السلام الطبعة الأولى 1985م.
- وجوب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة عبد العزيز بن باز مطابع ابن تيمية بالقاهرة بدون.

سابعا: كتب ثقافة أخرى:

- الإسلام عقيدة وشريعة محمود شلتوت دار الشروق الطبعة الثانية عشرة 1983م.
- الجهاد ميادينه وأساليبه د.محمد نعيم ياسين دار الوفاء المنصورة والأولى بدون تاريخ.
- الحضارة الإسلامية أبو الأعلى المودودى دار الخلافة بدون تاريخ.
- الحلال والحرام فى الإسلام د. يوسف القرضاوى مكتبة وهبة الطبعة السادسة عشرة 1985.
- الدستور القرآنى والسنة النبوية فى شئون الحياة محمد عزة دروزة طبعة عيسى البابلى 1966.
- دور القيم والأخلاق فى الإقتصادى الإسلامى د. يوسف القرضاوى مكتبة وهبة الطبعة الأولى 1995م.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبى القاسم المعروف بالراغب الأصفهانى دار الصحوة الأولى 1985م.

- روح الدين الإسلامى فى عقيدة عبد الفتاح طبارة الطبعة التاسعة عشرة 1979م.
- عالمية الإسلام: أنور الجندى دار المعارف سلسلة اقرأ العدد (426) 1977م.
- العبادة فى الإسلام د. يوسف القرضاوى مكتبة وهبة الطبعة الخامسة عشرة 1985م.
- معالم فى الطريق سيد قطب دار الشروق بدون تاريخ.

ثامنا: المجلات والحواليات والصحف الإعلامية:

مجلة جامعة الأزهر للدراسات الإسلامية والعربية فرع المنصورة، ومجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ومجلة كلية الدراسات الإسلامية مجلة الأزهر، وآفاق عربية، وجريدة الأسبوع وحوليات أصول الدين بالمنوفيةوالمجلة العلمية، والعربية بنات بالمنصورة ومجلة مركز بحوث السنة والسيرة، ومجلة المسلم المعاصر ومنار الإسلام وصوت الأزهر ومجلة الوعى الإسلامى وغيرها.

بالإضافة إلى مراجع أخرى ذكرت بالهواش مذكورة في صفحات البحث استعنت بها أحيانا .

وأسأل الله تعالي الهداية ولتوفيق والعون والمثوبة إنه سبحانه ولي التوفيق .

الفهرس	
من الدستور الإلهي:-	
(شكر وتقدير)	
عرفان بالجميل)	
المقدمة -	1
أهمية الموضوع:-	2
*سبب اختيارى لهذا الموضوع:	3
الدراسات السابقة على هذه الرسالة:	4
منهجي في الدراسة والبحث:	4
خطة البحث والدراسة:-	7
التمهيد:التعريف بمفردات عنوان البحث.	11
الأمر الأول: التعريف:- ب**(فقه – الدعوة – السنة – المستدرك)**	11
الأمر الثاني:- (التعريف بالإمام - أساتذته - ثناء العلماء عليه وعلى كتابه - الحياة السياسية - الحياة الاجتماعية - الحياة الدينية).	14 20
الحالة الدينية:-	22
قيمة كتاب المستدرك على الصحيحين من بين كتب السنة النبوية وأقوال العلماء فيه:	24
(الباب الأول) **(مكانة الأحاديث النبوية الشريفة وأهميتها في ميدان الدعوة إلي الله تعالي)**	28
الفصل الأول:- [أحاديث المستدرك للحاكم وأهميتها في ميدان الدعوة إلى الله تعالى]	28
المبحث الأول:-أحاديث الرسول ρ :في المستدرك للحاكم وأهميتها للدعوة الإسلامية.	28
المطلب الأول:- تقسيمات السنة النبوية وأنواعها:-	28
ألمطلب الثاني: وجه الحاجة إلي السنة النبوية وأهميتها في الدعوة إلي الله تعالي.	29
المبحث الثاني: أحاديث الرسول ρ :في المستدرك للحاكم وأهميتها للداعية:	36
المطلب الثاني:- ترتيب خطوات العمل الدعوى وأولوياتها في التعامل مع السنة.	39

المطلب الثالث:- (المدعوين وحاجتهم إلي السنة النبوية المطهرة .	41
المبحث الثالث:- أحاديث الرسول: ρ في المستدرك ومنهجه في مخاطبة المدعوين.	42
أصناف المدعوين وكيفية تعامل معهم كما جاء في المستدرك .	42
المطلب الأول : المنهج النبوي الشريف في دعوة المؤمنين .	44
المطلب الثاني:المنهج النبوي الشريف في دعوة المنافقين.	56
المطلب الثالث:- المنهج النبوي الشريف في دعوة أهل الكتاب:من خلال أحاديث المستدرك .	63
المطلب الرابع:-المنهج النبوي الشريف في دعوة المشركين.	72
التمايز والمفاضلة في الشريعة.	76
أولا – العالمية.	77
ثانيا- الوسطية.	81
وسطية الإسلام في الأخلاق.	83
وسطية الإسلام في التشريع.	84
ثالثا : التيسير ورفع الحرج .	84
الفصل الثاني:0 (مكانة الدعاة إلي الله تعالي كما ورد في المستدرك) .	87
المبحث الأول: ما يتعلق بالداعية في مستدرك الحاكم .	87
سمات الداعي من خلال أحاديث المستدرك .	87
السمة الأولي: - الإخلاص .	87
، السمة الثانية – العلم .	88
السمة الثالثة – التقوى .	89
السمة الخامسة: الحلم والأناة .	91
السمة السادسة: القدوة .	92
السمة السابعة :الصدق .	93
السمة الثامنة: الصبر.	94
المبحث الثاني: فضل الدعاة ومكانتهم عند الله تعالي من خلال أدحايث المستدرك للحاكم النيسابوري .	97
. المطلب الأول:- منزلة الدعاة ومكانتهم عند الله تعالى .	97
المطلب الثاني:- مهمة الدعاة إلى الله تعالى كما وردت في المستدرك..	100
الإعداد الفني للداعية ووسائل تحقيق مهارته في ميدان الدعوة .	102
المطلب الثالث: أهلية الدعاة و إعدادهم لمهمة تبليغ دعوة الحق كما وردت في المستدرك.	104
المطلب الرابع: حاجة المدعوين للدعاة إلى الله تعالى كما وردت في المستدرك.	109
"الباب الثاني " أصول الدعوة الإسلامية في المستدرك للحاكم. (الفصل الأول)	113

أصول الدعوة الإسلامية (العقائدية)من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري. (93)	
المبحث الأول:- التعريف بالعقيدة الإسلامية وأهميتها في الدعوة إلي الله تعالي .	114
حاجة الإنسان إلى العقيدة الإسلامية .	115
المبحث الثاني:-{الإيمان بالله تعالى من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري .	118
الأدلة على وجود الله تعالى.	120
عناية الإسلام بإثبات قضية التوحيد .	126
أثر الإيمان بوجود الله تعالى: (فقه الدعوة في الإيمان بالله تعالى).	127
المبحث الثالث :-(الإيمان بالملائكة من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري) .	129
أصناف الملائكة: .	130
أنواع الملائكة :- .	133
المبحث الرابع – الإيمان بالكتب	135
المبحث الخامس: الإيمان بالرسل:-	138
حاجة الناس إلى الرسل.	138
عدد الأنبياء .	138
المبحث السادس:- الإيمان باليوم الآخر والسمعيات من خلال أحاديث المستدرك.	142
وقت اليوم الآخر .	143
البرزخ وما فيه من سؤال وثواب وعقاب .	144
عذاب القبر ونعيمه	144
الجنة والنار.	150
المبحث السابع: الإيمان بالقضاء والقدر من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.	153
الأخذ بالأسباب مع الإيمان القضاء والقدر.	156
من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر الاستسلام المطلق لله رب العالمين.	157
الفصل الثاني الأصول التشريعية الإسلامية من خلال المستدرك للحاكم.	160
المبحث الأول: تعريف الشريعة وأهميتها.	161
تعريف الشريعة في اللغة والاصطلاح.	161
مراحل التشريع.	162
مصادر التشريع.	163
استقلال السنة بالتشريع.	164
ترتيب مصادر التشريع.	165
خصائص التشريع الإسلامي.	167
المبحث الثاني : يسر التشريع الإسلامي .	169
العبادات في الإسلام.	174

التدرج في التشريع.	158
المبحث الثالث : من مقاصد الشريعة الإسلامية .	191
من مظاهر اليسر مراعاة الوسطية.	199
الفصل الثالث : أصول الدعوة الأخلاقية في أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.	201
المبحث الأول: صفات ناتجة عن الخلق السوي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم..	204
أولا: زيادة الإيمان.	204
الأصل الأول : الحياء.	205
الأصل الثاني : التواضع ومكانته في الإسلام.	210
الأصل الثالث : العفو.	212
المبحث الثاني:- الأثر الأخلاقي في الثواب والعقاب من خلال أحاديث المستدرك.	222
المطلب الأول: (صفات أخلاقية باعثة علي الثواب).	222
المطلب الثاني : صفات لا أخلاقية باعثة علي العقاب من خلال أحاديث المستدرك.	225
أولا:- صفات رذيلة تمنع من دخول الجنة.	226
ثانيا:- صفات لا أخلاقية تدخل النار.	228
المبحث الثالث: وصايا وتعاليم إسلامية تضبط الأخلاق من خلال المستدرك النيسابوري. . المطلب الأول الوصايا.	235 235
المبحث الرابع : نماذج من الآداب الأخلاقية الإسلامية كما وردت في المستدرك للحاكم .	248
الباب الثالث : **وسائل الدعوة الإسلامية من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.**	258
تعريف الوسائل.	259
الفصل الأول: الوسيلة الأولى ((الكتابة)).	265
أولاً : الكتب والرسائل في القديم .	267
ثانياً : الكتب والرسائل في العصر الحديث .	269
الفصل الثاني :- الوسيلة الثانية الخطابة.	276
عوامل مساعدة للداعية لنجاح دعوته.	277
من مميزات الخطيب الجيد علي سبيل الإيجاز.	281
الفصل الثالث:- الوسيلة الثالثة ((المسجد)) .	285
النهوض بالدعوة من خلال المسجد في العصر الحاضر.	289
المسجد والتربية .	291
التجمعات التعبدية في المساجد.	293

الفصل الرابع((الهجرة)) .	299
أولا : معني الهجرة .	300
ثانيا : أنواع الهجرة .	301
النوع الثاني من الهجرة : الهجرة المعنوية .	319
الفصل الخامس: الجهاد في سبيل الله .	321
أولا : مفهوم الجهاد والحكمة منه .	322
ثالثا : فضل الجهاد في سبيل الله .	325
رابعا : أنواع الجهاد .	328
مراحل تشريع الجهاد في سبيل الله .	331
ثالثا: المرحلة الثالثة : قتال من يقاتل المسلمين .	334
من أهداف الجهاد .	337
من آداب الجهاد .	341
أحكام الغنيمة والفئ .	358
(الباب الرابع) (أساليب الدعوة إلى الله تعالى من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري).	365
الحكمة من تعدد الأساليب في الدعوة إلى الله:-.	368
الفصل الأول((الدعوة بالحكمة)).	369
المبحث الأول:تعريف الحكمة.	369
المطلب الأول: معنى الحكمة لغة وشرعاً.	369
المطلب الثاني: الصفات الباعثة للحكمة.	370
المبحث الثاني:- معالم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية.	379
(الفصل الثاني: الموعظة الحسنة).	388
المطلب الأول: معني الموعظة.	388
المطلب الثاني: الموعظة في القرآن الكريم .	391
المطلب الثالث: الموعظة في السنة النبوية المطهرة.	393
المطلب الرابع: أهم سمات الموعظة الحسنة.	396
الفصل الثالث:(الحوار والجدل)	403
المبحث الأول:- الحوار والجدل وكيفية الاستفادة منهما في ميدان الدعوة الإسلامية.	403
المطلب الأول:: تعريف الحوار و صوره .	403
المطلب الثاني:- أهمية الحوار والجدال. .	406
المطلب الثالث: الفرق بين كل من الحوار والجدل..	410
المبحث الثاني: الجدل بالتي هي أحسن كما تصوره أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري.	419
أولاً: تعريف الجدال لغة .	419
ثانياً : أنواع الجدل .	420
ثالثاً: أركان المجادلة .	424

رابعا : شروط المجالة	424
خامسا: آداب الجدال .	424
الفصل الرابع) (القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة إلي الله تعالي من خلال أحاديث المستدرك للحاكم النسيابوري)	429
أولاً : - أهمية القدوة الحسنة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى .	429
ثانياً : تعريف القدوة .	431
عقبات في طريق القدوة .	436
(الفصل الخامس)الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .	440
المبحث الأول :- : مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلته بالحسبة .	442
المبحث الثاني : مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.	444
المبحث الثالث : حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .	446
أركان الحسبة وشروطها .	449
الركن الأول : المحتسب	449
آداب المحتسب .	453
الركن الثاني:- المحتسب عليه ا لتعريف به.	459
أصحاب الولايات.	461
الركن الثالث: المحتسب فيه.	464
المبحث الرابع :- مراتب تغيير المنكر .	466
(الباب الخامس) **الأثر العملي للأحاديث النبوية....في كافة مناحي الحياة المعاصرة.**	470
الفصل الأول):- الأثر العلمي لأحاديث المستدرك في الحياة الاجتماعية المعاصرة.	471
أولا: في الناحية الاجتماعية.	471
ثانيا: في الناحية الاقتصادية.	477
ثالثا: في الناحية الفكرية والتعليمية.	478
المبحث الثاني : تكوين الأسرة الصالحة كما جاء في أحاديث المستدرك للحاكم النيسابورى.	490
الآداب الاجتماعية العامة.	502
الفصل الثاني) الأثر العملي للأحاديث النبوية ومنها أحاديث المستدرك للحاكم في الحياة السياسية المعاصرة.	510
المبحث الأول: أثر...أحاديث المستدرك للحاكم في الناحية السياسية.	512
مناصرة ولاة الأمر.	521
إقامة الحكم على مبدأ الشورى.	526
فوائد الشورى.	527
الأولى: الإعداد المعنوي.	529
الثانية: الإعداد البدنى.	530

الفصل الثالث: الأثر العملي.. لأحاديث المستدرك للحاكم في الحياة الاقتصادية المعاصرة.	537
المبحث الأول : خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي.	538
المبحث الثاني: أهم ملامح النظام الإقتصادى في الإسلام.	542
الوسائل التي حرمها الإسلام.	546
بعض الضوابط الشرعية التي تجلب البركة في الرزق.	546
الفصل الرابع:- الأثر العلمي للأحاديث النبوية وفيها أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوريفي الحياة الثقافية والإعلامية المعاصرة.	566
العلم الضروري الواجب تعلمه.	567
ثانياً: ما يتعلق بطالب العلم.	573
المبحث الثاني:- الجانب الإعلامي ودوره في خدمة قضايا الدعوة الإسلامية.	577
من أهداف الإعلام في المجتمع المسلم. .	582
الخاتمة:-	587
وتحتوى على أهم النتائج والمقترحات والتوصيات.	587
أهم المصادر والمراجع.	591
الفهرس	599